حسن المحاضرة

في تاريخ مصر والقاهرة

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

بتحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

دار إحياء الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه

الطبعة الأولى
(١٩٦٧ م – ١٣٨٧ هـ)

فهرس الموضوعات

(*) الأرقام فى الذيل .

صفحة

فهرس الموضوعات

حسن المحاضرة

في تاريخ مصر والقاهرة

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

بتحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الأول

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

يعتبر دخول العرب مصر سنة ٢٠ من الهجرة على يد الصحابيّ الجليل عمْرو بن العاص مولدَ تاريخ جديد لهذه البلاد، ذات الماضى البعيد ؛ فلم يكَدْ يتمّ الفتح، وتستقرّ الأحوال بها بعد الوقائع الحربية المعروفة ، حتى أخذ سُكّانها يدخلون فى دينِ الله أفواجا ؛ وتنشرح صدورهم للقرآن الكريم ، وتصطنع ألسنتهم اللسان العربىّ المُبين ؛ وتُصبح العربيّة لغة الدّواوين . ثم يرحلُ إليها أعيانُ الصحابة وجِلّة التابعين ، ويهوِى نحوها الفُقهاء والقراء وحفاظ الحديث ورُواة اللغة والأدب والشعر ؛ وتُبنى فيها المساجد ؛ لإقامة شعائر العبادات، ومدارسة علوم الدين ، وللفصل فى ساحتها بين الناس ؛ كما أنشئت فيها المدارس لتلقّى العلوم والمعارف ، وألحقت بها خزائن الكتب ، لجذب العلماء من شتى الجهات ؛ مما ارتفع به شأنُ العلم ، وَازدهرت الفنون والآداب .

وتولّى مقاليدَ الحكم فيها على مرّ العصور من الولاة والخلفاء والملوك والسلاطين ؛ مَنْ فتحوا أبوابَهم للعافين والوَافدين ، واستمعوا إلى الشّعراء والمادحين ، وأجازوا على التأليف والتصنيف ، وقاموا فى بناء الحضارة الإسلامية بأوْفَى نصيب .

بل إن مصر كانت ـ وما زالتْ ـ حاميةَ المِلّة والدين ، وراعيةَ الإسلام والمسلمين ، وقاهرة الغزاة والمعتدين ؛ مما جَعلها أعزّ مكان فى الوطن العربىّ الكبير .

فكان من حقّ هذا الإقليم أن يشغلَ مكانه فى التاريخ ، وأن يُخصّ بعناية العلماء والمؤرخين ؛ وأن تفرَد لوصف ملامحه المؤلّفات ، وأن يُتدارس تاريخه فى كل مكان

وزمان . . . وكذلك الأمر والحمد لله كان ؛ فقد نبغ من العلماء القُدامى والمحدثين مَنْ وَضعوا فى تاريخ مصر المصنفات تختلف طولا وقِصَرا ، وتتباين طَريقة ومنهاجا ؛ منهم ابن عبد الحكم وأبو عمر الكندىّ وابن ميسر والمسبِّحى والقضاعىّ وابن دقماق وابن زُولاق والأدفوى والعماد الأصبهانى وابن حَجر والمقريزىّ والسيوطىّ والجبرتى وأبو السرور البَكْرىّ وابن تَغْرى بردى وابن إياس .

***

وكتاب حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، الذى صنفه الجلال السيوطىّ من أنفس الكتب التى صدرت عن هؤلاء الأعلام ، وأعذبها مَوْرِدًا ، وأصفاها منهلاً ، وأسَدِّها منهجا ، وأوضحِها فُصولا وأبوابًا ، وأوفاها استيعاباً وشمولا ، سلكَ فيه طريقا قَصْدًا ، ليس بالطويل المستطرد المشوّش؛ولا بالمقتضَب الخالى من النفع والجدْوَى ، بدأه بذكر ماوَرَد فى شأن مصر من الآثار فى القرآن الكريم والحديث الشريف ، ثم ثناه بذكر تاريخ مصر فى عهدها القديم ؛ عهدالفراعنة وبُناة الأهرام ، على حسب ماوقع لديه من المعارف ، وعلى حسب ما كان شائعا فى عصره ، ثم وصفَ الفتح الإسلامىّ وماصاحبه من وقائع وأحدَاث ، وماتمّ من امتزاج المصريين بالعرب تحت راية الإسلام ، ثم ذكر الوافدين على مصر ومَنْ نبغ فيها من أصحاب المذاهب ، ومَنْ عاش بها من الحفاظ والمؤرّخين والقُرّاء والقُصّاص والشعراء والمتطبِّبين وغيرهم ؛ مع ذكر نُبَذٍ من حياتهم وتاريخ موالدهم ووفياتهم.ولم يخلُ كتابه من تاريخ الولاة الذين تعاقبوُا عليها ، والقضاة الذين حَكَمُوا فيها ، والحكومات التى قامت بها ، ومابُنِى فيها من المساجد والمدارس والخانقاهات .

ومن أمتع ماورد فيه تلك الفصولُ التى عقدها فى ذكر عادات المصريين ومواسمهم وأعيادهم والأسباب الدّائرة بينهم؛ وما كان فيهامن أندية الأدب ومجالس الشعر والسمر ؛ على منهج طريف أخّاذ .

وكان سبيلُه فى كلٍّ ماأوردَه من هذا الكتاب النقلُ عن الكتب المتخصّصة فى هذا الشأن ، مضافاً إليها ماوقع له من المُشاهدة ؛ أو مانقله سماعا عن علماء عصره ؛ من الشيوخ والأقران والتلاميذ .

وللسيوطىّ منهج معروف يذكره فى مقدمات بعض كتبه ــ وخاصة المطولة منها ــ أن يورد مصادره من الكتب التى اعتمد عليها وأسماء مؤلِّفيها ؛ فعل ذلك فى كتاب بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنّحاة ، وكتاب الإتقان فى علوم القرآن ؛ وفعل ذلك أيضا فى هذا الكتاب ، قال: «وقد طالعت على هذا الكتاب كتباً شتَّى ، منها فتوح مصر لابن عبد الحكم ، وفضائل مصر لأبى عمر الكندىّ ، وتاريخ مصر لابن زولاق ، والخطط للقُضاعىّ ، وتاريخ مصر لابن ميسر ، وإيقاظ المتغفّل وإيعاظ المتأمّل لتاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوَّج الزُّبيرىّ والخطط للمقريزىّ ، والمسالك لابن فضل الله العمرىّ ، ومختصره للشيخ تقىّ الدين الكرمانىّ ، ومسالك الأبصار لابن فضل الله ، ومختصره للشيخ تقىّ الدّين الكرمانىّ ومباهج الفكر ومناهج العبر لمحمد بن عبد الله الأنصارىّ ، وعنوان السِّير لمحمد بن عبد الله الهمذانىّ ، وتاريخ الصحابة الذين نزلوا مصر لمحمد بن الربيع الجيزىّ ، والتّجريد فى الصحابة للذهبىّ ، والإصابة فى معرفة الصحابة لابن حجر ، ورجال الكتب العشرة للحُسينىّ ، وطبقات الحفّاظ للذهبى ، وطبقات القراء له ، وطبقات الشّافعية للسّبكى ، وللإسنوىّ ، وطبقات المالكية لابن فَرْحون ، وطبقات الحنفيّة لابن دُقْماق ، ومرآة الزّمان لسبط ابن الجوزىّ وتاريخ الإسلام للذّهبى ، والعِبَر له ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وإنباء الغمر بأبناء العُمر لابن حَجَر ، والطّالع السعيد فى أخبار الصعيد للأُدفوىّ ، وسَجْع الهديل فى أخبار النيل لأحمد بن يوسف التّيفاشىّ والكردان لابن أبى حَجلة ، وثمار الأوراق لابن حجة » . هذا غير ماذكره فى تصاعيف الكتاب من المراجع الأخرى .

***

وقد طبع هذا الكتاب عدّة طبعات ؛ يَشيع فى معظمها التصحيف والتحريف والخطأ ؛

طبع طبْع حجر بمصر سنة ١٨٦٠ م ، وطبع فى مطبعة الوطن ، سنة ١٢٩٩ هـ ،وطبع بمطبعة الموسوعات سنة ١٣٢٤ هـ ، وطبع بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٤ هـ ، وطبع بالمطبعة الشرفية سنة ١٣٢٧ هـ ، وطبع منه جزء صغير مع ترجمة لاتينية سنة ١٨٣٤ م ، كما أودع دور الكتب فى العالم شرقا وغربا كثيرٌ من نسخه المخطوطة .

وحينما شرعت فى تحقيق هذا الكتاب رجعت إلى نسخة مخطوطة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب برقم ٢٣٩٤ تاريخ - تيمور تمت كتابتها فى رجب سنة ٩٧٧هـ، تقع فى ٤٦٥ صفحة، فى كل صفحة ٣٥ سطرا تقريبا ، فى كل سطر حوالى ٢٠ كلمة ؛ كتبت بخط معتاد يجنح إلى الصحة والإتقان والضبط القليل ، ووضعت العنوانات بخط أغلظ ، وفى حواشيها مايشير إلى قراءتها ومقابلتها . وقد اتخذت هذه النسخة أصلا فى التحقيق .

كما أنى تخيّرت مما طبع نسختين قريبتين من الصحّة : النسخة المطبوعة فى مطبعة الوطن ورمزت إليها بالحرف (ط) ، والنسخة المطبوعة بمصر على الحجر ،وقد رمزت إليها بالحرف (ح) .

ثمّ رجعت إلى ماتيسر لى الحصول عليه من المصادر التى ذكرها ،وما اقتضاه الأمر من الرجوع إلى الكتب الأخرى فى التفسير والحديث والأدب ودواوين الشعر ومعاجم اللغة.

هذا ، وقد جعلت من منهجى فى هذا الكتاب ألّا أسرف فى التعليق،أو استطرد فى الشرح والتفسير ؛ إلا بالقَدْر الذى يُعين على فهم النصّ وبه تستقيم العبارات ، محاولا أن يبدو الكتاب فى أقرب صورة من نسخة المؤلف ؛ وأن أقوم فى آخر الكتاب بعمل الفهارس المتنوعة التى تقرب نفعه ، وتُدْنِى جَناه .

وتصدر هذه الطبعة فى جزأين ينتهى الأول منهما بذكر أخبار الخلفاء الفاطميين أو كما سماهم المؤلف : « أمراء مصر من بنى عبيد » . ويبدأ الجزء الثانى بذكر أمراء مصر من حين ملكها بنو أيّوب ،وينتهى بالفصل الذى عقده فى حبوب مصر وخضراواتها وبقولها .

* * *

وأما الجلال السيوطى المؤلف،فقد عقد لنفسه فصلا فى هذا الكتاب[1] تحدّث فيه عن

---

(١) حسن المحاضرة ١ : ٣٣٥ - ٣٤٤ (طبعة الحلبى)

نسبه وأجداده ، وذكر أن مولده كان : « بعد المغرب مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة »، كما ذكر الكتب التي درسها، والشيوخ الذين تلقى عنهم، والبلاد التي رحل إليها،والعلوم التي حذقها،والكتب التي ألفها ؛ مما يعد وثيقة تاريخية في حياة هذا العالم الجليل .

وقد ظل السيوطي طوال حياته مشغوفاً بالدرس مشتغلا بالعلم،يتلقاه عن شيوخه أو يبذله لتلاميذه ، أو يذيعه فتيا ، أو يحرره في الكتب والأسفار ؛ وحينما تقدم به العُمْر ، وأحسّ من نفسه الضعف ، حلا بنفسه في منزله بروضة المقياس ، واعتزل الناس ، وتجرّد للعبادة والتصنيف ، وألف كتابه : « التنفيس في الاعتذار عن الفتيا والتدريس » .

وكان رحمه الله في حياته الخاصة على أحسن ما يكون عليه العلماء ورجال الفضل والدين ، عفيفاً كريماً ، غنيّ النفس ، متباعداً عن ذوي الجاه والسلطان ، لا يقف بباب أمير أو وزير ؛قانعاً برزقه من خانقاه شيخو ، لا يطمع فيما سواه . وكان الأمراء والوُزراء يأتون لزيارته ويعرضون عليه أعطياتهم فيردّها . وروى أن السلطان الغوري أرسل إليه مرّة خَصِيًّا وألف دينار ، فردّ الدنانير ، وأخذ الخصيّ ثم أعتقه ، وجعله حارساً في الحجرة النبوية،وقال لرسول السلطان : لا تَعُدْ تأتينا قطُّ بهدية ؛ فإنّ الله أغنانا عن ذلك .

وأما كتبه فقد أحصى السيوطي منها في كتابه نحواً من ثلاثمائة ؛ في التفسير وتعلقاته والقراءات، والحديث وتعلقاته والفقه وتعلقاته،وفنّ العربية وتعلقاته، وفنّ الأصول والبيان والتصوف،وفنّ التاريخ والأدب والأجزاء المفردة،ما بين كبير في مجلد أو مجلدات،وصغير في كراريس أو أوراق . وذكر تلميذه الداودي المالكيّ أنها أنافت على خمسمائة مؤلف. وقال ابن إياس في تاريخه (حوادث ٩١١) : إنها بلغت ستمائة مؤلف .

وتقع هذه الكتب في مجلد أو مجلدات ؛ كالمزهر والإتقان والأشباه والنظائر وبغية الوعاة والدرّ المنثور في التفسير بالمأثور والجامع الصغير والجامع الكبير وأمثالها ، أو في أوراق أو صَفَحات ؛ كهذه الرسائل التي طُبعت باسم الحاوي في الفتاوى ؛ في مجلد يحوي ثمانية وسبعين كتاباً في مُعظم الفنون . وقد تدارس العلماء هذه الكتب في كلّ مكان ،

وانتشرت فى حياة السيوطىّ وبعده ، وعَمرتْ بها المدارس والمعاهد ودُور الكتب ، وكاتبه المستفتُون من شتّى الجهات ؛ ممّا أثار عليه فريقاً من أقرانه ومعاصِريه من العلماء ، وتحاملوا عليه ، ورَمَوه بما هو منه بَراء ؛ وكان من أشدّ الناس خصومةً عليه ، وأكثرهم تجريحاً وتشهيرا ، المؤرّخ شمس الدين السخاوىّ ، صاحب كتاب الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع ؛ فقد ترجم له فى هذا الكتاب ، ونال من علمه وخلقه ؛ مما يقع مثله بين النُّظراء والأَنْداد . وانتصر السيوطى لنفسه فى مقامة أسماها : الكاوى على تاريخ السخاوىّ ؛ كما انتصر له فريق من تلاميذه وفريق من العلماء ممّنْ جاء بعده ؛ منهم الشوكانى صاحب البدر الطالع ؛ قال فى ترجمته للسيوطىّ بعد أن لخص مطاعن السخاوى فيه ، وردّ هذه المطاعن عنه : « وعَلَى كلِّ حالٍ فهو غير مقبولٍ عليه لما عرفتَ من قولِ أئمّة الجرْح والتعديل ، بعدم قبول قولِ الأقران بعضهم فى بعض ؛ مع ظهور أدْنى منافسة ؛ فكيف لمثل هذه المنافسة بين هذين الرجلين التى أفضت إلى تأليف بعضهم فى بعض ! فإنّ أقلّ مِنْ هذا يوجب عدم القبول . والسخاوىّ رحمه الله وإن كان إماماً غير مدفوع ؛ لكنه كثير التحامل على أكابر أقرانه » .

وكانت وفاة السيوطىّ على ماذكره ابن إياس فى الخميس تاسع شهرى جمادى الأولى سنة ٩١١ هـ ، ودفن بجوار خانقاه قوصون [١] خارج باب القرافة ، بعد أن ملأ الدنيا علماً ، وشهرة وذكراً »[٢] . رحمة الله عليه ؟

يناير سنة ١٩٦٧ م   محمد أبو الفضل إبراهيم

---

(١) وضع العلامة أحمد تيمور بحثا فى قبر السيوطى وتحقيق موضعه ، ونشر بالمكتبة السلفية بمصر سنة ١٣٤٦ هـ . وفى العام الماضى قمت مع صديقى العلامة الأديب الشاعر المتفنن الأستاذ سيد إبراهيم الخطاط بزيارة قبر السيوطى ، فى ضوء ما حققه العلامة تيمور ؛ فوجدناه مقاما على مسجد ؛ يكاد لايعرف بعد أن كانت ـ كما أخبرنا بعض من لقيناه هناك ـ الصلوات تقام فيه ؛ وتؤدى الشعائر. ولعل القائمين بأمر المساجد فى القاهرة يعنون بهذا المسجد وإعادة إحياء الشعائر فيه ، تقديرا لذكرى العالم الجليل .

(٢) انظر مقدمتنا لكل من كتابى بغية الوعاة فى أخبار النحاة و الإتقان فى علوم القرآن للمؤلف.

حسن المحاضرة

في تاريخ مصر والقاهرة

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبداً

قال الشيخُ الإمام العالم العلّامة ، وحيدُ دهره ، وفريد عصره ، المحقّق جلال الدّين السيوطىّ ، تغمّده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنّته . آمين .

الحمدُ لله الّذى فاوت بين العباد ، وفضّل بعضَ خلقِه على بعض حتّى فى الأمكنة والبلاد ، والصّلاة والسلام على سيّدنا محمد أفصَحِ مَنْ نطق بالضّاد ، وعلى آله وصحبه السّادة الأمجاد .

هذا كتاب سمّيتُه : ” حسن المحاضرة ، فى أخبار مصر والقاهرة “ ، أوردت فيه فوائدَ سنيّة ، وغرائبَ مستعذبة مرضيّة ، تصلح لمسامرة الجليس ، وتكون فى الوَحدة نعم الأنيس ، وفقّنا الله لما يحبّه ويرضاه ، وجعلنا ممّن يُحْمَد قصدُه ولا يخيبُ مسعاه ؛ بمنّه وكرمه .

وقد طالعتُ على هذا الكتاب كتباً شتّى ؛ منها فتوح مصر لابن عبد الحكم ، وفضائل مصر لأبى عمر الكِنْدِىّ ، وتاريخ مصر لابن زُولاق ، والخطط للقُضاعىّ ، وتاريخ مصر لابن ميسّر[1] ، وإيقاظ المتغفّل وإيعاظ المتأمّل لتاج الدين محمد بن عبدالوهاب بن المتوّج الزُّبيرىّ ، والخطط للمقريزىّ ، والمسالك لابن فضل الله، ومختصره للشيخ تقىّ الدين الكِرْمانىّ ، ومباهج الفكر ، ومناهج العبر لمحمد بن عبد الله الأنصارىّ ، وعُنوان السِّيَر لمحمد بن عبد الملك الهَمَذانى ، وتاريخ الصحابة الّذين نزلوا

---

(١) فى حاشيتى ح ، ط : « وفى نسخة : لابن يونس » .

مصر لمحمّد بن الربيع الجيزىّ ، والتجريد فى الصحابة الذهبىّ ، والإصابة فى معرفة الصحابة لابن حجر ، ورجال الكتب العشرة للحُسَينىّ ، وطبقات الحفّاظ الذّهبىّ ، وطبقات القرّاء له ، وطبقات الشافعيّة للسُّبكىّ ، وللإسْنوىّ ، وطبقات المالكيّة لابن فرْحون ، وطبقات الحنفيّة لابن دُقْماق ، ومرآة الزّمان لسبط ابن الجَوزىّ ، وتاريخ الإسلام للذهبىّ ، والعِبَر له ، والبداية والنّهاية لابن كثير ، وإنباء الغُمر بأنباء العمْر لابن حجَر ، والطالع السعيد فى أخبار الصعيد للأدفوىّ ، وسجْع الهديل[1] فى أخبار النيل لأحمد بن يوسف التّيفاشىّ ، والسكردان لابن أبى حجلة ، وثمار الأوراق لابن حجّة .

(١) فى الأصل : «الهذيل» ، بالذال المعجمة ، وصوابه من ط .

ذكر المواضع التى وقع فيها ذكر مصر
فى القرآن صريحاً أو كناية

قال ابن زُولاق[١] : ذُكِرت مصر فى القرآن فى ثمانية وعشرين موضعا .

قلت : بل أكثر من ثلاثين .

قال الله تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ ما سَأَلْتُمْ ﴾[٢] ، وقرئ : ﴿اهْبِطُوا مِصْرَ﴾ بلا تنوين ، فعلى هذا هى مصر المعروفة قطعا ، وعلى قراءة التنوين ، يُحمل ذلك على الصرف اعتباراً بالمكان ؛ كما هو المقرّر فى العربيّة فى جميع أسماء البلاد ، وأنّها تذكّر وتؤنث ، وتصرَف وتمنع . وقد أخرج ابن جرير فى تفسيره عن أبى العالية فى قوله : ﴿ اهْبِطُوا مِصْراً ﴾ قال : يعنى مِصْرَ فرعون .

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِن مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِى مَثْوَاهُ ﴾[٤] .

وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام : ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾[٥] .

---

(١) هو الحسن بن إبراهيم بن الحسين ، من ولد سليمان بن زولاق ، مؤرخ مصرى ؛ ومن كتبه : خطط مصر ، ومختصر تاريخ مصر . توفى سنة ٣٨٧ . ابن خلكان ١ : ١٣٤ .

(٢) سورة البقرة ٦١ — (٣) سورة يونس ٨٧ .

(٤) سورة يوسف ٢١ — (٥) سورة يوسف ٩٩ .

وقال تعالى حكاية عن فرعون : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾[5] ، أخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره عن السُّدِّىّ أنّ المدينة فى هذه الآية منف ، وكان فرعون بها .

وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾[6] . أخرج ابن أبى حاتم ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى الآية ، قال : هى مصر ، قال : وليس الرُّبا إلا بمصر ، والماء حين يرسل ، تكون الرُّبا عليها القرى ، [و] لولا الرُّبا لغرقت القرى . وأخرج ابنُ المنذر فى تفسيره ، عن وهب بن منبّه ، فى قوله : ﴿ إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ ، قال : مصر . وأخرجَ ابنُ عساكر فى تاريخ دمشق ، من طريق جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عبّاس ، أنّ عيسى كان يرى العجائب فى صباه إلهاماً من الله ، ففشا ذلك فى اليهود ، وترعرع عيسى ، فهمّت به بنو إسرائيل ، فخافت أمُّه عليه ، فأوحى الله إليها أن تنطلق به إلى أرض مصر ؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ﴾ ؛ قال : يعنى مصر . وأخرج ابن عساكر ، عن زيد بن أسلم فى قوله : ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذات قرارٍ وَمَعِينٍ ﴾ ، قال : هى الإسكندرية .

---

(١) سورة الزخرف ٥١
(٢) سورة يوسف ٣٠
(٣) سورة القصص ١٥
(٤) سورة القصص ١٨
(٥) سورة القصص ٢٠ .
(٦) سورة المؤمنين ٥٠

وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام : ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾[١] ، أخرج ابنُ جرير ، عن ابن زيد فى الآية ، قال : كان لفرعون خزائن كثيرة بأرض مصر ، فأسلمها سلطانه إليه .

وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ ﴾[٢] ، أخرج ابنُ جرير ، عن السُّدِّىّ فى الآية قال : استعمله الملك على مصر ، وكان صاحبَ أمرها .

وقال تعالى فى أوّلِ السُّورَة : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيث ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِى أَبِى ﴾[٤] ، قال ابن جرير : أى لن أفارقَ الأرضَ التى أنا بها ـ وهى مصر ـ حتى يأذن لى أبى بالخروج منها .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى الْأَرْضِ ﴾[٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى الْأَرْضِ ﴾[٦] .

وقال تعالى : ﴿ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِى الْأَرْضِ ﴾[٧] .

وقال تعالى : ﴿ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِى الْأَرْضِ ﴾[٨] .

وقال تعالى : ﴿ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِى الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾[٩] .

وقال تعالى : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ . . . ﴾[١٠] ، إلى قوله :

---

(١) سورة يوسف ٥٥
(٢) سورة يوسف ٥٦
(٣) سورة يوسف ٢١ .
(٤) سورة يوسف ٨٠
(٥) سورة القصص ٤
(٦) سورة القصص ٥ ، ٦
(٧) سورة القصص ١٩
(٨) سورة غافر ٢٩
(٩) سورة غافر ٢٦
(١٠) سورة الأعراف ١٢٧

﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ... ﴾[(١)]، إلى قوله : ﴿ قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾[(٢)] .

المراد بالأرض فى هذه الآيات كلّها مصر .

وعن ابن عباس ـ وقد ذكر مصر ـ ، فقال : سُمّيت مصر بالأرض كلّها فى عشرة مواضع من القرآن .

قلت : بل فى اثنى عشر موضعا أو أكثر .

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾[(٣)] ؛ قال اللّيثُ بن سعد : هى مصر ؛ بارك فيها بالنّيل . حكاه أبو حيّان فى تفسيره .

وقال القُرطبيّ فى هذه الآية : الظّاهر أنهم ورثوا أرض القِبْط . وقيل : هى أرض الشام ومصر ؛ قاله ابنُ إسحاق وقَتادة وغيرهما .

وقال تعالى فى سورتى الأعراف والشعراء : ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ﴾[(٤)] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ﴾[(٥)] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾[(٦)] .

وقال تعالى تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾[(٧)] ؛ قال الكنديّ : لا يُعلَم بلد فى أقطار الأرض أثنى الله عليه فى القرآن بمثل هذا الثناء ، ولا وصَفَه بمثل هذا الوصف ، ولا شهد له بالكرم غير مصر .

---

(١) سورة الأعراف ١٢٨
(٢) سوره الأعراف ١٢٩
(٣) سورة الأعراف ١٣٧
(٤) سورة الأعراف ١١٠ ، والشعراء ٣٥
(٥) سورة الأعراف ١٢٣
(٦) سورة الشعراء ٥٧ ، ٥٨
(٧) سوره الدخان ٢٥ ، ٢٦

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾[١] ، أورده ابن زولاق . وقال القرطبيّ فى تفسيره : أى منزل صدق محمود مختار ــ يعنى مصر . وقال الضّحّاك : هى مصر والشام .

وقال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ ﴾[٢] ، أورده ابن زولاق وقال : الرُّبا لا تكون إلا بمصر .

وقال تعالى : ﴿ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾[٣] ، أورده ابن زُولاق أيضا ، وحكاه أبو حيّان فى تفسيره قولاً إنها مصر ، وضعّفه .

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ﴾[٤] . قال قوم : هى مصر ، وقوّاه ابن كثير فى تفسيره .

وقال تعالى : ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾[٥] ، قال عِكْرِمَة : مِنها القراطيس التى بمصر .

وقال تعالى : ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾[٦] قال محمد ابن كعب القُرظىّ : هى الإسكندرية :

* * *

---

(١) سورة يونس ٩٣
(٢) سورة البقرة ٢٦٥
(٣) سورة المائدة ٢١
(٤) سورة السجدة ٢٧
(٥) سوره فصلت ١٠
(٦) سورة الفجر ٧ ، ٨

لطيفـــة

قال الكندى[١] : قال الله تعالى حكايةً عن يوسف عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي من السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ﴾[٢] ، فجعل الشام بَدْواً ؛ وسمّى مصرَ مِصْراً ومدينةً .

* * *

فائـــدة

اشتهر على ألسنة كثير من النّاس فى قوله تعالى : ﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾[٣] ، إنها مصر ؛ وقد نصّ ابنُ الصلاح وغيره على أنّ ذلك غلط نشأ من تصحيف ؛ وإنما الوارد عن مجاهد وغيره من مفسرى السّلف : ﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ، قال : مصيرهم ؛ فصُحِّفَ بمصر .

---

(١) هو محمد بن يوسف بن يعقوب أبو عمر الكندى ، المؤرخ المصرى ؛ وهو غير الكندى الفيلسوف. صاحب كتاب قضاة مصر ؛ وكتابه فضائل مصر ، صنفه لكافور الإخشيدى . توفى بعد سنة ٣٥٥ الأعلام ٨ : ٢١

(٢) سورة يوسف ١٠٠

(٣) سورة الأعراف ١٤٥

ذكر الآثار التى ورد فيها ذكر مصر

قال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم[١] فى فتوح مصر : حدّثنا أشهب بن عبد العزيز وعبد الملك بن مسلمة ، قالا[٢] : حدّثنا مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا افتتحتم مصر فاستَوْصُوا بالقِبْط خيراً ؛ فإنَّ لَهُمْ ذِمَّةً ورحماً » . قال ابن شهاب : وكان يقال : إنّ أمّ اسماعيل عليه الصلاة والسلام منهم[٣] . وأخرجه أيضاً الليث ، عن ابن شهاب ، وفى آخره : قال الليث : قلتُ لابن شهاب : ما رحِمُهم ؟ قال : إنّ أمّ إسماعيل منهم . وأخرجه أيضا من طريق ابن عُيَيْنة وابن إسحاق عن ابن شهاب . وهذا حديث صحيح ، أخرجه الطَّبَرانىّ فى معجمه الكبير ، والبيهقىّ وأبو نُعيم ، كلاهما فى دلائل النبوّة .

وأخرج مسلم فى صحيحه ، عن أبى ذرّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ستفتحون مصر ، وهى أرضٌ يسمَّى فيها القِيراط ؛ فاستوصوا بأهلها خيرا ؛ فإن لهم ذمّة ورحِما » .

وأخرج مسلم ، وابن عبد الحكم فى الفتوح ، ومحمد بن الربيع الجِيزىّ فى كتاب : مَنْ دخل مصر من الصحابة ، والبيهقىّ فى دلائل النبوّة ، عن أبى ذرّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّكم ستفتحُون أرضاً يُذكَرُ فيها القِيراط ،

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم أبو القاسم ؛ المؤرخ المصرى ابن الفقيه عبدالله صاحب سيرة عمر بن عبد العزيز . توفى سنة ٢٥٧ : الأعلام ٤ : ٨٦

(٢) فى الأصول : « قال » وصوابه من فتوح مصر .

(٣) فتوح مصر ٢

فاستوصُوا بأهلها خيراً ، فإنَّ لهم ذمةً ورَحِماً ؛ فإذا رأيتَ رَجُلَيْنِ يقتتلان على موضع لَبِنة ، فاخرُج منها . قال : فرَّ ابو ذرَّ بربيعة وعبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وهما يتنازعان فى موضع لَبِنة ، فخرج منها[١] .

وأخرج ابنُ عبد الحكم من طريق بَحِير بن ذَاخِرِ المَعَافِرىّ ، عن عمرو بن العاص ، عن عمر بن الخطاب ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ الله سَيَفْتَح عليكم بعدى مصر ، فاستوصُوا بِقِبْطِها خيراً ؛ فإن لكُمْ منهم صهراً وذمّةً » [٢] .

وأخرج الطَّبَرانىّ فى الكبير ، وأبو نُعيم فى دلائل النّبوّة ؛ بسند صحيح ، عن أمّ سلمة ، أنّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم أوصى عند وفاته ، فقال : « الله الله فى قِبْط مصر ؛ فإنّكم ستظهرُون عليهم ، ويكونون لكم عُدّة وأعوانا فى سبيل الله » [٣] .

وأخرج أبو يَعْلَى فى مسنَدِه ، وابن عبد الحكم بسندٍ صحيح ؛ من طريق ابن هانئ الخوْلانىّ ، عن أبى عبد الرحمن الحُبُلِىّ وعمرو بن حريث وغيرهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ستقدَمون على قوم جُعْد رُءوسُهم ، فاستوصُوا بهم خيراً ؛ فإنّهم قوّة لكم ، وبلاغٌ إلى عدوّكم بإذن الله » ـ يعنى قِبْط مصر[٤] .

وأخرج ابنُ عبد الحكم من طريق ابن سالم الجيْشانىّ وسُفيان بن هانئ ، أنّ بعض أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبَره أنّه سمع رسول الله صلى الله وسلم يقول : « إنكُمْ ستكونون أجْنَاداً ، وإنَّ خيْر أجنادِكم أهل المغرب ؛ فاتَّقُوا الله فى القِبْط ، لا تأكلوهم أكل الخَضِر » [٥] .

---

(١) فتوح مصر ٢، ٣ وصحيح مسلم ١٩٧٠
(٢) فتوح مصر ٣
(٣) فتوح مصر ٣
(٤) فتوح مصر ٣
(٥) فتوح مصر ٣ ؛ والخضر ؛ هو الذى يتحين طعام الناس حتى يحضره.

وأخرج ابنُ عبد الحكم ، عن مسلم بن يَسار ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «استوصُوا بالقِبْط خيرا ، فإنكم ستجدونهم نِعْمَ الأعوان على قتال عدوّكم»[١] .

وأخرج ابنُ عبد الحكم ، عن موسى بن أبي أيّوب الغافقيّ[٢] ، عن رجل من المِرْبَد ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض ، فأغمِيَ عليه ثم أفاق ، فقال : « استوصُوا بالأُدْمِ الجُعْدِ » ؛ ثم أغمِيَ عليه الثانية ثم أفاق ، فقال مثل ذلك ، ثم أغمِي عليه الثالثة فقال مثل ذلك ، فقال القوم : لو سألْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن الأُدْمِ الجُعْد ! فأفاق ، فسألوه فقال: « قِبْط مصر ؛ فإنّهم أخوال وأصهار ، وهم أعوانكم على عدوّكم ، وأعوانكم على دينكم » ، فقالوا : كيف يكونُون أعوانًا على ديننا يارسول الله ؟ فقال : « يكفُونكم أعمالَ الدّنيا فتتفرّغون للعبادة ؛ فالرّاضي بما يؤتَى إليهم كالفاعل بهم ، والكاره بما يؤتى إليهم من الظلم كالمتنزّه عنهم »[٣] .

وأخرج ابن عبد الحكم عن ابن لَهِيعة ، قال : حدّثني عمر مولى غُفْرة[٤] ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الله الله في أهل الذمّة ، أهل المَدَرَةِ السّوداء ، السُّحْم الجِعَاد ، فإنَّ لهم نسبًا وصهرا » . قال عمر مولى غُفْرة : صهرُهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرّى منهم، ونسبُهم أنّ أمّ إسماعيل عليه الصلاة والسلام منهم . فأخبرني ابن لَهيعة أن أمّ إسماعيل هاجر أمّ العرب من قرية كانت من أمام الفَرَما من مصر[٥] .

وقال ابن عبد الحكم : حدثنا عمر بن صالح ، أخبرنا مروان القصاص ، قال : صاهَر إلى القِبْط ثلاثة أنبياء : إبراهيم عليه الصلاة والسلام تسرّى[٦] هاجر ،

---

(١) فتوح مصر ٢
(٢) في الأصول : « اليافعي » وصوابه من فتوح مصر
(٣) فتوح مصر ٣ ، ٤
(٤) في الأصول : « عفرة » تحريف ، صوابه من تقريب التهذيب ٢ : ٦٥ ، وهو عمر بن عبدالله المدني. قال ابن حجر : « ضعف » ، وكان كثير الإرسال .
(٥) فتوح مصر ٤ .
(٦) فتوح مصر : « تسرر »

ويوسف عليه الصلاة والسلام تزوّج بنت صاحب عين شمس ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم تسرَّى مارية . وقال : حدثنا هانئ بن المتوكّل ، حدثنا ابن لَهيعة ، عن يزيد ابن أبى حبيب ، أن قرية هاجر ياق [١] ، التى عند أمّ دُنين [٢] .

وأخرج الطّبرانىّ عن رباح اللخمىّ ، أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « إنّ مصر ستُفتح فانتجعُوا خَيرها ، ولا تتخِذُوها داراً ؛ فإنه يُساقُ إليها أقلُّ النّاس أعماراً » . وفى إسناده مطهّر بن الهيثم ، قال فيه أبو سعيد بن يونس : إنّه متروك. والحديث منكر جدًّا ، وقد أورده ابن الجوزىّ فى الموضوعات .

وأخرج مُسلم ، عن أبى هُريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم : « مَنعتِ العِراق دِرْهمها وقَفِيزَها ، ومنعت الشّام مُدْيَها ودينارَها ، ومنعت مصر إرْدَبَّها ودينَارها ، وعُدْتُم من حيث بدأتُم [٣] » .

وأخرج الإمام الشافعىّ رضى الله عنه فى الأمّ ، عن عائشة رضى الله عنها أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقّت لأهل المدينةِ ذا الُحليفة ، ولأهْلِ الشام ومصر والمغرب الُجحفة .

وأخرج ابن عبد الحكم ، عن يزيد بن أبى حبيب ؛ أنّ المقوقس أهْدَى إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم عسلاً من عسل بِنْها ، فأُعجِب النبىُّ صلّى الله عليه وسلم ، فدعا فى عسل بِنْها بالبركة . مرسل حسن الإسناد [٤] .

وأخرج ابنُ عبد الحكم ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذَا فتَح اللهُ عليكم مصر ؛ فاتّخِذُوا فيها جُنداً كثيفاً ؛

---

(١) فى الأصول : « باقية » تحريف ؛ صوابه من فتوح مصر ومعجم البلدان .
(٢) فتوح مصر ٤ (٣) صحيح مسلم ٢٢٢٠ ، والمدى : مكيال
(٤) انظر فتوح مصر ٤٨ .

فذلك الجند خير أجناد الأرض » ، فقال أبو بكر : ولِمَ يارسول الله ؟ قال : « لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة » .

وأخرج ابنُ عبد الحكم ، عن عليّ بن رباح ، قال : خَرَجْنا حُجَّاجاً من مصر ، فقال له سُليم بن عتْر : اقرأ عَلَى أبى هريرة السلام ، وأخبِرْه أنِّى قد استغفرتُ له ولأمّه الغداة ، فلقيته فقلت له ذلك ، فقال : وأنا قد استغفرتُ له ولأمّه الغداة . ثم قال أبو هريرة : كيف تركت أمّ خَنُّور[1] ؟ قال : فذكرتُ له من خِصْبِها ورفاغَتها ، فقال : أمَا إنّها أول الأرضين خَراباً ، وعلى أثرها إرمينيَة . قلت : أسمعتَ ذلك من رسول الله أو من كعب ؟

وأخرج الدّيلميّ فى مسند الفردوس، وأورده القرطبيُّ فى التذكرة من حديث حُذيفة مرفوعاً: « يبدُو الخراب فى أطراف البلاد حتى تخرب مصر ، ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب البصرة ، وخراب البصرة من العراق ، وخراب مصْر من جفاف النيل ، وخراب مكّة من الحبشة ، وخراب المدينة من الجوع ، وخراب اليمن من الجرَاد ، وخراب الأيْلة من الحصَار ، وخراب فارس من الصّعاليك ، وخراب الترك من الديلم ، وخراب الديلم من الأرمن ، وخراب الأرمن من الخزر ، وخراب الخزر من الترك ، وخراب الترك من الصّواعق ، وخراب السِّند من الهند ، وخراب الهند من الصّين ، وخراب الصّين من الرّمل ، وخراب الحبشة من الرَّجْفة ، وخراب العراق من القحط » .

وأخرج الحاكم فى المستدرك عن كعب، قال : « الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب إرمينيَة ، ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة ، والكوفة آمنة من الخراب حتى تخرب مصر ، ولا تكون الملحمة حتى تخرب الكوفة ، ولا تفتح مدينة الكفر حتى

(١) أم خنور ، هى مصر ، قاله ياقوت .

تـكون للملحمة ، ولا يخرج الدّجّال حتى تفتح مدينة الـكفر » .

وأخرج البزّار فى مسنده والطّبَرانىّ بسند صحيح ، عن أبى الدرداء رضى الله عنه ، عن النبى صَلى الله عليْه وسَلم ، قال : « إنـكم ستجنّدون أجناداً ؛ جنداً بالشام ومصر والعراق واليمن » .

وأخرج الطّبَرانىّ والحاكم فى المستدرك ، وصحّحه ابن عبد الحـكم ومحمد بن الربيع الجيزى فى كتاب : « من دخل مصر من الصحابة » ، عن عمرو بن الحَمِق ، قال رسول الله صَلى الله عليْه وسَلم : « تـكون فتنةٌ ، يـكون أسْلمُ النّاس فيها الجُند الغربىّ » ، قال ابن الحمق : فلذلك قدمت عليكم مصر .

وأخرج محمد بن الربيع الجيزىّ من وجه آخر عن عمرو بن الحَمِق ، أنه قام عند المنبَر بمصر ؛ وذلك عند فتنة عثمان رضى الله عنه ، فقال : يأيّها الناس ؛ إنّى سمعتُ رسول الله صَلى الله عليْه وسَلم يقول : « تـكون فتنة خير الناس فيهـا الجند الغربىّ ، وأنتم الجند الغربىّ ، فجئتكم لأكون معكم فيما أنتم فيه » .

وأخرج الطّبَرانىّ فى الـكبير والأوسط ، وأبو الفتح الأزدىّ عن ابن عمر أنّ النبىّ صَلى الله عليْـه وسَلم ، قال : « إنّ إبليسَ دخـل العراق ، فقضى حاجتَه منهـا ، ثم دخـل الشام فطردوه حتى بلغ ميسَان ، ثم دخـل مصر ، فباض فيهـا وفرّخ ، وبسط عبقريّه » .

قال الحافظ أبو الحسَن الهيثمىّ فى مجمع الزوائد : رجاله ثقاة إلّا أن فيه انقطاعاً ؛ فإنّ يعقوب بن عبد الله بن عتبة بن الأخنس لم يسمع من ابن عمر [1] . انتهى .

وأفرط ابن الجوزى فأورده فى الموضوعات ، وقال : فيه عقيل بن خالد ، يروى عن الزهرىّ مناكير ، وابن لَهيعة مطروح .

قلت : عقيل من رجال الصحيحين ، وابن لَهيعة من رجال مسْلم ، وهو حسن الحديث .

(١) مجمع الزوائد ٩ : ٦٠ .

وَأَخْرَجَ الخلال فى كرامات الأولياء وابن عساكر فى تاريخه ، عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال : « قبّة الإسلام بالكوفة ، والهجرة بالمدينة ، والنجباء بمصر ، والأبدال بالشام » .

وأخرج ابن عساكر من وجه آخر عن علىّ ، قال : الأبدال من الشام ، والنجباء من أهل مصر ، والأخيار من أهل العراق » .

وأخرج ابن عساكر من طريق أحمد بن أبى الحوارى ، قال : « سمعتُ أبا سليمان يقول : الأبدال بالشام ، والنجباء بمصر ، والقُطْب باليمن ، والأخيار بالعراق » .

وأخرج الخطيب البغدادى وابن عساكر من طريق عبيد الله بن محمد العبسىّ قال : سمعت الكتّانىّ[1] يقول : النُّقَباء ثلاثمائة ، والنُّجباء سبعون ، والبُدَلاء أربعون ، والأخيار سبعة ، والعُمُد أربعة ، والغَوْث واحد ، فمسكن النّقباء الغرب ، ومسكن النّجباء مصر ، ومسكن الأبدال الشام ، والأخيار سيّاحون فى الأرض ، والعُمُد فى زوايا الأرض ، ومسكن الغَوْث مكة ، فإذا عَرَضت الحاجة من أمر العامّة ابتهل فيها النقباء ، ثم النجباء ، ثم الأبدال ، ثم الأخيار ، ثم العُمُد ، فإن أجيبُوا ؛ وإلا ابتهلَ الغَوْث فلا تتمّ مسألته حتى تجاب دعوته .

قال الحافظ الدّمياطى فى معجمه : قرأتُ على أبى الفتح البَاوَرْدىّ بحلب ، أخبرنى يحيى بن محمود بن سعد أبو الفرج الثّقفى الأصْفهانىّ ، أنبأنا أبو علىّ الحدّاد ، أنبأنا أبو نُعيم الحافظ ، أنبأنا أبو الحسَن أحمد بن القاسم بن الريّان ، حدّثنا أحمد بن إسحاق ، عن إبراهيم بن نُبيط بن شَرِيط الأشجعىّ ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن جدّه نُبَيْط ، عن النبىّ صَلى الله عليْه وسلم ، قال : « الجِيزة رَوْضةٌ من رياض الجَنّة ، ومصر خزائن الله فى أرضه » .

(١) ح ، ط : « الكسائى » ، وما أثبته من الأصل .

فصـــل
فى آثار موقوفة

أخرج ابنُ عبد الحكم عن عبْد الله بن عمرو بن العاص ، قال : خُلِقت الدّنيا على خمس صور : على صورة الطائر ؛ برأسه وصدره وجناحيه وذَنَبه ، فالرّأس مَكّة والمدينة واليمن ، والصّدر الشام ومصر ، والجناح الأيمن العراق ، والجناح الأيسر السّند والهند ، والذَّنَب من ذات الحمام إلى مغرب الشمس ، وشرّ ما فى الطائر الذنب[١] .

وأخرج محمد بن الربيع الجيزىّ وابنُ عبد الحكم ، عن أبى قَبيل ، أن عبد الرحمن ابن غَنْم الأشعرىّ قدم من الشام إلى عبد الله بن عمرو ، فقال له عبد الله : ما أقدمَك إلى بلادنا ؟ قال : أنت ، قال : لماذا ؟ قال : كنت تحدّثنا أنّ مصرَ أسرع الأرضين خراباً ، ثم أراك قد اتخذت فيها الرِّباع ، وبنيت القصور ، واطمأنَنْتَ فيها . قال : إن مصر قد أوفتْ خرابها ، دخلها بُخت نصّر ، فلم يدع فيها إلّا السّباع والرباع ، وقد مضى خرابها ؛ فهى اليوم أطيبُ الأرض تراباً ، وأبعدُها خرابا ، ولن تزال فيها بركة ما دام فى شىء من الأرضين بركة[٢] .

وأخرج ابنُ عبد الحكم ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قِبْط مصر أكرم الأعاجم كلها ، وأسمحهم يداً ، وأفضلهم عنصراً ، وأقربهم رحماً بالعرب عامة ، وبقريش خاصّة . مَنْ أراد أن يذكر الفِرْدوس ، أو ينظر إلى مثلها فى الدنيا ، فلينظر إلى أرض مصر حين يخضرّ زرعُها ، وتنوّر ثمارُها[٣] .

وأخرج ابنُ عبد الحكم ، عن كعب الأحبار ، قال : مَنْ أراد أن ينظُر إلى شبه الجنة ، فلينظر إلى أرض مصر إذا أخرَفت . وفى لفظ : « إذا أزهرت »[٣] .

(١) فتوح مصر ١ ، مع اختلاف فى الرواية (٢) فتوح مصر ٣٢
(٣) فتوح مصر ٥

وأخرج ابنُ عبد الحكم ، عن كعب الأحبار ، قال : مثَل[١] قِبْط مصر كالغيضة ، كلّما قطِعت نبتت حتى يخرب الله بهم وبصنعتهم جزائر الروم[٢] .

واخرج ابنُ الحكم عن ابن لَهيعة ، قال : كان عمرو بن العاص يقول : ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة .

وأخرج ابنُ عبد الحكم من طريق عبد الرحمن شَماسة النَّهدى، عن أبى رُهْم السَّماعىّ الصحابىّ رضى الله عنه قال : كانت لمصر قناطر وجسور بتقدير وتدبير ، حتى إنّ الماء ليَجرِى تحت منازلها وأفْنيتها ، فيحبسونه كيف شاءوا ، ويرسلونه كيف شاءوا ؛ فذلك قوله تعالى فيما حكى من قول فرعون : ﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وهذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِى مِنْ تَحْتِى أفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾، ولم يكن فى الأرض يومئذ ملك أعظم من ملك مصر . وكانت الجنات بحافَّتى النيل من أوله إلى آخره من الجانبين جميعاً ، ما بين أسوان إلى رشيد ، وسبعة خُلُج : خليج الإسكندرية ، وخليج سَخَا ، وخليج دمياط ، وخليج مَنْف ، وخليج الفيوم ، وخليج المنْهَى ، وخليج سَرَدوس ؛ جنات متصلة لا ينقطع منها شىء عن شىء ، والزرع ما بين الجبلَيْن ، من أول مصر إلى آخرها مما يبلغه الماء ، وكان جميع مصر كلّها تَرْوَى من ستة عشر ذراعاً لما قدروا ودبروا من قناطرها وخُلجها وجسورها ، فذلك قوله تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جنات وَعُيُون * وَزُرُوع وَمَقام كريم ﴾ ، قال : والمقام الكريم المنابر[١] كان بها ألف منبر[٣] .

***

---

(١) ساقطة من ح ، ط .

(٢) فتوح مصر ٥ .

(٣) فتوح مصر ٦ .

فصـــــل

فى آثار أوردها المؤلفون فى أخبار مصر

ولم أقف عليها مسندة فى كتب أهل الحديث ، أوردها ابن زولاق وغـيره ، عن عبد الله بن عمر .

قال : لمّا خلَق الله آدم مثّل له الدنيا شرقها وغربها ، وسهلها وجبلها ، وأنهارها وبحارها ، وبناءها وخرابها ، ومَنْ يسكنها من الأمم ، ومَنْ يملكها من الملوك . فلما رأى مصر رأى أرضاً سهلة ، ذات نهر جارٍ ، مادّته من الجنة ، تنحدر فيه البركة ، وتمزجه الرّحمة ، ورأى جبلاً من جبالها مكسوًّا نوراً ، لا يخلو من نظر الربّ إليه بالرّحمة ، فى سفحه أشجار مثمرة ، فروعها فى الجنة ، تُسقَى بماء الرّحمة . فدعا آدم فى النيل بالبركة ، ودعا فى مصر بالرّحمة والبرّ والتقوى ، وبارك على نيلها وجبلها سبع مرات ، وقال : يأيّها الجبل المرحوم ، سفحُك جنّة ، وتربتك مسْك ، يدفن فيها غراس الجنة ، أرض حافظة مطيعة رحيمة ، لا خلتْك يامصر بركة ، ولا زال بك حفظ ، ولا زال منك مُلْك وعزّ . يا أرض فيك الخباء والكنوز ، ولك البرّ والثروة ، سال نهرُك عسلا ، كثّر الله زرعك ، ودرّ ضرعك ، وزكّى نباتك ، وعظمت بركتك وخصبت ؛ ولا زال فيك الخيرُ ما لم تتجبّرى وتتكبّرى ، أو تخونى وتسخرى ، فإذا فعلت ذلك عرَاك شرّ ، ثم يعود خيرك .

فكان آدمُ أوّل مَنْ دعا لمصر بالرحمة والخصب والبركة والرأفة .

* * *

وأورد غيره عن عبد الله بن سَلام ، قال : مصر أم البركات ، تعمّ بركتها مَنْ حجّ بيت الله الحرام من أهل المشرق والمغرب ، وإن الله يُوحى إلى نيلها فى كلّ عام مرتين ؛

مرة عند جَرَيانه ، فيوحى إليه : إنّ اللهَ يأمرُك أن تجرِىَ كما تؤمر ، ثم يُوحى إليه ثانية : إنّ الله يأمُرك أن تفيض حميداً ، فيفيض . وإن بلد مصر بلد معافاة ، وأهلها أهل عافية ، وهى آمِنةٌ ممّن يقصدها بسوء ، مَنْ أرادها بسوء كبّه الله على وجهه ، ونهرها نهر العسل ، ومادته من الجنة ، وكفى بالعسل طعاماً وشراباً .

وأورد عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، أنه لما بعث محمد بن أبى بكر الصديق إلى مصر ، قال : إنّى وجّهتك إلى فردوس الدنيا .

وعن سعيد[1] بن هلال ، قال : اسمُ مصر فى الكتب السّالفة أمّ البلاد . وذكر أنها مصوّرة فى كتب الأوائل[2]، وسائر المدن مادّةً أيديها إليها تستطعمها .

وعن كعب قال : فى التوراة مكتوب : مصر خزائن الأرض كلّها ، فمنْ أراد بها سوءاً قصَمه الله .

وعن كعب قال : لولا رغبتى فى بيت المقدس ما سَكنتُ[3] إلّا مصر . قيل : ولم ؟ قال : لأنها بلدة معافاة من الفتن ، ومَنْ أرادَها بسوء كبّه الله على وجْهه ؛ وهو بلد مبارك لأهله فيه .

وعن أبى بَصرة الغِفارىّ ، قال : مصر خزائن الأرض كلها ، وسلطان مصر سلطان الأرض كلها .

وعن أبى رُهْم السماعىّ ، قال : لا تزال مصر معافاةً من الفتن ، مدفوعاً عن أهلها كلُّ الأذى ؛ ما لم يغلب عليها غيرُهم ؛ فإذا كان كذلك لعبت بهم الفتن يمينا وشمالا .

---

(١) ط : « سعد » .
(٢) حاشية ح : « الأولين ــ من نسخة »
(٣) حاشية ط : « ماملكت ــ من نسخة » .

وعن عبد الله بن عمر ، قال : البركة عشر بركات ؛ ففي مصر تسع ، وفى الأرض كلّها واحدة ؛ ولا تزال فى مصر برَكة أضعاف ما فى جميع الأرضين .

وعن حَيوة بن شريح ، عن عُقبة بن مسلم ، يرفعه : « إنّ الله يقول يوم القيامة لساكنى مصر يعدّد عليهم : « ألم أسكِنكم مصر ، فكنتم تشبعون من خبزها وترووْن من مائها ! » .

وعن أبى موسى الأشعرىّ رضى الله عنه ، قال : أهلُ مصر الجند الضعيف ، ما كادهم أحدٌ إلا كفاهم الله مؤنته . قال تُبَيْع بن عامر الكَلاعىّ : فأخبرت بذلك معاذ بن جَبل ، فأخبرنى أنّ بذلك أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن شُفَىّ بن عُبيد الأصبحىّ : قال : بلد مصر بلد معافاة من الفتن ، لا يريدهم أحد بسوء إلا صرعه الله ، ولا يريد أحد هُلْكهم إلا أهلكه .

وقال أبو الربيع السّائح : نعم البلد مصر ، يُحَجّ منها بدينارين ، ويُغْزَى منها بدرهمين . يريد الحج فى بحر القُلْزُم ، والغزو إلى الإسكندرية وسائر سواحل مصر .

وقيل : إنّ يوسف عليه الصلاة والسلام لما دخل إلى مصر ، وأقام بها قال : اللهمّ إنى غريب فحببها إلىّ وإلى كلّ غريب ؛ فمضت دعوة يوسف ، فليس يدخلها غريب إلا أحبّ المقام بها .

وعن دانيال عليه السلام : « يابنى إسرائيل ، اعملوا لله ، فإن الله يجازيكم بمثل مصر فى الآخرة » ــ أراد الجنة .

* * *

ذكر إقليم مصر

قال ابن حوقل [١] فى كتاب الأقاليم : اعلم أن حد ديار مصر الشمالى بحر الروم رفح من العريش ممتدا على الجفار إلى الفرما ، إلى الطينة ، إلى دمياط ، إلى ساحل رشيد ، إلى الإسكندرية وبرقة على الساحل ، آخذاً [٢] جنوبا إلى ظهر الواحات ، إلى حدود النوبة ، والحدّ الجنوبىّ من حدود النوبة المذكورة ، آخذاً شرقا [٣] إلى أسوان ، إلى بحر القُلْزُم . والحدّ الشرقىّ من بحر القُلْزُم قبالة أسوان إلى عيذاب ، إلى القُصير ، إلى القُلْزم ، إلى تيه بنى إسرائيل ، ثمّ يعطف شمالاً إلى بحر الروم ، إلى رفَح ، حيثُ ابتدأنا ، وبقاعها كثيرة .

***

وقال غيره : مصْر هى إقليم العجائب ، ومعدن الغرائب ؛ وكانت مدناً متقاربة على الشطّين ؛ كأنها مدينة واحدة ، والبساتين خلْف المدن متّصلة كأنّها بستان واحد ، والمزارع من خلف البساتين ، حتى قيل : إنّ الكتاب كان يصل من إسكندرية إلى أسْوان فى يوم واحد ، يتناوله قيّم الدساتين واحد إلى واحد . وقد دمّر الله تلك المعالم ، وطمَس على تلك الأموال والمعادن .

حُكى أنّ المأمون لمّا دخل مصر ، قال : قبّح الله فرعون إذ قال : ﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ ﴾ [٤] ، فلو رأى العراق ! فقال له سعيد بن عفير : لا تقُل هذا ياأمير المؤمنين

---

(١) هو أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى الموصلى ، التاجر الرحالة المؤرخ ، المتوفى سنة ٣٦٧ . واسم كتابه : « المسالك والمفاوز والمهالك » طبع مرارا فى أوربا .

(٢) ح : « أخذ » .

(٣) ح ، ط : « شرقيا » .

(٤) سورة الزخرف ٥١

فإن الله تعالى قال: ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ (١)،
فما ظنّك بشىء دمّره الله هـذه بقيته! فقال ماقصّرت ياسعيد. قال سعيد: ثم قلت:
يا أميرَ المؤمنين، لقد بلغنا أنّه لم تـكن أرضٌ أعظمَ من مصر، وجميع الأرض يحتاجون
إليها، وكانت الأنهار بقناطر وجسور بتقدير؛ حتى إنّ الماء يجرى تحت منازلهم وأفنيتهم
يحبسونه متى شاءوا، ويرسلونه متى شاءوا، وكانت البساتين بحافتى النيل من أوله إلى
آخره مابين أُسوان إلى رشيد لا تنقطع؛ ولقد كانت المرأة تخرج حاسرة ولا تحتاج إلى
خِمار لـكثرة الشجر، ولقد كانت المرأة تضع المِـكْتَل على رأسها فيمتلىء ممّا يسقط فيه من
الشجر، وكان أهل مصر مابين قبطىّ ويونانىّ وعِمْليقىّ؛ إلّا أن جمهورهم قِبْط، وأكثر
مايملكها الغرباء. وكانت خمساً وثمانين كورة، منها أسفل الأرض خمس وأربعون كورة،
ومنها بالصّعيد أربعون كورة؛ وكان فى كلّ كورة رئيس من الـكهنة ــ وهم السحرة ــ
وكانت مصر القديمة اسمها أقسوس، وكانت منف مدينة الملوك قبْل الفراعنة وبعـدهم
إلى أن خرّبها بُخْت نَصّر؛ وكان لها سبعون باباً، وحيطانها مبنيّة بالحديد والصُّفْر،
وكان يجرى تحت سرير الملك أربعة أنهـار، وكان طولها اثنى عشر ميلاً.
وكان جباية مصر تسعين ألف ألف دِينار مكرّرة مرّتين بالدينـار الفرعونىّ، وهو
ثلاثة مثاقيل.

* * *

وقال صاحب مباهج الفِـكر ومناهج العبر (٢): حدّ مصر طولاً من ثغر أُسوان،
وهو تجاه النّوبة إلى العريش، وهو مدينـة على البحر الرومىّ، ومسافة ذلك ثلاثون
مَرْحلة، وحدّه عرضا من مدينة بَرْقة الّتى على ساحل البحر الرومىّ إلى أيْلة التى على

---

(١) سورة الأعراف ١٣٧.
(٢) هو محمد بن عبد الله الـكتبى المعروف بالوطواط. توفى سنة ٧١٨. الدرر الـكامنة ٣: ٢٩٨.

بحر القُلزم ، ومسافة ذلك عشرون مَرْحلة . وتنسب إلى مصر . وقيل : مصر بن بيصر ابن حام، ويسمى اليونان بلد مصر مقدونية ، وأوّل مدينة اختطّت بمصر مدينة مَنْف ،وهى فى غَرْبِىّ النيل ، وتسمى فى عصرنا بمصر القديمة . ولما فتح عمرو بن العاص مصر أمر المسلمين أن يحيطوا حول فسطاطه ، ففعلوا ، واتّصلت العمارة بعضها ببعض ، وسُمِّىَ مجموع ذلك الفسطاط . ولم يزل مقرًّا للولاية والجند إلى أن وليَه أحمد بن طولون ، فضاق بالجُنْد والرعيّة ، فبنى فى شرقيّه مدينة ، وسماها القطائع ، وأسكنها الجند، يكون مقدارها ميلا فى ميل . ولم تزل عَامرة إلى أن هدمهاَ محمد بن سليمان الكاتب فى أيام المكتفى ، حنَقاً على بنى طولون سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، وأبقى الجامع . ثم ملك العبيديّون مصر فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، فبنى جوهر القائد مولى المعز مدينة شرقىّ مدينة ابن طولون ، وسماهاَ القاهرة ، وبنى فيها القصور لمولاه ، فصارت بعد ذلك دار الملك ومقر الجند .

* * *

قال فى السّكُردان [١] : وكان جوهر لمّا بنى القاهرة سمّاهاَ المنصورة [٢] ، فلما قدِم المعزّ غيّر اسمهاَ ، وسمّاهاَ القاهرة ؛ وذلك أن جوهراً لمّا قصَد إقامة السُّور جمع المنجّمين ، وأمرهم أن يختاروا طالعاً لحفْر الأسَاس ، وطالعاً لرىّ حجارته ، فجعلوا قوائم من خشب ، بين القائمة والقائمة حبل فيه أجراس ، وأعلموا [٣] البنّائين أنه سَاعة

---

(١) كتاب سكردان السلطان ، لأبى العباس أحمد بن يحيى بن أبى بكر الشهير بابن حجلة ، والمتوفى سنة ٧٧٦ ؛ كتاب أدبى تاريخى ، يشتمل على أنواع من الجد والهزل ، ألفه للسلطان الملك الناصر بن أبى المحاسن فى سنة ٧٥٧ ؛ فى خواص السبعة التى هى أشرف الأعداد طبع ، والسكردان فى الأصل : خوان يوضع فيه الشراب ، ذكره صاحب شفاء الغليل .

(٢) فى السكردان : « المنصورية » ، وبعدها : « وذلك فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، من الهجرة النبوية الشريفة » .

(٣) السكردان : « وأفهموا » .

تحريك الأجراس يرمُون ما بأيديهم من الطِّين والحجارة ، فوقف المنجّمون لتحرير هـذه الساعة ، وأخـذ الطّالع ، فاتفق وقوع غراب على خشبة من ذلك الخشب [1] ، فتحركت الأجراس ، فظنّ الموكّلون بالبناء أن المنجمين حرّكوها ، فألقَوْا ما بأيديهم من الطين والحجارة فى الأساس ، فصاح المنجّمون : « لا لا » ، القاهر فى الطالع ، فمضى ذلك فلم يتم لهم ماقصَدوه [2] ؛ وكان الغرض أن يختارُوا طالعاً لا يخرج عن نسلهم [3] ، فوقع أنّ المريخ كان فى الطالع ؛ وهو يسمى عند المنجمين القاهر ؛ فعلموا أنّ الأتراك لابدّ أن يملـكوا هذه القرية [4] ، فلما قدم المعزّ ، وأخبِر بهـذه القضيّة ـ وكان له خبرة تامة بالنِّجامة ـ وافقهم على ذلك وأن التّرك تـكون لهم الغلبة على هـذه البلدة ، فسمّاها القاهرة ، وغيّر اسمها الأول [5] .

* * *

قال صاحب مباهج الفـكر ومناهج العبر : ولمّا انقضت دولة العبيديّين وملك المعزّ مصر سنة أربع وستين وخمسمائة ، بنى صَلاح الدين يوسف بن أيّوب سوراً جامعاً بين مصر والقاهرة ولم يتمّ ؛ يبتدئ من القلعة وينتهى إلى ساحل النيل بمصر ، فطول هذا السّور تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة ذراع بالهاشميّ ، وعمل ديار مصر مقسوم بين المصريّين ؛ فالذى فى حصّة مصر من الـكوَر أربع وعشرون كورة ، تشتمل على تسعمائة وست وخمسين قرية ؛ قد جعلت هـذه الـكور صفقات ، فى كل صفقة منها والى حَرْب وقاضٍ وعامل خراج ، كلّ صفقة تشتمل على ولايات .

منها الجيزيّة ؛ منسُوبة إلى مدينة تسمى الجيزة على ضفة النيل الغربية تُجاه الفسطاط ،

---

(١) السكردان : « من تلك الخشب » .

(٢) السكردان : « فخانهم ما قصدوه » (٣) السكردان : « لا تخرج البلد عن نسلهم » .

(٤) السكردان : « هذا الإقليم » .

(٥) السكردان ٤٢ ، ٤٣ ؛ وآخر الخبر : « فـكان الأمر كما قال ، وملـكها الترك إلى يومنا هذا » .

وولايتها وَسِيم ، ومُنْية القائد غربى النيل وإطْفِيح شرقيّة .

والفيّومة تنسب إلى مدينة الفيوم .

والبَهْنَسَى وولايتها الغرسة وناق الميمون ، وشمسطا ، ودَهْروط ، وقُلُوسنا ،وشرونة، وأهناس ، والأشمونين .

ومُنْيَة بنى خصيب وولايتها طحا ، ودروة ، وسريام ، ومنفلوط .

والأسْيوطيّة لمدينة أسيوط وولايتها بوتيج ، وأبويط[1] .

والإخميمية لمدينة أخميم وولايتها سَاقية قلته ، والبيارات ، وسلاق ، وسُوهاى ، وجزيرة شَنْدويد ، وسمنت ، وقلفا ، والمنشيّة ، والمراغة .

والقوصيّة لمدينة قوص ؛ وولايتها مَرْج بنى هميم ، وقصر ابن شَادى ، وفاو ، ودشنا ، وقنا ، وأبنوب[2] ، وقُفْط — وكانت المصير قبل قوص — ودمامين ، والأقصر ، وطوْد ، وأسوان ، وفرجوط ، والبَلْينا ، وسمْهود ، وهوّ ، ودندرة ، وقمول ، وأرمنت، والدمقران ، وأصفون ، وإسنا، وإدفا ، وعيذاب وهى على ساحل بحر القُلْزُم ، ولهافُرْضَة تسمى القُصَير .

والذى فى حصّة القاهرة من الكور ست وثلاثون كورة ، تشتمل على ألف وأربعمائة وتسع وثلاثين قرية ، يجمع ذلك من الصّفق صَفْقة القليوبية ، تنسب لمدينة عامرة كثيرة البساتين ، تضاهى دمشق فى التفاف شجرها ، واختلاف ثمارها ؛ وليس لها ولايات .

والشرقية ، وقصبتها مدينة بلبيس وولايتها المشتولية ، والسّكونية ، والدقدوسيّة ، والعباسيّة ، والصّهرجتيّة .

وصفقة المنوفية، وولايتها تلوانة ، وسُبْك الضحّاك ، والبتنون ، وشبين الكوم .

---

(١) ط : « أبيرط » .

(٢) حاشية ح : « وأبتود — من نسخة » .

وصفقة إبيار ؛ وليس لها ولاية ؛ وهـذه المدينة دمشق الصغرى لـكثرة مابها من الفواكه .

وصفقة الغربية ؛ وقصبتها مدينة المحلّة ، وتعرف بمحلة دنقلا ، وولايتها السّنهورية ، والسخاوية ، والدنجاوية والدميرتان ، والطمويسيّة ، والبرماوية ، والطنتناوية ، والسمنودية ؛ وجزيرة قويسنا ، ومنية زفتى .

وصفقة الدقهليّة والمرتاحيّة ، وولايتها طناح ، وتلبانة ، وبارنبالة ، والمنزلة ، والمنصورة ، ومنية بنى سلسيل ، وشارمساح ، وقصبتها أشموم .

وصفقة البحيرة وقصبتها دمنهور الوحش ، وولايتها لقانة ، وتروجة ، والعطف ، ودرشابة ، والزّاوية ، ودميساً ، والطرانة ، وفوّه ، ورشيد .

وممّا هو معدود فى كور إقليم مصر : كورة القُلْزُم على ثلاثة أيام من مصر ـ خربت ـ وكورة فاران ، وكورة الطور ، وكورة أيْلة ـ خربت .

ومن أعمال مصر الجليلة واحات تحيط بها المفاوز بين الصّعيد والمغرب ، ونوبة ، والحبشة ؛ وهى ثلاث واحات :

أولى ، وهى الخارجة وقصبتها تسمى المدينة .

ووسطى ، وفيها المدينتان القصر وهندى .

والثالثة تسمى الداخلة ، وفيها مدينتان ، أريس وميمون .

ولإقليم مصر من الثغور على ساحل بحر الروم الفرَما وتنّيس ، وكانت مدينة عظيمة لها بحيرة مالحة يصادبها السمك البُورى وقد خربت وذهبت آثارها ، هدمها الملك الكامل سنة أربع وعشرين وستمائة خوفا من استيلاء الفرنج عليها ، فتجاوره فى ديار مصر ، وكانت من العظم بحيث إنه ألِّف فى أخبارها كتاب فى مجلدين ، فيه قضاتها وولاتها وسَراتها ؛ ذكر فيه أن خراجها جيء فى أيّام أحمد بن طولون خمسمائة ألف دينار ، وأنه

كان بها ثلاثة وثمانون ألف محتلم يؤدّون الجزْية ــ خربت ــ وسطا ــ خربت ــ وديبق .
ودمياط ، ولهـا من الولايات فارسكور ، والبرلس ، وبورة ــ خربت ــ ورشيد ،
والإسكندرية ، ولها فيما بينها وبين برقة كورتان على ساحل بحر الروم : كورة كونية [١]
وكورة مراقية .

هـذا كله كلام صاحب مباهج الفكر فى إقليم مصر وكوره . وسأعقـد باباً فى
سرد أسماء البلاد والقرى التى بإقليم مصر على سبيل الاستيفاء ، وأذكر مافى كلّ بلد
من نادرة ، ومَنْ خرج منها من النبلاء ، وما قيل فيها من الشعر .

وقال ابن زولاق : كلّ كورة بمصر فإنّما هى مسمّاة باسم ملك جعلها له أو لولده أو
زوجته ، كما سُمِّيت مصر باسم ملكها مصر بن بيصر .

وقال أبو حازم عبد الحميد بن عبد العزيز قاضى العراق : سألت محمد بن المدبّر عن
مصر قال : كشفتُها ، فوجـدت غامرَها أضعاف عامرها ، ولو عمّرها السّلطان لوفت له
بخراج الدنيا . قال : وقلت : كيف عمرت ولاية مصر حتى عقدت على مصر تسعين ألف
ألف دينار مرتين كما مرّ ؟ قال : فى الوقت الذى أرسل فرعون بويبة قمح إلى أسفل الأرض
والصعيد فلم يوجد لها موضع تُبْذَر فيه لشغل سائر البلاد بالزرع .

أورده ابن زلاق .

---

(١) حاشية ح (بوريه ــ من نسخة) وفى ط : « كوبية » .

ذكر من نزل مصر من أولاد آدم عليه الصلاة والسلام

قال أحمد بن يوسف التِّيفاشيّ[1] فى كتابه سجع الهديل فى أوصاف النيل :

ذكر أئمة التاريخ أن آدم عليه الصلاة والسلام أوصى لابنه شيث ، فكان فيه وفى بَنيه النبوّة ، وأنزل الله عليه تسعاً وعشرين صحيفة ، وأنه جاء إلى أرض مصر ، وكانت تدْعى باب لون ، فنزلها هو وأولاد أخيه ، فسكن شيث فوق الجبل وسكن أولاد قابيل أسفل الوادى . واستخلف شيث ابنه أنُوش ، واستخلف أنوش ابنه قَيْنان ، واستخلف قَيْنان ابنه مهليائيل واستخلف مهليائيل ابنَه يرْد ، ودفع الوصية إليه ، وعلّمه جميع العلوم ، وأخبره بما يحدث فى العالم ، ونظر فى النجوم وفى الكتاب الذى أنزل على آدم ، وولدِ ليرد أخنوخ ، وهو هرمس ، وهو إدريس النبىّ عليه الصلاة والسلام ؛ وكان الملك فى هذا الوقت محويل بن خنوخ بن قابيل ، وتنبّأ إدريس وهو ابن أربعين سنة ، وأراده الملك محويل بن أخنوخ بن قابيل بسوء فعصمَه الله ، وأنزل عليه ثلاثين صحيفة ، ودفع إليه أبوه وصية جدّه ، والعلومَ التى عنده . وولد بمصر ، وخرج منها ، وطاف الأرض كلها ، وكانت ملّته الصّابئة ، وهى توحيد الله والطهارة والصلاة والصوّم وغير ذلك من رسوم التعبّدات . وكان فى رحلته إلى المشرق أطاعه جميع ملوكها ، وابتنى مائة وأربعين مدينة أصغرها الرّها ثم عاد إلى مصر فأطاعه ملكها ، وآمن به ، فنظر فى تدبير أمرها ، وكان النّيل يأتيهم سَيْحاً ، فينحازون من مساله إلى أعالى الجبل والأرض العاليـة حتى ينقص ، فينزلون فيزرعون حيثما وجدوا الأرض ندية وكان

(١) هو أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبى بكر التيفاشى ؛ توفى سنة ٦٥١ ، ذكره صاحب الديباج المذهب ص ٧٤ .

يأتى فى وقت الزراعة وفى غير وقتها ، فلما عاد إدريس جمعَ أهل مصر ، وصعد بهم إلى أوّل مسيل النيل ، ودبّر وزْن الأرض ووزن الماء على الأرض ، وأمرهم بإصلاح ما أرادوا من خفض المرتفع ورفع المنخفض وغير ذلك مما رآه فى علم النجوم والهندسة والهيئة .

وكان أوّل مَنْ تكلم فى هذه العلوم وأخرجها من القوّة إلى الفعل ووضع فيها الكتبَ ورسم فيها العلوم ، ثم سَار إلى بلاد الحبشة والنّوبة وغيرها ، وجمع أهلهَا ، وزاد فى مسَافة جَرْى النيل ونقصِه بحسب بطئه ، وسرعته فى طريقه ، حتى عمل حسَاب جريه ووصوله إلى أرض مصر فى زمن الزراعة على مَاهو عليه الآن ، فهو أوّل من دبّر جرىَ النيل إلى مصر ، ومَات إدريس بمصر .

والصّابئة تزعم أنّ هرمىْ مصر ؛ أحدهما قبر شيث ، والآخر قبر إدريس .

والأصّح مَا هو إدريس ؛ إنما هو مصر بن بيصر بن حام بن نوح .

هذا كلام التيفاشىّ .

ذكر من مَلَك مصر قبل الطوفان

قال المسعودى[1] : أوّلُ منْ ملك مصر بعد تبديل الألسن نقراوس ، وكان عالماً بالكهانة والطِّلَّسمات ، ويقال إنه بنى مدينة أمسوس[2] ، وعمل بها عجائب كثيرة منها أنه عمل صَنمَيْن من حجر أسْود فى وسط المدينة إذا قدمها سَارق لم يَقدر أن يزول عنها حتى يسلك بينهمَا ، فإذا سَلك بينهمَا أطبقَا عليه ، فيؤخذ ، وكان مدّة ملكه مائة وثمانين سنة .

فلما مَات ملك بعده ابنه نقراوس ؛ وكان كأبيه فى علم الكهانة والطِّلَّسمات ، وبنى مدينة بمصر وسماها صلحة[3] ، وعمل خلف الواحات ثلاث مدن على أسَاطين ، وجعل فى كلّ مدينة خزائن من الحكمة والعجائب .

فلما مات ملك بعده أخوه مصرام ، وكان حكيما ماهراً فى الكهانة والطِّلَّسمات فعمل أعمالاً عظيمة ، منها أنّه ذلّ الأسَد وركبه . ويقال إنّه ركب فى عرشه وحملته الشياطين حتى انتهى إلى وسط البحر المحيط ، وجعل فيه قلعة بيضاء ، وجعل فيهاَ صَنَماً للشَّمس وزَبَرَعليها اسمَه وصفة مُلكه ، وعمل صنما من نُحاسٍ وزَبر عليه : « أنا مصرام الجبّار ، كاشف الأسرار ، وضعتُ الطِّلّسمات الصّادقة ، وأقمت الصُّوَر الناطقة ، ونصبت الأعلام ، المائلة ، على البحار السائلة ، ليعلَمَ مَنْ بعدى أنّه لايملك أحدٌ ملكى » .

ثم ملك بعده خليفته عيقام الكاهن ، ويقال إنّ إدريس عليه الصلاة والسلام رُفِع فى أيامه .

ثم ملك بعده ابنه عرياق ، ويقال إنّ هاروت ومَاروت كانا فى وقته .

ثم ملك بعده لوخيم بن نقراس .

(١) كذا فى الأصل ، وفى ح ، ط : « محمد بن المسعودى » .
(٢) ط : « أقسوس » .
(٣) ط : « حلجة » .

وبعده خصليم ، وهو أوّل مَنْ عمل مقياساً لزيادة النيل؛ وذلك أنه جمع أصحاب العلوم والهندسَة فعملوا له بيتاً من رخام على حافة النّيل ، وجعل فى وسطه بركة من نحاس صغيرة، فيها ماء موزون ، وعلى حافة البركة عُقابان من نحاس : ذكر وأنثى ، فإذا كان أول الشهر الذى يزيد فيه النيل فتح البيت وجمع الكهان فيه بين يديه ، وتكلم رؤساء الكهان بكلام لهم حتى يصفرَ أحد العُقابين ، فإن صَفَر الذكر كان الماء تامًّا ، وإن صفر الأنثى كان الماء ناقصاً ، فيعتدّون لذلك . وهو الذى بنى القنطرة التى ببلاد النُّوبة على النيل .

وملك بعده رجل يقال له هوصَال ؛ ويقال إنّ نوحاً عليه الصلاة والسلام كان فى وقته .

وملك بعده ولده قدرسان .

وملك بعده سرقاق .

وملك بعده ابنه سلقوف .

وملك بعده ابنه سوريد ؛ وهو أوّل من جَبَى الخراج بمصر ؛ وهو الذى بنى الهرَمين، ولما مات دفن فى الهرم ، ودفن معه جميع أمواله وكنوزه .

وملك بعده ابنه هوجيت ، ودفن أيضاً فى الهَرَم .

وملك بعده ابنه مناوس ويقال منقاوس .

وملك بعده ابنه افروس .

وبعده ابنه مالينوس .

وبعده ابن عمّه فرعان . وفى أيامه جاء الطوفان ، فخرّب ديار مصر كلها ، وزالت معالمها وعجائبها ، وأقام الماء ستة أشهر حتى نضب [1] .

وذكر بعض مَنْ ألف فى أخبار مصر أنّ سفينة نوح طافت بمصر وأرضها فبارك نوح عليه السلام فيها .

(١) نضب : أى غار .

ذكر من ملك مصر بعد الطوفان

قال ابن عبدالحكم : أنبأنا عثمان بن صالح ، أخبرنا ابن لهيعة، عن عياش بن عباس القتباني، عن حَنَش بن عبدالله الصنعانى ، عن عبد الله بن عبّاس رضى الله عنهما ، قال : كان لنوح عليه الصّلاة والسّلام أربعة من الولد : سَام ، وحام ، ويافث ، ويحطُون . وإن نوحاً رغب لله[1] ، وسأله أن يرزُقه الإجابة فى ولده وذريته حتى يتكاملوا بالنّماء والبركة ، فوعده ذلك ، فنادى نوح ولده ، وهم نيام عند السَّحر ، فنادى سَاماً ، فأجابه يسعى ، وصَاح سَام فى ولده فلم يجبْه أحدٌ منهم إلّا ابنه أرْنخشَذ ، فانطلق به [معه][2] حتى أتياه ، فوضع نوح يمينه على سَام ، وشماله على أرنخشذ ، وسأل الله أن يبارك فى سام أفضل البركة ، وأن يجعل الملك والنبوّة فى ولد أرنخشذ .

ثم نادى حاماً فتلفّت يمينا وشمالا ولم يجبه ، ولم يقم إليه هو ولا أحدٌ من أولاده ، فدعا الله نوح أن يجعل ولده أذلّاء ، وأن يجعلهم عبيداً لولد سام . قال : وكان مصر بن بيصر بن حام نائماً إلى جنب جدّه حام ، فلمّا سمع دعاء نوح على جدّه وولده ، قام يسعى إلى نوح فقال : ياجدّى ، قد أجبتُك إذْ لم يجبك أبى ، ولا أحدٌ من ولده ، فاجعل لى دعوةً من دعوتك . ففرح نوح ، فوضع يده على رأسه ، وقال : اللهمّ إنّه قد أجاب دعوتى: فبارك فيه وفى ذرّيته وأسكنه الأرض المباركة ، التى هى أمّ البلاد ، وغَوْث العباد، التى نهرها أفضل أنهار الدّنيا ، واجعل فيها أفضل البركات ، وسخِّر له ولولده الأرض، وذلّلْهَا لهم ، وقوِّهم عليْهاَ [3] .

قال صاحب مباهج الفكر : يقال إنّ سبب سكنى مصر الأرض التى عرفت به وقوع الصّرح ببابل فإنه لما وقع ، تفرّق منْ كان حوله ممّن تناسَل من أولاد نوح فأخذ بنو حام جهة المغرب ، إلى أن وصلوا إلى البحر المحيط[4] .

---

(١) الفتوح : « إلى الله » . (٢) من فتوح مصر . (٣) فتوح مصر ص ٧ .

وأخرج ابن عبد الحكم ، عن ابن لَهيعة وعبد الله بن خالد ، قالا : كان أوّل مَنْ سكن مصر بعد أن أغرق الله قوم نوح بيصر بن حام بن نوح ، وهو أبو القِبْط كلهم، فسكن منفاً — وهي أوّل مدينة عمِرت بعد الغرق — هو وولدُه وهم ثلاثون نفسا ، قد بلغوا وتزوّجوا ، فبذلك سميت ماقة — وماقة بلسان القِبْط ثلاثون — وكان بيصر بن حام بن نوح قد كبِر وضعف ، وكان مصر أكبر ولده ، وهو الذى ساق أباه وجميع إخوته إلى مصر ، فنزلوا بها ، فبمصر بن بيصر سُمِّيت مصر مصرا ، فحاز [له ولولده][1] ما بين الشجرتين خَلْف العريش إلى أسوان طولا ، ومن برقة إلى أيْلة عرضا . ثم إن بيصر ابن حام توفِّىَ فدفن فى موضع أبى هِرْميس ، فهى أول مقبرة قبر فيها بأرض مصر ، واستخلف ابنه مصر ، وحاز كلّ واحدٍ من إخوة مصر قطعةً من الأرض لنفسه ؛ سوى أرض مصر التى حازها لنفسه ولولده . فلمّا كثر أولاد مصر وأولاد أولادهم ، قطع مصر لكلّ واحد من أولاده قطيعة[2] يحوزها لنفسه ولولده ، وقسم لهم هذا النيل ، فقطع لابنه قِفْط موضع قِفْط ، فسكنها ، وبه سُمِّيت ، وما فوقها إلى أسوان وما دونها إلى أشمون فى الشرق والغرب ، وقطع لأشمُن من أشمون فما دونها إلى مَنْف فى الشرق والغرب ، فسكن أشمُن أشمون ، فسمِّيت به . وقطع لأتريب مابين منف إلى صاً ؛ فسكن أتريبَ ، فسمِّيت به ، وقطع لصاً مابين صاً إلى البحر ، فسكن صا ؛ فسمِّيتْ به ؛ فكانت مصر كلّها على أربعة أجزاء : جزأين بالصعيد ، وجزأين بأسفل الأرض . قال : ثمّ توفِّىَ مصر بن بيصر، فاستخلف ابنه قِفْط[3] .

* * *

وفى بعض التّواريخ : لمّا مات مصر ، كُتِب على قبره : « مات مصر بن بيصر بن

(١) من من فتوح مصر .
(٢) فى الأصول : « قطعة » ، وما أثبته عن فتوح مصر .
(٣) فتوح مصر ٩

حام بن نوح بعد ألفين وستمائة عام من الطوفان ، مات ولم يعبد الأصنام ، ولا هرم ولا أسقام» ؛ وإن قِفْط به سُميت القبط ؛ وهو الذى بنى أهرام دهشور ؛ وإن هُوداً بُعث فى أيامه ، وإنه أقام فى ملكه أربعمائة وثمانين سنة .

* * *

رجع إلى حديث ابن لهيعة وعبدالله بن خالد : ثم تُوُفىَ قِفْط ، فاستخلف أخاه أشْمُن ، ثم توفىَ أشمن ، واستخلف أخاه أتريب ، ثم توفىَ أتريب ، فاستخلف أخاه صا ، ثم توفىَ صا ، فاستخلف ابنه تدارس .

ـ وقال غيره : وفى زمنه بُعث صالح عليه الصلاة والسلام ـ .

ثم توفى تدارس، فاستخلف ابنه ماليق ، ثم توفى [ماليق][1] ، فاستخلف ابنه خِرِبْتا ، ثم توفى [خِرِبْتا بن ماليا][1] ، فاستخلف ابنه كَلْكَن ؛ فملكهم نحوا من مائة سنة ، ثم تُوفىَ ولا ولد له ، فاستخلف أخاه ماليا ، ثم توفى ماليا فاستخلف ابنه طوطيس ، وهو الذى وهب هاجر لسارة امرأة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ـ ثم توفىَ فاستخلف ابنته حَرُوبا ؛ ولم يكن له ولد غيرها وهى أول امرأةٍ ملكت ، ثم تُوفِّيَتْ ، فاستخلفتْ ابنة عمها زالفا ابنة ماموم بن ماليا ، فعمِّرت دهراً طويلا، فكثروا ونموا ، وملأوا أرض مصر كلّها ، فطمعت فيهم العمالقة ـ وهم من ولد عملاق بن لاوز بن سام ـ فغزاهم الوليد بن دَوْمَغ ، فقاتلهم قتالا شديدا ، ثم رضوا أن يملكوه عليهم ؛ فملكهم نحوا من مائة سنة، فطغى وتكبّر ، وأظهر الفاحشة ، فسلّط الله عليه سَبُعاً ، فافترسه فأكل لحمه[1] .

وقال غيره : إنّ الوليد بن دَوْمغ آذاه ضرسه ، فنزع ؛ فكان وزنه ثمانية عشر منًّا وثلثى منّ ، وإنه رُئىَ بعد فتح مصر يوزن به فى ميزان الوكالة . انتهى .

فملكهم من بعده الريّان بن الوليد ـ وهو صاحب يوسف عليه الصلاة والسلام ـ

(١) فتوح مصر .   (٢) فتوح مصر ١١ ، ١٢

فلمّا رأى الملك رؤياه التى رآها وعبّرها يوسف ، أرسل إليه فأخرجه من السجن ، ودفع إليه خاتمه ، وولّاه ماخلف آباؤه ، وألبسه طوقاً من ذهب وثياب حرير ، وأعطاه دابّة مسرجةً مزيّنة كدابّة الملك ، وضُرِب بالطبل بمصر أنّ يوسف خليفة الملك [١] .

وما أحسن قول بعضهم :

أمَا فى رسولِ الله يوسفَ أسوةٌ ... لمثلك محبوساً على الظُّلْمِ والإفْكِ

أقام جميل الصّبْرِ فى الحبس بُرْهَـةً ... فآل به الصبر الجميـــــل إلى المُلْكِ

قال ابن عبد الحكم : حدّثنا أسد بن موسى ، حدثنى الليث بن سعد ، حدثنى بعض مشيخة لنا ، قال : اشتدّ الجوع على أهل مصر ، فاشتروا الطّعام من يوسف بالذهب حتى لم يجدوا ذهبا ، فاشتروْا بالفضّة حتى لم يجدوا فِضّة ، فاشتروا بأغنامهم حتى لم يجدوا غنما؛ فلم يزل يَبيعهم الطّعام حتى لم يُبْقِ لهم فضّـة ولا ذهبا ولا شاة ولا بقرة [٢] فى تلك السنتين ، فأتوْه فى الثالثة ، فقالوا له : لم يبق لنا شىء إلا أنفسُنا وأهلونا وأرَضُونا . فاشترى يوسف أرضَهم كلَّها لفرعون ، ثم أعطى لهم يوسف طعاما يزرعونه على أنّ لفرعون الخمس [٣] .

قال ابنُ عبـد الحـكم : وفى ذلك الزّمان استُنبِطت الفيّوم ، وكان سبب ذلك كما حـدثنا هشام بن إسحاق أنّ يوسف عليـه الصلاة والسلام لمّا ملك مصر ، وعظمت منزلتُه من فرعون ، وجاوزت سنه [٤] مائة سنة ، قال وزراء الملك له : إنّ يوسف قد ذهب علمه ، وتغيّر عقله ، ونفدت حِكمته ، فعنّفهم فرعون ، وردّ عليهم مقالتهم ، فـكفّوا: ثم عاودوه بذلك القول بعد سنين ، فقال لهم : هلمُّوا ماشئتم من أىّ شىء أختبره به .

---

(١) فتوح مصر ١٢ ، ١٣ مع اختلاف فى النص .
(٢) ابن عبد الحكم : « حتى لم يبق لهم فضة ولا ذهب » .
(٣) فتوح مصر ١٣ ، ١٤
(٤) كذا فى الأصل وفتوح مصر ، وفى ح ، ط : « وجاوزت منه سنه » .

وكانت الفيوم يومئذ تدعى الجوْبة ؛ وإنّما كانتْ لمُصالة[1] ماء الصعيد وفضوله ـ فاجتمع رأيُهم على أن تكون هى المحنة التى يَمتحنون بها يوسف عليه الصلاة والسلام ، فقالوا لفرعون : سلْ يوسف أن يصرف ماء الجوْبة عنها ، ويخرجه منها ، فتزداد بلدا إلى بلدك ، وخراجًا إلى خراجك . فدعا يوسف فقال : قد تعلم مكان ابنتى فلانة منّى ، وقد رأيتُ إذا بلغتْ أن أطلب لها بلدا ، وإنّى لم أصب لها إلا الجوْبة ؛ وذلك أنّه بلد بعيد قريب ، لا يؤتَى من وجه من الوجوه إلّا من غابة أو صحراء ، فالفيّوم وسط مصر كمثل مصر فى وسط البلاد ، لأنّ مصر لا تؤتَى من ناحية من النّواحى إلّا من صحراء أو مفازة ، وقد أقطعتها[2] إيّاها فلا تتركنّ وجها ولا نظرا إلا بلغتَه، فقال يوسف : نعم أيّها الملك، متى أردتَ ذلك فابعث لى ؛ فإنى إن شاء الله فاعل ؛ فقال : إنّ أحبَّه إلىّ وأوفقه أعجلُه ، فأوحى إلى يوسف أن يحفر ثلاثة خُلُج : خليجاً من أعلى الصعيد من موضع كذا إلى موضع كذا ، وخليجا شرقيا من موضع كذا إلى موضع كذا ، وخليجا غربيا من موضع كذا إلى موضع كذا ؛ فوضع يوسف العمّال ، فحفر خليج المَنهَى من أعلى أشمون إلى اللاّهون ، وحفر خليج الفيّوم وهو الخليج الشرقىّ ، وحفر خليجا بقرية يقال لها تَنْهمْت من قرى الفيّوم ، وهو الخليج الغربىّ . فخرج ماؤها من الخليج الشرقى فصبّ فى النيل ، وخرج من الخليج الغربىّ فصب فى صحراء تَنْهَمت إلى الغرب ، فلم يبقَ فى الجوْبة ماء . ثم أدخلها الفعلة ، فقطع ما كان فيها من القصب والطّرْفاء وأخرجه منها ، وكان ذلك ابتداء جرى النّيل ،وقد صارت الجَوْبة أرضا بريّة ، وارتفع ماء النيل ، فدخلها فى رأس المَنْهى ، فجرى فيه حتى انتهى إلى اللّاهون ، فقطعه إلى الفيّوم ، فدخل خليجها فسقاها ، فصارت لُجّةً من النّيل . وخرج إليها الملك ووزراؤه، وكان هذا فى سبعين يوما.

---

(١) مصالة الماء : بقيته .

(٢) فتوح مصر : « ريفية بريّة » .

فلمّا نظر إليها الملك قال لوزرائه . هذا عمل ألف يوم ، فسمِّيت الفيوّم؛ فأقامت تزرع كما تزرع غوائط مصر [١] .

قال : ثم بلغ يوسفَ قولُ وزراء الملك ، وأنّه إنما كان ذلك منهم على المِحْنة منهم له ، فقال للملك : إنّ عنـدى من الحـكمة والتّدبير غـيرَ مارأيت ؛ فقال له الملك : وماذاك ؟ فقال : أُنزِلُ الفيوّم من كل كورة من مصر أهل بيت ، وآمر أهل كلّ بيت أن يبنُوا لأنفسهم قرية — وكانت قرى الفيوم على عدد كُوَر مصر — فإذا فرغوا من بناء قراهم صيّرت لـكلّ قرية من الماء بقدر ما أصيّر لها من الأرض ، لا يـكون فى ذلك زيادة عن أرضها ولا نقصان ، وأصيّر لـكلّ قرية شِرْبا فى زمانٍ لا ينالهم الماء إلا فيه ، وأصيّر مطاطئا للمرتفع ، ومرتفعا للمطاطئ بأوقات من الساعات فى الليـل والنهار ، وأصيّر لها مصابّ[٢] فلا يقصَّر بأحدٍ دون حقه ، ولا يُزاد فوق قدره . فقال له فرعون : هذا من ملـكوت السماء ؟ قال : نعم ، فبدأ يوسف فأمر ببنيان القرى، وحدّ لها حدودا ، فـكانت أول قرية عُمِّرت بالفيوّم قرية يقال لها شانة ، وهى القرية التى كانت تنزلها بنت فرعون . ثم أمر بحفر الخليج وبنيان القناطر ، فلما فرغوا من ذلك استقبل وزن الأرض ووزن الماء ؛ ومن يومئذ أُحدِثت [٣] الهندسة ، ولم يـكن الناس يعرفونها قبل ذلك .

قال : وكان أوّل من قاس النيـل بمصر يوسف عليـه الصلاة والسلام ، ووضع مقياسا بمنف[٤] .

أخرج ابنُ عبد الحـكم من طريق الـكلبىّ ، عن أبى صالح عن ابن عباس ، قال : فوّض الرّيان إلى يوسف تدبير ملك مصر ، وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة .

وأخرج عن عكرمة أنّ فرعون قال ليوسف : إنّى قد سلطتك على مصر ، إنى

---

(١) الغوائط : جمع غوطة ؛ وهى الأرض المتسعة إلى منحدر . (٢) فتوح مصر : « قبضات » .
(٣) كذا فى الأصل وابن عبد الحـكم ، وفى ح ، ط : « أخذت » . (٤) فتوح مصر ١٦

أريد أن أجعل كرسيّ أطولَ من كرسيّك بأربع أصابع ، قال يوسف : نعم .

قال ابنُ عبد الحكم : وحدّثنا هشام بن إسحاق ، قال : فى زمان الرّيّان بن الوليد، دخل يعقوب عليه الصلاة والسلام وولده مصر ؛ وهم ثلاثة وتسعون نفسا ، بين رجل وامرأة ، فأنزلهم يوسف مابين عين شمس إلى الفرَما وهى أرض ريفية برّية . قال : فلمّا دخل يعقوب على فرعون ، فكلّمه ـ وكان يعقوب شيخاً كبيرا حليما حسن الوجه واللحية ، جهير الصوت ـ فقال له فرعون : كم أتى عليك أيُّها الشيخ ؟ قال : عشرون ومائة سنة ، وكان يَمين[1] ساحر فرعون قد وصف صفة يعقوب ويوسف وموسى عليهم الصلاة والسلام فى كتبه ، وأخبر أنّ خراب مصر وهلاك مَلِكها يكون على يديهم ، ووضع الرايات[2] وصفات من تخرب مصرُ على يديه . فلما رأى يعقوب قام إلى مجلسه ، فكان أوّل ماسأله عنه ، أن قال له : مَنْ تعبد أيها الشيخ ؟ قال له يعقوب : أعبد الله إله كلّ شىء ، قال : كيف تعبد مالا ترى ؟ قال له يعقوب : إنّه أعظم وأجلُّ من أن يراه أحد ، قال يمين: فنحن نرى آلهتنا، قال يعقوب : إنّ آلهتكم من عمل أيدى بنى آدم، ممّن يموت ويبلى ، وإن إلهى أعظم وأرفع ، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد ؛ فنظر يَمين إلى فرعون، فقال : هذا الذى يكون هلاك بلادنا على يديه ، قال فرعون : فى أيامنا أوفى أيام غيرنا ؟ قال : ليس فى أيّامك ولا أيّام بنيك ، قال الملك : هل تجد هذا فيما قضى به إلهكم؟ قال : نعم . قال: فكيف نقدر أن نقتل من يريد إلهه هلاك قومه على يديه ! فلا نعبأ بهذا الكلام[3] .

وأخرج ابن عبد الحكم عن طريق الكلبىّ عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال:

---

(١) فى الأصول : « عين » ، تحريف ، صوابه من فتوح مصر .

(٢) فتوح مصر : « البربايات » .

(٣) فتوح مصر ١٧ ، ١٨

دخل مصر يعقوب وولده ، وكانوا سبعين نفسا ، وخرجوا وهم ستمائة ألف نفس .

وأخرج عن مسروق ، قال : دخل أهلُ يوسف وهم ثلاثة وتسعون إنسانا، وخرجوا وهم ستمائة ألف نفس .

وأخرج عن كعب الأحبار أنّ يعقوب عاش فى أرض مصر ست عشرة سنة ، فلما حضرته الوفاة قال ليوسف : لا تدفنّى بمصر ، فإذا [١] مِتّ فاحملونى فادفنونى فى مغارة جبل حَبْرون [٢] فلمّا مات لطّخوه بمُرّ وصَبِر ، وجعلوه فى تابوت من ساج ،وأعلم يوسف فرعون أن أباه قد مات ، وأنّه سأله أن يقبره فى أرض كنعان ، فأذن له ، وخرج معه أشراف أهل مصر حتى دفنه وانصرف [٣] .

قال ابنُ عبد الحكم : وحدّثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة ، عمّن حدثه ، قال : قبر يعقوب عليه الصلاة والسلام بمصر ، فأقام بها نحوا من ثلاث سنين ، ثم حُمل إلى بيت المقدس ؛ أوصاهم بذلك عند موته [٤] .

وأخرج من طريق الكلبىّ ، عن أبى صالح ، قال : حبرون مسجد إبراهيم اليوم ، بينه وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا .

رجع إلى حديث ابن لهيعة وعبد الله بن خالد : قالا : ثم مات الريّان بن الوليد ، فملكهم من بعده ابنه دارم ؛ وفى زمانه توفِّىَ يوسف عليه الصلاة والسلام .

أخرج ابنُ عبد الحكم ، عن كعب قال : لما حضرت يوسفَ الوفاة ، قال : إنكم ستخرجون من أرض مصر إلى أرض آبائكم ، فاحملوا عظامى معكم . فمات فجعلوه فى تابوت ودفنوه .

---

(١) فتوح مصر : « وإذا » .

(٢) فى الأصول : « جبرون » ، وما أثبته من فتوح مصر .

(٣) فتوح مصر ١٨

(٤) فتوح مصر ١٨

وأخرج عنه قال : لمّا مات يوسف استعبد أهلُ مصر بنى إسرائيل .

وأخرج عن سماك بن حرب ، قال : دُفن يوسف عليه الصلاة والسلام فى أحد جانبَىِ النيل ، فأخصب الجانب الذى كان فيه ، وأجدب الجانب الآخر ، فحوّلوه إلى الجانب الآخر ،فأخصب الجانب الذى حوّلوه إليه ، وأجدب الجانب الآخر ؛ فلمّا رأوا ذلك جمعوا عظامه فجعلوها فى صُندوق من حديد ، وجعلوه فى سلسلة ، وأقاموا عمودا على شاطئ النيل ، وجعلوا فى أصله سكّةً من حديد ؛ وجعلوا السلسلة فى السكّة ، وألقوا الصندوق فى وسط النيل ، فأخصب الجانبان جميعا [1] .

رجع إلى حديث ابن لهيعة ، وعبد الله بن خالد : قالا : ثم إنّ دارما طغى بعد يوسف وتكبّر ، وأظهر عبادة الأصنام ، وركب النيل فى سفينة ، فبعث الله عليه ريحاً عاصفا ، فأغرقته ومَنْ كان معه فيما بين طرا إلى موضع حُلْوان ؛ فملكهم من بعده كاشم [ابن معدان] [2] وكان جبّارا عاتيا . ثم هلك كاشم [بن معدان] ، فملكهم من بعده فرعون موسى من العماليق ، فأقام خمسمائة سنة ، حتى أغرقه الله [3] .

وأخرج ابن عبد الحكم ، عن ابن لهيعة والليث بن سعد ، قالا : كان فرعون قبطيّاً من قِبْط مصر ، اسمه طَلما [4] .

وأخرج عن هانئ بن المنذر ، قال : كان فرعون من العماليق ، وكان يُكْنَى بأبى مرّة [5] .

وأخرج عن أبى بكر الصدّيق ، قال: كان فرعون أثْرم [6] .

---

(١) فتوح مصر ١٨ ، ١٩ (٢) من فتوح مصر

(٣) فتوح مصر ١٩

(٤) كذا فى فتوح مصر ١٩ ، وفى الأصول : « ظلمى » . (٥) فتوح مصر ٢٠

(٦) فتوح مصر ٢٠ ، وبعدها : « ويقال : بل هو رجل من لخم . والله أعلم » .

وقال : حدثنا سعيد بن عفير ، حدثنا عبد الله بن أبي فاطمة ، عن مشايخه ، أن ملك مصر توفِّي ، فتنازع الملك جماعة من أبناء الملك – ولم يكن الملك عَهِد – ولمّا عظُم الخطب بينهم تداعَوْا إلى الصّلح ، فاصطلحوا على أن يحكم بينهم أوّلُ منْ يطّلع من الفجّ فجّ الجبل ، فطلع فرعون بين عدليْ نَطْرون ، قد أقبل بهما[1] ليبيعهما ، وهو رجل من فران بن بليّ –[2] واسمه الوليد بن مصعب ، وكان قصيراً أبرص ، يطاطىء فى لحيته –[2] فاستوقفوه ، وقالوا : إنّا جعلناك حَكَماً بيننا فيما تشاجرنا فيه من الملك ، وأتوه مواثيقهم على الرّضا . فلمّا استوثق منهم ، قال : إنّى قد رأيتُ أن أملِّك نفسى عليكم ؛ فهو أذهب لضغائنكم ، وأجمعُ لأموركم ، والأمر من بعدُ إليكم . فأمّروه عليهم لمنافسة بعضهم بعضا ، وأقعدوه فى دار الملك بمنْف ، فأرسل إلى صاحبِ أمر كلِّ رجل منهم ، فوعده ومنّاه أن يملِّكه على ملك صاحبه ، ووعدهم ليلةً يقتل فيها كلّ رجل منهم صاحبه ، ففعلوا ، ودان له أولئك بالربوبية ، فملكهم نحواً من خمسمائة سنة ، وكان من أمره وأمر موسى ماقصّ الله تعالى من خبرهم فى القرآن[3] .

وأخرج ابن عبد الحكم عن أبى الأشرس ، قال : مكث فرعون أربعمائة سنة ، الشبابُ يغدو عليه ويروح[3] .

وأخرج عن إبراهيم بن مِقْسم ، قال : مكث فرعون أربعمائة سنة لم يُصْدعْ له رأس ، وكان يملك ما بين مصر إلى إفريقيّة .

وأخرج من طريق الكلبيّ عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : كان يقعد على كراسى فرعون مائتان عليهم الديباج وأساور الذهب[4] .

---

(١) كذا فى ابن عبد الحكم ، وفى الأصول : « بينهما » .
(٢ – ٢) ساقط من فتوح مصر (٣) فتوح مصر ٢٠
(٤) فتوح مصر ٢١

وأخرج ابنُ عبد الحكم ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص؛ أنّ فرعون استعمل هامان على حفر خليج سردوس ، فلما ابتدأ حفره أتاه أهل كل قرية يسألونه أن يجرى الخليج تحت قريتهم ، ويعطوه مالاً ؛ فكان يذهب به إلى هذه القرية من نحو المشرق ، ثم يردّه إلى قرية[1] فى المغرب ، ثم يردّه إلى أهل قرية فى القبلة ، ويأخذ من أهلِ كل قرية مالاً ؛ حتى اجتمع له فى ذلك مائة ألف دينار ، فأتى بذلك كلّه إلى فرعون ، فسأله فرعون عن ذلك ، فأخبره بما فعل فى حفره . قال له فرعون : ويحك ! ينبغى للسيد أن يعطف على عباده ، ويفيض عليهم ولا يرغب فيما بأيديهم ، وردّ على أهل كلّ قرية ما أُخِذ منهم . فردّه كلَّه على أهله . قال : فلا يُعلَم بمصر خليج أكثرُ عطوفا منه لما فعل هامان فى حفره .

قال ابنُ عبد الحكم : وزعم بعض مشايخ أهل مصر أنّ الذى كان يُعمل به بمصر على عهد ملوكها ، أنّهم كانوا يُقِرّون القرى فى أيدى أهلها ، كلّ قريةٍ بكراء معلوم ، لا ينقض عليهم إلا فى كل أربع سنين من أجل الظمأ وتنقّل اليسار ؛ فإذا مضت أربع سنين نقض ذلك ، وعدّل تعديلا جديداً ، فيرفق بمن استحقّ الرّفق ، ويزاد على من يحتمل الزيادة ، ولا يحمّل عليهم من ذلك ما يشقّ عليهم ؛ فإذا جُبِىَ الخراج وجمع ، كان للملك من ذلك الرُّبع خالصاً لنفسه يصنع فيه ما يريد ، والربع الثانى لجنده ومَنْ يقوى به على حربه وجباية خراجه ودفع عدوّه ، والربع الثالث فى مصلحة الأرض وما يحتاج إليها من جسورها وحفر خلجها ، وبناء قناطرها ؛ والقوة للمزارعين على زرعهم وعمارة أرضهم ، والربع الرابع يخرج منه رُبع ما يصيب كلّ قرية من خراجها فيدفن ذلك فيها لنائبة تنزل ، أو جائحة بأهل القرية ؛ فكانوا على

---

(١) بعدها فى ط : « من نحو دبر القبلة ، ثم يرده إلى قرية » ، والصواب ما فى الأصل .

ذلك . وهذا الربع الذى يدفن فى كلّ قرية من خراجها، هو كنوز فرعون التى يُتحدّث بها أنّها ستظهر ، فيطلبها الذين يتّبعون الكنوز .

حدّثنا أبو الأسود نصر بن عبد الجبار ، حدثنا ابنُ لَهيعة ، عن أبى قَبيل ، قال : خرج وَرْدَان من عند مسلمة بن مخلد — وهو أمير على مصر — فمرّ على عبد الله بن عمرو مستعجلاً ، فناداه : أين تريد ؟ قال : أرسلَنى الأمير مسلمة أن آتى منْفًا ، فأحضر له من كنز فرعون ، قال : فارْجِع إليه ، وأقرئه منّى السلام وقل له : إن كنز فرعون ليس لك ولا لأصحابك . إنما هو للحبشة ، إنهم يأتون فى سفنهم يريدون الفسطاط ، فيسيرون حتى ينزلوا مَنْفًا ، فيظهر لهم كنز فرعون ، فيأخذون ما يشاءون ، فيقولون : ما نبتغى غنيمة أفضل من هذه ، فيرجعون ، ويخرج المسلمون فى آثارهم فيقتتلون ، فيهزم الجيش فيقتلهم المسلمون ويأسرونهم ؛ حتى إن الحبشىّ لَيباع[1] بالكساء .

قال أهل التاريخ : كان فرعون إذا كمل التخضير فى كلّ سنة ينفذ مع قائدين من قوّاده إردب قمح ، فيذهب أحدهما إلى أعلى مصر ، والآخر إلى أسفلها ، فيتأمّل القائد أرضَ كلّ قرية ، فإن وجد موضعاً بائرا عُطُلاً قد أغفِل بذرُه ، كتب إلى فرعون بذلك ، وأعلمه باسم العامل على تلك الجهة ، فإذا بلغ فرعون ذلك ، أمر بضرب عُنق ذلك العامل ، وأخْذِ ماله ، فربّما عاد القائدان ولم يجدا موضعاً لبذر الإردبّ لتكامل العمارة واستظهار الزرع .

وأخرج الحاكم فى المستدرك ، وصحّحه عن أبى موسى الأشعرىّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إنّ موسى حين أراد أن يسير ببنى إسرائيل ، ضلّ عنه الطريق ، فقال لبنى إسرائيل : ما هذا ؟ فقال له علماء بنى إسرائيل : إنّ يوسف حين حضره

---

١) ح : « يباع »

الموت ، أخذ علينا موثقاً من الله ألّا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا ، فقال موسى : أيُّكم يدرى أين قبره ؟ فقالوا : ما يعلم أحدٌ مكان قبره إلا عجوز لبنى إسرائيل ، فأرسل إليها موسى ، فقال : دُلّينا على قبر يوسف ، قالت : لا والله حتى تعطيَنى حكمى ، قال : وما حكمك ؟ قالت : أن أكون معك فى الجنة ؛ فكأنه كره ذلك ، فقيل له : أعطِها حكمها ، فأعطاها حكمها ، فانطلقت بهم إلى بحيرة مستنقعة ماء ، فقالت لهم : نضّبوا عنها الماء ، ففعلوا ، قالت : احفِروا ، فحفروا ، فاستخرجوا عظام يوسف ؛ فلما أن أقلّوه من الأرض إذا الطريق مثل ضوء النهار .

وأخرج ابن عبد الحكم ، عن سماك بن حرب ، مرفوعاً نحوه ، وفيه : فقالت : إنى أسأل أن أكون أنا وأنت فى درجة واحدة فى الجنة، ويُرَدّ علىّ بصرى وشبابى ، حتى أكون شابّة كما كنت ، قال : فلك ذلك .

وأخرج من طريق الكلبىّ عن أبى صالح ، عن ابن عباس نحوه ، وفيه : فقالت عجوز يقال لها سارح[1] ابنة آشر بن يعقوب : أنا رأيتُ عمّى حين دفن ، فما تجعل لى إن دللتك عليه ؟ فقال : حكمَك ، قالت : أكون معك حيث كنت فى الجنّة .

وأخرج عن ابن لَهيعة عمّن حدثه ، قال : قبر يوسف بمصر ، فأقام بها نحوا من ثلاثمائة سنة ، ثم حمل إلى بيت المقدس .

رجع إلى حديث ابن لَهيعة وعبد الله بن خالد : قالا : ثم أغرق الله فرعون وجنوده ، وغرق معه مِنْ أشراف أهل مصر وأكابرهم ووُجوههم أكثر من ألفى ألف ،فبقيت مصرُ من بعد غرقهم ؛ ليس فيها من أشراف أهلها أحد ، ولم يبق بها إلّا العبيد والأجراء والنساء ، فأعظم أشراف مَنْ بمصر من النساء أن يولّين منهنّ أحدا ، وأجمع رأيهنّ على أن يولّين امرأة منهنّ يقال لها دَلُوكة بنت

(١) ط : « شادح » .

زباء ، وكان لهـا عقل ومعرفة وتجارب ، وكانت فى شرف منهنّ وموضع ، وهى يومئذ بنت مائة سنة وستين سنة ، فملّكوها ، فخافت أن يتناولهـا ملوك الأرض فجمعت نساء الأشراف ، فقالت لهنّ : إن بلادنا لم يكن يطمع فيها أحد ، ولا يمدّ عينه إليها ، وقد هلك أكابرنا وأشرافنا ، وذهب السحرة الذين كنا نقوَى بهم ، وقد رأيت أن أبنى حصناً أحدق به جميع بلادنا ، فأضع عليه المحارس من كلّ ناحية ، فإنّا لا نأمن أن يطمع فيها الناس، فبنت جدارا أحاطت به على جميع أرض مصر كلّها المزارع والمدائن والقرى ، وجعلت دونه خليجا يجرى فيه المـاء ، وأقامت القناطر والتّرع ، وجعلت فيه محارس ومسالح على كلّ ثلاثة أميال محرس ومسلحة ، وفيما بين ذلك محارس صغار على كلّ ميل ، وجعلت فى كلّ محرس رجالا ، وأجرت عليهم الأرزاق ، وأمرتهم أن يحرسوا بالأجراس ، فإذا أتاهم أحد يخـافونه ضرب بعضهم إلى بعض بأجراس ، فأتاهم الخبر من كلّ وجه كان فى ساعة واحدة، فنظروا فى ذلك ، فمنعت بذلك مصر مَنْ أرادها ، وفرغت من بنائه فى ستة أشهر ، وهو الجدار الذى يقال له جدار العجوز ، وقد بقيت بالصعيد منه بقايا [كثيرة] [1] .

وكان ثم عجوزساحرة ، يقال لها تَدُورة، وكانت السّحرة تعظّمها وتقدّمها فى السِّحر ، فبعثت إليها دَلُوكة : إنّا قد احتجنا إلى سحرك ، وفزعنا إليك ، فاعملى لنا شيئاً نغلب به مَنْ حولنا ، فقد كان فرعون يحتاج إليك ، فعملت بِرْبَى [2] من حجارة فى وسط مدينة منف ، وجعلت له أربعـة أبواب ، كل باب منها إلى جهـة القبلة ، والبحر والشرق والغرب ، وصورت فيه صورة الخيل والبغال والحمير والسفن والرجال ، وقالت لهم : قد

(١) فتوح مصر ٢٧ ، ٢٨ ، وانظر معجم البلدان ٣ : ٢٠٤

(٢) قال ياقوت : « البرابى : جمع بربى ؛ كلمة قبطية ؛ وأظنه اسماً لموضع العبادة أو البناء المحكم أو موضع السحر . . ثم قصه تدورة . معجم البلدان ٢ : ٩٥

عملت لكم عملاً يهلك به كلَّ مَنْ أرادكم من كلِّ جهة تؤتَوْن منها برًّا أو بحرا ، وهذا يغنيكم عن الحصن ، ويقطع عنكم مؤنته ؛ فمن أتاكم من أىّ جهة ، فإنهم إن كانوا فى البرّ على خيل أو بغال أو إبل أو فى سفن أو رجّالة تحرّكت هذه الصورة من جهتهم التى يأتون منها ، فما فعلتم بالصّور من شىء أصابهم ذلك فى أنفسهم على مايفعلون بهم . فلما بلغ الملوك حَوْلَهُم أنّ أمرهم قد صار إلى ولاية النساء ، طمعوا فيهم ، وتوجّهوا إليهم ، فلما دنوا من عمل مصر ، تحرّكت تلك الصور التى فى البربَى ، فطفقوا لايهيّجون تلك الصور ، ولا يفعلون بها شيئا إلّا أصاب ذلك الجيش الذى أقبل إليهم مثله ؛ من قطع رءوسها أو سوقها أوفقْء عينها ، أو بقْر بطونها . وانتشر ذلك ، فتناذرهم النّاس ، وكان نساء أهل مصرحين غرق أشرافهم ولم يبق إلا العبيد والأجراء لم يصبروا عن الرجال ، فطفقت المرأة تعتق عبدها وتتزوجه ، وتتزوّج الأخرى أجيرها ، وشرطن على الرّجال ألاّ يفعلوا إلا بإذنهنّ ، فأجابوهن إلى ذلك ؛ فكان أمر النساء على الرجال[1] .

قال ابن لَهيعة : فحدّثنى يزيدبن أبى حبيب ، أن القِبْط على ذلك إلى اليوم ، اتّباعا لما مضى منهم ؛ لايبيع أحدهم ولا يشترى إلا قال : أستأذن امرأتى . فملكتهم دَلُوكة بنت زباء عشرين سنة تدبّر أمرهم بمصر ، حتى بلغ من أبناء أكابرهم وأشرافهم رجلٌ يقال له دركون بن بلُوطس[2] ، فملّكوه عليهم ؛ فلم تزل مصر ممتنعة بتدبير تلك العجوز نحوا من أربعمائة سنة . ثم مات دركون [بن بلوطس][3] ، فاستخلف ابنه بُودس ، ثم تُوفى فاستخلف أخاه لُقاس ، فلم يمكث إلا ثلاث سنين حتى مات ، ولم يترك ولداً ، فاستخلف أخاه مرينا ، ثم تُوفّى ، فاستخلف ولده استمارس ، فطغى وتكبّر وسفك ، وأظهر الفاحشة ، فأعظموا ذلك ، وأجمعوا على خلعه فخلعوه ، وقتلوه ، وبايعوا رجلاً من

(١) فتوح مصر ٢٧ ، ٢٨ .
(٢) فى الأصول : « بلطوس » ، وما أثبته من فتوح مصر .
(٣) من فتوح مصر .

أشرافهم يقال له بَلُوطس بن مَنا كيل ، فملَـكهم أربعين سنة ثم تُوفّى ، فاستخلف ابنه مالوس، ثم تُوفِّىَ ، فاستخلف أخاه منا كيل ، فملَـكهم زمانا ثم تُوفّىَ ، فاستخلف ابنه بَوْلة ، فملَـكهم مائة وعشرين سنة ؛ وهو الأعرج الّذى سبا ملِك بيت المقدس ، وقدم به إلى مصر . وكان بَوْلة قد تقدّم[1] فى البلاد ، وبلغ مبلغاً لم يبلغه أحد ممّن كان قبله بعد فرعون ، وطغى فقتله الله ، صرعته دابّته ، فدُقّتْ عنقه فمات[2] .

أخرج ابنُ عبد الحـكم ، عن كعب الأحبار ، قال : لمّا مات سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ، ملك بعده عمّه مرحب ، فسار إلى ملِك مصر ، فقاتله ، وأصاب الأترسة الذّهب الّتى عملها سليمان ، فذهب بها .

ثم استخلف مَرِينوس بن بولة فملـكهم زمانا ثم توفّىَ ، فاستخلف ابنه قرقورة ، فملـكهم ستين سنة ، ثم تُوفِّىَ فاستخلف أخاه لقاس ؛ وكان كلّما انهدم من تلك البربَى شىء لم يقدر أحد على إصلاحه إلا تلك العجوز وولدها وولد ولدها ، فـكانوا أهل بيت لايعرف ذلك غيرهم ، فانقطع أهل ذلك البيت ، وانهدم من البربَى موضع فى زمان لقاس ، فلم يقدر أحدٌ على إصلاحه ومعرفة علمه ، وبقى على حاله ، وانقطع ما كان يقهرون به الناس . ثُم تُوفِّىَ لقاس ، فاستخلف ابنه قومِس ، فملـكهم دهرا . فلما ظهر بخت نصّر على بيت المقدس وَسَبى بنى إسرائيل ، وخرج بهم إلى أرض بابل ، أقام أرميا بإيلياء وهى خراب ؛ فاجتمع إليه بقايا من بنى إسرائيل كانوا متفرّقين ، فقال لهم أرميا : أقيموا بنا فى أرضنا لنستغفر الله ، ونتوب إليه ، لعلّه أن يتوب علينا ، فقالوا : إنا نخاف أن يسمع بنا بخت نصّر ، فيبعث إلينا ، ونحن شرْذمـة قليلون ؛ ولـكنا نذهب إلى ملك مصر فنستجير به ، وندخل فى ذمته ، فقال لهم أرميا : ذمّة الله أوفى الذّمم لكم ، ولا يسعكم أمان

(١) فتوح مصر : « تمكن » . (٢) فتوح مصر ٢٨ ، ٢٩

أحد من أهل الأرض ، إذاً أخافكم . فسار أولئك النفر من بنى إسرائيل إلى قومس، واعتصموا به ، فقال : أنتم فى ذمتى ، فأرسل إليه بخت نصر أن لى قبلك عبيدا أبقوا منى ، فابعثهم إلىّ . فكتب إليه قومس : ماهم بعبيدك ؛ هم أهل النبوّة والكتاب وأبناء الأحرار ، اعتديت عليهم وظلمتهم ؛ فحلف بخت نصّر : لئن لم تردّهم لأغزونّ بلادك . وأوحى الله إلى أرميا إنى مظهر بخت نصّر على هذا الملك الذى اتخذوه حرزاً ، ولو أنهم أطاعوك ، وأطبقت عليهم السماء والأرض ، لجعلت لهم من بينهما مخرجاً . فرحمهم أرميا ، وبادر إليهم ،وقال لهم : إن لم تطيعونى أسركم بخت نصّر وقتلكم ؛ وآية ذلك أنى رأيت موضع سريره الذى يضعه بعد مايظفر بمصر ويملكها . ثم عمد فدفن أربعة أحجار فى الوضع الذى يضع فيه بخت نصّر سريره ، وقال : يقع كلّ قائمة من قوائم سريره على حجر منها . فلجّوا فى رأيهم ، وسار بخت نصّر إلى قومس ، فقاتله سنة ، ثم ظفر به . فقتل وسبى جميع أهل مصر ، وقتل مَنْ قتل . فلما أراد قتل من أسر منهم ، وُضع له سريره فى الموضع الذى وصف أرميا ، ووقعت كلّ قائمة من قوائم سريره على حجر من تلك الحجارة التى دفن؛ فلمّا أتوا بالأسارى ، أتى معهم بأرميا. فقال له بخت نصر : ألا أراك مع أعدائى بعد أن أمّنتك وأكرمتك ! فقال له أرميا : إنّى أتيتهم محذّرا ، وأخبرتهم خبرك ، وقد وضعت لهم علامة تحت سريرك ، وأريتهم موضعه ، فقال له بخت نصر : وما مصداق ذلك ؟ قال أرميا : ارفع سريرك ، فإنّ تحت كلّ قائمة منه حجرا دفنته ، فلمّا رفع سريره ، وجد مصداق ذلك ، فقال لأرميا : لو أعلم أنّ فيهم خيراً لوهبتهم لك . فقتلهم وأخرب مدائن مصر وقُراها ، وسبى جميع أهلها ، ولم يترك بها أحدا حتى بقيت مصر أربعين سنة خراباً ليس فيها أحد؛ يجرى نيلُها ، ويذهب لا يُنتفع به . وأقام أرميا بمصر ، واتخذ زرعا يعيش به . فأوحى الله إليه: إنّ لك عن الزرع والمقام شغلاً ، فالحق بإيليا . فخرج أرميا حتى أتى

بيت المقدس . ثمّ إنّ بخت نصر ردّ أهل مصر إليها بعد أربعين سنة ، فعمروها ، فلم تزل مصر مقهورةً من حينئذ[١] .

ثم ظهرت الرُّوم وفارس على سائر الملوكِ الّذين في وسط الأرض ، فقاتلت الروم أهل مصر ثلاث سنين يحاصرونهم . وصابروهم القتال فى البرّ والبحر ؛ فلمّا رأى ذلك أهلُ مصر صالحوا الروم ، على أن يدفعوا لهم شيئاً مسمّى فى كلّ عام ، على أن يمنعوهم ويكونوا فى ذمّتهم ، ثم ظهرت فارس على الرّوم ، فلما غلبوهم على الشام ، رغبوا فى مصر ، وطمعوا فيها ، فامتنع أهلُ مصر ، وأعانتهم الرّوم ، وقاتلت دونَهم ، وألحّت عليهم فارس ، فلما خشوا ظهورهم عليهم صالحوا فارسَ ، على أن يكون ما صالحوا عليه الرّوم بين الروم وفارس ، فرضيتْ الروم بذلك حين خافت ظهور فارس عليها ، فكان ذلك الصلح على مصر ، وأقامت مصر بين الرّوم وفارس سبع سنين ، ثم استجاشت الرّوم ، وتظاهرت على فارس ، وألحت بالقتال والمدد ، حتى ظهروا عليهم وخربوا مصانعهم أجمع ، وديارهم التى بالشام ومصر ، وكان ذلك فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : وفيه نزلتْ : ﴿ الٓمٓ غُلِبَت الرُّوم فى أدنى الأرض... ﴾[٢] الآية ، فصارت الشام كلها صلحا ومصر خالصا للروم ، وليس لفارس فى الشام ومصر شىء[٣] .

قال الليث بن سعد : وكانت الفرس قد أسّست بناء الحصن الذى يقال له سبيل ، أليون[٤] ، وهو الحصن الذى بفسطاط مصر اليوم ؛ فلما انكشف جموع فارس وأخرجتهم الروم من الشام ، أتمّت الروم بناء ذلك الحصن ، وأقامت به ؛ وأرسل هِرقل المقوقس أميرا على مصر ، وجعل إليه حربها وجباية خراجها ، فنزل الإسكندرية ، فلم تزل فى ملك الرّوم حتى فتحها الله تعالى على المسلمين[٥] .

قال صاحب مباهج الفكر : هذا الحصن يسمى قصر الشمع .

(١) فتوح مصر ٣٠ ، ٣١
(٢) سورة الروم ١ ، ٢
(٣) فتوح مصر ٣٥
(٤) فتوح مصر : « باب أليون » .
(٥) فتوح مصر ٣٥ .

ذكر من دخل مصر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

قال أبو عمر محمد بن يوسف الكندىّ فى كتاب فضائل مصر : دخل مصر من الأنبياء إدريس وهو هُرْمس ، وإبراهيم الخليل ، وإسماعيل ، ويعقوب ، ويوسف ، واثنا عشر نبيًّا من ولد يعقوب وهم الأسباط ، ولوط ، وموسى وهارون ، ويوشع ابن نون ، ودانيال ، وأرميا ، وعيسى بن مريم ؛ عليهم الصلاة والسلام .

قلت : أمّا إبراهيم فقال ابنُ عبد الحكم : كان سبب دخوله مصر كما حدّثنا به أسد بن موسى وغيره ، أنّه لمّا أمر بالخروج عن أرض قومه ، والهجرة إلى الشام ، خرج ومعه لوط وسارة ؛ حتى أتوا حرّان ، فنزلها ، فأصاب أهل حرّان جوع ، فارتحل بسارة يريد مصر ، فلمّا دخلها ذُكِر جمالُها لملكها ، ووُصِف له أمرُها[1] ، فأمر بها ، فأدخلت عليه ، وسأل إبراهيم : ماهذه المرأة منك؟ فقال : أختى ؛ فهمّ الملك بها ، فأيبس الله يديه ورجليه ، فقال لإبراهيم : هذا عملُك فادع الله لى ؛ فوالله لا أسوءك فيها . فدعا الله فأطلق يديه ورجليه ، وأعطاها غنماً وبقرا . وقال : ماينبغى لهذه أن تخدُم نفسها ، فوهب لها هاجر[2] .

وأمّا إسماعيل فرأيت عدّة أيضا من الكتب المؤلفة فى مصر ، ولم أقف فى شىء من الأحاديث والآثار على مايشهد لذلك ، وأنا أستبعد صحته ، فإنّه منذ أقدمه أبوه إلى مكّة وهو رضيعٌ مع أمه ، لم ينقل أنه خرج منها ، ولم يدخل أبوه مصر إلاّ قبل أن علك أمّه .

---

(١) فى ابن عبد الحكم : « وكان حسن سارة حسن حواء » .
(٢) فتوح مصر ١٠

وأما يعقوب ويوسف وإخوته فدخولهم مصر منصوص عليه فى القرآن .

وكذا موسى وهارون وقد ولدا بها .

وأما لوط فيمكن دخوله مع إبراهيم ؛ ولكن لم أر التصريح به فى حديث ولا أثر .

وأمّا يوشع فهو ابن نون بن أفرائيم بن يوسف . ولد بمصر ، وخرج مع موسى إلى البحر لمّا سار ببنى إسرائيل ، ورد فى أثر عن ابن عباس .

وأمّا أرميا فتقدّم دخوله فى قصة بخت نصّر .

وأما عيسى فتقدم فى قوله تعالى : ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ﴾ [1] إنّها مصر على قول جماعة ، ورأيت فى بعض الكتب أن عيسى ولد بمصر بقرية أهْنَاس ، وبها النخلة التى فى قوله تعالى : ﴿ وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ [2] ، وأنه نشأ بمصر ، ثم سار على سَفْح المقطّم ماشيا ، وهذا كلّه غريب لا صحّة له ، بل الآثار دلّت على أنه ولِدَ ببيت المقدس ، ونشأ به ، ثم دخل مصر .

وأمّا دانيال ، فلم أقف فيه على أثرٍ إلى الآن ، وعدّه ابنُ زولاق فيمن وُلد بمصر .

والخلاف فى نبوّة إخوة يوسف شهير ، ولى فى ذلك تأليف مستقلّ ؛ وهم مدفون بمصر بلا خلاف ؛ وهذه أسماؤهم لتستفاد !

أخرج ابنُ جرير وابن أبى حاتم ، عن السدّى ، قال : بنو يعقوب : يوسف ، وبنيامين ، وروبيل ، ويهوذا ، وشمعون ، ولاوى ، ودان ، وقهاث ، وكودى ، وبانيون . هكذا سمّى عشرة وبقى اثنان .

---

(١) سورة المؤمنين ٥٠ . (٢) سورة مريم ٢٥ .

وتقدّم عن ابن عباس أنّ العجوز التى دلّت موسى على قبر يوسف ابنة أشى بن يعقوب ؛ فهذا أحدهما ، والآخر بقيا .

وبقى من الأنبياء الذين دخلوا مصر ، يوسف المذكور فى سورة غافر ، على أحد القولين أنّه غير يوسف بن يعقوب ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ﴾[1] قال جماعة : هو يوسف بن إفرايم بن يوسف بن يعقوب ؛ لأن يوسف ابن يعقوب لم يدرك زمن فرعون موسى حتى يبعثه الله تعالى ؛ فإن صح هذا القول فهو نبىّ رسول ، ولد بمصر ومات بها . ولا نظير له فى ذلك .

ومن الأنبياء الّذين دخلوا مصر سُليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ، وسيأتى فى بناء الإسكندريّة مايدلّ على ذلك .

ورأيتُ حديثاً يدلّ على أنّ أيوب عليه السلام دخلها ، أخرج ابن عساكر فى تاريخه عن عُقْبة بن عامر مرفوعا ، قال : قال الله لأيوب : أتدرى لم ابتليتُك ؟ قال : لا يارب ، قال : لأنّك دخلتَ على فرعون ، فداهنتَ عنده بكلمتين ؛ يؤيد ذلك أنّ زوجته بنت ابن يوسف ؛ أخرج ابن عساكر ، عن وهب بن منبه قال : زوجة أيوب رحمة بنت منشا بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام .

ثم رأيت أثرا صريحا فى دخول أيّوب وشعيب عليهما الصلاة والسلام مصر أخرج ابنُ عساكر عن أبى إدريس الخولانىّ ، قال : أجدب الشّام ، فكتب فرعون إلى أيّوب : أنْ هلُمّ إلينا ، فإنّ لك عندنا سَعَةً ، فأقبل بخيله وماشيته وبَنِيه ، فأقطعهم؛

---

(١) سورة غافر ٣٤

فدخـل شُعيب على فرعون ، فقـال : يافرْعون ، أما تخاف أن يغضب الله غضَبه ، فيغضب لغضبه أهلُ السّموات والأرض والجبال والبحار ! فسكت أيّوب ، فلمّا خرجا من عنـده أوحى الله تعالى إلى أيّوب : أو سَـكَتَّ عن فرعون لذهابك إلى أرضه ! استعدّ للبلاء .

وعـدّ بعضهم ممّن دخلهـا من الأنبيـاء لقمان ؛ وفى مرآة الزمان حـكاية قول إنّه من سودان مصر ، وفى نبوّته خـلاف ، والقـولُ بأنّه نبيّ قولُ عِـكْرمة وليث .

وعدّ الـكندىّ وغيره فيمنْ دخلَهـا من الصدِّيقين الخضر وذا القرنين . وقد قيـل بنبوّتهما . والقول بنبوّة الخِضر حـكاه أبو حيّان فى تفسيره عن الجمهور ، وجزم به الثعلبىّ ، وروى عن ابن عبـاس . وذهب إسماعيـل بن أبى زياد ومحمـد ابن إسحـاق أنّه نبىّ مرسَل ؛ ونصَر هـذا القول أبو الحسن بن الرمانىّ ، ثم ابن الجوزىّ .

والقول بنبوّة ذى القرنين أخرجـه ابن أبى حاتم فى تفسيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص . ودخولُ ذى القرنين مصر ، ورد فى حـديث مرفوع سيأتى فى بناء الإسكندريّة .

ودخول الخِضر غيرُ بعيد ؛ فإنّه كان فى عسكر ذى القرنين ، بل أحد الأقوال فى الخِضر أنّه ابن فرعون لصُلْبه ، حكاه الـكندىّ وجماعة ، آخرهم الحافظ بن حَجَر فى كتاب الإصابة فى معرفة الصحابة (١) ؛ فعلى هذا يكون مولده بمصر .

وقال ابن عبد الحـكم : حدّثنى شيخٌ من أهل مصر ، قال : كان ذو القرنين من

---

(١) الإصابة ١ : ٤٢٨ ، ونقله عن النقاش .

أهل لوبية ، كورة من كور مصر الغربيّة . قال ابن لهيعة : وأهلها روم [١] .

وأخرج ابن عبد الحكم أيضا عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني مَنْ يسوق الحديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه ، أنّ ذا القرنين رجلٌ من أهل مصر اسمه مَرْزبا بن مَرْزَبة اليونانيّ ، من ولد يونان بن يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام [٢] .

وذكر صاحب مرآة الزمان [٣] : أنّ ذا القرنين مات بأرض بابل ، وجُعِل في تابوت وطُلِي بالصَّبِر والكافور ، وحمِل إلى الإسكندرية ، فخرجت أمه في نساء الإسكندرية حتى وقفَت على تابوته ، وأمرت به فدفن . وقيل : إنه عاش ألف سنة ، وقيل : ألفا وستمائة سنة ، وقيل : ثلاثة آلاف سنة .

وقد قيل بنبوّة نِسوةٍ دخلْن مصر : مريم ، وسارَة زوْج الخليل ، وآسية امرأة فرعون ، وأمّ موسى .

وحكى ذلك الشيخ تقي الدين السُّبكيّ [٤] في فتاويه المعروفة بالحلبيّات ؛ قال : ويشهد لذلك في مريم ذكرُها في سورة الأنبياء مع الأنبياء ، وهو قرينة . وأمّ موسى اسمها يوكابد .

---

(١) فتوح مصر ٣٨ ؛ وذكر بعده : « ويقال : بل هو رجل من حمير ، قال تبع :

قَدْ كانَ ذو القرنينِ جدِّى مُسْلِماً ... مِلِكًا تدينُ لهُ الْملوكُ وتَحْشِدُ

بلغَ المَغارِبَ وَالمَشارِقَ يَبْتَغى ... أسبابَ عِلمٍ مِنْ حَكِيمٍ مُرْشِدِ

فرأى مَغيبَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهاَ ... فى عَينِ ذِى خَلَبٍ وثأْطٍ حَرْمَدِ

(٢) فتوح مصر ٣٧ .

(٣) هو يوسف بن قزأ على بن عبدالله ، سبط أبي الفرج بن الجوزى ، مؤرخ واعظ ، وكتابه مرآة الزمان كبير على تاريخ الأعيان . توفى سنة ٧٥٤ . الأعلام ٩ : ٣٢٤ .

(٤) هو على بن عبد الكافى بن على الخزرجى ، المعروف بتقى الدين السبكى ، شيخ الإسلام فى عصره ، والد التاج السبكى صاحب الطبقات . توفى سنة ٧٥٦ . الأعلام ٦ : ١١٦

وقد تقدم أن شيث بن آدم نزل مصر وهو نبيّ، وأنّ نوحا طافت به سفينته بأرض مصر .

فتمّت عدّة من دخل مصر باتفاق واختلاف اثنين وثلاثين نبيًّا غير النسوة الأربع.
وقد نظمت ذلك فى أبيات فقلت :

قد حلّ مصرَ على ماقدْ رووْا زُمَرٌ من النّبيين زَادُوا مصر تأنيساَ
فهاك يوسف والأسباط مَعْ أبِهِ وحافداً ، وخليــــل الله إدريسا
لوطاً وأيّوب ذا القرنين خضرَ سليم ان أرميا يوشعا هارون معْ موسَى
وأمه سارةٌ لقمان آسية ودانيال شعيبــا مريماً عيسَى
شيثاً ونوحاً وإسماعيل قد ذكرُوا لازال من ذكرهم ذا الِمصْرُ مأنوسا

قال أبو نُعيم [1] فى الحلية : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، حدثنا أحمد بن هارون ، حدثنا رَوْح ، حدثنا أبو سعيد الكندىّ ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، قال : اجتمع وَهْب بن منبّه وجماعة ، فقال وهب : أىّ أمر الله أسرع ؟ قال بعضهم : عرش بِلْقيس حين أُتِىَ به سليمان ، قال وهب : أسرع أمر الله أنّ يونس بن متّى كان على حرف السفينة ، فبعث الله إليه حوتاً من نِيل مصر ؛ فما كان أقرب من أن صار من حرفها فى جوفه .

وقال صاحب مرآة الزمان : وأما موسى بن يوسف ، فنبيّ آخر ، قبل: موسى بن عمران . ويزعم أهل التوراة أنه صاحب الخِضر .

قلت : والقصّة فى صحيح البخارى .

---

(١) هو أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهانى ، أبو نعيم الحافظ المؤرخ ؛ صاحب كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ؛ توفى سنة ٤٣٠ . الأعلام ١ : ١٥٠

ذكر من كان بمصر من الصديقين
كماشطة ابنة فرعون ، وابنها ، ومؤمن آل فرعون

أخرج الحاكم فى المستدرك ، وصححه عن أبى هريرة ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «لم يتكلّم فى المهد إلّا عيسى ، وشاهد يوسف ، وصاحب جُريج ، وابن ماشطة ابنة فرعون » .

وأخرج أحمد والبزّار والطَّبرانىّ عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما كانتْ ليلةَ أُسْرِىَ بى ، أتيتُ على رائحة طيّبة ، فقلت : ياجبريل ، ماهذه الرائحة الطيبة ؟ قال : هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها ، قلت : وماشأنها ؟ قال : بينما هى تمشّط ابنةَ فرْعون ذات يوم ، إذ سقط المْدْرَى من يدها ، فقالت : باسم الله ، فقالت لها ابنة فرعون : أوَلكِ ربٌّ غير أبى ؟ قالت : لا ، ولكن ربىّ ورب أبيك الله . قالت : أُخبِره بذا ؟ قالت : نعم ، فأخبرته ، فدعاها ، فقال : يافلانة ، أو أنّ لكِ ربًّا غيرى ! قالت : نعم ربى وربّك الله ، فدعا ببقرة من نحاس ، ثم أُحمِيتْ ، ثم أمر أن تلقَى فيها هى وأولادها ، فألقوُا بين يديها واحدا واحدا إلى أن انتهى ذلك إلى صبىّ لها مرضع ، فتقاعست من أجله ، قال : ياأماه اقتحمى فإنّ عذاب الدّنيا أهون من عذاب الآخرة ، فاقتحمت » .

قال ابن عباس : تكلم فى المهد أربعٌ صغار : عيسى بن مريم ، وصاحب جُريج ، وشاهد يوسف ، وابن ماشطة ابنة فرعونَ .

واخرج ابن أبى حاتم ، عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَونَ ﴾[1] . قال : لم يكن من أهل فرْعون مؤمن غيره وغير امرأة فرعون وهو المؤمن الذى أنذر موسى الذى قال : ﴿ إنّ الملأَ يأْتمِرُونَ بكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾[2] .

---

(١) سورة غافر ٥١ (٢) سورة القصص ٢٠

ذكر السحرة الذين آمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام

قال الكندى : أجمعت الرواة على أنه لا يُعلم جماعة أسلموا فى ساعة واحدة أكثر من جماعة القبط ، وهم السحرة الذين آمنوا بموسى .

وأخرج ابنُ عبد الحكم ، عن يزيد بن أبى حَبيب ، أن تبيعاً كان يقول : ما آمن جماعة قطّ فى ساعة واحدة مثل جماعة القِبْط .

وأخرج ابنُ عبد الحكم ، عن عبد الله بن هبيرة السبئىّ وبكر بن عمرو الخولانىّ ويزيد ابن أبى حبيب ، قال : كان السّحرة اثنى عشر ساحرا رؤساء ، تحت يد كل ساحر منهم عشرون عريفاً ، تحت يد كلّ عريف منهم ألف من السّحرة ؛ فكان جميع السحرة مائتى ألف وأربعين ألفا ومائتين واثنين وخمسين إنساناً ، بالرؤساء والعرَفاء ، فلمّا عاينوا ماعاينوا ، أيقنوا أنّ ذلك من السماء ، وأن السِّحر لايقاوم لأمر الله ، فخرّ الرؤساء الاثناعشر عند ذلك سجّداً فأتبعهم العُرَفاء ، وأتْبع العرفاء مَنْ بقى ، وقالوا : ﴿ آمَنّا برَبِّ العَالمين * رَبِّ مُوسَى وَهٰرُون ﴾[1] .

وأخرج عن يزيد بن أبى حبيب أن تُبيعا قال : كان السَّحرة من أصحاب موسى عليه الصلاة والسلام ، ولم يفتتن منهم أحدٌ مع من افتتن من بنى إسرائيل فى عبادة العجل .

وقال ابنُ عبد الحكم : حدثناهانئ بن المتوكِّل ، عن ابن لَهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن تُبيع ، قال : استأذن جماعةٌ من الذين كانوا آمنوا من سَحرة موسى فى الرجوع إلى أهلهم ومالهم بمصر ، فأذن لهم ، ودعالهم ، فترهّبوا فى رءوس الجبال ، فكانوا أوّل من ترهّب . وكان يقال لهم الشيعة ، وبقيت طائفة منهم مع موسى حتى توفّاه الله ، ثم انقطعت الرهبانية بعدهم ؛ حتى ابتدعها بعدهم أصحابُ المسيح عليه الصلاة والسلام[2] .

---

(١) سورة الأعراف ٢٢٢ .

(٢) فتوح مصر ٤٤

ذكر من كان بمصر من الحكماء فى الدهر الأول

قال الكندىّ وابن زولاق : كان بمصر هُرْمس ، وهو إدريس عليه الصلاة والسلام ؛ وهو المثلّث لأنه نبىّ ، وملك ، وحكيم . وهو الذى صيّر الرّصاص ذهبا بصاصا .

وكان بها أغاثيمون ، وفيثاغورس ، تلاميذ هرمس ، ولهم من العلوم صنعة الكيمياء والنّجوم والسّحر وعالم الروحانيات والطّلّسمات والبرابى وأسرار الطبيعة .

وأوسلاوسيزاورس وبندقليس أصحاب الكهانة والزّجر .

وسقراط صاحب الكلام على الحكمة .

وأفلاطون صاحب السياسية والنواميس والكلام على المدن والملوك .

وأرسطاطاليس صاحب المنطق .

وبطليموس صاحب الرصد والحساب والمجسطى فى تركيب الأفلاك وتسطيح الكرة .

وأراطُس صاحب البيضة ذات الثمانية والأربعين صورة فى تشكيل صورة الفلك .

وإفليسطهوس صاحب الفلاحة .

وإبرّجس صاحب الرصد والآلة المعروفة بذات الحلق .

وثاوُن صاحب الزيج .

ودامانيوس ورابس وإصطقر أصحاب كتب أحكام النجوم .

وإيرَل ، وأندريه ، وله الهندسة والمقادير ، وكتاب جر الثقيل والبنكامات والآلات لقياس الساعات .

وفليون ، وله عملُ الدواليب والأرحية والحركات بالحيل اللطيفة .

وأرشميدس صاحب المرايا المحرقة والمنجنيقات الّتى يرمى بها الحصون .

ومارية وقلبطرة وهم أصحاب الطّلسمات والخواصّ .

وابلوسيكوس ، وله كتاب المخروطات قطع الخطوط .

وتابوشيش ، وله كتاب الأكر .

وقيطس وله كتاب الحشائش .

وأفتوقس وله كتاب الأكرة والأسطوانة .

ودخلهـا جالينوس ، وديبقورايدش صاحب الحشائش وأساسيوس ، وترهونوس وقس ، وهم من حكماء اليونان .

هذا ما ذكره الـكندى وابن زولاق .

* * *

قلت : قال الشّهرستانى[١] فى الملل والنحل :

ل : أوّل من شهر بالفلسفة ونسبت إليه الحـكمة فلوطرخيس ، تفلسف بمصر ، ثم سار ى مَلْطيَة فأقام بها[٢] .

وذكر فى فيثاغورس أنه ابن منسارخس ، وأنّه كان فى زمن موسى[٣] عليه الصلاة السلام ، وأنه أخذ الحـكم من معدن النبوة[٤] .

وذكر فى سقراط أنه ابن سفرنيسقوس ، وأنه اقتبس الحـكمة من فيثاغورس . أرسلاوس ، وأنّه اشتغل بالزهد والرياضة وتهذيب الأخلاق ، وأعرض عن ملاذ الدنيا ، اعتزل إلى الجبل[٥] ، ونهى الرؤساء الذين كانوا فى زمنه عن الشّرك وعبادة الأوثان ،

---

(١) هو محمد بن عبد الـكريم الشهرستانى ، المتوفى سنة ٥٤٨ ، طبع مرارا .

(٢) الملل والنحل ٢ : ١٠٣ ، وذكر بعدها أنه « قد يعد من الأساطين » .

(٣) فى الملل والنحل : « فى زمن سليمان النبى بن داود عليه السلام » . (٤) الملل والنحل ٢ : ٧٨ .

(٥) بعدها فى الملل والنحل : « وأقام فى غاربه » ، وغارب الجبل : أعلاه .

فثوّرا عليه الغاغة ، وألجئوا ملكهم إلى قتله ، فحبَسه ثم سقاه السم[١] .

وذكر فى أفلاطون أنّه ابن أرسطن بن أرسطوقليس ، وأنه آخر المتقدّمين الأوائل الأساطين ؛ معروف بالتوحيد والحكمة ، ولد فى زمان أردشير بن دارا ، وأخذ عن سقراط ، وجلس على كرسيّه بعد موته[٢] .

وذكر فى أرسطا ليس أنه ابن نيقوماخوس ، وأنه أخذ عن افلاطون[٣] .

* **

وقال ابنُ فضل الله[٤] فى المسالك : الهرامسة ثلاثة : هُرْمس المثلث ، ويقال له إدريس عليه الصلاة والسلام ؛ كان نبيًّا ، وحكيما ، وملِكا . وهرمس لقب ، كما يقال كسرى وقيصر . قال أبو معشر : هو أوّل مَنْ تكلم فى الأشياء العلويّة من الحركات النجوميّة ، وأول مَن بنى الهياكل ، ومجّد الله فيها ، وأول مَن نظر فى الطب وتكلم فيه ، وأنذر بالطوفان ؛ وكان يسكن صعيد مصر ، فبنى هناك الأهرام والبرابى ، وصوّر فيها جميع الصناعات ، وأشار إلى صفات العلوم لمن بعده حرصا منه على تخليد العلوم بعده ، وخيفة أن يذهب رسم ذلك من العالم ، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ، ورفعه إليه مكانا عليا .

وأما هرمس الثانى فإنه من أهل بابل .

وأمّا هُرمس الثالث ، فإنّه سكن مدينة مصر ؛ وكان بعد الطوفان . قال ابن

---

(١) الملل والنحل ٢ : ٨٩

(٢) الملل والنحل ٢ : ٩٤

(٣) الملل والنحل ٢ : ١٣٨

(٤) مسالك الأبصار فى عجائب الأمصار ؛ لأحمد بن يحيى المعروف بن فضل الله العمرى ، المتوفى سنة ٧٤٩ ؛ قال ابن شاكر : كتاب حافل ما أعلم أن لأحد مثله » طبع الجزء الأول منه بمطبعة دار الكتب المصرية .

أبى أصيبعة : وهو صاحب كتاب الحيوان ذوات السموم ، وكان طبيباً فيلسوفا ، وله كلام حسن فى صنعة الكيمياء .

وقال عن صاعدين بن أحمد فى بند قليس : إنه كان فى زمن داود ، أخذ الحكمة عن لقمان بالشام وفى فيثاغورس إنه أخذ الحكمة عن سليمان عليه الصلاة والسلام بمصر حين دخلوا إليها من بلاد الشام ، وأخذ الهندسة عن المصريين ، ثم رجع إلى بلاد اليونان وأدخل عندهم علم الهندسة وعلم الطبيعة ، واستخرج علم الألحان وتوقيع النغم . وفى أفلاطون إنه لما مات دخل مصر للقاء أصحاب فيثاغورس .

ذكر قتل عوج بمصر

قال ابن عبد الحكم : يقال إن موسى عليه الصلاة والسلام قتل عوجاً بمصر ؛ حدّثنا عمرو بن خالد، حدّثنا زهير بن[1] معاوية ، حدثنا أبو إسحاق عن نَوْف ، قال : كان طول سرير عُوج الذى قتله موسى ثمانمائة ذراع ، وعرضه أربعمائة ذراع ، وكانت عصا موسى عليه السلام عشرة أذرع ، ووثبته حين وثب إليه عشرة أذرع ؛ وطول موسى كذا وكذا ، فضربه فأصاب كعبه ، فخرّ على نيل مصر ، فجسره[3] للناس عاما يمشون[4] على صُلْبه وأضلاعه[5] .

وقال صاحب مرآة الزمان : حكى جدّى عن ابن إسحاق، أن عوج بن عنق عاش ثلاثة آلاف سنة وستمائة سنة ، ولم يعش أحد هذا العمر .

وقال ابن جرير : عاش ألف سنة .

وقيل : إنه ولد فى عهد آدم وسلم من الطوفان .

وقال الثعلبىّ : لما وقع على نيل مصر جَسَرهم سنة .

---

(١) فى الأصول : « عن » وصوابه من فتوح مصر .
(٢) فى الأصول : « نوق » ، وفى فتوح مصر : « قال زهير : أراه عن نوق » .
(٣) جسره ؛ أى جعله جسرا يعبر عليه .
(٤) فتوح مصر : « يمرون على صلبه وأضلاعه » .
(٥) فتوح مصر ٢٦

ذكر عجائب مصر القديمة

قال الجاحظ وغيره : عجائب الدنيا ثلاثون أعجوبة : عشرة منها بسائر البلاد ، وهى : مسجد دمشق ، وكنيسة الرُّها ، وقنطرة سَنْجة ، وقصر غُمدان ، وكنيسة روميّة ، وصنم الزيتون ، وإيوان كسرى بالمدائن ، وبيت الرِّيح بتدمر ، والخورنق بالحيرة ، والثلاثة أحجار ببعلبك . والعشرون الباقية بمصر ، وهى :

١ ـ الهرمان ؛ وهما أطول بناء وأعجبه ، ليس على الأرض بناء أطول منهما ، وإذا رأيتهما ظننت أنهما جبلان موضوعان ؛ ولذلك قال بعض من رآهما : ليس شىء إلا وأنا أرحمه من الدهر إلا الهرمان ، فأنا أرحم الدهر منهما .

٢ ـ وصنم الهرمين وهو بلهويه ، ويقال بلهنيت ، وتسمّيه العامة أبو الهول . ويقال : إنه طلّسم للرّمل لئلا يغلب على الجيزة .

٣ ـ وبرْبَى سمنّود [١] ، قال الكندىّ : رأيتهُ وقد خزن فيه بعض العمال قُرْطًا ، فرأيت الجمل إذا دنا منه بحمله وأراد أن يدخله سقط كل ودبيب [٢] من القُرْط ، ولم يدخل منه شىء إلى البربى ، ثم خرب عند الخمسين وثلاثمائة .

٤ ـ وبربى إخميم ؛ كان فيه صور الملوك الذين ملكوا مصر ؛ قال صاحب مباهج الفكر : وهى مبنية بحجر المرمر ، طول كل حجر خمسة أذرع فى سمك ذراعين ، وهى سبعة دهاليز . ويقال إن : كل دهليز على اسم كوكب من الكواكب السبعة ، وجدرانها منقوشة بعلوم الكيمياء والسّيمياء والطلّسمات والطب ؛ ويقال : إنه كان بها جميع ما يحدث

---

(١) ح ، ط : « سمهود » ، والصواب ما أثبته من الأصل .
(٢) القرط : علف الدواب ، وفى المقريزى ١ : ٤٨ ، ومعجم البلدان ٥ : ١٣٣ : « دبيب » .

فى الزمان ؛ حتى ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان مصوّرا فيها راكبا على ناقة .

٥ ـ وبربى دندرة ، كان فيها مائة وثمانون كوّة ، تدخل الشمس كلّ يوم من كوة منها ثم الثانية ، ثم الثالثة ؛ حتى تنتهى إلى آخرها ؛ ثم تكرّ راجعة إلى موضع بدأت .

٦ ـ وحائط العجوز ؛ من العريش إلى أسوان ، محيط بأرض مصر شرقا وغربا . وقد مرّ ذكره .

٧ ـ والفيّوم ، وهى مدينة دبّرها يوسف عليه الصلاة والسلام بالوحى ، وكانت ثلاثمائة وستين قرية ، تمير كلّ قرية منها مصر يوما ، وكانت تروى من اثنى عشر ذراعا ؛ وليس فى الدنيا بلد بُنِىَ بالوحى غيرها . قاله الكندىّ

٨ ـ ومنف ، وما فيها من الأبنية والدفائن والكنوز وآثار الملوك والأنبياء والحكماء ، وكان فيها البربَى الذى لا نظير له ، الذى بنته الساحرة لَدلوكَه ، وقد تقدّم ذكره .

٩ ـ وجبل الكهف .

١٠ ـ وجبل الطيلمون .

١١ ـ وجبل زماخير الساحرة[1] ، فيه حلقة ظاهرة مشرفة على النيل ، لا يصل إليها أحد ، يلوح فيه خطّ مخلوق : « باسْمِك اللهم » .

١٢ ـ وجبل الطير بصعيد مصر الأدنى ، مطلّ على النيل ، مقابل مُنية بنى خصيب ، قال فى السكردان : فيه أعجوبة لم ير مثلها فى سائر الأقاليم ؛ وهى باقية إلى يومنا هذا :

---

(١) المقريزى ١ : ٤٩ ، صبح الأعشى ٣ : ٢٨٥ .

بذلك أنّه إذا كان آخر فصل الربيع قدم إليه طيور كثيرةٌ بُلْقٌ ، سود الأعناق ، مطوّقات الحواصل ، سود أطراف الأجنحة ، فى صياحها بحاحة ، يقال لها طير البَحّ ، لها صياح عظيم يسدّ الأفق ، فتقصد مكاناً فى ذلك الجبل ، فينفرد منها طائر واحد فيضرب بمنقاره فى مكان مخصوص فى شِعب الجبل عالٍ ، لا يمكن الوصول إليه ، فإن عاقَ تفرق الطيور عنه ، وإن لم يعاق تقدم غيره وضرب بمنقاره فى ذلك الموضع ، وهكذا واحدا بعد واحد إلى أن يعاق واحد منهم بمنقاره ، فتفترق عنه الطيور حينئذ ، وتذهب إلى حيث جاءت ، فلا يزال معلقاً إلى أن يموت ، فيضمحلّ فى العام القابل فيسقط ، فتأتى الطيور على عادتها فى السنة القابلة ، فتعمل العمل المذكور . قال صاحب السّكردان : وقد أخبرنى بهذا غيرُ واحد من المصريين مّمن شاهد ذلك . وهو مشهور معروف إلى يومنا هذا[1] .

قال أبو بكر الموصلىّ : سمعتُ من أعيان أهل الصعيد أنّه إذا كان العام مخصباً قبض على طائرين ، وإن كان متوسطا قبض على واحد ، وإن كان جَدْباً لم يقبض على شىء .

قال فى السكردان : وحكى بعضهم أنّه رأى فى بعض السنين طيراً تعلّق بمنقاره ، وتفرّقت عنه الطيور ، ثم اضطرب اضطرابا شديدا ، وأطاق نفسه ، والتحق بالطيور ، فدارت عليه ، وجعلت تنقره بمناقيرها إلى أن عاد ، وتعلّق بمنقاره فى ذلك الموضع[2] .

١٣ – وعين شمس ؛ وهى هيكل الشمس . قال صاحب مباهج الفكر : وقد خربت ، وبقى منها عمودان من حجر صلد ، فكان طول كلّ عمود منهما أربعا وثمانين ذراعا ، على رأس كلّ عمود منهما صورة إنسان على دابّة ، وعلى رأسهما شبه الصّومعة من نحاس ، فإذا جرى النيل قطر من رأس كلّ واحد منهما ماء ، لا يجاوز نصف

(١) السكردان ٢٧ .   (٢) السكردان ٢٨ .

العمود ، والموضع الذى يصل إليه الماء لا يزال أخضر رطبا . قال : وقد وقع العمودان فى عصرنا بعد الخمسين وستمائة ، ونشرت حجارتهما ، وفرشت بها الدور .

١٤ ـ وصنم من نحاس كان على باب القصر الكبير عند الكنيسة المعلقة على خلقة الجمل ، وعليه رجل راكب ، عليه عمامة ، متنكب قوسا وفى رجليه نعلان ؛ كانت الروم والقبط وغيرهم إذا تظالموا بينهم ، واعتدى بعضهم على بعض جاءوا إليه ، فيقول المظلوم للظالم : أنصفنى قبل أن يخرج هذا الراكب الجمل ، فيأخذ الحقّ لى منك ـ يعنون بالراكب الجمل محمدا صلى الله عليه وسلم ـ فلمّا قدم عمرو بن العاص غيّب الروم ذلك الجمل لئلاّ يكون شاهدا عليهم .

١٥ ـ والنيل ، وسيأتى خبره مبسوطا .

١٦ ـ وحوض كان مدوّرا من حجر يركب فيه الواحد والأربعة ، ويحرّكون الماء بشىء فيمدّون فى البحر من جانب إلى جانب لا يعلم من عمله ، فأحضره كافور الإخشيذىّ إلى مصر ، فنظر إليه ، ثم أخرج من الماء ، وألقىَ فى البرّ وكان فى أسفله كتابة لا يدرى ما هى ، ثم أعيد إلى البحر فغرق وبطل فعله .

١٧ ـ والإسكندرية ؛ فإنها مدينة على مدينة على مدينة ثلاث طبقات ، وليس على وجه الأرض مدينة على مدينة على مدينة ، على هذه الصفة سواها . ويقال : إنها إرمَ ذات العماد ، سمّيت بذلك لأن عمدها ورخامها من الديجنا والأصطفيدس المخطّط طولا وعرضا .

والمنارة التى بها، وسيأتى ذكرها .

١٨ ـ ومنارة بناحية أبويط من بلاد البهنسا ، محكمة البناء ، إذا هزّها الإنسان، مالت يمينا وشمالا ، لا يرى ميلها ظاهرا ، وفىء ظلّها فى الشمس .

١٩ ـ والملعب الذى كان بالإسكندريّة يجتمعون فيه ، فلا يرى أحدٌ منهم يلقى وجه

الآخر ، إن عمل أحدهم شيئاً ، أو تكلم ، أو قرأ كتابا ، أو لعب لونا من الألوان ، سمعه الباقون ، ونظر القريب والبعيد فيه سواء ، وكانوا يترامون فيه بالأكرة ، فمن دخلت كمه ولِىَ مصر . . . قال صاحب مباهج الفكر : وقد بقيتْ منه بقايا عمد قد تكسّرت ، غير عمود منها يسمى عمود السوارى ، فى غاية الغلظ والطول من حجر الصوّان الأحمر .

٢٠ ـ والمسلّتان، وهما شخصان من صوّان ، طول أحدهما ثلاثمائة وثمانون ذراعا ، وهما مسلّتا فرعون للشمس ، منصوبتان ، فإذا حلّت الشمس أول درجة من الجدى ـ وهو أقصر يوم فى السنة ـ انتهت إلى المسلّة الجنوبية ، وطلعت على قمة رأسها ، ثم إذا حلّت أوّل درجة من السّرَطان ـ وهو أطول يوم فى السنة ـ انتهت إلى المسلّة الشمالية ، وطلعت على رأسها ؛ وهى منتهى المسلّتين ، وخط الاستواء فى الوسط بينهما ، ثم تتردّد بينهما ذاهبة وجائية سائر السنة .

فهذه عشرون أعجوبة [1] .

ويقال: إنه ليس من بلد فيه شىء غريب إلا وفى مصر شبهه أو مثله ، ثم تفضُل مصر على البلدان بعجائبها التى ليست فى بلد سواها .

---

(١) ذكر المقريزى هذه العجائب فى الخطط ١ : ٤٨ ـ ٦٣ ، مع اختلاف فى تفصيلها .

ذكر الأهرام

قال ابن عبد الحكم : فى زمان شدّاد بن عاد ، بُنيت الأهرام كما ذكر عن بعض المحدثين . قال : ولم أجد عند أحد من أهل المعرفة من أهل مصر فى الأهرام خبرا يثبت، وفى ذلك يقول الشاعر :

حَسَرتْ عُقُولَ أولِى النهى الأهْرامُ ... واسْتُصْغِرتْ لعظيمها الأحلامُ(١)

مُلْسٌ منبّقة(٢) البناء شواهقٌ ... قصرت لعالٍ دونهنّ سهامُ

لَمْ أدْرِ حين كَبَا التفكُّرُ دونَها ... واستوهَمَتْ لعجيبها الأوهامُ(٣)

أقُبور أملاك الأعاجم هنّ أمْ ... طِلّسم رَمْلٍ كُنّ أم أعلام ؟

قال : ولا أحسب إلا أنها بُنيت قبل الطوفان لأنها لو بنيت بعد الطوفان لكان عِلْمها عند الناس(٤) .

قال جماعة من أهل التاريخ : الذى بنى الأهرامَ سُوريد بن سلهوق بن شرياق ملك مصر ؛ وكان قبل الطوفان بثلاثمائة سنة ؛ وسبب ذلك أنّه رأى فى منامه كأنّ الأرض انقلبت بأهلها ، وكأنّ النّاس هاربون على وجوههم ، وكأنّ الكواكب تساقطت ، ويصدم بعضها بعضاً بأصوات هائلة ، فأغمّه ذلك وكتمه ، ثم رأى بعد ذلك كأنّ الكواكب الثابتة نزلتْ إلى الأرض فى صورة طيور بيض ، وكأنّها تخطَف الناس وتُلقيهم بين جبلين عظيمين ، وكأنّ الجبلين انطبقا عليهم ، وكأنّ الكواكب النيّرة مظلمة؛ فانتبه مذعوراً ، فجمع رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر ـ وكانوا مائة وثلاثين كاهنا

(١) فتوح مصر ؛ من نسخة بحاشية الأصل : « الأجرام » .

(٢) ياقوت : « بعجيبها » .

(٣) فى الأصول : « صلاصم رجل » ، والصواب ما أثبته من فتوح مصر .

(٤) فتوح مصر ٤٢ ، معجم البلدان ٢ : ٤٥٧ .

وكبيرهم يقال له أفليمون ـ فقص عليهم ، فأخذوا فى ارتفاع الكواكب ، وبالغوا فى استقصاء ذلك ، فأخبروا بأمر الطوفان . قال : أوَ يلحق بلادنا ؟ قالوا : نعم ، وتخرب وتبقى عدّة سنين . فأمر عند ذلك ببناء الأهرام ، وأمر بأن يُعمل لها مسارب يدخل منها النيل إلى مكان بعينه، ثم يفيض إلى مواضع من أرض المغرب وأرض الصعيد، وملأها طلّسمات وعجائب وأموالا وخزائن وغير ذلك ، وزبَر فيها جميع ماقالته الحكماء وجميع العلوم الغامضة وأسماء العقاقير ومنافعها ومضارّها وعلم الطلّسمات والحساب والهندسة والطبّ ، وكل ذلك مفسّر لمن يعرف كتابتهم ولغاتهم . ولمّا أمر ببنائها قطعوا الإسطوانات العظام والبلاطات الهائلة ، وأحضروا الصخور من ناحية أُسوان ، فبنى بها أساس الأهرام الثلاثة ، وشدّها بالرّصاص والحديد والصُّفْر ، وجعل أبوابها تحت الأرض بأربعين ذراعا ، وجعل ارتفاع كلٍّ واحد مائتى ذراع بالملكىّ ، وهى خمسمائة ذراع بذراعنا الآن ، وجعل ضِلَع كلّ واحد من جميع جهاته مائة ذراع بالملكى أيضا . وكان ابتداء بنائها فى طالع سعيد ؛ فلمّا فرغ منها كساها ديباجا ملوّنا من فوق إلى أسفل ، وجعل لها عيداً حضره أهلُ مملكته كلِّها ، ثم عمل فى الهرم الغربىّ ثلاثين مخزنا مملوءة بالأموال الجمّة ، والآلات ، والتماثيل المعمولة من الجواهر النفيسة ، وآلات الحديد الفاخر ، والسلاح الّذى مايصدأ ، والزجاج الذى ينطوى ولا ينكسر ، والطلّسمات الغريبة ، وأصناف العقاقير المفردة والمؤلّفة ، والسموم القاتلة ، وغير ذلك . وعمل فى الهرم الشرقىّ أصناف القباب الفلكيّة والكواكب ، وما عمل أجداده من التماثيل والدُّخَن التى يتقرّب بها إليها ومصاحفها ، وجعل فى الهرم الملوّن أخبار الكهنة فى توابيت من صوّان أسود ، مع كلّ كاهن مصحفه . وفيها عجائب صنعته وحكمته وسيرته ، وما عمل فى وقته وما كان وما يكون من أول الزمان إلى آخره ، وجعل لكلّ هرم خازناً ، فخازن الهرم الغربىّ من حجر صوّان واقف ، ومعه شبه الحربة ، وعلى رأسه حيّة مطوّقة،

مَنْ قرب منه وثبت إليه من ناحية قصده،وطوّقت على عنقه فتقتله ، ثم تعود إلى مكانها. وجعل خازن الهرم الشرقىّ صنما من جَزْع أسود ، وله عينان مفتوحتان برّاقتان ، وهو جالس على كرسىّ ، ومعه شبه حربة، إذا نظر إليه ناظرٌ سمع من جهته صوتا يفزع قلبه ، فيخرّ على وجهه ، ولا يبرح حتى يموت ، وجعل خازن الهرم الملوّن صنماً من حجر البَهْت[1] على قاعدة ، من نظر إليه اجتذبه الصنم حتى يلتصق به ، ولا يفارقه حتى يموت .

وذكر القِبْط فى كتبهم أن عليها كتابة منقوشة تفسيرها بالعربية :« أنا سوريد الملك، بنيت الأهرام فى وقت كذا وكذا ، وأتممت بناءها فى ست سنين ، فمن أتى بعدى ، وزعم أنه مثلى فليهدمها فى ستمائة سنة ، وقد علم أنّ الهدم أيسرُ من البناء ، وإنى كسوتها عند فراغها بالدّيباج ، فليكسُها بالحصْرِ » .

ولمّا دخل الخليفة المأمون مصر ، ورأى الأهرام ، أحبّ أن يعلم مافيها ، فأراد فتحها ، فقيل له : إنك لا تقدر على ذلك ، فقال : لا بدّ من فتح شىء منها ، ففُتحت له الثلمة المفتوحة الآن بنارٍ توقد وخلّ يرشّ وحدادين يحدّون الحديد ويحمونه ، ومناجيق يرمى بها . وأنفق عليها مالًا عظيما حتى انفتحت، فوجد عرض الحائط عشرين ذراعا ؛ فلمّا انتهوْا إلى آخر الحائط ، وجدوا خلف النقب مطمرة من زَبَرْجد أخضر ، فيها ألف دينار ، وزن كل دينار أوقيّة من أواقينا ؛ فتعجّبوا من ذلك ، ولم يعرفوا معناه . فقال المأمون : ارفعوا إلىّ حساب ما أنفقتم على فتحها ، فرفعوه ؛ فإذا هو قدر الذى وجدوه ، لا يزيد ولا ينقص ، ووجدوا داخلَه بئرا مربّعة ، فى تربيعها أربعة أبواب ، يُفضِى كلُّ باب منها إلى بيت فيه أموات بأكفانهم ، ووجدوا فى رأس الهرم بيتاً فيه حوض من الصخر ، وفيه صنم كالآدمىّ من الدَّهْنج[2] ، وفى وسطه إنسان عليه

(١) البهت : نوع من الأحجار .

(٢) الدهنج : جوهر كالزمرد .

دِرْع من ذهب مرصّع بالجواهر ، وعلى صدره سيف لا قيمة له ، وعند رأسه حجر ياقوت كالبيضة ، ضوءه كضوء النّهار ، عليه كتابة بقلم الطّير ، لا يعلم أحد فى الدنيا ماهى . ولمّا فتحه المأمون ، أقام الناس سنين يدخلونه وينزلون من الزّلاقة التى فيه ، فمنهم من يسلَم ، ومنهم من يموت .

وقال صاحب المرآة : من عجائب مصر الهرمان ، سُمْك كلّ واحد خمسمائة ذراع فى ارتفاع مثلها ، كلّما ارتفع البناء دق رأسهما حتى يصير مثـل مفرش حصير ، وهما من المرمر ، وعليهما جميع الأقلام السّبعة: اليونانيـة ، والعبرانيّـة ، والسّريانيـة ، والسّنديّة ، والحِمْيريّة ، والرُّوميّـة ، والفارسيّـة قال : وحكى جدّى عن ابن المناوى ، أنّه قال : حسبوا خراج الدنيا مرارا فلم يفِ بهدمها .

قال صاحب المرآة : هذا وهم ؛ فإنّ صلاح الدين يوسف بن أيوب أمرَ بأنْ يؤخذ منها حجارة يبنى بها قنطرة وجسرا ، فهدموا منها شيئاً كثيرا .

قال : وحكى لى مَنْ دخل الهرم المفتوح ، أنّه وجد فيه قبرا ، وأن فيه مهالك ،وربما خرج الإنسان فى سراديب إلى الفيّوم . قال : والظاهر أنّها قبور ملوك الأوائل ، وعليها أسماؤهم وأسرار الفلك والسحر وغـير ذلك . قال : واختلفوا فيمن بنى الأهرام ، فقيـل : يوسف ، وقيل : نمرود ، وقيل : دَلُوكة الملـكة ، وقيـل : بناها القِبط قبل الطوفان ، وكانوا يرون أنّهـا مأمن ، فنقلوا أموالَهم وذخائرهم إليها ، فما أغنى عنهم شيئاً .

وحكى بعضُ شيوخ مصر أنّ بعض من يعرف لسان اليونان ، حلّ بعض الأقلام التى عليها ، فإذا هى : « بنَى هذا الهرمان ، والنّسر الواقع فى السَّرَطان » . قال : ومن ذلك الوقت إلى زمان نبينا محمد صلى الله عليـه وسلم ستة وثلاثون ألف سنة . وقيل :

اثنان وسبعون ألفا ، وقيل : إن القلم الذى عليها تاريخه قبل بناء مصر بأربعة آلاف سنة ولا يعرفه أحد .

قال : ولما ملك أحمد بن طولون مصرَ ، حفر على أبواب الأهرام فوجدوا فى الحفر قطعة مرجان مكتوبا عليها سطورا باليونانى ، فأحضر مَنْ يعرف ذلك القلم ، فإذا هى أبيات شعر ، فتُرجمت فكان فيها :

أنا مَنْ بنَى الأهرامَ فى مصر كلِّها ... ومالكها قِدْماً بهـا والمقدّمُ
تركتُ بها آثار عِلْمِى وحكمتى ... على الدّهر لا تبلَى ولا تتَثلَّمُ
وفيها كُنوز جمّـةٌ وعجائب ... وللدّهْرِ لين مَرّةً وتهجُّمُ
وفيها عُلومى كلّها غـير أنّنى ... أرى قبل هـذا أنْ أموتَ فتعلمُ
ستفتح أقفـالى ، وتبـدُو عجائبى ... وَفِى ليلةٍ فى آخر الدهر تنجمُ
ثمانٍ وتسعٌ واثنتان وأربع ... وسبعون من بعد المئين فتسلمُ
ومن بَعْدِ هذا جزء تسعين برهةً ... وتلقى البرابى صخرها وتهـدّمُ
تدبرْ فَعالى فى صخورٍ قطعتُها ... ستبقى ، وأفنى قبلهـا ثم تُعْدَمُ

فجمع أحمد بن طولون الحكماء ، وأمرهم بحساب هذه المدّة ، فلم يقدروا على تحقيق ذلك ، فيئس من فتحها .

* * *

قال صاحب مباهج الفكر : ومن المبانى الّتى يبلى الزمان ولا تبلَى ، وتدرس معالمه وأخبارها لا تدرس ولا تبلَى ، الأهرام الّتى بأعمال مصر ، وهى أهرام كثيرة ، أعظمها الهرمان اللّذان بجيزة مصر ، ويقال : إن بانيهما سوريد بن سلهوق بن شرياق ، [بناها][1] قبل الطوفان لرؤيا رآها ، فقصّها على الكهنة ، فنظروا فيما تدلّ عليه الكواكب النيرة من أحداث تحدثُ فى العالم ، وأقاموا مراكزها فى وقت المسيلة فدلّت على أنها

(١) ساقطة من الأصل ، وهى فى ح ، ط .

نازلة من السّماء ، تحيط بوجه الأرض ، فأمر حينئذ ببناء البرابى والأهرام العظام ، وصوّر فيها صور الكواكب ودرجها وما لها من الأعمال وأسرار الطبائع ، والنواميس وعمل الصنعة . ويقال : إنّ هرمس المثلث الموصوف بالحكمة — وهو الذى تسمّيه العبرانيون أخنوخ ، وهو إدريس عليه الصلاة والسلام — استدلّ من أحوال الكواكب على كون الطوفان يوجد ، فأمر ببناء الأهرام وإيداعها الأموال وصحائف العلوم وما يخاف عليه من الذهاب والدُّثور ، كلّ هرم منها مربّع القاعدة مخروط الشكل ، ارتفاع عموده ثلاثمائة ذراع وسبعة عشر ذراعا ، يحيط به أربعة سطوح متساويات الأضلاع؛ كلّ ضلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراعا ، ويرتفع إلى أن يكون سطحه مقدار ستة أذرع فى مثلها . ويقال إنه كان عليه حجر شبه المكبّة ، فرمته الرياح العواصف وهو مع هذا العِظَم؛ من إحكام الصنعة ؛ وإتقان الهندسة، وحسن التقدير ؛ بحيث أنه لم يتأثّر الآن بعصف الرياح، وهطل السحاب ، وزعزعة الزلازل ؛ وهذا البناء ليس بين حجارته ملاط إلاّ ما يتخيّل أنه ثوب أبيض ، فرش بين حجرين ، أو ورقة ، ولا يتخلل بينهما الشعرة ، وطول الحجر منها خمسة أذرع فى سمك ذراعين . ويقال : إن بانيهما جعل لهما أبوابا على أدراج مبنيّة بالحجارة فى الأرض ؛ طول كلّ حجر منها عشرون ذراعا ، وكلّ باب من حجر واحد يدور بلولب ، إذا أطبق لم يعلم أنه باب، يدخل من كل باب منها إلى سبعة بيوت، كلّ بيت على اسم كوكب من الكواكب السبعة ، وكلّها مقفلة بأقفال ، وحذاء كلّ بيت صنم من ذهب مجوّف ، إحدى يديه على فيه ، فى جبهته كتابة بالمسند ، إذا قرئت انفتح فوه ، فيؤخذ منه مفتاح ذلك القفل فيفتح به .

والقبْط تزعم أنّهما والهرم الصغير الملوّن قبور ، فالهرم الشرقىّ فيه سوريد الملك ، وفى الهرم الغربىّ أخوه هرجيب ، والهرم الملوّن فيه أفريبون[1] ابن هرجيب .

والصّائبة تزعم أنّ أحدهما قبر شيث ، والآخر قبر هرمس ، والملوّن قبر صاب

(١) ط : « أفريدون » .

ابن هرمس ؛ وإليه تنسب الصابئة ، وهم يحجّون إليها ، ويذبحون عندها الديكة والعجول السود ، ويبخرون بدخن . ولما فتحه المأمون ، فتح إلى زلاقة ضيّقة من الحجر الصوّان الأسود الذى لا يعمل فيه الحديد ، بين حاجزين ملتصقين بالحائط ، قد نقر فى الزلاقة حفر يتمسّك الصاعد بتلك الحفر ، ويستعين بهـا على المشى فى الزلاقة لئلا يزلق ، وأسفل الزلاقة بئر عظيمة بعيدة القعر . ويقال : إن أسفل البئر أبواب يدخل منها إلى مواضع كثيرة ، وبيوت مخادع وعجائب ، وانتهت بهم الزلاقة إلى موضع مربّع فى وسطه حوض من حجر جلد مغطى ، فلمّا كشف عنه غطاؤه لم يوجد فيه إلّا رِمّة بالية .

***

وقال ابن فضل الله فى المسالك[1] : قد أكثر الناس القول فى سبب بناء الأهرام ؛ فقيل : با كل الـكواكب ، وقيل : قبور ومستودع مال وكتب ، وقيل : ملجأ من الطوفان . ـ : وهو أبعد ماقيل فيها ؛ لأنها ليست شبيهة بالمساكن .

قال : وقد كانت الصائبة تأتى فيحجّ الواحد ويزور الآخر ، ولا تبلغ فيه مبلغ الأول التعظيم .

قال : وأما أبو الهول[2] فهو صنم بقرب الهرم الـكبير[2] فى وهدة منخفضة[3] ، وعنقه ، ه شىء برأس راهب حبشىّ ، على وجهه صباغ أحمر ، لم يَحُلْ على طول الأزمان ؛ ، إنه طلّسم يمنع الرمل عن المزارع . قال : وسجن يوسف شمالى الأهرام على بُعْد منه ـيل خرجة من جبل فى طرف الحاجر .

***

(1) مسالك الأبصار ١ : ٢٣٥ ، ٢٣٦

(٢ ـ ٢) مسالك : الأبصار : « وهو اسم لصنم يقارب الهرم الـكبير » .

(3) بعدها فى مسالك الأبصار : « تقع دونه شرقا بغرب ، لا يبين من فوق سطح الأرض إلا رأس لصنم » .

قال صاحب مباهج الفكر : وبدهشور من أعمال الجيزة أهرام بناها شدّاد بن عديم ابن البرشير بن قفطيم بن مصر بن مصرايم بانى مصر .

وقال بعضهم : ذكر عبد الله بن سراقة أنه لما نزلت العماليق مصر حين أخرجتها جُرهم من مكّة ، نزلت مصر ، فبنت الأهرام واتّخذت بها المصانع ، وبنت بها العجائب ؛ فلم تزل بمصر حتى أخرجها مالك بن ذعر الُخزاعىّ .

وقال سعيد بن عُفير : لم تزل مشايخ مصر يقولون : إنّ الأهرام بناها شداد ، وكانوا يقولون بالرجعة ؛ فكان أحدهم إذا مات دفن معه ماله كله ؛ وإن كان صانعا دُفنتْ معه آلته .

وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : كان من وراء الأهرام إلى الغرب أربعمائة مدينة من مصر إلى الغرب فى غربّى الأهرام .

* * *

وقال ابن المتوّج[٢] فى كتابه من عجائب مصر : ما بجانبها الغربى من البنيان المعروف بالأهرام وعددها ثمانية عشر هرما ؛ منها ثلاثة بالجيزة مقابل الفسطاط . ولما فتح المأمونُ أحدَها انتهى إلى حوض مغطى ، بلوح من رخام مملوء من ذهب ، واللوح مكتوب فيه أسطر ، فطلب من يقرؤها ، فإذا فيه : « إنّا عمرنا هذا الهرم فى ألف يوم ، وأبحنا لمن يهدمه فى ألفى يوم ؛ والهدم أسهل من العمارة ، وجعلنا فى كلّ جهة من جهاته من المال بقدر

---

(١) مسالك الأبصار ١ : ٢٣٧ ، ٢٣٨ ؛ مع تصرف واختصار .

(٢) هو محمد بن عبد الوهاب بن المتوج بن صالح الزبيرى، تاج الدين ، وصاحب كتاب : « اتعاظ المتعمل واتعاظ المتأمل » ، فى أحوال مصر وخططها . توفى سنة ٧٣٠ . الأعلام ٧ : ١٣٦

ما يصرف على الوصول إليه ، لا يزيد ولا ينقص » .

وعند مدينة فرعون يوسف هرم دوره ثلاثة آلاف ذراع ، وعلوّه سبعمائة ذراع

وعند مدينة فرعون أهرام آخر أحدها يعرف بهرم ميدوم ؛ كأنه جبل ، وهو خمس طبقات ، والطبقة العليا كأنها قلعة على جبل .

* * *

وقال الزمخشريّ : الهرمان بالجيزة على فرسخين من الفُسْطاط ، كلّ واحد أربعمائة ذراع عرضا ، والأساس زائد على جريب[1] مبنيّ بالحجارة المرمر ، وهي منقولة من مسافة أربعين فرسخا ، من موضع يعرف بذات الحمام ، فوق الإسكندرية ، ولا يزالان ينخرطان في الهويّ حتى يرجع مقداره إلى مقدار خمسة أشبار في خمسة ، وليس على وجه الأرض بناء أرفع منهما مقمنقور فيها بالمسند سحر وطلّسم وطبّ ، وفيه : « إني بنيتهما ، فمن ادّعى قوّة في ملكه فليهدمهما ، فإنّ خراج الأرض لا يفي بهدمها » .

وقالوا : لا يعرَف من بناها .

* * *

وقال المسعوديّ : طول كلّ واحد وعرضه أربعمائة ذراع ، وأساسهما في الأرض مثل طولهما في العلوّ ، وكلّ هرم منها سبعة بيوت ، على عدد السبع الكواكب السيارة ، كلّ بيت منها باسم كوكب ورسمه ، وجعل في جانب كلّ بيت منها صنم من ذهب مجوّف ، وإحدى يديه موضوعة على فيه ، في جبهته كتابة كاهنيّة ، إذا قرئت فتح فاه ، وخرج من فيه مفتاح ذلك القفل ، ولتلك الأصنام قوانين وبخورات ، ولها أرواح موكلّة بها ، مسخّرة لحفظ تلك البيوت والأصنام ، وما فيها من التماثيل والعلوم والعجائب

---

(١) الجريب . الوادي .

والجواهر و لأموال ، وكلّ هرم فيه ملك وطاوس من الحجارة مطبّق عليه ، ومعه صحيفة فيها اسمه وحكمته، مطلسم عليه لا يصل إليه أحدٌ إلا فى الوقت المحدود .

وذكر بعضهم أن فيها مجارى الماء يجرى فيها النيل ، وأن فيها مطامير تسع من الماء بقدْرِها ، وأنّ فيها مكاناً ينفذ إلى صحراء الفيوم وهى مسيرة يومين[1] .

ودخل جماعة فى أيام أحمد بن طولون الهرم الكبير ، فوجدوا فى أحد بيوته جاماً من زجاج غريب اللون والتكوين ، فحين خرجوا فقدوا منهم واحدا ، فدخلوا فى طلبه فخرج إليهم عرياناً وهو يضحك ، وقال : لا تتعبوا فى طلبى . ورجع هارباً إلى داخل الهرم ، فعلموا أنّ الجنّ استهوته ، وشاع أمرهم ، فبلغ ذلك ابن طولون ، فمنع الناس من الدخول وأخذ منهم الجام ، فملأه ماء ، ووزنه ثم صبّ ذلك الماء ووزنه ؛ فكان وزنه ملآناً كوزنه وهو فارغ .

وقيل : إنّ الرّوحانى الموكّل بالهرم البحرىّ فى صفة امرأة عريانة مكشوفة الفرْج ، ولها ذوائب إلى الأرض ، وقد رآها جماعة تدور حول الهرم وقت القيلولة ، والموكّل بالهرم الذى إلى جانبه فى صورة غلام أصفر أمرد عُريان ، وقد رئِىَ بعد المغرب يدور حول الهرم ، والموكل بالثالث فى صورة شيخ فى يده مَبْخرة وعليه ثياب الرهبان ، وقد رئىَ يدور ليلا حول الهرم . حكى ذلك صاحب المرآة .

وقال القاضى الفاضل : الهرمان فرقدا الأرض ، وكلّ شىء يخشى عليه من الدهر إلا الهرمان ؛ فإنه يُخشى على الدهر منهما .

(١) انظر مروج الذهب ١ : ٣٥٠ .

ذكر ماقيل فى الهرمين اللذين فى الجيزة من الأشعار

قال المتنبي :

أَيْنَ ٱلَّذِى ٱلْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ ... مَا قومُه ؟ مايومه ؟ ماالمصرعُ ؟[1]

تتخلّف الآثار عن سُكّانها ... حيناً ، ويُدْرِكُها الفناء فتتبعُ

وقال أبو الفضل أمية بن عبد العزيز [الأندلسىّ][2] :

بِعيشكَ هَلْ أبصرْتَ أحسن مَنْظَراً ... عَلَى مارأتْ عيناكَ من هرَمَىْ مِصْرِ[3]

أَنَافَا بأعْنَانِ ٱلسَّماءِ وَأَشْرَفا ... عَلَى ٱلجوّ إشراف السِّماكِ أَو النَّسْرِ

وَقَدْ وافيا نَشْزاً من الأرض عَالياً ... كأنّهما نَهْدَانِ قَامَا عَلَى صَدْرِ

وقال الفقيه عمارة اليمنى الشاعر :

خَليلىّ ماتحْتَ السَّماءِ بَنِيَّةٌ ... تُمَاثِلُ فِي إتقانِها هرَمَىْ مِصْرِ[4]

بناءٌ يخاف الدَّهرُ منه ، وَكُلُّ ما ... عَلَى ظَاهِرِ الدُّنْيَا يخافُ من ٱلدَّهْرِ

تنزّه طَرْفِى فِي بَدِيعِ بِنَائِهَا ... ولم يتنزَّهْ فى المُرادِ بها فكرِى

وقال آخر :

أَنْظُرْ إلى ٱلهَرَمَيْنِ إذْ بَرَزَا ... لِلعَيْنِ فى عُلْوٍ وفى صُعُدِ[5]

وكأنّما ٱلأَرْضُ العريضة إذْ ... ظَمِئَتْ لفرْطِ ٱلحرّ وَٱلوَمَدِ[6]

---

(١) ديوانه ٢ : ٢٧١ . (٢) من نهاية الأرب .

(٣) بدائع البدائه ١٣٦ ، المقريزى ١ : ١٩١ ، مسالك الأبصار ١ : ٢٣٧ ، نهاية الأرب ١ : ٣٩١

(٤) المقريزى ١ : ١٩٥ ، نهاية الأرب ١ : ٣٩٠ .

(٥) المقريزى ١ : ١٩٥ ، ١٩٦ ، ونهاية الأرب ١ : ٣٩١

(٦) الومد : الحر الشديد .

حسرتْ عن الثَّدْيَينِ بارزةً ... تدعُو الإله لِفُرْقَـــةِ الولَدِ
فأجابهـا بالنّيل يوسعهـــا ... ريًّا ويشفيهـا من الـــكَمَد

وقال ظافر الحداد:

تأمَّل هَيْئةَ الهرَمَيْن وانظُرْ ... وَبَيْنَهُمَا أبو الهول العجيبُ[1]
كعُمَّارِ بِيتَنَ على رَحيـــل ... لمحبـــوبين بينهمـا رَقيبُ
وماء النيـــل بينهمـــادموعٌ ... وصوت الرِّيح عنـدهما نحيبُ
ودُونهُمـــا المقطَّم وهو يَحْكى ... ركاب الرَّكب أبركها اللُّغوبُ
وظاهر سجن يوسف مثل صَبٍّ ... تخلَّفَ وهو محـــزون كئيبُ

وقال ابن الساعاتى:

وَمِنَ العجائب، والعجائبُ جَمَّةٌ ... دقَّتْ عن الإكثارِ والإسْهابِ[2]
هرمان قد هَرِمَ الزمان وأدبَرَتْ ... أيامهُ، وتزيد حسن شبـــابِ
لله أى بنيَّةٍ أزليّـــــةٍ ... تبغى السَّماء بأطولِ الأسبـــابِ
وكأنَّمـا وقفت وقوفَ تبـــلُّدٍ ... أسفاً على الأيَّام والأحقـابِ
كتمتْ على الأسماع فصلَ خطابها ... وَغَدَتْ تشـيرُ به إلى الألبـابِ

وقال سيف الدين بن حبارة:

لله أىّ غريبـــةٍ وعجيبـــةٍ ... فى صَنْعَةِ الأهرام للألبابِ[3]
أخفتْ عن الأسماع قصّة أهلِها ... ونَضَتْ عن الإبداع كلَّ نقابِ[4]
فكأنّما هى كالخيام مُقامةٌ ... من غـيرِ ما عُمُدٍ ولا أطنـاب

---

(١) بدائع البداءه ١٣٦ .
(٢) نهاية الأرب ١ : ٣٩١
(٣) المقريزى ١ : ١٩٦ ، نهاية الأرب ١ : ٣٩٢
(٤) ورد البيت محرفا فى الأصول وتصويبه من نهاية الأرب والمقريزى .

وقال بعضهم :

تبيَّنْ أن صـدر الأرض مصْرٌ ونَهْدَاها من الْهرَمَيْن شاهِـــدْ
فواعجبـاً وقد ولدتْ كثيراً على هَرَمٍ ، وذاكَ النَّهدُ نَاهِـدْ

ولمّا عدّى القاضى شهاب الدين[1] بن فضل الله إلى الأهرام ، كتب إلى الأمير الجائى الداوادار ، وذلك سنة تسعة وعشرين وسبعمائة ، قال :

لىَ البشَارَةُ إذْ أمسيتُ جارَكمُ فى أرْض مِصر بأنّى غيرُ مهتضَمِ
حفظتمو لى شبابى فى ظلالـكمُ مع أنـكم قد وصلتم بى إلى الهرَم

ويقبّل الأرض ، ويحمد الله على أن شرح له فى ظل مولانا صدرا ، وأوجد النُّجح لأمانيه التى قيل لها اهبطى مصرا ؛ حتى أقرت بها منتهى الرِّحْلة ، واتّخذبها بيوتا جعل أبوابها من قصر مولانا إلى قبله . ويُنهى أنّه كان يستهول البحر أن يرْكبَ لُجَجَه ، أو أنْ يصعد فى أمواجه العالية دَرَجَه ، ثم ترك لما يقرّ به من خدمة مولانا الوجَل ، وأفكر فيما أحاط به من كرمه ، فقال : « أنا الْغريقُ فمـاَ خوْفى مِنَ البَلَل »[2] .

فركب حرّاقة لا يطفئ لهيبَها المـاء القَراح ، ولا تثبت منها العيون سوى ماتدرك من هفيف الرياح ، ثم أفضى إلى غُدْران تحُفّ بها رياض تملأ العين ، وتتحلّى منها بمـاء جمد عليه الزمرد وذاب اللجين ، وختم يومه بالنزول فى جيزة مولانا التى أمِن بها من النوَب ، وبلغتُ منها إلى هرمين ، عُلِم بهما أنّ هـذه الأيام الشريفة أعراسٌ وهما بعض ماتزينت به من اللعب .

ومن ذلك رسالة لضياء الدين بن الأثير فى وصف مصر :

---

(١) ح ، ط : « الفضل بن فضل الله » .
(٢) تضمين بيت للمتنبي ، صدره :

* والْهجْرُ أَقْتَلُ لِي مِمّا أراقِبُهُ *

ولقد شاهدت منها بلدا يشهدُ بفضله على البلاد ، ووجدته هو المصرَ وما عداه فهو السواد ، فما رآه راءٍ إلا ملأ عينه وصدره ، ولا وصفه واصف إلا علم أنه لم يقْدُرْهُ قدره. وبه من عجائب الآثار مالا يضبطها العِيان ، فضلا عن الإخبار ، من ذلك الهرمان اللذان هرِم الدهر وهما لا يهرَمان ، قد اختص كلّ منهما بعظم البناء ، وسعة الفناء ، وبلغ من الارتفاع غاية لا يبلغها الطيرُ على بعد تحليقه ، ولا يدركها الطّرْف على مدة تحديقه ؛ فإذا أضْرِم برأسه قبسٌ ظنّه المتأمل نجماً ، وإذا استدار عليه قوس السماء كان له سهماً[1] .

وقال صاحبنا الشهاب المنصوريّ :

إنْ جُزْتَ بالهرمين قُلْ كم فيهما ... من عِبرة للعاقل المتأمِّلِ

شَبَّهتُ كلاً منهما بمسافرٍ ... عرف المحلّ فبات دون المنزلِ

أو عاشقين وشى بوصلهما أبو الـ ... ـهوْل الرّقيب فخلّفاهُ بمعْزلِ

أو حائرينْ استهدَيا نجم السَّماَ ... فهدَا هُماَ بضيائه المتهلّل

أو ظامئيْن استسقيا صَوْبَ الحْيَا ... فسقاهما عذباً رويّ المنهلِ

يَفْنَى الزّمان وفى حشاه منهُماَ ... غيظُ الحسُودِ وضجرة المستثقِل

(١) نهاية الأرب ١ : ٣٩١

ذكر بناء الإسكندرية

أخرج ابنُ عبد الحكم فى فتوح مصر ، والبيهقىّ فى دلائل النبوّة ، عن عُقْبة بن عامر الجُهَنىّ رضى الله عنه ، قال : جاء رجالٌ من أهل الكتاب ، معهم كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئتم أخبرتُكم عمّا أردتم أن تسألونى قبل أن تتكلّموا ، وإن شئتم تكلّمتم وأخبرتكم ! قالوا : بل أخبرنا قبل أن نتكلّم ، قال : جئتم تسألوننى عن ذى القرنين ، وسأخبركم كما تجدونه مكتوبا عندكم ؛ إنّ أوّل أمره أنّه كان غلاما من الرّوم ، أُعْطِىَ مُلْكاً ، فسار حتى أتى ساحل البحر من أرض مصر ، فابتنى عنده مدينة يقال لها الإسكندرية ، فلما فرغ من بنائها أتاه ملكٌ ، فعرَج به حتى استقلّه فرفعه ، فقال : انظر ما تحتك ، قال : أرى مدينتى ، وأرى مدائن معها ، ثم عرَج به ، فقال : انظر ، فقال : قد اختلطت مع المدائن فلا أعرفها [1] . . . الحديث بطوله ؛ وقد أوردته فى التفسير المأثور فى سورة الكهف .

وأخرج ابنُ عبد الحكم ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : كان أوّل شأن الإسكندريّة أنّ فرعون اتّخذ بها مصانع ومجالس ، وكان أوّل مَنْ عمرها وبنى فيها ، فلم تزل على بنائه ومصانعه ، ثم تداولها الملوكُ ؛ ملوك مصر بعده ، فبنت دَلُوكة بنت زبّاء منارة الإسكندرية ومنارة بوقير بعد فرعون ، فلما ظهر سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام على الأرض اتّخذ بها مجلسا ، وبنى فيها مسجدا . ثم إنّ ذا القرنين مَلَكها ، فهدم ما كان فيها من بناء الملوك والفراعنة وغيرهم ، إلّا بناء سليمان بن داود ، لم يهدمه ولم

---

(١) فتوح مصر ٣٨ ، ٣٩

يغيّره ، وأصلح ما كان تخارب[1] منه ، وأقرّ المنارة على حالها . ثم بنى الإسكندريّة من أوّلها بناء يشبه بعضه بعضا ، ثم تداولتْها الملوك من الرّوم وغيرهم ؛ ليس من ملك إلا يكون له بناء يضعه بالإسكندريّة يعرف به ، وينسب إليه[2] .

قال ابنُ عبد الحكم : ويقال إنّ الذى بنى منارة الإسكندريّة قُلْبَطْرة الملكة ، وهى التى ساقت خليجَها حتى أدخلته الإسكندريّة ، ولم يكن يبلغها الماء . قال : ويقال إنّ الذى بنى الإسكندرية شداد بن عاد .

وقال ابنُ لَهيعة : بلغنى أنه وُجِد حجر بالإسكندريّة مكتوب فيه : «أنا شدّاد بن عاد، وأنا الذى نصب العماد ، وحيّد الأحياد[3] ، وسد بذراعيْه الواد ، بنيتها إذ لا شيبٌ ولا موت ، وإذا الحجارة لى فى اللّين[4] ، مثل الطين » . قال ابن لهيعة : والأحياد كالمغار[5] .

وأخرج ابنُ عبد الحكم عن تُبيع قال : إنّ فى الإسكندرية مساجد خمسة مقدسة : مسجد موسى عليه الصلاة والسلام عند المنارة ، ومسجد سليمان عليه الصلاة والسلام ، ومسجد ذى القرنين ، ومسجد الخضِر ؛ أحدها عند القيساريّة ، والآخر عند باب المدينة، ومسجد عمرو بن العاص الكبير[6] .

قال ابنُ عبد الحكم : وحدّثنا أبى ، قال : كانت الإسكندريّة ثلاث مدن بعضها إلى جنب بعض : [منّة][7] ؛ وهى موضع المنارة وماوالاها ، والإسكنديّة وهى موضع قصبة

(١) فتوح مصر : « رث » ، وفى ح ، ط : « خرب » .
(٢) فتوح مصر ٤٠ .
(٣) كذا فى فتوح مصر ، وفى الأصول : « جند الأحاد » .
(٤) ترعم العرب أنه كان هناك زمان ، كانت فيه الحجارة رطبة ، ويسمونه زمن الفطحل .
(٥) فتوح مصر ٤٠ ، ٤١ ، وفى ط : « والأحناد بلا عداد» ، وما أثبته من فتوح مصر .
(٦) فتوح مصر ٤٨ (٧) من فتوح مصر .

الإسكندرية اليوم ، ونَقِيطة [1] ؛ وكان على كلّ واحدة منهنّ سور ، وسور من خلف ذلك على الثلاث مدن؛ يحيط بهنّ جميعا [2] .

وأخرج ابنُ عبد الحكم عن عبد الله بن طريف الهَمْدانىّ ، قال : كان على الإسكندريّة سبعة حصون وسبعة خنادق [3] .

وأخرج عن خالد بن عبد الله وأبى [4] حمزة أنّ ذا القرنين لمّا بنَى الإسكندريّة رخّمها بالرُّخام الأبيض ؛ جدُرَها وأرضها ، فكان لباسَهم فيها السّواد والحُمْرة ؛ فمن قِبَل ذلك لبس الرهبان السّواد من نُصوع بياض الرّخام ، ولم يكونوا يُسْرِجُون فيها بالليل من بياض الرّخام ، وإذا كان القمر أدخل الرجل الذى يخيط بالليل فى ضوء القمر فى بياض الرّخام الخيط فى جِحْر الإبْرة [5] .

قال : وذكر بعض المشايخ : أنّ الإسكندريّة بُنيت ثلاثمائة سنة ، وسكنت ثلاثمائة سنة، وخربت ثلاثمائة سنة ؛ ولقد مكثتْ سبعين سنة مايدخلها أحدٌ إلّاوعلَى بصره خرقة سواد ؛ من بياض جصّها وبلاطها ، ولقد مكثتْ سبعين سنة مايستسرَج فيها [6] .

قال : وأخبَرنا ابنُ أبى مريم ،عن العطّاف بن خالد، قال : كانت الإسكندريّة بيضاء تضيء بالليل والنهار ، وكانوا إذا غربت الشمس لم يخرج أحدٌ منهم من بيته ، ومن خرج اختُطف ، وكان منهم راعٍ يرعى على شاطىء البحر ، وكان يخرج من البحر شيء فيأخذ من غنمه ، فكمن له الراعى فى موضع حتى خرج ؛ فإذا جارية ، فتشبّث بها ، فذهب بها إلى منزله فأنست بهم ، فرأتهم لا يخرجون بعد غروب الشمس ، فسألتهم ، فقالوا : مَنْ خرج منّا اختُطِف ، فهيّأت لهم الطّلّسمات بمصر فى الإسكندرية .

---

(١) ط : «ولقيطة» .

(٢) فتوح مصر ٤٢

(٣) فتوح مصر ٤٢

(٤) ط : «ابن حمزة» .

(٥) فتوح مصر ٤٢

(٦) فتوح مصر ٤٣

وأخرج عن عطاء الخراسانى ، قال : كان الرّخام قد سخر لهم حتى يكون من بكرة إلى نصف النهار بمنزلة العجين، فإذا انتصف النهار اشتدّ [١] .

وأخرج عن هشام بن سعد المدينى ، قال : وُجد بالإسكندريّة حجر مكتوب فيه مثل حديث ابن لهيعة سواء ؛ وزاد فيه : « وكنزت فى البحر كنزا على اثنى عشر ذراعا لن يخرجه أحد حتى تخرجه أمّة محمد صلى الله عليه وسلم » [١] .

* * *

وقال التّيفاشىّ فى كتاب سرور النفس بمدارك الحواس الخمس : كانت الإسكندريّة تسمّى قبل الإسكندر رفودة ، وبذلك تعرفُها القِبْط فى كتبهم القديمة .

* * *

قال ابنُ عبد الحكم : وحدّثنا عبد الله بن صالح ، عن الليث بن سعد ، قال : كانت بحيرة الإسكندرية كَرْماً كلّها لامرأةِ المقوقس ؛ فكانت تأخذ خراجَها منهم الخمْر بفريضة عليهم ، وكثُر الخمْر عليها حتى ضاقت به ذرعا ، فقالت : لا حاجة لى فى الخمْر ؛ أعطونى دنانير ، فقالوا : ليس عندنا ، فأرسلت عليهم الماء فغرّقتها ، فصارت بحيرة يُصاد فيها الحيتان حتى استخرجها بنو العباس ، فسدُّوا جسورَها وزَرعوا فيها [٢] .

* * *

وقال صاحب المرآة : من عجائب مصر عمود السوارى بالإسكندريّة ، وليس فى الدنيا مثله ، وقد شاهدته ؛ ويقال إن أخاه بأسوان .

* * *

قال ابن فضل الله فى المسالك : بظاهر الإسكندرية عمود السوارى ، عمود

---

(١) فتوح مصر ٤٣ (٢) فتوح مصر ٧

مرتفع فى الهواء تحته قاعدة ، وفوقه قاعدة ، يقال : إنه لا نظير له فى العُمُد فى علوّه ولا فى استدارته .

قلت : قد رأيت هـذا العمود لمّا دخلت الإسكندرية فى رحلتى ، ودَوْر قاعدته ثمانية وثمانون شبرا ؛ ومن المتواتر عن أهل الإسكندريّة أنّ من حاذاه عن قرب ، وغمّض عينيه ثم قصده لا يصيبه بل يميل عنه . وذكروا أنه لم تحصل إصابته لأحدٍ قطّ مع كثرة تحرّيهم ذلك ؛ وقد جرّبت ذلك مرارا فلم أقدر أن أصيبه .

وذكر بعض فضلاء الإسكندرية أنّها كانت أربعة أعمدة على هـذا النَّمَط ، وكان عليها قُبّـة يجلس عليها أرسطو صاحب الرّصد . وفى هذا العمود يقول الشاعر :

نَزِيلُ سَكندريَّةٍ ليس يُقْرَى سوى بالماء أو عُمُد السَّوارِى
وإن تطلب هنالك حرف خبزٍ فلم يوجـدْ لذاك الحرف قارِى

وأخرج ابن عساكر فى تاريخه ، عن أسامة بن زيد التَّنُوخىّ ، قال : كان بالإسكندريّة صنم من نحاس ، يقال له شراحيل . على خشفةٍ من خشف البحر ، وكان مستقبلا بإصبعه القسطنطينيّـة ، لا يدرى أكان ممّا عمله سليمان أو الإسكندر ؛ فكانت الحيتان تجتمع عنده ، وتدور حوله فتصاد ، فكتب أسامة إلى الوليد بن عبد الملك ابن مروان يخبره بخبر الصَّنَم ، ويقول : الفلوس عنـدنا قليلة ، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن نقطع الصنم ونضربه فلوساً . فأرسل إليـه الوليد رجالًا أُمَنَاً ، فأنزلوا الصنم فوجـدوا عينيه ياقوتتين حمراوين ، ليس لهما قيمة ، فذهبت الحيتـان ولم تَعُدْ إلى ذلك الموضع .

ذكر منارة الإسكندرية وبقية عجائبها

قال صاحب مباهج الفِكَر : من عجائب المبانى بأرض مصر منارةُ الإسكندريّة ، وهى مبنيّة بحجارة مهندمة مُضَبَّبة بالرّصاص ، على قناطر من زجاج ، والقناطر على ظهر سَرَطان من نحاس ، وفيها نحو ثلاثمائة بيت ، بعضها فوق بعض ، تصعد الدابّة بحِمْلها إلى سائر البيوت من داخلها ، وللبيوت طاقات تنظر إلى البحر .

واختلف أهلُ التاريخ فيمن بناها ؛ فقيل : إنها من بناء الإسكندر ، وقيل : من بناء دَلُوكَة الملكة . ويقال: إن طولها كان ألفَ ذراع ، وكان فى أعلاها(١) تماثيل من نُحاس ، منها تمثال قد أشار بسبّابة يده اليمنى نحو الشمس أينما كانت من الفلك ، يدور معها حيثما دارت . ومنها تمثال وجهه إلى البحر ، متى(٢) صار العدوّ منهم على نحو من ليلة سُمِع له صوت هائل ، يعلم به أهل المدينة طروق العدوّ . ومنها تمثال كلّما مضى من الليل ساعة صوّت صوتا مطرّبا ، وكان بأعلاه مرآة ترى منها قسطنطينيّة ، وبينهما عرض البحر ، فكلّما جهز الروم جيشا رُئِىَ فى المرآة .

وحكى المسعودىّ أن هذه المنارة كانت فى وسط الإسكندريّة ، وأنها تعدّ من بنيان العالم العجيب ، بناها بعض ملوك اليونان ، يقال إنه الإسكندر ، لما كان بينهم وبين الروم من الحروب ، فجعلوا هذه المنارة مرقباً ، وجعلوا فيها مرآة من الأحجار المشففة ، تُشاهد فيها مراكب البحر إذا أقبلت من رومية على مسافة تعجز الأبصار عن إدراكها ، ولم تزل كذلك إلى أن ملكها المسلمون ، فاحتال ملك الروم لمّا انتفع بها المسلمون فى ذلك على الوليد بن عبد الملك ، بأن أنفذ أحد خواصّه ، ومعه جماعة إلى بعض ثغور

(١) ح ، ط : « أعلاه » .

(٢) ح ، ط : « إذا » .

الشام ؛ على أنه راغب فى الإسلام ، فوصل إلى الوليد ، وأظهر الإسلام ، وأخرج كنوزا ودفائن كانت بالشام ؛ مما حمل الوليد على أن صدّقه على أن تحت المنارة أموالا ودفائن وأسلحة ، دفنها الإسكندر . فجهزه مع جماعة من ثقاته إلى الإسكندرية ، فهدم ثلث المنارة ، وأزال المرآة ، ثم فطن الناس [إلى] أنها مكيدة ، فاستشعر ذلك ، فهرب فى مركب كانت معدّة له ، ثم بنى ما تهدم بالجص والآجرّ .

قال المسعودىّ : وطول المنارة فى وقتنا هذا ــ وهو سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ــ وثلاثون ذراعا ، وكان طولها قديما نحو أربعمائة ذراع ، وبناؤها فى عصرنا ثلاثة أشكال ، فقريب من الثلث مربع [مبنى][1] بالحجارة ، ثم بعد ذلك بناء مثمن الشكل مبنىّ بالآجر ومائتان والجصّ نحو ستين ذراعا ، وأعلاها مدوّر الشكل[2] .

قال صاحب مباهج الفكر : وكان أحمد بن طولون بنَى فى أعلاها قبّة من خشب ، فهدمتها الرياح ، فبُنى مكانها مسجد فى أيام الملك الكامل صاحب مصر . ثم إن وجهها البحرىّ تداعَى ، وكذلك الرصيف الذى بين يديها من جهة البحر ، وكادا ينهدمان ؛ وذلك أيام الملك الظّاهر ركن الدين بيبرس ، فرمّه[3] وأصلحه . انتهى

وذكر ابنُ فضل الله فى مسالكه أنّ هذه المنارة قد خربت وبقيت أثراً بلاعين ، وكان هذا وقع فى أيام قلاوون أو ولده .

وقال ابن المتوّج فى كتاب إيقاظ المتغفل : من العجائب منارة الإسكندرية التى بناها ذو القرنين ، كان طولها أكثر من ثلاثمائة ذراع ، مبنيّة بالحجر المنحوت ، مربّعة الأسفل ، وفوق المنارة المربّعة منارة مثمنة مبنيّة بالآجرّ ، وفوق المنارة المثمنة منارة

---

(١) من ط .

(٢) انظر مروج الذهب ١ : ٣٧٥ ــ ٣٧٦ فى الكلام على منارة الإسكندرية؛ ويختلف ما نقله المؤلف هنا عما فى هناك اختلافا كثيرا . وانظر نهاية الأرب ١ : ٣٥٧ .

(٣) كذا فى ح ، ط ، وفى الأصل : « ورم » .

مدوّرة وكانت كلها مبنيةً بالصخر المنحوت على أكثر من مائتى ذراع ، وكان عليها مرآة من الحديد الصينىّ ، عرضها سبعة أذرع ، كانوا يرون فيها جميع من يخرج من البحر من جميع بلاد الروم ، فإن كانوا أعداء تركوهم حتى يقربُوا من الإسكندريّة ، فإذا قربوا منها ومالت الشمس للغروب أداروا المرآة مقابلة الشمس ، فاستقبلوا بها السفن ، حتى يقع شعَاع الشمس فى ضوء المرآة على السفن ، فتحرق السفن فى البحر عن آخرها ، ويهلك كلُّ مَنْ فيها . وكانوا يؤدُّون الخراج ليأمنوا بذلك من إحراق المرآة لسفنهم ، فلمّا فتح عمرو بن العاص الإسكندريّة احتالت الروم بأن بعثت جماعة من القِسّيسين المستعربين[1] ، وأظهروا أنّهم مسلمون ، وأخرجوا كتاباً زعموا أن ذخائر ذى القرنين فى جوف المنارة ، فصدّقتهم العرب لقلّة معرفتهم بحِيَل الروم ، وعدم معرفتهم بمنفعة تلك المرآة والمنارة ، وتخيّلوا أنهم إذا أخذوا الذخائر والأموال أعادوا المرآة والمنارة كما كانت ، فهدموا مقدار ثلثى المنارة ، فلم يجدوا فيها شيئا ،وهرب أولئك القسّيسون ، فعلموا حينئذ أنها خديعة ، فبنوْها بالآجرّ ، ولم يقدروا أن يرفعوا إليها تلك الحجارة ، فلما أتمُّوها نصبوا عليها تلك المرآة كما كانت ، فصدئت ولم يروْا فيها شيئاً ، وبطل إحراقها . والنصف الأسفل الذى من عمل ذى القرنين ، يدخل الآن من الباب الذى للمنارة ، وهو مرتفع من الأرض مقدار عشرين ذراعا ، يُصعَد إليه على قناطر مبنية بالصخر المنحوت ، فإذا دخل من باب المنارة يجد على يمينه بابا ، فيدخل منه إلى مجلس كبير عشرين ذراعا مربعا ، يدخل فيه الضوء من جانبى المرآة ، ثم يجد بيتا آخر مثلها ، ثم مجلسا ثالثا ، ومجلسا رابعا كذلك .

قال : وقد عملت الجنّ لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فى الإسكندية مجلسا من أعمدة الرخام الملون المجزّع كالجزْع اليمانىّ ، المصقول كالمرآة ، إذا نظر الإنسان إليها يرى مَنْ يمشى خلفه لصفائها . وكان عدد الأعمدة ثلاثمائة عمود ، وكلّ عمود

(١) فى الأصل : « المستعربة » .

ثلاثون ذراعا ، وفى وسط المجلس عمود طوله مائة وإحدى عشرة ذراعا ، وسقفه من حجر واحد أخضر مربّع، قطعته الجن . ومن جملة تلك الأعمدة عمود واحد يتحرك شرقا وغربا ، يشاهد ذلك الناس ، ولا يرون ما سبب حركته !

قال : ومن جملة عجائب الإسكندرية السوارى والملعب الذى كانوا يجتمعون فيه[١] فى يوم من السنة ، ويرمون بأكرة[٢] ، فلا تقع فى حجْر أحدٍ منهم إلا مَلك مصر ، وكان يحضر هذا الملعب ما شاء الله من الناس ما يزيد على ألف ألف رجل ؛ فلا يكون منهم أحدٌ إلا وهو ينظر فى وجه صاحبه . ثم إن قرئ كتاب سمعوه جميعا ، أو لُعِبَ بلون من ألوان اللعب رأوه عن آخرهم[٣] .

قال : ومن عجائبها المسلّتان ، وهما جبلان قائمان على سَرَطانات من نحاس فى أركانهما ، كلّ ركن على سَرَطان ، فلو أراد أحدٌ أن يُدخِل من جانبهما شيئا حتى يعبر إلى جانبهما الآخر فعل .

قال : ومن عجائبها عمودا الإعياء ، وهما عمودان ملقيان ، وراء كل عمود منهما جبل حصى كحصى الجمار ، فمتى أقبل التَعِبُ النَّصِبُ[٤] بسبع حصيات من ذلك الحصى ، يستلقى على أحدهما ، ثم يَرْمى[٥] وراءه بالسبع حصيات ، ويقوم ولا يلتفت ، ويمضى لنيته، قام كأنه لم يتعب ولم يحسّ بشىء .

قال : ومن عجائبها القبة الخضراء ، وهى أعجب قبة ملبّسة نحاسا ، كأنه الذهب الإبريز ، لا يُبليه القِدَم ، ولا يُخْلِقه الدهر .

---

١) ح ، ط : « إليه » ، وما أثبته من الأصل .
٢) كذا فى الأصل ، وفى ح ، ط : « بالأكرة » .
٣) خطط المقريزى ١ : ٢٥٥
٤) فى الأصل : « والنصب » ، والأجود ما أثبته من ح ، ط .
٥) كذا فى الأصل ، وفى ح ، ط : «رمى» . وانظر المقريزى ١ : ٤٩ .

وقال : ومن عجائبها منية عقبة ، وحصن فارس ، وكنيسة أسفل الأرض ؛ وهى مدينة على مدينة ، وليس على وجه الأرض مثلها ، ويقال إنها إرم ذات العماد ، سُمّيت بذلك لأن عُمُدها لا يُرَى مثلها طولاً وعرضاً .

وقال صاحب مرآة الزمان : كان للإسكندر أخ يُسمى الفرَما ، فلمّا بنى الإسكندر الإسكندرية ، بنى الفرَما الفرَما على نعت الإسكندرية . ولم تزل مدينة الإسكندرية بهجِةً يرتاح إليها كل من رآها ، ولم تزل الفرَما مذ بُنيت رثّة ، فلما فتحت الإسكندرية قال عوف بن مالك لأهلها : ما أحسن مدينتكم ! فقالوا : إن الإسكندر لما بناها قال : هذه مدينة فقيرة إلى الله تعالى غنيّة عن الناس ، فبقيت بهجتها . ولمّا فتِحت الفرَما قال أبرهة بن الصّباح لأهلها : ما أخلق مدينتكم ! قالوا : إن الفرَما لما بناها قال : هذه هذه مدينة غنيّةعن الله ، فقيرة إلى الناس، فذهبت بهجتُها .

ذكر دخول عمرو بن العاص مصر فى الجاهلية

أخرج ابنُ عبد الحكم، عن خالد بن يزيد، أنّه بلغه أن عمراً قدم إلى بيت المقدس لتجارة فى نفر من قريش، وإذا هم بشمّاس من شمامسة الروم من أهل الإسكندريّة، قدم للصّلاة فى بيت المقدس، فخرج فى بعض جبالها يسيح، وكان عمرو يرعى إبلَه وإبلَ أصحابه، وكانت رِعْيةُ الإبلْ نُوَباً بينهم؛ فبينما عمرو يرعى إبلَه إذ مرّ به ذلك الشماس، وقد أصابه عطش شديد فى يوم شديد الحرّ، فوقف على عمرو، فاستسقاه، فسقاه عمرو من قربةٍ له، فشرب حتى رَوِىَ، ونام الشمّاس مكانه، وكان إلى جانب الشمّاس حيث نام حفرة، فخرجت منها حيّة عظيمة، فبصر بها عمرو فنزَع لها بسهم فقتلها، فلما استيقظ الشماس نظر إلى حيّة عظيمة قد أنجاه الله منها، فقال لعمرو: ما هذه؟ فأخبره عمرو أنّه رماها بسهم فقتلها، فأقبل إلى عمرو، فقبّل رأسه، وقال: قد أحيانى الله بك مرّتين: مرّة من شدة العطش، ومرّة من هذه الحيّة، فما أقدمك هذه البلاد؟ قال: قدمتُ مع أصحاب لى نطلب الفَضْل من تجارتنا، فقال له الشمّاس: وكم ترجو أن تصيب من تجارتك؟ قال: رجائى أن أصيب ما أشترى به بعيرا، فإنّى لا أملك إلا بعيرين، فأمَلى أن أصيب بعيرا آخر، فيكون لى ثلاثة أبعرة. قال له الشمّاس: أرأيتَ ديَةَ أحدكم بينكم، كم هى؟ قال: مائة من الإبل، فقال له الشمّاس: لسنا أصحابَ إبل، نحن أصحاب دنانير، قال: تكون ألف دينار، فقال له الشمّاس: إنّى رجل غريب فى هذه البلاد، وإنّما قدمت أصلّى فى كنيسة بيت المقدس، أسيح فى هذه الجبال شهرا، جعلت ذلك نذرا على نفسى، وقد قضيت ذلك، وأنا أريد الرجُوع إلى بلادى فهل لك أن تتبعنى إلى بلادى، ولك عهد الله وميثاقه أن أعطيَك ديتين؛ لأن الله تعالى قد أحيانى بك مرتين؟ فقال له عمرو: أين بلادُك؟ قال:

مصر ، فى مدينة يقال لها الإسكندريّة، فقال له عمرو : لاأعرفها ولمْ أدخلها قطّ ، فقال له الشماس : لو دخلتها لعلمت أنّك لم تدخل قطّ مثلها ، فقال له عمرو : تفى لى بما تقول ، وعليك بذلك العهد والميثاق ؟ فقال الشماس : نعم لك الله علىّ بالعهد والميثاق أن أفِىَ لك ، وأن أردَّك إلى أصحابك ، فقال عمرو : كم يسكون مكثى فى ذلك ؟ قال : شهرا تنطلِق معى ذاهبا عشرا ، وتقيم عندنا عشرا ، وترجع فى عشر ؛ ولك علىّ أن أحفظك ذاهبا ، وأن أبعث معك مَنْ يحفظك راجعا . فقال له أنظِرْنى حتى أشاور أصحابى ، فانطلق عمرو إلى أصحابه ، فأخبرهم بما عاهد عليه الشماس، وقال لهم: أقيموا حتى أرجعَ إليكم ، ولكم علىّ العهد أن أعطيكم شطر ذلك ، على أنْ يصحبَنى رجل منكم آنس به ، فقالوا : نعم ،وبعثوا معه رجلًا منهم ، فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس إلى مصر ؛ حتى انتهى إلى الإسكندريّة ، فرأى عمرو من عمارتها وكثرةِ أهلها ومابها من الأموال والخير ما أعجبه ذلك ، وقال : مارأيتُ مثلَ مصر قطّ وكثرة مافيها من الأموال ، ونظر إلى الإسكندريّة وعمارتها وجودة بنائها وكثرة أهلها ومابها من الأموال ، فازداد تعجّبًا ، ووافق دخول عمرو الإسكندريّة عيدا فيها عظيما يجتمع فيها[1] ملوكهم وأشرافهم، ولهم أكرة من ذهب مكلّلة ،يترامى بها ملوكهم، وهم يتلقّونها بأكمامهم ؛ وفيما اختبروا من تلك الأكرة على ما وضعها من مضى منهم : إنّ من وقعت الأكرة فى كمه ، واستقرّت فيه ، لم يمت حتى يملكهم . فلمّا قدم عمرو الإسكندريّة أكرمه الشماس الإكرام كلّه ، وكساه ثوب ديباج ألبسه إياه ،وجلس عمرو والشّماس مع الناس فى ذلك المجلس ، حيث يترامون بالأكرة ، وهم يتلقّونها بأكمامهم ، فرمى بها رجل منهم ، فأقبلتْ تهوِى حتى وقعت فى كمّ عمرو ؛ فتعجبوا من ذلك ، وقالوا : ما كذبتنا هذه الأكرة قطّ إلا هذه المرّة ، أترى هذا الأعرابىّ يملكنا ! هذا لايكون أبدا !

(١) فتوح مصر: « فيه »

وإنّ ذلك الشّماس مشى فى أهل الإسكندريّة وأعلمهم أن عمراً أحياه مرتين ، وأنه قد ضمن له ألفىْ دينار ، وسألهم أن يجمعوا ذلك له فيما بينهم ؛ ففعلوا ودفعوها إلى عمرو ، فانطلق عمرو وصاحبه ، وبعث معهما الشّماس دليلًا ورسولا ، وزوّدهما وأكرمهما ؛ حتى رجع هو وصاحبه إلى أصحابهما ؛ فبذلك عرف عمرو مدخلَ مصر ومخرجَها ، ورأى منها ماعلم أنّها أفضلُ البلاد وأكثرُها مالًا . فلمّا رجع عمرو إلى أصحابه دفع إليهم فيما بينهم ألف دينار وأمسك لنفسه ألفاً ، قال عمرو : فكان أوّل مالٍ [اعتقدته وتأثّلتهُ (١)].

---

(١) فتوح مصر ٥٣ ـ ٥٥ .

ذكر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس

قال ابن عبد الحكم : حدّثنا هشام بن إسحاق وغيره ، قال : لما كانت سنة ست من الهجرة[1] ، ورجع رسول الله من الحديبية بعث إلى الملوك ، فبعث حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ، فمضى حاطب بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمّا انتهى إلى الإسكندرية ، وجد المقوقس فى مجلس يُشرف[2] على البحر ، فركب البحر ؛ فلما حاذى مجلسه ، أشار بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين إصبعيه، فلمّا رآه أمر بالكتاب فقُبض ، وأمر به فأوصِل إليه، فلما قرأ الكتاب[3] قال: مامنعه إن كان نبيًّا أن يدعو علىّ فيسلَّط علىّ ! فقال له : مامنع عيسى بن مريم أن يدعوَ على منْ أبى عليه أن يُفعل به ويُفعل ! فوجَم ساعة ، ثم استعادها فأعادها حاطب عليه ، فسكت ، فقال له حاطب : إنه قد كان قَبْلَك رجلٌ يزعم أنه الربّ الأعلى ، فانتقم الله به ثم انتقم منه ؛ فاعتبرْ بغيرك ، ولا يُعتبرُ بك . وإنّ لك ديناً لن تدعَه إلا لما هو خير منه ، وهو الإسلام الكافى به الله فَقْدَ ماسواه ، وما بشارة موسى بعيسى إلّا كبشارة عيسى بمحمد ، وما دعاؤنا إيّاك إلى القرآن إلّا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل ، ولسْنا ننهاك عن دين المسيح ، ولكنا نأمرك به ، ثم قرأ الكتاب ، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله ، إلى المقوقس عظيم القِبْط ، سلام على مَن اتّبع الهدى ؛ أمّا بعد ، فإنّى أدعوك بدعاية الإسلام ، فأسلِمْ تسلم ويؤتك الله أجرَك مرّتين ، ﴿ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ

(١) فتوح مصر : « من مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
(٢) فتوح مصر : « مشرف » .
(٣) كذا فى فتوح مصر ، والأصل وفى ط : « فقرىء » .

ولا نشركَ به شيئاً ، ولا يتّخِـذ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [1] .

فلما قرأه أخـذه ، فجعله فى حُقّ من عاج ، وختم عليه ، ثم دعا كاتبـا يـكتب بالعربية ، فـكتب :

لمحمد بن عبد الله ، من المقوقس عظيم القِبْط . سلامٌ عليك ، أما بعـد فقد قرأتُ كتابك ، وفهمت ماذكرت ، وما تدعو إليه ، وقد علمت أنّ نبيّاً قد بقى ؛ وكنت أظنّ أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمتُ رسولك ، وبعثت إليك بجاريتين لهما مـكان فى القِبْط عظيم ،وبكُسوة ، وأهديت إليك بغلة لتركبها . والسلام [2] .

وأخرج ابنُ عبد الحـكم ، عن أبان بن صالح ، قال : أرسل المقوقس إلى حاطب ليلة ، وليس عنده أحدٌ إلا ترجمان له ، فقال له : ألا تخبرنى عن أمورٍ أسألك عنها ، فإنى أعلم أنّ صاحبك تخيّرك حين بعثك لى !

قلت : لا تسألنى عن شىء إلا صدقتُك ، قال : إلامَ يدعو محمد ؟ قال : إلى أن نعبد الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ونخلع ماسواه ، ويأمر بالصلاة . قال : فـكم تصلُّون ؟ قال : خمس صلوات فى اليوم والليلة،وصيام شهر رمضان ، وحجّ البيت ، والوفاء بالعهد، وينهى عن أكل الميتة والدّم . قال : ومَنْ أتباعُه ؟ قال: الفِتْيان من قومه وغيرهم ، قال : فهل يقاتل قومَه؟ قال: نعم ، قال: صفه لى ، قال: فوصفتُه بصفة من صفاته ، ولم آت عليها، قال : قد بقيَتْ أشياء ، لم أرك ذكرتهـا ؛ فى عينيه حمرة قلّمـا تفارقه ، وبين كتفيه خاتم النبوّة ، يركب الحمار ، ويلبس الشملة ، ويجتزئ بالتمرات والـكِسَر ، لا يبالى مَنْ لاقى من عمٍّ ولا ابن عمّ ، قلت : هذه صفته ، قال : قد كنت أعلم أن نبيّاً قد بقى ، وقد

---

(١) سورة آل عمران ٦١ .

(٢) فتوح مصر ٤٥ ـ ٤٦ ، مع اختلاف وحذف .

كنت أظن أن مخرجَه بالشام ، وهناك تخرج الأنبياء من قبله ، فأراه قد خرج فى العرب، فى أرض جَهْـدٍ وبؤس ، والقِبْط لا تطاوعنى فى اتّباعه ، ولا أحبّ أن يُعلم بمحاورتى إيّاك ، وسيظهر على البلاد ، وينزل أصحابُه [من بعده] [1] بساحتنا هذه حتى يظهروا على ماهاهنا ، وأنا لا أذكر للقِبْط من هذا حرفا ، فارجع إلى صاحبك [2] .

وأخرج ابنُ عبد الحكم ، عن عبد الرحمن بن عبد القارئ ، قال : لما مضى حاطب بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبِل المقوقسُ الكتاب ، وأكرم حاطباً ، وأحسن نُزُلَه ، ثم سرّحه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة بسَرْجها وجاريتين ، إحداهما أمّ إبراهيم ، ووهب الأخرى لجَهْم بن قيس العبدىّ ، فهى أمّ زكريا بن جهم ، الذى كان خليفة عمرو بن العاص على مصر .

قال ابن عبد الحكم : ويقال بل وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسّان بن ثابت ، فهى أمّ عبد الرحمن بن حسان ؛ ويقال : بل وهبها لمحمد بن مسلمة الأنصارىّ، ويقال : بل لدِحية بن خليفة الكلبى [3] .

ثم أخرج من طريق المنذر بن عبيد ، عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، عن أمّه سيرين ، قال : حضرتُ موتَ إبراهيم، فرأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم كلّما صِحْتُ أنا وأختى ماينهانا ؛ فلما مات نهانا عن الصّياح . هذا يصحّح قول من قال إنه وهبها لحسان [4] .

وقال ابن عبد الحكم : أنبأنا هانئ بن المتوكل ، أنبأنا ابن لَهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، أنّ المقوقس لمّا أتاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمّه إلى صدره ، وقال: هـذا زمان يخرج فيه النبىّ الذى نجد نعتَه وصفتَه فى كتاب الله ، وإنّا لنجد صِفَته أنه

(١) من فتوح مصر
(٢) فتوح مصر ٤٦ ، ٤٧
(٣) فتوح مصر ٤٧
(٤) فتوح مصر ٤٧ ، ٤٨ .

لا يجمع بين أختين فى مِلك يمين ولا نكاح ، وأنّه يقبل الهديّة ، ولا يقبل الصَّدَقة ، وإن جلساءه المساكينُ ، وأنّ خاتم النبوّة بين كتفيه . ثم دعا رجلاً عاقلا ، ثم لم يَدَع بمصر أحسنَ ولا أجمَل من مارية وأختها ؛ وهما من أهل حَفْن من كورة أنْصِنا . فبعث بهما معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له بغلةً شهباء ، وحمارا أشهب ، وثيابا من قَباطِيّ مصر ، وعسلاً من عسل بنها ، وبعث إليه بمال صدقة ، وأمر رسوله أن ينظر : مَنْ جلساؤه وينظر إلى ظهره ، هل يرى شامة كبيرة ذات شعر ؟ ففعل ذلك الرّسول ، فلماقدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قدّم إليه الأختيْن والدّابتين والعسل والثياب ، وأعلمه أنّ ذلك كله هديّة. فقبِل رسول الله صلى الله عليه وسلم الهديّة ـ وكان لا يردّها من أحـد من النّاس ـ فلمـا نظر إلى مارية وأختها أعجبتاه ، وكره أنْ يجمع بينهما ، وكانت إحـداهما تشبه الأخرى ، فقال : اللهمّ اختر لنبيّك ، فاختار له [الله] ماريةَ ، وذلك أنّه قال لهما : قولا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسـوله ، فبادرت مارية ، فتشهّدت وآمنت قبل أختها ، ومكثت بعدها أختها ساعة ، ثم تشهّدت وآمنت ، فوهب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أختَها لمحمد بن مسلمة الأنصاريّ. وكانت البغلة والحمار أحبَّ دوابه إليـه ، وسمى البغلة دُلدلًا ، وسمّى الحمـار يَعفوراً ، وأعجبه العسل ، فدعا لعسل بنهـا بالبركة ، وبقيت تلك الثياب حتى كُفِّن فى بعضها صلى الله عليه وسلم [1] .

قال ابنُ عبد الحكم : ويقـال إنّ المقوقس بعث مع مارية بخَصِيّ فـكان يأوى إليها [2] .

ثم أخرج عن عبدالله بن عمرو،قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم إبراهيم أمّ ولده القِبْطيّة ، فوجد عنـدها نسيباً كان لها ، قدم معهـا من مصر ؛ وكان كثيرا

(١) فتوح مصر ٤٨ ــ ٤٩ (٢) فتوح مصر ٤٩ .

مايدخل عليها ، فوقع فى نفسه شىء ، فرجع ، فلقيَه عمر بن الخطاب ، فعرف ذلك فى وجهه ، فسأله فأخبره ، فأخذ عمر السيف ، ثم دخل على مارية فوجده عندها [١]، فأهوى إليه بالسيف ، فلما رأى ذلك كشف عن نفسِه — وكان مجبوباً ليس بين رجليه شىء — فلما رجع عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، قال : « إن جبريل أتانى ، فأخبرنى أنّ الله قد برّأها وقريبها ، وأن فى بطنها غلاما منّى ، وإنه أشبهُ الخلق بى ، وأمرنى أن أسمّيَه إبراهيم ، وكنّانى بأبى إبراهيم [٢] » .

وأخرج ابنُ عبد الحكم والبيهقىّ فى الدلائل ، من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ملك الإسكندريّة ، فجئته بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزلنى فى منزل ، وأقمت عنده ليالى ، ثم بعث إلىّ ، وقد جمع بطارقته ، فقال : سأكلّمك بكلام ، وأحبّ أن تفهمه عنى ، قلت : هلمّ ، قال : أخبرْنى عن صاحبك ، أليس هو بنبىّ؟ قال : قلت : بلى ، هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فماله لم يَدْعُ على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها ! قال : فقلت له : فعيسى بن مريم ، تشهد أنه رسول الله ، فماله حيث أخذه قومُه فأرادوا أن يصلُبوه ، ألّا يكونَ دعا عليهم ، بأن يهلكهم [٣] الله حتى رفعه الله إليه فى السماء الدنيا ؟ فقال : أنت حكيم ، جاء من عند حكيم ؛ هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد ؛ وأرسل معك مبذرقةً يبذرقونك [٤] إلى مأمنك . وأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جَوارٍ ، منهنّ أم إبراهيم ، وواحدةٌ وهَبها رسول الله صلى

---

(١) فتوح مصر : « ثم دخل على مارية وقريبها عندها » .
(٢) فتوح مصر ٤٩
(٣) كذا فى فتوح مصر ، وفى الأصول : « فأهلكهم » .
(٤) يبذرقونك ، أى يخفرونك .

الله عليه وسلم لأبى جَهم بن حذيفة العبدرىّ ، وواحدة وهبها لحسان بن ثابت ، وأرسل إليه بثياب ، مع طُرَف من طرفهم [١].

قال ابن أبى مريم : قال ابن لَهيعة : وكان اسم أخت مارية قيصرًا ويقال : سيرين [٢].

قال ابنُ عبد الحكم : وحدّثنا عبد الملك بن مسلمة ، عن ابن لَهيعة ، عن الأعرج ، قال : بعث المقوقس بمارية وأختها حنّة [٢] .

وأخرج ابن عبد الحكم ، عن راشد بن سعد ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو بقى إبراهيم ماتركت قِبطيًّا إلّا وضعت عنه الجزية [٣] .

وأخرج ابنُ عبد الحكم ، عن ابن مسعود ، قال : قلنا يارسول الله ، فيم نكفّنك؟ قال : فى ثيابى هذه ، أو ثياب مصر [٤].

وأخرج الواقدىّ وأبو نعيم فى الدلائل عن المغيرة بن شعبة ، أنه لما خرج مع بنى مالك إلى المقوقس ، قال لهم : كيف خلصتم إلىّ من طائفتكم ، ومحمد وأصحابه بينى وبينكم؟ قالوا : لصقنا بالبحر ، وقد خففناه على ذلك ، قال : فكيف صنعتم فيما دعاكم إليه ؟ قالوا : لم يتبعه منّا رجل واحد ، قال : ولمذاك ؟ قالوا : جاءنا بدين مجدّد لا تدين به الآباء ، ولا يدين به الملك ، ونحن على ما كان عليه آباؤنا . قال : فكيف صنع قومه ؟ قال تبعه أحداثهم وقد لاقاه مَنْ خالفه من قومه وغيرهم من العرب فى مواطن ، مرة تكون عليهم الدّبرة ومرّة تكون له . قال : ألا تخبرونى ، إلى ماذا يدعو ؟ قالوا : يدعو إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له ، ونخلع ما كان يعبد الآباء ، ويدعو إلى الصلاة والزكاة ، قال : ألَهُمَا وقتٌ يعرف ، وعدد ينتهى إليه ؟ قالوا : يصلّون فى

---

(١) فتوح مصر ٤٩ ، ٥٠ ، وذكر بعده : « فولدت مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم، فكان من أحب الناس إليه ، حتى مات فوجد به رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٢) فتوح مصر ٥٢ . (٣) فتوح مصر ٥٣ . (٤) فتوح مصر ٥٣ .

اليوم والليلة خمس صلوات كلّها بمواقيت وعَدد ، ويؤدّون من كلّ مابلغ عشرين مثقالا ، وكل إبل بلغت خمساً شاة ، ثم أخبره بصدقة الأموال كلّها، قال : أفرأيتم إن أخذها أين يضعها ؟ قال : يردّها على فقرائهم ، ويأمر بصلة الرّحم ووفاء العهد وتحريم الزنا والربا والخمر ، ولا يأكل ماذبح لغير اسم الله . قال : هو نبيٌّ مرسل إلى الناس كافة ، ولو أصاب القِبْط والرّوم تبعوه ، وقد أمرهم بذلك عيسى بن مريم ؛ وهذا الّذى تصفونه منه بُعِثت به الأنبياء من قبل ، وستكون له العاقبة حتى لا ينازعَه أحد ، ويظهر دينه إلى منتهى الخفّ والحافر ومنقَطع البحور ، قلنا : لو دخل النّاس كلّهم معه مادخلنا . فأنغض رأسه[1]، وقال : أنتم فى اللعب ! ثم قال : كيف نسبُه فى قومه ؟ قلنا : هو أوسطهم نسبا ، قال : كذلك الأنبياء ، تبعث فى نسب قومها ، قال : فكيف صدقُ حديثه ؟ قلنا : يسمّى الأمين من صدقه ، قال : انظروا فى أموركم ، أترونه يصدق فيما بينكم وبينه ، ويكذب على الله ! ثم قال : فمن تبعه ؟ قلنا : الأحداث ، قال : هم أتباع الأنبياء قبله ، قال : فما فعلت يهود يثرب ، فهم أهل التوراة ؟ قلنا : خالفوه ، فأوقع بهم فقتلهم وسباهم ، وتفرقوا فى كلّ وجه ، قال : هم قوم حسدٍ حسدوه ، أما إنهم يعرفون من أمره مثل مانعرف .

قال المغيرة : فقمنا من عنده ، وقد سمعنا كلاماً ذلّلنا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وخضّعنا ، وقلنا : ملوك العجم يصدّقونه ويخافونه على بعد أرجائهم منه ، ونحن أقرباؤه وجيرانه لم ندخل معه ، وقد جاءنا داعياً إلى منازلنا !

قال المغيرة : فأقمتُ بالإسكندرية لا أدَعُ كنيسةً إلا دخلتها ، وسألت أساقفتها من قبطِها ورومها عمّا يجدون من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان أُسقفٌ من القِبْط لم أر أحدا أشدّ اجتهادا منه ، فقلت : أخبِرْنى ، هل بقى أحد من الأنبياء ؟ قال : نعم ، هو آخر الأنبياء ، ليس بينه وبين عيسى نبىّ ، قد أمِرَ عيسى باتباعه ، وهو النبىّ الأمىّ العربىّ ، اسمه أحمد ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، فى عينيه حمرة ، وليس بالأبيض ولا

(١) أنغض رأسه : أى حركها .

بالآدم ، يعفِي شعره ، ويلبس ماغَلُظ من الثياب ، ويجتزئ بما لقِي من الطعام ؛ سيفه على عاتقه ، ولا يبالى مَنْ لاقى ، يباشر القتال بنفسه ومعه أصحابه يفدُونه بأنفسهم ، هم أشدُّ له حبًّا من آبائهم وأولادِهم ، من حرَم يأتى ، وإلى حرَم يهاجر ، إلى أرض سباخ ونخل ، يدين بدِين إبراهيم . قلت : زدنى فى صفته ، قال : يأتزر على وسطِه ، ويغسل أطرافه ، ويُخَصّ بما لم يُخَصّ به الأنبياء قبله . كان النبىّ يبعث إلى قومه ، ويُبعث هو إلى الناس كافة وجعلت له الأرض مسجدا وطهورا : أينما أدركته الصلاة تيمّم وصلى وكان مَنْ قبله مشدّداً عليهم لا يصلّون إلّا فى الكنائس والبِيَع .

قال المغيرة : فوَعيتُ ذلك كلّه من قوله وقول غيره ، ثم رجعت وأسلمت .

* * *

ذكر بعث أبي بكر الصديق رضي الله عنه حاطبا إلى المقوقس

أخرج ابن عبد الحكم ، عن عُلَيّ بن رباح اللخمي ، قال : بعث أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطباً إلى المقوقس بمصر ، فمرّ على ناحية قرى الشرقية ، فهانهم وأعطوه[1] ، فلم يزالوا على ذلك حتى دخلها عَمْرو بن العاص ، فقاتلوه ، وانتقض ذلك العهد .

قال عبد الملك بن مسلمة وهي أول هدْنة كانت بمصر[2] .

***

(١) فتوح المصر : « وأعطوه » .

(٢) فتوح مصر ٥٣

ذكر فتح مصر فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال ابن عبد الحكم : حدثنا عثمان بن صالح ، أنبأنا ابن لَهيعة ، عن عبيد الله بن أبى جعفر وعيّاش بن عباس القِتْبانىّ وغيرهما ، يزيد بعضهم على بعض ، قالوا: لما كانت سنه ثمانى عشرة ، وقدم عمر بن الخطاب الجابية ، قام إليه عمرو بن العاص ، فخلا به ، وقال : ياأمير المؤمنين ، ائذن لى أنْ أسير إلى مصر ، وحرّضه عليها ، وقال : إنّك إن فتحتَها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم ؛ وهى أكثر الأرض أموالاً ، وأعجزهم عن القتال والحرب . فتخوّف عمر بن الخطاب على المسلمين ، وكره ذلك ، فلم يزل عمرو يعظِّم أمرَها عند عمر ، ويخبره بحالها ، ويهوّن عليه فتحها ، حتى ركن لذلك عمر ، فعقد له على أربعة آلاف رجل ، كلهم من عكّ ، ويقال : على ثلاثة آلاف وخمسمائة . فقال عمر: سرْ وأنا مستخير الله فى مسيرك، وسيأتى كتابى إليك سريعا إن شاء الله تعالى ، فإن أدركك كتابى وأمرتُك فيه بالانصراف عن مصر قَبْل أن تدخلها ، أو شيئاً من أرضها فانصرف ، وإن أنت دخلْتها قبل أن يأتيَك كتابى ، فامض لوجهك ،واستعنْ بالله واستنصره .

فسار عمرو بن العاص من جَوْف الليل ، ولم يشعرْ به أحد من الناس ، واستخار عمرُ الله ؛ فكأنه تخوّف على المسلمين فى وجههم ذلك ، فكتب إلى عمرو بن العاص أن ينصرفَ بمن معه من المسلمين : فأدرك الكتاب عمراً وهو برَفَح ، فتخوّف عمرو بن العاص ؛ إن هو أخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر ، فلم يأخذ الكتاب من الرّسول ودافعه ، وسار كما هو ،حتى نزل قريةً فيما بين رفَح والعريش ، نسأل عنها فقيل : إنها من مصر ؛ فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين ، فقال عمرو :ألستم

تعلمون أنّ هذه القرية من مصر ؟ قالوا : بلى ، فقال : فإنّ أمير المؤمنين عهد إليّ ، وأمرنى إن لحقنى كتابُه ولم أدخل مصر أن أرجع ، وإن لم يلحقنى كتابه حتى دخلنا أرض مصر ؛ فسيرُوا وامضوا على بركة الله .

فتقدم عمرو بن العاص . فلما بلغ المقوقس قدومُ عمرو ، توجّه إلى الفسطاط ، فكان يجهز على عمرو الجيوش ، فكان أول موضع قوتل فيه الفرَما ، قاتله الرّوم قتالا شديدا نحوا من شهر ، ثم فتح الله على يديه . وكان بالإسكندرية أسقفّ للقبْط ، يقال له أبو بنيامين[(١)] ، فلما بلغه قدومُ عمرو بن العاص ، كتب إلى القِبْط يعلمهم أنّه لا يكون للروم دولة ، وأنّ مُلكهم قد انقطع ، ويأمرهم بتلقى عمرو ، فيقال إنّ القِبْط الذين كانوا بالفرَما كانوا يومئذ لعمرو أعوانا . ثم توجه عمرو ؛ لا يُدَافع إلا بالأمر الخفيف ، حتى نزل القواصر . فنزل ومن معه ، فقال بعض القبط لبعض : ألا تعجبون مِن هؤلاء القوم ، يقْدِمون على جموع الرّوم ، وهم فى قلّة[(٢)] من الناس ! فأجابه رجل آخر منهم إنّ هؤلاء القوم لا يتوجّهون إلى أحد إلا ظهروا عليه ، حتى يقتلوا أخيرهم[(٣)] ، فتقدّم عمرو لا يُدافع إلا بالأمر الخفيف ، حتى أتى بِلْبيس ، فقاتلوه بها نحواً من شهر ، حتى فتح الله عليه ، ثم مضى لا يُدافع إلا بالأمر الخفيف ، حتى أتى أم دُنَين ، فقاتلوه بها قتالا شديدا .

وأبطأ عليه الفتح ، فكتب إلى عمر يستمدّه ، فأمدّه بأربعة آلاف ، تمام ثمانية آلاف ، فسار عمرو بمن معه حتى نزل على الحِصْن ، فحاصرهم بالقصر الذى يقال له بابليون حيناً ، وقاتلهم قتالاً شديدا ؛ يصبّحهم ويمسّيهم . فلما أبطأ عليه الفتح ، كتب إلى

---

(١) فى الأصول : « ميامين » ، وما أثبته من فتوح مصر .
(٢) فتوح مصر : « وإنما هم فى قلة » . (٣) ابن عبد الحكم : « خيرهم » .

عمر بن الخطاب يستمدّه ، فأمدّه عمر بأربعة آلاف رجل ، على كلّ ألف رجل منهم رجلٌ ، وكتب إليه : إنى قد أمددتك بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم رجل مقام الألف : الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلّد . واعلم أنّ معك اثنى عشر ألفا ، ولا يُغلب اثنا عشر ألفا من قلّة .

وكانوا قد خندقوا حول حصنهم ، وجعلوا للخندق أبواباً ، وجعلوا سكك الحديد موتّدة بأفنية الأبواب . فلما قدم المدد على عمرو بن العاص أتى إلى القصر ، ووضع عليه المنجنيق — وكان على القصر رجلٌ من الروم يقال له الأعيرج والياً عليه ، وكان تحت يدى المقوقس — ودخل عمرو إلى صاحب الحصن ، فتناظرا فى شىء مما هم فيه ، فقال : أخرج واستشير أصحابى ، وقد كان صاحب الحصن أوصى الذّى كان على الباب : إذا مرّ به عمرو أن يلقى عليه صخرة فيقتله ، فمرّ عمرو وهو يريد الخروج برجل من العرب ، فقال : قد دخلت فانظر كيف تخرج ، فرجع عمرو إلى صاحب الحصن ، فقال : إنى أريد أن آتيك بنفر من أصحابى ، حتى يسمعوا منك مثل الذى سمعت ، فقال العِلْج فى نفسه : قتلُ جماعة أحبّ إلىّ من قتل واحد ، فأرسل إلى الذى كان أمرّه بقتل عمرو ، ألّا يتعرض له ، رجاء أن يأتى بأصحابه فيقتلهم . وخرج عمرو ، فلما أبطأ عليه الفتح ، قال الزبير : إنى أهب نفسى لله ، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين ، فوضع سُلّماً إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ، ثم صعد ، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعا ، فما شعروا إلا والزّبير على رأس الحِصْن يكبّر معه السيف ، وتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفاً من أن ينكسر . فلما اقتحم الزبير ، وتبعه مَن تبعه ، وكبّر وكبّر من معه، وأجابهم المسلمون من خارج، لم يشكّ أهل الحصن أنّ العرب قد اقتحموا جميعا ، فهربوا ، فعَمد الزبير وأصحابه إلى باب الحصن ففتحوه ، واقتحم المسلمون الحصن ؛ فلما خاف المقوقسُ على نفسه ومَنْ معه ؛ حينئذ سأل عمرو بن العاص

الصلح ، ودعاه إليه على أن يفرض للعرب على القِبْط دينارين دينارين على كل رجل منهم ، فأجابه عمرو إلى ذلك[1] .

قال الليث بن سعد رضى الله عنه : وكان مكثهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر .

قال ابن عبد الحكم : وحدثنا عثمان بن صالح ، أخبرنا خالد بن نَجيح ، عن يحيى بن أيوب وخالد بن حميد ، قالا : حدّثنا خالد بن يزيد ، عن جماعة من التابعين ، بعضهم يزيد على بعض ، أن المسلمين لما حاصروا بابليون ، وكان به جماعة من الروم وأكابر القِبْط ورؤسائهم ، وعليهم المقوقس ، فقاتلوهم بها شهرا ، فلما رأى القوم الجدّ منهم على فتحه والحرصَ ، ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه ، خافوا أن يظهروا ، فتنحّى المقوقسُ وجماعة من أكابر القِبْط ، وخرجوا من باب القصر القبليّ ، ودونهم جماعة يقاتلون العرب ، فلحقوا بالجزيرة ، وأمروا بقطع الجسْر ؛ وذلك فى جَرْى النيل وتخلّف الأعيرج فى الحصن بعد المقوقس ، فلمّا خاف فتح الحصن ، ركب هو وأهل القوّة والشرف ، وكانت سفنهم ملصقةً بالحصن ، ثم لحقوا بالمقوقس فى الجزيرة .

فأرسل المقوقسُ إلى عمرو بن العاص : إنكم قوم قد ولجتم فى بلادنا ، وألححتُم على قتالنا ، وطال مقامكم فى أرضنا ؛ وإنما أنتم عُصَبةٌ يسيرة ، وقد أظلّتكم الروم ، وجهّزوا إليكم ، ومعهم من العُدّة والسلاح ، وقد أحاط بكم هذا النِّيل ، وإنما أنتم أسارَى فى أيدينا ، فأرسلوا إلينا رجالاً منكم نسمع من كلامهم ؛ فلعلّه أن يأتى الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبُّون ونحبّ ، وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل أن تغشاكم جموعُ الروم ، فلا ينفعنا الكلام ، ولا نقدر عليه ؛ ولعلكم أنْ تندموا إن كان الأمر

---

(١) فتوح مصر ٥٥ ـ ٦٣

مخالفا لطلبتكم ورجائكم ، فابعث إلينا رجالا من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم ، وما بهم من شيء .

فلما أتت[1] عمرو بن العاص رسلُ المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين ، حتى خاف عليهم المقوقس ، فقال لأصحابه : أترون أنهم يقتلون الرسل ويحبسونهم ، يستحلّون ذلك في دينهم ! وإنما أراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين .

فردّ عليهم عمرو مع رسله : أن ليس بيني وبينك إلا إحدى ثلاث خصال : إما أنْ دخلتم في الإسلام فكنتم إخواننا وكان لكم مالنا ، وإن أبيتم أعطيتم الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون ، وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

فلما جاءت رسل المقوقس إليه ، قال : كيف رأيتموهم ؟ قالوا : رأينا قوماً الموت أحبُّ إليهم من الحياة ، والتواضع أحبّ إليهم من الرِّفعة ، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نَهمة ، وإنما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على رُكبهم ، وأميرهم كواحدٍ منهم ، مايعرَفُ رفيعُهم من وضيعهم ، ولا السيِّد فيهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلّفْ عنها منهم أحد ، يغسلون أطرافهم بالماء ، ويتخشّعون في صلاتهم .

فقال عند ذلك المقوقس : والّذي يُحْلَف به ، لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، ولا يقوى على قتال هؤلاء أحدٌ ، ولئن لم نغتنم صلحَهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل ، لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتْهم الأرضِ ، وقَوُوا على الخروج من موضعهم .

فردّ إليهم المقوقس رسله ، وقال : ابعثوا إلينا رسلاً منكم نعاملهم ، ونتداعَى نحن وهم إلى ما عسى أنْ يكون فيه صلاحٌ لنا ولكم .

فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر، واحدهم عبادة بن الصامت ، وهو أحد من أدرك

---

(١) ط : « أتوا » ، وما أثبته من فتوح مصر .

الإسلام من العرب ، وطوله عشرة أشبار ، وأمره عمرو أن يكون متكلم القوم ، وألّا يجيبهم إلى شيء دعوه إليه إلا إحدى هذه الثلاث الخصال ؛ فإن أمير المؤمنين قد تقدم فى ذلك إلىّ ، وأمرنى ألّا أقبل شيئاً سوى خصلة من هذه الثلاث الخصال .

وكان عُبادة بن الصامت أسود، فلما ركبوا السفن إلى المقوقس ، ودخلوا عليه ،تقدم عُبادة ، فهابه المقوقس لسواده فقال : نحُّوا عنى هذا الأسود ، وقدّموا غيره يكلمنى ، فقالوا : إن هذا الأسود أفضلُنا رأيا وعلما ، وهو سيّدنا وخيرنا والمقدّم علينا ، وإنّا نرجع جميعا إلى قوله ورأيه ، وقد أمره الأمير دوننا بما أمره به .

فقال المقوقس لعُبادة : تقدّم ياأسود ، وكلّمنى برفق؛ فإنى أهاب سوادَك ، وإن اشتدّ علىّ كلامُك ازددتُ لك هيبة . فتقدّم إليه عُبادة ، فقال : قد سمعتُ مقالتَك ، وإنّ فيمن خلّفتُ من أصحابى ألفَ رجل أسود كلّهم أشدّ سواداً منى وأفظع منظرا ، ولو رأيتَهم لكُنتَ أهيبَ لهم [منك[1]] لى . وأنا قد ولّيتُ، وأدبر شبابى، وإنى مع ذلك بحمد الله ما أهابُ مائة رجل من عدوّى لو استقبلونى جميعا، وكذلك أصحابى ؛ وذلك إنّما رغبتُنا وبغيتنا الجهاد فى الله تعالى ، واتّباع رضوان الله ؛ وليس غزونا عدوَّنا ممّن حارب الله لرغبة فى الدّنيا ، ولا طلباً للاستكثار منها ؛ إلا أنّ الله قد أحلّ ذلك لنا ، وجعل ماغنمنا من ذلك حلالاً ، ومايبالى أحدُنا :أكان له قنطارٌ من ذهب ، أم كان لا يملك إلا درهما ! لأنّ غاية أحدنا من الدّنيا أُكْلة يأكلها ، يسدّ بها جَوْعَته ، وشَمْلة يلتحِفُها [1] ، فإن كان أحدنا لا يملك إلّا ذلك كفاه ، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه فى طاعة الله،واقتصر على هذا الذى بيده[2] لأن نعيم الدّنيا ورخاءها ليس برخاء، إنما النعيمُ والرّخاء فى الآخرة ، وبذلك أمرَنا ربُّنا ، وأمر به نبيُّنَا ، وعهد إلينا ألّا تكون

---

(١) من فتوح مصر .

(٢) بعدها فى فتوح مصر : « وبلغة ما كان فى أيدينا » .

همّةُ أحدنا من الدنيا إلا فيما يُمسِك جَوْعته ، ويستر عورته ، وتكون همّته وشغله فى رضا ربّه ، وجهاد عدوّه .

فلما سمع المقوقس ذلك منه ، قال لمَنْ حوله : هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قطّ ! لقد هبتُ منظرَه ؛ وإنّ قولَه لأهيبُ عندى من منظره ؛ إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض[1] ؛ وما أظنّ ملكهم إلا سيغلِبُ على الأرض كلّها .

ثم أقبل المقوقس على عُبادة ، فقال : أيّها الرجل ، قد سمعت مقالتك ، وماذكرتَ عنك وعن أصحابك ؛ ولعمرى مابلغتم مابلغتم إلا بما ذكرتَ ، ولا ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبّهم الدنيا ورغبتهم فيها ، وقد توجّه إلينا لقتالكم من جميع الروم ممّا لا يحصى عدده قومٌ معروفون بالنّجدة والشدّة ، ممن لا يبالى أحدُهم مَنْ لقى ، ولامن قاتل ، وإنا لنعلمُ أنكم لن تقوَوْا عليهم ، ولن تطيقوهم لضعفكم وقلّتكم ، وقد أقمتم بين أظهرنا أشهرا ، وأنتم فى ضيق وشدّة من معاشكم وحالكم ، ونحن نرقّ عليكم لضعفكم وقلّتكم وقلّة مابأيديكم ؛ ونحن نطيب أنفسنا أنْ نصالحكم على أن نفرض لكلّ رجل منكم دينارَيْن دينارين ؛ ولأميركم مائة دينار ، ولخليفتكم ألف دينار ، فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم مالا قوّة لكم به .

فقال عبادة بن الصامت رضى الله عنه : ياهذا ؛ لا تغرّنّ نفسك ولا أصحابك ؛ أما ماتخوّفنا به من جَمْع الرّوم وعددهم وكثرتهم ، وأنّا لا نقوى عليهم ؛ فلعمرى ماهذا بالّذى تخوّفنا به ، ولا بالذى يكسرنا عمّا نحن فيه ؛ إن كان ماقلتم حقّا فذلك والله أرغبُ ما يكون فى قتالهم ، وأشدُّ لحرصنا عليهم ؛ لأنّ ذلك أعذرُ لنا عند ربّنا إذا قدمنا عليه ، وإن قتلنا من آخرنا كان أمكن لنا فى رضوانه وجنّته ؛ ومامن شىء

---

(١) ط : « البلاد » .

أقرّ لأعيننا ، ولا أحبّ إلينا من ذلك ؛ وإنّا منكم حينئذ على إحدى الحسنيين ؛ إمّا أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدّنيا إن ظفرنا بكم ، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا ، وإنها لأحبّ الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منّا ؛ وإن الله تعالى قال لنا فى كتابه : ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١) ، ومامنّا رجل إلا وهو يدعو ربّه صباحا ومساء أن يرزقه الشهادة ، وألّا يردّه إلى بلده ولا إلى أهله وولده ؛ وليس لأحد منّا همّ فيما خلّفه ، وقد استودع كلّ واحد منا ربّه أهلَه وولَده ؛ وإنّما همُّنا ما أمامنا . وأمّا [قولك]: إنّا فى ضيق وشدة من معاشنا وحالنا ؛ فنحن فى أوسع السّعة لو كانت الدنيا كلّها لنا ، ما أردنا لأنفسنا منها أكثرَ مما نحن فيه ، فانظر الذى تريدفبيّنه لنا ، فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منكم ، ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث ، فاختر أيّها شئت ، ولا تُطمِعْ نفسَك فى الباطل ؛ بذلك أمرنى الأمير ، وبها أمره أمير المؤمنين ؛ وهو عَهْد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبْلُ إلينا . أمّا إن أجبتم إلى الإسلام الذى هو الدين الذى لا يقبل الله غيره ، وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته ، أمرنا الله أنْ نقاتل مَنْ خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه ، فإن فعل كان له مالنا وعليه ماعلينا ، وكان أخانا فى دين الله ؛ فإن قبلتَ ذلك أنت وأصحابُك ، فقد سعِدْتم فى الدنيا والآخرة ، ورجعنا عن قتالكم ، ولا نستحلّ أذاكم ، ولا التعرّضَ لكم ، وإن أبيتم إلا الجزية ، فأدُّوا إلينا الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون ، نعاملْكم على شىء نرضَى به نحن وأنتم فى كل عام أبداً مابقينا وبقيتم ، ونقاتل عنكم من ناوأكم وعرض لكم فى شىء من أرضكم ودمائكم وأموالكم ، ونقوم بذلك عنكم ؛ إذ كنتم فى ذمتنا ، وكان لكم به عهد الله علينا ، وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسّيف حتى نموت من

---

(١) سورة البقرة ٢٤٩ .

آخرنا ، أو نصيب مانريد منكم ؛ هذا ديننا الذى ندين الله به ، ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره ، فانظروا لأنفسكم .

فقال له المقوقس : هذا مما لا يكون أبدا ، ماتريدون إلّا أن تأخذونا لكم عبيدا ما كانت الدنيا .

فقال له عبادة : هو ذاك ، فاختر ماشئت .

فقال له المقوقس : أفلا تجيبونا إلى خصلة غير هذه الخصال الثلاث ؟

فرفع عبادة يديه ، وقال : لا وربّ السماء وربّ هذه الأرض وربّ كلّ شيء ، مالكم عندنا خصلة غيرها ، فاختاروا لأنفسكم .

فالتفت المقوقس عند ذلك إلى أصحابه ، فقال : قد فرغ القولُ فما ترون ؟ فقالوا : أوَ يرضى أحدٌ بهذا الذلّ ! أمّا ما أرادوا من دخولنا فى دينهم ؛ فهذا لا يكون أبدا ، ولا نترك دين المسيح بن مريم وندخل فى دين لا نعرفه ، وأما ما أرادوا من أن يسبُونَا ويجعلونا عبيداً أبدا ، فالموت أيسر من ذلك ؛ لو رضوا منا أن نُضعف لهم ما أعطيناهم مراراً ، كان أهونَ علينا .

فقال المقوقس لعبادة : قد أبى القومُ ، فما ترى ؟ فراجع صاحبك ، على أن نعطيَكم فى مَرّتكم هذه ماتمنّيتم وتنصرفون .

فقام عبادة وأصحابه ، فقال المقوقس لمن حوله عند ذلك : أطيعونى ، وأجيبوا القوم إلى خصلة من هذه الثلاث ، فوالله مالكم بهم طاقة ، وإن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبنّهم إلى ماهو أعظم منها كارهين .

فقالوا : أىّ خصلة نجيبهم إليها ؟ قال : إذاً أخبركم . . . أمّا دخولكم فى غير دينكم ، فلا آمركم به ؛ وأما قتالهم فأنا أعلم أنكم لن تقدروا عليهم ، ولن تصبروا

صبرَهم ، ولا بدّ من الثالثة [١] ؛قالوا : فنكون لهم عبيدا أبَدا ؟ قال : نعم تكونون عبيدا مُسَلَّطين [٢] فى بلادكم ، آمنين على أنفسكم وأموالكم وذراريكم خير لكم من أن تموتوا عن آخركم ، وتكونوا عبيدا ، وتباعوا وتمزّقوا فى البلاد مستعبَدين أبداً ، أنتم وأهلوكم وذراريّكم . قالوا : فالموت أهون علينا .

وأمروا بقطع الجسر بين الفسطاط والجزيرة ، وبالقصْر من جمع الروم والقِبْط جمع كثير ــ فألحّ المسلمون عند ذلك بالقتال على مَنْ فى القصر حتى ظفروا بهم ، وأمكن الله منهم ، فقتِل منهم خلق كثير ، وأسِر مَنْ أسر ، وانحازت السُّفن كلها إلى الجزيرة ، وصار المسلمون قد أحدق بهم الماء من كلّ وجه ، لا يقدرون على أن ينفذوا ويتقدموا نحو الصَّعيد ، ولا إلى غير ذلك من المدائن والقرى ، والمقوقس يقول لأصحابه: ألم أعلمكم هذا وأخافه عليكم ؟ ماتنتظِرون ! فوالله لتجيبنّهم إلى ما أرادوا طَوْعاً أو لتجيبنّهم إلى ماهو أعظم منه كَرْهاً ، فأطيعونى من قبل أن تندموا .

فلمّا رأوا منهم مارأوا ، وقال لهم المقوقس ماقال ، أذعنوا بالجزية ، ورضوا بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونَهُ . وأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص: إنّى لم أزل حريصاً على إجابتك إلى خصلة من تلك الخصال التى أرسلْت إلىّ بها ، فأبَى ذلك علىّ مَنْ حضرنى من الروم والقِبْط ، فلم يكن لى أن أفتات عليهم ، وقد عرفوا نصحِى لهم ،وحبّى صلاحَهم ، ورجعوا إلى قولى ، فأعطِنى أماناً أجتمع أنا وأنت فى نفر من أصحابى ونفر من أصحابك ، فإن استقام الأمر بيننا تمّ لنا ذلك جميعا ؛ وإن لم يتمّ رجعنا إلى ما كنا عليه .

فاستشار عمرو أصحابه فى ذلك فقالوا : لا نجيبهم إلى شىء من الصلح ولا الجزية ،

---

(١) ط : « الثلاثة » ، وهو خطأ .

(٢) ط : « مسلطين » ، وما أثبته من فتوح مصر .

حتى يفتح الله علينا ، وتصير كلها لنا فيئاً وغنيمة ، كما صار لنا القصر ومافيه ، فقال عمرو: قد علمتم ماعَهِد إلىّ أميرُ المؤمنين فى عهده ، فإن إجابوا إلى خصلة من الخصال الثلاث التى عهد إلىّ فيها أجبتهم إليها ، وقبلت منهم، مع ماقد حال الماء بيننا وبين مانريد من قتالهم . فاجتمعوا على عهد بينهم ، واصطلحوا على أن يفرض على جميع مَنْ بمصر أعلاها وأسفلها من القِبْط ديناران ديناران عن كلّ نفس ، شريفهم ووضيعهم ، ومَنْ بلغ الحلم منهم ؛ ليس على الشيخ الفانى ، ولا على الصغير الذى لم يبلغ الُحلم ، ولا على النّساء شىء ، وعلى أنّ للمسلمين عليهم النزُل لجماعتهم حيث نزلوا ، ومَنْ نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك ، كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام ، وأنّ لهم أرضَهم وأموالهم ، لا يعرَض لهم فى شىء منها .

فشرط هذا كلّه على القِبْط خاصة ، وأحصوا عدد القِبْط يومئذ خاصة مَنْ بلغ منهم الجزية ، وفرض عليهم الديناران ، ورفع ذلك عرفاؤهم بالأيمان المؤكدة ، فكان جميع مَنْ أحصِى يومئذ بمصر فيما أحصوْا وكتبوا أكثر من ستة آلاف ألف نفس ؛ فكانت فريضتهم يومئذ اثنى عشر ألف ألف دينار فى كلّ سنة . وقيل : بلغت غلّتهم ثمانية آلاف ألف .

وشرط المقوقس للروم أن يتخيروا ، فمن أحبّ منهم أن يقيمَ على مثل هذا أقام على هذا لازماً له ، مفترَضاً عليه ممّن أقام بالإسكندريّة وما حوْلها من أرض مصر كلّها ، ومَنْ أراد الخروج منها إلى أرض الروم خرج ، وعلى أنّ للمقوقس الخيار فى الروم خاصة ؛ حتى يكتب إلى ملك الروم يعلمه ما فعل ، فإن قبل ذلك ورضيَه جاز عليهم ؛ وإلا كانوا جميعا على ما كانوا عليه .

وكتبوا به كتابا ، وكتب المقوقس إلى ملك الروم يعلمه على وجه الأمر كلـــه . فكتب إليه ملك الروم يقبّح رأيَه ويعجّزه ، ويردّ عليـه ما فعل ، ويقول فى

كتابه : إنما أتاك من العرب اثنا عشر ألفا ، وبمصر مَنْ بها من كثرة عدد القبط ما لا يُحصى ؛ فإن كان القبْط كرهوا القتال ، وأحبُّوا أداء الجزية إلى العرب واختاروهم علينا ، فإن عندك بمصر من الرّوم وبالإسكندرية ، ومَنْ معك أكثر من مائة ألف ، معهم العُدّة والقوّة . والعربُ وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت ، فعجزت عن قتالهم ، ورضيت أن تكون أنت ومَن معك من الرّوم فى حال القبط أذلاّء ، ألا تقاتلهم أنت ومَن معك من الرّوم حتى تموت ، أو تظهر عليهم ؛ فإنهم فيكم على قدر كثرتكم وقوّتكم ، وعلى قدر قلّتهم وضعفهم كأَكْلة ، فناهضْهم القتال ، ولا يكون لك رأى غير ذلك . وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتابا إلى جماعة الروم .

فقال المقوقس لما أتاه كتاب ملك الروم : والله إنهم على قلّتهم وضعفهم أقوى وأشدّ منّا على كثرتنا وقوّتنا ، إن الرجل الواحد منهم ليعدِلُ مائةَ رجلٍ منّا ؛ وذلك أنهم قوم الموتُ أحبُّ إليهم من الحياة ، يقاتل الرجل منهم وهو مستقلّ ، ويتمنّى ألّا يرجع إلى أهله ولا بلده ولا ولده ، ويرون أنّ لهم أجراً عظيما فيمن قتلوا منّا ، ويقولون : إنهم إن قُتِلوا دخلوا الجنّة ، وليس لهم رغبة فى الدنيا ، ولا لَذّة إلا على قدر بُلغة العيش من الطعام واللباس ، ونحن قوم نكره الموت ، ونحبّ الحياة ولذّتها ، فكيف نستقيم نحن وهؤلاء ، وكيف صبرُنا معهم ! واعلموا معشر الروم ؛ إنى والله لا أخرج ممّا دخلت فيه ، وصالحت العرب عليه ؛ وإنى لأعلم أنكم سترجعون غداً إلى قولى ورأيى ، وتتمنّوْن أنْ لو كنتم أطعتمونى ؛ وذلك أنى قد عاينتُ ورأيت ، وعرفتُ ما لم يعاين الملك ولم يره ، ولم يعرفه ، ويحكم ! أما يرضى أحدُكم أن يكون آمناً فى دهره على نفسه وماله وولده ، بدينارين فى السنة !

ثم أقبل المقوقس إلى عمرو بن العاص ، فقال له : إنّ الملك قد كره ما فعلت

وعجّزنى ، وكتب إلىّ وإلى جماعة الروم ألّا نرضى بمصالحتك ، وأمرهم بقتالك حتى يظفروا بك أو تظفر بهم ؛ ولم أكن لأخرج مما دخلتُ فيه وعاقدتُك عليه ؛ وإنما سلطانى على نفسى ومَن أطاعنى ، وقد تمّ الصلح فيما بينك وبينهم ؛ ولم يأت من قِبَلهم نقض ، وأنا متمّ لك على نفسى ، والقِبْط متمّون لك على الصلح الذى صالحتهم عليه وعاهدتهم ؛ وأما الروم فأنا منهم برئ ، وأنا أطلب منك أن تعطيَنى ثلاث خصال .

قال له عمرو : ما هن ؟ قال : لا تنقضنّ[١] بالقبط ، وأدخلنى معهم وألزمنى ما لزمهم ، وقد اجتمعتْ كلمتى وكلمتُهم على ما عاهدتُك ، فهم متمّون لك على ما تحبّ . وأما الثانية فإن سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فيئا وعبيدا ، فإنهم أهلٌ لذلك ؛ فإنى نصحتهم فاستغشّونى ، ونظرت لهم فاتّهمونى . وأما الثالثة ، أطلب إليك إن أنا متّ ، أن تأمرهم أن يدفنونى فى أبى يُحنَّس[٢] بالإسكندرية .

فأنعم له عمرو بن العاص ، وأجابه إلى ما طلب ، على أن يضمنوا له الجسرين جميعا ، ويقيموا له الأنزال والضِّيافة والأسواق والجسور ؛ ما بين الفُسْطاط إلى الإسكندرية . ففعلوا وصارت لهم القِبْط أعوانا ، كما جاء فى الحديث ، واستعدّت الروم وجاشت ، وقدم عليهم من أرض الروم جمع عظيم .

ثم التقوا بسُلْطَيس ، فاقتتلوا بها قتالا شديدا ، ثم هزمهم الله ، ثم التقوا بالكِرْيَوْن ، فاقتتلوا بها بضعة عشر يوما .

وكان عبد الله بن عمرو على المقدّمة ، وحامل اللواء يومئذ وَردان مولى عمرو .

---

(١) فتوح مصر : « لا تنقض » .

(٢) ط : « حنش » ، صوابه من فتوح مصر .

وصلى عمرو يومئذ صلاة الخوف ، ثم فتح الله يومئذ على المسلمين ، وقَتَل منهم المسلمون مقتلة عظيمة ، واتّبعوهم حتى بلغوا الإسكندرية ، فتحصن بها الروم ، وكانت عليهم حصون مبنيّة لا ترام ، حصن دون حصن ، فنزل المسلمون ما بين حُلْوة إلى قصر فارس ، إلى ما وراء ذلك ؛ ومعهم رؤساء القِبْط يمدُّونهم بما احتاجوا إليه من الأطعمة والعلوفة ، ورسل ملك الروم تختلف إلى الإسكندرية في المراكب بمادّة الروم ، وكان ملك الروم يقول : لئن ظفرت العرب على الإسكندرية ، إن ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم ؛ لأنه ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الإسكندرية ؛ وإنما كان عيد الروم حين غلبت العرب على الشام بالإسكندرية ، فقال الملك : لئن غَلبوا على الإسكندرية لقد هلكت الروم ، وانقطع مُلْكها . فأمر بجهازه ومصلحته لخروجه إلى الإسكندرية ، حتى يباشر قتالها بنفسه إعظاما لها ، وأمر ألّا يتخلّف عنه أحد من الروم ، وقال : ما بقي للروم بعد الإسكندرية حرْمة ، فلما فرغ من جهازه صرعه الله فأماته ، وكفى الله المسلمين مؤنته ، وكان موته في سنة تسع عشرة[١] .

وقال الليث بن سعد : مات هرقل في سنة عشرين ، فكسر الله بموته شوكة الروم ، فرجع كثير ممن قد توجّه إلى الإسكندرية ، وانتشرت العرب عند ذلك ، وألحّت بالقتال على أهل الإسكندرية ، فقاتلوهم قتالا شديدا ، وحاصروا الإسكندرية تسعة أشهر بعد موت هِرَقْل ، وخمسة قبل ذلك ، وفتحت يوم الجمعة مستهلّ المحرّم سنة عشرين[١] .

* * *

وقال ابن عبد الحكم : أنبأنا عثمان بن صالح ، عن ابن لَهِيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، قال : أقام عمرو بن العاص محاصراً الإسكندرية أشهرا ؛ فلما بلغ ذلك

(١) فتوح مصر ٦٤ ـ ٧٦ مع اختصار وحذف وتداخل في الروايات .

عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال : ما أبطأ بفتحها إلا لما أحدثوا .

وأخرج ابن عبد الحكم ، عن زيد بن أسلم . قال : لما أبطأ على عمر الخطاب فتحُ مصر ، كتب إلى عمرو بن العاص : أمّا بعد ، فقد عجبتُ لإبطائكم عن فتح مصر ؛ إنكم تقاتلونهم منذ سنتين ؛ وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحبّ عدوُّكم ، وإنّ الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نيّاتهم ، وقد كنت وجّهتُ إليك أربعة نفر ، وأعلمتُك أنّ الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف ، إلا أن يكون غيّرهم ما غيّرهم ؛ فإذا أتاك كتابى ، فاخطب الناس ، وحضّهم على قتال عدوّهم ، ورغبهم فى الصبر والنية ، وقدّم أولئك الأربعة فى صدور الناس ، ومُرِ الناس جميعا أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد ، وليكُنْ ذلك عند الزوال يوم الجمعة ، فإنّها ساعة تنزل الرحمة فيها ، ووقت الإجابة ، وليعجّ الناس إلى الله ، ويسألوه النصر على عدوّهم .

فلما أتى عمراً الكتابُ ، جمع الناس ، وقرأ عليهم كتاب عمر ، ثم دعا أولئك النفر ، فقدّمهم أمام الناس ، وأمر الناس أن يتطهّروا ، ويصلُّوا ركعتين ، ثم رغبوا إلى الله تعالى ، ويسألوه النصر على عدوّهم ، ففعلوا ففتح الله عليهم[1] .

قال ابن عبد الحكم : حدثنا أبى ، قال : لما أبطأ على عمرو بن العاص فتحُ الإسكندرية ، استلقى على ظهره ، ثم جلس فقال : إنى فكّرتُ فى هذا الأمر ؛ فإنه لا يصلح آخرُه إلا مَنْ أصلح أوّله — يريد الأنصار — فدعا عبادة بن الصامت ، فعقد له ، ففتح الله على يديه الإسكندرية من يومهم ذلك[2] .

قال ابنُ عبد الحكم : وحدثنا عبد الملك بن مسلمة ، عن مالك بن أنس ، أن مصر فتحتْ سنة عشرين .

(١) فتوح مصر ٧٩ .

(٢) فتوح مصر ٧٩ ، ٨٠ .

قال : وحدثنا عبد الله بن صالح ، عن الليث بن سعد ، قال : لما هزم الله الرُّوم ، وفتح الإسكندرية ، وهرب الروم فى البر والبحر ، خلّف عمرو بن العاص بالإسكندرية ألف رجل من أصحابه ، ومضى عمرو ومَنْ معه فى طلب مَنْ هرب من الروم فى البرّ ، فرجع مَن كان هرب من الروم فى البحر إلى الإسكندرية ، فقتلوا مَن كان فيها من المسلمين إلا مَن هرب منهم . وبلغ ذلك عمرو بن العاص ، فكرّ راجعا ، ففتحها وأقام بها ، وكتب إلى عمر بن الخطاب : إن الله قد فتح علينا الإسكندرية عَنْوة بغير عقد ولا عهد . فكتب إليه عمر بن الخطاب يقبّح رأيه ، ويأمره ألا يجاوزها[1] .

قال : وحدثنا هانئ بن المتوكل ، حدثنا حزم بن إسماعيل المعافرىّ ، قال : قُتِل من من المسلمين من حين كان من أمر الاسكندرية ما كان ، إلى أن فُتِحت عنوة اثنان وعشرون رجلا[2] .

وحدّثنا عثمان بن صالح ، عن ابن لَهِيعة ، قال : بعث عمرو بن العاص معاوية ابن حُدَيج وافداً إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بشيراً له بالفتح ، فقال له معاوية : ألا تكتب معى كتابا ؟ قال له عمرو : وما تصنع بالكتاب ! ألستَ رجلاً عربيًّا تبلّغ الرسالة ؛ وما رأيتَ وما حضرت ! فلما قدم على عمر ، وأخبره بفتح الإسكندرية ، خرّ عمر ساجدا ، وقال : الحمد لله[3] .

وحدثنا إبراهيم بن سعد البَلوىّ ، قال : كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أمّا بعدُ ، فإنى فتحت مدينة لا أصِف ما فيها ، غير أنى أصبت فيها أربعة آلاف منية[4] بأربعة آلاف حمّام وأربعين ألف يهودىّ[5] وأربعمائة

---

(١) فتوح مصر ٨٠

(٢) فتوح مصر ٨٠ ، ٨١

(٣) فتوح مصر ٨١

(٤) فى ط : « منة » ، وهو المكان الصلب المرتفع ، وما أثبته من فتوح مصر .

(٥) بعدها فى فتوح مصر : « عليهم الجزية » .

ملهًى للملوك[١] .

وأخرج ابن عبد الحكم ، عن أبى قبيل . وحيوة بن شُرَيح ، قالا : لما فتح عمرو ابن العاص الإسكندرية ، وجد فيها اثنى عشر ألف بقال يبيعون البَقْل الأخضر[٢] .

وأخرج عن محمد بن سعيد الهاشمىّ ، قال : ترحّل فى الليلة التى دخل فيها عمرو بن العاص الإسكندرية منها — أو فى الليلة التى خافوا فيها دخول عمرو بن العاص — سبعون ألف يهودىّ[٢] .

وأخرج عن إبراهيم بن سعد البَلوىّ ، أن سبب فتح الإسكندرية ، أن رجلا كان يقال له ابن بسّامة ، كان بوّابا ، فسأل عمرو بن العاص أن يؤمّنه على نفسه وأرضه وأهل بيته ، ويفتح له الباب ، فأجابه عمرو إلى ذلك ، ففتح له الباب فدخل[٣] .

وأخرج عن حسين بن شُفَىّ بن عبيد ، قال : كان بالإسكندرية ، فيما أحصى من الحمّامات اثنا عشر ديماساً ، أصغرُ ديماس منها يسع ألف مجلس ، كلُّ مجلس منها يسع جماعة نفر . وكان عدّة مَن بالإسكندرية من الروم مائتى ألف من الرجال ، فلحق بأرض الروم أهل القوّة ، وركبوا السفن ، وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار ، حُمل فيها ثلاثون ألفا مع ما قدروا عليه من المال والمتاع والأهل ، وبقىَ مَن بقىَ من الأسارى ممن بلغ الخراج ، فأحصِى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان ، فاختلف الناس على عمرو فى قِسْمتهم ، وكان أكثر الناس يريدون قسمتها ، فقال عمرو: لا أقدر أقسمُها ، حتى أكتب إلى أمير المؤمنين ، فكتب إليه يعلمه بفتحها وشأنها ، ويعلمه أنّ المسلمين طلبوا قسمها ، فكتب إليه عمر : لاتقسمها ، وذَرْهم يكون خراجهم فيئاً للمسلمين ، وقوّة لهم على جِهاد عدوّهم ، فأقرّها عمرو ، وأحصى أهلَها ، وفرض عليهم الخراج ، فكانت مصر

---

(١) فتوح مصر ٨٢ .
(٢) فتوح مصر ٨٢
(٣) فتوح مصر ٨٠

صلحاً كلّها بفريضة دينارين دينارين على كلّ رجل ، لا يزاد على كلّ واحد منهم فى جزية رأسه أكثر من دينارين ، إلا أنه يلزم بقدر ما يتوسّع فيه من الأرض والزرع إلا الإسكندرية ، فإنهم كانوا يؤدّون الخراج والجزية على قدر ما يرى مَنْ وليَهم ، لأن الإسكندرية فتحَتْ عَنْوة بغير عهد ولا عقْد ، ولم يكن لهم صلح ولا ذمّة[1] .

وأخرج ابنُ عبد الحكم ، عن يزيد بن أبى حبيب ، قال : كانت قُرى من قرى مصر قاتلت ونقضوا ، فسبَوْا منها قرية يقال لها بَلْهِيب ، وقرية يقال لها الخَيْس ، وقرية يقال لها سُلطَيْس ، وفرّق[2] سباياهم بالمدينة وغيرها ، فردّهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى قراهم ، وصيّرهم وجماعة القِبْط أهل ذِمّة[3] .

وأخرج عن يحيى بن أيوب ، أن أهل سُلَطَيْس ومَصِيل وبَلْهيب ، ظاهروا الروم على المسلمين فى جمع كان لهم ، فلما ظهر عليهم المسلمون استحلّوهم وقالوا : هؤلاء لنا فىء مع الإسكندرية ، فكتب عمرو بن العاص بذلك إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكتب إليه عمر أن يجعل الإسكندرية وهؤلاء الثلاث قريات ذمّة للمسلمين ، ويضرب عليهم الخراج ، ويكون خراجهم وماصالح عليه القبط قوة للمسلمين على عدوهم ، ولا يجعلوا فيئاً ولا عبيدا . ففعلوا ذلك[4] .

وأخرج ابن عبد الحكم ، عن هشام بن أبى رُقيّة اللخمىّ ، أن عمرو بن العاص رضى الله عنه لما فتح مصر قال لقبْط مصر : مَن كتمنى كنزاً عنده فقدرتُ عليه قتلتُه ، وإنّ قِبْطيًّا[5] من أهل الصعيد ، يقال له بُطْرس ، ذُكر لعمرو أن عنده كنزاً ، فأرسل إليه فسأله ، فأنكر وجحد ، فحبسه فى السجن ، وعمرو يسأل عنه : هل يسمعونه

---

(١) فتوح مصر ٨٢

(٢) فى الفتوح «فوقع» .

(٣) فتوح مصر ٨٢ ، ٨٣ .

(٤) فتوح مصر ٨٣

(٥) فتوح مصر : « نبطيا » .

يسأل عن أحد ؟ فقالوا : لا ، إنما سمعناه يسأل عن راهب فى الطُّور ، فأرسل عمرو إلى بُطْرس ، فنزع خاتمه من يده ، ثم كتب إلى ذلك الراهب ، أن ابعث إلىّ بما عندك ، وختمه بخاتمه ، فجاءه رسوله بقلة شامية مختومة بالرصاص ، ففتحها عمرو ، فوجد فيها صحيفة مكتوبا فيها : ما لُكم تحت الفسقية الكبيرة ؛ فأرسل عمرو إلى الفسقيّة ، فحبس عنها الماء ، ثم قلع منها البلاط الذى تحتها ، فوجد فيها اثنين وخمسين إردبًّا ذهبا مضروبة ، فضرب عمرو رأسه عند باب المسجد ، فأخرج القِبْط كنوزهم شفقة أن يسعى على أحد منهم فيقتل كما قتل بُطْرس[1] .

---

(١) فتوح مصر ٨٧ .

ذكر الخلاف بين العلماء فى مصر : هل فتحت صلحا أو عنوة ؟

فمن قال إنها فتحت صلحا :

قال ابنُ عبد الحكم : حدّثنى عثمان بن صالح ، أخبرنا اللّيث ، قال : كان يزيد بن أبى حبيب يقول : مصر كلّها صلح إلا الإسكندرية ، فإنها فتحت عَنْوة [1] .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، أنبأنا ابن لَهِيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب وابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن عَوْن بن حِطّان ، أنّه كان لقرْيَات من مصر — منهنّ أم دُنَين — عَهْد [1] .

وأخرج عن يحيى بن أيوب وخالد بن حميد ، قالا : فتح الله أرضَ مصر كلها بصلح غير الإسكندرية وثلاث قريات ظاهروا الرّوم على المسلمين : سُلَطيس ، ومَصِيل ، وبلهيب [1] .

* * *

ومن قال إنها فتحت عنوة :

قال ابنُ عبد الحكم : حدّثنا عبد الملك بن مسلمة وعثمان بن صالح ، قالا : أخبرنا ابنُ لَهِيعة ، عن ابن هبيرة ، أنّ مصر فُتِحتْ عَنْوة .

وقال : أخبرنا عبد الملك ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، قال : سمعتُ أشياخنا يقولون : إنّ مصر فُتِحتْ عنوة بغير عهد ولا عقد .

---

(١) فتوح مصر ٨٧ .

وقال : أنبأنا عبد الملك ، حدّثنا ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُروة ، أنّ مصر فُتحتْ عَنوة .

وقال : أنبأنا عبد الملك بن مسلمة ، عن ابن وهب ، عن داود بن عبدالله الحضرمىّ أن أبا حيّان أيوب بن أبي العالية ، حدّثه عن أبيه ، أنّه سمع عمرو بن العاص يقول : لقد قعدت مقعدى هذا وما لأحدٍ من قبط مصر علىّ عهد ولا عقد إلّا أهل أنطابُلس ، فإن لهم عهدا يوفَى لهم به (١) .

حدّثنا عبدُ الملك ، حدّثنا ابنُ لَهيعة،عن أبي قَنان به ،وزاد :إن شئت قتلتُ ،وإن شئت خمست ، وإن شئتُ بعت (١) .

وأخرج عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنّ عمرو بن العاص فتح مصر بغير عهد ولا عقد ، وأن عمر بن الخطاب جبس دَرّها وصَرّها أن يُخْرَج منه شيء ، نظراً للإسلام وأهله (٢) .

وأخرج عن زيد بن أسلم ، قال : كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كلّ عهدٍ كان بينه وبين أحد ممّن عاهده ، فلم يوجد فيه لأهل مصر عهد (٣) .

وأخرج عن الصّلت بن أبي عاصم ، أنّه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز إلى حيّان بن شُرَيح : إنّ مصر فُتحَتْ عَنوة بغير عهد ولا عقد .

وأخرج نحو ذلك عن أبي سلَمة بن عبد الرحمن وعراك بن مالك وسالم ابن عبد الله (٤) .

وأخرج ابن عبد الحكم ، ومحمد بن الربيع الجيزىّ فى كتاب : مَنْ دخل مصر من الصحابة،من طرق عن عبدالله بن المغيرة بن أبي بُردة :سمعت سُفيان بن وهب الخولانىّ يقول:

---

(١) فتوح مصر ٨٩ — (٢) فتوح مصر ٨٩

(٣) فتوح مصر ٨٩ — (٤) فتوح مصر ٨٩

لما فتحنا مصر بغير عهد ، قام الزبير بن العوام ، فقال : ياعمرو أقسِمْها ، فقال عمرو بن العاص : لا أقسِمْها ، فقال الزبير : والله لتقسمنَها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خَيْبر ، فقال عمرو : لم أكن لأُحدِث حدَثاً ، حتى أكتب بذلك إلى أمير المؤمنين . فكتب إليه عمر بن الخطاب : أقِرّها حتى تغزُوَ منها حَبَل الحبلة[1] .

قال محمد بن الربيع : لم يَرْوِ أهلُ مصر عن الزبير بن العوام غير هذا الحديث الواحد .

* * *

ومَنْ قال إن بعضها صلح وبعضها عنوة :

قال ابن عبد الحكم : حدّثنا يحيى بن خالد ، عن رِشْدين بن سعد ، عن عقيل بن خالد ، عن ابن شهاب ، قال : كان فَتْح مصر بعضها بعهدٍ وذمّة ، وبعضها عَنْوة ، فجعلها عمر بن الخطاب جميعا ذِمّةً ، وحملهم على ذلك ؛ فمضى ذلك فيهم إلى اليوم[2] .

فصــــل

قد لخص القضاعيّ فى كتابه الخطط قِصّة فتح مصر تلخيصا وجيزا فقال ،ومن خطه نقلت : لَمّا قدم عمرو بن العاص رضى الله عنه من عند عمر رضى الله عنه ، كان أوّل مَوْضِع قوتل فيه الفَرَما قتالا شديدا نحوا من شهر ، ثم فتح الله عليه . قال أبو عمر الكنديّ : وكان أوّل مَنْ شدّ على باب الحصن حتى اقتحمه أسيفع بن وعلة السَّبَئىّ وأتبعه المسلمون ، فكان الفتح . وتقدم عمرو ، لا يدافَع إلا بالأمر الخفيف ، حتى أتى بِلْبَيْس ، فقاتلوه بها نحوا من شهر ، حتى فتح الله عليه ، ثم مضى لا يدافَع إلّا بالأمر الخفيف ؛ حتى أتى أم دُنَين وهى المقس ، فقاتلوه بها قتالا شديد ، وكتب إلى عمر

---

(١) فتوح مصر ٨٨ (٢) فتوح مصر ٩٠

يستمدّه ، فأمدّه باثنى عشر ألفا ، فوصلوا إليه أرسالًا يتبع بعضهم بعضا ، وكان فيهم أربعة آلاف عليهم أربعة ، وهم الزُّبير بن العوّام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلّد — وقيل : إنّ الرابع خارجة بن حُذافة دون مسلمة — ثم أحاط المسلمون بالحصن ،وأمير الحصن يومئذ المندفور الذى يقال له الأعيرج من قِبَل المقوقس بن قرقب اليونانىّ ، وكان المقوقس ينزل الإسكندرية وهو فى سلطان هِرَقْل ، غير أنّه كان حاضر الحصن حين حاصره المسلمون ، ونصب عمرو فُسْطاطه فى موضع الدّار المعروفة بإسرائيل التى على باب زقاق الزهرىّ ، ويقال فى دار أبى الوزام التى فى أوّل زقاق الزّهرىّ ، ملاصقة لدار إسرائيل . وأقام المسلمون على باب الحصن محاصرين الروم سبعة أشهر .

ورأى الزبير خللا ممّا يلى دار أبى صالح الحرّانىّ الملاصقة لحمام بن نصر السراج عند سوق الحمام ، فنصب سلّما ، وأسنده إلى الحصن ، وقال : إنّى أهب نفسى لله عزّ وجلّ ، فمن شاء أن يتبعْنى فليتبعنى ، فتبعه جماعة حتى أوْفَى على الحصن ، فكبّر وكبروا ، ونصب شرحبيل بن حسنة المُرادىّ سلّما آخر ممّا يلى زقاق الزمامرة ، ويقال : إنّ السّلّم الذى صعد عليه الزبير كان موجوداً فى داره التى بسوق وَرْدان إلى أن وقع حريق فاحترق .

فلما رأى المقوقس أنّ العرب قد ظفروا بالحصن ، جاس فى سفنه هو وأهل القوة .

وكانت ملصقة بباب الحصن الغربىّ ، فلحقوا بالجزيرة ، وقطعوا الجسر ، وتحصنوا هناك والنِّيل حينئذ فى مَدِّه .

وقيل . إن الأعيرج خرج معهم . وقيل أقام فى الحصن .

وسأل المقوقس فى الصّلح ، فبعث إليه عمرو بعُبادة بن الصامت ، فصالَحه المقوقس على القِبْط والرّوم ، على أنّ للروم الخيار فى الصلح إلى أن يوافِى كتابُ ملِكهم ؛ فإن

رضى تمّ ذلك ، وإن سخط انتقض مابينه وبين الروم ؛ وأمّا القِبْط فبغير خيار . وكان الذى انعقد عليه الصّلح أن فرِض على جميع مَنْ بمصر أعلاها وأسفلها من القبْط ديناران عن كل نفس فى كلّ سنة من البالغين؛ شريفهم ووضيعهم دون الشيوخ والأطفال والنساء، وعلى أن للمسلمين عليهم النّزل[١] حيث نزلوا ، وضيافة ثلاثة أيام لكلّ مَنْ نزل منهم ؛ وأنّ لهم أرضهم وبلادهم ، لا يعترضون فى شىء منها .

فمن قال إن مصر فتحت صلحا تعلّق بهذا الصلح ، وقال: إنّ الأمر لم يتمّ إلا بما جرى بين عبادة بن الصامت وبين المقوقس ؛ وعلى ذلك أكثر العلماء من أهل مصر: منهم عُقْبة بن عامر ويزيد بن أبى حبيب واللّيث بن سعد وغيرهم ، وذهب الذين قالوا إنها فتحت عَنْوة إلى أنّ الحصن فتح عَنْوة ؛ فكان حكم جميع الأرض كذلك .

وممّن قال إنها فتحت عنوة، عبيد الله بن المغيرة السبئىّ وعبد الله بن وهب ومالك ابن أنس وغيرهم .

وذهب بعضُهم إلى أن بعضها فتح عَنْوة وبعضها فتح صلحاً ، منهم ابن شهاب وابن لَهِيعة ، وكان فتحها يوم الجمعة مستهلّ المحرّم سنة عشرين .

وذكر يزيد بن أبى حبيب أنّ عدد الجيش الذى كان مع عمرو بن العاص خمسة عشر ألفا وخمسمائة .

وذكر عبد الرحمن بن سعيد بن مقلاص[٢] ، أنّ الذين جرت سهامُهم فى الحصن من المسلمين اثنا عشر ألفا وثلاثمائة بعد مَنْ أصيب منهم فى الحصار من القتل والموت .

ويقال إن الذين قُتِلوا فى مدّة هذا الحصار من المسلمين دفنوا فى أصل الحصن .

ثم سار عمرو بن العاص إلى الإسكندرية فى شهر ربيع الأول سنة عشرين – وقيل فى جمادى الآخرة – فأمر بفُسطاطه أن يقوّض[٣] ، فإذا بيمامة قدباضت فى أعلاه ، فقال :

(١) ط : « النزل والضيافة » .
(٢) ح ، ط : « مقدام »
(٣) ح ، ط : « يعرض » .

لقد تحرّمت بجوارنا ، أقروا الفُسطاط حتى يطير فراخها ، فأقرّوا الفسطاط فى موضعه ، فبذلك سُمّيت الفسطاط .

وذكر ابن قُتيبة ، أنّ العرب تقول لكلّ مدينة فُسطاط ، ولذلك قيل لمصر : فسطاط . وقفل عمرو بن العاص من الإسكندرية بعد افتتاحها والمقام بها فى ذى القعدة سنة عشرين .

قال الليث: أقام عمرو بالإسكندرية فى حصارها وفتحها ستة أشهر ، ثم انتقل إلى الفسطاط ، فاتخذها دارا . انتهى كلام القضاعى بحروفه رحمه الله .

* * *

ذكر الخطط

أخرج ابن عبد الحكم ، عن يزيد بن أبى حبيب ، أن عمرو بن العاص لمّا فتح الإسكندرية ورأى بيوتها وبناها مفروغا منها ، همّ أن يسكنها ، وقال : مساكن قد كفيناها، فكتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستأذنه فى ذلك ؛ فسأل عمر الرسول : هل يحول بينى وبين المسلمين ماء ؟ قال : نعم ياأميرَ المؤمنين ، إذا جرى النيل . فكتب عمر إلى عمرو : إنى لا أحبّ أن تُنزل المسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف . فتحوّل عمرو بن العاص من الإسكندرية إلى الفُسْطاط[1] .

وأخرج ابن عبد الحكم ، عن يزيد بن أبى حبيب ، أنّ عمر بن الخطاب ، كتب إلى سعد بن أبى وقّاص ، وهو نازل بمدائن كسرى ، وإلى عامله بالبصرة وإلى عمرو بن العاص وهو نازل بالإسكندرية؛ ألّا تجعلوا بينى وبينكم ماء، متى أردت أنْ أركب إليكم راحلتى حتى أقدم عليكم قدمت . فتحوّل سعد من مدائن كسرى إلى الكوفة ،

(١) فتوح مصر ٩١

وتحوّل صاحب البَصْرة من المكان الذى كان فيه ، فنزل البصرة ، وتحوّل عمرو بن العاص من الإسكندرية إلى الفُسطاط[1] .

قال ابنُ عبد الحكم : وحدّثنا أبى وسعيد بن عُفَير ، أن عمرو بن العاص لما أراد التوجّه إلى الإسكندرية [لقتال مَنْ بها من الرّوم][2] أمر بنزع فُسطاطه ، فإذا فيه يمام قد فرّخ ، فقال : لقد تحرّم منّا بمتحرّم ، فأمر به فأقرّه كما هو ، وأوصى به صاحب القصر ، فلمّا قفل المسلمون من الإسكندرية ، وقالوا : أين ننزل ؟ قال : الفسطاط — لفسطاطه الذى كان خلّفه ، — وكان مَضْرُوباً فى موضع الدار التى تُعرَف اليوم بدار الحصى[3] .

* * *

وقال القضاعى: لمّا رجع عمرو من الإسكندريّة ، ونزل موضع فُسطاطه ، انضمّت القبائل بعضها إلى بعض ، وتنافسوا فى المواضع ، فولّى عمرو على الخطط معاوية بن حُدَيج التُّجيبىّ وشريك بن سمىّ القطيفىّ : من مُراد ، وعمرو بن مخزوم الخَوْلانىّ ، وحيويل ابن ناشرة المعافرىّ ؛ فكانوا هم الذين أنزلوا النّاس ، وفصلوا بين القبائل ، وذلك فى سنة إحدى وعشرين . ذكره الكندىّ .

قال ابنُ عبد الحكم : وقد كان المسلمون حين اختطّوا تركوا بينهم وبين البحر والحصن فضاء لتفريق دوابّهم وتأديبها ، فلم يزل الأمر على ذلك حتى وَلِيَ معاوية بن أبى سفيان ، فأقطع فى الفضاء ، وبنيت به الدور . قال : وأمّا الإسكندرية فلم يكن بها خِطط ، وإنما كانت أخائذ ، من أَخذ منزلا نزل فيه هو وبنو أبيه .

ثم أخرج عن يزيد بن أبى حبيب أن الزبير بن العوام اختطّ بالإسكندرية .

---

(١) فتوح مصر ٩١ .　　(٢) من فتوح مصر　　(٣) فتوح مصر ٩١

ذكر بناء المسجد الجامع

قال ابنُ عبد الحكم : حدّثنا عبد الملك بن مسلمة ، عن اللّيث بن سعد ، قال : بنى عمرو بن العاص المسجد ؛ وكان ماحوله حدائق وأعنابا ، فنصبوا الحبال حتى استقام لهم ، ووضعوا أيديَهم ، فلم يزل عمرو قائما حتى وضعوا القِبْلة ؛ وإن عمراً وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعوها واتخذوا فيه منبرا (١) .

وحدّثنا عبدُ الملك عن ابن لَهيعة ، عن أبى تميم الجيشانىّ ، قال : كتب إليه عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : أمّا بعد ؛ فإنه بلغنى أنّك اتخذت مِنبراً ترقى به على رقاب المسلمين ، أوما(٢) حسبُك أن تقومَ قائمـا والمسلمون تحت عَقِبَيك ! فعزمت عليك لمّا كسرته(٣) .

وحدّثنا عبدُ الملك ، أنبأنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى الخير ، أنّ أبا مسلم اليافعىّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤذّن لعمرو بن العاص ، فرأيته يبخّر المسجد (٤) .

وقال يزيد بن أبى حبيب : وقف على إقامة قبْلة الجامع ثمانون من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم .

قال ابنُ عبد الحكم : ثم إن مسلمة بن مخلَّد الأنصارىّ زاد فى المسجد الجامع بعد بنيان عمرو له ومسلمة الّذى كان أخذ أهل مصر ببنيان المنار للمساجد ، كان أخذُه إياه بذلك فى سنة ثلاث وخمسين ، فبُنيت المنار ، وكتب عليها اسمه ، ثم هدم عبد العزيز

---

(١) فتوح مصر ٩٢

(٢) ط : « أما » .

(٣) فتوح مصر ٩٢

(٤) فتوح مصر ٩٢

ابن مروان المسجد فى سنة سبع وسبعين وبناه . ثم كتب الوليد بن عبد الملك فى خلافته إلى قرّة بن شَريك العبسىّ،وهو يومئذ واليه على أهل مصر[1] فهدمه كلَّه ، وبناه هذا البناء وزوّقه ، وذهّب رءوس العُمد التى هى فى مجالس قيس ، وليس فى المسجد عمود مذهّب الرأس إلا فى مجالس قيس . وحوّل قرّة المنبر حين هُدم المسجد إلى قيسارية العسل ، فكان الناس يصلون فيها الصلوات ، ويجمعون فيها الُجمع ، حتى فرغ من بنيانه ، ثم زاد موسى بن عيسى الهاشمىّ بعد ذلك فى مؤخره فى سنة خمس وسبعين ومائة . ثم زاد عبد الله ابن طاهر فى عرضه بكتاب المأمون بالإذن له فى ذلك سنة ثلاث عشرة ومائتين ،وأدخل فيه دار الرمل ودورا أخرى من الخطط .

هذا ماذكره ابن عبد الحكم[2] .

* * *

وقال ابنُ فضل الله فى المسالك : مسجد عمرو بن العاص مسجد عظيم بمدينة الفسطاط ، بناه عمرو موضع فسطاطه وما جاوره ، وموضع فسطاطه حيث المحراب والمنبر وهو مسجد فسيح الأرجاء ، مفروش بالرّخام الأبيض ، وعمدُه كلّها رخام ، ووقف عليه ثمانون من الصحابة ، وصلّوا فيه ، ولا يخلو من سكنى الصلحاء[3] .

---

(١) بعدها فى فتوح مصر : « وكانت ولاية قرة بن شريك مصر سنة تسعين ، قدمها يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول .

(٢) فتوح مصر ١٣١،١٣٢

(٣) مسالك الأبصار ١ : ٢٠٨

ذكر الدار التى بنيت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فأمر بجعلها سوقا

أخرج ابن عبد الحكم، عن أبى صالح الغفارى ، قال : كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما : إنا قد اختططنا لك دارا عند المسجد الجامع. فكتب إليه عمر : أنّى لرجل بالحجاز يكون له دار بمصر ! وأمره أن يجعلها سوقا للمسلمين .

قال ابن لهيعة : هى دار البركة ، فجعلت سوقا ، فكان يباع فيها الرقيق(١) .

* * *

(١) فتوح مصر ٩٢

ذكر أول من بنى بمصر غرفة

قال ابن عبد الحكم : حدّثنا شعيب بن الليث وعبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن يزيد بن أبى حبيب ، قال : أوّل من بنى غرفة بمصر خارجة بن حذافة ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فكتب إلى عمرو بن العاص : سلامٌ عليك ، أما بعد فإنه بلغنى أن خارجة بن حُذافة بنى غُرفة ؛ وأراد أن يطّلع على عوراتِ جيرانه ، فإذا أتاك كتابى هذا فاهدِمْها إن شاء الله. والسلام [١] .

***

ذكر حمّام الفأر

وقال ابن عبد الحكم : اختطّ عمرو بن العاص الحمّام التى يقال لها حمام الفار ، لأن حمامات الروم كانت ديماسات كبار ، فلمّا بنى هذا الحمام ، ورأوا صغره ، قالوا : من يدخل هذا ! هذا حمّام الفار [٢] .

---

(١) فتوح مصر ١٠٤ .

(٢) فتوح مصر ٩٦ .

ذكر اختطاط الجيزة

قال ابن عبد الحكم : حدثنا عثمان بن صالح ، أنبأنا ابن لَهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب وابن هبيرة ، قالا : لما اختطّت القبائل استحبّت هَمْدان وما والاها الجيزة ، وكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يعلمه بما صنع الله للمسلمين . وما فتح الله عليهم ، وما فعلوا[١] فى خططهم ؛ وما استحبّت همْدانُ وما والاها من النّزول بالجيزة . فكتب إليه عمر ، يحمَد الله على ما كان من ذلك ، ويقول له : كيف رضيت أن تفرّق أصحابك ، ولم يكن ينبغى لك أن ترضى لأحد من أصحابك أن يكون بينك وبينهم بحر ، لا تدري مايفجؤهم ، فلعلّك لا تقدر على غِياثهم حين ينزل بهم ماتكره . فاجمعهم إليك فإنْ أبَوا عليك ، وأعجبهم موضعهم ، فابْن عليه من فىء المسلمين حصنا . فعرض ذلك عمرو عليهم فأبَوا ، وأعجبهم موضعهم بالجيزة ومَنْ والاهم على ذلك من رهطهم ؛ يافع[٢] وغيرها ، وأحبُّوا ماهنا لك ، فبنى لهم عمرو بن العاص الحصن بالجيزة فى سنة إحدى وعشرين ، وفرغ من بنائه فى سنة اثنتين وعشرين . قال غير ابن لَهيعة من مشايخ أهل مصر : إن عمرو بن العاص لمّا سأل أهل الجيزة أن ينضمّوا إلى الفسطاط قالوا : متقدّم[٣] قدّمناه فى سبيل الله ، ما كنّا لنرحل منه إلى غيره ، فنزلت يافع بالجيزة ، فيها مبرّح ابن شهاب ، وهَمْدان ، وذو أصبح ، فيهم أبو شمر بن أبرهة ، وطائفة من الحَجْر ، منهم علقمة بن جنادة أحد بنى مالك بن الحَجْر ، وبرزوا إلى أرض الحرث والزرع .

وكان بين القبائل فضاء ، من القَبيل إلى القبيل ، فلما قدمت الأمداد فى زمن عثمان ابن عفّان وما بعد ذلك ، وكثر النّاس ، وسع كلّ قوم لبنى أبيهم حتى كثُر البُنيان ، والتأم خِطط الجيزة[٤] .

---

(١) ح ، ط : « صنعوا » ، وما أثبته من الأصل وابن عبد الحكم .

(٢) فى القاموس : يافع أبو قبيلة من رعين » ، وفى الأصول : « نافع » ، والصواب من أثبته من فتوح مصر .

(٣) كذا فى الاصل وفى ح ، ط : « مقدم » . (٤) فتوح مصر ١٢٨ ، ١٢٩ .

ذكر المقطم

قال ابنُ عبد الحكم : حدّثنا عبد الله بن صالح ، عن الليث بن سعد ، قال : سأل المقوقسُ عمرو بن العاص أن يبيعَه سفْحَ المقطم بسبعين ألف دينار ، فعجب عمرو من ذلك وقال : أكتب فى ذلك إلى أمير المؤمنين ، فكتب فى ذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : سلْه لِمَ أعطاك به ما أعطاك وهى لا تُزدَرَع[1] ولا يُستنبط بها ماء ، ولا ينتفع بها . فسأله فقال : إنّا لنجد صفتها فى الكتب ؛ إن فيها غراسَ الجنّة . فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : إنا لا نعلم غِراس الجنة إلا للمؤمنين ، فأقْبِر فيها مَن مات قبلَك من المسلمين ، ولا تبعْه بشىء . فكان أوّل منْ دُفن فيها رجل من المعافر ، يقال له عامر ، فقيل : عَمِرتْ[2] .

حدّثنا هانئُ بن المتوكّل ، عن ابن لَهيعة ، أنّ المقوقس قال لعمرو : إنا لنجد فى كتابنا أنّ ما بين هذا الجبل وحيث نزلتم ينبت فيه شجرُ الجنّة ، فكتب بقوله إلى عمر ابن الخطاب ، فقال : صدق ، فاجعلها مقبرةً للمسلمين[2] .

حدّثنا عثمان بن صالح ، عن ابن لهيعة ، عمّن حدثه ، قال : قُبِر فيها ممّن عرفنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس نفر : عمرو بن العاص ، وعبد الله بن حُذافة السَّهمىّ ، وعبد الله بن الحارث بن جزْء الزّبيدىّ ، وأبو بَصْرة الغفارىّ ، وعُقْبة بن عامر الجهنىّ .

وقال غيرُ عثمان : ومسلمة بن مخلّد الأنصارىّ . قال ابن لَهيعة : والمقطّم ما بين القصير إلى مقطع الحجارة ، وما بعد ذلك فمن اليَحْموم[2] .

حدثنا سعيد بن عفير وعبد الله بن عياد ، قالا : حدثنا المفضّل بن فضالة ، عن أبيه قال : دخلنا على كعب الأحبار ، فقال لنا : ممّن أنتم ؟ قلنا : من أهل مصر ، قال : ماتقولون

---

(١) ح ، ط : « تزرع » .

(٢) فتوح مصر ١٥٦ ، ١٥٧ .

فى القُصير ؟ قلنا: قُصير موسى قال : ليس بقُصير موسى ، ولـكنه قُصَير عزيز مصر ، كان إذا جرى النيل يترفّع فيه ، وعلى ذلك إنه لمقدّس من الجبل إلى البحر [١] .

حدّثنا هانئ ابن المتوكّل ، عن ابن لهيعة ورِشْدين بن سعد ، عن الحسن بن ثوبان ، عن حسين بن شُفَىّ الأصبحىّ ، عن أبيه شُفَىّ بن عبيد ، أنّه لما قَدِم مصر – وأهلُ مصر اتّخذوا مصلى بحذاء ساقية أبى عَوْن التى عند العسكر – فقال : مالهم وضعوا مصلّاهم فى الجبل الملعون ، وتركوا الجبل المقدس [١] !

حـدّثنا أبو الأسود نصر بن عبد الجبار ، أنبأنا ابن لهيعة ، عن أبى قبيل ، أن رجلاً سأل كعبا عن جبل مصر ، فقال : إنّه لمقدّس مابين القُصَير إلى اليَحْموم [١] .

وأخرج ابنُ عساكر فى تاريخه ، عن سفيان بن وهب الخَوْلانىّ ، قال : بينما نحن نسير مع عمرو بن العاص فى سَفْح المقطّم ، ومعنا المقوقس ، فقال له : يا مقوقس ، ما بال جبلكم هذا أقرع ، ليس عليه نبات ولا شجر ، على نحو من جبال الشام ! قال : ما أدرى ؛ ولـكنّ الله أغنى أهلَه بهذا النيل عن ذلك ؛ ولـكنا نجد تحته ما هو خير من ذلك ، قال : وما هو ؟ قال : ليُدفننّ تحته قوم يبعثهم الله يوم القيامة لا حساب عليهم ، فقال عمرو : اللهمّ اجعلنى منهم .

وقال الـكندىّ : ذكر أسد بن موسى ، قال : شهدتُ جنازةً [٢] مع ابن لَهِيعة ، فجلسنا حوله ، فرفع رأسه ، فنظر إلى الجبل ، فقال : إن عيسى عليه الصلاة والسلام مرّ بسفح هذا الجبل ، وأمّه إلى جانبه ، فقال : يا أماه ، هذه مقبرة أمّة محمد صلى الله عليه وسلم .

قال الـكِنْدىّ : وسأل عمرو بن العاص المقوقس : ما بالُ جبلكم هذا أقرع ، ليس عليه نبات كجبال الشام ؟ فقال المقوقس : وجدْنا فى الـكتب ، أنه كان أكثر الجبال شجرا ونباتا وفاكهة ، وكان ينزله المقطم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح ، فلما كانت

(١) فتوح مصر ١٥٧ ، ١٥٨ .
(٢) الجنازة : الميت .

الليلة التى كلّم الله فيها موسى ، أوحى الله تعالى إلى الجبال : إنى مكلم نبيًّا من أنبيائى على جبل منكم ، فسمت الجبال وتشامخت إلا جبل بيت المقدس ، فإنه هبط وتصاغر ، قال : فأوحى الله إليه : لم فعلت ذلك ؟ فقال: إجلالاً لك يارب ّ ، قال : فأمر الله الجبال أن يعطوه ؛ كلّ جبل منها ممّا عليه من النبت ، وجاد له المقطم بكلّ ما عليـه من النبْت ، حتى بقى كما ترى ، فأوحى الله إليه : إنى معوّضك على فعلك بشجر الجنة أو غراسها ، فكتب بذلك عمرو بن العاص إلى عمر رضى الله عنهما ، فكتب إليه: إنى لا أعلم شجر الجنة [أو غراسها][1] لغير المسلمين ، فاجعله لهم مقبرة . ففعل ذلك عمرو ، فغضب المقوقس ، وقال لعمرو : ما على هـذا صالحتَنى ! فقطع له عمرو قطيعاً من نحو الحبش يدفن فيه النصارى .

قال الكندىّ : وروى ابن لهيعة عن عيَّاش بن عباس ، أن كعب الأحبار سأل رجلاً يريد السَّفر إلى مصر ، فقال له : أهدِ لى تربة من سَفْح مقطمها ؛ فأتاه منه بجراب . فلما حضرتْ كعباً الوفاة أمر به ففُرِش فى لحدِه تحت جنبه .

***

فصـــل

قد أفتى ابن الجُمّيزى وغيره بهدم كلّ بناء بسفح المقطم ، وقالوا : إنّه وقْفٌ من عمر على موتى المسلمين .

وذكر ابنُ الرِّفعـة عن شيخه الظهير التِّزْمنتىّ ، عن ابن الجمّيزى ، قال : جهدت مع الملك الصالح فى هَدْم ما أُحْدِث بالقرافة من البناء ، فقال : أمرَ فعله والدى ، لا أزيله . قال : وهذا أمر قد عمّت به البلوى وطمّت ، ولقد تضاعف البناء حتى انتقل إلى

(١) من ح ، ط

المباهـاة[1] والنزهـة ، وسلّطت المراحيض على أموات المسلمين من الأشراف والأوليـاء وغيرهم .

وذكر أربابُ التاريخ ، أن العمارة من قبّة الإمام الشافعى رضى الله عنه إلى باب القرافة : إنما حدثت أيّام الناصر بن قلاوون ، وكانت فضاء ، فأحدث الأمير يلبغا التركمانىّ تربة ، فتبعه الناس .

قال الفاكهى فى شرح الرسالة : ولا يجوز التضييق فيها ببناء يحرز[2] به قبرا ولا غيره ، بل لا يجوز فى المقبرة المحبَّسة غيرُ الدفن فيها خاصة ؛ وقد أفتى مَن تقدم من أجلّة العلماء رحمهم الله على مابلغنى ممّن أثق به بهدم ما بُنِىَ بقرافة مصر ، وإلزام البنّائين فيها حمل النّقض ، وإخراجه عنها إلى موضع غيرها .

وأخبرنى الشيخ الفقيه الجليل نجم الدين بن الرِّفْعة ، عن شيخه الفقيه العلامة ظهير الدين التزمّنتىّ ، أنه دخل إلى صورة مسجد بُنى بقرافة مصر الصغرى ، فجلس فيه من غير أن يصلى تحية ، فقال له البانى : ألا تصلى تحية المسجد ! قال : لا ، لأنه غير مسجد ، فإن المسجد هو الأرض والأرض مسبلة لدفن المسلمين — أو كما قال .

وأخبرنى أيضا المذكور ، عن شيخه المذكور ، أنّ الشيخ بهاء الدين بن الجمّيزىّ ، قال : جهدت مع الملك الصالح فى هَدْم ما أُحدث بقرافة مصر من البناء ، فقال : أمر فعله والدى لا أزيله .

وإذا كان هذا قول ذلك الإمام وغيره فى ذلك الزمان قبل أن يبالغوا فى البناء ، والتفنن فيه ونبش القبور لذلك ، وتصويب[3] المراحيض على أموات المسلمين من الأشراف والعلماء والصالحين وغيرهم ؛ فكيف فى هذا الزمان ، وقد تضاعف ذلك جدّا حتى كأنهم لم

---

(١) ط : « المباهاة » .   (٢) ط : « يحوز » .

(٣) ح ، ط : « ونصب » ، وما أثبته من الأصل .

يجدوا من البناء فيها بدّا ، وجاءوا فى ذلك شيئاً إدّا ، فيجب على ولىّ الأمر أرشده الله تعالى الأمر[1] بهدمها وتخريبها حتى يعود طولها عرضا وسماؤها أرضا .

وقال ابنُ الحاجّ فى المدخل : القرافة جعلها أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لدفن موتى المسلمين فيها، واستقرّ الأمر على ذلك ، فيمنع البناء فيها .

قال : وقد قال لى مَنْ أثق به وأسكن إلى قوله : إن الملك الظاهر – يعنى بيبرس – كان قد عزم على هدم ما فى القرافة من البناء كيف كان ، فوافقه الوزير فى ذلك ، وفنّده واحتال عليه بأن قال له : إن فيها مواضع للأمراء ، وأخاف أن تقع فتنة بسبب ذلك ، وأشار عليه أن يعمل فتاوى فى ذلك فيستفتى فيها الفقهاء : هل يجوز هدمُها أم لا ؟ فإن قالوا بالجواز فعل الأمير ذلك مستندا إلى فتاويهم ، فلا يقع تشويش على أحد . فاستحسن الملك ذلك ، وأمره أن يفعل ما أشار به . قال : فأخذ الفتاوى ، وأعطاها لى ، وأمرنى أن أمشىَ على مَنْ فى الوقت من العلماء ، فمشيت بها عليهم مثل الظهير التزمنتىّ وابن الجُمّيزى ونظائرهما فى الوقت ، فالكلّ كتبوا خطوطهم ، واتفقوا على لسان واحد أنه يجب على ولىّ الأمر أن يهدم ذلك كله ، ويجب عليه أن يكلّف أصحابه رمى ترابها إلى الكيمان ، ولم يختلف فى ذلك أحد منهم . قال : فأعطيت الفتاوى للوزير ، فما أعرف ما صنع فيها ، وسكت على ذلك ، وسافر الملك الظاهر إلى الشام فى وقته ، فلم يرجع ، ومات بها .

فهذا إجماع من هؤلاء العلماء المتأخّرين ، فكيف يجوز البناء فيها ! فعلى هذا فكلّ مَنْ فعل ذلك فقد خالفهم .

---

(١) فى الأصل : « إلى الأمر » .

ذكر جبل يشكر

هو الذى عليه جامع أحمد بن طولون ، ويقال : إنه قطعة من الجبل المقدس ، وكان يشكر رجلا صالحا .

وقيل : إن الجبل المذكور يُستجاب فيه الدعاء . وكان يصلّى عليه التابعون والصالحون وقد أشار أهل الفلاح [1] على ابن طولون أنّه يبنى جامعه عليه .

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى ح ، ط : « ابن الصلاح » .

ذكر فتوح الفَيّوم

قال ابن عبد الحكم: حدّثنى سعيد بن عُفير وغيره، قالوا[1]: لما تمّ الفتحُ للمسلمين بعث عمرو جرائد الخيل إلى القرى التى حولها، فأقامت الفيّوم سنة، لم يعلم المسلمون بها ولا مكانها[2] حتى أتاهم آت، فذكرها لهم؛ فأرسل عمرو معه ربيعة بن حُبيش بن عَرْفَطة الصَّدَفىّ؛ فلما سلكوا فى المَجابَة لم يروْا شيئا، فهمّوا بالانصراف، فقالوا: لا تعجلوا، سيرُوا؛ فإن كان كذبا فما أقدركم على ما أردتم! فلم يسيروا إلّا قليلا حتى طلع لهم سَواد الفيوم، فهجموا عليها؛ فلم يكن عندهم قتال، وألقوْا ما بأيديهم. ويقال: بل خرج مالك بن ناعمة الصَّدَفىّ على فرسه [وهو صاحب الأشقر][3] يبعض المجابة، ولا عِلْمَ له بما خلفها من الفيّوم، فلمّا رأى سوادها، رجع إلى عمرو، فأخبره بذلك.

ويقال: بل بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث إلى الصعيد، فسار حتى أتى القيْس، فنزل بها، وبه سُمّيت القَيْس، فراث[4] على عمرو خبره، فقال ربيعة بن حُبيش: كفيتَ. فركب فرسه، فأجاز عليه البحر — وكانت أنثى — فأتاه بالخبر. ويقال: إنه أجاز من ناحية الشرقيّة حتى انتهى[5] إلى الفيّوم[6].

---

(١) ح، ط: «قال»، وما أثبته من الأصل وفتوح مصر.
(٢) فتوح مصر: «بمكانها». (٣) من فتوح مصر.
(٤) راث، أى أبطأ؛ وفى ح، ط: «فراس»، تحريف.
(٥) ح، ط: «أتى».
(٦) فتوح مصر ١٦٩، وفى آخره: «وكان يقال لفرسه الأعمى».

ذكر فتح برقة والنوبة

قال ابن عبد الحكم : وبعث عمرو بن العاص نافع بن عبد القيس الفِهرىّ ـ وكان نافع أخا العاصى بن وائل لأمّه ـ فدخلت خيولهم [1] أرض النّوبة صوائف كصوائف [2] الرّوم ، فلم يزل الأمرُ على ذلك حتى عُزِل عمرو بن العاص عن مصر ، ووليها [3] عبدُ الله ابن سعد بن أبى سَرْح ، وصالحهم ، وذلك فى سنة إحدى وثلاثين ؛ على أن يؤدُّوا كلّ سنة للمسلمين ثلاثمائة رأس وستين رأسا ، ولوالى البلد أربعين رأسا [4] .

قال : وكان البربر بفلسْطين ، وكان ملكهم جالوت ؛ فلما قتله داود عليه الصلاة والسلام خرج البربرُ متوجِّهين إلى المغرب : حتى انتهوْا إلى لُوبية ومَراقِيَة ـ وهما كُورتان من كُور مصر الغربيّة ممّا يشرب من السماء، ولا ينالهما النيل ـ فتفرّقوا هنالك؛ فتقدّمت زَنَاتة ومغيلة [5] إلى المغرب ، وسكنوا الجبال ، وتقدّمت لُواته ، فسكنت أرضَ أنطابُلُس ؛ وهى برْقة ؛ وتفرّقت فى هذا المغرب ، وانتشروا فيه ، ونزلت هَوّارة مدينة لَبْدة [6] .

فسار عمرو بن العاص فى الخيل حتى قدم بَرْقة ؛ فصالح أهلَها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جِزْية ، على أن يبيعوا مَنْ أحبّوا من أبنائهم فى جِزْيتهم ولم يكن يدخل برقة يومئذ جابى خراج إنّما كانوا يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها .

ووجّه عمرو بن العاص عُقْبةَ بن نافع : حتى بلغ زَوِيلة ، فصار ما بين برقة وزَوِيلة للمسلمين [7] .

---

(١) ح ، ط : « خيلهم » .

(٢) الصائفة فى الأصل غزوة الروم ؛ لأنهم كانوا يغزون صيفا لمكان البرد والثلج . وفى ح ، ط : « طوائف كطوائف » ، تحريف .

(٣) فتوح مصر : « وأمر »

(٤) فتوح مصر ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٥) كذا فى فتوح مصر ، وفى الأصل : « مغالة » ، وفى ح ، ط : « وغويلة » .

(٦) بعدها فى فتوح مصر : « ونزلت نفوسة إلى مدينة سبرت ، وجلا من كان بها من الروم من أجل ذلك ، وأقام الأفارق ـ وكانوا خدماً للروم ـ على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم » .

(٧) فتوح مصر ١٧٠ ، ١٧١ .

ذكر الجزية

قال ابن عبدالحكم : كان عمرو بن العاص يبعث إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما بالجزية بعد حبس مايحتاج إليه ؛ حدّثنا عثمان بن صالح ، عن ابن لَهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب قال : كانت فريضة مصر لحفر خُلُجِها وإقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع جزائرها مائة ألف وعشرين ألفا، معهم الطّور والمساحى والأداة ؛ يعتقبون ذلك، لا يدَعون ذلك شتاء ولا صيفا [1] .

حدّثنا عبدُ الملك بن مسلمة ، عن القاسم بن عبد الله ، عن عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال : كتَب عمر بن الخطاب أن يُختَم فى رقاب أهل الذمّة بالرّصاص ، ويُظهروا مناطِقَهم ويجزُّوا نواصيَهم ، ويركبوا على الأكُف [2] عرْضا، [ولا يضربُوا الجزية إلّا على من جرت عليه المؤاسى ، ولا يضربوا على النساء ولا على الولدان] [3] ، ولا يَدَعُوهم يتشبّهون بالمسلمين فى ملبوسهم [4] .

حدّثنا عبد الملك ، عن الليث بن سعد ، قال : كانت وَيْبة عمر بن الخطاب فى ولاية عمرو بن العاص ستّة أمداد [5] .

قال ابنُ عبد الحكم : وكان عمرو بن العاص لمّا استوسق [6] له الأمر أقرّ قِبْطها على جباية الروم ؛ وكانت جبايتُهم بالتّعديل : إذا عُمرت القرية ، وكثر أهلها زيد عليهم ، وإنْ قلّ أهلُها وخربت نَقصوا ، فيجتمع عُرَفاء كلّ قرية ورؤساؤها ، فيتناظرون فى

---

(١) فتوح مصر ١٥١

(٢) الإكاف : البرذعة ، وجمعه أكف .

(٣) من فتوح مصر .

(٤) فتوح مصر ١٥١ .

(٥) فى القاموس : « الويبة : ثنان أو أربعة وعشرون مدا » وانظر فتوح مصر ١٥٣ .

(٦) استوسق له الأمر : اجتمع .

العمارة والخراب ؛ حتى إذا أقرّوا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة إلى الكُور ، ثم اجتمعوا هم ورؤساء القُرى ، فوزّعوا ذلك على احتمال القرى وسعة المزارع ، ثم ترجع كلُّ قرية بقسمهم فيجمعون قسمَهم وخراج كلّ قرية ومافيها من الأرض العامرة فيبدُرون ويُخرجون من الأرض فَدادين لكنائسهم وحمّاماتهم ومَعْدياتهم (١) من جملة الأرض ، ثم يخرج منها عددُ الضِّيافة للمسلمين ونزول السلطان ؛ فإذا فرغوا نظرُوا إلى مافى كلّ قرية من الصنائع والأجراء ، فقسَّموا عليهم بقدر احتمالهم ؛ فإن كانت فيها جالية (٢) قسَّموا عليها بقدر احتمالها ، وقلّ ما كانت إلا الرجل الشّابّ أو المتزوّج ، ثم نظروا (٣) فيما بقى من الخراج فيقسمونه بينهم على عدد الأرض ، ثم يقسمون بين مَنْ يريد الزرع منهم على قَدْرِ طاقتهم ؛ فإن عجز أحدٌ وشكا ضعفاً عن زَرْع أرضه وزّعوا ماعجز عنه على ذوى الاحتمال ، وإن كان منهم من يريد الزيادة أعطِىَ ما عجز عنه أهلُ الضعف ؛ فإن تشاحّوا قسموا ذلك على عِدّتهم ، وكانت قسمتهم على قراريط : الدينار أربعة وعشرين قيراطا ، يقسمون الأرض على ذلك . وكذلك روى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « إنّكم ستفتحون أرضاً يُذْكَر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا » ، وجعل عليهم لكل فدان نصف إردبّ وويبْتيْن من شعير إلا القُرْط (٤) ، فلم يكن عليه (٥) ضريبة ، والويبة يومئذ ستة أمداد (٦) .

وحدّثنا عثمان بن صالح وعبد الله بن صالح ، قالا : حدّثنا الليث بن سعد ، قال : لما وَلِىَ ابن رفاعة مصر خرج ليُحصىَ عدّة أهلها ، وينظُر فى تعديل الخراج عليهم ، فقام

---

(١) كذا فى فتوح مصر والمقريزى ، وفى الأصل : « ومقدماتهم » .

(٢) فى القاموس : « الجالية أهل الذمة ، لأن عمر أجلاهم عن جزيرة العرب » ، وفى ط : « الحالية » ، تحريف صوابه من فتوح مصر والأصل

(٣) فتوح مصر : « ينظرون » .

(٤) ح ، ط : « القبط » ، تحريف . والقرط : علف الماشية .

(٥) ح ، ط : « عليهم » ، وهو خطأ . (٦) فتوح مصر ١٥٢ ، ١٥٣ ، والمقريزى ١ : ١٢٣

فى ذلك ستة أشهر بالصّعيد ، حتى بلغ أسوان ومعـه جماعة من الأعوان والـكتّاب يكفونه ذلك بجدٍّ وتشمير وثلاثة أشهر بأسفـل الأرض ، فأحصوا من القرى أكثرَ من عشرة آلاف قرية ، فلم يُحْصَ فيها فى أصغر قرية منهـا أقلُّ من خمسمائة جُمجمة من الرجال الذين يفرض عليهم الجزية [١] .

حدثنا عبد الله بن صالح ، عن الليث بن سعد ، أنّ عمراً جَبَى مصر اثنى عشر ألف ألف، وجباها المقوقس قبله سنة عشرين ألف ألف ، فعند ذلك كتب إليه عمر بن الخطاب:

بسم الله الرحمن الرحيم .

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص . سلام عليك ؛ فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أمّا بعدُ ؛ فإنّى فـكّرتُ فى أمرك والذى أنت عليـه ، فإذا أرضُك أرض واسعة عريضة رفيعة ، قد أعطى الله أهلها عُددا وجلَدا وقوّة فى برٍّ وبحر، وأنها قد عالجتها الفراعنة ، وعملوا فيها عملاً محكماً ، مع شدة عُتُوّهم وكفرهم ، فعجبتُ من ذلك؛وأعجب مما عجبتُ ، أنها لا تؤدّى نصف ما كانت تؤدّيه من الخراج قبل ذلك على غير قحوط ولا جُدوب ؛ ولقـد أكثرتُ فى مكاتبتك فى الذى على أرضك من الخراج ، وظننتُ أنّ ذلك سيأتينا على غير نَزْر ، ورجوت أن تفيق فترفع إلىّ ذلك ؛ فإذا أنت تأتينى بمعاريض تعبأ بها[٢] لا توافق الذى فى نفسى ؛ ولستُ قابلاً منك دون الذى كانت تؤخذ به من الخراج قبل ذلك .ولستُ أدرى ما الذى أنفرك من كتابى وقبّضك فلئن كنت مجزئاً كافيا صحيحا،إن البراءة لنافعة ، ولئن كنت مُضيعاً نَطِفاً[٣] إنّ الأمر لعلى غير ما تُحدّث به نفسك . وقد تركت أن أبتغى ذلك منك فى العام الماضى فى رجاء أن تُفيق فترفع إلىّ ذلك ؛ وقد علمتُ أنه لم يمنعك من ذلك إلا عمّالُك عمّال السوء ، وما تُوَالِس

(١) فتوح مصر ١٥٦ .

(٢) كذا فى المقريزى ، وفى الأصول : « تفتالها » . (٣) نطف الرجل ؛ إذا اتهم بريبة .

عليه وتلقف ؛ اتخذوك كهفا . وعندى بإذن الله دواء فيه شفاء عمّا أسألك عنه ؛ فلا تجزع أبا عبد الله أن يُؤخذ منك الحق وتعطاه ؛ فإن النّهز [1] يخرج الدّرّ ، والحق أبلج ، ودعنى وماعنه تتاجلج ، فإنه قد برّح الخفاء . والسلام .

فكتب إليه عمرو بن العاص :

بسم الله الرحمن الرحيم .

لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص ؛ سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو : أمّا بعدُ ، فقد بلغنى كتابُ أمير المؤمنين فى الذى استبطأنى فيه من الخراج ، والذى ذكر فيه من عمل الفراعنة قبل ، وإعجابَه من خراجها على أيديهم ، ونقص ذلك منها منذ كان الإسلام . ولَعمرى لَلخراج يومئذ أوفر وأكثر ، والأرض أعمر ، لأنهم كانوا على كفرهم وعُتوِّهم أرغبَ فى عمارة أرضهم منّا منذ كان الإسلام . وذكرتَ بأن النّهز يُخرج الدرّ ، فحلبتَها حلباً قطع ذلك درّها . وأكثرت فى كتابك ، وأنّبت ، وعرّضت وثرّبت [2] ؛ وعلمتُ أن ذلك عن شىء تُخفيه على غير خُبْر ؛ فجئتَ لعمرى بالمُفظعات المقذِعات ؛ ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصينٌ صارم بليغ صادق . وقد عملنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن بعده ؛ فكنّا بحمد الله مؤدّين لأماناتنا ، حافظين لما عظّم الله من حق أئمتنا ، نرى غير ذلك قبيحاً ، والعمل به سيّئا ، فيعرَف ذلك لنا ويصدق فيه قِيلنا . معاذ الله من تلك الطعَم ، ومن شرّ الشِّيم ، والاجتراء على كلِّ مأثم ؛ فاقبِضْ عَمَلك ؛ فإنّ الله قد نزّهنى عن تلك الطُّعَم الدنيّة والرغبة فيها بعد كتابك الذى لم تستبقِ فيه عِرْضا [ولم] [3] تكرم فيه أخا . والله يابن الخطاب ؛ لأنا حين يُراد ذلك منّى أشدّ لنفسى غضبا ، ولها إنزاهاً وإكراماً . وما عملتُ من عمل

---

(١) نهز الناقة : ضربها لتدر . (٢) التثريب : اللوم والتأنيب . وفى المقريزى : « وأنبت » .
(٣) من فتوح مصر .

أرى علىّ فيه متعلّقا ؛ ولـكنى حفظتُ مالم تحفظ ؛ ولو كنتُ من يهود يثرب ما زدتَ ـ يغفر الله لك ولنا ـ وسكتُّ عن أشياء كنتُ بها عالما ؛ وكان اللسان بها منى ذلولا ؛ ولـكنّ الله عظّم من حقك مالا يُجهل . والسلام .

فـكتب إليه عمر بن الخطاب [١] :

من عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ؛ سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ؛ أمّا بعدُ ، فقد عجبتُ من كثرة كتبى إليك فى إبطائك بالخراج وكتابك إلىّ ببُنيّات الطّرق [٢] ؛ وقد علمتَ أنّى استُ أرضى منك إلا بالحقّ البيّن ؛ ولم أقدِمْك إلى مصر أجعلها لك طُعمة ولا لقومك ؛ ولـكنى وجّهتُك لما رجوتُ من توفيرك الخراج ، وحسن سياستك ؛ فإذا أتاك كتابى هذا فاحمل الخراج ، فإنّما هو فىء المسلمين ، وعندى مَنْ [قد [٣]] تعلم قوم محصورون . والسلام

فـكتب إليه عمرو بن العاص :

بسم الله الرحمن الرحيم .

لعمر بن الخطـاب من عمرو بن العاص ، سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ؛ أمّا بعد ، فقـد أتانى كتاب أمير المؤمنين يستبطئنى فى الخراج ، ويزعم أنّى أعنِد عن الحقّ ، وأنـكُب عن الطريق ؛ وإنّى والله ما أرغبُ عن صالح ماتعلم ؛ ولـكنّ أهلَ الأرض استنظرونى إلى أن تدْرِك غلّتهم ؛ فنظرت للمسلمين ؛ فـكان الرّفقُ بهم خيراً من أن يُخْرَق بهم ، فنصير إلى مالا غنى بهم عنه . والسلام .

فلما استبطأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخراجَ ، كتب إليه : أن ابعث إلىّ رجلا

---

(١) بعدها فى فتوح مصر : « كما وجدت فى كتاب أعطانيه يحيى بن عبدالله بن بكير عن عبيد الله بن أبى جعفر ، عن أبى مرزوق التجيبى ، عن أبى قيس مولى عمرو بن العاص » .

(٢) بنيات الطريق فى الأصل : الطرق الصغار تتشعب من الجادة .

(٣) من فتوح مصر .

من أهل مصر ؛ فبعث إليه رجلًا قديمًا من القِبْط ، فاستخبره عمر عن مصر وخراجها قبل الإسلام ، فقال : ياأميرَ المؤمنين ، كان لا يؤخذ منها شيء إلّا بعد عمارتها ، وعاملك لا ينظر إلى العمارة ، وإنما يأخذ ماظهر له ؛ كأنه لا يريدُها إلّا لعام واحد .

فعرف عمر ماقال : ، وقبل من عمرو ما كان يعتذر به[١] .

قال ابن عبد الحكم : حدّثنا هشام بن إسحاق العامرىّ قال : كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى عمرو بن العاص ، أن يسأل المقوقس عن مصر : من أين تأتى عمارتُها وخرابها ؟ فسأله عمرو ، فقال له المقوقس : تأتى عمارتُها وخرابها من خمسة وجوه : أن يُستخرج الخراج[٢] فى إبّان واحد عند فراغ أهلها من زروعهم، ويُرْفع خراجها فى إبّان واحد عند فراغ أهلها من عَصْر كرومها ، وتُحفَر فى كلّ سنة خُلُجها ، وتُسدّ ترعها وجسورها ، ولا يُقْبَل مَحْلُ أهلها ــ يريد البغى ــ فإذا فُعِل هذا فيها عُمِرت ، وإن عُمِل فيها بخلافه خربت[٣] .

قال الليث بن سعد : [إن عمرًا جباها اثنى عشر ألف ألف . وقال غير الليث : وجباها المقوقس قبله بسنة وعشرين ألف ألف . قال الليث][٤]: وجباها عبدالله بن سعد حين استعمله عليها عثمان أربعة عشر ألف ألف ، فقال عثمان لعمرو : ياأبا عبد الله ، دَرّت اللِّقْحة[٥] بأكثر من دَرّها الأول ، قال عمرو : أضررتم بولدها[٦] .

حدثنا شعيب بن الليث وعبد الله بن صالح ، عن الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبى حبيب ، قال : كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص : انظر مَنْ قبَلك ممّن بايع

---

(١) فتوح مصر ١٥٨ ــ ١٦١ والمقريزى ١ : ١٢٣ ــ ١٢٦ (٢) فتوح مصر : « خراجها »
(٣) فتوح مصر ١٦١ . (٤) من فتوح مصر .
(٥) اللقحة : الناقة الحلوب . (٦) فتوح مصر ١٦١ .

تحت الشجرة ، فأتمّ لهم العطاء مائتين ، وأتمّها لنفسك لإمْرتك ، وأتمّها لخارجة بن حذافة لشجاعته ، ولعثمان بن أبى العاص لضيافته[١] .

حدثنا سعيد بن عفير ، عن ابن لَهيعة ، قال : كان ديوان مصر فى زمان معاوية أربعين ألفا ، وكان منهم أربعة آلاف فى مائتين ، فأعطى مسلمة بن مخلَّد أهل الديوان أعْطياتهم وأعْطيات عيالهم وأرزاقهم ونوائبهم ونوائب البلاد من الجسور وأرزاق الكتبة وحملان القمح إلى الحجاز ؛ وبعث إلى معاوية بستمائة ألف دينار فضلاً .

حدثنا هانئ ، حدّثنا ضِمام عن أبى قَبيل ، قال : كان معاوية بن أبى سفيان قد جعل على كلّ قبيلة من قبائل العرب رجلاً يصبح كلّ يوم ، فيدور على المجالس فيقول : هل وُلد الليلة فيكم مولود ؟ وهل نزل بكم نازل ؟ فيقال : ولد لفلان غلام ولفلان جارية ؛ فيقول : سمّوهم ، فيكتب . ويقال : نزل بنا رجل من أهل اليمن بعياله فيسمّونه وعياله ، فإذا فرغ من القبائل كلّها أتى الديوان .

ذكر المكس على أهل الذمة

قال ابن عبد الحكم : حدثنا سعيد بن عفير ، عن بن لهيعة ، عن ابن هُبيرة ، قال : دعا عمرو بن العاص خالد بن ثابت الفهمىّ ليجعله على المَكْس[٢] ، فاستعفاه ؛ فقال عمرو : ماتكره منه ؟ فقال : إن كعبا قال : لا تقرب المكْس ؛ فإن صاحبه فى النار ؛ فكان رَبيعة بن شُرحبيل بن حَسنة على المكْس[٣] .

(١) فتوح مصر ١٤٥ ، .
(٢) المكس : الضريبة .
(٣) فتوح مصر ٢٣١

ذكر القطائع

قال ابن عبد الحكم : حدّثنا يحيى بن خالد ، عن الليث بن سعد ، قال : لم يبلغنا أن عمر ابن الخطاب أقطع أحدا من الناس شيئا من أرض مصر إلا لابن سَنْدر ، فإنه أقْطَعه أرض مُنْية الأصبغ ؛ فحاز لنفسه ألف فدان ؛ فلم تزل له حتى مات ؛ فاشتراها الأصبغ بن عبد العزيز من ورثته ؛ فليس بمصر قطيعة أقدم منها ولا أفضل[١] .

حدثنا عبدُ الملك بن مسلمة عن ابن لَهيعة ، عن عمرو بن شُعيب ، عن أبيه عن جده ، أنه كان لِزِنْباع الجُذاميّ غلام يقال له سَنْدر ، فوجده يقبّل جارية له ، فجبّه وجدّع أذنيه وأنفَه ، فأتى سَنْدر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى زِنباع ، فقال : لا تحمّلوهم مالا يطيقون ، وأطعموهم ممّا تأكلون ، واكسوهم ممّا تلبسون ؛ فإن رضيتم فأمسكوا ، وإن كرهتموهم فبيعوا ، ولا تعذّبوا خَلْق الله ، ومن مُثّل به أو أحرق بالنار فهو حرّ ، وهو مولى الله ورسوله . فأعتِق سَنْدر ، فقال : أوصِ بي يارسول الله ، قال : أوصى بك كلَّ مسلم ؛ فلمّا تُوُفِّيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى سَنْدر إلى أبي بكر الصديق رضى الله ، قال : احفظ فيّ وصية النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فعاله أبو بكر رضى الله عنه حتى تُوُفِّيَ ، ثم أتى عمر فقال : احفظ فيّ وصية النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : نعم ، إن رضيتَ أن تقيم عندى أجريتُ عليك ما كان يُجْرِى عليك أبو بكر ، وإلا فانظر أىّ المواضع أكتب لك ؛ فقال سَنْدر : مصر فإنها أرضُ ريفٍ ؛ فكتب إلى عمرو ابن العاص : احفظ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ؛ فلمّا قدم على عمرو ، قطع له أرضاً واسعة وداراً ، فجعل سَنْدر يعيش فيها ، فلما مات سَنْدر قُبضت فى مال الله تعالى . قال عمرو بن شعيب : ثم أقطعها عبد العزيز بن مروان الأصبغ بعده ؛ فكانت خير أموالهم[٢] .

---

(١) فتوح مصر ١٣٧

(٢) فتوح مصر ١٣٧ ، ١٣٨

ذكر مرتبع الجند

قال ابن عبد الحكم : حدّثنا عبدُ الله بن صالح ،عن عبد الرحمن بن شريح ، عن أبى قَبيل ، قال : كان النّاس يجتمعون بالفُسطاط إذا قفلوا ؛ فإذا حضر مرافق الرّيف خطب عمرو بن العاص بالنّاس ، فقال : قد حضر مرافق ريفكم ؛ فانصرفوا ، فإذا حمض اللّبن ، واشتدّ العُود ، وكثر الذباب ، فحىّ[1] على فسطاطكم ، ولا أعلمنّ ماجاء أحد قد أسمن نفسه ، وأهزل جواده[2] .

حدّثنا أحمد بن عمرو ،أنبأنا ابنُ وهب ، عن ابن لَهيعة،عن أبى يزيد بن أبى حبيب، قال : كان عمرو يقول للناس إذا قفلوا من غزوهم : إنه قد حضر الرّبيع ، فمن أحبّ منكم أن يخرج بفرسه يُرْبِعهُ فليفعل ؛ ولا أعلمنّ ماجاء رجل قد أسمن نفسه وأهزل فرسه ؛ فإذا حمض اللّبن وكثر الذباب ، وقوى العُود ، فارجعوا إلى قَيروانكم[3] .

حدثنا سعيد بن ميسرة، عن إسحاق بن الفرات ، عن ابن لَهيعة ، عن الأسود بن مالك الحميرىّ عن بحير بن ذاخر المَعافرىّ ، قال : رحتُ أنا ووالدى إلى صلاة الجمعة ، [تهجيراً][4] ، وذلك آخر الشتاء ـ [أظنّه بعد حميم النصارى بأيام يسيرة ، فأطلنا الركوع إذ أقبل رجال بأيديهم السياط ، يزجرون الناس ، فذعرت ، فقلت: ياأبتِ ، مَنْ هؤلاء؟ قال : يا بُنىّ هؤلاء الشرَط ، فأقام المؤذنون الصلاة][4] ، فقام عمرو بن العاص على المنبر ، [فرأيت رجلا رَبْعة قَصْد القامة وافر الهامة ، أدْعج أبلج ، عليه ثياب موشّية ، كأن به العقيان، تأتلق عليه حُلّة وعمامة وجبّة][4]، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه

(١) ح ، ط : « جيئوا » ، وما أثبته من فتوح مصر .

(٢) فتوح مصر ١٣٩ .

(٣) القيروان : معظم الجيش ؛ أصله بالفارسية : « كاروان » معرب . والخبر فى فتوح مصر ١٣٩ ، وفى رواية أخرى : « فحى على فساطيطكم » .

(٤) من فتوح مصر .

وسلم ، ووعظ النّاس ، وأمرهم ونهاهم ، ثم قال : يامعشرَ النّاس إنه قد نزلت الجوزاء ، وذكت الشِّعْرَى ، وأقلعت السماء ، وارتفع الوباء ، وقلّ النداء ، وطاب المرعى، ووضعت الحوامل ، ودَرَجت السخائل ، وعلى الرّاعى حسن النظر لرعيّته ، فحىّ لكم على بركة الله ريفكم ، تنالوا من خيره ولبنه ، وخرافه وصيده ، وأَرْبعُوا خيلكم وأسمنوها وصونوها وأكرموها، فإنهاجُنّتكم من عدوّكم ،وبها مغانمكم وأثقالكم ، واستوصوا بمن جاورتموه من القِبْط خيرا ؛ حدثنا عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر ، فاستوصوا بقبطها خيرا ، فإنّ لكم منهم صهرا وذمّة »، فعفُّوا أيديَكم وفروجَكم،وغضّوا أبصاركم ، ولا أعلمنّ ما أتى رجل قد أسمن جسمه ، وأهزل فرسه. واعلموا أنّى معترض بالخيل كاعتراض الرجال ؛ فمن أهزل فرسه من غير علّة حططتُ من فريضته قدر ذلك . واعلموا أنّكم فى رباط إلى يوم القيامة ، لكثرة الأعداء حولكم وتشوّق قلوبهم إليكم وإلى دياركم ،معدن الزرع والمال ، والخير الواسع والبركة النامية . وحدثنى عمر أمير المؤمنين ، أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا فتح الله عليكم مصر ، فاتّخذوا فيها جُنْدًا كثيفًا ، فذلك الجند أجناد الأرض » ، فقال له أبو بكر : ولم يارسول الله ؟ قال : « لأنّهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة» ، فاحمَدوا الله معاشِرَ المسلمين على ماأولاكم ، فتمتّعوا فى ريفكم ماطاب لكم ؛ فإذا يبس العُود وسخن العمود ، وكثُر الذباب ، وحمض اللبن ، وصوّح البقل ، وانقطع الورْد من الشجر ، فحىّ على فسطاطكم ، على بركة الله تعالى وعونه ولا يقدمَنّ أحد منكم ذو عيال على عياله إلا ومعه تحفة لعياله على ما أطاق من سَعته أو عسرته ؛ أقول قولى هذا وأستغفر الله ، وأستحفظ الله عليكم .

قال : فحفظت ذلك عنه ، فقال والدى : يابنىّ إنه يُجرِّئ الناس إذا انصرفوا إليه على الرّباط كما جرّأهم على الريف والدّعة [١] .

(١) فتوح مصر ١٤٠ ـ ١٤٢ ، مع حذف وتصرف .

ذكر نهى الجند عن الزرع

أخرج ابنُ عبد الحكم ، عن عبدالله بن هُبيرة ، قال : إنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر مناديَه أن يخرج إلى أمراء الأجناد يتقدّمون إلى الرعيّة؛ أنّ عطاءهم قائم ، وأنّ رزق عيالهم سائل ، فلا يَزْرعون [ولا يُزارعون] (١) .

قال ابن وهب : فأخبرنا (٢) شَريك بن عبدالرحمن المُرادىّ ، قال : بلغنا أن شريك بن سُمَىّ الغُطَيفىّ (٣) أتى عمرو بن العاص ، فقال : إنّكم لا تعطونا مايُحْسبنا (٤) ، أفتأذن لى فى الزرع ؟ قال : ماأقدر على ذلك ، فزرع شريك من غير إذن عمرو ، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب (٥) يخبره أنّ شريكا حَرَث بأرض مصر. فكتب إليه عمر : أن ابعث إلىّ به ، (٦) فبعث به إليه ،فقال له عمر : لأجعلنّك نكالا لمن خلفك ،قال : أوَ تقبل منّى ماقبل الله من العباد ؟قال : وتفعل ؟ قال : نعم ، فكتب إلى عمرو بن العاص: إن شريك ابن سُمَىّ جاءنى تائبا. فقبلت منه (٦) .

---

(١) من فتوح مصر . (٢) فتوح مصر : « فأخبرنى » .

(٣) فى الأصول : « القطفى » ، وما أثبته من فتوح مصر .

(٤) يحسبنا ، أى يكفينا .

(٥) فتوح مصر : « فلما بلغ ذلك عمرا » .

(٦ـ٦) كذا ورد الكلام مقتضبا ، وفى فتوح مصر ١٦٢ : « فلما انتهى كتاب عمر إلى عمرو أقرأه شريكا ، فقال شريك لعمرو : قتلتنى يا عمرو ، فقال عمرو : ما أنا قتلتك ، أنت صنعت هذا بنفسك ، قال له : إذ كان هذا من رأيك ، فأذن لى بالخروج إليه من غير كتاب ، ولك عهد الله أن أجعل يدى فى يده ، فاذن له بالخروج ، فلما وقف على عمر قال : تؤمننى يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومن أى الأجناد أنت ؟ قال : من جند مصر ، قال : فلعلك شريك بن سمى الغطيفى ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : لأجعلنك نكالا لمن خلفك ، قال : أو تقبل منى ما قبل الله من العباد ، قال : وتفعل ؟ قال : نعم ، فكتب إلى عمرو بن العاص : إن شريك بن سمى جاءنى تائباً فقبلت منه » .

ذكر حفر خليج أمير المؤمنين

قال ابنُ عبد الحكم : حدّثنا عبد الله بن صالح وغيرُه ، عن اللّيث بن سعد ، أنّ النّاس بالمدينة أصابهم جَهْدٌ شديد فى خلافة عمر عام الرّمادة [١] ، فكتب إلى عمرو بن العاص وهو بمصر :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص : سلامٌ عليك ؛ أمّا بعدُ ؛ فلَعَمْرى ياعمرو ماتبالى إذاشبعتَ أنتَ وَمَن معك، أن أهلِك أنا ومَنْ معى ؛ فياغوثاه ، ثم ياغوثاه ! يردّد قوله .

فكتب إليه عمرو بن العاص :

لعبد الله عمر أمير المؤمنين ، من عبد الله عمرو بن العاص ؛ أمّا بعد فيالبّيك ثم يالبّيك ! قد بعثتُ إليك بعيرٍ أوّلُها عندك وآخرها عندى . والسلام عليك ورحمة الله

فبعث إليه بعيرٍ عظيمة ، فكان أوّلها بالمدينة وآخرها بمصر ، يتبَعُ بعضها بعضا ، فلمّا قدمت على عمر وسّع بها على الناس [٢] .

وكتب إلى عمرو بن العاص يَقْدَم عليه هو وجماعة من أهل مصر ، [فقدموا عليه [٣]] ،

---

(١) قال صاحب اللسان : « عام الرمادة معروف ، سمى بذلك لأن الناس والأموال هلكوا فيه كثيرا . . . وقيل : هى أعوام جدب تتابعت على الناس فى أيام عمر بن الخطاب ، وفى حديث عمر ، أنه أخر الصدقة عام الرمادة ، وكانت سنة جدب وقحط ، فلم يأخذها منهم تخفيفا عنهم » .

(٢) بعدها فى فتوح مصر : « ودفع إلى أهل كل بيت بالمدينة وما حولها بعيرا بما عليه من الطعام ، وبعث عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص يقسمونها على الناس ، فدفعوا إلى أهل كل بيت بعيرا بما عليه من الطعام ، أن يأكلوا الطعام وينحروا البعير ، فيأكلوا لحمه ، ويأتدموا شحمه ، ويحتذوا جلده ، وينتفعوا بالوعاء الذى كان فيه الطعام لما أرادوا من لحاف وغيره ، فوسع الله عليه بذلك على الناس . فلما رأى عمر ذلك حمد الله وكتب . . . » .

(٣) من فتوح مصر .

فقال عمر : ياعمرو ؛ إن الله قد فتح على المسلمين مصر ، وهى كثيرة الخير والطعام ، وقد أُلْقِىَ فى رُوعى — لما أحببتُ من الرّفق بأهل الحرَمين ، والتوسعة عليهم[1] — أن أحفِر خليجاً من نيلها حتى يسيل فى البحر ، فهو أسهل لما نريد من حَمْل الطعام إلى المدينة ومكّة ؛ فإنّ حمله على الظهر يَبْعُد ولا نبلغ معه ما نريد ؛ فانطلقْ أنت وأصحابك فتشاوروا فى ذلك حتى يعتدل فيه رأيكم .

فانطلق عمرو ، فأخبر [بذلك][2] مَنْ كان معه من أهل مصر فثقُل ذلك عليهم ، وقالوا : نتخوّف أن يدخل فى هـذا ضررٌ على أهل مصر ، فنرى أن تعظِّم ذلك على أمير المؤمنين وتقول له : هذا أمرٌ لا يعتدل ، ولا يكون، ولا نجد إليه سبيلاً .

فرجع عمرو بذلك إلى عمر ، فضحك حين رآه ، وقال : والذى نفسى بيده ، لـكأنّى أنظر إليك ياعمرو وإلى أصحابك حين أخبرتَهم بما أمرتُ به من حفر الخليج ، فثقُل ذلك عليهم ، وقالوا : يدخل فى هذا ضرر على أهل مصر ؛ فنرى بأن تعظِّم ذلك على أمير المؤمنين ، وتقول له : هذا لا يعتدل ، ولا نجد إليه سبيلا .

فعجب عمرو من قول عمر ، وقال : صدقتَ والله يا أمير المؤمنين ، لقد كان الأمر على ما ذكرت ، فقال عمر : انطلق ياعمرو بعزيمة منّى حتى تجدّ فى ذلك، ولا يأتى عليك الحوْل حتى تفرغ منه إن شاء الله تعالى . فانصرف عمرو ، وجمع لذلك من الفَعلة ما بلغ منـه ما أراد ، ثم احتفر الخليج الذى فى حاشيـة الفسطاط ، الذى يقـال له خليج أمير المؤمنين ، فساقه من النِّيل إلى القُلْزم ؛ فلم يأت الحوْل حتى فرغ ، وجرت فيـه السفن ، فحمل فيه ما أراد من الطعام إلى المدينة ومكة ، فنفع الله بذلك أهلَ الحرَمين ، وسُمِّىَ خليج أمير المؤمنين .

ثم لم يزل يُحْمَل فيه الطعام ، حتى حُمِل فيه بعد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ،

---

(١) بعدها فى فتوح : « حين فتح الله عليهم مصر ، وجعلها قرة لهم ولجميع المسلمين .

(٢) من فتوح مصر .

ثم ضيّعه الولاة بعد ذلك ، فتُرك وغلب عليه الرمل ، فانقطع ، وصار منتهاه إلى ذَنَب التمساح من ناحية طحا القلزم (١) .

قال ابنُ عبد الحكم : وحدّثنى أخى عبد الحكم بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدّثنا ابنُ وهب، عن ابن لَهيعة ، عن محمد بن عبد الرحمن ـ قال: حسبته ، عن عُروة ـ أن عمر بن الخطاب قال لعمرو بن العاص حين قدم عليه : (٢ قد عرفت الذى أصاب العرب ٢)، وليس جند من الأجناد أرجى عندى من أن يغيث الله بهمْ أهل الحجاز من جندك : فإن استطعت أن تحتال لهم حيلة حتى يُغيثهم الله ! فقال عمرو: [ما شئت ياأمير المؤمنين(٣)]، قد عرفتُ أنّه كانت تأتينا سفن فيها تجار من أهل مصر قبل الإسلام، فلما فتحنا مصر ، انقطع ذلك الخليج واستدّ ، وتركته التّجار ، فإن شئت أن تحفره فتنشىء فيه سُفُناً يحمل فيها الطعام إلى الحجاز فعلتَه ! قال عمر: نعم ، فحفره عمرو ، وعالجه وجعل فيه السفن (٤) .

حدثنا أبى ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن أبى نَجيح ، عن أبيه ، أنّ رجلا أتى عمرو بن العاص من قِبط مصر ، قال : أرأيتك إن دللتُك على مكان تجرى فيه السفن ، حتى تنتهىَ إلى مكة والمدينة ، أتضع عنّى الجزية وعن أهل بيتى ؟ قال: نعم ، فكتب إلى عمر ، فكتب إليه أن افعل ؛ فلمّا قدمت السفن الحجاز خرج عمر حاجًّا أو معتمرا ، فقال للناس : سيروا بنا ننظر إلى السفن التى سيّرها الله إلينا من أرض فرعون (٥) .

قال ابنُ زُولاق : وليس بمصر خليج إسلامىّ غيره . قال : وكان حُجّاج البحر يركبون فيه من ساحل تِنّيس يسيرون فيه ، ثم ينتقلون بالقُلزم إلى المراكب الكبار .

---

(١) فتوح مصر ١٦٣ ، ١٦٤ .

(٢ـ٢) فتوح مصر : « يا عمرو ، إن العرب قد تشاءمت بى ، وكادت أن تهلك على رجلى ، وقد عرفت الذى أصابها »

(٣) من فتوح مصر .

(٤) فتوح مصر ١٦٤ .

(٥) فتوح مصر ١٦٦

ذكر انتقاض عهد الإسكندرية وسببه

وذلك فى خلافة عثمان رضى الله عنه ، قال ابنُ عبد الحكم : حدّثنا عثمان بن صالح، عن الليث بن سعد ، قال : عاش عُمر بن الخطاب بعد فتح مصر ثلاث سنين ، قدم عليه فيها عمرو قَدْمَتَيْن ، استخلف فى إحداهما زكريا بن جَهْم العبدرىّ[2] على الجند، ومجاهد ابن جُبير مولى بنى نوفل على الخراج ، فسأله عمر : مَن استخلفت ؟ فذكر له مجاهد بن جبير ، فقال عمر : مولى ابنة[3] غزوان ؟ قال : نعم ؛ إنه كاتب ، فقال عمر : إنّ القلم[4] ليرفع صاحبه . واستخلف فى القَدْمة الثانية عبد الله بن عمر .

حُدّثنا عن حيوة بن شريح ، عن الحسن بن ثوبان ، عن هشام ، عن أبى رُقَيّة قال : كان سبب نقض الإسكندرية العهد أنّ صاحب إخْنا ، قدم على عمرو بن العاص ، فقال : أخْبِرْنا ، ما على أحدنا من الجزية[5] ؟ فقال عمرو[6] : لو أعطيتَنى من الرّكْن إلى السقف ما أخبرتك ؛ إنما أنتم خِزانةٌ لنا ؛ إن كُثّر علينا كثّرنا عليكم ، وإن خُفّف عنّا خففنا عنكم . فغضب صاحب إخنا ، فخرج إلى الروم ، فقدم بهم ، فهزمهم الله ، وأسر النَّبَطِىّ ، فأتى به إلى عمرو فقال له الناس : اقتله ؛ قال : لا بل انطلق ؛ لجئنا بجيش آخر[7] .

---

(١) فتوح مصر ١٧٨ ، ١٧٩ .
(٢) ط : « العبدى » ، وما أثبته من فتوح مصر .
(٣) ط : « بنى » ، وصوابه من فتوح مصر ، قال : « وبنت غزوان هذه أخت عتبة بن غزوان ، وقد شهد بدراً » .
(٤) ح ، ط : « العلم » ، وما أثبته من الأصل وفتوح مصر .
(٥) بعدها فى فتوح مصر : « فيصبر لها » .
(٦) بعدها فى فتوح مصر : « وهو يشير إلى ركن كنيسة » .
(٧) فتوح مصر ١٧٦ ، ١٧٧ .

حدّثنا سعيد بن سابق ، قال : كان اسمه طلما ، وإن عمراً لمّا أُتى به سَوَّرَه ، وتوّجه وكساه برنس أرجوان ، وقال له : ائتنا بمثل هؤلاء . فرضى بأداء الجزية ، فقيل لطَلْما : لو أتيتَ ملكَ الروم ! فقال : لو أتيتهُ لقتلنى ، وقال : قتلتَ أصحابى[1] .

حدثنا عبد الله بن صالح ، عن الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبى حبيب ، قال : كانت الإسكندرية انتقضت وجاءت الروم ، وعليهم مَنُويل الخَصِىّ فى المراكب ، حتى أرسى بالاسكندرية ، فأجابهم مَنْ بها من الرّوم ؛ ولم يكن المقوقس تحرّك ولا نكث ؛ وقد كان عثمان بن عفان رضى الله عنه عزل عمرو بن العاص ، وولّى عبد الله ابن سعد ؛ فلما نزلت الرّوم بالإسكندريّة ، سأل أهل مصر عثمان أن يقرّ عمراً حتى يفرغ من قتال الروم ؛ فإنّ له معرفةً بالحرب ، وهيبة فى قلب العدوّ ؛ ففعل . وكان على الإسكندرية سُورها ؛ فحلف عمرو بن العاص : لئن أظفره الله عليهم ليهدمنّ سورَها ؛ حتى يكون مثل بيت الزانية يُؤتَى من كلّ مكان . فخرج عليهم عمرو فى البرّ والبحر ، وضَوَى إلى المقوقس من أطاعه من القِبْط ؛ فأمّا الروم فلم يطعه منهم أحد، فقال خارجة بن حذافة لعمرو : ناهضْهم القتال قبل أن يكثر مَدَدهم ، ولا آمن أن تنتقض مصر كلها ، فقال عمرو:لا ، ولكن أدَعُهم حتى يسيروا إلىّ ، فإنهم يصيبون مَنْ مرّوا به ، فيخزى الله بعضهم ببعض ، فخرجوا من الإسكندرية ، ومعهم مَن نقض من أهل القرى ، فجعلوا ينزلون القرية ، فيشربون خمورها ، ويأكلون أطعمتها ، وينهبون[2] ما مرّوا به . فلم يتعرّضْ لهم عمرو حتى بلغوا نَقْيوس ، فلقوهم فى البرّ والبحرّ ، فبدأت الروم والقِبْط ، فرموا بالنّشاب فى الماء رمياً حتى أصاب النّشاب يومئذ فرس عمرو فى لَبَّته ، وهو فى البرّ ، فعُقر ، فنزل عنه عمرو ، ثم خرجوا من البحر فاجتمعوا هم والذين فى البرّ ، فنضحوا المسلمين بالنشاب ؛ فاستأخر المسلمون عنهم شيئاً يسيرا وحملوا على المسلمين حملة ولّى

---

(١) فتوح مصر ١٧٧ .

(٢) فتوح مصر : « وينهبون » .

المسلمون منها ، وانهزم شريك بن سمىّ فى خيله . وكانت الروم قد جعلت صفوفا خلف صفوف ، وبرز يومئذ بِطْريق ممّن جاء من أرض الروم على فرس له ، عليه سلاح مذهّب ، فدعا إلى البراز ، فبرز إليه رجل من زُبيد، يقال له حَوْمل ،يكنى أبامَذحِج ، فاقتتلا طويلا برمحين يتطاردان ، ثم ألقى البِطريق الرّمحَ ، وأخذ السيف ، وألقى حوملٌ رمحه ، وأخذ سيفه ، وكان يعرف بالنّجدة ، وجعل عمرو يصيح : أبا مذحِج ! فيجيبه : لبيك ! والناس على شاطىء النّيل فى البرّ على تعبئتهم وصفوفهم ، فتجاوَلا ساعة بالسيفين ، ثم حمل عليه البِطريق ، فاحتمله — وكان نحيفاً — فاخترط حومل خنجرا كان فى منطقته أو فى ذراعه ، فضرب نحرَ العِلْج أو ترْقُوَته فأثبته[1] ، فوقع عليه وأخذ سلَبه ، ثم مات حَوْمل بعد ذلك بأيام ، فرُئِىَ عمرو يحمل سريره بين عمودى نعشه حتى دفنه بالمقطّم ، ثم شدّ المسلمون عليهم ، فكانت هزيمتهم . فطلبهم المسلمون حتى ألحقوهم بالإسكندرية ، ففتح الله عليهم ، وقتِل مَنْوِيل الخَصِىّ[2] .

حدّثنا الهيثم بن زياد ، أن عمرو بن العاص قتلهم حتى أمعن فى مدينتهم ؛ فكُلّم فى ذلك ، فأمر برفع السيف عنهم ، وبنى فى ذلك الموضع الّذى رفع فيه السيف مسجدا ، وهو المسجد الذى بالإسكندرية يقال له مسجد الرّحمة — وإنما سُمّىَ مسجد الرّحمة لرفع عمرو السيف هناك — وهدم سورها كلّه . وجمع عمرو ما أصابه منهم ، فجاءه أهلُ تلك القرى ممّن لم يكن نقض ، فقالوا : قد كنّا على صلحنا ، وقد مرّ علينا هؤلاء اللصوص ، فأخذوا متاعنا ودوابّنا ، وهو قائم فى يديك . فردّ عليهم عمرو ما كان لهم من متاع عرفوه ، وأقاموا عليه البيّنة[3] .

---

(١) أثبته ، أى جعله لا حراك به .

(٢) فتوح مصر ١٧٥ ، ١٧٦ .

(٣) فتوح مصر ٧٦ .

رجع إلى حديث يزيد بن أبى حبيب . قال: فلما هزم الله الرّوم ،أراد عثمان عمرا أن يكونَ على الحرب وعبدَ الله بن سعـــد على الخراج ، فقال عمرو : أنا إذاً كماسك البقرة بقرنيها وآخرُ يحلبها ! فأبى عمرو[١] .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابنُ وَهْب ، عن موسى بن علىّ ، عن أبيه ، عن عمرو بن العاص ، أنّه فتح الإسكندرية الفتحة الأخيرة عَنْوة قسرًا فى خلافة عثمان بعد موت عمر بن الخطاب[٢] .

حدّثنا عبد الملك ، حدّثنا ابن لَهيعة ، قال : كان فتحُ الإسكندرية الأوّل سنة إحدى وعشرين، وفتحها الآخر سنة خمس وعشرين[٣] .

قال نُمير بن كَلهيعة : وأقام عمرو بعد فتح الإسكندريّة شهرا ، ثم عزله عثمان رضى الله عنه ، وولّى عبـــد الله بن سعد ؛ وكان عمر بن الخطاب ولّى عبد الله بن سعد من الصّعيد إلى الفيّوم ، فـكتب عثمان بن عفان، إلى عبد الله بن سَرْح يؤمّره على مصر كلها . فلما كان سنة خمس وثلاثين مشت الرّوم إلى قسطنطين بن هرقل ، فقالوا: نترك الإسكندرية فى أيدى العرب ، وهى مدينتنا الـكبرى ، فقال : ماأصنع بكم ؟ ماتقدرون أن تَمالـكوا ساعة إذا لقيتم العرب! قالوا :فاخرج على أنا نموت. فتبايعوا على ذلك، نخرج فى ألف مركب يريد الإسكندرية ، فسار فى أيام غالبة[٤] من الريح ، فبعث الله عليهم ريحـاً فغرّقتهم ، إلا قسطنطين نجا بمركبه ، فألقته الريح بِسِقِلّية فسألوه عن أمره فأخبرهم ، فقالوا شأمتَ[٥] النصرانية، وأفنيت رجالها، لو دخل العرب علينا لم نجدْ مَنْ يردّهم ،فقال :خرجنا مقتدرين ، فأصابنا هذا ، فصنعوا له الحمام ، ودخلوا عليه ، فقال : ويلـكم ! تذهب رجالـكم ،وتقتلون ملـكـكم ! قالوا : كأنّه غرق معهم. ثم قتلوه ، وخلّوا مَنْ كان معهم فى المركب[٦] .

---

(١) فتوح مصر ١٧٧ ، ١٧٨ . (٢) فتوح مصر ١٧٨ .
(٣) فتوح مصر ١٧٨ ، وبعده : « بينهما أربع سنين » . (٤) ح ، ط : « عالية » .
(٥) فى الأصل . « شقت » ، وما أثبته من ط . (٦) فتوح مصر ١٩١ .

ذكر رابطة الإسكندرية

أخرج ابنُ عبد الحكم ، عن يزيد بن أبي حبيب وعبد الله بن هبيرة ، قالا : لمّا استقامت البلاد ، وفتح الله على المسلمين الإسكندرية ، قطع عمرو بن العاص من أصحابه لرباط الاسكندرية رُبْعَ النّاس خاصّة ؛ الرُّبْع يقيمون ستة أشهر [١] والربع فى السواحل، والنصف الثانى مقيمون معه .

قال غيرهما : وكان عمر بن الخطاب يبعث كلّ سنة غازية من أهل المدينة تُرابط بالإسكندرية ،فكانت الولاة لا تغفلها ، وتكشف رابطتها [٢] ، ولا تأمن الروم عليها .

وكتب عثمان إلى عبد الله بن سعد : قد علمت كيف كان همّ أميرُ المؤمنين بالإسكندرية ، وقد نقضت الرّوم مرتين ، فألزم الإسكندرية رابطتها ، ثم أجْرِ عليهم أرزاقهم ، وأعْقِبْ منهم فى كلّ ستة أشهر [٣] .

وأخرج عن أبى قَبيل ،أنّ عتبة بن أبى سفيان عقد لعلقمة بن يزيد الغُطَيفىّ على الإسكندرية ، وبعث معه اثنى عشر ألفا ، فكتب علقمة إلى معاوية يشكو عُتبة حين غدر به وبمن معه . فكتب إليه معاوية إنّى : قد أمددتك بعشرة آلاف من أهل الشام وبخمسة آلاف من أهل المدينة ، فكان فيها سبعة وعشرون ألفا [٤] .

وأخرج ابن حِبّان فى الضعفاء، من طريق عبد الملك بن هارون بن عنترة ، عن أبيه ،عن جدّه ، عن علىّ مرفوعا :« أربعةُ أبواب من الجنة مفتّحة فى الدنيا :الإسكندرية،وعَسْقلان، وقَزْوين ، وجُدّة » .

---

(١) بعدها فى فتوح مصر : « ثم يعقبهم من فتوح مصر شاتية ستة أشهر » .
(٢) الفتوح : « فكاتب الولاة : لا تغفلها وتكشف » .
(٣) فتوح مصر ١٩١ ، ١٩٢ .
(٤) فتوح مصر ١٩٢ .

وأخرج ابنُ الجوزيّ في الموضوعات من طريق عمرو بن صُبَيح ، عن أبان ، عن أنس مرفوعا : «يحوّل الله يوم القيامة ثلاثة قرى من زبرجدة خَضْراء : عسْقلان ، والإسكندرية ، وقزوين» .

وقال ابن الجوزيّ : عمرو بن صبيح يضع على الثقات .

وقال الكنديّ في فضائل مصر : قال أحمد بن صالح ، قال لي سفيان بن عيينة : يامصريّ ، أين تسكن ؟ قلتُ: أسكن الفسطاط ، قال : أتأتي الإسكندرية؟ قلت : نعم ، قال لي : تلك كنانة الله يحمل فيها خير سهامه .

وقال عبد الله بن مرزوق الصَّدَفيّ : لمّا نُعيَ إليّ ابن عمي خالد بن يزيد — وكان تُوُفِّيَ بالإسكندرية — لقيني موسى بن عليّ بن رباح وعبد الله بن لهيعة والليث بن سعد متفرّقين ، كلّهم يقولون: أليس مات بالإسكندرية افأقول : بلى ،فيقولون : هو حيّ عند الله يرزق، ويُجرى عليه أجرَ رباطه ما قامت الدنيا ، وله أجر شهيد حتى يحشر على ذلك .

ذكر وسيم

وأخرج ابن عبد الحكم، من طريق ابن لَهيعة ، عن بكر بن سوادة ، عن أبي غُطَيف، عن حاطب بن أبي بلتعة ،أنّ عمر بن الخطاب قال: يقاتلكم أهلُ الأندلس بوسيم ، حتى يبلغ الدم ثُنَن[1] الخيل ، ثم ينهزمون[2] .

---

(١) الثنن : جمع ثنة ؛ وهى الشعرات التى فى مؤخر رسغ الدابة ؛ وفى ح ، ط : « متى » .
(٢) فتوح مصر ٢١٧ .

ذكر ما يقع بمصر قرب الساعة

أخرج الحاكم فى المستدرك ، وصحّحه من حديث عبد الله بن صالح : حدّثنى الليث، حـدثنى أبو قَبيل ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، أنّ رجلا من أعداء المسلمين بالأندلس ، يقال له ذو العرف ، يجمع من قَبائل المشركين جمعاً عظيما ؛ يعرف مَنْ بالأندلس أن لا طاقة لهم به ، فيهرب أهلُ القوّة من المسلمين فى السُّفن ، فيجيزون إلى طَنْجة ، ويبقى ضَعَفة الناس وجماعتُهم ، ليس لهم سفن يجيزون عليها ، فيبعث الله جلّ وعلا وينشر لهم فى البحر ، فيجيز الوَعِل ، لا يغطّى الماء أظلافه ، فيراه الناس فيقولون : الوعِل، الوعِل ! اتّبعوه ، فيجيز الناس على أثره كلّهم ، ثم يصير البحر على ما كان عليه ، ويجيز العدوّ فى المراكب ؛ فإذا حبسهم أهلُ إفريقيّة هربوا كلُّهم من إفريقيّة ، ومعهم مَنْ كان بالأندلس من المسلمين ، حتى يدخلوا الفُسطاط ، ويقبل ذلك العدوّ حتى ينزلوا فيما بين تَرْنوط إلى الأهرام ، مسيرة خمسة بُرُد ، فيملئون ماهناك شرًّا ، فتخرج إليهم راية المسلمين على الجسر ، فينصرهم الله عليهم ، فيهزمونهم ويقتلونهم إلى لوبية ، مسيرة عشر ليال ، ويستوقدُ أهلُ الفُسْطاط بعَجَلهم وأداتهم [1] سبع سنين ، وينقلب ذو العُرْف من القتل ، ومعه كتاب لا ينظر فيه إلّا وهو منهزم ، فيجد فيه ذكر الإسلام ، وأنّه يؤمر فيـه بالدخول فى السلم ، فيسأل الأمان على نفسه وعلى من أجابه إلى الإسلام من قومه ، فيُسلِم ، ثم يأتى العامَ الثانى رجلٌ من الحبشة يقـال له أنيس ، وقد جمع جمعاً عظيما ، فيهرب المسلمون منهم من أسوان حتى لا يبقى فيها ولا فيما دونها أحدٌ من المسلمين، إلا دخل الفُسطاط ، فينزل أنيس بجيشه منف، فيخرج إليهم راية المسلمين على الجسر ، فينصرهم الله عليهم ، فيقتلونهم ويأسِرونهم ، حتى يباع الأسود بعباءة .

قال الحاكم : صحيح موقوف .

(١) ح ، ط : « وأدواتهم » .

ذكر من دخل مصر من الصحابة رضى الله عنهم

قد ألف الإمام محمد بن الربيع الجيزىّ فى ذلك كتابا فى مجلد ، ذكر فيه مائة ونيِّفاً وأربعين صحابيا ، وقد فاته مثل ماذكر أو أكثر ، وقد ألفتُ فى ذلك تأليفاً لطيفا ، استوعبت فيه ماذكره ،وزدت عليه مافاته من تاريخ ابن عبد الحكم ، وتاريخ ابن يونس وطبقات ابن سعد ، وتجريد الذهبى ، وغيرها؛ فزاد[1] فى العدّة على ثلاثمائة ؛وهاأنا أسوق كتابى المذكور برُمّته ، ليستفاد ، وهو هذا :

در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا كثيرا ، والصّلاة والسلام على سيّدنا محمد المبعوث بشيرا ونذيرا ، وبعد فقد ألّف الإمام محمد بن الربيع الجيزىّ الّذى والده صاحب الإمام الشافعىّ رضى الله عنه كتاباً فيمن دخل مصر من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فى مجلد ، فأورد منه[2] مائة ونيّفاً وأربعين رجلا ، وأورد فيه أحاديثهم ، ومارواه أهل مصر ، وقد فاته جماعة لم يذكرهم ؛ ذكر بعضَهم ابنُ عبد الحكم فى فتوح مصر ، وبعضَهم ابنُ يونس فى تاريخ مصر ، وبعضَهم ابنُ سعد فى طبقاته . وقد أردت أن ألخّص كتاب محمد بن الربيع الجيزىّ،وأضمّ إليه مافاته مرفوعا عليه صورة (ك) ، وأرتّبه على حروف المعجم ، وأزيد التراجم ، فأذكر الاسم والكُنية واللّقب ، واسم الأب والجدّ والنّسب والسنّ والوفاة ، وما تفرّد الصحابىّ بروايته ، وقد أورِد نادرةً ، أو غريبة ، أو كرامة . وسمّيته

(١) ح : « فزدت » .
(٢) ح ، ط : « منه » .

« دَرّ السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة » ، والله أسأل التوفيق إنه ولىّ الإجابة وإليه الإنابة :

{ حرف الهمزة }

١ — أبرهة بن شُرَحبيل بن أبْرَهَة بن الصبّاح الحِمْيَرىّ . صحابىّ . قال الرُّشاطىّ فى الأنساب: وفَد على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ففرش له رداءه . وكان بالشام ، وكان يُعَدّ من الحكماء ، وله رواية .

وقع فى مرآة الزمان ، عن الهيثم أنّ عمرو بن العاص بعثه إلى الفرَما ، ففتحها بعد مافرغ من أمر الفسطاط .

٢ — أبيض بن حَمّال — بالحاء المهملة — بن مَرْثَد [١] ابن ذى لُحيان — بضم اللام — المأربىّ [٢] السَّبَئىّ . قال ابنُ الرّبيع الجيزىّ : أخبرنى يحيى بن عثمان أنه شهد فتح مصر . قال البخارىّ وابن السَّكن : له صحبة وأحاديث تعدّ فى أهل اليمن ، وروى الطّبرانىّ أنه وفد على أبى بكر رضى الله تعالى عنه لما انتقض عليه عُمّال اليمن [٣] . وروى حديثَه أصحابُ السّنن الأربعة وابن حِبّان ، وروى أنّ أبيض بن حَمّال ، كان بوجهه حزازة ، وهى القُوباء ، فالتقمت أنفَه ، فمسح النبىّ صلى الله عليه وسلم على وجهه ، فلم يُمْسِ ذلك اليوم وبه أثر [٤] :

٣ — أبيض . غير منسوب (ك) . كان اسمه أسود ، فغيّره النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) ط : « مربد » ، وما أثبته من الأصل والإصابة .

(٢) ط : « اللازنى » تحريف .

(٣) الخبر بكماله كما فى الإصابة : « روى الطبرانى أنه وفد على أبى بكر لما انتقض عليه عمال اليمن ، فأقره أبو بكر على ما صالح عليه النبى صلى الله عليه وسلم من الصدقة ، ثم انتقض ذلك بعد أبى بكر وصار إلى الصدقة » .

(٤) الإصابة ١ : ٢٨ .

بأبيض . قال ابنُ يونس : له ذكر فيمن دخل [١] مصر ؛ وروى من طريق ابن لَهيعة عن بَكْر بن سوادة ، عن سهل بن سعد ، قال : كان رجل يسمى أسود ، فسمّاه النبىّ صلى الله عليه وسلم أبيضَ قال الطَّبَرانىّ : تفرّد به ابن لَهيعة .

قال الحافظ ابن حجر فى الإصابة : لا أدرى هو أبيض بن حَمّال ، أو غيره [٢] !

٤ ـ أبيض بن هنىّ بن معاوية أبو هبيرة (ك) . قال فى الإصابة : أدرك النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وشهد فتح مصر ، ذكره ابن منده فى تاريخه ، واستدركه أبو موسى وذكره ابن الكلبىّ فى الجمهرة [٣] .

٥ ـ أبىّ بن عِمارة ـ بكسر العين ، وقيل بضمّها . أحد من صَلّى للقبلتين ، ذكره ابن عبد الحكم فيمن دخل مصر من الصحابة ، وقال : لأهل مصر عنه حديث واحد ، ذكر ابن الكلبى أنّ أباه عِمارة أدرك خالد بن سنان الّذى يقال له إنّه كان نبيًا [٤] .

وقال المِزّىّ فى التّهذيب : مدنىّ ، سكن مصر ، له صحبة وحديث فى المسح على الخُفّين .

٦ ـ أجمد ـ بالجيم ـ بن عُجْيَان ـ بجيم ومثناة تحتية بوزن عثمان ، وقيل بوزن عَليان (ك) . همدانىّ وفد على النبى صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر ؛ ذكره ابن يونس ، وقال : لا أعلم له رواية ، وخُطّته معروفة بجيزة مصر .

قال فى الإصابة : وضبطه ابن العربىّ بالحاء المهملة ، فوهم [٥] .

---

(١) الإصابة : « نزل » . (٢) الإصابة : ١ : ٣٠
(٣) الإصابة ١ : ٢٩ .
(٤) الإصابة : « ابن الكلبى عن أبيه ، أنه أدركه ، وأن أباه عمارة » ابن عبدالحكم ٣١٠ .
(٥) الإصابة ١ : ٣٤١ .

٧ ــ الأحبّ بن مالك بن سعد الله . ذكره ابن الربيع فيمن دخلها ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا نُعرف له رواية .

وقال فى الإصابة: سمّاه ابن الدباغ « أحب » ؛ والصواب « لاحب »[١]. وسيأتى .

٨ ــ أحمر بن قَطَن الهمدانىّ(ك) . قال فى الإصابة : شهد فتح مصر ؛ يقال له صحبة ، ذكره ابن ماكولا عن ابن يونس[٢] .

٩ ــ أدهم بن حطرة اللّخمىّ الرّشدى ، من بنى راشدة ، ابن أذَينة بن جديلة بن لخم(ك) .

قال ابنُ ماكولا : هو صحابىّ ، ذكره سعيد بن عُفير فى أهل مصر ، ولم يقع له رواية . وذكره ابن يونس[٣] .

١٠ ــ الأرقم بن حفيتة التُّجيبىّ(ك) . من بنى نصر بن معاوية ، قال ابن منده : سمعت ابن يونس يقول : إنه شهد فتح مصر ، وعِداده[٤] فى الصحابة[٥] .

١١ ــ أسعد بن عطية بن عبيدة القُضاعىّ البلوىّ (ك) . ذكره ابن يونس ، وقال : بايع تحت الشجرة ، وشهد فتح مصر . له ذكر ، وليست له رواية[٦] .

١٢ ــ امرؤ القيس بن الفاخر بن الطّمّاح الخولانىّ أبو شُرَحبيل . شهد فتح مصر

---

(١) الإصابة ٣ : ٣٠٥ .

(٢) الإصابة ١ : ٣٥ .

(٣) الإصابة ١ : ٤٠ .

(٤) ط : « وعده » ، وصوابه من الأصل والإصابة .

(٥) الإصابة ١ : ٤٣ . وهناك : « وروى من طريق عبد الله بن الأرقم بن حفينة عن أبيه ، أنه تخاصم هو وابنه إلى عمر » .

(٦) الإصابة ١ : ٥١ .

وله ذكر فى الصحابة ، قاله ابن مَنْده[1] .

١٣ — أوْس بن عمرو بن عبد القارى (ك) . نزيل مصر . قال القُضاعىّ فى الخطط : له صحبة ، ذكره فى الإصابة[2] .

١٤ — إياس بن البكير — ويقال ابن أبى البكير — بن عبد ياليل بن ثابت[3] الليثى(ك) . قال ابنُ الربيع: بدرىّ شهد فتح مصر، ولأهل مصر عنه حديث واحد ، أخبرنيه مقدّم ابن داود ؛ حدثنا أبو الأسود نصر بن عبد الجبار ، عن ابن لَهيعة ، عن عيّاش بن عباس ، عن عيسى بن موسى ، عن إياس بن البكير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ مات يوم الجمعة ، كتب الله له أجر شهيد ، وَوُقِىَ فتنة القبر » .

وقال ابنُ يونس : شهد فتح مصر ، ومات سنة أربع وثلاثين . واستشهد أخوه عاقل ببدْر ، وأخوهم خالد يوم الرَّجيع ، وأخوهم عامر باليمامة .

قال ابنُ إسحاق : لا يُعلم أربعة إخوة شهدوا بدراً غير إياس وإخوته وهاجروا جميعا[4] .

١٥ — إياس بن عبد الأسد القارى(ك) . حليف بنى زُهرة ، ذكره سعيد بن عُفير ، فيمن شهد فتح مصر من الصحابة ، واختطّ بها دارا . أخرجه ابن مَنْده ، وذكره أيضا ابن عبد الحكم[5] .

١٦ — أيمن بن خريم — بالمعجمة ثم الراء — بن الأخرم بن شدّاد بن عمرو بن فاتك الأسدىّ(ك) . قال المبرِّد فى الكامل : له صحبة[6] .

وقال المَرْزبانىّ : يقال له صحبة[7] .

---

(١) الإصابة ١ : ٧٨ ؛ وقال : لم أر فى تاريخ ابن يونس التصريح بأنه من الصحابة .
(٢) الإصابة ١ : ٩٨
(٣) الإصابة : « نابت » .
(٤) الإصابة ١ : ١٠٠ .
(٥) فتوح مصر ١٠٩ ، ١١٢
(٦) الكامل ٣ : ٣٠
(٧) انظر فهارس معجم الشعراء للمرزبانى ٥١٨ .

وقال ابنُ عبد البرّ : أسلم يوم الفتح وهو غلام يَفَعَة [١] .

وقال ابن السكن : يقال له صحبة . وأخرج له الترمذيّ حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم واستغربه ، وقال : لا نعرف لأيمن سماعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال الصّولىّ : كان أيمن يسمىّ خليل الخلفاء ، لإعجابهم به وبحديثه لفصاحته وعلمه .

وكان به وَضَح يغيّره بزعفران ، فكان عبد العزيز بن مروان — وهو أمير مصر — يُؤاكله ، ويحتمل مابه من الوَضَح لإعجابه به ؛ كذا نقله فى الإصابة ؛ وهو صريح فى أنّه كان بمصر .

وقال المِزّىّ [٢] فى التهذيب : ذكره ابن منده وغيره فى الصحابة ، وكنّاه أبو عطية : الشاعر ؛ وقال : شامىّ مختلَف فى صحبته .

ومن شعره فى قتل عثمان :

إنّ الذين تولَّوْا قتله سفهاً لَقُوا أثاماً وخُسراناً وما رَبِحُوا

١٧ — الأكدر بن حمام بن عامر بن صعب اللّخمى (ك) . قال فى الإصابة : له إدراك . قال سعيد بن عُفير : شهد فتح مصر هو وأبوه .

وقال أبو عمر الكندىّ فى كتاب الخندق : حدّثنى يحيى بن أبى معاوية بن خالف ابن ربيعة ؛ عن أبيه ، حدثنى الوليد بن سليمان ، قال : كان أكْدَر عَلَوِيًّا ، وكان ذا دين وفضل وفقه فى الدين ، وجالس الصحابة ، وروى عنهم . وهو صاحب الفريضة

---

(١) الاستيعاب ١ : ١٩٢ ، وفيه : « غلام يفاع » ، ويقال : غلام يافع ويفعة ؛ إذا قارب العشرين .

(٢) فى الأصول : «المزنى» ، تحريف ؛ وهو الحافظ المزى يوسف بن عبد الرحمن القضاعى محدث الديار الشامية فى عصره ؛ وصاحب كتاب تهذيب الكمال فى أسماء الرجال .

التى تسمى الأكدرية[١] ، وكان ممّن سار إلى عثمان ؛ وكان معاوية يتألّف قومه به ، وكان يكرمه ؛ ويدفع إليه عطاءه ، ويرفع مجلسه ؛ فلمّا حاصر مَرْوانَ أهلُ مصر ، أجلب عليه الأكدر بقومه ، وحاربه بكلّ أمرٍ يكرهه ؛ فلما صالح مروان أهل مصر ، علم أنّ الأكدر سيعود إلى فَعلاته ؛ فألّب عليه قوماً من أهل الشام ، فادّعوا عليه قتل رجل منهم . فدعاه ، فأقاموا عليه الشهادة ، فأمر بقتله . قال : فحدثنى موسى بن علىّ ابن رباح ، عن أبيه ، قال : كنت واقفاً بباب مَرْوان ، حين دُعِى الأكدر ، فجاء ولم يَدْرِ فيم دُعِى له ، فما كان بأسرع من أن قُتل ، فتنادى الجند : قتل الأكدر ، قتل الأكدر ! فلم يبقَ أحدٌ حتى لبس سلاحَه ، وحضروا باب مَرْوان وهم زيادة على ثمانين ألف إنسان ؛ فأغلق مروان بابه خوفاً ، فمضوا وذهب دمُ الأكدر هدرا .

وروى أبو عمر الكنديّ من طريق ابن لهيعة ، قال : مرض الأكدر بن حمام بالمدينة ليالى عثمان ، فجاءه علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه عائداً ، فقال : كيف تجدك ؟ قال : بأبى أنت يا أميرَ المؤمنين ! قال : كلاّ لتعيشَنّ زمانا ، ويغدر بك غادر ، وتصير إلى الجنة إن شاء الله تعالى .

وقال ابنُ أبى شَيْبة : حدّثنا وكيع عن سفيان ، قال : قلت للأعمش : لِمَ سمّيتم الفريضة الأكدريّة ؟ قال : طرَحها عبد الملك بن مروان على رَجُل يقال له الأكدر ، وكان ينظر فى الفرائض ، فأخطأ فيها .

قال فى الإصابة : لعلّه طرحها عليه قديما ؛ وعبد الملك يطلب العلم بالمدينة ، وإلا فالأكدر قُتِل قبل أنْ يَلِىَ عبد الملك الخلافة .

وروى ابنُ المنذر فى التفسير عن ابن جريج[٢] فى قوله تعالى : ﴿لَمْ يَمْسَسْهُمْ

(١) فى اللسان : «الأكدرية : مسألة فى الفرائض ، وهى زوج وأم وجد وأخت لأب وأم» .

(٢) فى الإصابة : «عن على بن المبارك ، عن زيد بن المبارك ، عن محمد بن ثور ، عن ابن جريج» .

سُوءٌ ﴾[1]، قال : قدم رجل من المشركين من بدر ، فأخبر أهل مكة بخيل محمد ، فرعبوا فجلسوا فقال :

* نفَرت قلوصى من خيول محمدْ *

* وكتيبةٍ منثورة كالمسجـدْ *

* إتخـــذت ماء قديدٍ موعدْ *

زعموا أنه الأكدر بن حمام ؛ أورده الحافظ ابن حجر رحمه الله فى الإصابة فى قسم المخضرمين ؛ وهم من أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يُسلم إلا بعد وفاته ؛ وهم صحابة فى قول ابن عبد البرّ وطائفة[2] .

* * *

﴿ حرف الباء ﴾

١٨ ــ بُحر ــ بضم أوله وضمّ المهملة أيضا ــ بن ضُبُع[3] ــ بضمتين أيضا ــ بن أنُسة[4] ابن يحمد الرّعينىّ . قال ابن يونس : وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد فتح مصر . وقال فى ترجمة حفيده مروان بن جعفر بن خليفة بن بُحُر : كان شاعراً ، وهو القائل :

وجدّى الّذى عاطى الرّسول يمينَه وحنّتْ إليهِ مِن بعيد رواحـــلُهْ

قال : وحفيده الآخر أبو بكر بن محمّد [بن بُحُر] ، ولى مراكب دمياط فى خلافة عمر بن عبد العزيز . ذكره ابن يونس[5] .

---

(١) سورة آل عمران ١٧٤ .

(٢) الإصابة ١ : ١٢٠

(٣) ط : « أضبع » ، تحريف .

(٤) كذا فى الإصابة .

(٥) الإصابة ١ : ١٤٣ .

١٩ ـ برتَا بن الأسود بن عبد شمس القُضاعىّ (ك) . قال ابن يونس : له صحبة ، شهد فتح مصر وقتل يوم فتح الإسكندرية (١) .

٢٠ ـ بِرْح ـ بكسر أوله وسكون الراء بعدها مهملة ـ بن عسْكر (ك) ، بضم العين المهملة وسكون السين المهملة وضمّ الكاف بعدها راء . كذا ضبطه ابن ماكولا ، ونسبه إلى قُضاعة .

وقال المنذرىّ : كان السِّلَفىّ يقول : عُسْكُل بلام.

وقال ابن عبد الحكم : يقال : ابن حُسْكل ، والصواب عسْكل .

قال ابن يونس : له وفادة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وشهد فتح مصر واختطّ بها ، وسكنها وهو معروف من أهل البَصْرة (٢) .

٢١ ـ بُسْر ـ بضم أوله وسكون المهملة ـ بن أرطاة ، أو ابن أبى أرطاة . قال ابن حِبّان : وهو الصواب . وقال فى الإصابة : وهو الأصحّ.

واسم أبى أرطاة عمير بن عويمر القرشىّ العامرى أبو عبد الرحمن ، مختلف فى صحبته ، وصحّح أنه له صحبة أهل الشام وابن حبان والدّارقطنى .

قال ابنُ يونس : كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شهد فتح مصر ، واختطّ بها ، وكان من شيعة معاوية (٣) ، شهد صِفّين معه ، وولى البحرين له ، ووسوس فى آخر أيامه .

وقال ابن السّكن : مات وهو خَرِف (٤) .

---

(١) الإصابة ١ : ١٤٩ . (٢) الإصابة ١ : ١٤٩ .

(٣) بعدها فيما نقله ابن حجر فى الإصابة : « وكان وجهه إلى اليمن والحجاز فى أول سنة أربعين ، وأمره أن ينظر من كان فى طاعة على فيوقع بهم ، ففعل ذلك » .

(٤) الإصابة : « ووسوس فى آخر أيامه » .

وقال ابن حِبّان : كان يلى لمعاوية الأعمال ، وكان إذا دعا ربما استجيب له[١]

قال ابن الربيع وابن السكن : مات أيام معاوية بدمشق .

وقال خليفة وابن حِبّان : مات فى أيّام عبد الملك بن مروان بالمدينة .

وقال المسعودىّ : مات فى خلافة الوليد سنة ست وثمانين .

وقال الواقدىّ : ولد قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين .

وقال يحيى بن مَعين : مات النبى صلى الله عليه وسلم وهو صغير .

وقال ابنُ الرّبيع : ولأهل مصر عنه حديث واحد وحكاية . ثم روى من طريق ابن لَهِيعة عن يزيد بن أبى حبيب ، قال : كان بُسْر إذا ركب البحر قال : أنت بحر وأنا بسر ، علىّ وعليك الطاعة لله ، سيروا على بركة الله .

وقال المِزّىّ فى التّهذيب : لم يرو عن النبىّ صلى الله عليه وسلم سوى حديثين : حديث : « لا تَقطعوا الأيدى فى الغزو »[٢] ، أخرجه أبو داود والتّرمذىّ والنسائىّ وحديث [فى الدعاء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهمّ أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها ، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة »][٣]

٢٢ ـ بشر بن ربيعة الخثعمىّ ، ويقال الغنوىّ [٤] . قال أبو حاتم : مصرىّ له صحبة .

وقال ابن السّكن : عِداده فى أهل الشام[٤] .

وقال ابن الربيع : دخل مصر ؛ روى حديثه أحمد والبخارىّ فى التاريخ والطّبَرانىّ وابن السّكن وغيرهم ، من طريق المنذر بن المغيرة المعَافرىّ ، عن عبيد الله بن بشر بن ربيعة الغَنَوىّ عن أبيه، أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : «لتفتحنّ القسطنطينية ،

---

(١) الإصابة ١ : ١٥٢ .

(٢) الاستيعاب « المغازى » .

(٣) زيادة من الاستيعاب .

(٤) الإصابة ١ : ١٦١ باسم « بشر الغنوى » .

ولنعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش ذلك جيشها » . قال عبيد الله : فدعانى مسلمة بن عبد الملك ، فسألنى، فحدثته بهذا الحديث ، فغزا القسطنطينية .

٢٣ ـ بَشِير ـ بفتح أوله وكسر المعجمة ـ بن جابر بن عُراب ـ بضم المهملة ـ العبسيّ (ك) . قال ابن يونس : وفد على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وشهد فتح مصر ولا تعرف له رواية .

وقال فى الإصابة : ضبطه ابنُ السّمعانىّ بتحتية ثم بمهملة ، مصغر[1] .

٢٤ ـ بَصْرة[2] الغفارىّ (ك). قال فى الإصابة له: ولأبيه صحبة ،معدود فيمن نزل مصر . أخرج حديث مالك والأربعة بسند صحيح .

وقال ابن حِبّان : يقال إن له صحبة[3] .

وقال المزىّ فى التهذيب : له عن النبى صلى الله عليه وسلم حديث واحد ، رواه عنه أبو هريرة ، وهو حديث : « لا تُعْمَل المَطِىّ إلّا إلى ثلاثة مساجد » .

قلت : قد ذكره ابن سعد أيضا فيمن نزل مصر من الصّحابة ، وقال : هو وأبوه وابنه صحبوا النبى صلى الله عليه وسلم ورووا عنه .

وقال الذّهبى فى التجريد : هو وأبوه صحابيّان نزلا بمصر .

٢٥ ـ بلاَل بن حارث بن عصم[4] بن سعيد بن قُرّة المُزنىّ ، أبو عبد الرحمن . من أهل المدينة ، أقطعه النبى صلى الله عليه وسلم العقيق ، وكان صاحب لواء مُزينة يوم الفتح ، وكان يسكن وراء المدينة ، ثم تحول إلى البصرة ، ذكره ابن سَعْد فى الطبقة الثالثة من المهاجرين[5] .

---

(١) الإصابة ١ : ١٦٢ .
(٢) كذا ضبط بالفتح فى التقريب .
(٣) الإصابة ١ : ١٦٦ .
(٤) ط : « عاصم » ، صوابه من الأصل الإصابة .
(٥) نقله فى الإصابة ١ : ١٦٨ .

وقال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، وتُوُفِّيَ سنة ستين ، وهو ابن ثمانين سنة .

٢٦ — بدر بن عامر الهذليّ (ك) . ذكر أبو الفرج الأصبهانيّ أنه شاعر مخضرم ، وأسلم فيمن أسلم فى عهد عمر ، ونزل هو وابن عمّه مصر ، وأورد له فى ذلك أشعاراً (١) .

ذكره فى الإصابة فى قسم المخضرمين (٢) .

* * *

﴿ حرف التاء ﴾

٢٧ — تميم بن أوس بن حارثة الداريّ ، أبو رُقَيَّة — بقاف مصغر — من مشاهير الصحابة، أسلم سنة تسع، هو وأخوه نعيم ، وذكر للنبى صلى الله عليه وسلم قصة الجسّاسة والدجال؛ فحدّث عنه النبيّ صلى الله عليه وسلم بذلك على المنبر ، وعدّ ذلك من مناقبه ؛ وأورده أهل الحديث أصلاً لرواية الأكابر عن الأصاغر ؛ وكان نصرانيًّا من علماء أهل الكتاب .

قال أبو نُعيم : وكان راهب أهل عصره ، وعابد فلسطين ، وغزا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم . وهو أول من أسرج السِّراج فى المسجد ، وأوّل من قَصّ ، وذلك فى خلافة عمر .

قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ؛ ولأهل مصر عنه حديث واحد ، وسكن فلسطين بعد قتل عثمان ، وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم أقطعه بها قرية عينون . مات سنة أربعين (٣) .

---

(١) الأغانى ٢٠ : ١٦٧ ، وأورد شعره مع أبى العيال الهذلى .
(٢) الإصابة ٢ : ١٧٥ .
(٣) الإصابة ١ : ١٨٦ .

٢٨ — تميم بن إياس بن البكير الليثي.(ك) تقدم والده [١]؛ ذكره ابن يونس، وقال: شهد فتح مصر، وقتل بها مع من استشهد.

وقال في الإصابة: وكان ذلك سنة عشرين؛ ومقتضاه أن يكون ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

٢٩ — تُبيع بن عامر الحميري أبو عبيدة، ابن امرأة كعب الأحبار(ك). قال في الإصابة في قسم المخضرمين: أدرك الجاهلية[٢].

وذكره خليفة في الطبقة الأولى من أهل الشام.

وذكره أبو بكر البغدادي في الطبقة العليا من أهل حمص التي تلي الصحابة. قال: وكان رجلاً دليلا للنبي صلى الله عليه وسلم، فعرض عليه الإسلام، فلم يُسلم، حتى تُوُفِّيَ النبيّ صلى الله عليه وسلم فأسلم مع أبي بكر.

قال ابن يونس: مات بالإسكندرية سنة إحدى ومائة.

***

﴿حرف الثـــاء﴾

٣٠ — ثابت بن الحارث — ويقال ابن حارثة — الأنصاري.(ك) قال الذهبيّ في التجريد: يعدّ في المصريين، روى عنه الحارث بن يزيد.

وقال البغويّ: لا أعلم له غير حديث واحد.

قال في الإصابة: بل له حديثان آخران، والثلاثة من طريق ابن لَهيعة عن الحارث ابن يزيد عنه[٣].

وقال الحسينيّ: مصريّ شهد بدراً.

---

(١) برقم ١٤ ص ١٧٠ (٢) الإصابة ١ : ١٨٩ . ابن سعد ٧ : ٤٥٢ . (٣) الإصابة ١ : ١٩٢ .

٣١ — ثابت بن رويفع — ويقال رفيع — الأنصاريّ (ك) . قال ابن أبي حاتم : ثابت بن رُويفع، له صحبة ، سمعت أبي يقول : هو شاميّ . وهو عندي رُويفع بن ثابت .

وقال ابنُ السّكن : نزل مصر .

وروى البخاريّ في تاريخه وابن مَنْده وابن السكن من طريق الحسن البصريّ ، قال : أخبرني ثابت بن رُويفع من أهل مصر — وكان يؤمَّر على السرايا — سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إياكم والغُلُول[1] » ، الحديث[2] .

وقال ابن يونس : ثابت بن رُويفع بن ثابت بن السّكن الأنصاريّ ، روى عن ابن أبي مُليكة البَلويّ ، روى عنه يزيد بن أبي حَبيب ، وقد روى الحسن البصريّ عن ثابت بن رُفيع من أهل مصر ، وأظنه ثابت بن رويفع، هذا ، فإنّ أباه معروف الصحبة في المصريين .

وقال البخاريّ في كتاب الصحابة : ثابت بن رُويفع بن ثابت الأنصاريّ المصريّ وكان يؤمَّر على السرايا ؛ سمع من النبيّ صلى الله عليه وسلم حديث : « إيّاكم والغُلول في المصريين » .

٣٢ — ثابت بن طريف المُراديّ (ك) . قال في الأصابة : شهد فتح مصر ، وله صحبة ذكره ابن مندہ عن ابن يونس[3] .

٣٣ — ثابت بن النعمان بن أميّة بن امرئ القيس أبو حَيّة (ك) . شهد فتح مصر . قاله[4] ابن البرقيّ وابن يونس : وليس هو البدريّ ، ووهم ابن مَنْده فوحّدهما .

٣٤ — ثابت مولى الأخنس بن شريق (ك) . قال في الإصابة : ذكر عبدان أنّه شهد بدرا، ولا تُعرف له رواية ، وقد شهد فتح مصر . أخرجه أبو موسى[5] .

---

(١) ساقط من ط .　　(٢) الإصابة ١ : ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٣) الإصابة ١ : ٢٠٧ ، وقال : « وهو ممن أدرك الجاهلية » .

(٤) كذا في الإصابة ؛ وهو الصواب ، وفي الأصول : « قال » .

(٥) الإصابة ١ : ١٩٩

وقال الذهبىّ فى التجريد : مهاجر شهد فتح مصر .

٣٥ ـ ثعلبة الأنصارىّ ، والد عبد الرحمن . نزيل مصرىّ ، روى عنه ابنُه عبد الرحمن حديثا فى السرقة . أخرجه ابن ماجه . قاله فى الإصابة[1] .

٣٦ ـ ثعلبة بن أبى رُقَيّة اللخمىّ . شهد فتح مصر ، ذكره ابن يونس ، وأخرجه[2] ابن مَنْده .

٣٧ ـ ثوبان بن بُجْدُد ـ ويقال ابن جحدر ـ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أهل السَّراة ، أصابه سِباء فاشتراه النبى صلى الله عليه وسلم ، فأعتقه ، ولم يزل معه فى الحَضَر والسَّفر ، حتى توفِّىَ صلى الله عليه وسلم ، فخرج إلى الشام ، فنزل الرملة ، ثم انتقل إلى حمص ، فأقام بها إلى أن مات بها سنة أربع وخمسين . قال ابن كُثير : ويقال : إنه توفِّىَ بمصر .

وقال ابن الرَّبيع : شهد فتح مصر واختطّ بها ، ولهم عنه حديث واحد .

وروى ابن السكن عن ثوبان ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لأهله ، فقلت : أنا مِنْ أهل البيت ؟ فقال فى الثالثة : نعم ، مالم تقم على باب سُدّة ، أو تأتى أميرا تسأله .

وروى أبو داود عن ثوبان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تكفّل لى ألا يسأل الناس وأتكفّل له بالجنة ؟ » ، فقال ثوبان : أنا ، فكان لا يسأل أحدا شيئاً .

٣٨ ـ ثمامة الرّدمانىّ ، مولاهم (ك) . قال فى الإصابة : له إدراك ، شهد مع مولاه خارجة بن عراك فتح مصر صحبة عمرو بن العاص ، ذكره ابن يونس[3] .

٣٩ ـ ثمامة بن أبى ثمامة بكر الجذامىّ أبو سوادة (ك) . قال فى التجريد : له ذكر فى تاريخ مصر وصحبة[4] .

---

(١) الإصابة ١ : ٢٠٣ . (٢) الإصابة ١ : ٢٠٥ . (٣) الإصابة ١ : ٢٠٧ .
(٤) الإصابة ١ : ٢٠٥ .

﴿ حرف الجيم ﴾

٤٠ ـ جابر بن أسامة الجُهنىّ . يكنى أبا سعاد(ك) . نزل مصر ، ومات بهـا ، قاله ابن يونس [(١)] .

٤١ ـ جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصـارىّ ، يكنى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن وأبا محمد ، أحدُ المـكثرين عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، روى مسلم عنه ، أنّه غزا مع النبى صلّى الله عليه وسلّم تسع عشرة غزوة [(٢)] .

وفى مصنّف وكيع ، عن هشام بن عروة ، قال : كان لجابر بن عبد الله حَلقة فى المسجد النبوىّ ، يؤخذ عنه العلم .

قال ابن الربيع : قدم مصر على عُقبة بن عامر ـ ويقال على عبد الله بن أنَيس ـ يسأله عن حديث القصاص ، وذلك فى أيام مسلمة بن مخلَّد . ولأهل مصر عنه نحو عشرة أحاديث .

أخرج البغوىّ ، عن قتادة ، قال : كان آخر أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم موتا بالمدينة جابر ، بعد أن عمى .

قال ابنُ حِبّان : مات بعد أن عمى سنة ثمان وسبعين ـ وقيل سنة سبع ، وقيل سنة أربع ، وقيل سنة ثلاث ـ وستين وقيل إنه عاش أربعا وتسعين سنة .

* ذكر الحديث الذى رحل فيه جابر بن عبد الله إلى مصر :

قال ابن عبد الحـكم : حدثنا عبدالله بن يوسف ، حدثنا سعيد بن عبدالعزيز التنوخىّ قال : قدم جابر بن عبد الله على مسلمة بن مخلّد ، وهو أمير على مصر ، فقال له : أرسِل إلى عُقْبة بن عامر الجهنى حتى أسأله عن حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إليه [(٣)] .

---

(١) الإصابة ١ : ٢١٢ . (٢) الإصابة ١ : ٢١٤ . (٣) فتوح مصر ٢٧٥ .

وقال ابنُ الربيع : حدّثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، حدّثنى عمىّ ابن وهب ، حدثنى محمد بن مسلم الطائفىّ ، عن القاسم بن عبد الواحد ، عن عبد الله بن محمد بن عَقِيل ابن أبى طالب ، عن جابر بن عبد الله الأنصارىّ ، قال : كان عبد الله بن أُنَيْس الجُهنىّ – وكان عِداده فى الأنصار – يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً فى فى القصاص . قال جابر بن عبدالله : فخرجت إلى السوق ، فاشتريت بعيراً ، ثم شددتُ عليه رَحْلاً ، ثم سرت إليه شهرا ، فلما قدمت عليه مصر ، سألت عنه ؛ حتى وقفت على بابه ، فسلّمت ، فخرج إلىّ غلام أسود ، فقال : مَنْ أنت ؟ قلت : جابر بن عبد الله ، فدخل عليه فذكر ذلك ، فقال : قل له : أصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فخرج الغلام ، فقال ذلك ، فقلت : نعم ، فخرج إلىّ والتزمنى والتزمته ، فقال : ماجاء بك يا أخى ؟ قلت : حديث تحدّث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القِصاص ، لم يبقَ أحدٌ يحدّث به عن رسول الله غيرك ، أردتُ أنْ أسمعه منك قبل أن تموت أو أموت ، قال : نعم ، سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : إذا كان يوم القيامة حَشَر الله النّاس حفاةً عراة غُرْلاً بُهْماً ، ثم جلس على كرسيه تبارك وتعالى ، ثم ينادى بصوت يسمعهُ مَنْ بَعُد كما يسمعه مَنْ قَرُب يقول : أنا الملك الديّان ، لا ظلم اليوم ؛ لا ينبغى لأحد من أهل الجنّة يدخل الجنّة ، ولا ينبغى لأحد من أهل النّار يدخل النار عنده مظلمة ، حتى لطمة بيد » ، قيل : يارسول الله ، فكيف ؛ وإنما نأتى الله يوم القيامة حُفاة عراة غُرْلاً [1] بُهما ؟ قال : من الحسنات والسيئات ، قال له بعض القوم : ما البُهم ؟ قال : سألتُ عنها جابر بن عبد الله فقال : الّذين لا شىء معهم .

قال ابن الربيع : وحدّثنا علىّ بن الحسن ، بن الربيع بن إسحاق ،

---

(١) غرلا ، أى قلفا .

عن أحمد بن يحيى بن دريد ، عن أبى نُعيم ، عن ابنِ المبارك ، عن داود ، عن عبد الرحمن العطار ، عن القاسم بن عبد الواحد بن محمد بن عَقِيل ، عن جابر ابن عبد الله ، قال : سرت إلى عبد الله بن أبى أنَيس وهو بمصر أسأله عن حديث . . . ثم ذكره[1] .

٤٢ ـ جابر بن ماجد[2] الصَّدَفىّ . قال ابنُ يونس : وفد عَلَى النّبىّ صلى الله عليه وسلم ، وشهد فتح مصر ؛ وروى ابنُ لَهِيعة ، عن عبد الرحمن بن قيس بن جابر الصَّدفِىّ ، عن أبيه ، عن جَدِّه مرفوعاً ، قال : « سيكون بعدى خلفاء ، وبعد الخلفاء أمراء ، وبعد الأمراء ملوك ، وبعد الملوك جبابرة ، وبعد الجبابرة يخرج رجل من أهل بيتى ، يملأ الأرض عَدْلاً كما ملئت جورا ؛ ثم يكون من بعده القحطانىّ ؛ والّذى نفس محمد بيده ماهو بدونه » .

قال فى الإصابة : وقد خالفه فيه الأوزاعىّ ، فرواه عن قيس بن جابر ، عن أبيه ، عن جده ؛ فعلى هذا فالرواية لماجد ، والد جابر ، ويكون الضمير فى رواية ابن لَهِيعة فى قوله : « عن جده » يعود إلى قيس . انتهى .

قلت : قال ابن الربيع : جابر الصَّدَفىّ ، ويقال : قيس الصدفىّ ، وأورد الحديث من طريق ابن لَهِيعة ، عن عبد الرحمن بن جابر بن قيس ، عن أبيه عن جدّه ، ثم قال : روى عبد الرحمن بن قيس بن جابر . والله أعلم .

٤٣ ـ جابر بن ياسر بن عَوِيص ـ بمهملتين بوزن قدير ـ الرّعينى القتبانىّ . قال ابن منده : له ذكر فى الصحابة . وقال ابنُ يونس : شهد فتح مصر ؛ وهو جدّ عباس ابن جابر ، لا يعرف له حديث .

---

(١) الاستيعاب ٢١٩

(٢) ط : « ماجه » .

٤٤ ـ جاحل أبو محمد الصّدفيّ . روى ابن منده من طريق بن وهب ؛ حدثنا أبو الأشيم مؤذّن مسجد دمياط ، عن شُرحبيل بن يزيد ، عن محمّد بن مسلم بن جاحل ، عن أبيه ، عن جَدّه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : «إنّ أحصاهم لهذا القرآن من أمتي منافقوهم » ، قال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وذكره أبو نُعيم ، فقال : ليست له صحبة ؛ ولم يذكره أحد من المتقدّمين ولا من المتأخّرين .

قال في الإصابة : وقد ذكره محمد بن الرّبيع الجيزيّ في تاريخ الصحابة الّذين نزلوا مصر ، وقال : لا نعرف له حضور الفتح ، ولا خُطّة بمصر ، وللمصريّين عنه حديث واحد، وذكره .

وذكره أيضا ابنُ يونس وابن زيد ؛ فلابن منده فيهم أسوة [١] . انتهى

قلت : قال ابن الرّبيع : ولم يرو عنه غير أهل مصر فيما أعلم .

٤٥ ـ جِبَارة ـ بالكسر والتخفيف ـ بن زُرارة البلويّ . قال ابن يونس : صحب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وشهد فتح مصر ، وليست له رواية .

وقال ابنُ الرّبيع : بايع تحت الشجرة ، وشهد فتح مصر ، وكان اسمه جبارة ، فسماه النبيّ [٢] جِبارة .

٤٦ ـ جبر بن عبد الله القبطيّ ، مولى بني غِفار ، ويقال مولى أبي بَصرة الغِفاريّ .

قال في الإصابة : حكى ابنُ يونس عن الحسن بن عليّ بن خلف بن قديد ، أنّه كان رسولَ المقوقس بمارية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الحسن : وقد رأيتُ بعض ولده بمصر [٣] .

---

(١) الإصابة ١ : ٢١٧ .

(٢) الإصابة ١ : ٢٢٢ .

(٣) الإصابة ١ : ٢٢٢ .

قال فى التجريد : قال سعيد بن عُفَير : والقِبْط تفتخر بأنّ منهم مَنْ صحب النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وقال هانئ بن المنذر : مات سنة ثلاث وستين .

وذكر ابنُ ماكولا جبر بن أنس بن سعد بن عبد الله من عبد ياليل بن حرام بن غِفار الغفارىّ ، وقال : وهو جَبْر بن عبد الله القِبْطىّ . انتهى .

قلت : وفى فتوح عبد الحكم مانصّه : تزعم القِبْط أن رجلا منهم قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يريدون جبرا ؛ وهو كان رسولَ المقوقس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمارية وأختها وما أهدى معهما .

٤٧ — جبلة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيد الأنصارىّ ، أخو أبى مسعود البدرىّ . ذكره الطبرانىّ فيمن شهد صِفّين مع علىّ فى الصحابة .

وروى البخارىّ فى تاريخه وابنُ السّكن من طريق بكير بن الأشج ، عن سليمان بن يسار ، أنهم كانوا فى غَزوة بالمغرب مع معاوية بن حُدَيج ، فنفّل النّاس ومعه أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فلم يرد ذلك غير جَبلة بن عمرو الأنصارىّ .

ورواه ابن مَنْده وابنُ الربيع من طريق خالد بن أبى عمران ، عن سليمان بن يسار ، أنّه سئل عن النّفل فى الغَزْو ، فقال : لم أر أحدا يعطيه ، غير ابن حُدَيج [١] ، نفّلنا فى إفريقيّة الثلث بعد الخمس ، ومعنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الأولين ناس كثير ، فأبَى جبلةُ بن عمرو الأنصارىّ أن يأخذ منه شيئا [٢] .

وقال فى التجريد : شهد أُحُداً ، وشهد فتح مصر ، وشهد صِفّين ، وغزا إفريقيّة

---

(١) فى الإصابة : « يعنى معاوية » .

(٢) الإصابة ١ : ٢٢٥

مع معاوية بن حُدَيج سنة خمسين . وكان فاضلا من فقهاء الصحابة . قاله ابن عبد البر . وقال : روى عنه من أهل المدينة ثابت بن عبيد وسليمان بن يسار .

وقال ابنُ سيرين : كان بمصر رجلٌ من الأنصار يقال له جَبَلة ، صحابيّ جمع بين امرأة رجل وابنته من غيرها .

٤٨ — جُذْرة — بضم ثم سكون — بن سبرة الثّقفيّ . قال ابنُ يونس : له صحبة ، وشهد فتح مصر [١] .

٤٩ — جُدَيع بن نُذَيْر [٢] — بالتصغير فيهما — المراديّ الكعبيّ . قال ابنُ يونس في تاريخ مصر : له صحبة ، وخدم النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ولا أعلم له رواية ؛ وهو جدّ أبي ظبيان عبد الرحمن بن مالك [٣] .

٥٠ — جرهد بن خويلد بن بجرة الأسلميّ أبو عبد الرحمن . كان من أهل الصُّفّة .

قال ابنُ الربيع : شهد فتح مصر ، روى الطبرانيّ عن جرهد أنّه أكل بيده الشمال ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم : « كل باليمين » ، فقال : إنّها مصابة ، فنفث عليها فما شكا حتى مات .

قال الواقديّ : كانت له صُحبة وله دار بالمدينة ، ومات بها في آخر خلافة يزيد .
وقال غيرُه : مات سنة إحدى وستين [٤] .

٥١ — جَعْثم الخير بن خليبة بن ساجي بن موهب الصَّدفيّ (ك) . بايع تحت الشجرة ، وكساه النبيّ صلى الله عليه وسلم قميصَه ونعليْه ، وأعطاه من شعره . قال ابن يونس : شهد فتح مصر .

---

(١) الإصابة ١ : ٢٣٠
(٢) ط : « نذير » ، تحريف .
(٣) الإصابة ١ : ٢٣٠
(٤) الإصابة ١ : ٢٣٦ .

ووهم ابنُ عبد البر حيث قال : إنه قتِل فى الرِّدّة لتصحيف وقع له ؛ نبّه عليه فى الإصابة (١) .

٥٢ ـ جميل بن مَعْمر بن حبيب الُجمحىّ (ك) . قال المبرّد فى الكامل (٢) : له صحبة ، وكان قاضياً لعمر بن الخطاب ، ولا نسب بينه وبين جميل العذرىّ الشاعر ، المشهور صاحب بُثَينة ، وهو الذى أخبر قريشاً بإسلام عمر حين أخبره ، واستكتمه ، ثم أسلم ، وشهد فتح مكّة وحُنينا .

قال ابنُ يونس : وشهد فتح مصر ، ومات فى أيام عمر ، وحزن عليه حزنا شديدا ، وقارب المائة ، فإنّه شهد فتح الفِجَار (٣) وهو رجل ؛ وكان أبوه من كبار الصحابة (٤) .

٥٣ ـ جنادح بنُ ميمون . قال ابن مَنْده عن ابن يونس : يُعَدّ فى الصحابة ، وشهد فتح مصر (٥) .

٥٤ ـ جُنادة بن أميّة الأزدى ، أبو عبد الله الشامىّ . مختلَف فى صحبته . قال فى الإصابة : وقد روى حديثين صحيحين دالّين على صحّة صحبته ، قال : ولم يصحّ عندى اسمُ أبيه (٦) .

وقال ابنُ يونس : كان من الصحابة ، شهد فتح مصر ، وروى عنه أهلها ، وولى البحر لمعاوية . وكذا قال ابن الربيع .

قال خليفة : مات سنة ثمانين ، وقال فى التّجريد : له صحبة ، شهد فتح مصر واسم أبيه كثير .

---

(١) الاستيعاب ٢٧٧ ، والإصابة ١ : ٢٣٨ .
(٢) الكامل ٢ : ٤٩ ، قال : « وكان خاصا بعمر بن الخطاب » .
(٣) ط : « النجار » ، تحريف .
(٤) الإصابة ١ : ٢٤٦ .
(٥) الاصابة ١ : ٢٤٧
(٦) الاصابة ١ : ٢٤٧ .

٥٥ ــ جُنادة بن مالك الأزدىّ(ك) . قال فى التّجريد : نزل مصر . قال : وقد قال ابن سعد : إنه غير جُنادة بن أبى أميّة ، وتابعه على ذلك ابن عبد البّر .

زاد فى الإصابة : وفرّق بينهما أيضا أبو حاتم وغير واحد .

وأنكر عبد الغنى بن سرور المقدسىّ على أبى نُعيم الجمع بينهما ، قال : وجمع بينهما أيضا ابن السّكن وابن منده ، والذى يظهر أنه وهم[1] .

٥٦ ــ جَناب بن مَرْثد أبو هانئ الرُّعينىّ(ك) . أسلم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وبايع مُعاذاً باليمن ثم شهد فتح مصر . ذكره ابن يونس وغيره . وأورده فى الإصابة فى قسم المخضرَمين[2] .

***

﴿ حرف الحاء ﴾

٥٧ ــ حابس بن ربيعة التميمىّ . قال ابنُ حِبّان : له صحبة . وقال ابن السّكن : يعدّ فى المصريين ، وروى عنه ابنه حيّة ــ بتشديد التحتية ــ أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم ، يقول : العين حقّ . رواه أحمد والبخارىّ فى تاريخه ، والترمذى ، وابن خزيمة[3] .

٥٨ ــ حابس بن سعيد الثمالىّ(ك) ، ذكره عبد الصمد بن سعيد الحمصىّ فى تسمية مَنْ نزل بحمْص من الصحابة ، قال : وكان بحِمْص ، ثم ارتحل إلى مصر .

٥٩ ــ الحارث بن تُبَيْع الرُّعينىّ . ذكر عبد الغنى بن سعيد، عن ابن يونس أنه

---

(١) الاصابة ١ : ٢٤٨ ، والاستيعاب ٢٤٩ .

(٢) الاصابة ١ : ٢٦٣ .

(٣) الاصابة ١ : ٢٧١ ، الاستيعاب ٢٨٠ ؛ قال : « فى إسناد حديثه اضطراب يختلف فيه على بن يحي بن كثير » .

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم شهد فتح مصر وأبوه ، ضبطه عبد الغنى بضم الفوقية ، وابن ماكولا بفتحها(١) .

٦٠ ـ الحارث بن حبيب بن خُزيمة بن مالك بن جبل بن عامر بن لؤىّ القرشىّ العامرى(ك) . ذكره خليفة بن خياط فيمن نزل مصر من الصحابة ، قال : وقتل بإفريقية مع معبد بن العباس بن عبد المطلب(٢) .

٦١ ـ الحارث بن العباس بن عبد المطلب الهاشمىّ ، ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابنُ عبد البرّ : له رواية . وأمّه حُجيلة بنت جندب الهلالية ؛ وقيل أمّ ولد، غضب أبوه عليه العبّاس ، فطرده إلى الشام، فسار إلى الزبير بمصر ، فقدم به الزُّبير على العباس ، وشفع له . قاله ابن الكلبىّ وغيره(٣) .

٦٢ ـ حاطب بن أبى بَلْتعة ـ بفتح الموحدة والفوقية والمهملة ولام ساكنة ـ ابن عمرو بن عمير اللّخمى . شهد بدرا، ودخل مصر رسولا من النبى صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ، ثم ورد عليه أيضا رسولاً من أبى بكر . روى مسلم عن جابر ، أن عبداً لحاطب بن أبى بَلْتعة ، جاء يشكو حاطباً ، فقال : يا رسول الله، ليدخلنّ حاطب النار ، فقال : « لا ، إنه شهد بدرا والحُدَيبية » ، مات سنة ثلاثين ، وله خمس وستون سنة .

قال ابنُ عبد البرّ : لا أعلم له غير حديث واحد : « مَنْ زارنى بعد موتى ... » الحديث ، ووجد له ثلاثة أحاديث غيره(٤) .

٦٣ ـ حِبّان ـ بكسر أوله على المشهور ، وقيل بفتحها وهو بالموحدة ، وقيل بالتحتانية ـ ابن بُحّ ـ بضم الموحدة بعدها مهملة مشدّدة . أنصارىّ . ذكره ابنُ الربيع ،

---

(١) الاصابة ١ : ٢٧٤ ، والاستيعاب ٢٨٣ .

(٢) الاصابة ١ . . .

(٣) الاصابة ١ : ٣٦٦ .

(٤) الاصابة ١ : ٢٩٩ ، والاستيعاب ٣١٢ .

وقال: لأهل مصر عنه حديث واحد . وله عند الطّبرانىّ حديثان .

وقال فى التجريد : له وفادة ، وشهد فتح مصر .

٦٤ ـ حِبّان ـ بالكسر وموحّدة ـ ابن أبى جَبَلة . قال فى الإصابة : له إدراك . قال ابن يونس : بعثه عمر بن الخطاب إلى أهل مصر يفقّههم[١] .

وذكره ابن حِبّان فى ثقات التابعين . وقال غيره : مات بإفريقيّة .

٦٥ ـ حبيب بن أوس ـ أو ابن أبى أوس ـ الثَّقَفِىّ ، ذكره ابن يُونس فيمن شهد فتح مصر . قال فى الإصابة: فدلّ على أنّ له إدراكاً ، ولم يبق من ثقِيف فى حَجّة الوداع أحدٌ إلا وقد أسلم ، وشهدها فيكون صحابياً[٢] .

وقد ذكره ابن حبّان فى ثقات التابعين .

٦٦ ـ الحجاج بن خُلَى السُّلمىّ ـ بضم أوله وفتح اللام وفاء (ك) . قال ابن يونس : له صحبة[٣] فيما قيل ، ولا أعلم له رواية .

٦٧ ـ حذيفة بن عُبيد المُرادىّ (ك) . قال فى التجريد : أدرك الجاهليّة ، وشهد فتح مصر .

زاد فى الإصابة : ولا تعرف له رواية فيما ذكره ابن منده ، عن ابن يونس[٤] .

٦٨ ـ حِزَام بن عوف البَلَوِىّ . من بنى جُمَل ، قال فى الإصابة : بكسر أوله[٥] وزاى . ذكره ابن الربيع فيمن نزل مصر من الصحابة ، وحكى عن سعيد بن عُفير أنه ممن بايع تحت الشجرة فى رهط من قومه .

وقال فى التجريد : بالراء ، له صحبة ، وشهد فتح مصر . قاله ابن يونس .

---

(١) الاصابة ١ : ١١٢ (٢) الاصابة ١ : ٣٠٤ .
(٣) الاصابة ١ : ٣١٠ .
(٤) الأصابة ١ : ٣٧٤ (٥) الاصابة ١ . . .

٦٩ ـ حرملة بن سلمى (ك) . من بنى بُرْد . قال فى الإصابة : له[1] إدراك ، شهد فتح مصر ذكره الكندىّ .

٧٠ ـ حَسان بن أسد[2] ـ وفى التجريد : ابن سعيد ـ الحَجَرىّ (ك) . ذكر ابن يونس أنه له صحبة ، وأنه شهد فتح مصر .

٧١ ـ الحكم بن الصلت بن مَخْرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشىّ (ك) . قال فى التجريد : شهد فتح مصر ، وشهد خَيْبر ، وكان من رجال قريش ، استخلفه محمد بن أبى حُذيفة على مِصْر لمّا سار إلى عمرو بن العاص بالعريش ، وله حديث أخرجه أبو موسى من طريق ابن وهب عن حَرْملة بن عمران ، عن عبد العزيز بن حِبّان ، عن الحكم بن الصلت ، رفعه : « لا تقدّموا بين أيديكم فى صلاتكم ، وعلى جنائزكم سفهاءكم »[3] .

٧٢ ـ حُمرة ـ بضم أوله وبالراء ـ ابن عبد كلال بن عريب الرّعينىّ (ك) . أدرك الجاهلية ، وسمع من عمر ، وذكره أبو زُرْعة فى الطبقة العليا الّتى تلى الصّحابة .

وقال ابنُ يونس : شهد فتح مصر ، وروى عنه رشدان بن سعد وغيرُه ، ووثّقه ابنُ حِبّان .

٧٣ ـ حمزة بن عمرو الأسلمىّ المدنىّ أبو صالح . وقيل : أبو محمد . قال ابنُ الرّبيع : شهد فتح مصر .

وفى التهذيب للمزّى أنه الذى بشّر كعب بن مالك بتوبة الله عليه . مات سنة إحدى وستين ، وله إحدى وسبعون سنة . حديثه فى الصحيحين[4] .

---

(١) الاصابة ١ : ٣٧٥ .

(٢) فى الاصابة : « أسعد » .

(٣) الاصابة ١ : ٣٤٤ .

(٤) الاستيعاب ٣٧٥ .

٧٤ – حُمَيْل – بالتصغير – بن بَصْرة بن أبى بَصْرة الغِفارىّ (ك) . ذكره ابنُ سعد فيمن نزل من الصحابة ، وقال صحِب النبى صلى الله عليه وسلم مع أبيه وجَدّه . وروى عنه[1] .

وذكره البخارىّ فى تاريخ الصحابة ، وقال : حديثه فى المصريّين . قال : ويقال جميل ، وهو وَهْم .

وقال علىّ بن المدينى : سألتُ شيخاً من بنى غِفار ، فقلت له : هل يعرف فيكم جَميل بن بَصْرة ؟ قلته بفتح الجيم ، فقال : صحّفت يا شيخ ، والله إنما هو حُمَيل ، بالتصغير والمهملة ، وهو جَدّ هذا الغلام – وأشار إلى غلام معه .

٧٥ – حنظلة صاحب النبى صلى الله عليه وسلم . دخل مصر ، كذا ذكره ابن الرّبيع ولم يزدْ عليه .

قلت : فى الصحابة جماعة يسمَّوْن بهذا الاسم ، وأقربهم إلى هذا حنظلة الثّقفىّ ، أحد مَنْ نزل حِمْص ، روى عنه غُطيف بن الحارث[2] ، أو حنظلة بن الطُّفَيل السُّلَمىّ ، أحد الأمراء فى فتوح الشام[3] .

٧٦ – حيّان – بالتحتية – ابن كرز البلَوىّ . شهد فتح مصر ، وله صحبة[4] . قاله ابنُ يونس .

٧٧ – حُيَىّ – بتحتيتين مصغّر – بن حرام اللّيثى . قال ابن الربيع : لأهل مصر عنه حديث واحد ، وذكره ابن يونس فى تاريخ مصر ، وقال : له صحبة .

---

(١) طبقات ابن سعد ٧ : ٥٠٠ .

(٢) ذكره فى الإصابة ١ : ٣٥٨ ، وقال : « حنظلة بن أبى الثقفى ، ذكره عبد الصمد بن سعيد فيمن نزل حمص من الصحابة » .

(٣) الإصابة ١ : ٣٦ .

(٤) الإصابة ١ : ٣٦٤ .

وقال ابنُ السَّكن : له صحبة، عِداده فى المصريين .

وقال القُضاعىّ فى الخطط : يقال إن له صحبة . وقال فى التجريد : نزل بالشّام[(١)] .

٧٨ ـ حَيْوِيل بن ناشرة بن عبد عامر الـكِنَنىّ أبو ناشرة . قال فى الإصابة : أدرك النبىّ صلى الله عليه وسلمّ ، ولم يره، وشهد فتح مصر وصِفّين مع معاوية ، وهو جدّ قرة بن عبد الرحمن بن حيويل[(٢)] .

٧٩ ـ حَيْوة بن مَرثد التُّجيبىّ ، ثم الأندونىّ. قال فى الإصابة : له إدراك، وشهد فتح مصر ، ولا أعلم له رواية[(٣)] .

***

﴿ حرف الخـــاء ﴾

٨٠ ـ خارجة بن حُذافة بن غانم بن عامر العدوىّ . أحد الفرسان ؛ قيل : كان يعدّ بألف فارس ؛ وهو من مُسلِمة الفتح ، وأمدّ به عمرُ عمرو بن العاص ، فشهد معـه فتح مصر ، واختطّ بها . وكان على شروط عمرو بن العاص، فحصل لعمرو ليلةً مغَص، فاستخلفه على الصلاة ، فقتله الخارجىّ الذى انتدب لقتل عمرو ، وهو يظنّه عمرا ، وقال : أردت عمْراً [(٤)]وأراد الله خارجة [(٤)] ؛ وذلك ليلة قتل علىّ بن أبى طالب ، وفيه يقول الشاعر :

فليتَها إذ فَدَتْ عمْراً بخارِجةٍ فدتْ عليًّا بمَنْ شاءت من البَشرِ

له حديث واحد فى الوتْر . قال ابن الربيع : لم يرو عنه غيرُ المصريين .

قال فى المرآة ؛ وله من الولد : عبدالرحمن وأبان[(٥)] .

---

(١) الإصابة ١ : ٣٦٦ .

(٢) الإصابة ١ : ٣٨٣ قال : « وكان أعور ، أصيبت عينـه يوم دنقلة سنة إحدى وثلاثين مع ابن أبى سرح » .

(٣) الإصابة ١ : ٣٨٣ . (٤ـ٤) ساقط من ح ، ط .

(٥) انظر الاستيعاب ٤١٨ ، والإصابة ١ : ٣٩٩ .

٨١ – خالد بن ثابت بن ظاعن العَجْلانى الفَهْمِىّ . قال ابنُ يونس : شهد فتح مصر ، ووليَ بحر مصر سنة إحدى وخمسين ، وأغزاه مسلمة بن مخلّد إفريقيّة سنة أربع وخمسين .

قال فى الإصابة: ذكرته اعتمادا على أنهم كانوا لا يؤمّرون فى الفتوح إلّا الصحابة(١) .

٨٢ – خالد بن العنبس . صحابىّ دخل مصر ، ولا تُعرف له رواية ، كذا قاله ابن الربيع . وذكر سعيد بن عفير أنه من بَلِىّ ، وأنّه بايع تحت الشجرة ، وشهد فتح مصر . وذكره ابن يونس أيضا . وتعقب مغلطاى على ابن الأثير فى نقله إياه عن ابن الربيع الجيزىّ ، بأنه ليس فى كتاب ابن الربيع .

قلت : ليس كما زعم ، بل هو فى آخر كتابه كما سبقت عبارته أول الترجمة(٢) .

٨٣ – خرشة بن الحارث – ويقال له : ابن الحرّ – المحاربىّ الأزدىّ . قال ابنُ السَّكن : له صحبة ، نزل مصر .

وذكره ابن سعد فيمن نزل مصر من الصحابة(٣) .

وذكره ابنُ الربيع ، وقال : لأهل مصر عنه حديث واحد .

وقال فى التجريد : له وفادة ، وشهد فتح مصر .

وقال فى الإصابة : الراجح ابن الحارث ، وأمّا خرشة بن الحرّ فرجل آخر تابعىّ ، وقد فرّق بينهما البخارىّ وابن حِبّان(٤) .

وقال الحُسينىّ فى رجال السند: خَرشة بن الحارث أبو الحارث المرادىّ ، نزل مصر(٥) له صحبة ورواية عند يزيد بن أبى حبيب .

٨٤ – خزيمة بن الحارث(ك). مصرىّ له صحبة ، حديثه عن ابن لَهيعة ، عن يزيد

---

(١) الإصابة ١ : ٤٠١ .
(٢) الإصابة ١ : ٤١٠ .
(٣) طبقات ابن سعد ٧ : ٥٠١ .
(٤) الإصابة ١ : ٤٢٢ .
(٥) ط : « مصرى » .

ابن أبى حبيب ، قاله ابن عبد البر وتبعه فى التجريد .

قال فى الإصابة : أظنّه وهما نشأ عن تصحيف ، وإنما هو خرشة بن الحارث[١] .

٨٥ ـ خليد المصرىّ [ك] . قال بكر بن عبد الله المزنىّ : إنّ رجلا يقال له خُليد ، له صحبة كان بمصر ، كذا فى التجريد تبعا لعبدان والباوردىّ .

قال فى الإصابة : وهو غلط نشأ عن تصحيف ؛ والمحفوظ أنه مسلمة بن مخلّد ، روى عنه يزيد بن أبى حبيب ، قاله ابن لهيعة [٢] .

٨٦ ـ خارجة بن عقال[٣] الرّعينىّ الرّمادىّ . قال فى الإصابة: له إدراك، شهد فتح مصر [٤] .

٨٧ ـ خيار بن مرثد التُّجيبىّ ثم الأندونى [ك] . قال فى الإصابة : له إدراك . قال ابن يونس : شهد فتح مصر ، وكان رئيسا فيهم.

قلت : أخشى أن يكون تصحّف بحَيْوة بن مرثد السابق .

* * *

﴿ حرف الدال ﴾

٨٨ ـ دِحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبىّ. من مشاهير الصحابة ، أول مشاهده الخندق ـ وقيل أُحُد ـ وكان يُضرَب به المثل فى حسن الصورة ، وكان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزل على صُورته . روى العجلىّ فى تاريخه ، عن عوانة بن الحكم قال : أجمل الناس مَنْ كان جبريل ينزل على صورته .

---

(١) الإصابة ١ : ٤٢٦ .
(٢) الإصابة . . .
(٣) ط : « عراك » .
(٤) الإصابة ١ : ٤٥٣

وعن ابن عباس : كان دِحْية إذا قدم المدينة لم يبق مُعْصِرٌ[١] إلا خرجت تنظر إليه. ذكره ابن قتيبة فى الغريب .

وهو رسول النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى قيصر . قال ابن البرقىّ : له حديث عن النبىّ صلى الله عليه وسلم[٢] .

وقال فى الإصابة : اجتمع لنا عنه نحو ستة أحاديث[٣] . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، وقد نزل دمشق وسكَن المزّة ، وعاش إلى خلافة معاوية .

٨٩ ــ دمّون[٤].قال فى الإصابة : رفيق المغيرة بن شعبة فى سفَره إلى المقوقس بمصر، وله معه قصّة فى قتل المغيرة ورفيقة وأخذه أسلابهم ، ومجيئه إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقبل منه الإسلام[٤] ، ولم يتعرّض للمال . ذكره الوقدىّ .

٩٠ ــ ديلم بن هوشع الجيشانىّ الحميرىّ ــ ويقال: هو ابن أبى ديلم، ويقال: ابن فيروز ــ قال فى الإصابة: صحابىّ ،سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الأشربة وغير ذلك، ونزل مصر ، فروى عنه أهلُها .

قال ابن يونس: كان أوّل وافد وفد على النبىّ صلى الله عليه وسلم من عند مُعاذ بن جَبل من اليمن ، وشهد فتح مصر ــ وروى عنه أبو الخير مرثد . وقد ذكر جماعة أنّه يكنى أبا وهب، وردّه ابن يونس بأن تلك كنية رجل آخر، جيشانى تابعىّ ،وصوّبه فى الإصابة . وصوب أن اسم أبى الصحابى هوشع. وقال: إن أباالخير مرثد المصرىّ تفرّد بالروايه عنه .

وذكر ابنُ الربيع أنه من موالى بنى هاشم ، قال : ولأهل مصر عنه حديث واحد. وقال بعضهم فى اسمه : دليم ، قال فى الإصابة : والصواب ديْلم[٥] .

---

(١) المعصر : المرأة بلغت شبابها وأدركت .

(٢) الاستيعاب ٤١٦ . (٣) الإصابة ١ : ٤٦٣ .

(٤) الإصابة ١ : ٤٦٥ ، وفى ط : « ديمون » ، وصوابه من الأصل وح والإصابة .

(٥) الإصابة ١ : ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

﴿ حرف الذال ﴾

٩١ ــ ذو قَرَبات(ك) ــ بفتحات ــ الحميرىّ ذكره ابن عبد الحكم فيمن دخل مصر من الصحابة[1] .

وقال ابن يونس : يقال إن له صحبة ، وقال ابن منده : اختلف فى صحبته . وقال فى التجريد : الصحيح أنه لا صحبة له .

***

﴿ حرف الراء ﴾

٩٢ ــ رافع بن ثابت (ك) . أكل مع النبىّ صلى الله عليه وسلم رُطبا . نزل مصر ، كذا فى التجريد .

قال فى الإصابة : هو رويفع بنُ ثابت ، فرّق بينهما ابن منده ؛ وهما واحد قاله أبو نعيم[2] .

٩٣ ــ رافع بن مالك (ك) : ذكره الكندىّ فيمن دخل مصر من الصحابة .

والذى فى الإصابة بهذا الاسم رافع بن مالك بن العجلانى الزّرَقىّ ، شهد العقبة ، وكان أحد النقباء .

٩٤ ــ ربيعة بن زُرْعة الحضرمىّ (ك) . من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، شهد فتح مصر ، قاله ابن يونس ؛ ذكره فى التجريد والإصابة[3] .

٩٥ ــ ربيعة بن شُرَحْبيل بن حسنة . قال ابنُ الربيع : صحابىّ شهد فتح مصر ، ولا يعرف له حديث .

---

(١) فتوح مصر ٣١٧ ، وفيه : « قرنات » ، والإصابة ١ : ٤٧٥ .
(٢) الإصابة ١ : ٤٨٣ ، ٥٠٧ .
(٣) الإصابة ١ : ٤٩٥ .

وقال فى التجريدة : له رواية ، شهد فتح مصر ، وروى عنه ابنه جعفر .

وقال ابن يونس : يقال إن عمرو بن العاص استعمله على بعض العمل.

٩٦ ـ ربيعة بن عِباد الدّيلى . قال ابن الرّبيع : ذكره الواقدىّ فيمن دخل مصر من الصحابة لغزو العرب قال فى الإصابة : وأبوه بكسر المهملة وتخفيف الموحّدة على الصواب؛ ويقال بالفتح والتشديد . قال ابن عبد البرّ : عُمّر ربيعة طويلا . وذكر خليفة وابن سعد أنه مات فى خلافة الوليد [(١)] .

٩٧ ـ ربيعة بن الفراس ـ ويقال : الفارسىّ (ك). قال فى التجريد والإصابة : يعدّ فى المصريين ، روى عنه زياد بن نعيم ، وذكره ابن يونس [(٢)] .

٩٨ ـ رشيد بن مالك أبو عَميرة المُزنىّ ـ بفتح العين ـ من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، ذكر فى أهل مصر ، ولأهل مصر عنه حديث .

قاله ابن الربيع وابن يونس ، وكذا فى التجريد والإصابة [(٣)] .

٩٩ ـ رشدان المصرىّ (ك) . كذا ذكره البخارىّ فى كتاب الصحابة ولم يزد عليه ، قال فى الإصابة : رشدان الجُهَنىّ ، له صحبة . قال البخارىّ : روى ابن السّكن عنه أنّه كان يدعى فى الجاهلية غَيّان ـ يعنى بغين معجمة وتحتانية مشددة ـ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : بل أنت رشدان [(٤)] .

١٠٠ ـ زكب المصرىّ . كذا ذكره البخارىّ فى كتاب الصحابة ولم يزد عليه .
وقال عباس الدّورىّ : له صحبة .

(١) الإستيعاب ٤٩٢ ، الاصابة ١ : ٤٩٦ .
(٢) الإصابة ١ : ٤٩٨ . (٣) ١ : ٥٠٢ .
(٤) الإصابة ١ : ٥٠٢ .

وقال ابن عبد البرّ : كندىّ ، له حديث حسن ، وليس بمشهور فى الصحابة ، وقد أجمعوا على ذكره فيهم ، روى عنه نصيح العبسىّ .

وقال ابن منده : لا يعرف له صحبة . وقال البغوىّ : لا أدرى أسمع من النبىّ صلى الله عليه وسلم أولا ، وقال ابن حِبّان : يقال إن له صحبة ، وذكره ابن الربيع [١] .

١٠١ ـ رويفع بن ثابت بن السّكن البخارىّ الأنصارىّ . نزل مصر ، وولّاه معاوية على طرابلس سنة ست وأربعين ، فغزا فريقيّة .

قال ابن يونس : توفِّىَ ببرقة ، وهو أمير عليها من قِبَل مسلمة بن مخلّد سنة ست وخمسين . وقال فى التجريد : يعدّ فى المصريين ، له صحبة ورواية ، روى عنه جماعة .

وقال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، واختطّ بها ، ولأهل مصر عنه نحو عشرة أحاديث [٢] .

* * *

﴿ حرف الزاى ﴾

١٠٢ ـ الزبير بن العوّام بن خُويلِد بن أسَد بن عبد العُزّى الأسدىّ أبو عبد الله . حوارِىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنُ عمّته صفيّة ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد أعلام السادة السالفين البدريّين ، أسلم وله اثنتا عشرة سنة ـ وقيل ثمانى سنين ـ وهاجر الهجرتين .

قال عروة : وكان الزّبير طويلا ، تخطّ رجلاه الأرض إذا ركب . أخرجه الزبير ابن بكار .

---

(١) الاستيعاب ٥٠٧ ، الإصابة ١ : ٥٠٦ . (٢) الإصابة ١ : ٥٠٧ .

وكان له ألف مملوك يؤدّون إليه الخراج ، وكان لا يُدخل بيته منها شيئا ، يتصدّق به كلّه . أخرجه يعقوب بن سفيان .

قال ابن الربيع : شهد فَتْح مصر ، واختطّ بها ، ولأهل مصر عنه حديث واحد ، قتِل راجعا من وَقعة الجمل بوادى السباع فى جمادى الأولى سنة ست وثلاثين ، وله ست أو سبع وستون سنة [(١)] .

١٠٣ ـ زهير بن قيس البَلَوِىّ أبو شداد [(ك)] . قال ابن يونس : يقال له صحبة ، شهد فتح مصْر ، وندبه عبدُ العزيز بن مروان وهو أمير على مِصْر إلى برقة ، فخاطبه بشىء [يكرهه] [(٢)] ، فأجابه زهير : تقول لرجلٍ جمَع ما أنزل الله على نبيّه قبل أن يجتمع أبواك هذا ! ونهض إلى برقة فلقى الروم فى عدد قليل ، فقاتل حتى قتِل ، وذلك سنة ست وسبعين [(٣)] .

قال فى التجريد : روى عنه سويد بن قيس التُّجيبىّ فقط .

١٠٤ ـ زياد بن الحارث الصُّدائىّ [(ك)] ، بضمّ المهملة . قال ابنُ الربيع : شهد فتح مصر ، ولأهل مصر عنه حديث واحد . وقال فى التّجريد : بايع ، وحديثه فى الأذان فى جامع التِّرمذىّ ، نزل بمصر .

وقال البخارىّ : قال بعضهم : زياد بن حارثة ، وزياد بن الحارث أصحّ .

وقال ابن سعد : نزل بمصر ، روى عنه المصريون [(٤)] .

١٠٥ ـ زياد الغِفارىّ [(ك)] . قال فى التّجريد تبعا لابن عبد البرّ : مصرىّ له صحبة ، روى عنه يزيد بن نعيم [(٥)] .

---

(١) الإصابة ١ : ٥٢٦ .

(٢) من ح ، ط .

(٣) الإصابة ١ : ٥٣٧ .

(٤) طبقات ابن سعد ٧ : ٥٠٣ ، الإصابة ١ : ٥٣٨ .

(٥) الاستيعاب ٥٣٤

وقال فى الإصابة : يعدّ فى أهل مصر ، أخرج حديثَه ابنُ أبى خيثمة وابن السَّكن من طريق زيد بن عمرو ، عن يزيد بن نعيم : سمعتُ زيادا الغفارىّ على المِنبر فى الفُسطاط ، يقول : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ تقرَّب إلى الله شبراً تقرَّب إليه ذراعا . . . » الحديث [١] .

١٠٦ ــ زياد بن قائد اللخمىّ (ك) . قال فى الإصابة فى قسم المخضرمين : شهِد فتح مصر ، وعاش إلى أن رثى الأكدر بن حمام لما قتل فى جمادى الآخرة سنة خمس وستين ومروان يومئذ بمصر ، ذكره أبو عمر الكندى [٢] .

١٠٧ ــ زياد بن نعيم الحضرمىّ (ك) . قال فى التّجريد : مصرىّ ، قيل له صحبة . وقال فى الإصابة : ذكره ابنُ أبى خَيْثَمة والبغوىّ فى الصّحابة [٣] .

١٠٨ ــ زياد بن جمهور اللخمىّ (ك) . قال فى التّهذيب : شهد فتح مصر ، ونزل فلسطين ، روى عنه ابناه [٤] .

١٠٩ ــ زبيد بن عبد الخَوْلانىّ (ك) . قال فى الإصابة : له إدراك ، شهد فتح مصر ، ثم شهد صِفّين مع معاوية ، وكانت معه الرّاية ، فلما قُتِل عمّار تحوّل إلى عسكر علىّ . ذكره ابنُ يونس ومن تبعه [٥] .

* * *

---

(١) الإصابة ١ : ٥٤١ .
(٢) الإصابة ١ : ٥٦٤
(٣) الإصابة ١ : ٥٤١ وتهذيب التهذيب ٣ : ٣٦٥ ؛ واسمه هناك : « زياد بن ربيعة بن نعيم بن ربيعة بن عمرو الحضرمى » .
(٤) الإصابة ١ : ٥٦٥
(٥) الإصابة ١ : ٥٥٩ .

﴿ حرف السين ﴾

١١٠ ـ السّائبُ بن خلّاد بن سُويد الأنصاريّ . قال ابنُ الربيع : شهد فتح مصر ، وقدم على عُقْبة ، فاستذكره حديث : « من ستر عورة . . . » ، الذى رحل فيـــه السائب بن خلّاد إلى مصر .

قال ابن عبد الحكم: ذكر يحيى بن حسان، عن ابن لَهِيعة، عن يزيد بن أبى حبيب، قال : إنّ السائب بن خلّاد الأنصاريّ قدم على عُقبة بن عامر الجهنيّ ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فى الستر شيئاً ؟ فقال عُقْبة : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من ستر مسلما ستره الله » ، فقال : أنت سمعتَه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قال : فراح. ولم يقدم من المدينة إلّا لذلك . أخرجه محمد بن الربيع الجيزيّ [١] .

وحدّثنا عبدُ الله بن صالح ، حدّثنا يحيى بن أيوب ، عن عيّاش بن عباس القتبانيّ، عن وهب بن عبد الله المَعافريّ ، قال : قدِم رجلٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار على مسلَمة بن مخلّد [فألفاه نائماً ، فقال : أيقظوه ، فقالوا : بل تنزل حتّى يستيقظ ، قال : لستُ فاعلا ، فأيقظوا مسلمة] ، [٢] فخرج مسلمة ، فقـال : انزل ، فقال : لا ، حتى ترسل إلى عُقْبة بن عامر ، فأرسل إليه ، فأتاه ، فقال : هل سمعتَ رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول : « مَنْ وجد مسلما على عورة فسترها فـكأنمـا أحيا موءودةً من قبرها » ؟ ، قال عقبة: قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ ذلك [٣] .

وقال محمد بن الربيع : أخبرنى يحيى بن عثمان بن صالح، أنبأنا يوسف بن عبد الأعلى،

---

(١) فتوح مصر ٢٧٥ (٢) من فتوح مصر .

(٣) فتوح ٢٧٥ ؛ ونهاية الخبر هناك : « فقال عقبة : أخبرنا أبو حماد ، قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك . ولم يسم يحيى بن أيوب الرجل» .

أخبرني عبد الجبّار بن عمر ، أن مسلم بن أبي حرّة ، حدّثه عن رجل من أهل قُباء ، أنه قدم مصر على مسلمة بن مخلّد ، فضرب عليه الباب ، واستأذن عليه ، فخرج مسلمة إليه ، فقال : انزل ، فقال : لا ، ولكن أرسل معى إلى فلان ـ رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : حسبت أنه قال : سُرّق ـ فذهب إليه فى قرية ، فقال له : هل تذكر مجلسا كنتُ أنا وأنتَ فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس معنا أحد غيرنا ؟ فقال : نعم ، فقال : كيف سمعتَه يقول ؟ قال : سمعتُه يقول : « من اطّلع من أخيه على عورة ثم سترها جعلها الله له يوم القيامة حجابا من النار » ، قال : كنت أعرف ذلك ؛ ولكنى أوهمت ، فكرهتُ أن أحدّث به على غير ما كان . ثم ركب على صدر راحلته ثم رجع .

١١١ ـ السائب الغفاريّ . ذكره ابن الربيع ، وقال : لا يوقف له على حضور الفتح ، ولأهل مصر عنه حديث واحد من طريق ابن لَهيعة ، عن أبي قَبيل ، عن رجل من بني غِفار ، حدّثه أن أمه أتت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه تميمة ، قال : فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم تميمتى ، وقال : ما اسم ابنك ؟ قالت : السائب ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : بل سَمّه عبد الله ، فقلت : أتجيب بكلتيهما ؟ فقال : لا والله ؛ ما كنت لأجيب إلا على اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى سمانى[1] .

١١٢ ـ السائب بن هشام بن عمرو العامريّ (ك) . قال فى التجريد : يقال إنه رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وشهد فتح مصر ، وولى القضاء بها لمسلمة بن مخلّد ، وكان جبانا وأبوه صحابى .

---

(١) الإصابة ٢ : ١٢ .

١١٣ — سَخدور — بسين مهملة ثم خاء معجمة ، وقيل : بشين معجمة ثم حاء مهملة — بن مالك الحضرمىّ أبو علقمة[١] . قال فى التجريد : له صحبة ، شهد فتح مصر ، ذكره ابن يونس . وهو الذى حضّهم على حرب مروان لما قصد مصر .

١١٤ — سُرّق بن أُسَيْد — ويقال : أسَد — الجهنىّ ، ويقال له الدّيلمىّ ، ويقال : الأنصارىّ . نزل مصر والإسكندرية . ذكره ابنُ الرّبيع وابن سعد ؛ وأخرج عن عبد الرحمن السُّلمانىّ ، قال : كنت بمصر ، فقال لى رجل : ألا أدلك على رجل من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : بلَى ، فأشار إلى رجل ، فجئته فقلت : مَنْ أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا سُرّق ، فقلت : سبحان الله ! ينبغى لك ألا تُسَمَّى بهذا الاسم ، وأنت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمّانى سُرَّقا ، فلم أدَعْ ذلك أبداً ؛ فقلت : ولِمَ سمّاك سُرّقاً ؟ قال : قدم رجلٌ من البادية ببعيريْن له يبيعُهما ، فابتعتُهما منه ، وقلتُ : انطلقْ معى حتى أُعْطِيَكَ حقهما ، فدخلتُ بيتى ، ثمّ خرجتُ من خلف بيتى ، وقضيت بثمن البعيرين حاجةً لى ، وتغيّبتُ حتى ظننتُ أن الأعرابىّ قد خرج ، فخرجت فإذا الأعرابى مقيم ، فأخذنى فقدّمنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « ما حَمَلك على ما صنعتَ ؟ قلت : قضيتُ بثمنهما حاجةً يا رسول الله ، قال : فاقْضه ، قلتُ : ليس عندى ، قال : « أنت سُرّق ، اذهب به يا أعرابىّ ، فبعْه حتى تستوفِيَ حقّك » ، فجعل النّاس يسومونه بشىء ، فيلتفت إليهم ، فيقول : ما تريدون ؟ قال : وماذا نريد ! نريد أن نفتديَه منك ؛ قال : فو الله ما منكم أحدٌ أحوجُ إليه منّى ؛ اذهبْ فقد أعتقتُك . أخرجه الحاكم فى المستدرك وصحّحه[٢] .

---

(١) الإصابة ٢ : ١٦ وفيه : « سخدور » .

(٢) طبقات ابن سعد ٧ : ١٠٤ ، الإصابة ٢ : ١٩ .

١١٥ ـ سعد بن أبي وقّاص ، واسمه مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشيّ أبو إسحاق الزّهريّ .

أحد العشرة ، فارس الإسلام ، وسابع سبعة فى الإسلام وصاحب الدعوة المجابَة ، بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك .

قال الربيع : شهد فتح مصر ، ووردها رسولًا من قِبَل عثمان . ولأهل مصر عنه حديث واحد . مات بالعقيق وحمِل إلى المدينة ، فدُفِن بالبَقيع سنة خمس وخمسين وقيل : سنة ست ، وقيل سبع ، وله بضع وسبعون سنة ؛ وهو آخر العشرة وفاةً [(١)] .

١١٦ ـ سعد بن سِنان الكِندىّ [(ك)] . قال فى التّجريد : روى عنه ابنُه . ذكره ابن يونس [(٢)] .

١١٧ ـ سعد بن مالك بن الأقيصر بن مالك بن قُرَيع ، أبو الكنود الأزدىّ . قال ابن يونس : له وفادة على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وشهد فتح مصر . ومن ولده اليوم بقية بمصر ، وروى عنه ابنه الأشيم [(٣)] .

١١٨ ـ سعيد بن يزيد الأزدىّ . ذكره ابن سعد فيمن نزل مصر من الصحابة ، ولم يزد عليه [(٤)] .

وقال فى التجريد : مصرىّ ، روى عنه أبو الخير اليزنىّ ، وزعم أن له صحبة .

١١٩ ـ سفيان بن هانئ بن جبير ، أبو سالم الجيشانىّ [(ك)] . قال فى التجريد : مصرىّ ، وله رواية .

---

(١) الإصابة ٢ : ٢٠ ـ ٢٢ .

(٢) الإصابة ٣ : ٣٩ ، واسمه هناك : « سعد الكندى والدسنان » .

(٣) الإصابة ٢ : ١١٠ .

(٤) طبقات ابن سعد ٧ : ٥٠٢ ، الإصابة ٢ : ٥٠ .

قال ابن يونس : شهد فتح مصر ، ومات بالإسكندرية ، زمن عمر بن عبد العزيز ابن مروان[١] .

١٢٠ ــ سفيان بن وهب الخولانى ، أبو أيمن . له صحبة ورواية ووفادة . شهد حجة الوداع وفتح مصر وإفريقية ، وسكن المغرب . قال ابن الربيع : لم يرو عنه غير أهل مصر فيما أعلم . ولهم عنده حديثان . مات سنة إحدى وتسعين[٢] .

١٢١ ــ سلامة بن قيصر الحضرمى ــ وقيل : سلمة . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، ولأهلها عنه حديث واحد[٣] .

١٢٢ ــ سلكان بن مالك . قال ابن الربيع : ذكره الواقدى فيمن دخل مصر من الصحابة لغزو المغرب .

قال فى التجريد : هو من الصحابة الذين دخلوا مصر[٤] .

١٢٣ ــ سلم بن نذير (ك) . قال فى التجريد : مصرى ، روى عنه يزيد بن أبى حبيب[٥] .

١٢٤ ــ سلمة بن الأكوع (ك) ــ وهو سلمة بن عمرو ، ويقال : ابن وهب ــ بن الأكوع ، واسم الأكوع سنان بن عبد الله بن قشير الأسلمى أبو مسلم إياس . بايع تحت الشجرة . قال ابن الربيع : ذكره الواقدى فيمن دخل مصر لغزو المغرب . مات بالمدينة سنة سبع وسبعين ، وهو ابن ثمانين سنة ، وكان شجاعا راميا ، وكان يسبق الفرس شدا على قدميه[٦] .

---

(١) الإصابة ٢ : ١١٢ .
(٢) الإصابة ٢ : ٥٦
(٣) الإصابة ٢ : ٥٨ .
(٤) الإصابة ٢ : ٥٩
(٥) الإصابة ٢ :
(٦) الإصابة ٢ : ٦١ ، ٦٥

١٢٥ — سندر أبو عبد الله — وقيل : أبو الأسود — مولى زِنباع الجذامىّ . وجَدَه مولاه يقبّل جارية له ، فخصاه وجدّعه ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأعتقه . سكن مصر فى خلافة عمر ، وأُقطِع بها منية الأصبغ . قال ابن عبد الحكم : يقال سندر بن سندر ، والله أعلم بالصواب .

قال ابن أبى الربيع : لأهل مصر عنه حديثان ، ثم أوردهما ، وأحدهما من طريق يزيد ابن أبى حبيب ، عن ربيعة بن لقيط عن عبد الله بن سندر ، عن أبيه ؛ أنه كان عبداً لزِنباع . . . الحديث ؛ وهذا تصريح بأن له أبناء : فالظاهر أنه ولد له قبل الخصىّ ؛ فيكون صحابيًّا أيضاً[1] .

١٢٦ — سهل بن سعد بن مالك بن خالد الأنصارىّ الساعدىّ المدنىّ أبو العباس ، وقيل : أبو يحيى . قال ابن الربيع : قدم مصر بعد الفتح على مسلمة بن مخلّد ؛ ولأهل مصر عنه أحاديث ؛ مات سنة إحدى وتسعين ، وقيل : سنة ثمان وثمانين ؛ وهو ابن مائة سنة ؛ وهو آخر من مات من الصحابة بالمدنيه[2] .

١٢٧ — سهل بن أبى سهل(ك). روى عنه سعيد بن أبى هلال ، عداده فى المصريين ، قاله فى التجريد[3] .

١٢٨ — سيف بن مالك الرّعينىّ الجيشانىّ (ك) . قال فى التجريد : أسلم فى حياة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ونزل مصر .

* * *

---

(١) الإصابة ٢ : ٨٣ .

(٢) الإصابة ٢ : ٨٧ .

(٣) الإصابة ٢ : ١٣١

﴿ حرف الشين ﴾

١٢٩ ــ شَبث بن سعد بن مالك البلَوىّ . شهد فتح مصر ، وله صحبة ، روى عنه أبان ؛ قاله فى التجريد . وذكره ابن الربيع ، عن سعيد بن عفير . ويقال فيه : شعث ، ويقال : شيبة[(١)] .

١٣٠ ــ شخدور بن مالك . تقدم فى الحرف قبله[(٢)] .

١٣١ ــ شرَحبيل بن حسنة ــ وهى أمه ــ واسم أبيه عبد الله بن المطاع الكندىّ . وقيل التميمىّ . أبو عبد الله (ك) . حليف بنى زهرة ، أحد أمراء أجناد الشام ؛ وهو من مهاجرة الحبشة ؛ ذكره ابن عبد الحكم فيمن شهد فتح مصر ، ولأهلها عنه حديث واحد ؛ لكن فى تهذيب المزّى[(٣)] أنه مات بالشام سنة ثمانى عشرة ، وهو ابن سبع وستين سنة ؛ وهذا يقدح فيما قاله ابن عبد الحكم[(٤)] .

١٣٢ شريح بن أبرهة (ك) . قال فى التجريد : له صحبة ، قدم مصر ؛ روى عنه محمد بن وداعة اليمانى ، وذكره ابن قانع[(٥)] .

١٣٣ ــ شريح اليافعىّ (ك). قال فى التجريد: له صحبه ، قدم مصر ، وشهد فتحها[(٦)] .

١٣٤ ــ شريك بن أبى الأعقل التُّجيبىّ الشاعر . قال فى التجريد : قال ابن يونس :

---

(١) الإصابة ١ : ١٣٥ ، وفى حاشية الأصل والإصابة : « ضبطه ابن ما كولا بفتح أوله وثانيه وآخره مثلثة » .

(٢) الإصابة ٢ : ١٦ ، ١٦٥ .

(٣) الإصابة ٢ : ١٤١ .

(٤) فى الأصول : « المزنى » تحريف .

(٥) الإصابة ٢ : ١٤١ ، تهذيب التهذيب ، واسمه هناك : شرحبيل بن عبدالله .

(٦) الإصابة ٢ : ١٤٣ (٤) الإصابة ٢ : ١٦٦ .

وفد على رسول الله صلى عليه وسلم ، وشهد فتح مصر[١] .

١٣٥ ـ شريك بن سُمَيّ الغُطيفيّ المُرادي (ك) . قال فى التجريد : له وفادة ، وكان على مقدّمة عمرو بن العاص ليوم فتح مصر[١] .

١٣٦ ـ شُفَيّ بن ماتع الأصبحيّ المصريّ (ك) . قيل : له صحبة ؛ والأصحّ أنه تابعيّ . مات سنة خمس ومائة .[٢]

١٣٧ ـ شهاب . قال فى التجريد : نزل مصر ، روى عنه جابر بن عبد الله ، وسار إليه يسأله عن حديث[٣] .

***

﴿ حرف الصاد ﴾

١٣٨ ـ صالح القبطيّ (ك) . قال فى التجريد : نزل مصر ، ثم سار من مصر إلى المدينة مع مارية القبطيّة .

١٣٩ ـ صحار بن صخر ـ وقيل ابن عياش ، وقيل ابن عباس ـ العبديّ قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، روى عنه ابناه : عبد الرحمن وجعفر . نزل البصرة ، وكان من الفصحاء ، سأله معاوية عن البلاغة فقال : لا تخطىء ولا تبطئ .

قال فى التهذيب : وكان فيمن طلب بدم عثمان[٤] .

(١) الإصابة ٢ : ١٤٨ . (٢) الإصابة ١ : ١٦٧ .

(٣) الإصابة ٢ : ١٥٥ ، وهناك : « ذكره البخارى فى الصحابة فقال : رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سكن مصر ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يذكر الحديث . ثم ذكر عن طريق مسلم عن أبى الذيال عن أبى سفيان : سمع جابر بن عبدالله يحدث عن شهاب : رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كان ينزل مصر ، أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا ميتا » .

(٤) الإصابة ٢ : ١٧١ .

١٤٠ ـ صلة بن الحارث الغفارىّ . قال فى التجريد : مصرىّ له صحبة . وذكره ابن الرّبيع ، وأورد له أثرا [١] .

***

﴿ حرف الضاد ﴾

١٤١ ـ ضمرة بن الحصين بن ثعلبة البَلَوِىّ . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، وبايع تحت الشجرة .

وقيل فى التجريد : صحابىّ نزل مصر [٢] .

***

﴿ حرف العين ﴾

١٤٢ ـ عامر بن الحارث (ك) . قال فى التجريد : شهد فتح مصر ، وله صحبة ، وهو أصبحىّ [٣] .

١٤٣ ـ عامر بن عبد الله بن جهيزة [٤] الخوْلانىّ (ك) . قال فى التجريد : له صحبة ، شهد فتح مصر . قاله ابن يونس [٥] .

١٤٤ ـ عامر بن عمرو بن حُذافة أبو بلال التُّجيبىّ . قال فى التجريد : صحابىّ شهد فتح مصر [٦] .

١٤٥ ـ عائذ بن ثعلبة من وبرة البلوِىّ . قال ابن الربيع : بايع تحت الشجرة ،

---

(١) ، الإصابة ٢ : ١٩٢ ، ١٩٦

(٢) الإصابة ٢ : ٢٠٣ .

(٣) الإصابة ٢ : ٢٣٩

(٤) الإصابة « جهم » .

(٥) الإصابة ٢ : ٢٤٥ .

(٦) الإصابة ٢ : ٢٤٥

واختطّ بمصر واستشهد بالبرلّس. وقال فى التجريد : شهد فتح مصر، واستشهد سنة ثلاث وخمسين (١) .

١٤٦ – عبادة بن الصامت بن قيس الأنصارىّ الخزرجىّ أبو الوليد : شهد العَقَبَتَيْن، وكان أحد النّقباء، وشهد بدراً وسائر المشاهد، وكان من سادات الصحابة .

وقال ابن الرّبيع : شهد فتح مصر ، ولأهلها عنه عشرة أحاديث . قال : ومات بفلسطين سنة أربع وثلاثين ، وله اثنتان وسبعون سنة .

قال فى التّهذيب : مات بالشّام فى خلافة معاوية ، وأمّه أسْلَمَت أيضا ، وبايَعَتْ ، واسمُها قُرّة العين بنت عبّاد بن فضلة الخزرجيّة ؛ وليس فى الصحابيّات مَنْ يُسَمَّى بهذا الاسم سواها (٢) .

١٤٧ – عبد الله بن أُنَيس الُجهَنىّ – قال ابن الربيع : ويقال ابن أنَيسة – أبو يحيى المدنىّ . حليف الأنصار ، شهد العَقَبة مع السّبعين من الأنصار ، وأحُداً وما بعدها من المشاهد ، ولقّبه النبيّ صلى الله عليه وسلم سرّيةً وحْدَه . نزل مصر ، ورحَل إليه جابرُ ابن عبد الله فى حديث القصاص (٣) . مات فى خلافة معاوية سنة أربع وخمسين .

وفرّق الذهبيّ فى التجريد بين الثلاثة ، فذكَر عبدَ الله بن أُنيْسَة الُجهنىّ حليف الأنصار، وعبدالله بن أُنَيس السُّلَمِىّ ، وعبدالله بن أبى أنيس ، رحلَ إليه جابر فى حديث القصاص ، فجعلهم ثلاثة (٤) .

١٤٨ – عبدالله بن بُرَيْر بن ربيعة . قال الذّهبيّ : قدِم مصر، وروى عنه أبو عبد الرحمن الجبلىّ . ذكره ابن يونس (٥) .

---

(١) الإصابة ٢ : ٢٥٣ . (٢) تهذيب التهذيب ٥ : ١٦١ .

(٣) فى الإصابة : قلت : وحديث جابر عند أحمد وغيره من طريق عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب عن جابر ، قال : بلغنى حديث فى القصاص ، وصاحبه بمصر ، فرحلت إليه مسيرة شهر » .

(٤) الإصابة ٢ : ٢٧٠ . (٥) الإصابة ٢ : ٢٧٣ .

١٤٩ - عبد الله بن الحارث بن جزء(١) بن عبد الله بن معد يكرب الزُّبيدىّ المَذْحِجِىّ . شهد فتح مصر واختطّ بها ، وسكنها ، وعمرّ بها دهراً . مات سنة ستّ - أو سبع ، أو ثمان - وثمانين ، بعد أن عمى ؛ وهو آخر صحابىّ مات بها .

قال ابنُ الرّبيع : لأهل مصر عنه عشرون حديثا (٢).

١٥٠ عبد الله بن حُذافة بن قيس بن عدىّ القُرشىّ السَّهْمىّ أبو حُـذافة . أسلم قديماً ، وهاجر إلى الحبشة ، وقيل إنه شهد بَدْراً ، وكانت فيه دُعابة . قال ابن الرّبيع : هو من الصحابة البدريِّين الّذين دَخَلُوا مصر ، ولا رِوَاية لأهل مصر عنه .

قال أبو نُعيم : مات بمصر فى خلافة عثمان . وذكر ابن أبى نَجيح وابن لَهيعة أيضا أنه مات بمصر . وقال يحيى بن عثمان : هَـذَا وهْم ؛ وإنّمـا الّذى مات بها خَارجـة ابن حُذافة(٣) .

١٥١ - عبد الله بن حَوالة الأزدىّ ، أبو حوالة . له صُحْبة ورواية . قال ابن الرّبيع : شهد فتح مصر ، ولأهلها عنه حديثٌ واحدٌ ؛ نزل الأردنّ سنة ثمان وخمسين ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة(٤) .

١٥٢ - عبد الله بن الزُّبير بن العوّام ؛ أمير المؤمنين . أبو بكر وأبو خُبيب . أمّه أسماء بنت أبى بكر الصديق . هاجرتْ به حَمْلاً ، فولدته بعد الهجرة بعشرين يوما . وهو أوّل مولود ولد فى الإسلام بالمدينة . وكان فصيحاً ذا لَسانةٍ وشجاعة ، وكان أطلس لا لحِية له .

قال ابنُ الربيع : قدِم مصر فى خـلافةِ عثمان ، وشهد إفريقيّة ، ولأهل مصر عنه حديث واحد ، بُويع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية سنة أربع وستين ،

(١) ح ، ط : « جرم » ، تحريف
(٢) الإصابة ٢ : ٢٨٢ .
(٣) الإصابة ٢ : ٢٨٧ .
(٤) الإصابة ٢ : ٢٩٢ .

وغلب على أهل الحجاز واليمن والعراق ومصر وأكثر الشام ؛ فأقام في الخلافة تسع سنين ؛ إلى أن قتله الحجّاج سنة ثلاث وسبعين[١] .

١٥٣ — عبد الله بن سعد بن أبي سرْح — واسمه حُسام ، وقيل : عريف — بن الحارث القرشيّ العامريّ أبو يحيى . قال ابن سعد : أسلم قديمًا ، وكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي . ثم افتتن ، وخرج من المدينة يريد مكة مرتدًّا ، فأهدَر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح ، فجاء عثمان بن عفان إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلم فاستأمَنه فأمّنه ، وكان أخاه من الرّضاعة ، وسأل منه المبايعة ، فبايعه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ على الإسلام ، وقال : الإسلام يجُبُّ ما قبله ، وولّاه عثمان بن عفّان مِصْرَ بعد عمرو بن العاص ، فنزلها وابتَنَى بها داراً ، فلم يزل والياً بها حتى قُتل عثمان .

قال ابن الرّبيع : شهد فَتْحَ مصر ، ولأهلِها عنه حديث واحدٌ ، ولم يروِ عنه غير أهل مصر — فيما أعلم — مات بعَسْقلان سنة ست وثلاثين ، والحديث الذى رواه في قصة اسكن حراء[٢] .

١٥٤ — عبد الله بن سعد(ك) . قال ابن سعد في الطبقات : رجل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم . سكن مصر ؛ له حديث في مؤاكلة الحائض[٣] .

١٥٥ — عبد الله بن سَنْدر(ك) ؛ تقدّمت الإشارة إليه في أبيه سندر[٤] ؛ ثم رأيت الذهبيّ تقدّمني إلى ما فطنت إليه ، فقال في التجريد : عبد الله بن سَنْدر ، أبو الأسود الجذاميّ صحابيّ ، ولأبيه صُحبة أيضا ، روى عنه المصريّون[٥] .

---

(١) الإصابة ٢ : ٣٠١ .

(٢) طبقات ابن سعد ٧ : ٤٩٦ ، الاستيعاب ٩١٨ ، الإصابة ٢ : ٣٠٨ . قال : « وقال البغوى : له عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث واحد وحرفه » .

(٣) طبقات ابن سعد ٧ : ٥٠١ ؛ والحديث هناك : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عن مواكلة الحائض ، فقال : واكلها » .

(٤) ص ٢٠٧

(٥) الإصابة ٣ : ٢١٤ .

١٥٦ – عبد الله بن شُفَىّ الرّعينى (ك). قال فى التجريد: له وفادة، ثم رجع إلى اليمن مع معاذ، وشهد فتح مصر (١).

١٥٧ – عبد الله بن شمر – ويقال: شمران – الخولانىّ. قال فى التجريد: له صحبة، شهد فتح مصر (٢).

١٥٨ – عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، أبو العباس، ابن عمّ النبى صلى الله عليه وسلّم. كان يسمَّى البَحْر لسعة علمِه. قال ابن الرّبيع، دخل مصر فى خلافة عثمان، وشهد فتح المغرب، ولأهل مصر عنه أحاديثُ. مات بالطائف، سنة ثمان وستين، وهو ابن إحدى – أو اثنتين – وسبعين. قال مسلم: مارأيتُ مثل بنى أمٍّ واحدة أشرافا وُلِدوا فى دارٍ واحدة، أبْعَدَ قبوراً من بنى العباس: عبد الله بالطائف، وعبيد الله بالشام، والفَضْل بالمدينة، ومعبد وعبد الرحمن بإفريقيّة، وقُثَم بسَمَرْقَنْد، وكثير باليَنْبَع.

وقيل: إنّ الفضل بأجْنَادين، وعبد الله باليمن (٣).

١٥٩ – عبد الله بن عُدَيْس البَلَوِىّ، أخو عبد الرحمن. قال فى التجريد: نزل مصر، ويقال: إنه بايع تحت الشجرة.

وذكره ابن الربيع، وقال: لا يعرف له رواية عن النبىّ صلى الله عليه وسلم (٤).

١٦٠ – عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن. قال ابن الرّبيع: شهد فتح مصر واختط بها دار البركة، ولهم عنه أحاديث. مات بمكة سنة ثلاث وسبعين، – وقيل سنة أربع – وله من العمر أربع وثمانون سنة، وقيل: سبعة وثمانون سنة (٥)

---

(١) ٢ : ٣١٦
(٢) الإصابة ٢ : ٣١٧.
(٣) الإصابة ٢ : ٣٢٣
(٤) الإصابة ٢ : ٣٣٦.
(٥) الإصابة ٢: ٣٣٦

١٦١ ـ عبد الله بن عمرو بن العاص، أبو محمّد . أسلم قبل أبيه ، وكان أصغر منه بإحدى عشرة .

قال ابن الرّبيع : شهد فتح مصر ، واختطّ بها ، ولأهلها عنه أكثرُ من مائة حديث .

قال : ومات ـ فيما ذكره ابن عبد الحكم ـ بمصر ، وقيل : بالشام ، وقيل : بعَسْقلان ، ويقال : بمكة ـ سنة خمس وستين ، وله اثنتان وسبعون سنة . وحكى ابن سعد أنه توفّيَ بمصر ، ودفن بداره سنة سبع وسبعين فى خلافة عبد الملك .

١٦٢ ـ عبد الله بن عَنَمة ـ بفتح المهملة والنون ، وقيل بإسكانها ـ المزنىّ(ك) . قال فى التّجريد : شهد فتح مصر ، وله صحبة . أخرجه ابن يونس[1] .

١٦٣ ـ عبد الله الغِفارىّ(ك) ، قال فى التجريد : كان اسمه السائِب ، فغيّره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، له حديث فى تاريخ مصر[2] .

١٦٤ ـ عبد الله بن قيس القَينىّ (ك) . قال فى التجريد : له صحبة ، وشهد فتح مصر ، وتوُفّيَ سنة تسع وأربعين[3] .

١٦٥ ـ عبد الله بن مالك الغافقىّ . روى عنه ثعلبة بن أبى الكنود بمصر . كذا فى التجريد[4] .

١٦٦ ـ عبد الله بن المستورد الأسدىّ (ك) . قال فى التجريد : مصرىّ ؛ جاء ذكره فى حديثٍ لا يصحّ . روى عنه موسى بن وردان : « أصحابى أمان لأمّتى »[5] .

١٦٧ ـ عبد الله بن هشام بن زهرة التيمىّ . جدّ زهرة بن سعيد . شهد فتح مصر ،

---

(١) الإصابة ٢ : ٣٤٣ .
(٢) الإصابة ٢ : ٣٧٢ .
(٣) الإصابة ٢ : ٣٥٣ .
(٤) الإصابة ٢ : ٣٥٦ .
(٥) الإصابة ٢ : ٣٥٨ .

وله خُطّة ، ولأهل مصر عنه حديث واحد ، وهو قول عمر : « لأنت أحبّ إلىّ يارسول الله من نفسى ... » . الحديث ؛ وله عنه حكايات .

وقال فى التجريد : ولد سنة أربع ، وله رواية[1] .

١٦٨ ــ عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق أبو محمد . شقيق عائشة أم المؤمنين . هاجر قبل الفتح .

قال ابن الرّبيع : دخل مصر فى سبب أخيه محمد ، ولأهل مصر عنه حديث واحد . مات بمَكّة سنة ثلاث وخمسين . وقيل سنة خمس أو ست[2] .

١٦٩ ــ عبد الرحمن بن شُرَحبيل بن حسنة ، أخو ربيعة . قال فىالتّجريد : له رواية . وشهد فتح مصر . وكذا قاله ابن الربيع .

١٧٠ ــ عبد الرحمن بن العباس بن عبد المطلب(ك) ، ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولد على عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقتِل بإفريقيّة .

١٧١ ــ عبد الرحمن بن عُدَيْس بن عمرو البَلَوِىّ . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، ولهم عنه حديث واحد ، متنُهُ : « يخرج أناسٌ من أمّتى يمرُقون من الدين كما يمرُقُ السهم من الرميّة ، فيقتَلُونَ بجبل لبنان ــ أوالخليل » . لم يروِ عنه غير أهل مصر . توفِّىَ بالشام سنة ست وثلاثين .

وقال فى التجريد : بايع تحت الشجرة ؛ روى عنه جماعة . وكان أحد الجيش القادم من مصر لحصار عثمان[3] .

١٧٢ ــ عبد الرحمن بن عسيلَة الصالحىّ(ك) . ذكره ابن منده فى الطبقة الأولى من

---

(١) الإصابة ٢ : ٣٦٩

(٢) الإصابة ٢ : ٣٨٤

(٣) الإصابة ٢ : ٤٠٣ .

التابعين من أهل مصر . ورُوى عنه ، أنه قال : ما فاتنى رسول الله صلى الله عليـه وسلم إلا بخمس ليال ، توفِّىَ وأنا بالُجحفة ، فقدمت على أصحابه متوافرين . وذكره جماعة فى الصحابة . قال فى التهذيب : مختَلف فى صحبته .

١٧٣ ــ عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب ، شقيق عبد الله وحفصة . قال فى التجريد : أدرك النبوّة . وفى طبقات ابن سعد : أنه كان بمصر غازيا [(١)] .

١٧٤ ــ عبد الرحمن بن غَنْمْ الأشعرىّ . قال ابن الربيع : له صحبة ، دخل مصر فى زمن مرْوان ، ولأهلها عنه حديث واحد .

وقال فى التجريد : أسلم فى زمن النبى صلى الله عليـه وسلم ، وصحب معاذا . وقال بعضهم : وفد مع جعفر إذ هاجر إلى الحبشة .

وقال فى التهذيب : مختلف فى صحبته ، مات سنة ثمان وسبعين [(٢)] .

١٧٥ ــ عبد الرحمن بن معاوية . قال فى التجريد : قيل : له صحبة ، ولا يصحّ ، وروى عنه سويد بن قيس [(٣)] .

١٧٦ ــ عبد رُضا الخولانىّ [(ك)] ، بضم الرّاء وفتح الضاد ، ضبطه ابن ماكولا . يكنى أبا مكنف . قال فى التجريد : له وفادة .

١٧٧ ــ عبد العزيز بن سخبرة الغافقىّ . قال ابن الرّبيع : شهد فتح مصر ، هو وابنه شفعة ، وكان اسمه عبد العزّى ، فسمّاه النبى صلى الله عليه وسلم عبد العزيز . قاله الذهبى فى تجريده [(٣)] .

---

(١) الإصابة ٢ : ٤٠٥ ، وفيه : « عبد الرحمن الأكبر » .

(٢) الإصابة ٢ : ٤١٠ .

(٣) الإصابة ٢ : ٤٢٠ .

(٣) الإصابة ٢ : ٤١٥

١٧٨ ـ عبيد بن قشير(ك) ـ قال فى التجريد : مصرىّ ، روى عنه لهيعة ابن عقبة .

١٧٩ ـ عبيد بن محمد(ك) ، أبو أميّة المَعَافرىّ . قال فى التجريد : شهد فتح مصر ، له صحبة ؛ ويقال : إنّه أوّل من قرأ القرآن بمصر[1] .

١٨٠ ـ عبيد بن عمر بن صالح الرُّعَينىّ(ك) . قال فى التجريد : صحابىّ ، شهد فتح مصر . قاله ابن يونس[2] .

١٨١ ـ عُبَيد بن النُّدَر ـ بضمّ النون وفتح الدال المهملة ـ السُّلَمىّ . قال ابنُ الرّبيع : شهد فتح مصر ، ولأهلها عنه حديث واحد .

وقال فى التهذيب : شامىّ ، له صحبة ورواية . مات سنة أربع وثمانين ؛ حديثه فى سنن ابن ماجه .

١٨٢ ـ عثمان بن عفان أمير المؤمنين أبو عمر الأموىّ . قال ابن الرّبيع : دخل مصر فى الجاهلية للتجارة ، وصار إلى الإسكندرية[3] .

١٨٣ ـ عثمان بن قيس بن العاص السهمىّ (ك) . قال فى التجريد : شهد فتح مصر مع أبيه ، وهو أول من قضى بمصر ، وكان شريفا سريًّا . قيل : له صحبة ، قاله ابن يونس .

وقال فى مرآة الزمان : هو أوّل من بنى بمصر داراً للضيافة للناس[4] .

١٨٤ ـ عجرىّ بن مانع السَّكسكىّ . قال فى التجريد : صحابىّ ، نزل مصر ، ولا رواية له[5] .

---

(١) الإصابة ٢ : ٤٣٩
(٢) الإصابة ٢ : ٤٣٨
(٣) الإصابة ٢ : ٤٥٥ .
(٤) الإصابة ٢ : ٤٠٧ .
(٥) الإصابة ٢ : ٤٥٨ .

١٨٥ ـ عدىّ بن عَميرة ـ بفتح أوله ـ الكندىّ ، أبو زُرارة . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، ولهم عنه حديث . روى عنه ابنه عَدِىّ . قال الواقدىّ : مات بالكوفة سنة أربعين[1] .

١٨٦ ـ العُرْس ـ بضمّ أوّله وسكون الراء ـ بن عَميرة الكندىّ . أخو الذى قبله . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، ولأهل مصر عنه حديثان . روَى عنه ابنُ أخيه عدىّ وغيره[2] .

١٨٧ ـ عُرْوة الفقيم التميمىّ . أبو غاضرة . قال البخارىّ : حديثه فى المصريين . روى عنه ابنه غاضرة[3] .

١٨٨ ـ عسجدىّ بن مانع السَّكسكىّ (ش) . قال فى التجريد : شهد فتح مصر . قاله ابن يونس .

قلت : تقدم مجرى بن مانع ؛ فالظاهر أنهما واحد ، وأحد الاثنين مصحف .

١٨٩ ـ عقبة بن بحرة الكندىّ ، ثمّ التّجيبىّ المصرىّ . صحب أبا بكر ؛ وكانت معه راية كِنْدة يوم اليَرْموك . ذكره فى التجريد .

١٩٠ ـ عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف المكىّ . أبو سروعة ابن مسلمة الفتح . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ؛ وهو الذى شرب بها مع عبد الرحمن بن عمر الخمر . وله رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وليس لأهل مصر عنه شىء[4] .

قلت : حديثه فى البخارى والسنن .

---

(١) الإصابة ٢ : ٤٦٣ .

(٢) الإصابة ٢ : ٤٦٦

(٣) الإصابة ٢ : ٤٧١ .

(٤) الإصابة ٢ : ٤٨١

١٩١ ـ عقبة بن الحارث الفهريّ ، أمير المغرب لمعاوية ويزيد . قال فى التجريد : قال ابن يونس : يقال له صحبة ، ولم يفتح .

١٩٢ ـ عقبة بن عامر بن عبس الجُهنيّ . أبو عمرو ؛ أحد مشاهير الصحابة . قال فى التجريد : كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن . وقال فى العبَر : كان مقرئا فصيحاً مفوّها من فقهاء الصحابة . قال الذهبيّ : صحابىّ شهد فتح مصر ، ويقال : فتح أحداً [١]

١٩٣ ـ عقبة بن كريم الأنصاريّ . ذكره ابن عبد الحكم فيمن دخل مصر من الصحابة ، قال ابن الربيع : لأهل مصر عنه نحو مائة حديث ؛ مات بمصر سنة ثمان وخمسين [٢] .

١٩٤ ـ عُقْبة بن نافع الفهريّ . أمير المغرب ، قال فى التجريد : ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا تصحّ له صحبة . وقد ذكره ابن الربيع فيمن شهد مصر من الصحابة ، ولا يعرف له حديث .

وقال الذهبيّ أيضا : عقبة بن رافع ، وقيل : ابن نافع ـ بن عبد القيس بن لقيط القرشيّ الفهريّ الأمير ، شهد فتح مصر ، وولِىَ إمرة المغرب ، استشهد بإفريقية .

قال ابن كثير : اختطّ القيروان ، ولم يزل بها إلى سنة اثنتين وستين ، فغزا قوماً ن البربر ، فقتِل شهيدا .

قال ابن عبد الحكم : حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد ، أن قبة بن نافع غزا إفريقيّة ، فأتى وادى القيروان ، فبات عليه هو وأصحابه ؛ حتى إذا ذا أصبح وقف على رأس الوادى ، فقال : يا أهل الوادى ؛ اظعنوا فإنا نازلون ، قال

---

(١) الإصابة ٢ : ٤٨٢

(٢) فتوح مصر ١٠٩

ذلك ثلاث مرات، فجعلت الحيّات تنساب والعقارب وغيرها ، مما لا يُعرف من الدوابّ ، تخرج ذاهبةً ، وهم قيام ينظرون إليها من حين أصبحوا حتى أوجعتهم الشمس ؛ وحتى لم يروا منها شيئاً، فنزلوا الوادى عند ذلك .

قال الليث : فحدثنى زياد بن عجلان أن أهل إفريقيّة أقاموا بعد ذلك أربعين سنة ، ولو التمست حيةً أو عقرباً بألف دينار ماوجدت[1] .

١٩٥ ــ عِكْرمة بن عبيد الخولانىّ(ك) . قال فى التجريد : له ذكر فى الصحابة ، شهد فتح مصر[2] .

١٩٦ ــ العلاء بن أبى عبدالرحمن بن يزيد بن أُنيس الفهرىّ(ك). قال ابن عبد الحكم: يزعمون أنه قد رأى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقدم مصر بعد موت أبيه هو وأخوه ، وعاد إلى المدينة فقتل بالحرّة . انتهى[3] .

وقال فى التجريد : رأى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ونزل مصر ، وتُرِك له بها عقب[4] .

١٩٧ ــ علَسَة بن عدىّ البلوىّ . قال فى التجريد : بايع تحت الشجرة ونزل مصر ، روى عنه ابنه الوليد وغيره[5] .

١٩٨ ــ علقمة بن جُنادة الأزدىّ(ك) الحجرىّ . قال : الذهبىّ صحابىّ شهد فتح مصر ، وولىّ البحر لمعاوية . توفى سنة تسع وخمسين[6] .

١٩٩ ــ عَلْقمة بن رمثة البلوىّ . قال البخارىّ : حديثه فى المصريين وقال ابنُ الربيع : شهد فتح مصر ، ولأهلها عنه حديث واحد .

---

(١) الاصابة ٣ : ٨٠ (٢) الاصابة ٢ : ٤٩٠ .

(٣) فتوح مصر ٣١٣

(٤) كذا فى الأصل ، وفى ح ، ط ، « ونزل له عقبا » .

(٥) الاصابة ٢ : ٤٩٤ (٦) الاصابة ٢ : ٤٩٤ .

قال الذهبيّ : بايع تحت الشجرة[١] .

وقال الحسينيّ في رجال السند : مصريّ له صحبة ورواية ، روى عنه زهير بن قيس البلويّ .

٢٠٠ – علقمة بن سميّ الخولانيّ(ك) . قال الذهبي : صحابيّ ، شهد فتح مصر ، ولا يُعرف له رواية[٢] .

٢٠١ – علقمه بن يزيد المرادى ثم القُطيفيّ . قال الذهبيّ : وله وفادة ، وشهد فتح مصر ، وولىَ الإسكندرية زمن معاوية[٣] .

٢٠٢ – عمار بن ياسر العبسيّ أبو اليقظان . أحد السابقين الأوّلين . قال ابن الربيع : دخل مصر رسولاً من قِبَل عثمان بن عفان وصار إلى صَقَلّية ، ولأهل مصر عنه حديث واحد. قتِل بصفّين سنة سبع وثلاثين ، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة ، بتقديم التاء على السين[٤] .

٢٠٣ – عُمارة ويقال عمار – بن شبيب السَّبَأى . قال في التجريد : قدم مصر ، [٥] روى عنه أبو عبد الرحمن الشَّيبانى الجَبَلىّ . حديثه في الترمذى .

قال ابنُ يونس : الحديث مرسَل .

وقال في التهذيب : مختلف في صحبته[٦] .

٢٠٤ – عمر بن الخطاب أمير المؤمنين . رأيتُ في بعض الكتب أنه دخل مصر

(١) فتوح مصر ٣٠٢

(٢) الاصابة ٢ : ٤٩٦ .

(٣) الاصابة ٢ : ٥٠٠

(٤) الاصابة ٢ : ٥٠٥ ، ٥٠٦ .

(٥) ، ضبطه في التقريب : « بفتح المهملة والموحدة وهمزة مقصورة » .

(٦) الاصابة ٢ : ٥٠٨ ، تهذيب التهذيب ٧ : ٤٠٨ .

فى الجاهلية ، ورأى بها الخيام تضرب ؛ ولم أقف على مايصحح ذلك فى كلام أحد من أهل الحديث [(١)] .

٢٠٥ ـ عمرو بن مالك الأنصارىّ . قال فى التجريد: نزل مصر ، روى عنه يزيد بن أبى حبيب ، عن لهيعة عن عقبة عنه [(٢)] .

٢٠٦ ـ عمرو بن الحمِق بن كاهن بن حبيب الُخزاعىّ . قال البخارىّ : حديثه فى المصريين . وقال ابن الربيع : دخل مصر فى خلافة عثمان ، ولهم عنه حديث فى الجند الغربى [(٣)] .

وقال فى التهـذيب : بايـع فى حجّة الوداع ، وصحب بعـد ذلك ، وقتل بالحرّة [(٤)] .

وقال ابن سعد : كان فيمن سار إلى عثمان ، وأعان على قتله ، ثم قتله عبد الرحمن بن أمّ الحـكم [(٥)] .

وعن الشعبىّ قال : أوّل رأس حُمِل فى الإسلام رأس عمرو بن الَحمِق .

وقال ابن كـثير : أسلم قبل الفتح وهاجر ، وكان من جملة مَنْ أعان حُجْر بن عدىّ فتطلّبه زياد ، فهرب إلى الموصل ، فبعث معاوية إلى نائبها ، فوجدوه قد اختفى فى غارٍ فنهشتْه حيّة ، فمات، فقُطِـع رأسه ، وبُعث به إلى معاوية ، فطِيف به فى الشام وغيرها ، فـكان أوّلَ رأس طِيف به . قال : وورد فى حديث أنّ رسول الله صلى الله عليـه وسلم دعا له أن يمتّعه الله بشبابه ، فبقى ثمانين سنة لا تُرى فى لحيته شعرة بيضاء .

---

(١) الإصابة ٢ : ٥١٣
(٢) الإصابة ٣ : ١٤
(٣) الإصابة ٢ : ٥٢٦
(٤) تهذيب التهذيب ٨ : ٢٣ .
(٥) طبقات ابن سعد ٦ : ٢٥

٢٠٧ ـ عمرو بن سعيد بن العاص بن أميّة الأمويّ أبو أميّة المعروف بالأشدق . قال ابن كثير : يقال إنه رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه حديثين . دخل مصر مع مرْوان ، وقتله عبد الملك سنة تسع وستين . وقيل سنة سبعين [١] .

٢٠٨ ـ عمرو بن شفو اليافعى [٤] . قال الذهبيّ : شهد فتح مصر ، وعدّ فى الصحابة .

٢٠٩ ـ عمرو بن العاص ابن وائل السّهمى أبو عبد الله ، وقيل أبو محمد . أمير مصر وصاحب فتحها ، أسلم بأرض الحبشة عند النجاشى ، ثم قدِم فى صفر سنة ثمان ، ومات بمصر ليلة عيد الفِطْر سنة ثلاث وأربعين وهو ابن تسعين سنة .

وقال ابن الجوزيّ : عاش نحو مائة سنة ، ودفن بالمقطّم فى ناحية الفَجّ ؛ وكان طريق الناس إلى الحجاز .

قال ابن الربيع : لأهل مصر عنه نحو عشرة أحاديث ، وقد روى الترمذيّ عن طلحة بن عبيد الله : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن عمرو بن العاص من صالحى قريش » [٢] .

٢١٠ ـ عمرو بن مُرّة الجهنيّ : قال ابنُ الربيع : شهد فتح مصر ، ولهم عنه حديث روى عنه عيسى بن طلحة [٣] .

وقال فى التهذيب : يكنى أبا طلحة ، أسلم قديما ، وشهد المشاهد ، وكان قوّالا بالحق . مات فى خلافة عبد الملك [٤] .

٢١١ ـ عمرو الجنيّ . قال فى التجريد : روى عنه عثمان بن صالح المصريّ : قال :

---

(١) الإصابة ٢ : ٥٣١

(٢) ٣ : ٢

(٣) الإصابة ٣ : ٢ ، ٣ .

(٤) الإصابة ٣ : ١٦

وأوردناه اقتداء بأبى موسى؛ لأن الجنّ آمنوا برسول صلى الله عليه وسلم وهو مرسل إليهم [(١)]

٢١٢ ـ عمير بن وهب الجمحىّ أبو أمية(ك) . ذكره ابن عبد الحكم فيمن شهد فتح مصر [(٢)] .

قال الذهبىّ : من أبطال قريش قدم المدينة ليغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢١٣ ـ عنبسة بن عدىّ أبو الوليد البَلوِىّ . بايع تحت الشجرة ، وشهد فتح مصر ، ورجع إلى الحجاز . قاله ابن الربيع وابن يونس والذهبىّ .

٢١٤ ـ عنيس بن ثعلبة بن هلال بن عنبس البَلَوِىّ . له صحبة ، بايع تحت الشجرة ، وشهد فتح مصر . ذكره ابن الربيع وابن يونس [(٣)] .

٢١٥ ـ عوف بن مالك الأشجعىّ الغطفانىّ . شهد فتح مكة . قال الواقدىّ : شهد فتح خيبر ، وكانت راية أشجع معه يوم الفتح ، وتحول إلى الشام ، ومات سنة ثلاث وسبعين .

قال ابنُ الرّبيع : دخل مصر مع معاوية ، ولأهلها عنه حديثان [(٤)].

٢١٦ ـ عوف بن نَجْوة ـ بالنون والجيم ـ قال فى التجريد : شهد فتح مصر ولا رواية له [(٥)] .

٢١٧ ـ عياض بن سعيد الأزدىّ الحجْرىّ . قال فى التجريد : شهد فتح مصر ، ولم يروِ شيئاً [(٦)] .

***

---

(١) الإصابة ٣ : ٢٥

(٢) فتوح مصر ١٠٨

(٣) الإصابة ٣ : ١٢٣

(٤) الإصابة ٣ : ٤٣ .

(٥) الإصابة ٣ : ١٢٣

(٦) الإصابة ٣ : ٨٤

﴿حرف الغين﴾

٢١٨ ـ غرفة بن الحارث الكندىّ ، أبو الحارث اليمانىّ . شهد فتح مصر ولهم عنه حديث . وقال الذهبىّ : سكن مصر ، وهو نقل حديثه فى سنن أبى داود[١] .

وقال المزىّ : له صحبة ووفادة ورواية . وقال البخارى فى كتاب الصحابة : كندىّ حديثه فى المصريين[٢] .

٢١٩ ـ غنى بن قُطَيب (ك) . قال فى التجريد : شهد فتح مصر ، وذكر فى الصحابة ، ولا نعرف له رواية . قاله ابن يونس[٣] .

* * *

﴿حرف الفـــاء﴾

٢٢٠ ـ فضالة بن عبيد الله بن نافذ بن قيس الأنصارىّ الأوسىّ أبو محمد . شهد أُحُدا والحديبيَة ، وولى قضاء دِمشق لمعاوية . قال ابنُ الربيع : شهد فتح مصر ولأهلها عنه نحو عشرين حديثاً . مات سنة ثلاث وخمسين ، وقيل سنة خمس وخمسين[٤] .

٢٢١ ـ فضالة اللّيثىّ . قال البخارىّ فى كتاب الصحابة: حديثه فى المصريين[٥] .

وقال فى التهذيب :له صحبة ورواية ، وفى اسم أبيه خلاف ؛ روى عنه ابنه عبد الله وأبو حرب بن أبى الأسود[٦] .

* * *

---

(١) الإصابة ٣ : ١٨٢

(٢) تهذيب التهذيب ٨ : ٢٤٤ .

(٣) الإصابة ٣ : ١٨٥ .

(٤) الإصابة ٣ : ٢٠١

(٥) الإصابة ٣ : ٢٠٢ .

(٦) تهذيب التهذيب ٨ : ٢٦٨ .

﴿ حرف القاف ﴾

٢٢٢ ـ قتادة بن قيس الصّدفىّ(ك) . قال الذهبىّ: له صحبة ، شهد فتح مصر [١] .

٢٢٣ ـ قدامة بن مالك(ك) ، من ولد سَعْد العشيرة . قال الذّهبىّ : له وفادة ، وشهد فتح مصر [٢] .

٢٢٣ ـ قيس بن ثور الكندىّ السكونىّ . نزل حِمْص ، روى عنه سُويد بن قيس المصرىّ [٣] .

٢٢٤ ـ قيس بن سعد بن [٤] عُبادة الأنصارىّ أبو عبد الله . صحابىٌّ من زُهّاد الصحابة وكرمائهم . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، واختطّ بها ، ولهم عنه أحاديث . قال أنس : كان قيس بن سعد بن عبادة من النبىّ صلى الله عليه وسلم بمنزلة صاحب الشُّرْطة من الأمير . أخرجه البخارىّ ، ولِىَ إمْرة مصر فى خلافة علىّ بن أبى طالب ، ومات بالمدينة سنة تسع وخمسين . وكان سيّدا كريمًا ممدوحًا شجاعًا مطاعًا . قالت له عجوز : أشكو إليك قلّة الجرذان ، فقال : ما أحسن هذه الكناية ! املئوا بيتها خبزًا ولحمًا وسمنًا وتمرًا . وكانت له صَحْفة يُدار بها حيث دار ، وينادِى له منادٍ : هلمّوا إلى اللّحم والثّريد . وكان أبوه وجدّه من قبْله يَفعلان كفعله . وكان مديد القامة جدًّا ، كتب ملك الرّوم إلى معاوية ، أن ابعث إلىّ سراويل أطول رجلٍ من العرب ، فأخذ سراويل قيس ، فوضعت على أنف أطول رجل فى الجيش ، فوقعت بالأرض .

وفى رواية : إنّ ملك الروم بعث برجُلين من جيشه ، يزعم أنّ أحدهما أقوى الرّوم ، والآخر أطول الروم ، وقال : إنّ كان فى جيشك مَنْ يفوقهما ؛ هذا فى قوّته ، وهذا

---

(١) الإصابة ٣ : ٢١٦

(٢) الإصابة ٣ : ٢١٩ .

(٣) الإصابة ٣ : ٢٥٨

(٤) ساقط من ح ، ط .

فى طوله ،بعثت إليك من الأسـارى كذا وكذا ؛ وإن لم يكن فى جيشك مَنْ يشبههما فهادنى ثلاث سنين ، فدعا للقوىّ بمحمد بن الحنفيّة ، فجلس وأعطى الرومىّ يده ،فاجتهد الرّومى بكلّ مايقدر عليه من القوّة أن يزيله عن مكانه ، أو يحرّكه ليقيمه ؛ فلم يجد إلى ذلك سبيلا ، ثم جلس الرومىّ ، وأعطى ابن الحنفيّة يده ، فما لبث أن أقامه سريعا ورفعه إلى الهواء ، ثم ألقاه إلى الأرض . فسُرّ بذلك معاوية سروراً عظيما، ودعابسراويل قيس بن سعد ، وأعطاها الرّومى الطويل فلبسها ، فبلغت إلى ثدييه ، وأطرافهـا تخطّ الأرض ، فاعترف الرومىّ بالغلب ، وبعث ملـكهم بما كان التزمه لمعاوية .

قال محمد بن الربيع : أدرك الإسلام عشرة ، طول كلّ رجل منهم عشرة أشبار ؛ عُبادة بن الصامت ، وسعد بن مُعاذ ، وقيس بن سعد بن عُبادة ، وجرير بن عبد الله البَجلِىّ ، وعدىّ بن حاتم الطائىّ ، وعمرو بن معدى كرب الزُّبيدىّ ، والأشعث بن قيس الـكندىّ، ولبيدبن ربيعة، وأبو زبيد الطائىّ، وعامر بن الطفيل ـ ويقال: طلحة[1] ابن خويلد .

٢٢٥ ـ قيس بن أبى العاص بن قيْس بن عدىّ السهمىّ . قال الذهبىّ : ولِىَ قضاء مصر لعمر بن الخطاب ، وهو من مسلمة الفتح[2] .

٢٢٦ ـ قَيْس بن عدىّ السهمىّ اللخمىّ الرّاشدى(ك) . ذكره الذهبىّ فى التجريد ، قال : ولا أعلم له صحبة، لـكنه شريف ،شهد فتح مصر . وكان طليعةً لعمرو بن العاص؛ وكان ممن شيّعه إلى مصر[3] .

٢٢٧ ـ قيسبَة ـ بتحتانية مثناةساكنة ، ثم مهملة مفتوحة ثم موحّدة ـ بن كلثوم .

---

(١) الإصابة ٣ : ٢٣٩ (٢) الإصابة ٣ : ٢٤٣ .

(٣) ج ، ط : « على » ، وصوابه من ا الإصابة ٣ : ٢٤٥

ذكره ابن الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة . وقال الذهبيّ :له وفادة ، وشهد فتح مصر ، عِداده فى كندة، وكان شريفاً مطاعا فى قومه[١] .

***

﴿ حرف الكاف ﴾

٢٢٨ ــ كثير بن أبى كثير الأزدىّ . قال الذهبيّ :له صحبة، نزل مصر ،وروى عنه عُقْبة ابن مسلم .

وقال ابن الربيع : لهم عنه حديث .

٢٢٩ ــ كُرَيْب بن أبرهة بن الصبّاح الأصبحىّ العامرىّ أبو رشدين . ذكره ابن عبد البرّ فى الصحابة ، وقال : لم نجد له رواية إلاّ عن الصحابة، شهد الجابية ، وولى رابطة الإسكندرية لعبد العزيز بن مروان ، ومات بمصر سنة ثمان وسبعين ، وقيل خمس ، وقيل سبع وسبعين[٢] .

٢٣٠ ــ كعب بن عاصم الأشعرىّ[ك] ؛ أبو مالك. شامىّ ، وقيل : نزل مصر ، كذا فى التجريد .

وقال فى التهذيب : كعب بن عاصم ، له صحبة ورواية ، روى عنه جابر وأمّ الدرداء ؛ والصحيح أنه غير أبى مالك الأشعرىّ الذى يرْوِى عنه الشاميّون ، فإن ذاك مشهور بكنيته،مختلف فى اسمه . وقال البَغوىّ: سكن مصر[٣] .

٢٣١ ــ كعب بن عدىّ بن حَنْظلة التّنوخىّ ؛ من أهل الحيرة ، قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، ولهم عنه حديث[٤] .

---

(١) الإصابة ٢ : ٢٥٣ .　　(٢) الإصابة ٣ : ٢٩٥ . الاستيعاب١٣٣٢ .
(٣) الإصابة ٣ : ٢٨٠ ، تهذيب التهذيب ٨ : ٤٣٤ .
(٤) الاستيعاب ١٣٢٢ .

وقال الذهبيّ : كان شريك عمرَ فى الجاهلية ، فأرسله سنة خمس عشرة إلى المقوقس، ثم روى عنه أنه قدم على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وسمع كلامه وقراءته وصلاته ، ومات قبل أن يُسلم ، فأسلم بعده . قال : فهو على هذا من التّابعين الّذين حديثهم موصول[1] .

قلت: الأثر أخرجه ابن الربيع من وجه آخر ، وفيه التصريح بأنه أسلم فى حياة النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وقد سقته فى قصة المقوقس .

٢٣٢ — كعب بن يسار بن ضِنّة العبسيّ المخزوميّ . قال ابنُ الربيع : لأهل مصر عنه حديث .

وقال الذهبيّ : شهد فتح مصر ، وولِىَ القضاء .

وقال سعيد بن عفير : وهو أوّل قاضٍ بمصر ، وكان قاضياً فى الجاهلية : وأما عمار ابن سعد التُّجيبيّ ، فروى أنّ عمر كتب إلى عمرو بن العاص ليوليه القضاء ، فقال كعب: لا والله ، لا ينجينى الله من ذلك فى الجاهلية ثم أعود إليه ؛ وأبى أن يقبل[2] .

* * *

﴿ حرف اللام ﴾

٢٣٣ — لبدة بن كعب[ك] أبو تَرِيس — بمثناة من فوق ثم راء وآخره مهملة ، بوزن عظيم . قال فى التجريد : حجّ فى الجاهليّة ، وصلّى خلف ابن عمر . عِدادُه فى المصريين[3] .

---

(١) الإصابة ٣ : ٢٨٢ .

(٢) الإصابة ٣ : ٢٨٦ .

(٣) الإصابة ١ : ٣١٤ .

٢٣٤ ـ لبيد بن عُقْبة التُّجيبيّ (ك)، قال الذهبيّ : نزل مصر ، وشهد فتحها، عِداده فى الصحابة ، ولم يروِ (١) .

٢٣٥ ـ لصيب بن جُشم بن حرملة (ك) . قال الذهبيّ ذكر فى الصحابة ، وشهد فتح مصر (٢) .

٢٣٦ ـ لقيط بن عدى اللخمىّ (ك) . قال الذهبيّ: من الصحابة المعدودين بمصر ، كان على كمين جيش عمرو بن العاص وقت فتح مصر (٣) .

٢٣٧ ـ ليشرح بن لحى ، أبو محمد الرُّعينىّ (ك) . قال الذهبى : مكتوب فى الصحابة ، شهد فتح مصر (٤) :

***

﴿ حرف الميم ﴾

٢٣٨ ـ مأبور الخصىّ . قال الذهبيّ : أهداه المقوقس مع مارية وسيرين . قاله مصعب (٥) .

٢٣٩ ـ مالك بن زاهر ـ وقيل أزهر ـ ذكره ابن الربيع فيمَنْ دخل مصر من الصحابة ، قال : ولهم عنه حديث .

وقال فى التجريد: أدرك النبيّ صلى الله عليه وسلم (٦) .

٢٤٠ ـ مالك بن أبى سلسلة الأزدىّ (ك) . قال فى التجريد : أحد الأبطال ، شهد فتح مِصْر مع عمرو بن العاص ، فكان أوّل النّاس صعودا للحصْن (٧) .

---

(١) الإصابة ٣ : ٣٠٧
(٢) ٣ : ٣١٠ .
(٣) ٣ : ٣١٢
(٤) الإصابة ٣ : ٣١٣ .
(٥) الإصابة ٣ : ٣١٥ ، وفيه : «القبطى الخصى قريب مارية » .
(٦) الإصابة ٣ : ٣٢٤ .
(٧) الإصابة ٣ : ٤٦٠ .

٢٤١ ـ مالك بن عبد الله ـ ويقال ابن عبدة ـ المَعَافِرىّ(ك). قال فى التجريد : مصرىّ له أحاديث فى مصنّف ابن أبى عاصم[1] .

٢٤٢ ـ مالك بن عتاهية بن حَرْب الكندىّ التُّجيبىّ . قال ابنُ الربيع : شهد فتح مصر ولهم عنه حديث . قال الذهبىّ : مصرىّ له حديث واحد فى مسند أحمد .

وقال الحسينىّ : له صحبة ورواية ، عِداده فى أهل مصر ، وبها كان سكناه[2] .

٢٤٣ ـ مالك بن قدامة . ذكره ابن الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة ، وقال: بايع النبى صلى الله عليه وسلم .

وذكر ابن وزير أنه من أهل مصر . انتهى .

وهو أنصارىّ أوْسىّ بدرىّ ، اسم أمّه عرفجة[3] .

٢٤٤ ـ مالك بن هُبيرة بن خالد الكندىّ السَّكونىّ التُّجيبىّ . قال ابنُ الربيع : شهد فتح مصر ، ولهم عنه حديث .

قال فى التّهذيب : له صحبة ورواية .

وقال الذهبىّ : عِداده فى المصريين ، روى عنه مرثد اليزنىّ ، وولى حمص سنة اثنتين وخمسين ، وكان من أمرائها . مات زمن مروان بن الحكم[4] .

٢٤٥ ـ مالك بن هدم التُّجيبىّ(ك). قال فى التجريد : مصرىّ ، روى عنه ربيعة بن لقيط ، له حديث[5] .

٢٤٦ ـ مبرّح بن شهاب بن الحارث اليافعىّ ـ ويقال الرُّعينىّ ـ أحد وفد رُعَين .

---

(١) الإصابة ٣ : ٣٢٨ .

(٢) الإصابة ٣ : ٣٢٨ .

(٣) الإصابة ٣ : ٣٣٣ .

(٤) الإصابة ٣ : ٣٣٧ .

(٥) الإصابة ٣ : ٣٣٧

قال فى التجريد : نزل مصر ، وكان على ميسرة عمرو بن العاص يوم دخل مصر ؛ وخُطّته بالجيزة معروفة [١] .

٢٤٧ ــ محمد بن إياس بن البكير [ك] . قال ابن منده : له إدراك [٢] .

٢٤٨ ــ محمد بن بشير الأنصارىّ . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر .

وقال فى التجريد : له حــديث فى ذمّ البناء ، روى عنه ابن يحيى [٣] .

٢٤٩ ــ محمد بن أبى بكر الصديق . ولد فى حَجّة الوداع فى حياة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وولِىَ إمرة مصر من قِبَل علىّ ، وقتل بها سنة ثمان وثلاثين [٤] .

٢٥٠ ــ محمد بن جابر بن غراب . قال الذهبىّ : يعدّ فى الصحابة ، شهد فتح مصر . قاله ابن يونس [٥] .

٢٥١ ــ محمد بن أبى حبيب المصرىّ ذكره ابنُ الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة ، وروى له حديثاً من رواية عبد الله بن السعدىّ ، متْنه : « لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار » .

قال ابن أبى حاتم : روى عنه أبو إدريس الخَوْلانىّ أيضا [٦] .

٢٥٢ ــ محمد بن أبى حُذيفة بن عتْبة بن ربيعة بن عبد شمس أبو القاسم [ك] . قال فى التجريد : ولد بالحبشة ، أقام بمصر مدة ، وكان أحد المستنفرين على عثمان رضى الله تعالى عنه ، ولما بلغه حصرُ عثمان تغلّب على مصر ، وأخرج منها عبد الله بن أبى سَرْح ، وصلّى بالناس فيها ، ثم قُتِل سنة ست وثلاثين . وقيل بعدها ، وهو ابن خال معاوية [٧] .

٢٥٣ ــ محمد بن عُلْية القرشىّ [ك] : قال فى التجريد : عِداده فى المصريين [٨] :

---

(١) الإصابة ٣ : ٣٣٩

(٢) الإصابة ٣ : ٤٥١ .

(٣) الإصابة ٣ : ٣٥١

(٤) الإصابة ٣ : ٤٥١ .

(٥) الإصابة ٣ : ٣٥١ .

(٦) الإصابة ٣ : ٣٥٣ ، وهناك : « محمد بن حبيب النصرى ، ويقال : المصرى » .

(٧) الإصابة ٣ : ٣٥٣ .

(٨) الإصابة ٣ : ٣٦٠ ، وضبط أباه : « بضم المهملة وسكون اللام » .

٢٥٤ ـ محمد بن عمرو بن العاص السهمي(ك) : قال العدوي : له صحبة، توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله حديث ذكره في التجريد[١] .

٢٥٥ ـ محمد بن مَسْلَمة بن خالد بن عدي الأنصاري الأوسي الحارثي أبو عبد الرحمن ـ وقيل : أبو عبد الله ـ شهد بدراً والمشاهد كلها ، وكان من فُضلاء الصحابة ، واستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته . قال ابنُ الربيع : قدم مصر رسولاً من عمر إلى عمرو بن العاص ، يقاسمه ماله . مات بالمدينة في صفر سنة ثلاث وأربعين ، وله سبع وسبعون سنة[٢] .

٢٥٦ ـ محمود بن ربيعة الأنصاري(ك) : قال في التجريد : يخرّج حديثه على المصريين والخراسانيين ، ذكره ابن عبد البر[٣] .

٢٥٧ ـ مَحْمِيَة بن جزء الزُّبيدي . حليف بني جُمَح ، وهو ابن عم عبد الله بن الحارث بن جزء من مهاجرة الحبشة . قال ابنُ الربيع : شهد فتح مصر .

وقال ابن سعد : تحوّل إلى مصر ، فنزلها[٤] .

٢٥٨ ـ مَرْوان بن الحكم بن أبي العاص الأموي أبو عبد الملك ، ويقال أبو الحكم ، ويقال أبو القاسم . قال ابنُ كثير : صحابيٌّ عند طائفة كثيرة ، لأنه ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتوفِّيَ وله ثماني سنين .

وقال غيره : مختَلف في صحبته ، ولد بعد الهجرة بسنتين أو نحوها ، ولم يحصُلْ له رواية ، لأنه خرج مع أبيه إلى الطائف ، فأقام بها ، ودخل مصر ، وكان كاتباً لعثمان ، وبُويع له بالخلافة بعد موت معاوية بن يزيد ، فأقام تسعة أشهر ، ومات بدمشق في رمضان سنة خمس وستين .

---

(١) الإصابة ٣ : ٣٦١ ـ ٤٥٥ (٢) الإصابة ٣ : ٣٦٣ .

(٣) الإصابة ٣ : ٣٦٦ ، الاستيعاب .

(٤) ابن سعد ٤ : ١٩٨ ، ٧ : ٤٩٧ ، الإصابة ٣ : ٣٦٩ .

قال ابن عساكر : وذكر سعيد بن عفير أنه مات حين انصرف من مصر بالصّيرة، ويقال بلد[1] .

٢٥٩ ــ المستورد بن سلامة بن عمرو الفِهْرىّ(ك) .قال ابن يونس : هو صحابىّ ، شهد فتح مصر ، واختطّ بها ، وتوفِّىَ بالإسكندرية سنة خمس وأربعين ، روى عنه علىّ بن رباح وأبو عبد الرحمن الجيلىّ . ذكره فى التجريد .

٢٦٠ ــ المستورد[2] بن شدّاد بن عمرو القرشىّ الفِهْرىّ. صحابىّ نزل الكوفة ثم مصر ، روى عنه جماعة . كذا ذكره فى التجريد بعد ذكره الذى قبله .

وذكر ابنُ الربيع هذا فقط ، وقال : شهد فتح مصر ، واختطّ بها ، ولهم عنه أحاديث[3] .

٢٦١ ــ مسروح بن سندر الخصىّ. مولى زِنْبَاع بن رَوْح الجذامىّ . قال الذهبىّ : له صحبة ، نزل مصر، وهو أبو الأسود، سماه ابن يونس[4] .

٢٦٢ ــ مسعود بن الأسود البلَوىّ ــ وقيل العَدَوىّ(ك) . قال الذهبى : بايع تحت الشجرة، يعدّ فى المصريين ، وغزا إفريقيّه[5] .

٢٦٣ ــ مسعود بن أوْس بن زيد بن أصرم الأنصارى البخارىّ أبو محمد . بدرىّ ، ذكره ابنُ الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة . قال الذهبىّ : قيل إنه شهد صفين مع علىّ[6] .

٢٦٤ ــ مسلمة بن مخلّد ــ بوزن محمد ــ بن الصامت الأنصارىّ الزُّرَقىّ أبو معمر . ولد عام الهجرة . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، واختطّ بها ، ولهم عنه حديثان ، مات

---

(١) الإصابة ٣ : ٣٨٣ .
(٢) ٣ : ٤٩٤
(٣) الإصابة ٣ : ٣٨٧
(٤) الإصابة ٣ : ٣٨٧ .
(٥) الإصابة ٣ : ٣٨٩
(٦) الإصابة ٣ : ٤٩٥

بمصر سنة اثنتين وستين ، وقيل مات بالإسكندرية[١] .

وقال ابنُ سعد : مات بالمدينة ، تحوّل من مصر إليها ، وقد ولى إمْرة مصر زمن معاوية[٢] .

قال الذهبيّ : له صحبة ورواية يسيرة .

وقال ابن كثير : مات بمصر فى ذى القعدة[٣] .

٢٦٥ ـ المسور بن مخرمَة بن نَوْفل الزُّهرىّ أبو عبد الرحمن . له ولأبيه صحبة ، وأمّه عاتكة أخت عبد الرحمن بن عوف . قال ابن الربيع : دخل مصر لغزو المغرب . مات سنة أربع وستين[٤] .

٢٦٦ ـ المسيّب بن حَزْن بن أبى وهب المخزومىّ (ك) . والد سَعيد بن المسيّب ، وله ولأبيه صحبة ورواية ، ذكره الواقدىّ فيمن دخل مصر لغزو المغرب . قاله ابن عبد الحكم[٥] .

٢٦٧ ـ مُطِعم بن عبيد البَلَوىّ . قال ابنُ الرّبيع : شهد فتح مصر .

وقال الذهبىّ : مصرىّ له صحبة ، وروى عنه ربيعة بن لَقيط[٦] .

٢٦٨ ـ المطّلب بن أبى وداعة الحارث بن ضُبيرة القرشىّ ، أبو عبد الله السهمىّ . له ولأبيه صحبة ، وهما من مُسلمةِ الفتح . قال ابن الربيع : دخل مصر لغزو المغرب ، فيما ذكره الواقدىّ[٧] .

---

(١) الإصابة ٣ : ٣٩٨ . (٢) طبقات ابن سعد ٧ : ٥٠٤ .
(٣) البداية والنهاية ٨ : ٢١٧ . (٤) الإصابة ٣ : ٣٩٩ .
(٥) الإصابة ٣ : ٤٠٠ ، فتوح مصر ٣١٩ .
(٦) الإصابة ٣ : ٤٠٤ ، وفيه : « مطعم بن عبدة » .
(٧) الإصابة ٣ : ٤٠٥ .

٢٦٩ ـ معاذ بن أنس الجُهنيّ . قال ابنُ الربيع : شهد فتح مصر ، ولهم عنه ستة وأربعون حديثا .

قال المزّيّ : له صحبة ورواية ، لم يروِ عنه سوى ابنه سهل فقط[١] .

وقال ابن سعد والذهبيّ : سكن مصر ، روى عنه ابنُه أحاديث كثيرة[٢] .

٢٧٠ ـ معاوية بن حُدَيج السَّكُونى التُّجيبيّ ، وقيل السكنديّ ، وقيل الخَوْلانيّ. قال ابنُ الربيع : شهد فتح مصر ، وهو الوافد على عمر بفتح الإسكندرية[٣] .

وقال البخاريّ : نزل مصر ، ومات قبل عبد الله بن عمر .

وقال الذهبي : يعدّ فى المصريّين ،مشهور ، وهو قاتل محمد بن أبي بكر .

وقال المزّى : ذكر البخاريّ وأبو حاتم ، وغير واحد. له صحبة ووفادة وروايه .

وقال ابن كثير : مات بمصر سنة اثنتين وخمسين[٤] .

٢٧١ ـ معاوية بن أبى سفيان صَخْر بن حرب الأمويّ أمير المؤمنين أبو يزيد .

قال ابن الربيع : دخل مصر ، وبلغ إلى سَلَمَنْت من كُورعين شمس ، ورجع من ثَمّ . ولهم عنه حديثان . مات بدمشق فى رجب سنة ست وستين ، وله اثنتان وثمانون سنة[٥] .

٢٧٢ ـ معبد بن العباس بن عبد المطّلب(ك) ، ابن عمّ النبي صلى الله عليه وسلم . ذكره ابن عبد الحكم فيمن دخل مصر لغزو المغرب[٦] .

قال الذهبيّ : ولد على عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، واستُشهد بإفريقيّة فى زمن عثمان شابًّا .

---

(١) تهذيب التهذيب ١٠ : ١٨٦ . (٢) طبقات ابن سعد ٧ : ٥٠٢ .

(٣) الإصابة ٣ : ٤١١ ، قال : « حديج ، بمهملة ثم جيم مصغرا » .

(٤) البداية والنهاية ٨ : ٦٠ (٥) الإصابة ٣ : ٤١٢ .

(٦) فتوح مصر . . .

٢٧٣ ـ معن بن حَرْملة المدلجيّ ـ ويقال حرملة بن معن ـ له صحبة . قال ابن يونس : معن أصحّ [١] .

٢٧٤ ـ معيقيب بن أبى فاطمة الدّوسىّ . أسلم قديماً ، وهاجر الهجرتين ، وشهد بدرا ، وكان على خاتم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، واستعمله أبو بكر وعمر على بيت المال ، نزل به الجذام ، فعالجه بأمر عمر بالحنظل ، فوقف .

قال العجلىّ : لم يُبْتَل أحدٌ من الصّحابة إلا رجلان ؛ هذا بالجذام ، وأنس بن مالك بالوضَح .

قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، مات سنة أربعين فى خلافة عثمان [٢] .

٢٧٥ ـ مغيرة بن شعبة بن أبى عامر أبو عيسى ـ ويقال أبو محمد ـ الثّقفىّ . أحد مشاهير الصحابة ، وأحد الزّهاد ، وأحد الأمراء ، دخل مصر فى الجاهليّة ، واجتمع بالمقوقس ، وذاكره بأمر النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ثم رجع ، فأسلم عام الخندق ، وأوّل مشاهده الحُدَيبية . مات فى رمضان سنة خمسين عن سبعين سنة [٣] .

قال ابن سعد : كان يقال له مغيرة الرأى . وقال الشعبىّ : القضاة أربعة : أبو بكر ، وعمر ، وابن مسعود ، وأبو موسى . والزّهّاد أربعة : معاوية ، وعمر ، والمغيرة ، وزياد . وقال : سمعت المغيرة يقول : ما غلبنى أحدٌ . وقال قَبيصة بن جابر : صحبت المغيرة بن شعبة ، فلو أنّ مدينةً لها ثمانية أبواب لا يُخرج منها إلا بمكر ، لخرج المغيرة من أبوابها كلّها . وكانت إحدى عينيه أُصيبتْ يوم اليرموك . وقيل : بل نظر إلى الشمس وهى كاسفة فذهب ضوء عينه [٤] .

٢٧٦ ـ المقداد بن الأسود ـ وليس الأسود أباه ، وإنما تبنّاه الأسود بن عبد يغوث

---

(١) الإصابة ٣ : ٤٢٩ .
(٢) الإصابة ٣ : ٤٣٠
(٣) الإصابة ٣ : ٤٣٢ .
(٤) طبقات ابن سعد ٦ : ٢٠ .

وهو صغير ، فعرف به ؛ واسم أبيه عمرو بن ثعلبة الكندىّ ــ أبو معبد . أحد السابقين ، شهد أُحُداً وبدراً والمشاهد كلّها ، ولم يثبت أنه شهد بدراً فارسٌ غيره . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، ولهم عنه حديثان ، مات بالمدينة سنة ثلاث وثلاثين ، وله نحو سبعين سنة . أخرج ابنُ الربيع ، عن يزيد بن أبي حبيب ، أنّ المقداد بن الأسود غزا مع عبد الله ابن سعد إفريقيّة ، فلمـا رجعوا قال عبد الله بن سعد للمقداد فى دار بناها : كيف ترى بُنيان هذه الدار ؟ فقال له المقداد : إن كان من مالِ الله فقد أفسدت ، وإن كان من مالك فقد أسرفتَ ، فقال عبد الله : لولا أن يقول قائل : أفسدتَ مرتين ، لهدمتُها [1] .

٢٧٧ ــ المنيذر الأسلمىّ ــ ويقال المنذر ــ قال ابنُ الربيع : دخل مصر ، ولهم عنه حـديث ، وسكن إفريقيّة . وقال ابنُ يونس : له صحبة ، كان بإفريقيّة روى عنـه أبو عبد الرّحمن الجيلىّ . قال عبد الملك بن حبيب : دخل الأندلسَ من الصحابة مُنذر الإفريقىّ [2] .

٢٧٨ ــ مهاجر ، مولى أم المؤمنين أم سلمة ، يكنى أبا حذيفة . قال ابن الربيع : دخل مصر ، وسكن الصعيد ، ولهم عنه حديث . وكان يقول : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس سنين ، لم يقل لشىء صنعتُه : لم صنعتَه ؟ ولم يقل لشىء تركتُه : لم تركتَه ؟ روى عنه بكير جدّ يحيى بن عبد الله بن بُـكير ، ولم يروِ عنه غير أهل مصر [3] .

* * *

---

(١) الإصابة ٣ : ٤٣٣ .

(٢) الإصابة ٣ : ٤٤٤

(٣) الإصابة ٣ : ٤٤٥ .

﴿ حرف النون ﴾

٢٧٩ ناشرة بن سمى اليزنى المصرى (ث) . أدرك زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، وروى عن عمرو أبى عبيد وغيرهما (١) .

٢٨٠ ـ نبيه بن صؤاب المهرى ، ذكره ابن يونس فيمَنْ دخل مصر من الصحابة ، وقال : إنه أحد من أسّس الجامع .

وقال الذهبى : له وفادة ، وكان أحدَ الأربعة الّذين أقاموا قبلة مصر ، وقد شهد فتحهـا ، روى عنه عبدُ الملك بن أبى رابطة ، ويزيد بن أبى حبيب ، وعبد العزيز بن مليك ، وداود بن عبد الله الحضرمى (٢)

٢٨١ ـ النّعمان بن جزء بن النعمان بن قيس العُطيفى (ك) . قال فى التجريد : له وفادة ، وشهد فتح مصر . ذكره ابن يونس (٣) .

٢٨٢ ـ نعيم بن خبّاب العامرى . من وفد تجيب ، ذكره ابن الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة . وقال الذهبى : له وفادة ، وذكره ابن يونس وابن ماكولا (٤) .

* * *

﴿ حرف الهاء ﴾

٢٨٣ ـ هانئ بن جَزْء بن النّعمان المرادى (ك) . قال الذّهبى : له وفادة ، وشهد فتح مصر (٥) .

٢٨٤ ـ هُبيب بن مُغْفِل . قال ابنُ الربيع : شهد فتح مصر ، واختطّ بهـا ،

---

(١) الإصابة ٣ : ٥٥٠

(٢) الإصابة ٣ : ٥٢٢ .

(٣) الإصابة ٣ : ٥٣٠

(٤) الإصابة ٣ : ٥٦٤ .

(٥) الإصابة ٣ : ٥٦٧

ولهم عنه حديث ، وإليه ينسب وادِى هُبَيب ؛ لأنه كان اعتزل فى فتنة عثمان هناك ، وتوفِّىَ به .

وقال الحسينىّ فى رجال المسند : كان بالحبشة ثم أسلم ، وهاجر وشهد فتح مصر ، ثم سكنها ، وحديثه عندهم فى جرّ الإزار .

وقال الذهبىّ : قيل لأبيه مغفِل لأنّه أغفل سِمَة إبله .

٢٨٥ ــ هوذة بن عرفطة الحميرىّ .قال فى التجريد : له وفادة ، وشهد فتح مصر [٢] .

* * *

﴿ حرف الواو ﴾

٢٨٦ ــ واقد بن الحارث الأنصارىّ [ك] .قال الذهبىّ : له صحبة، عِداده فى أهل مصر، روى عنه قيس بن وكيع [٣] .

٢٨٧ ــ وهب بن مُغْفِل الغِفارىّ ، نزيل مصر .روى عنه أبو قَبيل المعَافرىّ . كذا ذكره الذهبىّ فى التجريد .

قلت : أخشى أن يكون هو هُبيب بن مُغْفل السابق .

* * *

﴿ حرف لا ﴾

٢٨٨ ــ لاحب بن مالك بن سعد الله البَلَوِىّ . صحابىّ ، بايع تحت الشجرة ، وشهد فتح مصر ، ولا رواية له . قاله ابن الربيع وابن يُونس والذهبىّ [٤] .

* * *

(١) الإصابة فتوح مصر ٩٤ .
(٢) الإصابة ٣ : ٥٨٠ .
(٣) الإصابة ٣ : ٥٩١ .
(٤) الإصابة ٣ : ٣٠٨

﴿ حرف الياء ﴾

٢٨٩ ـ يزيد بن أُنَيْس بن عبد الله أبو عبد الرحمن الفِهرىّ . قال ابنُ الربيع : شهد فتح مصر ، واختطّ بها ، ولم يروِ إلّا حديثاً واحداً فى غزوة حُنين ، رواه عنه غير أهلُ مصر .

وقال الذهبىّ : شهد فتح مصر ، وشهد حُنينا ، وله حديث . مات بالشام [١] .

٢٩٠ ـ يزيد بن عبد الله بن الجرّاح (ك) . أخو أبى عُبيدة . قال الذهبىّ : له صحبة ورواية ، تزوّج بمصر نصرانية [٢] .

٢٩١ ـ يزيد بن أبى زياد ـ أو ابن زياد ـ الأسلمىّ . قال الذهبىّ : نزل مصر ، وروى عنه أبو قَبيل [٣] .

٢٩٢ ـ يعقوب القِبْطىّ ، مولى أبى مذكور . الأنصارىّ . قال الذهبىّ : أعتقه عن دبر ، فاشتراه نعيم بن النحام ، والقصة فى الصّحيح . ومات فى أيام ابن الزبير [٤] .

* * *

باب الكنى

٢٩٣ ـ أبو الأسود مَرْثَد بن جابر العبدىّ (ك) . له وفادة . ذكره ابنُ يونس والذهبىّ [٥] .

٢٩٤ ـ أبو الأعور السُّلَمىّ عمرو بن سفيان ، حليف بنى عبد شمس . قال ابنُ الربيع : قدم مصر مع مَرْوان بن الحكم ، ولهم عنه حديث .

---

(١) الإصابة ٣ : ١٦٥ .
(٢) الإصابة ٣ : ٦٢ .
(٣) الإصابة ٣ : ٦١٩ .
(٤) الإصابة ٣ : ٦٣٠ .
(٥) انظر الإصابة ٣ : ٣٧٧ ، ٤٦٥ .

وقال أبو حاتم : لا تصح له صحبة (١) .

٢٩٥ ـ أبو أمامة الباهلى صُدَى بن عجلان (ك) . من مشاهير الصحابة . قال الذهبى : ثم سكن مصر ، سكن حمص . قال ابن عيينة : كان آخر مَنْ مات بالشام من الصحابة ، وكانت وفاته سنة ست وثمانين ، وهو ابن إحدى وتسعين سنة (٢) .

٢٩٦ ـ أبو أيوب الأنصارى، خالد بن زيد بن كليب : حضر العَقَبة وبَدْراً والمشاهد كلها . قال ابنُ الربيع : شهد فتح مصر ، وغزا بحرها ، ولهم عنه نحو عشرين حديثاً . مات بالقسطنطينية غازياً مع يزيد بن معاوية فى سنة اثنتين وخمسين ، وقبره هناك يَسْتَسْقِى به الروم إذا قحطوا (٣) .

٢٩٧ ـ أبو بُرْدة الأنصارى الأوسى الظفرى . روى عنه ابنه معتّب . كذا فى التجريد .

وقال ابن سعد فى الطبقات : صحابىٌّ نزل مصر . ثم روى له حديثاً من رواية ابنه مُعتّب أو مغيث ، عنه (٤) .

٢٩٨ ـ أبو بَصرة الغِفارى . اسمه حُمَيل ـ بالحاء المهملة مصغر ـ بن بَصرة بن وقّاص . له صحبة ورواية . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، واختطّ بها ، ولهم عنه عشرة أحاديث ، وكانت وفاته بمصر ، ودفن بالمقطم . قاله ابن سعد (٥) .

٢٩٩ ـ أبو ثور الفهمى . قال ابنُ عبد البرّ : صحابى لا يعرف أحدٌ اسمه، حديثه عند أهل مصر . وقال ابنُ أبى حاتم : سئِل أبو زُرْعة عن أبى ثور الفهمى : مااسمه ؟ فقال : لا أعرف اسمه. وله صحبة . قال ابنُ الربيع : شهد فتح مصر ، ولهم عنه حديث .

(١) الإصابة ٤ : ٩ .
(٢) الإصابه ٤ : ١٠
(٣) الإصابة ٢ : ١٧٥ ، ٤ : ١٠
(٤) ابن سعد ٧ : ٥٠٠ ، الإصابة ٤ : ١٩
(٥) ابن سعد ٧ : ٥٠٠ .

وقال الذهبى : له صحبة ، وحديثه عند المصريين ، روى عنه يزيد بن عمرو [١] .

٣٠٠ ـ أبو جَبْر .قال ابنُ الرّبيع : بدرى ، أخبرنى يحيى بن عثمان بذلك ، وأنه دخل مصر [٢] .

٣٠١ ـ أبو جمعة الأنصارى السباعى ـ وقيل الكنانى ـ حبيب بن سباع ، وقيل ابن وهب ، وقيل :جنيد بن سبع . له صحبة ورواية . قال ابن الربيع: شهد فتح مصر ، ولهم عنه حديث .

وقال ابن سعد : كان بالشام ، ثم تحوّل إلى مصر فنزلها [٣] .

٣٠٢ ـ أبو جندب العُتَقِى (ك) . قال الذهبى : صحابى نزل مصر [٤] .

٣٠٣ ـ أبو حمّاد ـ أو أبو حامد ـ الأنصارى (ك) .قال الذهبى : له صحبة ، وحديثه عند المصريين مقرون بعُقْبة بن عامر ، من طريق ابن لَهيعة [٥] .

٣٠٤ ـ أبو خراش السُّلمى . ذكره ابن سعد فيمن نزل مصر من الصحابة ، وأورد له حديثا من حديث عمران بن أبى أنس عنه مرفوعا : « من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه » [٦] .

وقال الذهبى فى التجريد : أبو خراش السُّلمى أو الأسلمى ، له حديث ، واسمه حَدْرد [٧] .

٣٠٥ ـ أبو الدرداء عُويمر بن عامر ـ ويقال : ابن مالك ـ الأنصارى الخزرجى . أسلم يوم بدر ، وشهد أُحداً ، فأبلى يومئذ ، وقد ألحقه عمر رضى الله تعالى عنه بالبدريين

---

(١) الاستيعاب ١٦١٨ ، الإصابة ٤ : ٣٠ .
(٢) . . .
(٣) ابن سعد ٧ : ٥٠٨ ، الإصابة ٤ : ٣٢
(٤) الإصابة ٤ : ٣٤ .
(٥) الإصابة ٤ : ٤٦
(٦) طبقات ابن سعد ٧ : ٥٠٠ .
(٧) الإصابة ٤ : ٥١ .

فى العطاء . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، ولهم عنه خمسة أحاديث ، مات سنة اثنتين وثلاثين [١] .

أخرج أبو نُعيم ، عن محمد بن يزيد الرَّحَبىّ، قال : قيل لأبى الدرداء : مالكَ لا تشعر، فإنه ليس رجلٌ له بيت فى الأنصار إلا وقد قال شعرا ! قال : وأنا قلت ، فاسمعوا :

يريدُ المرء أن يُعْطَى مُنَاهُ ... وَيَأْبَى اللهُ إلا ما أَرَادَا

يقول المرء : فائدتى وأهلى ... وتقوى الله أفضَلُ ما استفادا

٣٠٦ — أبو درّة البَلَوىّ . له صحبة ، ذكره ابن يونس [٢] .

٣٠٧ — أبو ذرّ الغِفارىّ جُندب بن جُنادة . وقيل : يزيد بن عبد الله ، وقيل : برير بن جُنادة ، وقيل : جندب بن سَكَن ، وقيل : خلف بن عبدالله . أسلم قديماً بمكّة، وكان من فُضلاء الصحابة ونبلائهم وقرّائهم . قال ابنُ الربيع : شهد فتح مصر ، واختطّ بها ، ولهم عنه عشرون حديثا، وقد سكن مصر مدة ، ثم خرج منها لمّا رأى اثنين يتنازعان فى موضع لبنة ، كما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . مات بالرَّبَذة فى ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين [٣] .

٣٠٨ — أبو ذُؤَيب الهُذلىّ الشاعر، خويلد بن خالد . قال الذهبىّ فى التجريد : كان مسلماً على عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ولم يره . وقدم وشهد السّقيفة ومبايعةَ أبى بكر والصّلاة على النبىّ صلى الله عليه وسلم ودفنَه ، وكان أشعرَ هذيل . قال ابن كثير : توفّىَ غازيا بإفريقيّة فى خلافة عثمان [٤] .

٣٠٩ — أبو رافع القِبْطىّ مولَى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، اسمه أسلَم ، وقيل : إبراهيم ، وقيل صالح ، شهد أحُداً والخندق ومابعدها . قال ابنُ الربيع : شهد فتح

---

(١) الإصابة ٤ : ٦٠ ، وانظر أيضا فى عويمر ٣ : ٣٦

(٢) الإصابة ٤ : ٦٠ ، وهو هناك : « أبو درة البلوى » .

(٣) الإصابة ٤ : ٦٣ — (٤) الإصابة ٤ : ٦٦ .

مصر ، واختط بها ، ولهم عنه حديث . مات بالمدينة بعد عثمان بيسير [١] .

٣١٠ ـ أبو رِمْثة البلَوىّ (ك). قال الذهبىّ : سكن مصر ، ومات بإفريقيّة ، وحديثه عند المصريّين .

وقال فى التهذيب :قيل اسمه رفاعة بن يثربى ، وقيل بالعكس . له صحبة ورواية . حديثه فى المسند والسنن [٢] .

٣١١ ـ أبو الرّمداء البلَوِىّ . قال ابنُ الربيع : شهد فتح مصر ، ولهم عنه حديث . وقال الذهبىّ : له صحبة اسمه ياسر [٣] .

٣١٢ ـ أبو رهم السماعىّ ـ،وقيل السَّمَعىّ بفتحتين . اسمه أحزاب بن أَسِيد، بالفتح وقيل بالضمّ ، وقيل ابن أسد الظهرىّ بالكسر وقيل بالفتح (ك) . مختلف فى صحبته ، قال ابن يونس : أدرك الجاهليّة ، وعِداده فى التابعين ، وكذا ذكره فى التابعين البخارىّ وابن حِبّان . وقال أبو حاتم : ليست له صحبة .

وذكره ابن أبى خيثمة وابن سعد فى الصحابة فيمن نزل الشام منهم [٤] .

٣١٣ ـ أبو ريحانة الأزدىّ . اسمه شمعون ـ بالغين المعجمة ، وقيل بالمهملة ـ ابن زيد ، حليف الأنصار . له صحبة ورواية ، شهد فتح مِصْر ، ولهم عنه حديثان أو ثلاثة [٥] .

٣١٤ ـ أبو الزّعراء (ك) . قال الذّهبىّ : مصرىّ له صحبة ، روى عنه أبو عبد الرحمن الجيلىّ فى الأئمة الفاضلين ، وذكره ابنُ الربيع فيمن دخل مصر من الصّحابة ، ولهم عنه حديث [٦] .

٣١٥ ـ أبو زَمْعة البَلَوِىّ . قال الذهبىّ : اسمه عبد ـ وقيل عبيد ـ بن أرقم .بايع

---

(١) الإصابة ٤ : ٦٨

(٢) الإصابة ٤ : ٧١ .

(٣) الإصابة ٤ : ٧١ .

(٤) ابن سعد ٧ : ٤٣٨ ، الإصابة ٤ : ٧٢ .

(٥) الإصابة ٢ : ١٥٢ ، ٤ : ٧٣ .

(٦) الإصابة ٤ : ٧٦ .

تحت الشجرة ، ونزل مصر ، وغزا إفريقيَّة مع معاوية بن حُدَيج . وقال ابنُ الربيع : شهد فتح مصر ، ولهم عنه حديث فى الّذى قتل تسعة وتسعين نفسا وسأل : هل لِى من توبة ؟ ولم يروِ عن النبىّ صلى الله عليه وسلم غيره ، ومات بإفريقيّة .

قال : ويقال : اسمه مسعود بن الأسود (١) .

٣١٦ ـ أبو الزهراء البَلَوِىّ . قال الذهبىّ : صحابىّ ، شهد فتح مصر (٢) .

٣١٧ ـ أبو زيد الغافقىّ . روى عنه عمرو بن شُرحبيل . عِداده فى المصريّين، كذا فى التجريد .

٣١٨ ـ أبو سُعاد ،صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . سكن مصر، كذا فى طبقات ابن سعد ، لم يزدْ عليه (٣) .

وقال ابن الربيع : أبو سعيد ، ويقال : أبو سعاد ، واسمه عبد الله بن بشر ، ذكر فيمن دخل مصر من الصحابة . وقال الذهبىّ : أبو سعاد الجُهنىّ ، قيل هو عُقْبة بن عامر، وليس بشىء ، أو لعقبة كنيتان ، ثم قال : أبو سعاد ، نزل حِمص ، قيل : اسمه جابر ابن أبى أسامة (٤) .

٣١٩ ـ أبو سعد الخير الأنمارىّ (ك) . ذكره ابنُ سعد فى الصّحابة الذين نزلوا مصر ، وأورد له حديثاً من رواية قيس بن الحارث العامرى عنه .

وقال الذهبىّ : اسمه عامر بن سعد ، ويقال أبو سعيد الخير ، شامىّ ، له حديث فى الشفاعة وفى الوضوء ، روى عنه قيس بن الحارث وعبادة بن نسىء (٥) .

٣٢٠ ـ أبو سعيد الإسكندرىّ (ك) . له حديث فى السحور ، كذا فى التّجريد .

---

(١) الإصابة ٤ : ٧٧
(٢) الإصابة ٤ : ٧٧ .
(٣) ابن سعد ٧ : ٥٠٩ ، الإصابة ٤ : ٨٠
(٤) الإصابة ٤ : ٨٥ .
(٥) ابن سعد ٧ : ٥٠٢ والإصابة ٤ : ٨٩ .

٣٢١ ـ أبو الشَّموس البَلَوِىّ(ك) قال ابنُ سعد : صحب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ونزل مصر .

وقال فى التجريد : شهد تبوكا ، وله حديث أورده البخارى فى تاريخه[1] .

٣٢٢ ـ أبو صِرْمة الأنصارىّ ، اسمه مالك بن قيس بن مالك ، ويقال لبابة بن قيس ، وقيل قيس بن مالك . قال ابنُ عبد البرّ : لم يختلفوا فى شهوده بدرا وما بعدها ، وكان شاعراً محسنا . قال ابنُ الربيع : شهد فتح مصر[2] .

٣٢٣ ـ أبو ضُبَيس البلوىّ . قال الذهبىّ : مصرىٌّ له صحبة . وقال ابن الربيع : دخل مصر لغزو المغرب[3] .

٣٢٤ ـ أبو عبد الرحمن الجهنىّ . قال الذهبى : يعدّ فى المصريين ، روى عنه مرثد ابن عبد الله اليزنىّ حديثين حسنين . وذكره ابن الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة ، وقال : لهم عنه حديثان[4] .

٣٢٥ ـ أبو عبد الرحمن الفِهرىّ . قال الذهبىّ : اسمه عبيد ، وقيل يزيد بن أنيس ، شهد حُنينا ، وقد تقدم فى حرف الياء[5] .

٣٢٦ ـ أبو عبد الرحمن القَيْنىّ ، ذكره ابن الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة ، وقال : لهم عنه حديث .

وقال الذهبىّ : ذكره الطبرانىّ فى الصحابة ، ويقال فيه : أبو عبد الله القَيْنىّ ، روى عنه أبو عبد الرحمن الحُبُلىّ[6] .

---

(١) ابن سعد ٤ : ٣٥٤ ، ٧ : ٥٠١ الإصابة ٤ : ١٠٣ .
(٢) الاستيعاب ١٦٩١ الإصابة ٤ : ١٠٩ . (٣) الإصابة ٣ : ١١١ .
(٤) الإصابة ٤ : ١٢٨ . (٥) انظر ص ٢٤٢ ، والإصابة ٤ : ١٢٨ .
(٦) الإصابة ٤ : ١٢٨

٣٢٧ ـ أبو عثمان الأصبحيّ (ك). قال الذهبيّ : اعتمر فى الجاهلية ، روى عنه أبو قَبيل المعافرىّ . نزل مصر .

٣٢٨ ـ أبو عطية المزنيّ (ك). قال فى التجريد . عِداده فى المصريين، تفرّد بحديثه بكر ابن سوادة (١) .

٣٢٩ ـ أبو عميرة المزنيّ ،هو رشيد بن مالك ، تقدم (٢).

٣٣٠ ـ أبو فاطمة الدّوْسيّ (ك) الأزديّ قال ابنُ الربيع : شهد فتح مصر : واختطّ بها ، ولهم عنه حديث .

وقال فى التّهذيب : اسمه أُنَيْس ، وقيل عبد الله بن أنيس ، نزل الشام ، وشهد فتح مصر (٣) .

٣٣١ ـ أبو فاطمة الضمريّ (ك) .ذكره فى التجريد عقب الأوّل ، وقال : مصريّ ، روى عنه كثير بن مرة وأبو عبد الرحمن الحُبُليّ (٤) .

٣٣٢ ـ أبو فاطمة الأشعريّ كعب بن عاصم . قال ابنُ الرّبيع : شهد فتح مصر ، ولهم عنه حديث ، وقد تقدّم أنّ الصحيح أن أبا مالك غير كعب بن عاصم ، وقد اختُلف فى اسمه ، فقيل الحارث ، وقيل عبيد وقيل عبيد الله ، وقيل عمرو . مات فى خلافة عمر (٥) .

٣٣٣ ـ أبو مالك . نزل مصر روى عنه سنان بن سعد ، والصّحيح عن أنس بن مالك. كذا فى التجريد (٦) .

---

(١) الإصابة ٤ : ١٣٤.
(٢) انظر الإصابة ١ : ٥٠٢ .
(٣) الإصابة ٤ : ١٥٣ ، تهذيب التهذيب ١٢ : ٢٠٠ .
(٤) الإصابة ٤ : ١٥٣
(٥) الإصابة ٤ : ١٥١ .
(٦) الإصابة ٤ : ١٧٢

٣٣٤ ـ أبو المبتذل خلف . روى عنه حى المعافرى، له صحبة ، ونزل إفريقيّة ، وقيل : أبو المنيذر كذا فى التجريد [١] .

٣٣٥ ـ أبو مسلم الغافقىّ . ذكره ابن الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة ، قال : ولهم عنه حديث [٢] .

٣٣٦ ـ أبو مِكْنَف(ك) ، قال فى التجريد : له وفادة ، وشهد فتح مصر [٣] .

٣٣٧ ـ أبو مُلَيكة البلَوىّ . ذكره ابن الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة ، وقال: لهم عنه ثلاثة أحاديث . وقال الذهبىّ: نزل مصر له صحبة ، روى عنه علىّ بن رباح .

٣٣٨ ـ أبو منصور الفارسىّ . قال الذهبىّ: نزل مصر ، روى عنه دُويد بن نافع ، خرّجه أبو يعلى ، وقيل : هو تابعى [٤] .

٣٣٩ ـ أبو موسى الغافقىّ مالك بن عبادة ـ ويقال ابن عبد الله ـ من حلفاء بنى عبد الدار ، قال ابنُ الربيع : خدم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وشهد فتح مصر ، ولهم عنه ثلاثة أحاديث .

وقال الحسينى فى رجال المسند: صحابىّ ، عِداده فى المصريين .

وقال الذهبىّ فى التجريد : مصرىّ ، له صحبة . توفى سنة ثمان وخمسين [٥] .

٣٤٠ ـ أبو هريرة الدّوْسىّ ـ فى اسمه واسم أبيه أقوال كثيرة ، قال ابن الربيع : قدم مصر على مسلمة بن مخلّد فى خلافة معاوية ، ولهم عنه ثلاثة وثلاثون حديثا [٦] .

٣٤١ ـ أبو هند الدارىّ . اسمه بدير ـ ويقال بدير بن عبد الله بن بدير ، وهو ابن

---

(١) الإصابة . . .
(٢) انظر الإصابة ٤ : ١٨٠
(٣) الإصابة ٤ : ١٨٤ .
(٤) الإصابة ٤ : ١٨٦
(٥) الإصابة ٤ : ١٨٧ .
(٦) الإصابة ٤ : ٢٠٠ .

عمّ تميم الدّاريّ وأخوه لأمّه . قال ابنُ الربيع : دخل مصر ، ولهم عنه حديث[١] .

٣٤٢ ـ أبو الهيثم . ذكره ابن الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة . وقال الذهبيّ : روى عنه ابن لهيعة عن بكر بن سواد عنه ، فى معجم الطبرانى[٢] .

٣٤٣ ـ أبو وحوح البلوىّ . ذكره ابنُ الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة ، ولهم عنه حديث[٣] .

٣٤٤ ـ أبو اليَقْظان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكره ابن سعد فيمن دخل مصر من الصحابة ، وأورد من طريق أبى عُشانة أنه سمع أبا اليقظان صاحب النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول : « أبشرُوا فوالله لأنتم أشدّ حبًّا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تروْه من عامة من رآه »[٤] .

قلت : أبو اليقظان هـذا هو عمّار بن ياسر ، وهى كنيته ؛ وقد تفطن لذلك ابن الربيع ، فأورد هذا الأثر فى ترجمة عمار من طرق صرّح فى بعضها بقول أبى عُشانة : سمعت أبا اليقظان عمّار بن ياسر بصَقَلِّيَة[٥] يقول ، فذكره . وقد كنتُ أتعجب من ابن سعد ، كيف يخفى عليه ؛ هذا حتى رأيته خفىَ على الذهبىّ أيضا ، فقال فى التجريد فى آخر الكنى : أبو اليقظان ، ذكره البخارىّ ، فى الصحابة ، وقد سكن مصر ، روى عنه أبو عُشانة فقط ، هذه عبارته ، وهى أعجوبة كبرى :

* * *

---

(١) الإصابة ٤ : ٢٠٩

(٢) الإصابة ٤ : ٢١٠

(٣) الإصابة ٤ : ٢١٣

(٤) طبقات ابن سعد ٧ : ٥٠٣

(٥) ط : « صقيلة » تحريف .

﴿ باب المبهمات ﴾

٣٤٥ ـ رجل من صُداء ، ذكره ابن الربيع بعد ماذكر ابن زياد[1] بن الحارث الصدائىّ وحِبّان بن بُحّ الصدائىّ[2] ، قال : ولهم عنه حديث واحد ، ثم أخرج من طريق أبى عبد الله بن جزء، عن أبى بكر بن سوادة، عن رجل من صداء ، قال : أتينا النبىّ صلّى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا ، فبايعناه وترك منا رجلا لم يبايعه ، فقلنا : بايعه يارسول الله فقال : لن أبايعه ، حتى ينزع التى عليه ، إنه منْ كان عليه مثل الذى عليه كان مشركا ما كانت عليه . قال : فنظرنا ، فإذا فى عَضده سير فيه شىء من لحا شجرة .

٣٤٦ ـ أبو جـدَيع المرادىّ . قال ابنُ الربيع : ذكر ابن وزير وعبد العزيز بن ميَسرة أنه كان عاملا للنبى صلى الله عليه وسلم ، وأنّه كان من أهل مصر .

***

﴿ باب النساء ﴾

٣٤٧ ـ مارية بنت شمعون القِبْطية، أم إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم . من أهل حَفْن من كورة أنْصِنا ، أهداهاله المقوقس ، فاستولدها السيد إبراهيم سيد الصديقين . ـ ابنُ عبد الحـكم:ماتت مارية فى المحرّم سنة خمس عشرة ،وصلى عليها عمر بن الخطاب ـ فنت بالبَقيع . وقال ابن عبد البرّ : ماتت سنة ست عشرة[3] .

---

(١) ط : « ابن زياد » ، وصوابه من الأصل والإصابة .

(٢) انظر الاصابة ٥ : ٣٠٤ ترجمة حبان بن ع ، و ١ : ٥٣٨ ترجمة الحارث بن زياد .

(٣) الإصابة ٤ : ٣٩١

٣٤٨ ـ سيرين أخت مارية ، أهداها المقوقس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوهبها لحسان بن ثابت ، فولدت له عبد الرحمن ، روى عنها ابنها ، ولها حديثان . وسيرين بالسين المهملة ، كما ذكره ابن عبد البرّ والذهبى ؛ وقيل : اسم أخت مارية حسنة . قاله الأعرج ، وقيل قيصر ، قاله ابن لهيعة . وقد ورد أنّ المقوقس أهدى له ثلاث جوار ؛ فلعلّ هذا اسم الثالثة ، وقد وهبها لأبى جهم بن حذيفة العبدىّ ، فولدت له زكريا الذى كان خليفة عمرو بن العاص على مصر[1] .

٣٤٩ ـ أمّ زكريا ، الجارية التى أهداها المقوقس ، قد شرح أمرها[2] .

٣٥٠ ـ أمّ عبد الله نبيه بن الحجاج(ك) . امرأة عمرو بن العاص . صحابيّة قال صلى الله عليه وسلم : «نعم أهلُ عبد الله ، وأبو عبد الله ، وأمّ عبد الله» ، الظاهر أنها كانت بمصر مع زوجها ، وهو مقيم بها أميرا عشر سنين[3] .

٣٥١ ـ أم ذرّ ، زوجة أبى ذرّ الغفارىّ (ك) . صحابية معروفة ، وقد سكن زوجها أبو ذرّ فى مصر مدّة .

قلت : فالظاهر أنها كانت معه ، فإنّها كانت تنتقل معه حيث انتقل ، ولها رواية عن أبى ذرّ فى المسند ، روى الأشتر النخعىّ عنها[4] .

٣٥٢ ـ فاضلة الأنصارية (ك) . امرأة ابن أُنيس الجهنىّ . صحابيّة ، لها حديث . كذا فى التجريد .

قلت : والظاهر أنها كانت بمصر مع زوجها حين أقام بها[5] .

---

(١) الاصابة ٤ : ٣٣١ .

(٢) . . . .

(٣) الاصابة ٤ : ٤٥١ .

(٤) الاصابة ٤ : ٣٠٤ .

(٥) الاصابة ٤ : ٣٦٥ .

٣٥٣ - سَوْدة بنت أبي ضُبيس الجهنيّة . قال الذهبيّ : لها ولأبيها صحبة ، بايعت بعد الفتح .

قلت : وأبوها كان بمصر ، فلعلّها كانت معه .

* * *

تنبيـــــه

المقوقس صاحب الإسكندرية ذكره ابن مَنْده وأبو نُعيم فى كتابيهما فى الصحابة وابن قانع فى معجم الصحابة ، وأورده الذهبى فى التجريد ، قال : ولا مدخل له فى الصحابة فما زال نصرانيًّا قال : واسمه جريج .

* * *

خاتمـــــة

قال ابن الربيع : ذكر ابن وزير أنه دخل مصر مع عمرو بن العاص من بليّ ممّن بايع تحت الشجرة مائة رجل ، والمقلّل يقول : سبعون رجلا .

وأخرج ابن عبد الحكم ، عن سليمان بن يسار قال : غزونا إفريقيّة مع ابن حُديج ، ومعنا بشر كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار .

* * *

هذا آخر الكتاب . وقال الحافظ الشمس الداوديّ تلميذ المؤلف :قال مؤلفه رحمه الله تعالى : فرغت من تحريره يوم الأحد مستهلّ المحرّم سنة ثمان وثمانين وثمانمائة .

ذكر من كان بمصر

من مشاهير التابعين الذين رووا الحديث *

١ ــ إياس بن عامر الغافقيّ المِصْرِيّ (د ، هـ) . عن عليّ وعُقْبة بن عامر ، وعنه ابن أخيه موسى بن أيّوب . قال ابنُ يونس : وفَدَ على عليّ ، وشهد معه مشاهده [(١)] .

٢ ــ حسان بن كُرَيب ازُعَينيّ الحِمْيَرِيّ ، أبو كُرَيب المصريّ (حد ، ح) . عن عمر [(٢)] وعليّ . شهد فتح مصر ، وثقه ابنُ حِبّان [(٣)] .

٣ ــ سُلَيم بن عَتَر التجيبيّ [يأتي] [(٤)] . في المجتهدين ، وكذا جملة من التابعين وأتباعهم .

(*) اعتاد مصنفو كتب الرجال من المحدثين أن يضعوا رموزا للكتب التي وردت فيها أحاديثهم ؛ وها هي ذي الرموز كما أوردها السيوطي في صدر كتابه الجامع الصغير :

(خ) للبخاري ، (م) لمسلم ، (ق) لهما ، (د) لأبي داود ، (ت) للترمذي ، (ن) للنسائي ، (هـ) لابن ماجه ، (٤) لهؤلاء الأربعة ، (٣) لهم إلا ابن ماجه (حم) لأحمد في مسنده ، (عم) لابنه عبدالله في زوائده ، (ك) للحاكم ؛ فإن كان في مستدركه أطلقت ؛ وإلا بينته ، (خد) للبخاري في الأدب ، (تخ) له في التاريخ ، (حب) لابن حبان في صحيحه ، (طب) للطبراني في الكبير ، (طس) له في الأوسط ، (طص) له في الصغير ، (ص) لسعيد بن منصور في سننه ، (ش) لابن أبي شيبة ، (عب) لعبد الرازق في الجامع ، (ع) لأبي يعلى في مسنده ، (قط) للدار قطني ، فإن كان في السنن أطلقت وإلا بينته ، (فر) للديلمي في مسند الفردوس ، (حل) لأبي نعيم في الحلية ، (هب) للبيهقي في شعب الإيمان ، (هق) له في السنن ، (عد) لابن عدي في الكامل ، (عق) للعقيلي في الضعفاء (خط) للخطيب ، فإن كان في التاريخ أطلقت وإلا بينته .

هذا ، وقد وضعت هذه الرموز في النسخة المخطوطة (الأصل) فوق العلم المترجم له . ووضعت في هذه الطبعة بين قوسين عند آخر العلم ، وقبل الترجمة . ومما يلاحظ أن هذه الرموز لم توضع إطلاقا في جميع النسخ المطبوعة من قبل . كما أن بعض الرموز سقطت من نسخة الأصل .

(١) تهذيب التهذيب ١ : ٣٨٦ .

(٢) كذا في ح وهو الصواب ، وفي تهذيب التهذيب : « روى عن عمر بن الخطاب وأبي مسعود وعلى وأبي جبرة وأبي ذر » ، وفي الأصل وط : « عمرو » ، تحريف .

(٣) تهذيب التهذيب ٢ : ٢٥٢ .

(٤) من ح ، ط .

٤ ـ عبد الله بن زُرَيْر الغافقيّ المصريّ (د ، ت) . عن عمرو . قال العِجلىّ : مصرىّ تابعىّ ثقة . مات سنة ثمانين [١] .

٥ ـ زياد بن ربيعة بن نُعيم الحضْرمىّ المصرىّ (د ، ت) . عن ابن عمر وأبى ذَرّ . وثّقه العِجْلىّ . مات سنة خمس وتسعين [٢] .

٦ ـ شقيق بن ثور بن عنبر السّدوسىّ المصرىّ (ت) . عن أبيه وعثمان وعلىّ ومعاوية . وثّقه ابنُ حِبّان . مات سنة أربع وستين [٣] .

٧ ـ شيبان بن أميّة ـ ويقال بن قيس . القِتْبانىّ [٤] أبو حُذيفة المصرىّ (د) . عن رويفع بن ثابت وأبى عميرة المُزنىّ ، وعنه بَكْر بن سَوادة وشُيَيْم القِتْبانىّ . قال فى التهذيب : فيه جهالة [٥] .

٨ ـ قيس من سُمَىّ التُّجِيبىّ (حم) . شهد فتح مصر ، وروى عن عمرو بن العاص وعنه سُويد بن قيس . ليس بمشهور [٦] .

٩ ـ كثير بن قَلْب الصَّدَفِىّ الأعرج (حم) . عن عُقْبة بن عامر وأبى فاطمة الدَّوْسِىّ [٧] .

١٠ ـ أبو قيس مولى عمرو بن العاص (خ) . عنه وعن أمّ سَلَمة . وثّقه ابنُ حِبّان . مات سنة أربع وخمسين [٨] .

---

(١) تهذيب التهذيب ٥ : ٢١٦ .
(٢) تهذيب التهذيب ٣ : ٣٦٥ .
(٣) تهذيب التهذيب ٤ : ٣٦١ .
(٤) القتبانى ، كذا ضبطه فى التقريب : « بكسر القاف وسكون المثناة بعدها موحدة » .
(٥) تهذيب التهذيب ٤ : ٣٧٣ .
(٦) ورد له رواية فى فتوح مصر لابن عبد الحكم ص١٨١ ، عن قيس بن سمى ؛ كما ورد له ذكر أيضا فى ص٢٥٢ .
(٧) تهذيب التهذيب ٨ : ٤٢٥ ، وتقريب التهذيب ٢ : ١٣٣ ، وفيهما : (كثير بن قليب) ، بالتصغير .
(٨) تهذيب التهذيب ١٢ : ٢٠٧ .

١١ ـ أبو الأزهر المصرىّ (ه) . عن عمر وحُذيفة وسلمان : وعنه عبدالله بن أبى جعفر المصرىّ وغيره[1] .

١٢ ـ أسلم بن يزيد أبو عمران التُّجيبىّ المصرىّ[2] . عن أبى أيوب وعُقْبة بن عامر وعنه يزيد بن أبى حَبيب . وثقة النسائىّ . كان وجيهاً بمصر فى أيامه ، وكانت الأمراء يسألونه[2] فى حوائجهم[3] .

١٣ ـ ثمامة بن شَفِىّ الهمدانىّ أبو علىّ المصرىّ (م ، د ، ن ، ه) . نزيل الإسكندرية . عن عُقبة بن عامر وفَضالة بن عُبيد . وثقة النَّسائىّ . مات قبل العشرين ومائة[4] .

١٤ ـ الحارث بن يزيد الحضْرمىّ أبو عبد الكريم المصرىّ . (م ، د ، ن ، ه) . عن جُبير بن نُفَير وعبد الرحمن بن حُجَيرة . وعنه الأوزاعىّ والليث . قال الليث : كان يصلّى كلّ يوم ستمائة ركعة . مات ببرقة سنة ثلاثين ومائة ، وله مائة سنة . قاله الذّهبىّ فى التّجريد[5] .

١٥ ـ الحكم بن عبد الله البَلَوِىّ المصرىّ . عن علىّ بن رباح ، وعنه يزيد بن أبى حبيب . وثقة ابنُ مَعين[6] .

١٦ ـ أبو عُشّانة المَعافرىّ حىّ بن يومن المصرىّ (د ، س ، ق) . عن ابن عمرو وعقبة بن عامر . وثقة أحمد ويحيى ، وابن حِبّان وغيرهم . مات سنة ثمانى عشرة ومائة[7] .

---

(١) اسمه صالح بن درهم الباهلى المصرى ؛ ذكر صاحب تهذيب التهذيب فى موضعه فى ٤ : ٣٨٨ ، كما ذكره أيضا فى الكنى ١٢ : ٧ .

(٢) فى الأصل : « ليسالون » ، والصواب ما أثبته من ح ، ط .

(٣) تهذيب التهذيب ١ : ٢٦٥ .

(٤) تهذيب التهذيب ٢ : ٢٨ .

(٥) تهذيب التهذيب ٢ : ١٦٣ .

(٦) تهذيب التهذيب ٢ : ٤٣٠ .

(٧) تهذيب التهذيب ١٢ : ١٦٧ .

١٧ ـ داود السراج الثقفيّ المصريّ (د) . عن أبي سعيد الخدريّ . وعنه قتادة . وثّقه ابن حِبّان .

١٨ ـ دُخَين بن عامر الحجْريّ أبو ليلى المصريّ (د، هـ) . كاتب عُقْبة بن عامر . عنه وعن بكر بن سوادة وعدّة . وثّقه ابنُ حِبّان ، قتله الروم سنة اثنتين ومائة[1] .

١٩ ـ زهير بن قيس البَلَويّ المصريّ (حم) . عن علقمة بن رمثة البلَويّ ، وعنه سُويد ابن قَيْس[2] .

٢٠ ـ زياد بن نافع التُّجيبيّ المصريّ . (حب) . عن عُلَيّ بن رباح ، وعنه بكر بن سوادة. وثَّقة ابنُ حبّان[3] .

٢١ ـ سالم بن أبي سالم سفيان بن هانئ الجَيْشانيّ المصريّ (م ، ن ، هـ) . عن أبيه وابن عمرو ، وعنه ابنه عبد الله ويزيد بن أبي حبيب. وثّقة ابنُ حِبّان[4] .

٢٢ ـ سليم بن جُبَير المصريّ أبو يونس (م ، د ، ت) . عن مولاه ، عن أبي هريرة وأبي أُسَيد الساعديّ . وثّقة النّسائيّ . مات سنة ثلاث وعشرين ومائة[5] .

٢٣ ـ سعيد بن الصّلت بن يعقوب المصريّ (حم) . أرسل عن سُهيل بن بيضاء، وروى عن ابن عباس وغيره ، وعنه محمد بن إبراهيم التيميّ وبكر بن سوادة . وثّقة ابنُ حِبّان . قال البخاريّ وأبو حاتم : هو سَعيد ـ بفتح أوله ـ وقال ابن أبي عاصم في كتاب الآحاد والمثاني : سُعيد بالضمّ . قال الحسينيّ : وهو الصواب[6] .

٢٤ ـ سُليمان بن عمرو بن عُبيد الليثيّ العُتْواريّ . أبو الهيثم المصريّ (خ، هـ) . عن

---

(١) تهذيب التهذيب ٣ : ٢٠٧ ، ودخين مصغر ، والحجرى ، بفتح الحاء وسكون الجيم : منسوب إلى حجر بن ذى رعين ، وفى ح ، ط : « دخر » ، تحريف .

(٢) فتوح مصر لابن عبد الحكم ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٣) تهذيب التهذيب ٣ : ٣٨٨ .

(٤) تهذيب التهذيب ٣ : ٤٣٥

(٥) تهذيب التهذيب ٤ : ١٦٦ .

(٦) تهذيب التهذيب ٤ : ٢١٢

أبى سعيد وأبى هريرة وأبى بَصرة الغِفارىّ . وعنه درّاج وغيره . وثقة ابن مَعين[١] .

٢٥ ـ سويد بن قيس التُّجيبىّ المصرىّ (د ، ت ، ه) . عن ابن عمرو بن عمرو . وثقه ابن حِبّان[٢] .

٢٦ ـ شُيَيْم بن بيتان القِتبانىّ البلَوِىّ المصرىّ (د ، ن) . عن أبيه ورويفع بن ثابت . وثّقه ابن معين وغيره[٣] .

٢٧ ـ صالح بن خَيْوان ـ بفتح المعجمة ، وقيل بالمهملة ـ السَّبَئىّ المصرىّ (خ) . عن ابن عمر وعقبة بن عامر والثابت بن خلاد . وثقه ابن حبّان[٤] .

٢٨ ـ عباس بن جُليد ـ بالجيم ، مصغّر ـ الحَجْرى المصرىّ (د، ت) . عن ابن عُمر وعبد الله بن الحارث الزُّبيدىّ . وثّقه العِجلىّ وأبو زُرْعة . مات قريبا من سنة مائة[٥] .

٢٩ ـ عبدالله بن رافع الحضْرمىّ المصرىّ أبو سلمة . (تخ) . عن أبى هريرة ، وعنه سليمان بن راشد . ذكره ابنُ حِبّان فى الثقات[٦] .

٣٠ ـ عبدُ الله بن أبى مُرّة الزّوْفىّ المرادىّ (د،ت،ه) . شهد فتح مصر ، واختطّ بها . روى عن خارجة بن حذافة حديث الوِتْر ، وعنه عبدُ الله بن راشد ورزين بن عبد الله الزّوفىّ[٧] .

٣١ ـ عبد الله بن مُنين اليَحصبىّ المصرىّ (د،ه) . عن ابن عمرو، وعنه الحارث بن سعيد العُتَقىّ[٨] .

٣٢ ـ عبد الله بن يزيد المَعافرىّ أبو عَبد الله الحُبُلىّ[٩] المصرىّ (خ،م) . عن ابن

---

(١) تهذيب التهذيب ٤ : ٢١٢
(٢) تهذيب التهذيب ٤ : ٢٧٩ .
(٣) تهذيب التهذيب ٤ : ٣٧٩ .
(٤) تهذيب التهذيب ٤ : ٣٨٨ ، وقد سقطت هذه الترجمة من الأصل .
(٥) تهذيب التهذيب ٥ : ١١٦
(٦) تهذيب التهذيب ٥ : ٢٠٦ .
(٧) تهذيب التهذيب ٦ : ٢٥
(٨) تقريب التهذيب ١ : ٤٥٤ .
(٩) بضم المهملة والموحدة .

مسعود وأبى ذرّ وأبى أيوب وجابر وعدّة . مات بإفريقيّة سنة مائة [١] .

٣٣ ـ عبد الرحمن بن جبير المصرىّ المؤذن (٣) . عن أبى الدرداء وعدّة . مات سنة سبع وتسعين [٢] .

٣٤ ـ عبد الرحمن بن زغب الإيادىّ . عن عبد الله بن حَوالة ، وعنه ضَمْرة بن حبيب . قال الحاكم فى المستدرك : فى تابعىّ أهل مِصْر .

٣٥ ـ عبد الرحمن بن رافع التَّنُوخىّ أبو الجهم المصرىّ (د ،ت ،ن) . قاضى إفريقيّة ، عن ابن عمرو وغيره ، وعنه ابنه إبراهيم ، وبكر بن سوادة . قال البخارىّ : فى حديثه بعض مناكير [٣] .

٣٦ ـ عبد الرحمن بن شِماسة المهرىّ المصرىّ (م ،ن) . عن أبى ذرّ وزيد بن ثابت وعائشة . مات بعد المائة [٤] .

٣٧ ـ عبد الرحمن بن عبد الله الغافقىّ (د ،ه) أمير الأندلس . عن ابن عمر ، وعنه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز . قال ابن مَعين : لا أعرفه . وقال ابن يونس : قتلتْه الروم بالأندلس سنة خمس عشرة ومائة [٥] .

٣٨ ـ عبد الرحمن بن وعلة السَّبَئىّ المصرىّ (ع) . عن ابن عمر وابن عباس ، وعنه أبو الخير اليَزَنىّ [٦] .

٣٩ ـ عبد العزيز بن مَرْوان بن الحكم الأموىّ (د) . أمير مصر . عن أبيه وأبى هريرة وعُقْبة بن عامر . وعنه ابنه عمر أمير المؤمنين ، والزّهرىّ وطائفة . وثّقَهُ النَّسائىّ

---

(١) تهذيب التهذيب ٦ : ٨١ .
(٢) تهذيب التهذيب ٦ : ١٥٤ .
(٣) تهذيب التهذيب ٦ : ١٦٨ .
(٤) فى حاشية الأصل : « شماسة ، بكسر المعجمة وتخفيف الميم » .
(٥) تهذيب التهذيب ٦ : ٢١٧
(٦) تهذيب التهذيب ٦ : ٢٩٣ .

وابن سعد . مات سنة اثنتين – وقيل خمس – وثمانين[١] .

٤٠ – عبـد العزيز بن أبي الصعبة التيميّ مولاهم المصريّ (س ، م) . عن أبيه ، وأبي أفلح الهَمْدانيّ ، وعنه يزيد بن أبي حبيب . وثّقه ابن حِبّان[٢] .

٤١ – عبيد بن ثمامة المُراديّ المصريّ (د) . عن عبد الله بن الحارث بن جزء ، وعنه عبد الملك بن أبي كريمة[٣] .

٤٢ – عمّار بن سَعْد التُّجيبيّ . شهد فتح مصر . عن عمرو بن العاص وأبي الدرداء ، وعنه الضحاك بن شُرحبيل . مات سنة خمس ومائة[٤] .

٤٣ – عمرو بن مالك الهَمْدانيّ أبو عليّ الجَنبيّ المصريّ (٣) . عن أبي سعيد الخدريّ وفضالة بن عبيد ، وثّقه ابن مَعين[٥] .

٤٤ – عمرو بن الوليد بن عَبَدَة المصريّ[٦] (د) . عن ابن عمرو وقيس بن سعد ، وعنه يزيد بن أبي حَبيب . شهد فتح مصر . ومات سنة مائة وثّقه ابن حِبّان .

٤٥ – عمران بن عبد الله المَعافريّ المصريّ (د ، ه) . عن ابن عمر ، وعنه عبدالرحمن ابن زياد بن أنعم . ضعّفه ابنُ معين .

٤٦ – عيسى بن هـلال الصَّدَفيّ المصريّ . عن ابن عمرو ، وعنه درّاج . وثّقه ابن حبّان .

٤٧ – قيصر التُّجيبيّ المصريّ . عن ابن عمرو ، وعنـه يزيد بن أبي حبيب ومكحول . وثّقه ابن حبّان وأبو حاتم .

---

(١) تهذيب التهذيب ٦ : ٣٥٦ .
(٢) تهذيب التهيب ٦ : ٣٤١ .
(٣) تهذيب التهذيب ٧ : ٦١ .
(٤) تهذيب التهذيب ٧ : ٤٠٢ .
(٥) تهذيب التهذيب ٨ : ٩٥ .
(٦) تهذيب التهذيب ٨ : ١١٦ .

٤٨ ـ كليب بن ذُهل الحضرمىّ المصرىّ (د) . عن عبيد بن جبر ، وعنه يزيد بن أبى حبيب . وثقه ابن حِبّان .

٤٩ ـ لهيعة بن عُقبة الحضرمىّ (ه) ـ والد عبد الله ـ المصرىّ . عن سفيان بن وهب الصحابىّ ، وعنه يزيد بن أبى حبيب وغيره . وثقه ابن حِبّان . مات سنة مائة [1] .

٥٠ ـ مالك بن سعد التُّجيبىّ (حم) . عن ابن عباس ، وعنه مالك بن جبر الزّيادىّ . قال أبو زُرعة : مصرىّ لا بأس به . وثقه ابن حِبّان .

٥١ ـ محمد بن هَدِيّة الصَّدفىّ (حم) . عن ابن عمرو ، وعنه شراحيل المَعافرىّ . وثقه ابنُ حِبّان . وقال ابن يونس : ليس له غير حديث واحد [2] .

٥٢ ـ مسلم بن مخشىّ المُدلجىّ أبو معاوية المصرىّ (د،ن،ه) . عن ابن الفراسىّ ، وعنه بكر بن سوادة . وثقه ابنُ حِبّان [3] .

٥٣ ـ مسلم بن يسار المصرىّ أبو عثمان الطُّنْبذىّ (م، د، ت) . عن ابن عمر وأبى هريرة . مات بإفريقيّة زمن هشام بن عبد الملك [4] .

٥٤ ـ المغيرة بن أبى بُردة العبدرىّ المصرىّ . عن أبى هريرة ، وعنه سعيد بن مسلمة المخزومىّ . وثقه النّسائىّ وغيره [5] .

٥٥ ـ المغيره بن نهيك الحَجْرِىّ المصرىّ . عن عُقْبة بن عامر ، وعنه عثمان بن ابن نعيم الرّعينىّ [6] .

٥٦ ـ منصور بن سعيد بن الأصبغ الكلبى المصرىّ (د) . عن دِحية ، وعنه أبو الخير مَرثد . قال العِجْلى : تابعىّ ثقة [7] .

---

(١) تهذيب التهذيب ٨ : ٤٥٨ .
(٢) تهذيب التهذيب ٩ : ٤٩٥ .
(٣) تهذيب التهذيب ١٠ : ١٣٧ .
(٤) تهذيب التهذيب ١٠ : ١٤١ .
(٥) تهذيب التهذيب ١٠ : ٢٥٦ .
(٦) تهذيب التهذيب ١٠ : ٢٧١ .
(٧) تهذيب التهذيب ١٠ : ٣٠٧ .

٥٧ ـ ناعم بن أُجَيْل الهَمْدانى أبو عبد الله المصرىّ (٤) مولى أمّ سلمة . عنها وعن عثمان وعلىّ وابن عمر وابن عبّاس ، وعنه الأعرج ويزيد بن أبى حبيب[١] .

٥٨ ـ هشام بن أبى رقيّة المصرىّ . عن ابن عمرو ، وعقبة بن عامر ومَسلمة بن مخلد ، وعنه عمرو بن الحارث وغيره . وثّقه ابن حِبّان[٢] .

٥٩ ـ الهيثم بن شَفِىّ الرّعَينىّ المصرىّ أبو الحصين (د، ن، ه) . عن ابن عمرو ، وأبى ريحانة ، وعنه يزيد بن أبى حبيب[٣] .

٦٠ ـ الوليدبن قيس بن الأخرم التُّجيبىّ المصرىّ (د،ت) . عن أبى سعيد الخُدْرى ، وعنه ابنه عبد الله وسالم بن غَيْلان ويزيد بن أبى حبيب . وثّقه ابنُ حِبّان[٤] .

٦١ ـ يزيد بن رَبَاح أبو فراس المصرىّ (م،ه) . عن مولاه ابن عمرو وابن عمر وأمّ سلمة ، وعنه الزّهرىّ وبكر بن سوادة . مات سنة تسعين[٥] .

٦٢ ـ يزيد بن صُبْح المصرىّ . عن عُقْبة بن عامر ، وعنه عمرو بن الحارث وجماعة . وثّقه ابن حِبّان[٦] .

٦٣ ـ أبو أفلح الهمْدانىّ المصرىّ (د، ت، ه) . عن عبد الله بن زُرَيْر الغافقىّ ، وعنه بكر بن سوادة وغيره[٧] .

٦٤ ـ أبو الخطاب المصرىّ (ت) . عن أبى سعيد الخُدرىّ ، وعنه أبو الخير اليَزَنى .

---

(١) تهذيب التهذيب ١٠ : ٤٠٣ .
(٢) ذكره ابن عبد الحكم فى فتوح مصر ٢٥٦ ، وذكر حديثا رواه عن عبدالله بن عمرو ، وهو : « لا طائر ولا عدوى ولا هامة ولا جد والعين حق » .
(٣) تهذيب التهذيب ١١ : ٩٨ ، وقال : « شفى ، بفتح الشين المعجمة وتخفيف الفاء ، ضبطه الدارقطنى ، وقال : من ضم الشين وثقل فقدوهم » .
(٤) تهذيب التهذيب ١١ : ١٤٦ .
(٥) تهذيب التهذيب ١١ : ٣٢٤ .
(٦) تهذيب التهذيب ١١ : ٣٣٨ .
(٧) تهذيب التهذيب ١٢ : ١٣ ، وفى الأصل : « أبو مليح » ، وأثبت ما فى ح ، ط وتهذيب التهذيب .

قال النسائي : لا أعرفه(١)

٦٥ ـ أبو طلحة درع بن الحارث الخولاني المصري . شهد فتح مصر . عن أبي ذر ، وعنه يزيد بن أبي حبيب(٢) .

٦٦ ـ أبو عامر عبد الله بن جابر الحجري المصري (د،ن) . عن أبي ريحانة الأزدي ، وعنه الهيثم بن شفي الرعيني وعبد الملك بن عبد الله الخولاني(٣) .

٦٧ ـ أبو عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري المصري (م،ن) . قيل اسمه مرة . عن أبيه وأخيه عياض وابن عمرو ، عنه عبد الكريم بن الحارث وغيره . وثقه ابن حبان(٤) .

٦٨ ـ أبو عياش المعافري المصري (د،ه) . عن جابر وأبي هريرة ، وعنه يزيد بن أبي حبيب وغيره ، لا يعرف اسمه(٥) .

٦٩ ـ أبو الهيثم كثير المصري (د،ت) . مولى عقبة بن عامر . عن مولاه ، وعنه كعب بن علقمة التنوخي(٦) .

٧٠ ـ يزيد الخولاني المصري الكبير . (ن) . عن فضالة بن عبيد ، وعنه عطاء بن دينار .

* * *

---

(١) تهذيب التهذيب ١٢ : ٨٦ .
(٢) تهذيب التهذيب ١٢ : ١٣٩ .
(٣) تهذيب التهذيب ١٢ : ١٤٥ ؛ ونقل عن ابن يونس أنه قال : « من حجر الأزد » .
(٤) تهذيب التهذيب ١٢ : ١٦٠ .
(٥) تهذيب التهذيب ١٢ : ١٩٤
(٦) تهذيب التهذيب ١٢ : ٢٧٠ .

ومن صغار التابعين طبقة قتادة والزّهرىّ

٧١ ـ إسحاق بن أَسِيد الأنصارى الخُراسانى (د،ه) . نزيل مصر . عن نافع وعطاء ، وعنه الليث وطائفة . قال الذهبىّ : ليّن[١] .

٧٢ ـ إسماعيل بن يحيى المَعافرىّ المصرىّ (د) . عن سهل بن معاذ ، وعنه عبد الله ابن سليمان الطويل . فى حديثه نَكارة[٢] .

٧٣ ـ بكر بن عمرو المعافرىّ المصرىّ (ع) . إمام جامعها ، عن عِكْرِمَة وبُكَير بن الأشج ، وعنه ابن لَهِيعة . مات فى خلافة المنصور[٣] .

٧٤ ـ ثبات بن ميمون المصرى (قد) . عن ثعلب الأسلمىّ ونافع مولى ابن عمر ، وعنه عمرو بن الحارث[٤] .

٧٥ ـ الجُلاح أبو كثير الأموى المصرىّ (د ، ر ، ه) . مولى عبد العزيز ابن مَرْوان . عن أبى سلمة بن عبد الرحمن وحَنَش الصّنعانىّ ، وعنه عمرو بن الحارث والليث . قال ابن يونس : كان عمر بن عبد العزيز قد جعل إليه القصص بالإسكندرية . مات سنة عشرين ومائة[٥] .

٧٦ ـ الحارث بن سعيد العُتَقىّ المصرىّ (د،ه) . عن عبد الله بن مُنين ، وعنه نافع ابن يزيد وابن لَهِيعة . مجهول[٦] .

---

(١) تهذيب التهذيب ١ : ٢٢٧ .

(٢) تهذيب التهذيب ١ : ٣٣٦ ، ميزان الاعتدال ١ : ٢٥٤ ، وقال : « فيه جهالة » .

(٣) تهذيب التهذيب ١ : ٤٨٥ ، ميزان الاعتدال ١ : ٣٤٧ .

(٤) تهذيب التهذيب ٢ : ٢١ . قال فى التقريب : « ثبات ، بفتح المثلثة والموحدة الثقيلة ، وقيل : الخفيفة آخره مثناة » .

(٥) تهذيب التهذيب ٢ : ١٣٦ .

(٦) تهذيب التهذيب ٢ : ١٤١ . والعتقى ، ضبطه فى اللباب : « بالضم والفتح وقاف » وقال : « نسبة إلى العتقى والعتقاء » .

٧٧ ـ الحارث بن يعقوب الأنصاريّ المصريّ (م ، ت ، ن) العابد . مولى قيس بن سعد بن عُبادة ، والد الفقيه عمرو . عن سهل بن سعد وعبد الرحمن بن شماسة ، وعنه ابنهُ عمرو والليث . وثقّه ابن مَعين وغيرُه (١) .

٧٨ ـ حِبّان بن أبي جَبَلة المصريّ القرشيّ (تخ) . عن ابن عباس وابن عُمر وعَمرو بن العاص وابنه ، وعنه موسى بن عليّ بن رباح . مات بإفريقيّة سنة اثنتين وعشرين ومائة (٢) .

٧٩ ـ حجاج بن شدّاد الصّنعانيّ المصريّ (د) . عن أبي صالح الغِفاريّ ، وعنه حَيْوَة بن شُريح وعِدّة . وثقّه ابن حِبّان . ومات سنة تسع وعشرين ومائة (٣) .

٨٠ ـ حُكيم بن عبد الله بن قيس بن مَخرمة بن المطّلب المطّلبيّ المِصريّ (٤) . عن ابن عُمر وَعامر بن سعد ، وعنه يزيد بن أبي حبيب والليث . مات سنة ثماني عشرة ومائة .

٨١ ـ حُكيم بن عبد الرحمن المصريّ أبو غَسّان (قد) . عن الحسن البصريّ . وعنه الليث .

٨٢ ـ درّاج بن سمعان أبو السَّمح المصريّ القاصّ (٤) . مولى عبدالله بن عمرو بن العاص . يقال : اسمُه عبد الرحمن ، ودرّاج لقب . عن عبد الله بن الحارث بن جزء ، وعنه الليث . مات سنة ست وعشرين ومائة (٤) .

٨٣ ـ خَير بن مالك الكَلاعيّ الحِميريّ (د) . قاضي الإسكندرية . عن ابن عمرو ، قال الدّارقطني : عِداده في المصريين .

---

(١) ذكره ابن عبد الحكم في فتوح مصر ٢٩٢ .
(٢) تهذيب التهذيب ٢ : ١٧١ .
(٣) تهذيب التهذيب ٢ : ٢٠٢ .
(٤) تهذيب التهذيب ٣ : ٢٠٨ .

٨٤ ـ راشد بن جَنْدل اليافعى (حم) . عن حبيب بن أوس الثَّقفىّ ، وعنه يزيد بن أبى حبيب . وثقه ابن حِبّان ، وقال : يروى المراسيل [١] .

٨٥ ـ راشد الثقفىّ (حم) . مولى حبيب بن أوس . عن مولاه ، وعنه يزيد بن أبى حبيب . وثقه ابن حِبّان ، وقال : يروى المراسيل .

٨٦ ـ ربيعة بن سُليم التُّجيبىّ المصرىّ (ت) . عن حَنَش الصَّنعانىّ ، وبشر بن عبيد الله ، وعنه يحيى بن أيوب وابن لَهيعة . وثقه ابن حِبّان [٢] .

٨٧ ـ ربيعة بن سيف المَعافرىّ الإسكندرانىّ (٣) . عن فضالة بن عبيد ، وعنه اللّيث . قال الدّارقطنىّ : مصرىّ صالح . تُوفِّىَ فى حدود عشرين ومائة [٣] .

٨٨ ـ ربيعة بن لقيط التُّجيبىّ المصرىّ (حم) . عن عبد الله بن حَوالة ومالك بن هُبيرة ، وعنه يزيد بن أبى حبيب وغيره . وثقه ابن حِبّان .

٨٩ ـ زبّان بن عبدالعزيز بن مَرْوان الأموىّ (حم) . عن أخيه عمر بن عبد العزيز ، وعنه أسامة بن زيد والليث . قال ابنُ حِبّان فى الثقات : يروى المراسيل ، وكان أحد الفُرْسان . قتل ببو صير مع مَرْوان الحمار سنة اثنتين وثلاث ومائة .

٩٠ ـ زاهر بن معبد بن عبدالله بن هشام التيمى أبو عقيل (حم ، ٤) . نزيل مصر ، عن جدّه ، وله صحبة ، وعن ابن عمرو بن الزبير . مات بالإسكندرية سنة خمس وثلاثين ومائة عن سنّ عالية ، وذكر أنه كان من الأبدال .

٩١ ـ زياد بن عبيد الحميرىّ المصرىّ (ع) . عن رُويفع بن ثابت وعُقْبة بن عامر ، وعنه حيوة بن شُريح . ذكره ابنُ حِبّان فى الثقات [٤] .

٩٢ ـ سعد بن سنان ـ ويقال سنان بن سعد ، ويقال سعيد بن سنان ـ الكندىّ

---

(١) تهذيب التهذيب ٣ : ٢٢٤ .

(٢) تهذيب التهذيب ٣ : ٢٥٥ .

(٣) تهذيب التهذيب ٣ : ٢٥٥ .

(٤) تهذيب التهذيب ٣ : ٣٧٩ .

المصرىّ (د ، ت ، هـ) . عن أنس وغيره ، وعنه يزيد بن أبى حبيب فقط . قال النسائىّ ليس بثقة [١] .

٩٣ ـ سليمان بن راشد المصرىّ (ع) . عن عبد الله بن رافع الحضرمىّ ، وعنه خالد ابن يزيد وسعيد بن أبى هلال . ذكره ابن حِبّان فى الثقات [٢] .

٩٤ ـ سليمان بن زياد الحضرمىّ المصرىّ (هـ) . عن عبد الله بن الحارث بن جزء ، وعنه ابنه غوث وابنُ لَهيعة . وثّقه ابنُ مَعِين ، وقال أبو حاتم : شيخ صحيح الحديث .

٩٥ ـ سهل بن معاذ بن أنس الجهنىّ (د ، ت ، هـ) . شامىّ نزل مصر . عن أبيه ، وعنه الليث وثَوْر بن يزيد . وثّقه ابنُ حِبّان [٣] .

٩٦ ـ سويد الجُذَامىّ (حم) . عن أبى عُشّانة المعافرىّ ، وعنه ابنه معروف .

٩٧ ـ سيّار بن عبدالرحمن الصَّدَفِىّ المصرىّ (د ، هـ) عن حنش الصّنعانىّ وعِكْرمة ، وعنه ابن لَهيعة واللّيث . وثّقه ابن حِبّان ، وضعّفه ابنُ مَعِين [٤] .

٩٨ ـ صالح بن أبى غريب قُلَيب بن حَرْمل الحضرمىّ (د ، ت ، هـ) . عن خلّاد ابن السائب . وعنه كثير بن مرّة ، وعنه حَيْوة بن شُريح واللّيث . وثّقه ابن حِبّان .

٩٩ ـ عامر بن يحيى المَعَافرىّ أبو خُنَيس [٥] المصرىّ (م ، ت ، هـ) . عن ابن عمر ، وفضالة بن عبيد ، وعنه الليث . مات قبل عشرين ومائة [٦] .

١٠٠ ـ عبد الله بن ثعلبة الحضرمىّ المصرىّ (د) . عن عبد الرحمان بن حُجيرة . وثّقه ابن حِبّان [٧] .

---

(١) تهذيب التهذيب ٣ : ٤٧١ .
(٢) تهذيب ٤ : ١٩٢ .
(٣) تهذيب التهذيب ٤ : ٢٥٨ .
(٤) تهذيب التهذيب ٤ : ٢٩١ .
(٥) بضم المعجمة ثم ن .
(٦) تهذيب التهذيب ٥ : ٨٤ .
(٧) تهذيب التهذيب ٥ : ١٦٦ .

١٠١ — عبدالله بن راشد الزَّوْفِي[1] أبو الضَّحاك المصريّ (د ، ت ، ه) . عن عبد الله ابن أبي مرّة ، وعنه يزيد بن حَبيب . وثقه ابنُ حِبّان [2] .

١٠٢ — عبد الله بن مالك بن حُذافة (د ، ن) . حجازيّ نزل مصر . عن أم العالية بنت سُبَيع ، وعنه كثير بن فرقد فقط[3] .

١٠٣ — عبدالله بن هبيرة السَّبَئِي[4] الحضرمي أبو هبيرة المصريّ (٣) . عن أبي تميم الجيشانيّ وقبيصة بن ذؤيب . مات سنة ست وعشرين ومائة [5] .

١٠٤ — عبد الكريم بن الحارث الحضرميّ المصريّ العابد أبو الحارث (٤) . عن المستورد بن شداد وعنه الليث . قال ابن يُونس : كان من العبّاد المجتهدين . مات ببرقة سنة ست وثلاثين ومائة [6] .

١٠٥ — عثمان بن نُعيم الرّعينيّ المصريّ (ه) . عن المغيرة بن نَهيك ، وعنه ابن لَهيعة فقط . قال في التّهذيب : فيه نظر [7] .

١٠٦ — عطاء بن دينار الهُذليّ أبو الرّيان المصريّ (د ، ت) . عن أبي يزيد الخولانيّ ، وعنه حَيوة بن شُريح . وثّقه أحمد . مات سنة ست وعشرين ومائة [8] .

١٠٧ — عقبة بن مسلم التُّجيبيّ أبو محمد القاصّ المصريّ (٣) . إمام جامعها ، عن ابن عمر وابن عمرو ، وعنه حَيْوة بن شُريح . وثّقه العِجليّ . مات قريباً من سنة عشرين ومائة[9] .

---

(١) ضبطه في لب اللباب : بفتح الزاي المعجمة وسكون الواو وفاء » نسبة إلى زوف ، بطن من مراد .
(٢) تهذيب التهذيب ٥ : ٢٠٥ .
(٣) تهذيب التهذيب ٥ : ٣٨٠ .
(٤) تهذيب التهذيب : « السبائي » .
(٥) تهذيب التهذيب ٦ : ٦١ .
(٦) تهذيب التهذيب ٦ : ٣٧١ .
(٧) تهذيب التهذيب ٧ : ١٥٦ .
(٨) تهذيب التهذيب ٧ : ١٩٨ .
(٩) تهذيب التهذيب ٧ : ٢٤٩ .

١٠٨ ـ عمر بن السائب المصرىّ ، مولى بنى زُهرة (د) : عن أسامة بن زيد ، وعنه ابن لَهيعة والليث . وثّقه ابن حِبّان [١] .

١٠٩ ـ عمرو بن جابر الحضرمىّ أبو زُرعة المصرىّ (ت ، ه) . عن جابر بن عبد الله وسهل بن سعد ، وعنه ابنه عمران وابنُ لَهيعة . قال النسائىّ : ليس بثقة .

١١٠ ـ عمران بن أبى أنس العامرىّ المصرىّ (٣) . عن أبى هريرة وسلمان الأغرّ ، وعنه ابنه عبد الحميد ويزيد بن أبى حبيب . مات سنة سبع عشرة ومائة [٢] .

١١١ ـ قيس بن رافع الأشجعىّ المصرىّ أبو رافع (قد) . عن ابن عمر ابن عَمرو وأبى هريرة ، وعنه ابنُ لَهيعة وعبد الكريم بن الحارث ويزيد بن أبى حبيب . ذكره ابن حِبّان فى الثقات [٣] .

١١٢ ـ قيس بن سالم المَعافرىّ أبو جزرة المصرى (س) . عن عمر بن عبد العزيز وأبى أمامة بن سهل بن حنيف ، وعنه بكر بن مُضر والليث ويحيى بن أيوب . ذكره ابنُ حِبّان فى الثّقات [٤] .

١١٣ ـ كعب بن علقمة بن كعب التَّنوخِىّ المِصرىّ (٣) . عن سعيد بن المسيّب ، وعنه الليث . مات سنة ثلاثين ومائة [٥] .

١١٤ ـ مشرح بن هاعان المَعافرىّ أبو المصعب المصرىّ (د ، ت ، ه) . عن عُقبة ابن عامر ، وعنه الليث . وثقه ابنُ مَعين ، وقال ابن حِبّان : يروى عن عُقبة مناكير لا يتابع عليها . مات قريبا من سنة عشرين ومائة [٦] .

١١٥ ـ موسى بن وردان المصرىّ القاصّ أبو عمرو (٣) . عن جابر وأبى سعيد

---

(١) تهذيب التهذيب ٧ : ٤٥٠ .

(٢) تهذيب التهذيب ٨ : ١٢٢ .

(٣) تهذيب التهذيب ٨ : ١٥٦ .

(٤) تهذيب التهذيب ٨ : ٣٩٥ .

(٥) تهذيب التهذيب ٨ : ٤٣٦ .

(٦) تهذيب التهذيب ١٠ : ١٥٥ .

وأبي هريرة ، وعنه ابنه سعيد ، والليث وابن لهيعة . وثقه أبو داود والعجلي ، وضعفه أبو حاتم ، وقال الدار قطني : لا بأس به . مات سنة سبع عشرة ومائة [١] .

١١٦ ـ واهب بن عبد الله المعافري المصري (٤) . عن ابن عمر وأبي هريرة ، وعنه ابن لهيعة . وثقه ابن حبان . مات سنة سبع وثلاثين ببرقة [٢] .

١١٧ ـ وفاء بن شُريح الصّدفي المصري (د) . عن سهل بن سعد والمستورد بن شداد ، وعنه بكر بن سوادة وزيادة بن نُعيم . وثقه ابن حبان .

١١٨ ـ يزيد بن عمرو المعافري المصري (د ، ت ، ه) . عن ابن عمرو ، وعنه الليث وابن لهيعة . قال أبو حاتم : لا بأس به [٣] .

١١٩ يزيد بن محمد بن قيس المطلبي المصري (خ ، د ، ن) . عن أبي الهيثم العُتْواري ومحمد بن عمرو بن حَلْحَلَة ، وعنه الليث ويزيد بن أبي حبيب . وثقه ابن حبان [٤] .

١٢٠ ـ أبو طعمة هلال مولى عمر بن عبد العزيز القارئ (د ، ه) . عن ابن عمر ، ومولاه وعنه ابن لهيعة . شامي سكن مصر ، ضعفه أبو أحمد الحاكم ، ووثقه غيره [٥] .

١٢١ ـ أبو عيسى الخراساني ـ نزل مصر ـ قيل اسمه سليمان بن كيسان ، وقيل محمد بن عبد الله (د) . عن الضحاك وعطاء ، وعنه حَيْوة بن شُريح وابنُ لَهيعة . وثقه ابن حبان [٦] .

---

(١) تهذيب التهذيب ١٠ : ٣٧٦ .
(٢) تهذيب التهذيب ١١ : ١٠٨ .
(٣) تهذيب التهذيب ١١ : ٣٥١ .
(٤) تهذيب التهذيب ١١ : ٣٥٨ .
(٥) تهذيب التهذيب ١٢ : ١٣٧ .
(٦) تهذيب التهذيب ١٢ : ١٩٦ .

طبقة أخرى أصغر من التى قبلهـــا

وهى طبقة الأعمش وأبو حنيفة

١٢٢ ـ إبراهيم بن نشيط الوعلانىّ (د ، ن ، ه) . دخل على عبد الله بن الحارث بن جَزْء ، وروى عن نافع والزّهرىّ ، وعنه الليث وابنُ وهب . وثّقه أبو زُرْعة وغيره . مات سنة إحدى ـ أو اثنتين ـ وستين ومائة . وقال الذهبىّ : مصرىّ تابعىّ ، غزا القسطنطينية زمن سليمان[(١)] .

١٢٣ ـ بشير بن أبى عمرو الخولانىّ المصرىّ أبو الفتح (عم) . عن عِكْرمة والوليد ابن قيْس التُّجيبىّ . وعنه حَيْوة بن شُريح وابن لهيعـة والليث . قال أبو زُرعة : مصرى ثقة[(٢)] .

١٢٤ ـ جعفر بن ربيعة الـكندىّ أبو شُرحبيل المصرىّ (ع) . رأى عبد الله بن الحارث بن جزء ، وروى عن الأعرج ، وعنه الليث . قال أحمد : كان شيخاً من أصحاب الحديث . ثقة . مات سنة ست وثلاثين ومائة[(٣)] .

١٢٥ ـ حرملة بن عمران التُّجيبىّ أبو حفص المصرىّ (م، د، ن، ه) . جدّ حرملة ابن صاحب الشافعىّ . عن عبد الرحمن بن شماسـة ، وعنه المبارك وابن وَهْب . وثّقه أحمد ويَحيى[(٤)] .

١٢٦ ـ حسان بن عبد الله المصرى (ن) . عن سعيد بن أبى هلال ، وعنه حَيوة بن شُريح وغيره . وثقه ابن حِبّان[(٥)] .

---

(١) تهذيب التهذيب ١ : ١٧٥ .
(٢) تهذيب التهذيب ١ : ٤٦٦
(٣) تهذيب التهذيب ٢ : ٩٠ .
(٤) تهذيب التهذيب ٢ : ٢٢٨ .
(٥) تهذيب التهذيب ٢ : ٢٥٠ .

١٢٧ ـ الحسن بن ثوبان الهَوْزَنِىّ المصرىّ أبو ثوبان (هـ) . عن عِكْرمة ، وعنه الليث . وثّقه ابن حبّان . قال ابنُ يونس : كان له عبادة وفضل . مات سنة أربع وخمسين ومائة[1] .

١٢٨ ـ حفص بن الوليد بن سيف الحضرمىّ أبو بكر المصرّى (ن) . أمير مصر . عن الزهرىّ ، وعنه الليث . وثّقه ابنُ حِبّان . استُشهد بمصر فى شوال سنة ثمان وعشرين ومائة[2] .

١٢٩ ـ حميد بن زياد أبو صَخر المدنىّ الخرّاط (م ، د ، ت ، هـ) . سكن مصر . عن نافع والمقْبُرِىّ ، وعنه ابن وهب وجماعة[3] .

١٣٠ ـ حميد بن زياد الأصبحىّ . مصرىّ . حكى عن عمر بن عبد العزيز[4] .

١٣١ ـ حميد بن هانئ أبو هانئ الخولانىّ المصرىّ (٤) . عن أبى عبد الرحمن الحُبُلىّ وعلىّ بن رباح ، وعنه ابن لَهيعة واللّيث وابن وهب . مات سنة اثنتين وأربعين ومائة[5] .

١٣٢ ـ حنين بن أبى حكيم المصرىّ . عن علىّ بن رباح ومكحول ونافع . وعنه الليث وابن لَهيعة . وثّقه ابن حِبّان[6] .

١٣٣ ـ حيىّ بن عبد الله بن شريح المعَافرىّ الحُبُلىّ أبو عبد الله المصرىّ (٤) . عن أبى عبد الرحمن الحُبُلىّ . وعنه اللّيث وابن لَهيعة وابن وهب : قال ابن معين : ليس به بأس ، وضعّفه النّسائىّ . وقال أحمد : أحاديثه مناكير . مات سنة ثلاث وأربعين ومائة[7] .

(١) تهذيب التهذيب ٢ : ٢٥٩ .
(٢) تهذيب التهذيب ٢ : ٤٢١ .
(٣) تهذيب التهذيب ٣ : ٤١ .
(٤) تهذيب التهذيب ٣ : ٤٢ .
(٥) تهذيب التهذيب ٣ : ٥٠ .
(٦) تهذيب التهذيب ٣ : ٦٤ .
(٧) تهذيب التهذيب ٣ : ٧٢ .

١٣٤ ـ دُويد بن نافع أبو عيسى الشامىّ (د ، ن ، هـ) . نزل مصر . ويقال ذُويد. عن أبى صالح السّمانّ والزُّهرىّ ، وعنه ابنه عبد الله والليث . قال ابنُ حِبّان : مستقيم الحديث [١] .

١٣٥ ـ راشد بن يحيى ـ ويقال ابن عبد الله أو يحيى ـ المعافرىّ (حم) . عن أبى عبد الرحمن الحُبُلِىّ ، وعنه ابن لَهِيعة وعبد الرحمن بن زياد الإفريقىّ .

١٣٦ ـ رُزَيق الثّقفىّ . عن عبد الرحمٰن بن شِماسة ، وعنه ابن لَهيعة . مجهول .

١٣٧ ـ زَبّان بن فائد المصرىّ أبو جوين الحمزاوىّ (د ، ت ، هـ) . عن سهل بن معاذ بن أنس ، وعنه اللّيث وابن لهيعة . قال أحمد : أحاديثه مناكير . قال أبو حاتم : صالح مات سنة خمس وخمسين ومائة [٢] .

١٣٨ ـ زيادة بن محمد الأنصارىّ (د) . عن محمد بن كعب القُرظىّ ، وعنه اللّيث وابن لَهيعة . قال البخارىّ وغيره : منكر الحديث.

١٣٩ ـ سالم بن غيلان التُّجيبىّ المصرىّ (٣) . عن يزيد بن أبى حبيب، وعن ابن لَهيعة وابن وهب . قال أحمد وغيره : ليس به بأس .

١٤٠ ـ سعيد بن أبى هلال اللّيثى أبو العلاء المصرىّ (٣ ، هـ) . عن نافع وعدّة، وعنه اللّيث . مات سنة تسع وأربعين ومائة [٣] .

١٤١ ـ سعيد بن يزيد الحميرىّ القِتْبانىّ أبو شجاع الإسكندرانىّ (٣) . عن خالد بن أبى عمران ودرّاج ، وعنه الليث . قال ابن يونس : كان من العبّاد . ثقة فى الحديث . مات سنة أربع وخمسين ومائة [٤] .

١٤٢ ـ شراحيل بن يزيد المَعافرىّ أبو محمّد المصرىّ (د) . عن أبى قُلابة ، وعنه ابن لهيعة . وثّقه ابن حِبّان [٥] .

---

(١) تهذيب التهذيب ٣ : ٢١٤ .
(٢) تهذيب التهذيب ٣ : ٣٠٨ .
(٣) تهذيب التهذيب ٤ : ٩٤ .
(٤) تهذيب التهذيب ٤ : ١٠١ .
(٥) تهذيب التهذيب ٤ : ٣٢٠ .

١٤٣ ـ شُرَحْبِيل بن شَرِيك المَعافرىّ أبو محمد المصرىّ (م ، د ، هـ) . عن أبى عبد الرحمن الحُبُلىّ . وعنه اللّيث وأبو لَهيعة [(١)] .

١٤٤ ـ الضّحاك بن شُرحبيل بن عبدالله الغَافِقىّ المصرىّ (د ، هـ) . عن ابن عمر وأبى هريرة وزيد بن أسلم ، وعنه ابن لَهيعة وحَيْوة بن شُريح . وثّقه ابن حِبّان [(٢)] .

١٤٥ ـ طلحة بن أبى سعيد الإسكندرانىّ أبو عبد الملك المصرىّ (خ ، هـ) . عن سعيد المقبُرىّ ، وعنه الليث وابن وهب . وثّقه أبو زُرْعة وغيره [(٣)] .

١٤٦ ـ عبد الله بن جُنادة المَعافرىّ المصرىّ (حم) . عن أبى عبد الرحمن الحُبُلىّ ، وعنه يحيى بن أيوب وسعيد بن أبى أيوب . وثّقه ابنُ حِبّان .

١٤٧ ـ عبد الله بن سليمان بن زُرْعة الحِمْيرىّ أبو حمزة المصرىّ الطويل (د ، ت) عن نافع ، وعنه اللّيث ومفضّل بن فَضالة ، وثّقه ابنُ حِبّان [(٤)] .

١٤٨ ـ عبد الرحمن بن خالد بن مُسافِر الفَهمىّ أبو خالد (خ ، م ، ت ، ن) . أمير مصر ، عن الزُّهرىّ ، وعنه الليث . قال ابن يونس : كان ثَبْتاً فى الحديث . مات سنة سبع وعشرين ومائة [(٥)] .

١٤٩ ـ عبد الرحمن بن زياد بن أَنْعُم الشّعبانىّ الإفريقىّ (د ، ت ، هـ) . قاضى إفريقيّة . عِداده فى أهل مصر . عن أبيه وأبى عبد الرحمن الحُبُلىّ ، وعنه ابن المبارك وابن وهب . رواه أحمد وغيره . وقال التِّرمذىّ : رأيت البخارىّ يقوى[(٦)] أمره ، ويقول ، هو مقارب الحديث . مات سنة ست وخمسين ومائة [(٧)] .

١٥٠ ـ عبد الرحمن بن نمران (هـ) . مصرىّ . عن أبى الزُّبير المكىّ ، وعنه أبو شُرَيح ، كذا وقع فى نسخ ابن ماجه ، والصواب : عبد الله . قاله المزّى وغيره .

(١) تهذيب التهذيب ٤ : ٣٢٣ .
(٢) تهذيب التهذيب ٤ : ٤٤٤ .
(٣) تهذيب التهذيب ٥ : ١٦ .
(٤) تهذيب التهذيب ٥ : ٢٤٥ .
(٥) تهذيب التهذيب ٦ : ١٦٥ .
(٦) كذا فى ح ، ط وهو الصواب ، وفى الأصل : يقول ، تحريف .
(٧) تهذيب التهذيب ٦ : ١٧٣ .

١٥١ ــ عبد الجليل بن حُميد اليحصبيّ أبو مالك المصريّ (ن) . عن الزُّهريّ وأيوب السَّختيانيّ ، وعنه ابن وهب وآخرون . قال النَّسائيّ : ليس به بأس . مات سنة ثمان وأربعين ومائة (١) .

١٥٢ ــ عبد الرحيم بن ميمون المُزَنيّ (د ، ت ، ن) . نزيل مصر أبو مرحوم المعافريّ . عن سهل بن معاذ وعليّ بن رَباح ، وعنه سعيد بن أبي أيوب وابن لَهيعة . ضعّفه ابن معين . وقال ابن ماكولا : زاهد ، يعرف بالإجادة والفضل . مات سنة ثلاث وأربعين ومائة (٢) .

١٥٣ ــ عبيد الله بن المغيرة السَّبئيّ أبو المغيرة المصريّ (ت ، ه) . عن عبد الله ابن الحارث بن جزء ، وعنه ابن لهيعة وطائفة . قال أبو حاتم : صدوق ، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة (٣) .

١٥٤ ــ عبيد بن سَوِيّة بن أبي سوية الأنصاريّ المصريّ (د) . عن عبد الرحمن ابن حُجيرة ، وعنه حَيْوة بن شُريح وجماعة . مات سنة خمس وثلاثين ومائة (٤) .

١٥٥ ــ عميرة بن أبي ناجية الرُّعينيّ أبو يحيى المصريّ (ن) . عن أبيه وبكر بن سوادة . وعنه ابن لَهيعة والليث . وثّقه النّسائيّ (٥) .

١٥٦ ــ العلاء بن كثير الإسكندرانيّ (ت) . مولى قريش أبو محمد . عن توبة بن نمر الحَضْرميّ وسعيد بن المسيّب ، وعنه بكر بن مُضر وحَيْوة بن شريح والليث . قال أبو زُرعة : مصريّ ثقة . وقال ابنُ يونس : كان مستجابَ الدّعوة . مات بالإسكندرية سنة أربع وأربعين ومائة (٦) .

---

(١) تهذيب التهذيب ٦ : ١٠٦ .
(٢) تهذيب التهذيب ٦ : ١٠٦ .
(٣) تهذيب التهذيب ٧ : ٤٩ .
(٤) تهذيب التهذيب ٧ : ٦٧ .
(٥) تهذيب التهذيب ٨ : ١٥٢ .
(٦) تهذيب التهذيب ٨ : ١٩٠ .

١٥٧ ـ عياش بن القِتْبانىّ أبو عبد الرحيم المصرىّ (٤) . عن بُكير بن الأشجّ وأبى عبد الرحمن الحُبُلىّ . وعنه ابناه : عمرو وعبد الله ، وحيْوةَ بن شُريح والليث [1] .

١٥٨ ـ قُباث بن رُزَيْن اللخمىّ أبو هاشم المصرىّ (ن) . عن عِكْرِمَة وعلىّ بن رَباح ، وعنه ابن لَهِيعة وعِدّة . وثّقهُ ابنُ حبّان . وقال أحمد : لا بأس به [2] .

١٥٩ ـ قرّة بن عبد الرحمن بن حَيوئيل [3] المعافرىّ أبو محمد المصرىّ (٤) . عن أبيه والزُّهرىّ . وعنه الأوزاعىّ والليث [4] .

١٦٠ ـ قيس بن الحجّاج بن خلى الكلاعىّ الحِميرىّ المصرىّ (ت ، ه) . عن حَنَش الصّنعانىّ وأبى عبد الرّحمن الحُبُلىّ ، وعنه ابنُ لهيعة والليث . وثّقه ابنُ حبّان [5] .

١٦١ ـ مالك بن خير الزبادىّ المصرىّ (حم) . عن مالك بن سعد التُّجيبىّ وأبى قَبِيل المَعافرىّ . وعنه حَيْوة بن شُريح وابنُ وهب . وثّقه ابن حبّان .

١٦٢ ـ محمد بن شُمَير الرّعينىّ المِصرىّ أبو الصباح (ن) . عن أبى علىّ الجنبىّ ، وعنه عبد الرحمن بن شُرَيح . وثّقه ابنُ حبّان [6] .

١٦٣ ـ محمد بن يزيد بن أبى زياد الثَّقَفِىّ (د ، ت ، ه) . نزيل مصر . عن أبيه ونافع ، وعنه يزيد بن أبى حبيب وعِدّة . قال أبو حاتم : مجهول [7] .

١٦٤ ـ معروف بن سعيد التُّجيبىّ المِصرىّ (ه) . عن يزيد بن أبى حبيب ، وعنه بقية وأبو مطيع . وثّقه ابن حِبّان .

(١) تهذيب التهذيب ٨ : ١٩٧ .
(٢) تهذيب التهذيب ٨ : ٣٤٢ .
(٣) ضبطه فى التقريب : « بمهملة مفتوحة تحتانية وزن جبرئيل » .
(٤) تهذيب التهذيب ٨ : ٣٧٢ .
(٥) تهذيب التهذيب ٨ : ٣٨٩ .
(٦) تهذيب التهذيب ٩ : ٢٢٤ .
(٧) تهذيب التهذيب ٩ : ٥٢٤ .

١٦٥ ـ معروف بن سويد الجُذامي أبو سَلَمة المصري (د ، ه) . عن أبيه وعلي بن رباح وأبي عُشّانة ، وعنه ابنُ لَهيعَة وابن وَهْب . وثقه ابنُ حِبّان (١) .

١٦٦ ـ موسى بن أيوب بن عامر الغافقي المصري (د ، ن) . عن أبيه إياس وعِكْرمة ، وعنه الليث وابنُ لَهيعة . وثقه يحيى وأبو داود وابن المديني (٢) .

١٦٧ ـ أبو معن المصري عبد الواحد بن أبي موسى الإسكندراني (ن) . عن أبي عَقيل زُهرة بن مَعْبد ويزيد بن أبي حَبيب ، وعنه ابن المبارك وغيرُه . وكان عابداً ناسكاً (٣) .

١٦٨ ـ ابن حرشف الأزدي . لعلّه تميم . عن القاسم بن عبدالرحمن ، وعنه عمرو بن الحارث المصري (٤) .

١٦٩ ـ أبو يزيد الخَوْلاني المصري الصغير . عن سيّار الصَّدَفي ، وعنه ابنه ومروان الطّاطري ، وأثنى عليه خيراً (٥) .

---

(١) تهذب التهذيب ١٠ : ٢٣١ .
(٢) تهذيب التهذيب ١٠ : ٣٣٦ .
(٣) تهذيب التهذيب ١٢ : ٢٤٣ .
(٤) تهذيب التهذيب ١٢ : ٢٩٠ .
(٥) تهذيب التهذيب ١٢ : ٢٧٩ .

ذكر مشاهير أتباع التابعين

الذى خرّج لهم أصحاب الكتب الستة من أهل مصر

١٧٠ ـ عمرو بن الحرث ، حَيْوَة بن شُريح ، يَحيى بن أيّوب الغافقىّ . بكْر بن مُضَر ، اللّيث بن سعد بن لَهِيعَة ، المفضّل بن فَضَالة . يأتون .

١٧١ ـ جابر بن إسماعيل الحضرمىّ المصرىّ (م،د،ن،هـ) . عن حُيَىّ بن عبد الله وعُقَيل بن خالد . وعنه وهْب . وثّقه ابنُ حِبّان [١] .

١٧٢ ـ الحكم بن عَبدة الشَّيبانىّ ـ ويقال الرُّعينى ـ أبو عبدة البَصْرِىّ . نزل مصر . عن أبى هارون العَبْدِىّ وأيّوب السَّخْتِيانىّ ، وعنه ابنُه وجماعة . ضعّفه الأزدىّ [٢] .

١٧٣ ـ خالد بن حميد أبو حُميد المهرىّ المصرىّ الإسكندرانىّ (م) . عن بكْر بن عمرو المَعافرىّ وأبى عُقَيل زهرة بن مَعْبد ، وعنه ابنُ وهب وعبد الله بن صالح ، كاتب اللّيث ، وآخر من حدّث [٣] عنه بمصر [٤] .

١٧٤ ـ روحْ بن جَناح المصرىّ . ذكره ابن حِبّان فى الثّقات . مات بالإسكندريّة سنة تسع وستين ومائة [٥] .

١٧٥ ـ خلاّد بن سُليمان الحَضْرمىّ أبو سليمان المصرىّ (ن) . عن نافع ، وعنه ابنُ وهب . وثّقه ابن الجُنيد . وقال ابن يونس : كان من الخالفين [٦] . مات سنة ثمان وسبعين ومائة [٧] .

---

(١) تهذيب التهذيب ٢ : ٣٧ .
(٢) تهذيب التهذيب ٢ : ٤٣٢ .
(٣) فى الأصل : « حديث » ، صوابه من ح ، ط .
(٤) تهذيب التهذيب ٣ : ٨٣ .
(٥) تهذيب التهذيب ٣ : ٢٩٢ .
(٦) ط ح : « الخائفين »
(٧) تهذيب التهذيب ٣ : ١٧٢ .

١٧٦ ـ سعيد بن عبد الرحمن المصرى (د) . عن سهل بن أبى أمامة ، وعنه ابن وهب وغيره . وثقه ابنُ حِبان[١] .

١٧٧ ـ سعيد بن أبى أيوب مِقْلاص الخُزاعى أبو يحيى المصرى (د) . عن يزيد بن أبى حبيب ، وعنه ابنُ وهب . مات سنة إحدى وستين ومائة ، وقد نيَّف عن الستين[٢] .

١٧٨ ـ ضِمام بن إسماعيل المصرى (تخ) . عن أبى قَبيل المعافرى . قال أبو حاتم : كان صدوقا متعبِّداً . وقال فى العبر : هو من مشاهير المحدِّثين . مات بالإسكندرية سنة خمس وثمانين ومائة[٣] .

١٧٩ ـ طَيْسان الإسكندرانى (حم) . عن أبى شَراحيل، عن بلال، عن أبيه ، وعنه الهيثم بن خارجة . مجهول كشيخه .

١٨٠ ـ عاصم بن حكيم (د) . عن موسى بن علىّ بن رَباح ، وعنه ابن وهب وضمرة ابن ربيعة . وثقه ابن حِبان[٤] .

١٨١ ـ عبد الله بن سُويد بن حِبان أبو سليمان المصرى (د) . عن عَيَّاش القِتْبانى ، وعنه ابنُ وهب وسعيد بن أبى مريم ويحيى بن بُكير . ذكره ابنُ حبان فى الثقات[٥] .

١٨٢ ـ عبد الله بن طَريف أبو خُزَيمة المصرى (ن) . عن عبد الكريم بن الحارث ، وعنه ابن وهب . مجهول[٦] .

---

(١) تهذيب التهذيب ٤ : ٥٧ .
(٢) تهذيب التهذيب ٤ : ٧ .
(٣) تهذيب التهذيب ٤ : ٤٥٨ .
(٤) تهذيب التهذيب ٥ : ٤٠ .
(٥) تهذيب التهذيب ٥ : ٢٤٨ ، وقال : « مات سنة اثنتين ومائة » .
(٦) تهذيب التهذيب ٥ : ٢٦٨ .

١٨٣ ـ عبد الله بن المسيّب أبو السّواد المصرىّ (د) . عن عكرمة ،وعنه ابن وهب. وثقه ابنُ حِبّان .

١٨٤ ـ عبدالله بن عيّاش بن عباس القِتْبَانىّ المصرىّ (م ، هـ) . عن أبيه والزّهرىّ، وعنه اللّيث وابن وهب . مات سنة سبعين ومائة[١] .

١٨٥ ـ عبد الرحمن بن سلمان الحجْرىّ الرُّعينىّ المصرىّ (م ، ن) . عن عمرو بن أبى عمرو ويزيد بن عبد الله بن الهاد ، وعنه ابن وهب فقط. قال ابنُ يونس : ثقة ،وقال أبو حاتم : مضطرب الحديث[٢] .

١٨٦ ـ عبد الرحمن بن شُريح بن عبد الله المَعافرىّ أبو شريح الإسكندرانىّ (تع) . عن أبى الزُّبير ، وعنه ابن وهب . مات سنة سبع وستين ومائة[٣] .

١٨٧ ـ عمر بن مالك الشَّرعبىّ المَعافرىّ المصرىّ (م ، د ، هـ) . عن عبيد الله بن أبى جَعْفر ويزيد بن عبد الله بن الهادِ ، وعنه ابن لهيعةَ وابن وهب . قال أبو زُرْعة : صالح الحديث[٤] .

١٨٨ ـ عياش بن عُقبة الحضرمىّ المصرىّ (د ، ن ، ر) . عن موسى بن وَرْدان ، وعنه ابن المبارك . قال النّسائىّ والدّارقطنىّ : ليس به بأس[٥] .

١٨٩ ـ عياض بن عبد الله بن عبد الرحمن الفهرى المدَنىّ (م ، د ، ن ، هـ) . نزيل مصر . عن الزُّهرىّ ، وعنه ابن لَهيعة واللّيث[٦] .

١٩٠ ـ الماضى بن محمد المصرىّ الغافِقى . عن مالك وغيره ، وعنه ابن وهب فَقَطْ . قال أبو حاتم : لا أعرفه ، وحديثه باطل[٧] .

---

(١) تهذيب التهذيب ٥ : ٣٥٠ .
(٢) تهذيب التهذيب ٦ : ٢٨٧ .
(٣) تهذيب التهذيب ٦ : ١٩٣ .
(٤) تهذيب التهذيب ٧: ٤٩٢ .
(٥) تهذيب التهذيب ٨ : ١٩٨ .
(٦) تهذيب التهذيب ٨ : ٢٠١ .
(٧) تهذيب التهذيب ١٠ : ٢

١٩١ ـ موسى بن سلمة بن أبى مريم المصرىّ (ن) . عن داود بن أبى هند ، وعنه ابن أخته سعيد بن الحكم وابنُ وهب . وثّقه ابن حِبّان(١) .

١٩٢ ـ موسى بن علىّ بن أبى رَبَاح اللّخمىّ . أمير مصر أبو عبد الرحمن . عن أبيه ، والزُّهرىّ ، وعنه أسامة بن زيد اللّيثىّ وابن المبارك واللّيث . وثّقه يحيى والعِجْلىّ والنّسائىّ وأبو حاتم . مات بالإسكندرية سنة ثلاث وستين ومائة(٢) .

١٩٣ ـ نافع بن يزيد الكَلاعىّ أبو يزيد المصرىّ (خ ، م ، د ، ن ، ه) . عن حَيْوَةَ ابن شُريح وهشام بن عُروة ، وعنه بَقِيّة وسعيد بن الحكم . مات سنة ثمان وستين ومائة(٣) .

١٩٤ ـ الوليد بن المُغيرة المَعافرىّ المصرىّ أبو العباس (مد) . عن مشرح بن هاعان ، وعنه ابنُ وهب وعبد الله بن يوسف التِّنِّيسى . ذكره ابن حِبّان فى الثقات . مات فى ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين ومائة(٤) .

١٩٥ ـ يحيى بن أزهر المصرىّ (د) . عن أفلح بن حُميد وعمّار بن سعد . وعنه ابن وهب وجماعة . وثّقه ابن حِبّان(٥) .

١٩٦ ـ يحيى بن عبد الرحمن الكنانىّ أبو شيبة المصرىّ . عن زيد بن أبى أنيسة وعمر بن عبد العزيز ، وعنه هُشيم والوليد ومسلم وغيرهما . وثّقه ابنُ حِبّان(٦) .

١٩٧ ـ يزيد بن عبد العزيز الرُّعينىّ المصرىّ (ن) . عن يزيد بن محمد القُرشىّ ، وعنه سعيد بن أبى أيوب وابن لَهيعة . وثّقه ابن حِبّان(٧) .

---

(١) تهذيب التهذيب ١٠ : ٣٤٦ .
(٢) تهذيب التهذيب ١٠ : ٣٦٣ .
(٣) تهذيب التهذيب ١٠ : ٤١٢ .
(٤) تهذيب التهذيب ١١ : ١٥٥ .
(٥) تهذيب التهذيب ١١ : ١٧٦ .
(٦) تهذيب التهذيب ١١ : ٢٠٠
(٧) تهذيب التهذيب ١١ : ٣٤٦ .

١٩٨ ـ يزيد بن يوسف الفارسىّ (ن) . مصرىّ مجهول . قاله الذّهبىّ [١] .

أبو خيرة (حم) . عن موسى بن وَرْدان ، وعنه سعيد بن أبى أيوب . عِداده فى المصريين . قيل هو محب بن خُوَيْلم .

١٩٩ ـ أبو عبد الله القُرَشِىّ (د) . عن أبى بُردة بن أبى موسى ، وعنه سعيد بن أبى أيوب . حديثه فى المصريين .

٢٠٠ ـ إبراهيم بن أعْيَن الشَّيبانىّ البصرى (ه) . نزيل مصر . عن شعبة وعِكْرمة بن عمار ، وعنه سعيد الأشجّ وهشام بن عمّار . قال أبو حاتم : منكَر الحديث [٢] .

٢٠١ ـ رِشْدين بن سعد الفِهرىّ أبو الحجاج المصرىّ (ت ، ه) . عن عقيل ويُونس بن زيد ، وعنه قتيبة وأبو كُريب وهّاه ابنُ مَعين وغيره . وقال ابنُ يونس : كان رجلا صالحا لا شكّ فى صلاحه وفضله ، فأدركتْه غَفْلةُ الصّالحين . مخلّط فى الحديث . مات سنة ثمان وثمانين ومائة [٣] .

٢٠٢ ـ عبد الرحمن بن عبد الحميد اللهرىّ مولاهم أبو رجاء المصرىّ المكفوف (د،ن) . . عن عُقَيل بن خالد وأبى هانئ ، وعنه ابن أخته أبو الطّاهر ابن السّرح وغيره . وثّقه أبو داود . مات سنة اثنتين وتسعين ومائة [٤] .

٢٠٣ ـ عمرو بن أبى نعيمة المَعافرىّ . عن مسلم بن يَسار ، وعنه بكر بن عمرو المَعافرىّ . وثّقه ابن حِبّان . وقال الدّار قطنىّ : مصرىّ مجهول ، يترك [٥] .

---

(١) تهذيب التهذيب ١١ : ٣٧٣ .
(٢) تهذيب التهذيب ١ : ١٠٩ .
(٣) تهذيب التهذيب ٣ : ٢٧٧ ، ورشدين ، ضبطه فى التقريب : « بكسر الراء المهملة وسكون المعجمة » .
(٤) تهذيب التهذيب ٦ : ٢١٩ .
(٥) تهذيب التهذيب ٨ : ١١٠ .

٢٠٤ – منصور بن وَرْدان (ن،هـ) . مصرىّ . عن سالم ، وعنه الليث وجماعة . وثقه ابن حبّان[1] .

٢٠٥ – مُوسى بن شيبَة الحضرمىّ المصرىّ(هـ) . عن الأوزاعىّ ، وعنه ابنُ وهب. وثقه ابن حِبان[2] .

٢٠٦ – يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد القارى (هـ) . نزيل الإسكندرية . عن أبيه وموسى بن عُقبة ، وعنه ابن وهب . وثّقه ابن معين . مات سنة إحدى وثمانين ومائة[3] .

***

طبقة تلى هـــــذه

٢٠٧ – بشر بن بكر البَجَلىّ التِّنِّيسىّ أبوعبد الله (خ،د،ن،هـ) . عن جرير بن عثمان والأوزاعىّ ، وعنه الشافعىّ والحُمَيدىّ . مات سنة خمس ومائتين[4] .

٢٠٨ – حبيب بن أبى حبيب أبو محمـد المصرىّ . كاتب مالك . عنه وعن ابن أبى ذِيب ، وعنه أحمد بن الأزهر وخَلْق . كذّبه أحمد وأبو داود . مات بمصر سنة ثمانى عشرة ومائتين[5] .

٢٠٩ – حجّاج بن إبراهيم الأزرق البغـدادىّ (د،ن) نزيل مصر . وعنه الرّبيع المُرادىّ والذّهلىّ وأبو حاتم . وثّقه العجلىّ وأبو حاتم وابن يونس[6] .

٢١٠ – الخصيب بن ناصح الحـارثىّ (س) . بصرىّ ، نزل مصر . عن الثورىّ

---

(١) تهذيب التهذيب ١٠ : ٣١٦ .
(٢) تهذيب التهذيب ١٠ : ٣٤٨ .
(٣) تهذيب التهذيب ١١ : ٣٩٢ .
(٤) تهذيب التهذيب ١ : ٤٤٢ .
(٥) تهذيب التهذيب ٢ : ١٨٢ .
(٦) تهذيب التهذيب ٢ : ١٩٥ .

وابن عُيينة وشُعْبَة ، وعنه أحمد بن عبد المؤمن المصرىّ والربيع بن سليمان المُرادىّ وعبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم . ذكره ابن حِبّان فى الثّقات[١] .

٢١١ ـ زياد بن يونس أبو سَلامة الحضرمىّ الإسكندرانىّ (د،ن) . عن مالك والليث ، وعنه يونس بن الأعلى وعِدّة . قال ابن حِبّان : مستقيم الحديث . توفّىَ بمصر سنة إحدى عشر ومائتين[٢] .

٢١٢ ـ سعيد بن زكريا الأدم المصرىّ أبو عثمان (ت) عن بكر بن مصر وسُليمان ابن القاسم الزّاهد المصرىّ وابن وَهْب والليث والمفضل بن فَضالة ، وعنه أبو الطاهر بن الشرح والحارث بن مسكين . قال ابنُ يونس : كان له عبادة وفَضْل . مات بإخميم سنة سبع ومائتين[٣] .

٢١٣ ـ سعيد بن عيسى بن تليد الرُّعينىّ القِتْبانىّ المصرىّ (خ،س) . عن ابن وَهْب والشافعى وابن فضالة ، وعنه البخارىّ وأبو حاتم . مات فى ذى الحجّة سنة تسع عشرة ومائتين[٤] .

٢١٤ ـ شعيب بن الليث بن سعد المصرىّ (م، د، ت) . عن أبيه وموسى بن علىّ ، وعنه ابنه عبد الملك ويونس بن عبد الأعلى . وثّقه ابنُ حبّان . وقال ابن يونس : كان فقيهاً مفتياً ، من أهل الفضل . مات سنه تسع ومائتين[٥] .

٢١٥ ـ شعيب بن يحيى بن السّائب التُّجيبى أبو يحيى المصرىّ (ن) . عن مالك والليث . وعنه الحارث بن مسكين وغيره . وثّقه ابنُ حِبّان . وقال ابن يونس : كان رجلا صالحا . مات سنة إحدى وتسعين ومائتين[٦] .

---

(١) تهذيب التهذيب ٣ : ١٤٣ .
(٢) تهذيب التهذيب ١٠ : ٣٨٩ .
(٣) تهذيب التهذيب ٤ : ٣٠ .
(٤) تهذيب التهذيب ٤ : ٧٠ .
(٥) تهذيب التهذيب ٤ : ٣٥٥ .
(٦) تهذيب التهذيب ٤ : ٣٥٧ .

٢١٦ ـ طَلْق بن السَّمح بن شُرحبيل المصرى الإسكندرانىّ أبو السمح (ن) . عن حيوة بن شُريح وابن لهيعة ، وعنه ابنه حَيْوة والرّبيع الجيزىّ وسعيد بن عُفير وعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم . مات بالإسكندرية سنة إحدى عشرة ومائتين [1] .

٢١٧ ـ عبد الله بن يحيى المَعافرىّ البُرلّسى أبو يحيى (خ،د) . عن حيوة بن شُريح والليث . وعنه حَفْص بن مُسافر وآخرون . مات سنة اثنتى عشرة ومائتين [2] .

٢١٨ ـ علىّ بن معبد بن شدّاد العبدىّ (د،ن) . نزيل مصر . عن مالك والشافعىّ وابن عُلَيّة ، وعنه إسحاق الكوسج وأبو حاتم . ووثّقهُ . قال ابن يونس : قدم مصر مع أبيه ، ومات بها فى رمضان سنة ثمانى عشرة ومائتين [3] .

٢١٩ ـ عمرو بن خالد بن فروخ التميمىّ أبو الحسن الجزرىّ . نزيل مصر . عن زهير بن معاوية وحمّاد بن سلمة . وعنه البخارى وأبو زُرعة وأبو حاتم وخلق . ووثّقه العِجْلىّ وغيره [4] .

٢٢٠ ـ عمرو بن الربيع بن طارق الهلالىّ الكوفىّ المصرىّ (خ ، م ،د) . عن مالك وابن لَهيعة والليث ، وعنه البخارىّ وابن معين وأبو حاتم . مات سنة تسع عشرة ومائتين [5] .

٢٢١ ـ القاسم بن كثير بن النعمان أبو العباس (ت ، ن) . قاضى الإسكندرية . عن الليث وغيره . وعنه الدارمىّ وآخرون . وثّقه النّسائىّ وغيره [6] .

---

(١) تهذيب التهذيب ٤ : ٣٥٧ .
(٢) تهذيب التهذيب ٦ : ٧٧ .
(٣) تهذيب التهذيب ٧ : ٣٨٤ .
(٤) تهذيب التهذيب ٨ : ٢٥ .
(٥) تهذيب التهذيب ٨ : ٣٣ .
(٦) تهذيب التهذيب ٨ : ٣٣٠ .

٢٢٢ ـ ليث بن عاصم بن كُليب القِتْبانىّ أبو زُرارة المصرىّ (ن) . عن ابن جريج . وعنه يونس بن عبد الأعلى وغيره . قال ابن يونس : كان رجلا صالحا . مات سنة إحدى عشرة ومائتين [١] .

٢٢٣ ـ ليث بن عاصم الخولانىّ المصرىّ . إمام جامع مصر زمن الرّشيد. عن الحسن ابن ثَوْبان ، وعنه ابن وهب وغيره . وثّقه ابنُ حِبّان [٢] .

٢٢٤ ـ محمد بن عاصم بن جعفر المَعافرى المصرىّ (ه) . عن مالك وعدّة ، وعنه الذّهلى وغيرُه . وثّقهُ ابن يونس . مات فى صفر سنة خمس عشرة ومائتين [٣] .

٢٢٥ ـ النضر بن عبد الجبّار بن نُصير المرادىّ أبو الأسود المصرىّ الزاهد العابد . (د ، ن ، ه) . عن ابن لَهيعة واللّيث ونافع بن يزيد ، وعنه أبو عبد القاسم ومحمد بن إسحاق الصنعانىّ . وثّقه ابن مَعين والنّسائى . مات سنة تسع عشرة ومائتين [٤] .

٢٢٦ ـ يحيى بن حسّان التِّنّيسىّ أبو زكريا . عن حماد بن سلمة ومعاوية بن سلاّم ومالك والليث . وكان إماما حُجّة من جملة المصريين . مات فى رجب سنة ثمان ومائتين [٥] .

٢٢٧ ـ أحمد بن إشكاب الحضرمىّ أبو عبد الله الصفّار الكوفىّ (خ) . نزيل مصر . عن شريك ومحمد بن فُضيل ، وعنه البخارىّ وبكر بن سهل . قال أبو حاتم : ثقة مأمون صدوق . كتبت عنه بمصر . مات سنة سبع عشرة أو بعدها ومائتين [٦] .

٢٢٨ ـ إسماعيلَ بن مسلمة بن قعنب القعنبىّ المدنىّ (ه) . نزيل مصر . عن شعبة والحمّادَيْن ، وعنه أبو زُرْعة وأبو حاتم ، وقال : صدوق . ووثّقه الحاكم [٧] .

---

(١) تهذيب التهذ ٨ : ٤٦٨ .
(٢) تهذيب التهذيب ٨ : ٤٦٩ .
(٣) تهذيب التهذيب ٩ : ٢٤٠ .
(٤) تهذيب التهذيب ١٠ : ٤٤٠ .
(٥) تهذيب التهذيب ١١ : ١٩٧ .
(٦) تهذيب التهذيب ١ : ١٦ .
(٧) تهذيب التهذيب ١ : ٣٣٥ .

٢٢٩ ـ حسان بن عبد الله بن سهل الكندى أبو على الواسطىّ (خ ، ن ، هـ) . نزيل مصر . عن اللّيث وابن لَهِيعة،وعنه البخارىّ وأبو حاتم ، ووثّقه . قال ابنُيونس: صدوق حسن الحديث . مات بمصر سنة اثنتين وعشرين ومائتين [١] .

٢٣٠ ـ خلف بن خالد القرشىّ مولاهم أبو المهنأ المصرىّ (خ) . عن الليث وابن لَهِيعة وعنه البخارىّ . مات قبل الثلاثين ومائتين [٢] .

٢٣١ ـ خلف بن خالد أبو المضاء المصرىّ . عن يحيى بن أيوب [٣] .

٢٣٢ ـ زكريا بن يحيى بن صالح القُضاعى المصرىّ القاضى كاتب العمرىّ(م) . عن المفضّل بن فضالة ، وعنه مسلم . قال ابن يونس : كانت القضاة تقبله . مات فى شعبان سنة اثنتين وأربعين ومائتين [٤] .

٢٣٣ ـ سعيد بن شبيب الحضرمى أبو عثمان المصرىّ (د،ن) . عن مالك وخلف ابن خليفة ، وعنه أبو داود وأبو حاتم والجوزجانىّ ، وقال : كان شيخا صالحا [٥] .

٢٣٤ ـ عبد الغنىّ بن رفاعة اللّخمىّ المصرىّ(د) . عن ابن عُيينة ، وعنه ، أبو داود والطّحاوىّ . مات سنة خمس وخمسين ومائتين [٦] .

٢٣٥ ـ عمرو سوادبن الأسودالعامرىّ السرحىّ المصرىّ (م ، ن ، هـ) . عن الشافعىّ وابن وَهْب . وعنه مسلم والنسائىّ وابن ماجه . مات سنة خمس وأربعين ومائتين [٧] .

٢٣٦ ـ عيسى بن حمّاد بن مسلم التُّجيبىّ أبو موسى المصرىّ زُغبة (م،د) . عن ابن وَهْب والليث . وعنه مسلم وأبو داود والنّسائىّ وابن ماجه . مات سنة ثمان وأربعين ومائتين [٨] .

---

(١) تهذيب التهذيب ٢ : ٢٥٠ .
(٢) تهذيب التهذيب ٣١ : ١٥٠ .
(٣) تهذيب التهذيب ٣ : ١٥٠ .
(٤) تهذيب التهذيب ٣ : ٣٣٦ .
(٥) تهذيب التهذيب ٤ : ٤٧ .
(٦) تهذيب التهذيب ٦ : ٣٦٦ .
(٧) تهذيب التهذيب ٨ : ٤٥ .
(٨) تهذيب التهذيب ٨ : ٢٠٩ .

٢٣٧ ـ أخوه أحمد أبو جعفر المصرىّ (ن). عن سعيد بن أبى مريم ويحيى بن بكير، وعنه النّسائى وقال: صالح. وقال ابن يونس: كان ثقةً مأموناً، بلغ أربعا وتسعين سنة، ومات سنة ست وتسعين ومائتين[1].

٢٣٨ ـ قيس بن حفص البصرىّ. نزيل مصر. كان حاجباً للقاضى بكار[2].

٢٣٩ ـ محمد بن إبراهيم بن سليمان الكِندىّ أبو جعفر البزّاز الضرير (د). نزيل مصر. عن عبد السلام بن حَرْب، وعنه أبو داود، وأبو حاتم. وقال: صدوق. ووثّقه ابنُ حبّان. مات بمصر فى آخر سنة ثمان وأربعين ومائتين.

٢٤٠ ـ محمد بن الحارث بن راشد الأموىّ مولاهم أبو عبد الله المصرىّ المؤذن (ه). عن ابن لهيعة واللّيث، وعنه ابن ماجه وغيره. قال ابنُ حِبّان فى الثقات: يُغْرِب[3].

٢٤١ محمد بن أبى ناجية داود بن رزق بن ناجية أبو عبدالله المهرىّ الإسكندرانىّ.[4] عن أبيه وابن وَهْب. وعنه أبو دَاود والنّسائىّ؛ ووثّقه. وقال ابن حِبّان: مستقيم الحديث، مات سنة خمسين ومائتين[5].

٢٤٢ ـ محمد بن سلمة بن عبد الله المُرادىّ أبو الحارث المصرىّ (م، د، ن، ه). عن ابن وهب. وعنه مسلم وأبو داود والنّسائىّ وابن ماجه. مات سنة ثمان وأربعين ومائتين[6].

٢٤٣ ـ محمد بن سوّار[7] بن راشد الأزدىّ أبو جعفر الكوفىّ (د). نزيل مصر.

---

(١) تهذيب التهذيب ١ : ٢٥.

(٢) تهذيب التهذيب ٨ : ٣٩٠، وهو القاضى بكار بن قتيبة.

(٣) تهذيب التهذيب ٩ : ١١.

(٤) تهذيب التهذيب ٩ : ١٠٤.

(٥) تهذيب التهذيب ٩ : ١٥٤.

(٦) تهذيب التهذيب ٩ : ١٩٣.

(٧) كذا ضبط فى التقريب بتشديد الواو.

عن عبد السلام بن حَرْب ، وعنه أبو داود وأبو حاتم . قال ابنُ حِبّان فى الثقات: يُغرب[1] .

٢٤٤ ـ محمد بن هشام بن أبى خيرة[2] السَّدوسىّ البَصرىّ (ح،د،ن) . نزيل مصر. عن ابن عُيينة ويحيى القَطّان ، وعنه أبو داود والنَّسائىّ وأبو حاتم ، وقال : صدوق. وقال ابنُ يونس : كان ثقة ثَبتًا حسن الحديث ، مات بمصر سنة إحدى وخمسين ومائتين[3] .

٢٤٥ ـ موسى بن هارون بن بشير القيسىّ أبو عمرو الكوفىّ المعروف بالبُنّى[4] . (خ ، ن ، د). عن ابن وهب والوليد بن مسلم ، وعنه محمد بن يحيى الذُّهلىّ. مات بالفيوم فى جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين ومائتين[5] .

٢٤٦ ـ وهب بيان الواسطىّ (د، ن) . نزيل مصر . عن ابن عُيينَة وابن وهب، وعنه أبو داود والنَّسائىّ ووثّقه . مات سنة ست وأربعين ومائتين[6] .

٢٤٧ ـ يحيى بن سليمان بن يحيى أبو سعيد الكوفىّ الُجعفىّ (خ،ت) . نزيل مصر. عن ابن وهب والدّراوردىّ ، وعنه البُخارىّ وأبو زُرْعة وأبو حاتم . قال ابن حِبّان فى الثقات : رُبّما أغرب[7] .

٢٤٨ ـ يوسف بن عدىّ التّيمى الكوفىّ (خ،ن) . نزيل مصر . عن مالك وشريك، وعنه ابنه محمد والبخارىّ مات بمصر[8] .

---

(١) تهذيب التهذيب ٩ : ٢٠٩ .
(٢) حيرة ، ضبطه فى التقريب ، « بكسر المعجمة ، وفتح التحتانية » .
(٣) تهذيب التهذيب ٩ : ٤٩٦ .
(٤) فى المشتبه للذهبى : « نسبة إلى البن » ، وفى تهذيب التهذيب : « البردى » .
(٥) تهذيب التهذيب ١٠ : ٣٧٥ .
(٦) تهذيب التهذيب ١١ : ١٦٠ .
(٧) تهذيب التهذيب ١١ : ٢٢٧ .
(٨) تهذيب التهذيب ١١ : ٤١٧ .

٢٤٩ ـ يوسف بن عمرو بن يزيد الفارسيّ أبو يزيد المصريّ (د، ن) . عن ابن لهيعة ومالك والليث ، وعنه ابنُه أبو سعيد يزيد وآخرون . مات كهلاً[١] .

* * *

طبقة تلي هـــذه

٢٥٠ ـ أحمد بن سعـد ، ابن أبي مريم[٢] أبو جعفر المصريّ (د، ن) . عن عمّه سعيد وابن معين وأبي اليمان ، وعنه أبو داود ، والنّسائيّ وقال : لا بأس به . مات سنة ثلاث وخمسين ومائتين[٣] .

٢٥١ ـ أحمد بن سعيد بن بَشير[٤] الهمدانيّ أبو جعفر المصريّ (د) . عن ابن وهب والشّافعيّ ، وعنـه أبو داود ، وضعّفه النّسائيّ . مات سنـة ثلاث وخمسين ومائتين[٥] .

٢٥٢ ـ أحمد بن عبد الرحمن بن وهب القرشيّ أبو عبد الله المصريّ (م) . عن عمّه ابن وهب والشافعيّ ، وعنه مسلم وابن خُزيمة . ضعّفه النّسائيّ وابن يونس وابن عديّ وغيرهم . مات سنة أربع وستين ومائتين[٦] .

٢٥٣ ـ أحمد بن عيسى بن حسّان المصريّ بَخْشَل أبو عبد الله السّكران المعروف بالتُّسْتَريّ . كان متّجراً[٧] إلى تُستَر، فعرف بذلك . عن ابن وَهْب والمفضّل بن فضالة ،

---

(١) تهذيب التهذيب ١١ : ٤٢٠ .
(٢) في تهذيب التهذيب : أحمد بن سعد بن الحكم بن محمد بن سالم المعروف بابن أبي مريم » .
(٣) تهذيب التهذيب ١ : ٢٩ .
(٤) تهذيب التهذيب : « بشر » .
(٥) تهذيب التهذيب ١ : ٣١ .
(٦) تهذيب التهذيب ١ : ٥٤ .
(٧) ح ، ط : « يتجر » .

وعنه البخاريّ ومسلم والنسائيّ وابن ماجه . مات سنة ثلاث وأربعين ومائتين[١] .

٢٥٤ ـ أحمد بن يحيى الوزير التُّجيبيّ المصريّ (ن) . عن ابن وهب ، وعنه النَّسائيّ ووثّقه . قال ابنُ يونس : كان فقيهاً عالما بالشّعر والأدب والأخبار وأيام [الناس][٢] . مات في شوال سنة خمسين ومائتين[٣] .

٢٥٥ ـ أحمد بن أبي عَقيل المصريّ (د) . روى عنه أبو داود[٤] .

٢٥٦ ـ إبراهيم بن مرزوق بن دينار البصريّ (ن) . نزيل مصر . عن رَوْح بن عبادة ، وعنه النّسائيّ والطّحاويّ . قال النّسائيّ : صالح ، وقال الدّارقطني : ثقة ؛ إلا أنه كان يخطئ فيقال له فلا يرجع . مات سنة سبعين ومائتين[٥] .

٢٥٧ ـ الحارث بن أسد بن مَعقِل الهَمَذانيّ[٦] أبو الأسد المصريّ (ن) . عن بشر ابن بكر ، وعنه النّسائيّ ، ووثّقه . مات سنة ست وخمسين[٧] .

٢٥٨ ـ الحسن بن غُليب الأزديّ مولاهم المصريّ (ن) . عن سعيد بن أبي مريم ، وعنه النّسائيّ[٨] .

٢٥٩ ـ حمزة بن نصير الأسلميّ[٩] المصريّ العسّال (د) . عن سعيد بن أبي مريم ، وعنه أبو داود مات سنة خمس وخمسين ومائتين[١٠] .

٢٦٠ ـ سليمان بن داود بن حماد المهريّ أبو الربيع المصريّ (د،ن) . عن أبيه وجدّه لأمّه الحجّاج بن رشدين بن سعد وابن وهب ، وعنه أبو داود والنّسائيّ وزكريا

---

(١) تهذيب التهذيب ١ : ٦٤ .

(٢) من ح ، ط .

(٣) تهذيب التهذيب ١ : ٨٩ .

(٤) تهذيب التهذيب ١ : ٦١ ، وفيه : « روى عن ابن وهب » .

(٥) تهذيب التهذيب ١ : ١٦٣ .

(٦) ضبطه صاحب التقريب بسكون الميم .

(٧) تهذيب التهذيب ٢ : ١٣٤ .

(٨) تهذيب التهذيب ٢ : ٣١٥ . وضبطه : « غليب » ، بالتصغير .

(٩) ضبطة صاحب التقريب بضم اللام .

(١٠) تهذيب التهذيب ٣ : ٣٤ .

الساجى . وثقة النسائى ، وقال أبو داود : قلّ مَنْ رأيتُ فى فضله مثله . مات سنة ثلاث وخمسين ومائتين[١] .

٢٦١ ـ عبد الله محمد بن رُمح بن المهاجر التُّجيبى أبو سعيد المصرى (هـ) . عن ابن وهب ، وعنه ابن ماجه وغيره[٢] .

٢٦٢ ـ عبيد الله بن محمد بن عبد الله الرقّى المصرى أبو القاسم (ن) عن يحيى بن عبد الله بن بكير ، وعنه النسائى وقال : صالح[٣] .

٢٦٣ ـ علىّ بن عبد الرحمن المخزومى المصرى المعروف بعلان (ن) . عن أبيه وآدم ابن أبى إياس ، وعنه ابن جوصاء[٤] وخَلْق[٥] .

٢٦٤ ـ على بن معبد بن نُوح البغدادى ثم المصرى الصغير (ن) . عن يزيد بن هارون ، وعنه النسائى وابن جَوْصاء . وثقة العِجْلى ، وقال ابن حِبّان : مستقيم الحديث. قال الطحاوى : مات فى رجب سنة تسع وخمسين ومائتين[٦] .

٢٦٥ ـ عمر بن عبد العزيز بن مِقْلاص[٧] المصرى (ن) . عن أبيه ويحيى بن بُكير ، وعنه النسائى ووثقه[٨] .

٢٦٦ ـ عيسى بن إبراهيم بن عيسى بن مثرود الغافقى المصرى (د،ن) عن ابن عُيَينة وابن وهب ، وعنه أبو داود والنسائى ، وقال: لا بأس به[٩] .

---

(١) تهذيب التهذيب ٣ : ٣٤ . (٢) تهذيب التهذيب ٤ : ١٨٦ .

(٣) تهذيب التهذيب ٦ : ٨ ، وفى ح ، ط : « عبد الرحمن » ، وما أثبته يوافق ما فى الأصل وتهذيب التهذيب .

(٤) كذا فى ح ، ط ، وفى تهذيب التهذيب : أحمد بن عمير بن جوصاء » ، وفى الأصل : « حومناه » .

(٥) تهذيب التهذيب ٧ : ٤٦ .

(٦) تهذيب التهذيب ٧ : ٣٦٠ .

(٧) تهذيب التهذيب ٧ : ٣٨٥ .

(٨) ضبطه صاحب التقريب : « بكسر الميم وسكون القاف » .

(٩) تهذيب التهذيب ٧ : ٤٧٥ .

(١٠) تهذيب التهذيب ٨ : ٢٠٥ ، ومثرود ، ضبطه صاحب التقريب بمثلثة .

٢٦٧ ـ محمد بن عبد الله بن ميمون الإسكندرانيّ (د،ن) . عن ابن عيينة والوليد بن مسلم ، وعنه النَّسائيّ وأبو داود وأبو عَوانة. وثقه ابن يونس، وقال : مات بالإسكندرية سنة اثنتين ومائتين[١] .

٢٦٨ ـ محمد بن الوزير المصريّ (د) . عن الشافعيّ وبشر بن بكر وغيرهما ، وعنه أبو داود فقط[٢] .

٢٦٩ ـ محمد بن أحمد بن جعفر الذّهليّ الكوفيّ (ن) . نزيل مصر . أبو العلاء ، ويعرف بالوكيعيّ . عن أحمد وأبي الطّاهر بن السرح ، وعنه النّسائي وخَلق . وثقة ابنُ يونس . مات بمصر سنة ثلاثمائة ، عن ست وتسعين سنة[٣] .

٢٧٠ ـ ياسين بن عبد الأحد القِتْبانيّ المصريّ . عن أبيه وجدّه أبو زُرارة ونعيم ابن حمّاد ، وعنه النَّسائيّ وقال : لا بأس به . مات سنة تسع ومائتين[٤] .

٢٧١ ـ يحيى بن أيوب الخولانيّ المصريّ العلّاف (ن) . عن عبد الغفار بن داود الحرّانيّ ، وعنه النَّسائيّ وقال : صالح[٥] .

٢٧٢ ـ يزيد بن سنان الأمويّ أبو خالد القزاز(ن) . عن أبي عامر العَقَديّ ، وعنه النّسائيّ ووثقة . مات بمصر سنة أربع وستين ومائتين[٦] .

قلت : قد استوفيتُ في هذين الفصلين مع ما سيأتي رجال الكتب الستة ومسند أحمد من أهل مصر » .

---

(١) تهذيب التهذيب ٩ : ٢٨١ .

(٢) تهذيب التهذيب ٩ : ٥٠١ .

(٣) تهذيب التهذيب ٩ : ٢١ .

(٤) تهذيب التهذيب ١١ : ١٧٣ .

(٥) تهذيب التهذيب ١١ : ١٨٥ .

(٦) تهذيب التهذيب ١١ : ٣٣٥ .

ذكر من كان بمصر من الأئمة المجتهدين

١ ـ سليم بن عِتْر التُّجِيبىّ المصرىّ أبو سلمة . قاضى مصر وقاضيها وناسكها . من الطبقة الأولى من التابعين . شهد خطبة عمر بالجابية ، وكان يسمى النّاسك لكثرة فضله وشدّة عبادته ، وكان يختم فى كل ليلة ثلاث ختمات ، وهو أول من قَصّ بمصر سنة ثلاثين ، وولاه معاوية القضاء بها سنة أربعين ، فأقام قاضيا عشرين سنة . وهو أوّل من أسجل بمصر سجلاً فى المواريث . مات بدمياط سنة خمس وسبعين[1] .

٢ ـ أبو تميم الجيْشانىّ عبدالله بن مالك بن أبى الأسحم الرُّعينىّ المصرىّ (م،ن،ت). قرأ القرآن على معاذ ، وروى عن عمر وعلىّ ، وعنه أبو الخير اليَزَنِىّ وغيره . قال فى العِبَر : كان من عُبّاد أهل مصر وعلمائهم . مات سنة سبع وسبعين[2] .

٣ ـ أبو علقمة مولى بنى هاشم[4] . قال الذهبىّ فى التجريد : مصرىّ فقيه ، وقال ابن عدىّ : اسمه مسلم بن يسار ، روى عن عثمان وابن مسعود وأبى هريرة وطائفة ، وعنه أبو الزّبير المكىّ . قال أبو حاتم : أحاديثه صحاح[3] .

٤ ـ عبد الرحمن بن حُجَيرة[4] الخولانىّ أبو عبدالله المصرىّ[4] قاضى مصر . روى عن ابن مَسْعود وأبى ذَرّ وأبى هُرَيرة ، وكان عبد العزيز بن مَروان يرزقه فى السّنة ألف دينار فلا يدّخرها . وروى ابن لَهيعة عن عبيد الله المغيرة أن رجلاً سأل ابن عباس عن مسألة ، فقال : تسألنى وفيكم ابن حُجيرة ولده[5] !

---

(١) الولاة والقضاة للكندى ٣٠٣ .
(٢) العبر ١ : ٨٨ .
(٣) انظر العبر ١ : ١٢ .
(٤) على التصغير .
(٥) تهذيب التهذيب ٦ : ١٦٠ .

٥ ـ عبد الله أبو عبد الرحمن . قاضي مصر أيضا ، روى عن أبيه وغيره ، وكان عالماً زاهداً ورعا ، روى عنه عبد الله بن الوليد وغيره . وذكره ابن حِبّان في الثقات [١] .

٦ ـ مالك بن شراحيل قاضي مصر . مات سنة خمس وثمانين [٢] .

٧ ـ يونس بن عطية الحضرمىّ . قاضي مصر ، وكان على الشُّرَط أيضا ، مات سنة ست وثمانين [٣] .

٨ ـ أبو النجيب العامرى السَّرحىّ المصرىّ (د،ن) . قيل : اسمه ظليم . روى عن ابن عمر وأبي سعيد ، وعنه ابن بكر بن سوادة ، وكان فقيها . مات بإفريقيّة سنة ثمان وثمانين [٤] .

٩ ـ أبو الخير مرثد بن عبد الله اليَزَنىّ الحميرىّ . روى عن ثابت وابن عمرو وأبي أمامة ، وعُقبة بن عامر الجُهنىّ ، وعنه يزيد بن أبي حبيب وجعفر بن ربيعة وآخرون . قال ابن يونس : كان مفتى أهل مصر في زمانه ، وكان عبد العزيز بن مرْوان يُحضره فيجلسه للفتيا . وقال الذهبىّ في العبر : تفقه على عُقْبة بن عامر ، وكان مفتى أهل مصر في وقته . مات سنة تسعين من الهجرة [٥] .

١٠ ـ عبد الرحمن بن معاوية بن حُدَيج الكندىّ أبو معاوية المصرىّ قاضي مصر (حم) . روى عن أبيه وابن عمر ، وعنه يزيد بن أبي حبيب . مات سنة خمس وتسعين [٦] .

١١ ـ عمر بن عبد العزيز الخليفة الصالح أمير المؤمنين (ع) . وُلِد بمصر وأبوه أمير عليها سنة إحدى ـ وقيل ثلاث ـ وستين . قال الذهبىّ : وتفقّه حتى بلغ رتبة الاجتهاد ،

---

(١) . . .

(٢) الولاة والقضاة للكندى ٣٢١ ، قال : « ولى القضاء في المحرم سنة ٨٣ » .

(٣) الولاة والقضاة ٣٢٢ .

(٤) . . .

(٥) العبر ١ : ١٠٥ .

(٦) القضاة والولاة ٣٢٤ .

ومناقبه كثيرة . مات في رجب سنة إحدى ومائة[١] .

١٢ ـ حبيب بن الشهيد أبو مَروان التُّجيبيّ مولاهم المصريّ[٢] (د،ه) . فقيه طرابلس الغرب ، من المتأخرين . حدَّث عن رُويفع الأنصاريّ وعمر بن عبد العزيز ، وعنه يزيد بن أبي حبيب . مات سنة تسع ومائة[٣] .

١٣ ـ مكحول أبو عبد الله الفقيه (٤) . أحد الأئمة ، عالم الشام . وقيل : إنه ولد بمصر ، روى عن ثَوْبان وأبي أمامَة وواثلة وأنس وغيرهم ، وعنه الزُّهريّ وأبو حنيفة وخَلْق . قال أبو حاتم : ما أعلم بالشام أفقهَ منه ، مات سنة اثنتي عشرة ومائة ، وقال ابن كثير : كان نوبيًّا[٤] .

١٤ ـ عليّ بن رباح اللّخمي المصريّ (٤) . قال في العبَر : كان من علماء زمانه ، حمل عن عدّة من الصحابة ، مات وهو في عشر المائة [سنة][٥] أربع عشرة . وقيل سنة سبع عشرة ومائة[٦] .

١٥ ـ يحيى بن ميمون الحضرميّ أبو عمرو المصري (د،ن) . قاضي مصر . روى عن سهل بن سعد الساعديّ وغيره ، وعنه ابن لَهيعة وجماعه ، وثّقه ابنُ حبّان[٧] .

١٦ ـ ثوبة بن نَمِر بن حَوْمل الحضرميّ أبو محجن المصريّ . قاضي مصر . روى عن ابن عفير عريف بن سريع ، وعنه الليث وطائفة قال الدار قطنيّ : جمع له القضاء والقصص بمصر . وكان فاضلا عابداً . توفِّيَ سنة عشرين ومائة[٨] .

١٧ ـ نافع مولى ابن عمر[٩] (ع) . فقيه أهل المدينة . بعثه عمر بن عبد العزيز إلى

(١) تهذيب التهذيب ٧ : ٤٧٥ .
(٢) تهذيب التهذيب : « البصرى » .
(٣) تهذيب التهذيب ٢ : ١٨٥ .
(٤) تهذيب التهذيب ١٠ : ٢٨٩ .
(٥) من ح ، ط .
(٦) العبر ١ : ١٤٢ .
(٧) تهذيب التهذيب ١١ : ٢٩٠ .
(٨) الولاة والقضاة ٣٤٢ .
(٩) وهو المعروف بأبي عبدالله المدني .

مِصْر يعلّمهم السُّنن ، فأقام بها مدّة . ذكره الذهبيّ في العبر . مات سنة عشر ، وقيل عشرين ومائة[١] .

١٨ ـ جُعْثُل بن هاعان بن سعيد الرُّعينيّ القِتْبانيّ المصريّ (٤) . روى عن ابن تَميم الجَيْشانيّ ، وعنه بكر بن سوادة . قال ابن يُونس : كان أحد القراء الفقهاء ، أمره عمر بن عبد العزيز بالخروج من مصر إلى المغرب ليقرئهم ، وولي القضاء بإفريقيّة لهشام بن عبد الملك . توفّيَ قريبا من سنة خمس عشرة ومائة[٢] .

١٩ ـ بكير بن عبد الله الأشج المدنيّ الفقيه (ع) . نزيل مصر أبو عبد الله . عن أبي أمامة سهل ومحمود بن لَبيد ، وعنه الليث وحمّاد . قال ابنُ المدينيّ : لم يكن بالمدينة بعد كبار التابعين أعلم من ابن شهاب ويحيى الأنصاريّ وبكير بن الأشج . وقال ابن حبّان : من ثقات أهلِ مصر وقرائهم . قال الذهبيّ : مات سنة اثنتين وعشرين ومائة[٣] .

٢٠ ـ بكر بن سَوادة الجُذاميّ بن ثُمامة المصريّ الفقيه مفتي مصر (٤) . روى عن ابن عمر وسهل بن سَعْد ، وعنه عمر بن الحارث والليث . قال ابن يونس : توفّيَ بإفريقيّة وقيل : بل غرق في بحار الإسكندرية سنة ثمان وعشرين ومائة[٤] .

٢١ ـ أبو قَبيل المَعافريّ المصريّ حُيَيّ[٥] بن ناضر ـ بالمعجمة (ت ، ن) . روى عن عُقْبة بن عامر وابن عمرو ، وعنه عمرو بن الحارث والليث . وكان له علم بالملاحم والفِتَن . مات سنة ثمان وعشرين ومائة[٦] .

---

(١) العبر ١ : ١٤٧ ، وذكر أنه مات سنة ١١٧ .
(٢) تهذيب التهذيب ٢ : ٧٩ .
(٣) تهذيب التهذيب ١ : ٤٩١ .
(٤) تهذيب التهذيب ١ : ٤٨٣ .
(٥) تهذيب التهذيب : « حيى بن هانئ بن ناضر » .
(٦) تهذيب التهذيب ٣ : ٧٣ .

٢٢ ـ خالد بن أبي عمران التُّجيبي مولاهم أبو عمر التونسيّ الفقيه (م) . قاضي إفريقيّة. روى عن ابن عمر، ولم يسمع عنه، وعن عبد الله بن الحارث بن جَزْء، وعنه يحيى الأنصاريّ وابن لَهِيعة واللّيث . قال ابن سعد : كان ثقة ، وكان لا يدلّس . مات بإفريقيّة سنة تسع وعشرين ومائة [1] .

٢٣ ـ يزيد بن أبي حبيب ، واسمه سويد الأزديّ ، أبو رجاء المصري (ع) . فقيه مصر وشيخُها ومُفتيها . لقي عبد الله بن الحارث بن جزء وروى عن سالم ونافع وعِكْرمة وعطاء وخَلْق ، وعنه ابنُ لَهيعة واللّيث وآخرون. قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث. وقال ابنُ يونس : كان مفتي أهل مصر ؛ وهو أوّل من أظهر العلم بمصر والمسائل في الحلال والحرام . وقبل ذلك كانوا يتحدثون في التّرغيب والملاحم والفِتَن ؛ وهو أحد ثلاثة جعل إليهم عمر بن عبد العزيز الفتيا بمصر . وقال الليث : هو سيدنا وعالمنا . مات سنة ثمان وعشرين ومائة [2] .

٢٤ ـ عبيد الله بن أبي جَعْفر المصريّ الفقيه أبو بكر ، مَوْلَى بني أميــة . عن أبي عبد الرحمن الحُبُليّ والشّعبيّ وعَطاء ونافع وعِدّة ، وعنه ابنُ لَهيعة والليث . قال ابنُ سعد : وكان ثقةً فقيه زمانه ، وقال في العِبَر : أحد العلما والزّهاد ، ولد سنة ستين ، ومات سنة اثنتين ـ وقيل خمس ، أو ست وثلاثين ـ ومائة [3] .

٢٥ ـ جبر بن نعيم بن مرة الحضرميّ المصريّ (م،ن) . قاضي مصر ، روى عن عطاء وأبي الزُّبير ، وعنه الليث وابنُ لَهيعة . قال الدارقطنيّ : ولي القضاء والقصص بمصر ، وقال يزيد بن أبي حبيب : ما أدركتُ من قضاة مصر أفقه منه . مات سنة سبع وثلاثين ومائة [4] .

---

(١) تهذيب التهذيب ٣ : ١١٠ ، طبقات ابن سعد ٧ : ٥٢١ .
(٢) طبقات ابن سعد ٧ : ٥١٣ ، وفيها « مات في خلافة مروان بن محمد » .
(٣) طبقات ابن سعد ٧ : ٥١٤ .
(٤) . . .

٢٦ ـ خالد بن يزيد الُجمحيّ مولاهم أبو عبد الرحيم المصريّ الفقيه (ع) . عن عطاء والزّهريّ ، وعنه الليث . مات سنة تسع وثلاثين ومائة (١) .

٢٧ ـ عمرو بن الحارث بن يعقوب بن عبد الله الأنصاريّ مولاهم أبو أمية المصريّ (ع) . عن أبيه والزّهريّ ، وعنه مجاهد، وهو أكبر منه، وبُكير بن الأشجّ وقتادة وهما من شيوخه ، ومالك وابن وهب ، وهو راويته . قال أبو حاتم : كان أحفظَ أهل زمانه ، وقال ابن وهب : ما رأيتُ أحفظَ منه . مات سنة سبع ـ أو ثمان ـ وأربعين ومائة ،وله ست وخمسون سنة (٢) .

٢٨ ـ حَيوة بن شُريح بن صفوان التّجيبيّ أبو زُرْعة المصريّ (ع) . الفقيه الزّاهد العابد ، أحد الزهاد والعلماء السادة . عن يزيد بن أبى حبيب ، وعنه الليث . سئل عنه أبو حاتم ، فقال : هو أحبّ إلىّ من الليث بن سعد ، ومن المفضل بن فضالة . وقال ابنُ المبارك : ما وُصف لى أحدٌ ورأيته إلا كانت رؤيته دُون صفته إلا حَيْوة بن شُريح ، فإنّ رؤيته كانت أكبر من صفته . عُرِض عليه قضاء مصر فأبى . مات سنة ثمان وخمسين ومائة (٣) .

٢٩ ـ يحيى بن أيوب الغافقيّ المصريّ (ع) . عن بُكير بن الأشجّ ويزيد ابن أبى حبيب . قال فى العبَر : كان كثير العلم ، فقيه النفْس . مات سنة ثلاث وستين ومائة (٤) .

٣٠ ـ عبد الرحمن بن شُريح المَعافريّ أبو شُريح . قال فى العبَر : كان ذَا جَلالة وفضل وعبادة ، روى عن أبى قَبيل وطبقته . مات بالإسكندريّة سنة سبع وستين ومائة (٥) .

---

(١) تهذيب التهذيب ٣ : ١٢٩ .
(٢) تهذيب التهذيب ٨ : ١٤ .
(٣) تهذيب التهذيب ٣ : ٦٩ .
(٤) العبر ١ : ٢٤٣ .
(٥) العبر ١ : ٢٥٠ .

٣١ ـ ابن لَهِيعة عبد الله بن عُقْبة [١] بن لَهِيعة الحضرميّ المصرى (م ،ت، د ، ه) . أبو عبد الرحمن الفقيه ، قاضى مصر ومُسْندها . عن عطاء وعمرو بن دينار والأعرج وخَلْق ، وعنه الثوريّ والأوزاعيّ وشُعبة ، وماتوا قبله . وابنُ المبارك وخلْق . وثقه أحمد وغيرُه ، وضعّفه يحيى القطّان وغيرُه . مات بمصر يوم الأحد نصف ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة [٢] .

٣٢ ـ اللّيث بن سعد بن عبد الرحمن الفهميّ أبو الحارث المصريّ (ع) . أحد الأعلام ، ولد بقلقشندة سنة أربع وتسعين ، وروى عن الزهريّ وعطاء ونافع وخَلْق ، وعنه ابنه شُعيب وابن المبارك وآخرون . قال ابن سعد : كان ثقةً كثير الحديث صحيحه ، وكان قد اشتغل بالفتوى فى زمانه بمصر ، وكان سريًّا من الرجال ، نبيلاً سخيًّا له ضيافة . وقال يحيى بن بُكير : ما رأيتُ أحداً أكمل من الليث ، كان فقيه النفْس ، عربيّ اللسان ، يحسن القرآن والنحو ، ويحفظ الحديث والشعر ، حسن المذاكرة . وقال الشافعيّ : كان اللّيثُ أفقه من مالك إلا أنه ضيّعه أصحابُه [٣] .

قال ابن كثير : وقد حكى بعضُهم أنه ولى القضاء بمصر وهو غريب . وقال الذّهبي فى العبر : كان نائب مصر وقاضيها من تحت أوامر الليث ، وإذا رابه من أحد شيء كاتب فيه فيُعزل ، وقد أراده المنصور أن يَلِيَ إمرة مصر فامتنع .

مات يوم الجمعة رابع عشر شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ، كذا ذكره غير واحد . وقال ابن سعد : سنة خمس وستين . وحكى ابنُ خلّكان أنه سُمِع قائلٌ يقول يوم مات الليث :

---

(١) تهذيب التهذيب : « عبدالله بن لهيعة بن عقبة » .
(٢) تهذيب التهذيب ٥ : ٣٧٣ .
(٣) طبقات ابن سعد ٧ : ٥١٧ .

ذَهَبَ اللَّيثُ فَلاَ ليثَ لَكُمْ   وَمَضى العِلمُ غريباً وقُبِرْ .

فالتفتوا فلم يروا أحداً[١] .

٣٣ ـ عثمان بن الحكم الجذاميّ . قال ابن فَرْحون : مشهور من أصحاب مالك المصريين ، وهو أول من أدخل علم مالك مصر ، ولم يأت مصر أنبلَ منه . روى عن مالك وابن جُريج وموسى بن عُقبة وسعيد بن أبي مريم . مات سنة ثلاث وستين ومائة[٢] .

٣٤ ـ طليب بن كامل اللخميّ . من كبار أصحاب مالك وجلسائه ، أبو خالد . أصله أندلسيّ سكن الإسكندرية ، روى عنه ابنُ القاسم وابنُ وهب ، وبه تفقّه ابن القاسم قبل رحلته إلى مالك . مات فى حياة مالك بالإسكندرية سنة ثلاث وسبعين ومائة[٣] .

٣٥ ـ المفضل بن فضالة بن عبيد الرعينيّ أبو معاوية المصرى الفقيه (د ، ت ه) قاضى مصر . عن يزيد بن أبى حَبيب وخَلْق ، وعنه قُتيبة وغيره . وكان زاهدا ورِعاً قانتا مجابَ الدّعوة . مات سنة إحدى وثمانين ومائة عن أربع وسبعين سنة .

٣٦ ـ عبد الله بن وهب بن مسلمة المصريّ الفِهريّ مولاهم أبو محمد الخير (ع) . أحد الأعلام . ولد فى ذى القعدة سنة خمس وعشرين ومائة ، وروى عن مالك والسّفْيانيْن وغيرهم . قال ابن عديّ : من جلّة الناس وثقاتهم ، لا أعلم له حديثا منكراً ، تفقه بمالك واللّيْث . وقال ابن يونس : جمع بين الفقه والرواية والعبادة ، وله تصانيف كثيرة ، وكانوا أرادوه على القضاء فتغيّب .

---

(٣) ابن خلكان ١ : ٤٣٩ .   (٢) الديباج المذهب ١٨٧ .

(٣) الديباج المذهب ١٣٠ .

وقال ابنُ فرحون . قالوا : لم يكتُب مالك لأحد بالفقيه إلا إلى ابن وهب ، فكان يكتب إليه : إلى عبد الله بن وهب فقيه مصر ، وإلى أبى محمد المفتى ؛ ولم يكن يفعل هذا لغيره . وقال فيه ابن وهب : عالم ، وابن القاسم فقيه[1] .

وقال أحمد بن صالح . مارأيت أكثر حديثا منه ، حدّث بمائة ألف حديث ، قرئ عليه كتابه فى أهوال القيامة ، فخرّ مغشيًّا عليه ، فلم يتكلّم بكلمة حتى مات بعد أيام . وذلك فى شعبان سنة سبع وتسعين ومائة[2] .

٣٧ ـ عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العُتَقِىّ المصرىّ أبو عبد الله الفقيه (خ،ن) راوية[3] المسائل عن مالك ، روى عن أبى عيينة وغيره ، وعنه أصبغ وسُحنُون وآخرون . قال ابن حِبّان : كان حَبْراً فاضلا ، تفقّه على مذهب مالك ، وفرّع على أصوله ، ولد سنة ثمان وعشرين ومائة ، ومات فى صفر سنة إحدى وتسعين ومائة . وكان زاهدا صبوراً مجانباً للسلطان[4] .

٣٨ ـ الإمام الشافعىّ أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العبّاس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عُبيد الله بن عبد يزيد بن هشام بن الحارث بن عبد المطّلب بن عبد مناف ، جدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم والسائب جدّه . صحابىّ أسلم يوم بدر ؛ وكذا ابنُه شافع ، لقى النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو مترعرع .

ولد الشافعىّ سنة خمسين ومائة بغزّة أو بعَسْقلان أو اليمن أو مِنًى ـ أقوال ـ ونشأ بمكّة ، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، والموطّأ وهو ابن عشر ، وتفقّه على مسلم بن خالد الزنجىّ مفتى مكة ، وأذِن له فى الإفتاء وعمرُه خمس عشرة سنة ، ثم لازم مالكا

---

(١) الديباج المذهب ١٣٠ .
(٢) تهذيب التهذيب ١٠ : ٢٧٣ .
(٣) ح « راوى » .
(٤) تهذيب التهذيب ٦ : ٧١ .

بالمدينة ، وقدم بغداد سنة خمس وتسعين ، فاجتمع عليه علماؤها ، وأخذوا عنه ، وصنّف بها كتابه القديم ، ثم عاد إلى مكة ، ثم خرج إلى بغداد سنة خمس وتسعين ، فأقام بها شهرا ، ثم خرج إلى مصر . وصنّف بها كتبه الجديدة كالأمّ والأمالى الكبرى والإملاء الصغير ومختصر البُويطىّ ومختصر المزنىّ ومختصر الرّبيع والرّسالة والسنن . قال ابنُ زولاق : صنّف الشافعىّ نحوا من مائتى جزء . ولم يزل بها ناشرا للعلم ، ملازما للاشتغال بجامع عمرو إلى أن أصابته ضَرْبة شديدة فمرض بسببها أياما ، ثم مات يوم الجمعة سلخ رجب سنة أربع ومائتين .

قال ابنُ عبد الحكم : لمّا حملتْ أمّ الشافعىّ به رأتْ كأنّ المشترى خرج من فرجها حتى انقضّ بمصر ، ثم وقع فى كل بلد منه شظيّة ؛ فتأوّل أصحاب الرؤيا أنّه يخرج عالم يخصّ علمُه أهل مصر ، ثم يتفرّق فى سائر البُلدان .

وقال الإمام أحمد : إن الله تعالى يُقيّض للنّاس فى رأس كلّ مائة سنة من يعلّمهم السنن ، ويَنْفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب ؛ فنظرنا فإذا فى رأس المائة عمر بن عبد العزيز ، وفى رأس المائتين الشافعىّ .

وقال الرّبيع : كان الشافعىّ يُفتى وله خمس عشرة سنة ؛ وكان يُحيى الليل إلى أن مات .

وقال أبو ثور : كتب عبد الرحمن بن مهدىّ إلى الشافعىّ أن يضع له كتاباً فيه معانى القرآن ، ويجمع قبول الأخبار فيه وحجّة الإجماع وبيان النّاسخ والمنسوخ من القرآن والسّنّة ، فوضع له كتاب الرّسالة .

قال الإسنوىّ : الشافعىّ أوّل مَنْ صنّف فى أصول الفقه بالاجماع ، وأوّلُ مَنْ قرّر ناسخ الحديث من منسوخه ، وأوّل مَن صنّف فى أبواب كثيرة من الفقه معروفة[1] .

(١) تهذيب التهذيب ٩ : ٢٥

٣٩ ـ إسحاق بن الفرات أبو نعيم التُّجِيبيّ (ن). صاحب مالك، قاضى ديار مصر. قال الشافعىّ: مارأيت بمصر أعلمَ باختلاف النّاس من إسحاق بن الفرات. روى عن اللّيث وغيره. مات بمصر سنة أربع ومائتين(١).

٤٠ ـ أشهب بن عبد العزيز العامرىّ أبو عمرو. (د ،ن). فقيه ديار مصر، صاحب مالك. انتهت إليه الرياسة بمصْر بعد ابن القاسم، قال الشافعىّ: ما أخرجتْ مصر أفقه من أشهب لولا طيشٌ فيه. وكان محمد بن عبد الله بن عبد الحكم يفضّل أشهبَ على ابن القاسم. وقال ابنُ عبد البرّ: كان فقيهاً حسن الرأى والنّظر، ولد سنة أربعين ومائة، ومات سنة أربع ومائتين؛ قيل: اسمه مسكين، وأشهب لقب(٢).

٤١ ـ عبد الله بن عبد الحَكَم بن أعْيَن بن ليث بن رافع المصرىّ أبو محمد (ن). كان من جِلّة أصحاب مالك، ألقيت إليه الرياسة بمصر بعد أشهب، وله مصنفّات فى الفقه وغيره. وقال ابنُ حِبّان: كان ممن عقدَ على مذهب مالك وفرّع على أصوله. روى عن مالك وابن لهيعة واللّيث، وعنه بنوه: محمد وعبد الرحمن وسعد ومحمد بن عبد الله بن نُمير وآخرون. ووثّقه أبو زُرعة وغيرُه. ولد سنة خمس وخمسين ومائة ومات فى رمضان سنة خمس عشرة، وقيل أربع عشرة ومائتين. ودفن إلى جانب الشافعىّ(٣).

٤٢ـ إسحاق بن بكر بن مُضر المصرىّ الفقيه (م،ن). قال ابن يونس: كان فقيها مفتيا، وكان يجلس فى حلْقة الليث، ويُفْتى بقوله ويحدّث. قال فى العبر: لا أعلمه روى عن غير أبيه. مات بمصر سنة ثمانى عشرة ومائتين(٤).

٤٣ـ عثمان بن صالح بن صَفْوان السهمىّ أبو يحيى المصرى(خ،ن). قاضى مصر، روى

---

(١) الديباج المذهب ٩٦.
(٢) الديباج المذهب ٩٨.
(٣) الديباج المذهب ١٣٤.
(٤) العبر ١: ٣٧٣.

عن مالك والليث وابن وهب ، وعنه البخاريّ وابن معين وأبو حاتم وخلق . مات فى المحرّم سنة تسع عشرة ومائتين[١] .

٤٤ ــ أحمد بن صالح المصريّ أبو جعفر (خ، د) . أحد الحفّاظ المبرّزين ، والأئمة المذكورين ؛ كان إماماً فقيها نظّاراً متقناً ، رأسا فى الحديث وعلله ، إماما فى القراءات والفقه والنحو . قرأ على وَرْش وقالُون ، وسمع من ابن وهب وغيره . روى عنه البخاريّ وأبو داود ، وكان يرى فى الُجنُب إذا لم يقدر على الماء لبردٍ أنّه يتوضّأ ويُجزئه. وُلد سنة سبعين ومائة ، ومات فى ذى القعدة سنة ثمان وأربعين ومائتين[٢] .

٤٥ ــ ابن عمّ الشافعىّ ، محمد بن عبد الله بن محمد بن العباس بن عثمان بن شافع . قال العبّادى فى طَبَقَاته : كان من فُقَهاء أصحاب الشافعىّ ، وله مناظرات مع المُزنىّ ، وتزوّج بابنة الشافعىّ زينب فأولدها [أحمد][٣] .

٤٦ ــ ابن بنت الشّافعىّ أبو بكر ــ أو أبو عبدالرحمن أو أبو محمد ــ أحمد . ولد ابن عمّ الشافعىّ المذكور ؛ قال العبادىّ : تفقّه بأبيه ، وروى الكثير عنه عن الشافعىّ ، وله أوجه منقولة فى المذهب . قال أبو الحسين الرازىّ : كان واسع العلم ، فاضلاً ، لم يكن فى آل شافع بعد الإمام أجلّ منه .

٤٧ ــ البُوَيطىّ أبو يعقوب يوسف بن يحيى القُرشىّ (ت) الإمام الجليل ؛ أحد أئمة الإسلام وأركانه وزهّاده . كان خليفة الشافعىّ فى حَلقته بعده . قال الشافعىّ : ليس أحد أحقّ بمجلسى من أبى يعقوب ، وليس أحدٌ من أصحابى أعلَمَ منه . وكان ابنُ أبى الليث الحنفىّ قاضى مصر يحسده ، فسعى به إلى الواثق بالله أيّام المِحْنة بخلق القرآن ،

---

(١) تهذيب التهذيب ٧ : ١٢٢ .
(٢) تهذيب التهذيب ١ : ٣٩ ، طبقات الشافعية ١ : ١٨٦ .
(٣) من ح ، ط .

فأمر بحمله إلى بغداد مغلولا مقيَّدا ، وأريد منه القول بذلك ، فامتنع ؛ فجلس ببغداد إلى أن مات فى القَيْد والسِّجْن يوم الجمعة من رجب سنة إحدى وثلاثين . وكان الشافعىّ له كرامة [يقول له](١) : أنت تموت فى الحديد(٢) .

٤٨ ـ حرملة بن يحيى بن عبد الله التُجيبىّ أبو حفص المصرىّ صاحب الشافعىّ (م ، ن ، هـ) . قال النووىّ فى شرح المهذّب : له مذهب لنفسه ، وقال السبكى فى الطبقات : هو صاحب وجه . وقال الإسنوىّ : كان إماماً حافظا للحديث والفقه ، صنف المبسوط والمختصر ، وروى عنه مسلم وابن ماجه . ولد سنة ست وستين ومائة ، ومات فى شوال سنة ثلاث وأربعين ومائتين (٣) .

٤٩ ـ المُزنىّ أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق ، الإمام الجليل ، ناصر المذهب ، قال فيه الشافعىّ : لو ناظر الشيطانَ لغلَبه ، وكان إماماً ورعا زاهدا مجاب الدّعوة ، متقلّلا من الدّنيا . قال الرافعىّ : المُزنىّ صاحبُ مذهب مستقلّ . قال الإسنوىّ : صنف كتبا ، منها المبسوط ، والمختصر ، والمنثور ، والمسائل المعتبرة ، والترغيب فى العلم ، وكتاب الوثائق والعقارب ؛ سُمِّىَ بذلك لصعوبته ، وصنّف كتابا مفردا على مذهبه لا على مذهب الشافعىّ . كذا ذكره البندنيجىّ فى تعليقه . وكان إذا فاتته صلاة فى الجماعة صلاّها خمسا وعشرين مرة ، ويغسِّل الموتى تعبُّداً واحتسابا ، ويقول : أفعله ليرقّ قلبى ، وكان جَبَل علم ، مناظراً محجاجا . ولد سنة خمس وسبعين ومائة ، وتوفِّىَ لستٍّ بقين من رمضان سنة أربع وستين ومائتين ، ودفن قريبا من قبر الشافعىّ(٤) .

---

(١) من ح ، ط .
(٢) طبقات الشافعية ١ : ٢٧٥ ، طبقات الشافعية ١ : ٢٧٥ .
(٣) طبقات الشافعية ١ : ٢٥٧ . (٤) ابن خلكان ١ : ٧١ .

٥٠ ـ أصبَغ بن الفَرَج بن سعيد بن نافع الأُموىّ أبو عبد الله المصرىّ . (خ د، ت ،ن) الفقيه مفتى أهل مصر . عن عبد الرحمن بن القاسم وابن وَهْب ، وعنه البخارىّ وأبو حاتم . قال ابنُ معين : كان من أعلم خلقِ الله كلِّهم برأى مالك . وقال أبو حاتم : كان أجلّ أصحاب ابن وهب . وقال ابنُ يونس : كان مضطلعا بالفقه والنَّظَر . وله تصانيفُ حِسان . وقال بعضهم : ما أخرجتْ مصر مثل أصبَغ ، وقال ابن اللَّبَّاد : ما انفتح لى طريق الفقه إلا من أصول أصبَغ . ولد بعد الخمسين ومائة ، ومات يوم الأحد لأربع بقين من شوّال سنة خمس وعشرين ومائتين(١) .

٥١ ـ سعيد بن كثير بن عُفَير أبو عثمان المصرىّ (خ،ن) . الحافظ العلاّمة قاضى الدّيار المصريّة ، روى عن مالك واللّيث ، وكان فقيها نسّابة إخباريًّا ، شاعراً كثير الاطّلاع قليل المِثْل ، صحيح النقل . ولد سنة ست وأربعين ومائة ، ومات سنة ست وعشرين ومائتين (٢)

٥٢ ـ عبد الملك بن شُعيب بن اللّيث بن سعد المصرىّ (م ، د ، ن) . عن أبيه وابن وَهْب ، وعنه مسلم وأبو داود والنَّسائىّ . قال في العِبر : كان أحد الفقهاء ، مات سنة ثمان وأربعين ومائتين (٣) .

٥٣ ـ الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف الأموىّ أبو عمرو المصرىّ (د،ن) . الحافظ الفقيه العلاّمة ، روى عنه أبو داود والنَّسائىّ . قال الخطيب : كان فقيهاً على مذهب مالك . ثقة فى الحديث ، ثبْتا . وله تصانيف . ولد سنة أربع وخمسين ومائة ، ومات ليلة الأحد لثلاث بقين من ربيع الأول سنة خمسين ومائتين (٤) .

---

(١) ابن خلكان ١ : ٧٩ .

(٢) تهذيب التهذيب ٤ : ٧٤ .

(٣) تهذيب التهذيب ٦ : ٣٩٨ .

(٤) الديباج المذهب ١٠٦ ، طبقات الشافعية ١ : ٢٤٩ .

٥٤ ـ أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح الأمويّ مولاهم المصريّ الحافظ الفقيه العلامة (م، د، ن) . روى عن ابن عُيينة وابن وَهْب ، وعنه مسلم وأبو داود والنَّسائيّ وابن ماجه ، والسَّرح هو طاهر بن وهب . قال أبو حاتم : كان ثقةً فهِماً من الصالحين الأثبات. مات يوم الاثنين رابع عشرة ذى القعدة سنة خمسين ومائتين. وذكره ابن فرحون فى طبقات المالكية ، وقال : كان فقيهاً ثقة صدوقاً [١] .

٥٥ ـ محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصريّ أبو عبد الله (ن) . ولد سنة اثنتين وثمانين ومائة ، وأخذ مذهب مالك عن ابن وهب ، وأشهب ، فلمّا قدم الشافعيّ مصر صحبه ، وتفقّه به ، فلما مات الشافعيّ رجع إلى مذهب مالك . وانتهت إليه الرياسة بمصر . قال ابن يونس : كان المفتى بمصر فى أيامه . وقال غيره : كان من العلماء الفقهاء ، مبرّزاً ، من أهل النظر والمناظرة والحجّة ، وإليه كانت الرّحلة من الغرب والأندلس فى العلم والفقه ، وكان فقيه مصر فى عصره على مذهب مالك ، ورسخ فى مذهب الشافعيّ ، وربما تخيّر قوله عند ظهور الحجة ، وكان أفقه أهل زمانه ؛ له مصنفات كثيرة . مات يوم الأربعاء ثانى ذى القَعْدة سنة ثمان وستين ومائتين [٢] .

٥٦ ـ يونس بن عبد الأعلى بن موسى الصَّدَفيّ المصريّ الإمام أبو موسى الفقيه المقرئ المحدّث (م، ن، هـ) . روى عن ابن عُيينة ، وتفقّه على الشافعيّ ، وقرأ على ورش ، وتصدّر للإقراء والفقه ، وانتهت إليه رياسة العلم وعلوّ الإسناد فى الكتاب والسنّة . قال يحيى بن حِبّان : يونس كان ركناً من أركان الإسلام ، وكان ورعاً صالحاً عابداً كبير الشأن . ولد فى ذى الحجّة سنة سبعين ومائة ، ومات فى ربيع الآخر سنة أربع وستين ومائتين ، روى عنه مسلم والنَّسائيّ وابن ماجه [٣] .

(١) طبقات الشافعية ١ : ١٩٩ . الديباج المذهب ٣٥ ، وفيه : « أحمد بن عمر » .
(٢) طبقات الشافعية ١ : ٢٢٣ . (٣) طبقات الشافعية ١ : ٢٧٩ .

٥٧ ـ ابن المواز العلامة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الإسكندرانى . صاحب التصانيف ، أخذ عن أصبغ بن الفرج وعبد الله بن عبد الحكم ، وانتهت إليه الرياسة فى مذهب مالك ، وإليه كان المنتهى فى تفريع المسائل ، وله اختيارات خارجة عن مذهب مالك ؛ منها وجوب الصلاة على النبىّ صلى الله عليه وسلّم فى الصلاة . مات سنة إحدى وثمانين ومائتين [(١)] .

٥٨ ـ قاسم بن محمد بن قاسم الأموىّ مولاهم . القرطبىّ الفقيه . محدّث الأندلس . قال فى العبر : له رحلتان إلى مصر ، وتفقّه على الحارث بن مسكين وابن عبد الحكم . وكان مجتهداً لا يقلّد . قال رفيقه بقىّ بن مخلَد : هو أعلم من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم . وقال ابن عبد الحكم : لم يقدَم علينا من الأندلس أعلم من قاسم . وقال محمد بن عمر بن لبابة : مارأيت أفقهَ منه ، روى عن إبراهيم بن المنذر الحزامىّ وطبقته . مات سنة ست وسبعين ومائتين [(٢)] .

٥٩ ـ محمد بن نصر المروزىّ الإمام أبو عبد الله . أحد أئمة الفقهاء . ولد ببغداد ، ونشأ بنيسابور ، وأقام بمصر مدّة ورجع ؛ فاستوطن سَمَرْقند . كان من أعلم الناس باختلاف الصّحابة والتابعين فمن بعدهم ؛ وله تصانيف جليلة . وكان رأساً فى الفقه ، رأسا فى الحديث ، رأساً فى العبادة ، وقال شيخه فى الفقه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : كان محمد بن نصر عندنا إماماً ؛ فكيف بخُراسان ! وقال غيره : لم يكن للشافعيّة فى وقته مثله . وعنه أنه قال : مكثت فى مصر مدّة أنفق فيها فى كلّ سنة عشرين درهما . مات فى المحرّم سنة أربع وتسعين ومائتين وهو فى عشر التسعين .

قال ابن كثير فى تاريخه : روى أنّه اجتمع فى الديار المصرية محمد بن نصر ومحمد بن

---

(١) الديباج المذهب ٢٣٢ . (٢) العبر ٢ : ٥٧ .

جرير ومحمد بن المنذر ؛ فجلسوا فى بيت يكتبون الحديث ؛ ولم يكن عندهم فى ذلك اليوم شىء يقتاتونه ؛ فاقترعوا فيما بينهم مَنْ يسعى لهم فى شىء يأكلونه ؛ ليدفعوا عنه ضرورتهم ، فجاءت القرعة على أحدهم ؛ فنهض إلى الصّلاة ، فجعل يصلّى ، ويدعو الله : وذلك وقت القيلولة ، فرأى نائب مصر وهو نائم وقت القيلولة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يقول له : أنت هاهنا والمحمّدون ليس عندهم شىء يقتاتونه ! فانتبه الأمير من منامه ؛ فسأل : مَنْ هاهنا من المحمّدين ؟ فذكر له هؤلاء الثلاثة ، فأرسل إليهم فى الساعة بألف دينار [1] .

ويشبه هذا ماحكاه ابن كثير أيضاً فى ترجمة الحسن بن سفيان الفَسَوىّ محدّث خراسان ، قال : من غريب ما اتفق له أنّه كان هو وجماعة من أصحابه بمصر فى رحلتهم للحديث ؛ منهم محمد بن خُزيمة ومحمد بن جرير ومحمّد بن هارون الرّويانى : فضاق عليهم الحال حتى مكثوا ثلاثة أيام لا يأكلون شيئا ؛ واضطرهم الحال إلى السؤال : فأنِفَت نفوسهم من ذلك ؛ ثم ألجأتهم الضّرورة إلى تعاطى ذلك ؛ فاقترعوا فيما بينهم ، فوقعت القرعة على الحسن بن سفيان ، فقام فاختلى فى زاوية المسجد الّذى هم فيه فصلّى ركعتين طال فيها ، واستغاث بالله وسأله بأسمائه العظام : فما انصرف من الصّلاة حتى دخل المسجد رجل ، فقال : أين الحسن بن سفيان ورفقته ؟ فقالوا : هانحن ، فقال : الأمير ابن طولون يقرأ عليكم السلام ، ويعتذر إليكم فى تقصيره ؟ وهذه مائة دينار : لكلّ واحد منكم ؛ فقالوا له : ما الحامل له على هذا ؟ فقال : إنه أحبّ اليوم أن يختلىَ بنفسه ؛ فبينما هو الآن نائم إذ جاءه فارس فى الهواء ، بيده رمح ؛ فدخل عليه المنزل ، ووضع عقب الرمح فى خاصرته ، فوكزه به ، وقال : قم فأدرك الحسن بن سفيان وأصحابه

---

(١) تاريخ ابن كثير ١١ : ١٠٢ – ١٠٣ .

قم فأدركهم ، قم فأدركهم ، قم فادركهم ؛ فإنهم منذ ثلاثة أيام جياع فى المسجد الفلانى ، فقال له : مَنْ أنت ؟ قال : أنا رضوان خازن الجِنان ؛ فاستيقظ الأمير وخاصرته تؤلمه ألما شديدا ؛ فبعث بالنفقة فى الحال ؛ ثم جاء لزيارتهم ، واشترى ماحول ذلك المسجد ، ووقفه على الواردين إليه (١) .

٦٠ — أبو عبيد بن جويرية علىّ بن الحسين بن حرب بن عيسى البغدادىّ قاضى مصر . أحد الأئمة . تفقه على أبى ثوْر ؛ وكان يُوافقه فى كثير من اختياراته ، ويوافق الشافعىّ تارة ؛ وله اختيارات انفرد بها فى نفسه ، ومن مذهبه أنه منع من تعجيل الزكاة، وأوجب اجتناب الحائض فى جميع بدنها .

قال النووىّ : وقد خالف فى ذلك إجماع المسلمين ، ولىَ قضاء واسط ، ثم إقليم مصر ، فأقام بها مدّة طويلة ، وكانت الخلفاء تعظّمه ، ثم استعفى من القضاء فأعفِىَ ، وعاد إلى بغداد ، فمات بها فى صفر سنة تسع عشرة وثلاثمائة (٢) .

٦١ — أبو بكر محمد بن عبد الله الصيرفىّ . قال الذهبىّ فى العبر : له مصنّفات فى المذهب ، وهو صاحب وجْه . توفّىَ بمصر فى رجب سنة ثلاثين وثلاثمائة (٣) .

٦٢ — أبو إسحاق المروزىّ إبراهيم بن أحمد . أحد أئمة الدين ، وأحد أصحاب الوجوه . تفقه على ابن سُرَيج ، وكان إماماً جليلا غوّاصاً على المعانى الدقيقة ، بحراً خِضَمّاً ، ورِعاً زاهدا ، انتهت إليه رياسة العلم ببغداد ، وانتشر الفقه عن أصحابه فى البلاد ، وشرح مختصر المزنىّ ، وصنّف الأصول ، ثم انتقل فى آخر عمره إلى مصر سنة القرامطة ، وجلس فى مجلس الشافعىّ ، واجتمع الناس عليه ، وضربوا إليه أكباد الإبل ،

---

(١) طبقات الشافعية ٢ : ٢٤ .

(٢) الولاة والقضاة ٤٨١ .

(٣) العبر ٢ : ٢٢١ .

وسار فى الآفاق من مجلسه سبعون إماماً من أصحاب الحديث . تُوُفِّىَ بمصر سابع رجب سنة أربعين وثلاثمائة ، ودُفن عند الإمام الشافعىّ [١] .

٦٣ — أبو بكر بن الحدّاد محمد بن أحمد بن جعفر الكنانىّ المصرىّ . الإمام الجليل ، أحد أصحاب الوجوه . وُلد يوم موت المُزنىّ ، وأخذ الفقه عن أبى سعيد محمد بن عقيل الفِرْيابىّ وبشر بن نصر بن غلام الله عرف وجالس أبا إسحاق المروزىّ لما ورد مصر ، ودخل إلى بغداد ، فاجتمع بابن جرير ، وأخذ العربية عن محمد بن ولّاد ، وروى الحديث عن جماعة ؛ منهم أبو عبد الرحمن النَّسائىّ ولزمه ، وتخرّج به ؛ وكان يعرف الأسماء والكُنَى والنحو واللّغة واختلاف الفقهاء وأيّام الناس وسائر الجاهلية والشعر والنّسب ، وكان كثير التعبّد يصوم يوماً ويفطر يوما ، ويختم فى كلّ يوم وليلة ختمةً . ولىَ القضاء بمصر ، وصنّف الباهر فى الفقه فى مائة جزء ، وكتاب جامع الفقه ، وكتاب أدب القضاء فى أربعين جزءا ، وكتاب المولدات وهو مشهور . مات فى المحرّم — وقيل فى صفر — سنة أربع — وقيل خمس — وأربعين وثلاثمائة ، ودفن بسفح المقطم [٢] .

٦٤ — الماسَرْجِسِىّ أبو الحسن محمد بن علىّ بن سهل النيسابورىّ شيخ القاضى أبى الطيب . أحد أصحاب الوجوه . قال الحاكم : كان من أعرف أصحابنا للمذهب . أخذ عن أبى إسحاق المَرْوزىّ ، وصحِبه إلى مصر ، ولازمه إلى أن تُوُفِّىَ ، فانصرف إلى بغداد ، ودرّس بها ؛ ثم إلى خُراسان ، ومات بها يوم الأربعاء سادس جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، وهو ابن ستٍّ وسبعين سنة [٣] .

٦٥ — ابن شعبان أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان . كان رأس فقهاء المالكية

---

(١) العبر ٢ : ٢٥٢ .

(٢) العبر ٢ : ٢٦٤ .

(٣) العبر ٣ : ٢٦ .

بمصر فى وقته، وأحفظهم لمذهب مالك، وكان شيخ الفتوى، حافظ البلد، انتهت إليه رياسة المالكية بمصر، وله تصانيف وأقوال فى المذهب وترجيحات. مات فى جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة[1].

٦٦ — القاضى عبد الوهاب بن علىّ بن نصر أبو محمد البغدادىّ أحد الأعلام، وأحد أئمة المالكية المجتهدين فى المذهب، له أقوال وترجيحات. تفقّه على ابن القصار وابن الجلاب، وانتهت إليه رياسة المذهب. قال الخطيب: لم أر فى المالكية مثله، ولا أفقه منه. ولى قضاء داريا ونحوها، وتحول إلى مصر لضيق حاله ببغداد، فأكرم بها، وتموّل وسعِد جدًّا فأدركه الموت، فكان يقول فى مرضه: لا إلٰه إلا الله، عندما عشنا مِتْنا! مات بمصر فى شعبان سنة اثنتين وعشرين وأربع مائة عن ستين سنة[2].

٦٧ — الحسن بن الخطير أبو علىّ النّعمانىّ الفارسىّ. كان فقيها حنفيًّا عالما بالتفسير والحِساب والهيئة والطبّ، مبرّزا فى النحو واللغة والعَروض والأدب والتاريخ، ألّف تفسيراً، وشرح الجمع بين الصحيحين للحُميدىّ، وكتابا فى اختلاف الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار. أقام بالقاهرة مدّة يدرس إلى أن مات بها سنة ثمان وتسعين وخمسمائة. وكان يقول: قد انتحلتُ مذهب أبى حنيفة، وأنتصرُ له فيما وافق اجتهادى[3].

٦٨ — الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام بن عبد العزيز بن أبى القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السُّلمىّ أبو محمد. شيخ الإسلام، سلطان العُلماء. ولد سنة سبع — أو ثمان — وسبعين وخمسمائة، وتفقّه على الفَخْر بن عساكر، وأخذ الأصول عن السّيف الآمِدىّ، وسمع الحديث من عمر بن طبَرْزد وغيره، وبرَع فى الفقه والأصول والعربية. قال

(١) الديباج المذهب ٢٤٨.
(٢) العبر ٣: ١٤٩.
(٣) الجواهر المضية ١: ١٩١.

الذهبيّ فى العبر : انتهت إليه معرفة المذهب ، مع الزّهد والورَع ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، وقدم مصر، فأقام بها أكثر من عشرين سنة؛ ناشرا العلم، آمرا بالمعروف ، ناهيا للمنكر ، يُغلظ على الملوك فمَنْ دونهم . ولما دخل مصر بالغ الشيخ زكى الدين المنذرىّ فى الأدب معه ، وامتنع من الإفتاء لأجله ، وقال : كنّا نفتى قبل حضوره ، وأمّا بعد حضوره فمنصب الفُتيا مُتَعيّن فيه . وألقى التفسير بمصر دروساً . وهو أوّل مَنْ فعل ذلك .

وله من المصنفات : تفسير القرآن ، ومجاز القُرْسان ، والفتاوى الموصليّة ، ومختصر النهاية ، وشجرة المعارف ، والقواعد الكبرى والصغرى ، وبيان أحوال النّاس يوم القيامة .

وله كرامات كثيرة ، ولبس خِرْقة التصوّف من الشهاب السّهروردىّ . وكان يحضر عند الشيخ أبى الحسن الشاذلىّ ، ويسمع كلامه فى الحقيقة ، ويعظّمه . وقال : الشيخ أبو الحسن الشاذلىّ : قيل لى : ما على وجه الأرض مجلسٌ فى الفقه أبهى من مجلس الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام ، وما على وجه الأرض مجلسٌ فى الحديث أبهى من مجلس الشيخ زكىّ الدين عبد العظيم ، وما على وجه الأرض مجلس فى علم الحقائق أبهى من مجلسك !

وقال ابن كثير فى تاريخه : انتهت إليه رياسة المَذْهب ، وقُصد بالفتاوى من الآفاق ، ثم كان فى آخر عمره لا يتقيّد بالمذهب ، بل اتّسع نَطَاقه ، وأفتى بما أدّى إليه اجتهاده . وقال تلميذه ابن دقيق العيد : كان ابن عبد السّلام أحدَ سلاطين العلماء . وقال الشيخ جمال الدين بن الحاجب : ابن عبد السلام أفقه من الغزالىّ . وحكى القاضى عز الدين البكارىّ أنّ الشّيخ عز الدين بن عبد السلام أفتى مرةً بشىء ، ثم ظهر له أنه أخطأ ، فنادى فى مصر والقاهرة على نفسه : من أفتى له ابن عبد السلام بكذا ، فلا يعمل به ،

فإنه خطأ . قال القُطْب اليونينىّ : وكان مع شدّته وصلابته حسنَ المحاضرة بالنّوادر والأشعار ، يحضر السماع ويرقص فيه .

وقال ابن كثير : كان لطيفا يستشهد بالأشعار ، توفى بمصر عاشر جمادى الأولى سنة ستين وستمائة[1] .

٦٩ـ القرافىّ العلامة شهاب الدّين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجىّ البَهنسىّ المصرىّ . أخذ الأعلام . انتهتْ إليه رياسة المالكيّة فى عصره ، وبَرع فى الفقه وأصوله والعلوم العقليّة ، ولازم الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام الشافعىّ ، وأخذ عنه أكثر فنونه ، وألّف التّصانيف الشهيرة كالذّخيرة والقواعد وشرح المحصول والتّنقيح فى الأصول وشرحه وغير ذلك . قال القاضى تقى الدين بن شكر : أجمع المالكيّة والشافعية على أنّ أفضل عصرنا بالدّيار المصرية ثلاثة : القرافىّ ، وناصر الدين بن المنيِّر وابن دقيق العيد . مات فى جُمادى الآخرة سنة أربع وثمانين وستمائة ودفن بالقرافة[2] .

٧٠ ـ ابن المنيّر العلّامة ناصر الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور الجُذامىّ الإسكندرانىّ . أحد الأئمة المتبحّرين فى العلوم من التفسير والفقه والأصلين والنظر والعربيّة والبَلاغة والأنساب . أخذ عن جماعة منهم ابن الحاجِب . وكان الشيخ عزّ الدين ابن عبد السلام يقول : الديار المصرية تفتخر برجلين فى طرَفيها: ابن دقيق العيد بقوص وابن المنيّر بالإسكندرية . ومن تصانيفه تفسير القرآن والانتصاف من الكَشّاف وأسرار الإسرَاء ، ومناسبات تراجم البخارىّ ، ومختصر التّهذيب فى الفقه . ولد سنة عشرين

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٣ : ٢٣٥ .
(٢) الديباج المذهب ٦٢.

وستمائة . ومات فى أول ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين بالإسكندرية[١].

٧١ ـ أخوه زين الدين علىّ قاضى الإسكندرية بعد أخيه . قرأ على ابن الحاجب وغيره ، وكان بعض الفضلاء يفضله على أخيه ، وإن كان هو أشهر منه . وله شرح عظيم على البخارىّ . قال ابنُ فرحون : وكان ممنّ له أهلية الترجيح والاجتهاد فى مذهب مالك .

٧٢ ـ ابن دقيق العيد الشّيخ تقىّ الدين أبو الفتح محمد بن الشّيخ مجد الدين علىّ بن وهب بن مُطيع القشيرىّ القوصىّ . قال ابن السُّبكى فى الطبقات : شيخ الإسلام الحافظ الزاهد الورع الناسك المجتهد المطلق ذو الخِبْرة التامّة بعلوم الشريعة ، الجامع بين العلم والدّين ، والسالك سبيل السادة الأقدمين . أكملُ المتأخّرين . ولد بظَهْر البحر الملْح قريبا من ساحل اليَنْبُع وأبواه متوجّهان من قُوص للحجّ يوم السبت خامس عشرين شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة ، ونشأ بقوص وتفقه بها ، ثم رحل إلى مصر والشام، وسمع الكثير . وأخذ من الشّيخ عزّ الدين بن عبد السلام ، وحقّق العلوم ، ووصل إلى درجة الاجتهاد ، وانتهت إليه رياسة العلم فى زمانه ، وَشُدّت إليه الرحال . قال الحافظ فتح الدين بن سيد الناس : لم أر مثلَه فيمن رأيت ، ولا حملتُ عن أجلّ منه فيمن رويت . وكان للعلوم جامعا ، وفى فنونها بارعاً ؛ مقدّماً فى معرفة علل الحديث على أقرانه ، منفرداً بهذا الفنّ النفيس فى زمانه ، بَصيرا بذلك ، شديد النّظر فى تلك المسالك، أذكى ألمعيّة ، وأزكى لوذعيّة ، لايُشقّ له غبار ، ولا يجرى معه سواه فى مِضْمار ، وكان حسن الاستنباط للأحكام والمعانى من السّنة والكتاب ، بنُكَت تسحر الألباب ،وفكَر تستفتح له ما استغلَق على غيره من الأبواب ، مستعيناً على ذلك بما روَاه من العلوم ،

---

(١) فوات الوفيات ١ : ٧٢ .　　　(٢) الديباج المذهب ٢١٤ .

مبيّنا ماهنالك بما حواه من مدارك الفهوم ، مبرّزًا فى العلوم النقليـة والعقلية ، والمسالك الأثريّة والمدارك النظريّة ، بحيث يقضى له من كل علم بالجميع ، وسمع بمصر والشام والحجاز، على تحرٍّ فى ذلك واحـتراز ، ولم يزل حافظاً للسانه ، مقبلا على شانه ، وقف نفسه على العلوم وقصرها ، ولو شاء العَادّ أن يحصُر كلماته لحصَرها ؛ ومع ذلك فله بالتجريد تخلّق ، وبكرامات الصالحين تحقّق ، وله مع ذلك فى الأدب باع ، وكرم طباع ، لم يخلُ فى بعضها من حسن انطباع، حتى لقد كان الشهاب محمود الـكاتب المحمود فى تلك المذاهب ،يقول: لم تر عينى آدب منه . وقال أبو حيان : هو أشبه مَنْ رأيناه يميل إلى الاجتهاد .

قال الشيخ تاج الدين السبكى : ولم أر أحـداً من أشياخنا يختلف فى أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس المائةِ السابعة ، المشار إليه فى الحـديث ؛ فإنّه أستاذ زمانه علماً وديناً .

وله مصنفات ، منها الإلمام فى الحديث وشرحه الّذى لم يؤلف أعظم منه لما فيه من الاستنباطات العظيمة، وشرح العمدة ،والاقتراح فى مصطلح الحديث ، وشرح العنوان فى أصول الفقه ، وكتاب فى أصول الدين ، وله ديوان خُطَب ، وشعر حسن .

مات يوم الجمعة حادى عشر صفر سنة اثنتين وسبعمائة[1] .

ورثاه الشرف محمد بن محمد عيسى القوصى بقوله:

سَيَطول بعدَك فى الطّلول وقوفى ... أُرْوِى الثرَى من مدمَعى المذرُوفِ

أبـكى على فَقْدِ العلوم بأسْرها ... والمـكرُمَات بنـاظر مطروفِ

أمحمدَ بنَ علىٍ بْنِ وهْبٍ دعوةً ... من قلبِ مشجُونِ الفؤادِ أسيفِ

لو كان يَقْبلُ فيكَ حتفُك فدية ... لفُديتَ من علمـائنا بألوفِ

أو كان من حَجْرِ المنـايا مانعٌ ... مَنَعتْكَ سُمرٌ قنًا وبيضُ سيوفِ

---

(١) طبقات الشافعية ٦ : ٢ ـ ٢٢ .

ما كنتَ فى الدّنيا على الدّنيا إذا ولّت بمحزونٍ ولا مـأسُوفِ
سَلِمَتْ عِدَاتُكَ لاعُداتُك كلّها ـمُذ كنتَ ـ من مَطْل ومن تسويفِ
ياطالبى المعروف أين مَسيرُكُمْ مات الفتى المعروفُ بالمَعروفِ
المشـترى العَليا بأغلى قيمةٍ من غـير ما بَخْسٍ ولا تطفيفِ
ماعنّفَ الجلساءَ قطُّ ونفسُـه لم يُخْلِهَا يومـاً من التعنيفِ
يامُرْشِدَ الفُتْيَا إذا ما أشـكلت طُرُقَ الصّواب ومنجدَ الملهوفِ
مَنْ للضعيف يُعينُـه أنَّى أتَى مُسْتصرخاً ياغوثَ كلّ ضعيفِ
مَنْ لليتـامى والأرامل كافلٌ يرجونه فى شتوة ومَصيفِ
لم يَثْنِ عَزْمك عَن مواصلة العلا حسناء ذاتُ قلائد وشُنوفِ
أفنيْتَ عمرَكَ فى تقًى وعبادةٍ وإفادةٍ للعـــلم أو تصنيفِ
وسبحْتَ فى بحر العلوم مكابداً أمواجَه والناسُ دون السِّيفِ
وبذلْتَ سائِرَ ماحويْتَ فلم تدَعْ لك من تَليدٍ فى العلا وطريف
ياشمسُ مَالكِ تطلُعين ألم ترىْ شمس المعارف غُيِّبَتْ بكسوف
وَلأَنتَ كنتَ أحقَّ من بدر الحجى والعلمِ يابَدر الدُّجى بخسُوفِ
لهفى على حَبْر بكلّ فضيـــلة عليـاء من زمن الصِّبا مشغُوف
كان الخفيفَ على تقيٍّ مؤمنٍ لـكن على الفُجّار غير خفيف
تبكى العلومُ كأنّهـا ليلَى على فُقْدانه وكأنّهُ ابنُ طـــريفِ
أمِنَتْ أحاديثُ الرسول به من الـتبديل والتّحريف والتّصحيفِ
والشّرعُ يخشى عودة الدّاء الذى قد كان منـه على يديه عُوفِى
عمّ المصَابُ به الطوائِفَ كلّها لمّا ألمّ وخصّ كلَّ حَنيفِ
ومضى وَمَا كُتِبَتْ عليه كبيرةٌ من يوم حلّ بساحةِ التـكليف

بُشراكَ يابن عليٍّ العالى الذُّرا إذ بِتَّ ضيفاً عند خير مُضيف
وخلعْتَ من كبد الحسُود وروْمة الـ جانى البغيض وجُزْتَ كلَّ مخوف
ولقد نزلْتَ على كريم غافرٍ بالنّازلـــين كما علمتَ رؤوفِ
صـبراً بنيـــه قوةً من بَعْدِهِ صبرَ الـكريم الماجد الغطريف
والله لو وفيتمُوُ من حقه شيئاً فليس الحزنُ فيه بِوُفى

٧٣ ـ ابن الرفعة الإمام نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عليّ بن مرتفع الأنصاريّ . واحد مصر ، وثالث الشيخين : الرافعيّ والنوويّ ، فى الاعتماد عليه فى الترجيح . قال الإسنويّ : كان إمام مصر بل سائر الأمصار ، وفقيه عصره فى جميع الأقطار ، لم يخرج إقليم مصر بعد ابن الحدّاد مَنْ يدانيه ، ولا يُعلم فى الشافعية مطلقـا بعد الرافعيّ مَنْ يُساويه ؛ كان أعجوبةً فى استحضار كلام الأصحاب ؛ لا سيما من غير مظانّه ، وأعجوبة فى معرفة نُصوص الشافعيّ ، وأعجوبة فى قوّة التخريج .

ولد بالفسطاط سـنة خمس وأربعين وستمائة ، وتفقّه على السديد والظهير الترمنتيّ وعلى الشريف العباسيّ ، ودرّس بالمعزّيّة بمصر ، وولى حِسْبة مصر ، وصنّف التصنيفين العظيمين : الـكفاية فى عشرين مجلدا ، والمطلب فى ستين مجلدا . وله النّفائس فى هدم الـكنائس ، وتأليف فى المـكيال والميزان . مات بمصر فى ثانى عشر رجب سنة عشر وسبع مائة [1] .

٧٤ ـ ابن الزَّمْلـكانيّ العلامة كال الدين محمد بن عليّ بن عبد الواحـد بن عبد الـكريم الأنصـاريّ . قال الذهبيّ : كان عالم العصر ، وكان من بقـايا المجتهدين ، ومن أذكياء أهـل زمانه ، تخرّج به الأصحاب . مولده بدمشق فى شوال سنـة

---

(١) البداية والنهاية ١٤ : ٦٠ .

سبع وستين وستمائة ، وقرأ الأصول على الصفيّ الهندىّ ، والنّحو على بدر الدين بن مالك ، وألف عدّة تصانيف ، وطلب القضاء مصر ، فقدم . فمات ببلبيس فى سادس عشر رمضان سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، وحمل إلى القاهرة ميتا، ودفن قريبا من قبر الإمام الشافعىّ رضى الله عنه(١) .

٧٤ ـ السبكىّ العلامة تقىّ الدين أبو الحسن علىّ بن عبد الكافى بن تمام بن حمّاد ابن يحيى بن عثمان بن على بن سوار بن سُليم الأنصارىّ . قال ولده فى الطبقات : الإمام الفقيه المحدّث الحافظ المفسر الأصولىّ المتكلم النحوىّ اللغوىّ الأديب الجدَلىّ الخِلافىّ النظّار ، شيخ الإسلام بقية المجتهدين ، المجتهد المطلق . ولد بسُبْك من أعمال المنوفية فى صَفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة ، وتفقّه على ابن الرِّفعة ، وأخذ الحديث عن الشرف الدمياطىّ، والتفسير عن العَلَم العراقىّ، والقراءات عن التقىّ بن الصائغ، والأصول والمعقول عن العلاء الباجى، والنحو عن أبى حيّان . وصحِب فى التصوّف الشيخ تاج الدين بن عطاء الله ، وانتهت إليه رياسة العلم بمصر . قال الإسنوىّ : كان أنظرَ مَنْ رأيناه من أهل العلم ومن أجمعهم للعلوم ، وأحسنهم كلاما فى الأشياء الدقيقة وأجلدهم على ذلك . وقال الصلاح الصفدىّ : النّاس يقولون : ما جاء بعد الغزالىّ مثله ، وعندى أنهم يظلمونه بهذا وما هو عندى إلا مثل سفيان الثورىّ ، وقال ابنه فى الترشيح : قال الشيخ شهاب الدين ابن النقيب ، صاحب مختصر الكفاية وغيرها من المصنفات : جلست بمكة بين طائفة من العلماء وقعدنا نقول : لو قدّر الله تعالى بعد الأئمة الأربعة فى هذا الزمان مجتهدا عارفا بمذاهبهم أجمعين يركّب لنفسه مذهبا من الأربعة ، بعد اعتبار هذه المذاهب المختلفة كلّها ، لازدان الزمان به ، وانقاد الناس ، فاتّفق رأينا على أنّ هذه الرتبة لا تعدو الشيخ تقىّ الدين السبكىّ ، ولا ينتهى لها سواه .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٤ : ١٣١ .

وله من المصنفات الجليلة الفائقة التى حقها أن تكتب بماء الذهب ، لما فيها من النفائس البديعة ، والتدقيقات النفيسة ؛ منها الدرّ النظيم فى تفسير القرآن العظيم ، تكملة شرح المهذب للنووىّ وصل فيه إلى أثناء التفليس ، الابتهاج فى شرح المنهاج وصل فيه إلى الطلاق . الرّقم الإبريزىّ شرح مختصر التبريزىّ ، التحقيق فى مسألة التعليق ، رفع الشقاق فى مسألة الطلاق ، أحكام كلّ وما عليه تدلّ ، بيان حكم الرّبط فى اعتراض الشرط ، شفاء السّقام فى زيارة خير الأنام ، السّيف المسلول على مَنْ سبّ الرسول ، التعظيم والمنّة ، فى « لَتُؤْمِنُنَّ به ولتنصرنّه » ، منية الباحث عن حكم دين الوارث ، الرياض الأنيقة وقسمة الحديقة ، الإقناع فى إفادة « لَوْ » للامتناع ، وشْيُ الحُلاَ فى تأكيد النفى بلا ، الاعتبار ببقاء الجنة والنار ، ضرورة التقدير فى تقويم الخمر والخنزير ، كيف التدبير فى تقويم الخمر والخنزير ، السّهم الصائب فى قَبْض دَيْن الغائب ، الغيث المغدق فى ميراث ابن المعتق ، فصل المقال فى هدايا العمّال ، مختصره ، نور المصابيح فى صلاة التراويح ، ضياء المصابيح ، ضوء المفاليح ، تقييد التراجيح ؛ ومصنفان آخران فى ذلك ، تكملة سبعة أجزاء ، إبراز الحكم من حديث رفع القلم ، الكلام على حديث : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث » ، كشف الغمّة فى ميراث أهل الذمّة ، الاتّساق فى بقاء وجه الاشتقاق ، الطوالع المشرقة فى الوقف على طبقة بعد طبقة ، النقول والمباحث المشرقة ، طليعة الفتح والنصر فى صلاة الخوف والقصر ، القول الصحيح فى تعيين الذبيح ، القول المحمود فى تنزيه داود ، قطف النَّوْر مسائل الدَّوْر ، الدَّوْر فى الدور ؛ وله فيه مؤلف ثالث ورابع وخامس ، عقود الجُمان فى عقود الرّهن والضّمان ، ورْد العلل فى العلل ، البصر الناقد فى لا كلمتُ كلّ واحد ، الجمع فى الحضر بعذر المطر ، حسن الصنيعة فى ضمان الوديعة ، التهدّى إلى معنى التعدّى ، بيان المحتمل فى تعدية العمل ، الحكم والأناه فى إعراب قوله : « غير ناظرين إناه » ، القول الجدّ

فى تبعية الجدّ ، الإغريض فى الفرق بين الكناية والتعريض ، المواهب الصمدية فى المواريث الصفدية ، تفسير « يأيُّها الرسل كلُوا منَ الطيبات » الآية ، كشف الدسائس فى هَدْم الكنائس، تنزيل السكينة على قناديل المدينة ، الطريقة النافعة فى المساقاة والمخابرة والمزارعة، مَنْ أقسطوا ومن غَلَوْا فى حكم من يقول لَوْ، نَيل العُلا فى العطف بلاَ ، حفظ الصيام عن فَوْت التمام ، معنى قول الإمام المطلبىّ : إذا صحّ الحديث فهو مذهبى . القول المختطف فى أدلة « كان إذا اعتكف» ، كشف اللَّبس عن المسائل الخمس ، غيرة الإيمان الجلىّ لأبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ ، بيع المرهون فى غيْبة المديون، الاقتناص فى الفرق بين الحصْر والاختصاص ، تسريح الناظر فى انعزال الناظر ، جزء فى تعدّد الجمعة ؛ وغير ذلك . وله فتاوى كثيرة جمعها ولده فى ثلاثة مجلدات .

توفّىَ بجزيرة الفيل على شاطىء النيل ، يوم الاثنين رابع جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وسبعمائة [١] .

ورثاه شاعر العصر الأديب جمال الدين بن نباتة بقوله [٢] :

نَعاهُ للفَضْـــل والعَلْياء والنَّسَبِ	ناعِيهِ للأرضِ والأفلاكِ والشُّهُبِ
نَدبٌ رَأَينَا وجوبَ النّدب حينَ مضى	فأىّ حزنٍ وقَلْبٍ فيـــه لم يَجِبا
نعم إلى الأرض يُنْعَى والسماء عُلاً	فقيـدُكمْ ياسَراةَ المجْدِ والحسَبِ
بالعلم والعمل المـــبرور قد مُلئتْ	أرضٌ بـــكم وسماء عن أبٍ فأبِ
مُقدَّمٌ ذكر ماضيـــكم ووارثِهِ	فى الوقت تقديمَ بسم الله فى الكُتُبِ
آهًا لمجْتهدٍ فى العـــلم يندُبُهُ	مَنْ بات مجتهدا فى الحُزْن والحَرَبِ
بينا وفودُ العــــلا والعلم يُـنزِلُهم	إذ نازلتنا الليـــالى فيه عن كَثَبِ

---

(١) طبقات الشافعية ٦ : ١٤٦ — ٢٢٧ .

(٢) ديوان ابن نباتة ٤١ — ٤٣ ورواها ابنه فى الطبقات ٦ : ٢١٧ ، وقال : « سمعتها من لفظه » .

وأقبلتْ نوَبُ الأيـــــام ثائرةً إذ كان عوناً على الأيام والنُّوَبِ
فَفَاجَأتْنَا يدُ التفريق مسفرةً عن سَفْرَةٍ طال فيها شجوُ مرتقِب
وَجاء من نحو مصرٍ ميتدًا خَـبَرٍ لـكنْ به السَّمعُ منصوبٌ على النَّصَب
قالت دمشقُ بدمـــع النهر وَاخبرًا « فزعتُ فيه بآمالى إلى الـكذب »
« حتّى إذا لم يَدَعْ لى صدقُهُ أَمَلاً شرِقتُ بالدمع حتى كاد يشرَق بى »
وكلمتْنا سيوف الـكتْب قائـــلةً : « السّيفُ أصدق إنباءً من الـكتب »
وقال موت فتى الأنصـــار مغتبطا الله أكبر كلُّ الحسن فى العرَبِ
لقدْ طوى الموتُ من ذاك الفريد حُلًى كانت جِلاَ الدينِ والأحكام والرِّيبِ
وخَصَّ مغْنَى دِمَشْقَ الحُزْنُ متَّصـلاً بفرقتين أبانتْهــــا على وصَبِ
بينٌ وموت يؤُوبُ الغائبون ومَنْ يجمــع له مُقسماً بالله لم يؤُبِ [1]
كادتْ رياح الأسَى والشَّجْوِ يَعْـكِسُها حتى الغصون بها معكوسةُ العذَبِ
والجامِع الرَّحْبُ أضحى صدْرُه حرِجاً والنّسر ضمَّ جناحيه من الرَّهَبِ
وللمدارس همٌّ كاد يدْرُسهــــا لولا تداركُ أبنـــاءِ له نُجُبِ
مَنْ للهدَى والندى لولاَ بَنُوه ومَنْ للفَضْل يسحب أذيالا على السُّحُبِ
مَنْ للفُتوّة والفَتْوى بجالسُـــه فى الضَّيعتيْن وللآداب والأدبِ
مَنْ للتواضع حيثُ القدر فى صُعُدٍ على النُّجوم وحيثُ الحُـكْمُ فى صَبَب
أمضى من النَّصْل فى نَصْر المدى فإذا سُلَّت نِصَالُ العدى أوْفَى من النكب
مَنْ للتصانيف فيها رتبـةً وهدًى ورجْمُ باغٍ فيالله من شُهُبِ !
مَنْ للفضائل والإفضال قدْ جمعتْ مَتْن السُّراة إلى دانٍ بهـا دَربِ
ذُو همّة فى العـلا والعلم قد بلغت شـــأو السماك وما ينفك فى دَأَب

---

(١) لم ترد فى الديوان .

نْ للتهجّد أو مَنْ للدّعا بُسطتْ ... به وبالجودِ فينا راحتـــا تعبِ

حتى رأى العلمُ شَفْع الشافعىّ به ... فقال من ذاوذا أدركت مُطّلبى

نْ للمدائح فيــه قد جلتْ وصفتْ ... كأنما افترّ منها الطِّرسُ عن شَنَبِ

نْ للمدائح قد قامت خطــابتُها ... على معاليه فى قاصٍ ومقـــترب

لهفى وقد لبستْ حُزْنًا لفرقته ... مدادها أسطرُ الأشعار والخطبِ

لهفى لمظلم مدْح فكرُ أجمعهمْ ... بالهمّ لا بالذّكا أمسى أبا لهب

كأنّ أيدى الورى تبّتْ وقد قعدتْ ... مِن عِىّ أقـــلامها حمّالةُ الحطب

لهفى على الظهر فى عَرْض وفى سعةٍ ... وفى لســانٍ وفى حلم وفى غضَبِ

واقى الشريعة من تخليط من جهلوا ... فما يخوضون فى جِدّ ولا لعبِ

محجّب غير ممنوع اللقا بِسَنَا ... عليــائه ومهيبٌ غـير محتجبِ

أضحى لسبْك نُضارٍ من منــاقبه ... على العراق نُضارٌ غـير منتقبِ

لهفى لعلمَيْن : مروىٍّ ومجتهدٍ ... لهفى لفضلَيْن : موروثٍ ومكتسبِ

آهًا لمرتحلٍ عنــا وأنعمُه ... مثلُ الحقــائب والطّلاّب والحِقَبِ

إيمــان حبٍّ على الأوطانِ حرّكهُ ... حتى قضى نحبَه ياطول منتحبِ

لهفى لــكلّ وقورٍ من بنيه بكى ... وهو الصواب بصوبٍ واكف السّربِ

وكلّ نادبةٍ للحجب قُلن لهــا ... « ياأختَ خيرِ أخٍ يابنت خير أب »(١)

إلى الحسين انتهى مسرى علىٍّ فلا ... منيتَ ياخارجىّ الهمّ بالغلَبِ

ياثاوياً والثنـــا والمجد ينـــشره ... بقيتَ أنت وأفنتْنا يد الكرَب

ثم فى مقــامِ نعيمٍ غير منقطعٍ ... ونحن فى نارِ حزنٍ غير مُنشعبِ

---

١) أصل مطلع قصيدة للمتنبي يرثى أخت سيف الدولة ؛ وبقيته :

* كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ *

سهام حزن قسمناها عليك فإنْ … تقسم برقٍ وإن ترم الحشا تُصِبِ

ما أعجبَ الحال لى قلبٌ بمصروفى … دمشق جسمٌ ودمع العين فى حَلبِ

مَنْ لى بمصر التى ضمّتك تجمعُنا … ولو بطونُ الثرى فيها فياطَرَبِى

بالرّغم منّا رثاء بعد مدحك لا … يُسلَى ونحن مع الأيام فى لَجبِ

مابين أكبادنا والهمّ فاصلةٌ … ولا نَرَى لصنيعِ الشعر مِنْ سببِ

أمّا القريض فلولا نسلكم كسدتْ … أسواقُه وعدتْ مقطوعة الجلبِ

قاضى القضاةِ عزاءً عن إمام تقى … بالفضل أوصى وصاة المرء بالعَقِبِ

فأنت فى رتبةٍ عَلياً وما وسَقتْ … بحرٌ يحدّث عنه البحر بالعجَبِ

ماغاب عنّا سوى شخصٍ لوالدكمْ … وعلمه والتقَى والجودُ لم يغبِ

جادت ثراكَ أباالسادات سُحْبُ رضا … تُزْهَى بذيل على مثواك منسحِبِ

وسار نحوك منّا كلّ شارقةٍ … سلامَ كلِّ شجىّ القلْبِ مكتئبِ

تحية الله نهديها ونُتبِعُها … فبعد فَقدِك مافى العيش من أربِ

وخفف الحزْن أنّا لاحقون بمَنْ … مضَى فأمْضَى شباةَ الحارِب الدّرِبِ

إن لم يسر نحوَنا سرنا إليه عَلَى … أيّامنا والليالى الدُّهْم والشُّهُبِ

إنّا من الترب أشباح مخلّقةٌ … فلا عجيبٌ مآلُ التّربِ للتُّربِ

ورثاه الصلاح الصفدى بقوله :

أىّ طودٍ من الشريعة مالا … زعزعتْ ركنَه المنونُ فآلا

أىّ ظلّ قد قلّصتْه المنايا … حين أعيا على الملوك انتقالا

أىّ بحرٍكم فاضَ بالعلم حتى … كان منه بحر البسيطة آلا

أىّ حَبْرٍ مضَى وقد كان بحراً … فاض للواردين عذباً زُلالا

أىّ شمس قد كُوّرَتْ فى ضريحٍ … ثم أبقت بدراً يضى وهلالا

مات قاضى القضاة من كان يرقى ... رتب الإجتهاد حالاً فحالا
ماتَ من فضل علمه طبّق الأرض مسيراً وما تشكّى كلالا
كان كالشمس فى العلوم إذا ما ... أشرقت أصبح الأنام ذُبالا
كان كلّ الأنام من قبل ذا العصر عليه فى كلّ علم عيالا
كان فردَ الوجود فى الدّهر يُزْهَى ... بمعالى أهل العلوم جمالا
فمضوا قبله وكان ختاماً ... بعدهم فاعتدى الزمان وصالا
كملت ذاته بأوصاف علم ... علّم البدر فى الدياجى الكمالا
وأنام الأنام فى مهد عدل ... شمل الخلق يَمْنةً وشمالا
فلمن بعدهُ نَشُدُّ رحالاً ... ولمن بعده نشدُّ رحالاَ
وهو إن رمتَ مثله فى عُلاه ... لم تجد فى السؤال عنه سوى لا
أحسن الله للأنام عزاهم ... فهمو بالمصاب فيه ثَكالَى
ومصاب السبكىّ قد سبك القلب وأودى منّا الجلودَ انتحالا
خزرجىّ الأصول لو فاخر النجم علا مجده عليه وطالا
خُلُقٌ كالنّسيم مرّ على الروض سُحيراً وعرْفُه قد توالى
ويدٌ جودها يفوق الغوادى ... تلك ما أنعمت ودامت نوالا
أيّها الذاهب الّذى حين ولّى ... صارَ منه عِزّ الدموع مذالا
لو أفاد الفداء شخصا لجدنا ... بنفوس على الفدا لا تغالَى
نفسٌ طال ماتنفّس عنْها ... منك كربٌ يكظّها واستحالا
أنتَ بلّغتها المنى فى أمانٍ ... فاستفادت عزّا وعزّتْ منالا
مَنْ لنا إن درجت شَجْواً شكونا ... مِنْ أذاها فى الدّهر داء عُضالا
كنت تجلُو ظلامها ببيانٍ ... حلّ مِنْ عقلنا الأسير عِقالا

من يعيـــد الفتوى إلى كل قطر ... منه جاءت جوابُها يتلألا
قد أصبتَ الصّواب فيهـــا وأهديْـ ... ـتَ هُداهـــا وقد محوتَ الضّلالا
فيقول الورى إذا ماراْوْها ... هكذا هكذا وإلّا فلالا
فليقـــل ما يشا أما جاء أنّ الـ ... ـموتَ أردَى الغضنفر الرِّئبالا
وإذا ماخلا الجبان بأرضٍ ... طلبَ الموت وحـــده والنِّزَالا(١)
قـــد تقضّى قاضى القضاة تقى الدّ ... ين سُبحـــان مَنْ يُزيل الجبالا
فالدّرارى مِنْ بعـــده كاسفاتٌ ... وإذا مابدا نراها خَجالَى
كان طَودا فى علمـــه مشمخرًا ... مدّ فى النّاس مِنْ بنيـــه ظِلالا
فيه عزّها ونعمة تاج ... فوق فرق العـــلاء رفّ اعتدالا
هـــو قاضى القضاة صان حماهُ ... مِنْ عـــوادى الزّمان ربّى تعالَى
وهـــداه للحكم فى كلّ يوم ... فيه يرعى الأيتام والأطفالا
وحباه الصّبْر الجميل ووفا ... ه ثواباً يزْجى سحاباً ثقالا
ليفيد العدا جلاداً ويعدُو ... فيعيد النّدى ويبـــدى الجدالا

٧٥ ـ ولده قاضى القضاة تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب . ولد بمصر سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، ولازم الاشتغال بالفنون على أبيه وغـيره حتى مهر وهو شابّ ، وصنف كتبا نفيسة ، وانتشرت فى حياته ، وألّف وهو فى حدود العشرين . كتب مرة ورقةً إلى نائب الشام يقول فيها : وأنا اليوم مجتهد الدنيا على الإطلاق ، لا يقدر أحـد يردّ على هذه الـكلمة ، وهو مقبول فيما قال عن نفسه .

ومن تصانيفه : جمع الجوامع ومنع الموانع ، وشرح مختصر ابن الحاجب ، وشرح منهاج البيضاوىّ ، والتوشيح والترشيح ، والطبقات ، ومفيد النّعم وغير ذلك . مات عشية

(١) للمتنبي ، ديوانه ٣ : ١٤٣ .

يوم الثلاثاء سابع ذى الحجة سنة إحدى وسبعين وسبعمائة [١] .

٧٦ ـ البلقينى شيخ الإسلام سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانىّ ، مجتهد عصره ، وعالم المائة الثامنة .

ولد فى ثانى عشر رمضان سنة أربع وعشرين وسبعمائة ، وأخذ الفقه عن ابن عدلان والتقىّ والسبكىّ ، والنحو عن أبى حيّان ، وبرع فى الفقه والحديث والأصول ، وانتهت إليه رياسة المذهب والإفتاء،وبلغ رتبة الاجتهاد.وله ترجيحات فى المذهب خلاف مارجّحه النووىّ ، وله اختيارات خارجة عن المذهب ، وأفتى بجواز إخراج الفلوس فى الزكاة ، وقال : إنّه خارج عن مذهب الشافعىّ .

وله تصانيف فى الفقه والحديث والتفسير منها ، حواشى الروضة ، وشرح البخارى ، وشرح الترمذىّ ، وحواشى الكشاف .

وولى تدريس الخشّابية وغيرها ، وتدريس التفسير بالجامع الطولونىّ .

وكان البهاء ابن عَقِيل يقول : هو أحقّ الناس بالفتوى فى زمانه ، مات فى عاشر ذى القعدة سنة خمس وثمانمائة .

وسمعت ولده شيخنا قاضى القضاة علم الدين يقول : ذكر الشيخ كمال الدين الدميرىّ أن بعض الأولياء قال له : إنّه رأى قائلا يقول : إنّ الله يبعث على رأس كلّ مائة لهذه الأمّة من يجدد لها دينها ، بدئت بعمر ، وختمت بعمر .

قلت : ومن اللطائف أن شرط المبعوثين على رءوس القرون مصريّون : عمر بن عبد العزيز فى الأولى ، والشافعىّ فى الثانية ، وابن دقيق العيد فى السابعة ، والبلقينىّ فى الثامنة ؛ وعسى أن يكون المبعوث على رأس المائة التاسعة من أهل مصر .

وقال الحافظ ابن حجر يرثى البلقينىّ ، وضمّنها رثاء الحافظ أبى الفضل العراقىّ :

---

(١) الدرر الكامنة ٢ : ٤٢٥ .

ياعينُ جودِى لفقــد البحْر بالمطرِ ... واذرى الدُّموعَ ولا تبقى ولا تَذَرى

لو ردّ تردادُ دمعٍ ذاهباً سبقتْ ... شهبُ الدّموع بعينى جريةَ النَّهَرِ

تسقى الورى فتى لام العذول أقلْ ... دَعْهـا سماويّة تجرى على قَدَرِ

ياسائلى جهرةً عمّا أكابِدُه ... « عدتْك حالِىَ لا سرِّى بمستترِ »[1]

لم يعل منّى سوى أنفاسىَ الصّعَدا ... ولستُ أبصر دمعى غيرَ منحدرِ

أقضى نهارىَ فى غمٍّ وفى حَزَنٍ ... وطول ليلىَ فى فكرٍ وفى سَهَرَ

وغاصَ قلبىَ فى بحر الهمومِ أما ... تَرى سقيطَ دُمُوعى منه كالدُّرَرِ !

فرحمةُ الله والرِّضوان تشملهُ ... سلامةٌ مابكّى باكٍ على عُمَرِ

بحرُ العلوم الّذى ما كدّرتْه دِلاً ... من المسائِل إنْ تُشْكِل وإن تَذَرِ

والحبر كم حبّرتْ طِرساً يَراعتُه ... حتى تجانس بين الحِبْر والحَبَرِ

لم أنسَ حينَ يحفُّ الطالبونَ به ... مثل الكواكب إذ يحففن بالقمَرِ

فيقسم العلم فى مُفْتٍ ومبتدئٍ ... كقسمةِ الغيث بين النَّبْت والشجرِ

ولم يخصّ ببشرٍ منه ذا نسبٍ ... بل عمّهم فضله بالبشْر والبُشَرِ

لقد أقام منار الدِّين متّضحاً ... سراجُه فأضاء الكونَ للبشَرِ

فى القرن الأوّلِ والقرنِ الأخير لقَدْ ... أحيا لنا العمران الدين عن قدر

فى الاسم والعلم والتّقوى قد اجتمعاَ ... وإنما افترقا فى العصر والعُمُرِ

لكن أضاء سراج الدّين منفرداً ... وذاك مشترك فى سبعة زُهُرِ

مَنْ للفضائل أو مَنْ للفواصل أوْ ... مَنْ للمسائل يُلْقِيها بلا ضجرِ

مَنْ للفوائد أو مَنْ للعوائد أوْ ... مَنْ للقواعد يبنيها بلا خَوَرِ

---

(١) أصله بيت البوصيرى :

عَدَتْكَ حالِىَ لاسِرِّى بمستَتِرٍ ... عَنِ الوُشاةِ ولا دائِى بمُنْحَسِمِ

مَنْ للفتاوى وحلّ المشكلات إذا جلّ الخطاب وظلّ القومُ فى فِكرِ
لمن يكون اختلاف الناس إن نَعقتْ عمياء والحكم فيها غير مستطرِ
قالوا إذا عضلت نبّه لها عمراً ونم فَمَن بعده للمشكل العَسِرِ
مَنْ لو رآه ابن إدريسَ الإمام إذاً أقرّ أو قر عيناً منه بالنظرِ
قد كان بالأمّ برًّا حين هذّبها تهذيب منتصرٍ للحق معتبرِ
ترى خوارق فى استنباطه عجباً يردّها العقل لولا شاهد البصرِ
قالت حواسده لمّا رأوا غُرراً مِنْ بحثه خُبْرها يربو على الخبرِ
الله أكْبَرُ ماهذا سوى مَلَكٍ وحاش لله ماهذا من البشرِ
عهدى بأكبرهمْ قدراً بحضرته مثل البُغاث لدى صقر من الصغرِ
محدّثٌ قل لمن كانوا قد اجتمعوا ليسمعوا عنه : فزتم منه بالوطَرِ
علوتمُ فتواضعتمْ على ثِقَةٍ لمّا تواضعَ أقوامٌ على غَرَرِ
محقّق كم له بالفتح من مددٍ تحقيق رَجْوَى نبىّ الله فى عمرِ
حكى الجُنَيد مقاماتٍ بها فله تذكير ناسٍ وتنبيهٌ لمدّكرِ
وبابه يتلقّى فيه قاصدُهُ بشر وسهلٌ ومعروف به وسَرِى
لو قال هذى السوارى الخشب من ذهبٍ قامت له حُججٌ يشرقن كالدُّرَرِ
وإنْ تكلّم يوما فى مناظرة يدقّ معناه عن إدراك ذى نظرِ
سلِ ابن عَدْلَانَ عن تحقيقه وأَبا حيّان واعْدِلْ إذا حكّمت واعتبرِ
مسدّد الرأى حجّاج الخصوم غدا فى سعيه خير حَجّاجٍ ومعتمرِ
كم حَجّةٍ وغزاةٍ قد سما بهما وكم حوى عمر الخيرات من عُمَرِ
أصمّ ناعيهِ آذانا، وقيّد أذ هاناً، وأطلق أجفاناً لمنكسرِ
سعى إلينا به يوم الوُقوفِ فما أجابه الرّكْب إلّا بالثّنا العطرِ

دماه فى يوم تعريف الحجيج فقد — عجّوا وضجُّوا أسًى من حادث نكرِ

يامَنْ له جنّة المأوى غدت نُزُلا — ارقدْ هنيئا فقلبى منك فى سفرِ

حَبَاكَ ربّك بالحُسنى ورؤيتهُ — زيادةٌ فى رضاه عنك فافتخرِ

أزال عنك تكاليف الحياة فما — تتلو إذا شئت إلا آخرَ الزُّمَرِ

أوحشتْ صحف علومٍ كنت تجمعُها — ومنزلاً بك معموراً من الخفر

لم يستملك لشادٍ أو لغانيةٍ — بيتٌ من الشعْرِ أو بيت من الشَّعرِ

لكن عكفت على استنباط مسألة — أوحلّ معضلةٍ أعيَتْ على الفكَر

بالنّصر قمتَ لنصّ تستدلّ به — كالسّيْف دلّ على التأثير بالأثرِ

طويت عنّا بساطَ العلم معتليا — فاهنأ بمقعدِ صِدقٍ عند مقتدِرِ

كنانة لك مأوى وهى منتسَب — الدار مصر غدتْ والبيت فى مُضَرِ

تحمى قسىٌّ ركوع مع سهام دُعاً — تحلّ حاشاك من خاطٍ ومن خَطَرِ

بضعاً وستين عاماً ظلْت منفرداً — برتبة العلم فيها أىّ مشتهر

فما برحتَ مجدّا للعلا يقظا — ولا انتبهت إلى كأس ولا وتَرِ

قد كنت تحمى حمى الإسلام مجتهداً — حتى تقلّد منه الجيدَ بالدّرَرِ

فرّقت جَمْع عدوّ الدين حيث نجوْا — بجمعهم بين تأنيثٍ ومنكسر

طعنتَ غير محابٍ فى مَقاتلهمْ — بالسّمْهريّة دون الوخز بالإبَرِ

طوراً بسيف الهدى فى الملحدين سطا — وتارة بسهام الذكْر فى التتر

رزء عظيم يُسَرّ الملحدون به — كالإتحادىّ والشيعىّ والقدرى

ليت الليالىَ أبقت واحداً جمعت — فيه هداية أهلِ النّفْع والضّرر

وليتَها إذ فدت عمراً فدت عمْرًا — يطالبيه وأولام بذى عمَرِ

هيهات لو قبِلَ الموت الفِدَا بذِلتْ — فى الشيخ من غير ثنْياَ أنفس البشرِ

يحيى القبر حواه إنه عجبٌ / إذ بان منه اتّساع الصدر للبحرِ

لهفى على فقد شيخ المسلمين لقد / جلّ المصابُ وفيه عزّ مصطبَرى

لهفى عليه سراجًا كان متقدًا / يسمو ذكاً بذكاء غير منحسرِ

لولا نداه خشينا نار فكرته / لكنه بنداه مطفئُ الشَّرَرِ

من ناره ظلّ بحرُ النيل محترقا / حُزْنًا ألا فاعجبوا من فطنةِ النَّهرِ

لهفى وهلْ نافعى إبداعُ مرثيةٍ / وكيف يغنى كسيرُ القلب بالفِقَرِ!

لهفى عليه لليل كان يقطعهُ / نفلا وذكراً وقرآنًا إلى السحرِ

لهفى عليه لعلم كان يجمعهُ / يشقّ فيه عليه فرقة السَّهرِ

لهفى عليه لعانٍ كان ينفعه / فعلاً وقولا فما يؤتى من الحصَرِ

لهفى عليه لضدّ كان يدفعهُ / عن الخلائق مِنْ بدوٍ ومِنْ حَضَرِ

نعم ويا طول حزنى ما حييتُ على / عبد الرّحيم فحزنى غير مقتصر

لهفى على حافظ العصر الّذى اشتهرت / أعلامُه كاشتهار الشمس فى الظُّهُرِ

علم الحديث انقضى لما قضى ومَضَى / والدّهر يفجع بعد العين بالأثرِ

لهفى على فقد شيخىَّ اللّذين هُمَا / أعزّ عندىَ من سمعى ومن بَصَرى

لهفى على مَن حديثى عن كمالِهما / يحيى الرَّميم ويلهى الحىّ عن سَمَرِ

اثنان لم يرتق النّسران ما ارتقيا / نسر السما إن يلُح والأرض إن يطِرِ

ذا شبهُ فرخ عُقاب حُجَّة صدقت / وذا جُهينة إن يُسْألْ عن الخبرِ

لا ينقضى عجبى عن وفق عمرهما / العامُ كالعام حتىّ الشهر كالشَّهرِ

عاشا ثمانين عاماً بعدها سنة / وربع عام سوى نقص لمعتبرِ

الدّين تتبعه الدنيا مضت بهما / رزية لم تهنْ يوماً على بَشَرِ

بالشمس وهو سراجُ الدين يتبعهُ / بدر الدياجىّ زين الدين فى الأثرِ

ما أظلم الأفقَ فى عينى وقد أفلتْ شمسُ المنيرة عنى وامّحى قمرى

قد ذقتُ من بين أحبابى العذاب وهمْ لاح النعيمُ فساروا سير مبتدرِ

يا قلب ساروا وما وافقتهم فعلوّا إلى الرفيق لدى الجنات والنهر

وعشتَ بعد نواهمْ مظهراً جَلَداً تكابد الشوق ما أقساك من حَجَرِ

وأنت يا طرفُ لا تنظر لغيرهمُ ما أنت عندىَ إن تنظر بذى نَظَرِ

ولا يغرّنْك بشر من خلافهمُ ولو أنار فكم نَوْرٌ بلا ثمَرِ

وقل لأسوَدِ عينى بعد أبيَضِه يا آخر الصَّفْوِ هذا أوّل الكدرِ

ما بعدهمْ غاية يا موتُ تطلبُها بلغت للأفْقِ فى المرقى فلا تَطِرِ

بدور تمّ خلت منهمْ منازلُهمْ والقلب ذو كدَر والطَّرْف ذو سَهَرِ

غصون روض ذوت فى التراب أوْجهُهُمْ واوحشتاه لذاك المنظر النَّضِرِ

دمعى عليهم وشعرى فى رثائهمُ كالدرّ ما بين منظوم ومنتثرِ

دارت كؤوس المنايا حين غبت على أحباب قلبى فليتَ الكأس لم تَدُرِ

خرجت أنّىَ ألقاهم ففات ، فقدْ زهدت فى وطنى إذ فاتنى وطرى

لقد رَجَوْنا لمـا قاضى القضاة جلا ل الدين حيث لنا أدّى من السفرِ

ولىّ عهد أبيه كان نص على استخلافه ، فانتظرْ يا خير منتظِرِ

فتىً سنٍّ وفى المقدارِ شبه أبٍ هذا اتّفاق فتىً السنٍّ والكِبَرِ

جارى أباه وأخلقْ أن يساويَهُ والبدرُ فى شَفَق كالبدرِ فى سَحرِ

له مناقبُ تسرى ما سرى قمرٌ وسيرةٌ سار فيها أعدل السِّيَرِ

علمٌ وحلمُ وَعدلٌ شاملٌ وتقى وعفةٌ ونَوالٌ غيرُ مُنْحَصِرِ

خلائقٌ فى العلا لمّا سمت ونمتْ فاحت ولاحتْ لنَا كالزُّهْرِ والزَّهَرِ

يا كاملَ الأصْلِ دانى الفضل وافرَه بسيط فضلِ العطايا غير منبترِ

يا سيدا فى المعالى طالَ مطلبُه ملكتها عَنوةً بالحقِّ فاقتصِرِ
إن فهت بالفقه فقت الأقدمين ذكا وصُلْت بالحقِّ صَوْل الصارم الذكرِ
وإن تكلمت فى الأصلين فاعْلُ وطُلْ وقُلْ ولا فخر ، ما الرازى بمفتخرِ
وإن تفسر تحقّقْ كلَّ مشتبهٍ وسيفُ ذهنك شقّاقٌ على الطّبرى
وليس يرفعُ رأساً سيبويهِ إذا نصبت للنحو طرْفاً غير منكسرِ
ومن قديم زمان للحديث لقدْ رَقيت فى الحفظِ والعَلْيا إلى الزُّهُرِ
مولاى صَبْراً فما يخفـــــــاك أنَّ لنا فى رزئنا أسوةً فى سيِّد البشرِ
واعذر محبِّك فى إبطاء تعزيةٍ لغربةٍ ظَلْتُ فيها أىَّ معتذِرِ
ولا تقولنَّ لى فى غير معتبةٍ علىَّ لما أطلتُ المكْثَ فى سَفرى
أبعد حول توافينا بمرثيةٍ هلّا ونحنُ على عَشْر من العشرِ
وحقِّ رأسك لولا القربُ منك لما راجعتُ فكرى ولا حققتُ فى نظرى
بأىِّ ذهنٍ أقولُ الشعر كنت وبى غمٌّ يغمّ على الألباب والفِكرِ
فكر وحزن بقلبي والحشا سكنا وغربةٌ ظَلْتُ فيها أىَّ منكسرِ
هذا على أنّ رزء الشيخ ليس لهُ عندى انقضاءٌ إلى أنْ ينقضِى عُمُرى
فقدت فى سفرى إذ مات منه دُعاً فالفقدُ أوجَدُ ما لاقيتُ فى سَفَرى
دامت على لَحْدِه سُحْبُ الرّضا دِيَماً ما ناحت الوُرْقُ فى الآصالِ والبُكَرِ
أيقنتُ أن رياضاً قبرُه فهمَتْ عينى عليه بمنهلٍّ ومنهمِرِ
ودُمْ لنا أنت ما عنَّ الهلالُ وَمَا غنّى المطوّق فى زاهٍ من الزّهَرِ
ودَامَ مجدُك محروساً بأربعةٍ : العزِّ والنّصرِ والإقبالِ والظفرِ

٧٧ ـ ترجمة مؤلف هذا الكتاب عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبى الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيرىّ الأسيوطىّ .

وإنما ذكرت ترجمتى فى هذا الكتاب اقتداء بالمحدّثين قبلى ، فقلّ أن ألّف أحد منهم تاريخا إلا وذكر ترجمته فيه ؛ وممّن وقع له ذلك الإمام عبد الغافر الفارسىّ فى تاريخ نيسابور ، وياقوت الحموىّ فى معجم الأدباء ، ولسان الدين بن الخطيب فى تاريخ غرناطة ، والحافظ تقىّ الدين الفارسىّ فى تاريخ مكة ، والحافظ أبو الفضل بن حجر فى قضاة مصر ، وأبو شامة فى الروضين ؛ وهو أروعهم وأزهدهم ، فأقول :

أما جدّى الأعلى همام الدّين ؛ فكان من أهل الحقيقة ، ومن مشايخ الطريق ، وسيأتى ذكره فى قسم الصوفيّة ، ومَنْ دونه كانوا من أهل الوجاهة والرياسة ؛ منهم من وَلِىَ الحكم ببلده ، ومنهم مَنْ ولى الحِسْبة بها ، ومنهم مَنْ كان تاجرا فى صحبة الأمير شيخون ، وبنى مدرسة بأسيوط ، ووقف عليها أوقافا ، ومنهم مَنْ كان متموّلا ، ولا أعرف منهم من خدم العلم حق الخدمة إلا والدى ، وسيأتى ذكره فى قسم الفقهاء الشافعية .

وأما نسبتنا بالخضيرىّ ، فلا أعلم ما تكون إليه هذه النسبة إلا الخضيريّة ، محلّة ببغداد ؛ وقد حدّثنى من أثق به ، أنه سمع والدى رحمه الله تعالى يذكر أنّ جده الأعلى كان أعجميا أو من الشرق ؛ فالظاهر أنّ النسبة إلى المحلة المذكورة ، وكان مولدى بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة .

وحملت فى حياة أبى إلى الشيخ محمد المجذوب ، رجل كان من كبار الأولياء بجوار المشهد النفيسىّ ، فبرك علىّ ، ونشأت يتيما ، فحفظت القرآن ولى دون ثمانى سنين ثم حفظت العمدة ، ومنهاج الفقه والأصول ، وألفية ابن مالك ؛ وشرعتُ فى الاشتغال بالعلم ، من مستهلّ سنة أربع وستين ، فأخذتُ الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ ، وأخذت الفرائض عن العلاّمة فرضىّ زمانه الشيخ شهاب الدين الشار مساحىّ الذى كان

يقال إنه بلغ السنّ العالية وجاوز المائة بكثير ، والله أعلم بذلك ؛ قرأت عليه فى شرحه على المجموع ، وأُجزتُ بتدريس العربية فى مستهلّ سنة ست وستين .

وقد ألّفت فى هذه السنة ، فكان أوّل شىء ألّفتُه شرح الاستعاذة والبسملة ، وأوقفت عليه شيخنا شيخ الإسلام علَمَ الدِّين البُلقينىّ ، فكتب عليه تقريظا ، ولازمته فى الفقه إلى أن مات ؛ فلازمت ولدَه ، فقرأت عليه من أوّل التدريب لوالده إلى الوكالة ، وسمعت عليه منْ أوّل الحاوِى الصغير إلى العدد ، ومن أول المنهاج إلى الزكاة ، ومن أول التنبيه إلى قريب من باب الزكاة ، وقطعةً من الرّوضة من باب القضاء ، وقطعةً من تكملة شرح المنهاج للزركشىّ ؛ ومن إحياء الموات إلى الوصايا أو نحوها . وأجازنى بالتدريس والإفتاء من سنة ست وسبعين ، وحضر تصديرى .

فلمّا تُوُفِّىَ سنة ثمان وسبعين لزمت شيخ الإسلام شرف الدّين المناوىّ . فقرأتُ عليه قطعة من المنهاج ، وسمعتهُ عليه فى التقسيم إلا مجالس فاتتْنى ، وسمعت دروساً من شرح البهجة ، ومن حاشية عليها ، ومن تفسير البيضاوىّ .

ولزمتُ فى الحديث والعربية شيخَنا الإمام العلامة تقىّ الدين الشُّبْلىّ الحنفىّ ، فواظبته أربع سنين ، وكتب لى تقريظا على شرح ألفية ابن مالك وعلى جمْع الجوامع فى العربية تأليفى ، وشهد لى غير مرة بالتقدّم فى العلوم بلسانه وبنانه ، ورجع إلى قولى مجرّداً فى حديث ؛ فإنه أورد فى حاشيته على الشفاء حديث أبى الجرا فى الإسرا ، وعزاه إلى تخريج ابن ماجه ، فاحتجت إلى إيراده بسنده ، فكشفت ابن ماجه فى مظنّته ، فلم أجده ، فمررت على الكتاب كله ، فلم أجده ، فاتهمت نظرى ، فمررت مرةً ثانية فلم أجده ، فعدت ثالثة فلم أجده ؛ ورأيتهُ فى معجم الصحابة لابن قانع ، فجئت إلى الشيخ وأخبرتُه ، فبمجرّد ما سمع منى ذلك أخذ نسخته ، وأخذ القلم فضرب على لفظ ابن ماجه ،

وألحق ابن قانع فى الحاشية ؛ فأعظمت ذلك وهبتهُ لعظم منزلة الشيخ فى قلبى ، واحتقارى فى نفسى ، فقلتُ : ألا تصبرون ، لعلكم تراجعون ! فقال : لا ، إنما قلّدتُ فى قولى ابن ماجة البرهان الحلبىّ . ولم أنفكّ عن الشيخ إلى أن مات .

ولزمت شيخنا العلامة أستاذ الوجود محيى الدين الكافيَجىّ أربع عشرة سنة ؛ فأخذت عنه الفنون من التفسير والأصول والعربية والمعانى وغير ذلك ؛ وكتب لى إجازة عظيمة .

وحضرتُ عند الشيخ سيف الدين الحنفىّ دروسا عديدة فى الكشّاف والتوضيح وحاشيته عليه ، وتلخيص المفتاح ، والعَضُد .

وشرعتُ فى التصنيف فى سنة ست وستين ، وبلغتْ مؤلفاتى إلى الآن ثلاثمائة كتاب سوى ما غسلتُه ورجعت عنه .

وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتَّكرور ، ولمّا حججتُ شربت من ماء زمزم ، لأمور ؛ منها أن أصل فى الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البُلقينىّ ، وفى الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر .

وأفتيتُ من مستهلّ سنة إحدى وسبعين .

وعقدت إملاء الحديث من مستهلّ سنة اثنتين وسبعين .

ورزقت التبحّر فى سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعانى ، والبيان ، والبديع ؛ على طريقة العرب والبُلغاء ، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة . والذى أعتقده أنّ الذى وصلتُ إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والنُّقول التى اطّلعت عليها فيها ، لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخى ؛ فضلاً عمّن هو دونهم ، وأمّا الفقه فلا أقول ذلك فيه ؛ بل شيخى فيه أوسع نظراً ، وأطول باعاً ؛ ودون هذه السبعة فى المعرفة : أصول الفقه والجدَل والتصريف ، ودونها الإنشاء والتوسّل والفرائض ، ودونها

القراءات ، ولم آخذها عن شيخ ، ودونهـا الطبّ ، وأمّا علم الحساب فهو أعسر شيء عليّ وأبعده عن ذهني ؛ وإذا نظرت في مسألة تتعلّق به فـكأنمـا أحاول جبلا أحمله .

وقد كَمُلت عندى الآن آلات الجهاد بحمد الله تعالى ؛ أقول ذلك تحدّثا بنعمة الله تعالى لا فخراً ؛ وأىّ شيء في الدنيا حتى يطلب تحصيلها بالفخر ، وقد أزف الرحيل ، وبدا الشيب ، وذهب أطيب العمر ! ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفا بأقوالهـا وأدلّتها النقليّة والقياسية ، ومداركها ونقوضها وأجوبتها ، والموازنة بين اختـلاف المذاهب فيها لقدرتُ على ذلك من فضل الله ، لا بحولى ولا بقوّتى، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله .

وقد كنت في مبادئ الطلب قرأتُ شيئا في علم المنطق ، ثم ألقى الله كراهته في قلبي . وسمعتُ أنّ ابن الصلاح أفتى بتحريمه فتركتُه لذلك ، فعوّضنى الله تعالى عنه علم الحديث الذى هو أشرف العلوم .

وأما مشايخى في الرواية سماعا وإجازة فـكثير ؛ أوردتهم في المعجم الذى جمعتهم فيه ، وعِدّتهم نحو مائة وخمسين ؛ ولم أكثر من سماع الرواية لاشتغالى بما هو أهمّ وهو قراءة الدراية .

وهذه أسماء مصنفاتى لتستفاد :

فن التفسير وتعلقاته والقراءات : الإتقان في علوم القرآن ، الدرّ المنثور في التفسير المأثور . ترجمان القرآن في التفسير المسند ، أسرار التنزيل يسمّى قطف الأزهار في كشف الأسرار ، لباب النقول في أسباب النزول ، مفحمات الأقران في مبهمات القرآن ، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرّب ، الإكليل في استنباط التنزيل، تـكملة تفسير الشيخ جلال الدين المحلى ، التحبير في علوم التفسير ، حاشية على تفسير البيضاوىّ ، تناسق الدرر في تناسب السور ، مراصـد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ، مجمع البحرين ومطلع البدرين

فى التفسير ، مفاتح الغيب فى التفسير ، الأزهار الفائحة على الفاتحة ، شرح الاستعاذة والبسملة ، الكلام على أول الفتح، وهو تصدير ألقيته لمّا باشرتُ التدريس بجامع شيخون بحضرة شيخنا البُلقِينِىّ ، شرح الشاطبية ، الألفيّة فى القرءات العشر ، خمائل الزهر فى فضائل السور ، فتح الجليل للعبد الذليل فى الأنواع البديعيّة المستخرجة من قوله تعالى : ﴿ اللهُ ولىّ الذين آمنوا . . . ﴾ الآية ، وعدّتها مائة وعشرون نوعا ، القول الفصيح فى تعيين الذبيح ، اليد البسطى فى الصلاة الوسطى ، معترك الأقران فى مشترك القرآن .

فنّ الحديث وتعلقاته : كشف المغطّى فى شرح الموطّا ، إسعاف المبطّا برجال الموطا ، التوشيح على الجامع الصحيح ، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج ، مرقاة الصعود إلى سنن أبى داود ، شرح ابن ماجه ، تدريب الراوى فى شرح تقريب النووى ، شرح ألفية العراقىّ ، الألفيّة وتسمّى نظم الدرر فى علم الأثر وشرحها يسمى قطر الدرر ، التّهذيب فى الزوائد على التقريب ، عين الإصابة فى معرفة الصحابة ، كشف التلبيس عن قلب أهل التدليس ، توضيح المدرك فى تصحيح المستدرَك ، اللآلى المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ، النكت البديعات على الموضوعات ، الذيل على القول المسدد ، القول الحسن فى الذبّ عن السنن ، لب اللّباب فى تحرير الأنساب ، تقريب الغريب ، المدرج إلى المدرج ، تذكرة المؤتسى بمن حدّث ونسى ، تحفة النابه بتلخيص المتشابه ، الروض المكلل والورد المعلل فى المصطلح ، منتهى الآمال فى شرح حديث إنّما الأعمال ، المعجزات والخصائص النبويّة ، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور ، البدور السافرة عن أمور الآخرة ، مارواه الواعون فى أخبار الطاعون ، فضل موت الأولاد ، خصائص يوم الجمعة ، منهاج السنّة ، ومفتاح الجنّة ، تمهيد الفرش فى الخصال الموجبة لظل العرش ، بزوغ الهلال فى الخصال الموجبة للظلال ، مفتاح الجنة فى الاعتصام بالسنة ، مطلع البدرين فيمن يؤتّى أجرين ،

سهام الإصابة فى الدعوات المجابة ، الـكلم الطيّب ، القول المختار فى المأثور من الدعوات والأذكار ، أذكار الأذكار ، الطبّ النبوىّ ، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، الفوائد الـكامنة فى إيمان السيدة آمنـة ، ويسمّى أيضا التعظيم والمنّة فى أنّ أبوى النبىّ صلى الله عليه وسلم فى الجنّة ، المسلسلات الـكبرى ، جياد المسلسلات ، أبواب السعادة فى أسباب الشهادة ، أخبار الملائـكة، الثغور الباسمة فى مناقب السيدة آمنة ، مناهج الصفا فى تخريج أحاديث الشّفا، الأساس فى مناقب بنى العباس ،درّ السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة، زوائد شُعَب الإيمان للبيهقىّ ، لمّ الأطراف وضمّ الأتراف، أطراف الأشراف بالإشراف على الأطراف ، جامع المسانيد ، الفوائد المتـكاثرة فى الأخبار المتواترة ، الأزهار المتناثرة فى الأخبار المتواترة ، تخريج أحاديث الدرّة الفاخرة ، تخريج أحاديث الـكفاية يسمى تجربة العناية ، الحصر والإشاعة لأشراط الساعة ، الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة ، زوائد الرجال على تهذيب الـكمال ، الدرّ المنظم فى الاسم المعظم ، جزء فى الصـلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، مَنْ عاش من الصحابة مائة وعشرين ، جزء فى أسماء المدلّسين ،اللمع فى أسماء مَنْ وضع، الأربعون المتباينة ،درر البحار فى الأحاديث القصار ، الرياضة الأنيقة فى شرح أسماء خـير الخليقة ، المرقاة العليّة فى شرح الأسماء النبوية ، الآية الـكبرى فى شرح قصة الإسرا ، أربعون حـديثا من رواية مالك عن نافع عن ابن عمر ، فهرست المرويّات ، بغية الرائد فى الذيل على مجمع الزوائد ، أزهار الآكام فى أخبار الأحـكام ، الهبة السنيّة فى الهيئة السنية ، تخريج أحاديث شرح العقائد ، فضل الجلَد ، الـكلام على حديث ابن عباس : « احفظ الله يحفظك » ، هو تصدير ألقيتُه لمّا وليت درس الحديث بالشيخونية ، أربعون حديثا فى فضل الجهاد ، أربعون حديثا فى رفع اليدين فى الدعاء ، التعريف بآداب التأليف ، العشاريات ، القول الأشبه فى حديث : «مَنْ عرف نفسه فقد عرف ربه» ، كشف النقاب عن الألقاب ، نشر العبير فى تخريج أحاديث الشرح الـكبير،

من وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة ، ذم زيارة الأمراء ، زوائد نوادر الأصول للحكيم الترمذى ، تخريج أحاديث الصحاح يسمّى فلق الصباح ، ذمّ المكس ، آداب الملوك .

فن الفقه وتعلقاته : الأزهار الغضّة فى حواشى الروضة ، الحواشى الصغرى ، مختصر الروضة يسمى القنية ، مختصر التنبيه ، يسمى الوافى ، شرح التنبيه ، الأشباه والنظائر ، اللوامع والبوارق فى الجوامع والفوارق ، نظم الرّوضة يسمّى الخلاصة ، شرحه يسمى رفع الخصاصة ، الورقات المقدّمة ، شرح الروض ، حاشية على القطعة للإسنوى ، العذب السلسل فى تصحيح الخلاف المرسل ، جمع الجوامع ، الينبوع فيما زاد على الروضة من الفروع ، مختصر الخادم ؛ يسمى تحصين الخادم ، تشنيف الأسماع بمسائل الإجماع ، شرح التدريب ، الكافى ، زوائد المهذّب على الوافى ، الجامع فى الفرائض ، شرح الرحبيّة فى الفرائض ، مختصر الأحكام السلطانية للماوردى .

الأجزاء المفردة فى مسائل مخصوصة على ترتيب الأبواب : الظفر بقلم الظفر ، الاقتناص فى مسألة التّماص ، المستطرفة فى أحكام دخول الحشفة ، السلالة فى تحقيق المقر والاستحالة ، الروض الأريض فى طهر المحيض ، بذل العسجد لسؤال المسجد ، الجواب الحزم عن حديث التكبير جزم ، القذاذة فى تحقيق محل الاستعاذة ، ميزان المعدلة فى شأن البسملة ، جزء فى صلاة الضحى ، المصابيح فى صلاة التراويح ، بسط الكف فى إتمام الصفّ ، اللمعة فى تحقيق الركعة لإدراك الجمعة ، وصول الأمانى بأصول التهانى ، بلغة المحتاج فى مناسك الحاج ، السّلاف فى التفصيل بين الصلاة والطواف ، شدّ الأثواب فى سدّ الأبواب فى المسجد النبوى ، قطع المجادلة عند تغيير المعاملة ، إزالة الوهن عن مسألة الرهن ، بذل الهمّة فى طلب براءة الذمّة ، الإنصاف فى تمييز الأوقاف ، أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب ، الزّهر الباسم فيما يزوج فيه الحاكم ، القول المضى فى الحنث فى المضى ، القول المشرق فى تحريم الاشتغال بالمنطق ، فصل الكلام فى ذمّ الكلام ، جزيل المواهب

فى اختلاف المذاهب ، تقرير الإسناد فى تيسير الاجتهاد ، رفع منار الدين وهدم بناء المفسدين ، تنزيه الأنبياء عن تسفيه الاغبياء ، ذمّ القضاء ، فضل الكلام فى حكم السلام ، نتيجة الفكر فى الجهر بالذكر ، طىّ اللسان عن ذمّ الطيلسان ، تنوير الحلك فى إمكان رؤية النبىّ والملك ، أدب الفتيا ، إلقام الحجر لمن زكّى سباب أبى بكر وعمر ، الجواب الحاتم عن سؤال الخاتم ، الحجج المبينة فى التفضيل بين مكة والمدينة ، فتح المغالق مِن أنت طالق ، فصل الخطاب فى قتل الكلاب ، سيف النظار فى الفرق بين الثبوت والتكرار .

فن العربية وتعلقاته : شرح ألفية ابن مالك ، يسمى البهجة المضيّه فى شرح الألفية ، الفريدة فى النحو والتصريف والخط ، النكت على الألفية والكافية والشافية والشذور والنزهة ، الفتح القريب على مغنى اللبيب ، شرح شواهد المغنى ، جمع الجوامع ، شرحه يسمى همع الهوامع ، شرح الملحة ، مختصر الملحة ، مختصر الألفيّة ودقائقها ، الأخبار المروّية فى سبب وضع العربية ، المصاعد العليّة فى القواعد النحوية ، الاقتراح فى أصول النحو وجدله ، رفع السِّنّة فى نصب الزنة ، الشمعة المضيئة ، شرح كافية ابن مالك ، درّ التاج فى إعراب مشكل المنهاج ، مسألة ضربى زيدا قائما ، السلسلة الموشحة ، الشهد ، شذا العرف فى إثبات المعنى للحرف ، التوشيح على التوضيح ، السيف الصقيل فى حواشى ابن عقيل ، حاشية على شرح الشذور ، شرح القصيدة الكافية فى التصريف ، قطر الندا فى ورود الهمزة للندا ، شرح تصريف العزّى ، شرح ضرورىّ التصريف لابن مالك ، تعريف الأعجم بحروف المعجم ، نكت على شرح الشواهد للعينى ، فجر الثمد فى إعراب أكمل الحمد ، الزند الورىّ فى الجواب عن السؤال السكندرىّ .

فن الأصول والبيان والتصوف : شرح لمعة الإشراق فى الاشتقاق ، الكوكب الساطع فى نظم جمع الجوامع ، شرحه ، شرح الكوكب الوقاد فى الاعتقاد ، نكت على

التلخيص يسمى الإفصاح ، عقود الجمان فى المعانى والبيان ، شرحه ، شرح أبيات تلخيص المفتاح ، مختصره، نكت على حاشية المطوّل لابن الفنرى رحمه الله تعالى ، حاشية على المختصر، البديعيّة ، شرحها ، تأييد الحقيقة العليّة وتشييد الطريقة الشاذليّة ، تشييد الأركان فى ليس فى الإمكان أبدع مما كان ، درج المعالى فى نصرة الغزالى على المنكر المتغالى ، الخبر الدالّ على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال ، مختصر الإحياء ، المعانى الدقيقة فى إدراك الحقيقة ، النقاية فى أربعة عشر علما ، شرحها ، شوارد الفوائد ، قلائد الفرائد ، نظم التذكرة ، ويسمى الفلك المشحون . الجمع والتفريق فى الأنواع البديعية .

فن التاريخ والأدب : تاريخ الصحابة وقد مرّ ذكره، طبقات الحفاظ ، طبقات النحاة : الكبرى والوسطى والصغرى ، طبقات المفسرين ، طبقات الأصوليّين ، طبقات الكتّاب، حلية الأولياء ، طبقات شعراء العرب ، تاريخ الخلفاء ، تاريخ مصر هذا ، تاريخ سيوط . معجم شيوخى الكبير يسمّى حاطب ليل وجارف سيل ، المعجم الصغير يسمى المنتقى ؛ ترجمة النووى ، ترجمة البلقينى ، الملتقط من الدرر الكامنة ، تاريخ العمر ؛ وهو ذيل على إنباء الغمر ، رفع الباس عن بنى العباس ، النفحة المسكيّة والتحفة المكيّة، على نمط عنوان الشرف ، درر الكلم وغرر الحكم ، ديوان خطب ، ديوان شعر ، المقامات ، الرحلة الفيّومية ، الرحلة المكّية ، الرحلة الدمياطية ، الرسائل إلى معرفة الأوائل ، مختصر معجم البلدان ، ياقوت الشماريخ فى علم التاريخ ، الجمانة ، رسالة فى تفسير ألفاظ متداولة ، مقاطع الحجاز ، نور الحديقة من نظم القول ، الجمل فى الرد على المهمل ، المنى فى الكنى ، فضل الشتاء ، مختصر تهذيب الأسماء للنووىّ ، الأجوبة الزكيّة عن الألغاز السبكيّة ، رفع شأن الحبشان ، أحاسن الأقباس فى محاسن الاقتباس ، تحفة المذاكر فى المنتقى من تاريخ ابن عساكر ، شرح بانت سعاد ، تحفة الظرفاء بأسماء الخلفاء ، قصيدة رائية ، مختصر شفاء الغليل فى ذم الصاحب والخليل .

ذكر مَنْ كان بمصر من حفاظ الحديث

١ ، ٢ ، ٣ ــ أبو ذرّ ، عبد الله بن عمرو بن العاص ، عُقبة بن عامر الجُهنىّ ؛ الثلاثة صحابة ؛ ذكرهم الذهبىّ فى طبقات الحفاظ ؛ وقد مرّوا [(١)] .

٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ــ أبو الخير مَرْثد ، مكحول ، نافع مولَى ابن عمر ، يزيد بن أبى حَبيب ، عبيد الله بن أبى جعفر ؛ مرّوا[(٢)] .

٩ ــ الأعرج عبد الرحمن بن داود المَدنىّ صاحب أبى هُريرة (ع) ؛ أحد الحفاظ والقرّاء ، أخذ القراءة عن أبى هُريرة وابن عباس ، وأكثر من السُّنن عن أبى هريرة . أخذ القراءة عنه نافع بن أبى نُعيم ، وعنه ، قال البخارىّ : أصحّ أسانيد أبى هريرة أبو الزّناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة . قال الذهبىّ فى طبقات القرّاء : كان الأعرج أوّل مَنْ برز فى القرآن والسُّنَن ، وقالوا : هو أوّل مَنْ وضع العربية بالمدينة ؛ أخذ عن أبى الأسوَد ، وله خبرةٌ بأنساب قريش ، وافر العلم ، مع الثقة والأمانة ؛ خرج إلى الإسكندرية ؛ فأدركه أجلُه بها . مات فى سنة سبع عشرة ومائة[(٣)] .

١٠ ــ عُقَيْل بن خالد الأيْلِىّ أبو خالد (ع) ، مولى عثمان ؛ عن عِكْرِمة ونافع ، وعنه ابن لهيعة والليث . مات بمصر سنة إحدى وأربعين ومائة[(٤)] .

١١ ــ يُونس بن يزيد الأيْلِىّ أبو يزيد [(٥)] الرّقاشىّ(ع) . عن الزُّهرىّ ونافع . مات بالصّعيد سنة تسع وخمسين ومائة[(٦)] .

---

(١) أبو ذر ص ٢٤٥ ، وعبدالله بن عمرو ص ٢١٥ ، وعقبة بن عامر ص ٢٢٠ من هذا الجزء .
(٢) مرثد ص ٢٩٦ ، ومكحول ونافع ص ٢٩٧ ، ويزيد بن أبى حبيب وعبيدالله بن أبى جعفر ص ٢٩٩ .
(٣) تقريب التهذيب ٢ : ٢٨ . (٤) تقريب التهذيب ٢ : ٢٩ .
(٥) التقريب : « مولى آل سفيان » . (٦) تقريب التهذيب ٢ : ٣٨٦ .

١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ـ عمرو بن الحارث ، حَيْوة بن شُريح ، يحيى بن أيوب الغافقيّ ، الليث بن سعد بن لهيعة ، المفضّل بن فضالة ، مرّوا[١] .

١٧ ـ بكر بن مُضر بن حَكم بن سُليمان أبو محمد المصريّ (خ ، م ، د ، ت) . عن يزيد بن أبي حَبيب وغيره . كان ثقةً عابداً صالحاً ؛ ولد سنة اثنتين ومائة ؛ ومات يوم عرفة سنة أربع وسبعين[٢] .

١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ـ ابن وهب ، ابن القاسم ، الإمام الشافعيّ ، مرّوا[٣] .

٢١ ـ أسد السنة أسد بن موسى بن إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الآمديّ المصريّ (د،س). عن شُعبة ورَوْح ، وعنه الرّبيع الجيزيّ ، وأحمد بن صالح ولد بمصر سنة اثنتين وثلاثين ومائة ؛ ومات بها في المحرّم سنة اثنتي عشرة ومائتين[٤] .

٢٢ ـ سعيد بن أبي مريم الحكم بن محمد بن سالم الجمحيّ المصريّ الحافظ المصريّ ، أبو محمد (ع) . عن مالك والليث ؛ قال ابن يونس : كان فقيهاً ، ولد سنة أربع وأربعين ومائة ، ومات سنة أربع وعشرين ومائتين[٥] .

٢٣ ـ عبد الله بن صالح بن محمد بن مُسلم الجُهنيّ مولاهم أبو صالح ؛ (ح ،د ،ت) ؛ كاتب الليث ، مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين[٦] .

٢٤ ـ عبدالله بن يوسف التِّنِّيسيّ أبو محمد الدمشقيّ (خ ، د ، ت ، هـ) . قال البخاريّ : كان من أثبت الشاميّين ، مات بمصر سنة ثماني عشرة ومائتين ؛ عن ثمانين سنة[٧] .

---

(١) انظر ص ٢٧٩ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢.
(٢) تقريب التهذيب ١ : ١٠٧ .
(٣) ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .
(٤) تقريب التهذيب ١ : ٦٣ .
(٥) تقريب التهذيب ١ : ٢٩٣ .
(٦) تقريب التهذيب ١ : ٤٢٣ .
(٧) تقريب التهذيب ١ : ٤٦٣ .

٢٥ ـ عبد الله بن الزّبير الُحميدىّ أبو بكر (خ ، م ، د ، ت) . أحد الأئمة ، صاحب المسند ، كان بمصر ملازماً للإمام الشافعىّ ، فلما مات رجع إلى مكة يفتى بها إلى أن مات سنة تسع عشرة ومائتين . قال أبو حاتم : هو رئيس أصحاب ابن عُيَيْنة ، وهو ثقة إمام (١) .

٢٦ ـ نعيم بن حماد المروزىّ أبو عبد الله (خ ، م ، د ، ت) . نزيل مصر . أوّل من جمع المسند ، أخرج منها فى فتنة القول بخلق القرآن ، فحبس بسامرّا سنة ثمان وعشرين ومائتين (٢) .

٢٧ ـ يحيى بن عبد الله بن بُكير المخزومىّ مولاهم المصرىّ (خ ، م) . راوى الموطأ ؛ صنّف التّصانيف . مات فى صفر سنة إحدى وثلاثين ومائتين (٣) .

٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ـ أصبغ بن فرج ، سعيد بن عفير ، حرملة ، أحمد بن صالح المصرىّ ، مرُّوا (٤) .

٣٢ ـ أبو عبد الله محمد بن رُمْح بن مهاجر التُّجيبىّ مولاهم (م،هـ) . المصرىّ الحافظ . سمع من الليث وابن لَهيعة . قال النَّسائىّ : ما أخطأ فى حديث واحدٍ . وقال ابن يونس : ثقة ثَبَت ؛ كان من أعلم النَّاس بأخبار بلدنا ، مات فى شوّال سنة اثنتين وأربعين ومائتين (٥) .

٣٣ ، ٣٤ ـ الحارث بن مسكين ، يونس بن عبد الأعلَى ، مرّا (٦) .

٣٥ ـ الحسن بن عبد العزيز الوزير الُجذامىّ أبو علىّ الَجرَوىّ المصرىّ (خ) .

---

(١) تهذيب التهذيب ١ : ٤١٥ . (٢) تهذيب التهذيب ١٠ : ٤٥٨ .

(٣) تقريب التهذيب ٢ : ٣٥١ .

(٤) أصبغ بن فرج وسعيد بن عفير ص ٣٠٨ وحرملة ص ٣٠٧ ، وأحمد بن صالح ص ٣٠٦ .

(٥) تقريب التهذيب ٢ : ١٦١ .

(٦) الحارث بن مسكين ص ٣٠٨ ، ويونس بن عبد الأعلى ص ٣٠٩ .

روى عن بشر بن بكر ، وعنه البُخاريّ ؛ وقال الدارقطنيّ : لم يُر مثله فضلاً وزهداً ؛ حمل من مصر إلى العراق ؛ فلم يزل بها حتى مات سنة سبع وخمسين ومائتين [(١)] .

٣٦ ـ محمد بن سنجر أبو عبد الله الجُرجانيّ الحافظ (م) . صاحب المسنَد ؛ عن أبي نُعيم وطبقتـه . قال في العِبَر : مات بصعيد مصر في ربيع الأول سـنة ثمان وخمسين ومائتين [(٢)] .

٣٧ ـ محمد بن عبد الله بن الحـكم ، مرّ [(٣)] .

٣٨ ـ الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المُراديّ مولاهم (ع) . أبو محمد المصريّ ، صاحب الإمام الشافعيّ وراوي كتبه ، والمؤذِّن بجامع الفُسْطَاط . روى عنه أصحابُ السُّنَن الأربعة ، والطحاويّ وأبو زُرعة وغيرهم . وأملى الحديث بجامع طُولون ؛ وهو أوّل من أمْلَى به ، ووصله ابن طولون يومئذ بجائزةٍ سَنية ؛ ولد سنة أربع وسبعين ومائتين ، ومات يوم الاثنين لعشر بقين من شوال سنة سبع ومائتين [(٤)] .

٣٩ ـ قبيطة الحافظ الثقة ، أبو عليّ الحسن بن سليمان البصريّ ، نزيل مصر . عن أبي نعيم ، وعنه ابن خُزيمة . مات سنة إحدى وستين ومائتين [(٥)] .

٤٠ ـ أبو بـكر محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقيّ (د،ن) . عن أسد السنّة ، وعنه أبو داود والنَّسائيّ . وثّقه ابنُ يونس ، وذكره ابن فَرْحون في طبقات المالكية ، وقال : له تصانيف في الحديث وغيره . مات سنة تسع وأربعين ومائتين [(٦)] .

٤١ ـ ابن أخت غزال الإمام أبو بكر محمد بن عليّ بن داود البغداديّ نزيل مصر . قال ابنُ يونس : كان ثقةً في الحديث ، مات بهـا في ربيع الأوّل سـنة أربع وستين ومائتين .

---

(١) تقريب التهذيب ١ : ١٦٧
(٢) العبر ٢ : ١٧
(٣) ص ٣٠٩ من هذا الجزء .
(٤) تقريب التهذيب ١ : ٢٤٥ .
(٥) تذكرة الحفاظ ٢ : ١٣٦ .
(٦) تذكرة الحفاظ ٢ : ١٣٤ .

٤٢ ـ محمد بن حمّاد الطّهرانيّ الرازيّ الحافظ ؛ أحد مَنْ رحَل إلى عبد الرّازق . حدّث بمصر والشام والعراق . وكان ثقة . مات سنة إحدى وسبعين ومائتين ؛ قاله في العبر (١) .

٤٣ ـ يحيى بن عُثمان بن صالح البهميّ المصريّ . روى عن أبيه وأصبغ بن فرج وخلف ، وعنه ابن ماجه وآخرون . قال ابن يونس : كان حافظاً للحديث . تُوُفِّيَ سنة سنة اثنتين وثمانين ومائتين .

٤٤ ـ عبْدان أبو محمد بن محمد بن عيسى المرْوزيّ الفقيه الحافظ ، مفتي مَرْو وعالمها وزاهدها . أقام بمصر سنين ، وقرأ على المُزنيّ والرّبيع ، ثمّ انتقل ؛ وهو الذى أظهر مذهب الشافعيّ بخُراسان ؛ تفقّه به ابنُ خزيمة وأبو إسحاق المرْوزيّ وخلْق صاروا أئمة ، وصنّف كتاب المعرفة في مائة جزء ، وكتاب الموطّأ ، وكان يُرجَع إليه في الفتاوى والمُعضلات . ولد ليلة عرفة سنة عشرين ومائتين ، ومات ليلة عرفة سنة ثلاث وتسعين (٢) ؟

٤٥ ـ النّسائيّ أبو عبد الرّحمن أحمد بن شُعيب بن عليّ بن سِنان بن يحيى القاضي الحافظ الإمام شيخ الإسلام . أحد الأئمّة المبرّزين ، والحُفّاظ المُتقنين والأعلام المشهورين ، جال البلاد ، واستوطن مصر ، فأقام بزقاق القناديل . قال أبو عليّ النيسابوريّ : رأيتُ من أئمة الحديث أربعةً في وطني وأسفاري: النّسائيّ بمصر ، وعَبدان بالأهواز ، ومحمد بن إسحاق ، وإبراهيم ابن أبي طالب بنيسابور . وقال الحاكم : كان النّسائيّ أفقَه مشايخ مصر في عصره ، وأعرفَهم بالصحيح والسّقيم من الآثار ، وأعرفَهم بالرّجال . وقال الذهبيّ : هو أحفظُ من مُسلم.له من المصنّفات السُّنن الكبرَى والصُّغرى

(١) العبر ٢ : ٤٨ .

(٢) العبر ٢ : ٩٥ .

وهى إحدى الكتب الستّة ، وخصائص علىّ ، ومسند علىّ ، ومسند مالك . ولد سنة خمس وعشرين ومائتين . قال ابن يُونس : كان خروجُه من مصر سنة اثنتين وثلاثمائة، ومات بمكّة — وقيل بالرّملة — فى صفر سنة ثلاث وثلاثمائة [١] .

٤٦ — علىّ بن سعيد بن بشير مِهْران الحافظ البارع أبو الحسن الرازىّ . يعرف بعْليك . نَزيل مصر ومحدّثها . قال ابنُ يونس : كان يفهم ويحفظ . مات فى ذى القَعدة سنة سبع وتسعين ومائتين [٢] .

٤٧ — يحيى بن زكريا بن النَّيْسابورىّ أبو زكريا الأعرج . أحد الحفّاظ ، وهو عمّ محمد بن عبد الله بن زكريا بن حَيّوة ، روى عن قتيبة وابن رَاهويْه . قال فى العِبَر : دخل مصر على كِبَر السنّ ،ومات بها سنة سبع وثلاثمائة [٣] .

٤٨ — محمد بن محمد بن النفّاح بن بدر الباهلىّ أبو الحسن . قال فى العبر : بغدادىّ حافظ متعفّف ، روى عن ابن أبى إسرائيل [٤] وطبقته . تُوُفِّىَ بمصر فى ربيع الآخر سنة أربع عشرة وثلاثمائة [٥] .

٤٩ — الطحاوىّ الإمام العلاّمة الحافظ . صاحب التصانيف البديعة أبو جعفر أحمد ابن محمد بن سلامة بن مَسْلمة الأزدىّ المصرى الحنفىّ ، ابن أخْت المُزَنِىّ . تفقّه بالقاضى أبى حازم ، وكان ثقة ثَبَتاً ، فقيها لم يخلُف بعده مثلُه ، انتهت إليه رئاسة الحنفيّة بمصر . وله معانى الآثار ، وأحكام القرآن ، والتاريخ الكبير ، واختلاف العلماء ، وكتاب فى الشروط . وُلِد سنة تسع وثلاثين ومائتين ، ومات فى ذى القعدة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة [٦] .

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢ : ٢٤١ . (٢) تذكرة الحفاظ ٢ : ٢٨٤ .
(٣) تذكرة الحفاظ ٢ : ١٣٥ ، والعبر ٢:١٣٥
(٤) العبر : « إسحاق بن أبى إسرائيل » . (٥) العبر ٢ : ١٥٩
(٦) العبر ٢ : ١٨٦ .

٥٠ ـ مكحول الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن عبد السّلام البَيْروتىّ ؛ عن ابن عبد الحكم ، وعنه ابن زَبْر . كان من الثقات العالمين بالحديث ، مات فى جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة [(١)] .

٥١ ـ الطحّان الحافظ الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن جابر الرّملىّ : عن بكّار ابن قُتيبة ، وعنه ابن زَبْر . مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة[(٢)] .

٥٢ ـ ابن يونس الحافظ الإمام أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن الإمام يونس [ابن] عبد الأعلى الصَّدَفىّ المصرىّ ، صاحب تاريخ مصر . وُلِد سنة إحدى وثمانين ومائتين ، وسمع أباه والنَّسائىّ ، ولم يرحل ولا سمع بغير مِصْر ، ولكنّه إمام فى هذا الشأن ، متيقِّظ حافظ مُكثر ، خبير بأيام الناس وتواريخهم . مات فى جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وثلاثمائة [(٣)] .

٥٣ ـ ابن الحداد ، مرّ [(٤)] .

٥٤ ـ حمزة بن محمد بن على بن العباس الكنانىّ المصرىّ الحافظ الزّاهد العالم أبو القاسم . مُمْلى جزء البطاقة ، عن النَّسائىّ وأبى يعلَى ، وعنه الدّارقطنىّ وابن سعيد . قال الحاكم : متّفَق على تقدّمه فى معرفة الحديث ، يذْكَر بالوَرَع والزّهد والعبادة . مات فى ذى الحجة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة [(٥)] .

٥٥ ـ ابن السّكَن الحافظ الُحجّة أبو علىّ سعيد بن عثمان بن السّكن البغدادىّ . نَزِيل مصر . وُلد سنة أربع وتسعين ومائتين ، وسمع أبا القاسم البغوىّ وابن جُوصاً ، وعنه عبد الغنىّ بن سعيد ، وعُنِىَ بهذا الشأن وصنّف الصّحيح المنتقى ؛ مات فى المحرّم

---

(١) العبر ٢ : ٢٣٣
(٢) العبر ٢ : ٢٢٩
(٣) العبر ٢ : ٢٧٦
(٤) وانظر العبر ٢ : ٢٩٩
(٥) العبر ٢ : ٣٠٨ .

سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة[1] .

٥٦ ـ النَّقَّاش الحافظ الإمام الجوّال أبو بكر محمد بن عليّ بن حسن المصريّ نزيل تِنّيس . ولد سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، وسمع النَّسائيّ وأبا عليّ ، وعنه الدّارقطنيّ . مات رابع شعبان سنة تسع وستين وثلاثمائة[2] .

٥٧ ـ الحسن بن رشيق الإمام أبو بكر محمد العسكرى المصريّ . عن النَّسائيّ ، وعنه الدّار قطنيّ وعبد الغنى ؛ قال ابنُ الطحّان : ما رأيتُ عالماً أكثر حديثاً منه ؛ وُلِد فى صفر سنة ثلاث وثمانين ومائتين ، ومات فى جمادى الآخرة سنة سبعين وثلاثمائة[3] .

٥٨ ـ ابن النَّحاس المصريّ الحافظ الإمام أبو العباس أحمد بن محمّد بن عيسى بن الجرّاح ، نزيل نيسابور . كان ذا رحلة واسعة . سمع أبا القاسم البَغَوِيّ ، ومنه الحاكم . مات سنة ست وسبعين وثلاثمائة ، عن خمس وثمانين سنة .

٥٩ ـ ابن مسرور الحافظ الجوّال أبو الفتح عبد الواحد من محمد بن أحمد بن مسرور البلخيّ . عن أبى سعيد بن يونس ، وعنه عبد الغنيّ . وطن بمصر ، ومات فى ذى الحجة سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة[4] .

٦٠ ـ أحمد بن أبى الليث نصر بن محمد الحافظ أبو العباس النَّصِيبِيّ المصريّ . قال الحاكم : باقعة فى الحفظ . مات سنة ست وثمانين وثلاثمائة .

٦١ ـ ابن حِنْزابة الوزير الكامل الحافظ أبو الفضل جعفر بن الوزير أبى الفتح الفضل بن الفُرات البَغدادىّ . نزيل مصر ، وَزَر لصاحب مصر كافور الخادم ، وحدّث عن

---

(١) العبر : ٢٩٧ .
(٢) العبر ٢ . ٣٥٣ .
(٣) العبر ٢ : ٣٥٥ .
(٤) العبر ٣ : ٧ .

محمد بن هارون الحضرمىّ وغيره . ورَحل إليه الدّارقطنىّ ، وعَزم على التأليف على مسنده . قال السِّلَفىّ : كان من الحفّاظ المتقنين ، يملى ويَرْوى فى حال الوزارة ، عندى من أماليه ، ومن كلامه على الحديث ، الدالّ على حِدّة فهمِه وقُوّة عِلْمِه . وحنزابة اسم جدّته أم أبيه . وُلِد سنة ثمان وثلاثمائة ، ومات فى ثالث عشر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين [(١)] .

٦٢ ـ عبد الغنىّ بن سعيد بن علىّ الأزدىّ الإمام الحافظ المتقن النَّسّابة . إمام زمانه فى علْم الحديث وحفظه ؛ قال البرْقانىّ : ما رأيتُ بعد الدّار قطنىّ أحفَظ منه ؛ له مؤلفات ؛ منها المؤتلف والمختلف وغيره . ولد سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ؛ ومات فى سابع صفر سنة تسع وأربعمائة [(٢)] .

٦٣ ـ أبو سعيد المالينىّ أحمد بن محمد بن أحمد بن إسماعيل ؛ كان أحد الحفّاظ المكثرين الرّاحلين فى الحديث إلى الآفاق ، روى عن ابن عدىّ . مات بمصر فى شوّال سنة اثنتى عشرة وأربعمائة [(٣)] .

٦٤ ـ أبو نصر السِّجزىّ الحافظ عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلىّ البكرىّ نزيل مصر . كان متقناً مُكثرا بَصيرا بالحديث والسُّنّة ، واسع الرِّحلة . قال أبو طاهر الحافظ : سألتُ الحبّال عن الصّورىّ والسِّجزىّ : أيّهما أحفظ ؟ فقال : السِّجزىّ أحفظ من خمسين مثل الصّورى ؛ مات فى المحرّم سنة أربع وأربعين وأربعمائة [(٤)] .

٦٥ ـ الحبّال الحافظ الإمام المتقن ؛ محدّث مصر ، أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد بن عبد الله النّعمانىّ مولاهم المصرىّ . ولد سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ، وسمع عبد الغنىّ

---

(١) العبر ٣ : ٤٩ .
(٢) العبر ٣ : ١٠٠ .
(٣) العبر ٣ : ١٠٧ .
(٤) العبر ٣ : ٢٠٦ .

ابن سعيد وابن نظيف ، ومنه أبو بكر عبد الباقى ؛ وآخرُ مَنْ روى عنه بالإجا ابنُ ناصر الحافظ ، وجمع عوالى سفيان بن عُيينة وغير ذلك ، وكان ثقة حُجّـةً صا ورعاً كبير القَدْر . مات سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة[١] .

٦٦ ـ السِّلَفِيّ الحافظ أبو طاهر عماد الدين أحمد بن محمد بن أحمد الأصفهانيّ كان إماماً حافظا متقنا ، ناقدا ثَبَتاً دَيِّناً خـيِّرا ، انتهى إليه علوّ الإسناد . روى عنه الحفّاظ فى حياته . وله تصانيف ، وكان أوحدَ زمانِه فى علم الحديث ، وأعلَمهم بقوانين الرواية ؛ وكان مُقيماً بالإسكندرية . تُوفِّىَ يوم الجمعة خامس ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة وله مائة وست ستين[٢] .

٦٧ ـ عبد الغنيّ بن عبد الواحد بن عليّ بن سرور المقدسيّ الحنبليّ الحافظ الإمام. أوحد زمانه فى عِلْمِ الحديث والحفظ ؛ تقيّ الدين أبو محمد الزاهد العابد، صاحب العمدة والـكمال وغير ذلك من التصانيف . نَزَل مصر فى آخر عمره ، ومات بها يوم الاثنين ثالث عشرين ربيع الأول سنة ستمائة ؛ وله تسع وخمسون سنة ، ودُفِن بالقرافة[٣] .

٦٨ ـ أبو الحسن عليّ بن فاضل بن سعد الله الحافظ الصوريّ ثم المصريّ . قال الذهبيّ : أكثر عن السِّلَفِيّ ، ورأس فى الحديث ؛ مات بمصر سنة ثلاث وستمائة[٤] .

٦٩ أبو الحسن عليّ بن المفضل بن عليّ المالـكى المقدِسيّ ثم السّـكندريّ ، الحافظ العلامة شرف الدين . وُلِد سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وتخرّج بالسِّلَفِيّ ، وكان من حفّاظ الحديث وأئمة المذهب العارفين به ؛ وله تصانيف . مات بالقاهرة فى شعبان سنة إحدى عشرة وستمائة[٥] .

---

(١) العبر ٣ : ٢٩٩ .
(٢) العبر ٤ : ٢٢٧ .
(٣) العبر ٤ : ٣١٣ .
(٤) شذرات الذهب ٥ : ١٠ .
(٥) شذرات الذهب ٥ : ٤٧ .

٧٠ ـ ابن الأنماطيّ الحافظ البارع تقيّ الدين أبو الطاهر إسماعيل بن عبد الله ابن عبد المحسن المصريّ الشافعيّ . وُلِد في حدود سنة سبعين وخمسمائة ، وسمع ابن الخُشوعيّ ، ومنه المُنْذريّ . وكان إماماً حافظا مبرّزاً مفيداً . مات في رجب سنة تسع عشرة وستمائة[1] .

٧١ ـ ابن دحية الإمام العلامة الحافظ الكبير أبو الخطاب عمر بن حسن الأندلسي السَّبْتي ؛ كان بصيراً بالحديث معتنياً به ، له حظٌّ وافر من اللغة ، ومشاركة في العربية ؛ وله تصانيف ، وَطَن مصر ، وأدَّب الملك الكامل ، ودرّس بدار الحديث الكامليّة ، مات رابع عشر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة عن نيف وثمانين سنة[2] .

٧٢ ـ المنذريّ الحافظ الكبير الإمام شيخ الإسلام زكيّ الدين أبو محمد عبد العظيم ابن عبد القويّ بن عبد الله المصريّ الشافعيّ . وُلِد بمصر في غُرّة شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ، وتفقّه ، وطلب هذا الشأن فبرع فيه ، وتخرَّج بالحافظ أبي الحسن ابن المفضّل ، ووليَ مشيخة الكامليّة ، وانقطع بها عشرين سنة ، وكان عديم النظير في معرفة عِلْم الحديث على اختلاف فنونه ، متبحّراً في معرفة أحكامه ومعانيه ومشكله ، قَيِّماً بمعرفة غَريبه ، إماما حُجّةً بارعا في الفقه والعربية والقراءات ، ورعاً متبحراً . قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد في حقّه : كان أدْيَنَ مِنّي ، وأنا أعلم منه . ألّف الترغيب والترهيب ، وشرح التنبيه ، وغير ذلك . مات يوم السَّبت رابع ذي العقدة سنة ست وخمسين وستمائة[3] .

---

(١) شذرات الذهب ٥ : ٨٤ . (٢) شذرات الذهب ٥ : ١٦٠ .

(٣) شذرات الذهب ٥ : ٢٧٧ .

٧٣ ـ الرَّشيد العطّار الإمام الحافظ ، رشيد الدين أبو الحسين يحيى بن علىّ بن عبد الله الأموىّ النابُلسىّ ثم المصرىّ المالكىّ . وُلِد سنة أربع وثمانين وخمسمائة ؛ وتخرّج بابن المفضّل ، وتقدّم فى فنّ الحديث ، وانتهت إليه رياسة الحديث بالدّيار المصرية ، وألف وخرّج . ومات فى جمادى الأولى سنة اثنتين وستين وستمائة [1] .

٧٤ ـ الصّدر البكرىّ أبو علىّ الحسن بن محمد النيسابورىّ ثم الدِّمَشقىّ . وُلِد سنة أربع وسبعين وخمسمائة ، وعُنِى بهذا الشأن، وألّف وخرّج ، وتحوّل إلى مصر ، فمات بها فى ذى الحجّة سنة ست وخمسين وستمائة .

٧٥ ـ ابن العماد الإمام الحافظ وجيه الدين أبو المظفّر منصور بن سليمان [2] الهَمْدانىّ الإسكندرانىّ الشافعىّ . وُلِد فى صفر سنة سبع وستمائة ، وعُنِى بالحديث وفنونه ورجاله وبالفِقه ، وألّف فى الحديث وأنواعه وفى الفقه ، وألّف تاريخ الإسكندرية ومُعجم شيوخه وغير ذلك ، روى عنه الدِّمياطىّ ، مات فى شوال سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، ولم يخلُف بعده فى الثغر مثله [3] .

٧٦ ـ الأبِيوَرْدىّ الإمام المحدّث الحافظ زين الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن أبى بكر . نزيل القاهرة ؛ وُلِد سنة إحدى وستمائة ؛ وسمع من السَّخاوىّ وغيره ، وألف وخرّج ، مات فى جمادى الأولى سنة سبع وستين [وستمائة] [4] .

٧٧ ـ الإسْعَرْدِىّ الإمام الحافظ مُفيد القاهرة تقىّ الدين أبو القاسم عبيد بن محمد ابن عباس . ولد سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وشرح الكثير ، وبرع فى التخريج وأسماء الرجال والعالى والموافقة . مات فى شعبان سنة اثنتين وتسعين [وستمائة] [5] .

---

(١) شذرات الذهب ٥ : ٣١١ .

(٢) شذرات الذهب : « سليم » .

(٣) شذرات الذهب ٥ : ٣٤١ .

(٤) شذرات الذهب ٥ : ٣٢٥ .

(٥) تذكرة الحفاظ ٤ : ٢٥٧

٧٨ ـ الشريف عزّ الدين نقيب الأشراف أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسينى الحلبىّ ثم المصرىّ ، الحافظ المؤرخ . روَى عن فخر القضاء أحمد بن الُحباب وأكثر أصحاب البوصيرىّ ، وعُنِى بالحديث وبالغ . مات سادس المحرم سنة خمس وتسعين وستمائة . ذكره فى العِبَر [١] .

٧٩ ـ ابن الظاهرىّ الحافظ الزاهد القدوة جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله الحلبى الحنفىّ المقرئُ . كان أحدَ مَنْ عُنِىَ بهذا الشأن ، وكتب عن سبعمائة شيخ ، وخرّج وأعاد . مات بزاويته بالمقس بظاهر القاهرة ، فى ربيع الأول سنة ست وتسعين وستمائة ، وله سبعون سنة [٢] .

٨٠ ـ الدّمياطىّ الإمام العلاّمة الحافظ الُحجّة الفقيه النسّابة شيخ المحدّثين شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف التونىّ الشافعىّ . ولد سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وتفقه ، وبرع وطلب الحديث ، فرحل وجمع فأوعى ، وتخرّج بالمنذرىّ وألّف . قال المُزَنىّ : مارأيت فى الحديث أحفظَ منه ، وكان واسع الفقه ، رأسا فى النّسب جيّد العربية ، غزير اللغة . مات فجأة سنة خمس وسبعمائة [٣] .

٨١ ـ ابن شامة الإمام الحافظ الحجة الفقيه النّسّابة ، مفيد مصر ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن شامة الحنبلىّ . روى عن ابن عبد الدائم ، وكتب الكثير ؛ وكان جيّدا بمعرفة الحديث . مات فى ذى القعدة سنة ثمان وسبعمائة عن سبع وأربعين سنة [٤] .

٨٢ ـ ابن دقيق العيد ، مرّ [٥] .

---

(١) شذرات الذهب ٥ : ٤٣٠ .
(٢) شذرات الذهب ٥ : ٤٣٥ .
(٣) شذرات الذهب ٦ : ١٢ .
(٤) شذرات الذهب ٦ : ١٧ .
(٥) ص ٣١٧ من هذا الجزء .

٨٣ ـ الحارثى قاضى القضاة سعد الدين أبو محمد مسعود بن أحمد العراقى ثم المصرى الحنبلى . ولد سنة اثنتين وخمسين وستمائة ، وسمع من النَّجيب وعدة ، وتقدم فى هذا الشأن ، وخرج وألف شرحاً على سُنن أبى داود ، وكان عارفا بمذهبه . مات فى ذى الحجة سنة إحدى عشرة وسبعمائة[١] .

٨٤ ـ القطب الحلبى مفيد الديار المصرية وشيخها الحافظ قطب الدين أبو على عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحنفى . وُلِد فى رجب سنة أربع وستين وستمائة ، وعُنى بالفن ، وبرع فيه ، وألف شرح البخارى وشرح سيرة عبد الغنى ، وتاريخ مصر فى بضعة عشر مجلداً ، وغير ذلك . مات فى رجب سنة خمس وثلاثين وسبعمائة[٢] .

٨٥ ـ فتح الدين ابن سيِّد النّاس الإمام العلامة الحافظ الأديب البارع أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد النّاس اليعمرى الأندلسى الأصل المصرى . وُلد فى ذى القعدة سنة إحدى وسبعين وستمائة ، ولازم ابنَ دقيق العيد ، وتخرج به ، وكان أحدَ الأعلام الحفّاظ ؛ أديبا شاعرا بليغا مترسِّلا ، ولىَ درس الحديث بالظاهرية وغيرها ، وألف السيرة النبوية ، وشرح الترمذى ، ومات فى شعبان سنة أربع وثلاثين وسبعمائة[٣] .

٨٦ ـ التقى السُّبكى ، مر[٤] .

٨٧ ـ أحمد بن أيبك بن عبد الله الحسامى الدمياطى الحافظ شهاب الدين أبو الحسين محدّث مصر . ولد سنة سبعمائة ، وبرع فى الفن ، وخرج وألف . مات فى رمضان سنة تسع وأربعين وسبعمائة بالطاعون .

٨٨ ـ أحمد بن أحمد بن أحمد بن الحسين الهكارى شهاب الدين أبو الحسين .

---

(١) شذرات الذهب ٦ : ٢٨ .
(٢) شذرات الذهب ٦ : ١١٠ .
(٣) شذرات الذهب ٦ : ١٠٨ .
(٤) ص ٣٢١ من هذا الجزء

كان عارفا بالرّجال ، ألّف كتاباً فى رجال الصحيحين ، وأعاد بالجامع الحاكم . مات فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين وسبعمائة .

٨٩ ـ اليهائىّ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبى بكر بن خليل العثمانىّ المكىّ نزيل القاهرة ، الشافعىّ الحافظ الفقيه الزاهد القدوة ، أبو محمد . وُلد سنة أربع وتسعين وستمائة . وعُنى بالفقه وبرع فيه . مات بالقاهرة فى جمادى الأولى سنة سبع وسبعين [وسبعمائة](١) .

٩٠ ـ الزّيلعىّ جمال الدين عبدالله بن يوسف بن محمد الحنفىّ . سمع من أصحاب النّجيب ، وأخذ عن الفخر الزيلعىّ شارح الكنز والعلائىّ بن التركمانىّ وابن عَقيل ، وألّف تخريج أحاديث الهداية ، وتخريج أحاديث الكشاف . مات فى محرّم سنة اثنتين وستين وسبعمائة(٢) .

٩١ الحافظ ابن جماعة قاضى القضاة الشيخ عز الدين أبو عمر قاضى القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانىّ الشافعىّ . ولد فى المحرّم سنة أربع وتسعين وستمائة ، وأكثر السّماع ، فبلغت شيوخه ألفاً وثلاثمائة نفس ، وعُنى بالشأن ، وصنّف تخريج أحاديث الرافعىّ وغيره ، وولىَ القضاء بالدّار المصرية ، وتدريس الخشابية ، وكانت معرفته بالحديث أمثل من معرفته بالفقه . مات بمكة فى جمادى الأولى سنة سبع وستين وسبعمائة(٤) .

٩٢ ـ مُغلطاى بن قُليج الحَنَفىّ الإمام الحافظ علاء الدين . وُلد سنة تسع وثمانين وستمائة ، وكان ، حافظا عارفا بفنون الحديث ، علاّمة فى الأنساب ، وله أكثر من مائة تصنيف ، كشرح البخارىّ وشرح ابن ماجه وغير ذلك ؛ مات فى شعبان سنة اثنتين وستين وسبعمائة(٣) .

---

(١) شذرات الذهب ٦ : ٢٥١ .

(٢) البدر الطالع ٢ : ٤٠٢ .

(٣) نكت الهميان ٣٥

(٤) شذرات الذهب ٦ : ١٩٧ .

٩٣ ـ ابن سند الحافظ شمس الدين أبو العباس محمد بن موسى بن سند المصرىّ . ولد فى ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، وأخذ عن الإسنوىّ ، ولازم التاج السبكىّ ، وألّف وخرّج . مات فى صفر سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة[١] .

٩٤ ـ البُلقينىّ مرّ[٢] .

٩٥ ـ ابن الملقّن ، يأتى فى الفقهاء .

٩٦ ـ العراقىّ الحافظ الإمام الكبير ؛ زين الدين أبو الفضل عبد الرّحيم بن الحسين بن عبد الرحمن ، حافظ العصر . وُلِد بمنشاة المهرانىّ بالقاهرة فى جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، وعُنِى بالفنّ ، فبرع فيه وتقدّم بحيث كان شيوخ عصره يبالغون فى الثناء عليه بالمعرفة ، كالسبكىّ والعلائىّ وابن كثير وغيرهم ؛ ونقل عنه الإسنوىّ فى المُهمّات ، ووصفه بحافظ العصر ؛ وكذلك وصفه فى الترجمة ابن سيد الناس . وله مؤلفات فى الفنّ بديعة ، كالألفية التى اشتهرت فى الآفاق وشرحها ونظم الاقتراح ، وتخريج أحاديث الإحياء ، وتكملة شرح الترمذىّ لابن سيد الناس ؛ وشرع فى إملاء الحديث من سنة ست وتسعين فأحيا الله تعالى به سنّة الإملاء بعد أن كانت دائرةً ، فأملى أكثر من أربعمائة مجلس. وكان صالحا متواضعا ضيّق المعيشة . مات فى ثامن شعبان سنة ست وثمانمائة[٣] .

ورثاه الحافظ ابن حجر بقوله :

مُصابٌ لم يُنَفّس للخناقِ أصارَ الدّمع جاراً للمآقِى[٤]

فرَوْضُ العِلْم بعد الزّهْو ذَاوٍ ورُوح الفَضْلِ قَدْ بَلَغَ التّرَاقِى

---

(١) شذرات الذهب ٦ : ٣٢٦ . (٢) ص٣٢٩ من هذا الجزء

(٣) شذرات الذهب ٧ : ٥٥ .

(٤) سقطت هذه القصيدة من الأصل ، وأثبتها من ح ، ط .

وبحرُ الدَّمعِ يجرى باندلاقِ ... وبَدْرُ الصَّبْرِ يَسْرِى فى المحاقِ
وللأحزان بالقلب اجتماعٌ ... يُنادى الصَّبْرِ: حىّ على افتراقِ
فأمّا بعدَ بأسٍ من تلاقٍ ... فهذا صَبْرُه مُرُّ المَذَاقِ
لقد عَظُمَتْ مصيبتُنا وجاءتْ ... تسوقُ أولى العُلومِ إلى السِّباقِ
وأشراط القيامة قد تبدَّتْ ... وأذَّنَ بالنَّوى داعِى الفِراقِ
وكان بمصر والبيت البَقايا ... وكانوا بالفضائل فى اسْتباقِ
فلم تُبقِ الملاحمُ والرَّزَايا ... بأرْضِ الشام للفُضلاء باقِ
وطافَ بأرضِ مصرِ كلّ علمٍ ... بكأسِ الحَيْن للعلماء ساقِى
فأطفأت المَنُون سراجَ علمٍ ... ونورٍ لاحَ لا داعِى النِّفاقِ
وأخلفَتِ الرَّجاَ فى ابن الحسين الـ ... إمام فألحقته بالسِّبَاقِ
فيا أهلَ الشامِ ومِصرَ فابكُوا ... عَلَى عبدِ الرَّحيمِ بن العراقِى
عَلَى الحَبْرِ الَّذى شهدت قرومٌ ... له بالإنفرادِ على اتِّفَاقِ
ومَنْ فُتِحتْ له قَدَما عُلُومٍ ... غدت عن غيره ذات انغلاقِ
وجاز إلى الحديث قديمَ عَهْدٍ ... فأحرزَ دُونَه خَيْلَ السِّباقِ
وبالسَّبْعِ القراءات العوالِى ... أقل بها إلى السَّبْع الطِّباقِ
فسلْ إحياَ علوم الدِّين عَنْهُ ... أما دَاوَاهُ مَعْ ضيقِ النِّطاقِ !
فصيَّرَ ذِكرَه يَسْمُو ويَنْمُو ... بتخريج الأحاديث الرِّقَاقِ
وشرح الترمذىَ لَقَدْ ترقَّى ... به قدَماً إلى أعْلى المَرَاقِى
ونظمُ ابن الصَّلاحِ لَهُ صَلاحٌ ... وهذا شرحُه فى الأفْقِ راقِ
وفى نظم الأصول له وصولٌ ... إلى مِنْهاجِ حَقّ باستباقِ
ونَظْمُ السِّيرة الغرّا يُجازَى ... عليها الأجرَ من رَاقِى البُراقِ

دعاه بحافظ العصر الإمام الـــكبير الإسنوىّ لَدَى الطِّباق
وعلَى قدرَه السبكىّ وابن الــعلائى والأئمـــة باتِّفَاق
ومن ستين عاماً لم يجــارَى ولا طمِع المُجارى فى اللّحاق
ويقضى اليوم فى تصنيف عِـلْمٍ وطول تهجُّدٍ فى اللّيــل راقِ
فأصبح بالـكرامة فى اصطباحٍ وبالتُّحف الـكريمةِ فى اغتباق
فما شغلته كأس بالتشـــامِ ولا ألهاهُ ظَـــبْىٌ باعتناقِ
فتى كرمٍ يزيد وشيخ عــلمٍ يرى الطلاب مَعْ حمل المشاق
فيقرئ طالبى عــلم ووفْرٍ قِرًى ؛ وقِراه فى ذات اتّساقِ
فيا أسفاً ويا حزنا عليـــه أرقَّ من النُّسَيْمات الرِّقَاقِ
ويا أسفا لتقييدات عِـــلْمٍ تولّتْ بعد ذاتِ انطلاقِ
عليه ســـلامُ ربِّى كلَّ حينٍ يلاقيـــه الرِّضَا فيما يُلاقِى
وأسقَت لحده سحب الغَوادِى إذا انهملت همَمت ذَات انطباق
وزانت رِثْيَتُـــهُ فى كلِّ يومٍ تحيـــاتٌ إلى يوم التَّلاقِى

٩٧ ـ الهيثمىّ الحافظ نور الدين أبو الحسن علىّ بن أبى بكر بن سليمان ، رفيق أبى الفضل العراقىّ . وُلد سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ، ورافق العراقىّ فى السّماع ، ولازمه ، وألف وجمع . مات فى تاسع عشر رمضان سنة سبع وثمانمائة[1].

٩٨ ـ ابن عشائر ، الحافظ ناصر الدين أبو المعالى محمد بن على السالمىّ الحلبىّ . ولد فى ربيع سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ، وأخذ عن التاج السبكىّ وابن قاضى الجَبَل والأعمى ، والبَصير ، وله مجاميع وتاريخ وتعاليق . مات بمصر فى ربيع سنة تسع وثمانين وسبعمائة[2] .

(١) شذرات الذهب ٧ : ٧٠ .
(٢) شذرات الذهب ٦ : ٣٠٩ .

٩٩ ـ الأقفهسىّ صلاح الدين خليل بن محمد عبد الرحمن المصرىّ . ولد
ثلاث وستين وسبعمائة وعنى بالفنّ وخرّج ، وصنّف . مات سنة
، وعشرين وثمانمائة[1] .

١٠٠ ـ ولىّ الدين أبو زُرْعة أحمد بن الحافظ أبو الفضل العراقىّ الإمام العلاّمة
ـ الفقيه الأصولىّ ، دو الفنون . ولد فى ذى الحجة اثنتين وستين وسبعمائة ،
ج فى الفنّ بوالده ، ولازم البُلقينىّ فى الفقه ، وبرع فى الفنون ؛ وألّف الكتب
المشهورة ، كشرح البَهْجة والنُّكت ، ومختصر المهمّات ، وشرح جمع الجوامع
صلين ، وشرح تقريب الأسانيد لوالده ، وغير ذلك . وأملى أكثر من ستمائة
، وولى قضاء الديار المصرية . مات فى سابع عشرين شعبان سنة
ـ عشرين وثمانمائة[2] .

١٠١ ـ البُوصيرىّ شهاب الدين أحمد بن أبى بكر بن إسماعيل الكنانىّ . وُلِد فى
سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، وسمع الكثير وعُنِى بالفنّ ، وألّف وخرّج . مات
ـم سنة أربعين وثمانمائة[3] .

١٠٢ ـ ابن حَجر ، إمام الحفّاظ فى زمانه ، قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل
ن علىّ بن محمد بن محمد بن علىّ الكنانىّ العسقلانىّ ثمّ المصرىّ . وُلِد سنة ثلاث
ن وسبعمائة ، وعانى أولاً الأدب وعلم الشعر فبلغ فيه الغاية ، ثم طلب الحديث ،
الكثير ، ورحل وتخرّج بالحافظ أبى الفضل العراقىّ ، وبرّع فيه ، وتقدم فى جميع
، وانتهت إليه الرّحلة والرياسة فى الحديث فى الدنيا بأسرها ، فلم يكن فى عصره
سواه ، وألف كتبا كثيرةً كشرح البخارىّ ، وتعليق التعليق ، وتهذيب التهذيب ،
ب التهذيب ، ولسان الميزان ، والإصابة فى الصحابة ، ونُكت ابن الصّلاح ،

---

(١) شذرات الذهب ٧ : ١٥٠ .
(٢) شذرات الذهب ٧ : ١٧٣ . (٣) شذرات الذهب ٧ : ٢٣٣ .

ورجال الأربعة ، والنخبة وشرحها ، والألقاب ، وتبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، وتقريب المنهج بترتيب المدرَج ؛ وأملى أكثر من ألف مجلس ؛ تُوُفِّيَ فى ذى الحجّة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ، وخُتِم به الفن[(١)].

حدثنى الشهاب المنصوريّ شاعر العصر أنّه حضر جنازته ، فأمطرت السماء على نعشه وقد قرب إلى المصلّى ولم يكن زمانَ مطر . قال : فأنشدتُ فى ذلك الوقت :

قَدْ بَكَتِ السُّحْبُ عَلَى ... قَاضِى القُضَاةِ بالمطَرْ
وانهدم الرُّكْنُ الّذِى ... كانَ مَشِيداً من حَجَرْ

وقال شيخُنا الأديب شهاب الدين الحجازىّ يرثيه :

كلُّ البريّة للمنيَّةِ صَائِرَهْ ... وقُفُوا لها شيئاً فشيئاً سائرَهْ
والنّفْسُ إن رضيتْ بذا رَبِحتْ وإنْ ... لَمْ ترضَ كانت عند ذلك خاسرَهْ
وأنا الّذِى راضٍ بأحكامٍ مَضَتْ ... عن ربِّنَا البرِّ المُهَيْمِن صادرَهْ
لكنْ سئمتُ العيشَ مِن بعدِ الّذِى ... قد خلَّفَ الأفكارَ مِنّا حائرَهْ
هُوَ شَيْخُ الإسْلَامِ المعظَّمُ قَدْرُهْ ... مَنْ كَانَ أوْحَدَ عَصْرِهِ والنّادِرَهْ
قاضِى القضاة العَسقلانىّ الّذِى ... لَمْ تَرْفَعِ الدُّنْيا خصيماً ناظَرَهْ
وشِهابُ دِينِ اللهِ ذِى الفَضْلِ الّذِى ... أرْبَى عَلَى عَدَدِ النُّجوم مكاثَرَهْ
لَاتَعْجَبُوا لِعلُوِّهِ فأبوهُ فى الدّ ... نيا عَلَا من قَبْلِهِ والآخرَهْ
هُوَ كيمياءُ العِلْمِ كَمْ مِنْ طالبٍ ... بِالْكَسْرِ جاءَ لَهُ فأضحى جابِرَهْ
لا بِدْعَ إنْ عادتْ عُلُوم الكيميا ... مِنْ بعدِذَا الحجَرِ المكرَّمِ بائرَهْ

---

(١) شذرات الذهب ٧ : ٢٧٠ .

لهفي عَلَى مَنْ أورثتني حسرةً ... دُرَسُ الدُّروس عليه إذ هي خامِرَهْ

لهفي على المـدح استحالتْ للرّثا ... وقصُورِ أبياتي غَـدَتْ متقاصرَهْ

لَهفي عليــه عالماً ، بوفاته ... درست دروسٌ والمدارس دائرهْ

لَهفي عَلَى الإمْلاَءِ عُطِّـل بَعْدَهُ ... ومعاهـدِ الأسماع إذ هي شاغِرَهْ

لهفي عليــه حافظ العَصْرِ الَّذي ... قد كان مَعْـدوداً لكلٍّ مُناظرَهْ

لَهفي على الفِقْهِ المهـذَّب والمحرّ ... ر حاوِي المقاصد عند كل محاضرَهْ

لهفي على النَّحو الذي تسهيـلُه ... مُغْنِي اللَّبيب مساعـدٌ لمذاكرَهْ

لَهفي عَلَى اللُّغة الغريبـة كم أرا ... نا معرِباً بصحاحها المتظاهرَهْ

لَهفي على عـلم العَروضِ تقطَّعت ... أسبابُهُ بفواصـلٍ متغايرَهْ

لهفي عليـه خزانة العِلْمِ الَّتي ... كانت بها كلُّ الأفاضـلِ ماهرَهْ

لهفي على شيخي الَّذي سعـدتْ به ... صحب وأوجـه ناظريه ناضِرَهْ

لهفي على التَّقصـير منِّي حيث لمْ ... أمـلا النواحِي بالنُّواح صادرَهْ

لهفي عَلَى عـذري عن استيفاء ما ... يحوى ، وعجزى أنْ أعُـدَّ مآثرَهْ

لهفي على لهفي ، وهَـلْ ذا مسعدي ... أو كان ينفعني شـديد محاذرَهْ !

لهفي على مَن كُلَّ عامٍ للهَنـا ... تأتي الوفودُ إلى حمـاهُ مبادرَهْ

والآن في ذا العـامِ جاءوا للقِرا ... فيـه ، وعادوا بالدُّموع الهامرَهْ

قد خلَّف الدُّنيا خراباً بعـدَهُ ... لكنَّما الأخرى لديه عامرَهْ

وبموته شعَر الفؤاد وأعـلم العَـ ... ين انثنت في حالتَيْهـا شاغرَهْ

ولِيَ المحـاجرُ طابقت إذ للرّثا ... أنا ناظمٌ ، وهي المدامـع ناثرَهْ

فكأنه في قبره سرٌّ غـدا ... في الصَّـدْرِ والأفهامُ عنه قاصرَهْ

وكأنه في اللَّحْـد منه ذخيرةٌ ... أعظِمْ بهـا درر العلوم الفاخرَهْ

وكأنَّه فى رَمْسِــــهِ سيفٌ ثوى   فى الغِمدِ مخبوءٌ ليـــوم مثاثِرهْ

قهرتْـنِىَ الأيَّامُ فيه فليتنِى   فى مصرَ متُّ وما رأيتُ القاهرَهْ

هجرتنِىَ الأحلامُ بعـــدك سيِّدى   واحــــرَّ قلبى قَدْ رُمِى بالهاجِرَهْ

مَنْ شاء بعدك فليمُتْ أنت الَّذى   كانت عليك النَّفس قِدْماً حاذِرَهْ

وسهرت مذ صَدَحَ النعىُّ بزجره   فإذا هُمُ مِنْ مُقْلَتِى بالسَّاهِرهْ

ورزئتُ فيـــه فليتَ أنِّىَ لم أكُنْ   أو ليتَ أنِّى قد سكنت مقابِرَهْ

رزءٌ جميعُ النَّاس فيــــــه واحدٌ   طوبَى لنفسٍ عند ذلك صابِرَهْ

يا نومَ عَيْنِى لا تَلُمَّ بمقلتِى   فالنَّوْم لا يأوى لعينٍ ساهِرَهْ

يا دمع واسقِ تربه ولو انَّهـــــا   بعلومه جرَتِ البحـــار الزَّاخِرَهْ

يا صبرىَ ارْحَلْ ليس قلبِى فارغاً   سكَنَتْه أحزانٌ غدت متـكاثِرَهْ

يا نار شوقى بالفراقِ تأجَّجى   يا أدمعى بالمُزْنِ كُونِى ساخِرَهْ

يا قبر طِبْ قد صرتَ بيت العـلم أوْ   عيناً به إنسان قطب الدَّائِرَهْ

يا موتُ إنَّك قد نزلتَ بذى النَّدَى   ومذ استضفت حباك نفسا حاضِرَهْ

ياربِّ فارحَمْـــهُ واسقِ ضريحَه   بسحائبٍ من فيض فضلك غامِرَهْ

يا نفسُ صبرًا فالتـــأسِّى لائقٌ   بوفاة أعْظَمِ شافعٍ فى الآخِرَهْ

المصطفى زين النَّبيِّين الَّذى   حاز العُلَا والمعجزاتِ البَــــــاهِرَهْ

صلى عليــــــه اللهُ ماجال الرَّدى   فينـــــا وجرَّد للبرية باتِرَهْ

وعلَى عشيرته الـكرام وآله   وعلى صَحابتـــه النُّجوم الزَّاهِرَهْ

ذكر من كان بعصر من المحدثين الذين لم يبلغوا درجة الحفظ والمنفردين بعلو الإسناد

١ — بكر بن سهل الدِّمياطىّ المحدّث . عن عبد الله بن يوسف التِّنِّيسىّ وطائفة . مات فى ربيع الأول سنة تسع وثمانين ومائتين[١] .

٢ — الدِّينورىّ صاحب المجالسة ، أبو بكر أحمد بن مرْوان المالكىّ . نزيل مصر ، وبها مات . أخذ عن القاضى إسماعيل ويحيى بن معين ؛ وغلب عليه الحديث ، وله كتاب فى فضائل مالك . مات فى صفر سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وله أربع وثمانون سنة : ذكره ابن فَرْحون فى طبقات المالكية[٢] .

٣ — أبو شيبة دَاود بن إبراهيم بن رُوزْبة البَغدادىّ . عن محمد بن بكّار بن الرّيان وطائفة . [مات بمصر سنة عشر وثلاثمائة][٣] .

٤ — علىّ بن الحسن بن خلف بن قُدَيد[٤] أبو القاسم المصرىّ المحدّث . روى عن محمد ابن رُمْح وحرْملة . مات سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة ، وله بضع وثمانون سنة[٥] .

٥ — علىّ بن أحمد بن سليمان بن الصَّيْقل أبو الحسن المصرىّ ، ولقبه علاّن المعدّل[٦] . عن محمد بن رُمْح وطائفة . مات فى شوال سنة سبع عشرة وثلاثمائة عن تسعين سنة[٧] .

---

(١) العبر ٢ : ٨٢ .
(٢) الديباج من الذهب ٣٠ .
(٣) العبر ٢ : ١٤٥ ، والتكملة من ح ، ط .
(٤) فى العبر : « قديد » مصغر .
(٥) العبر ٢ : ١٥٣ .
(٦) المعدل ، بضم الميم وفتح العين والدال المهملة فى آخرها لام ؛ يقال هذا لمن عدل وزكا وقبلت شهادته . اللباب .
(٧) العبر ٢ : ١٧٠ ، ١٧١ .

٦ ـ محمد بن زَبّان(١) بن حَبيب أبو بكر المصريّ . عن زكريا بن يحيى ، كاتب العُمَريّ ، ومحمد بن رُمْح . مات في جمادى الأولى سنة عشر وثلاثمائة ، عن اثنتين وتسعين سنة(٢)

٧ ـ إسماعيل بن داواد بن وَرْدان المصري البِزاني . عن زكريا كاتب العُمَري ومحمد ابن رُمح . مات في ربيع الآخر سنة ثماني عشرة وثلاثمائة ، عن اثنتين وتسعين سنه(٢) .

٨ ـ أحمد بن عبد الوارث بن جَرير أبو بكر الأُسوانيّ العسّال ، آخر من حدّث عن محمد بن رُمْح ، وثقه ابنُ يونس . مات في جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة .

٩ ـ قاضي مصر أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مُسلم بن قتيبة الدينوريّ المالكيّ . من أهل العلم والحفظ ، وحدّث بكتب أبيه كلّها من حفظه بمصر ، ولم يكن معه كتاب ، وهي إحدى وعشرون مصنّفاً . قال في العِبَر : وليَ قضاء مصر شهرين ونصف شهر ، ومات بها في ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة(٣) .

١٠ ـ عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن الحجاج وأبو محمد الرشيديّ المُهْرِيّ(٤) المصريّ الناسخ . عن أبي الطّاهر بن السَّرْح ، وسلَمة بن شبيب . مات ست وعشرين وثلاثمائة(٥) .

١١ ـ أبو عبد الله بن أحمد بن بَدْر الرّبَعي البغداديّ(٦) . عن عباس الدُّوريّ وطبقته . وليَ قضاء مصر ، وله عدّة تصانيف ، ضعّفه غيرُ واحد في الحديث . مات ـ

---

(١) العبر : « ريان » .
(٢) العبر ٢ : ١٧١
(٣) العبر ٢ : ١٩٣ .
(٤) المهري ، بضم الميم وسكون الهاء : نسبة إلى مهرة بن حيدان ، قبيلة من قضاعة . اللباب .
(٥) العبر ٢ : ٢٠٦
(٦) كذا ورد اسمه في الأصول ، وفي العبر ، وشذرات الذهب : « أبو محمد عبدالله بن أحمد بن زبر » .

تسع وعشرين وثلاثمائة ، وله بضع وسبعون سنة [١] .

١٢ ــ محمد بن أيوب [بن الصموت] [٢] الرّقّىّ . نزيل مصر . روى عن هلال بن العلاء وطائفة . مات سنة إحدى وأربعين وثلثمائة [٣] .

١٣ ــ عثمان بن محمد بن أحمد أبو عمرى السّمرقندىّ . قال فى العبر : روى بمصر عن أحمد بن شَيبان الرّملىّ وأبى أمية الطَّرَسُوسىّ وطائفة . مات سنة خمس وأربعين وثلثمائة ، وله خمس وتسعون سنة [٤] .

١٤ ــ الوزير الماذَرائىّ [٥] أبو بكر محمد بن علىّ البغدادىّ الكاتب . [وزر [٦]] لخمارويه صاحب مصر ، وحدّث عن العُطاردىّ . وكان من صُلحاء الكبراء . مات سنة خمس وأربعين وثلثمائة عن نحو تسعين سنة . وأمّا معروفُه فإليه المنتهى ، أعتق فى عمره مائة ألف رقبَة ، وأنفق فى حجّة حجها مائة ألف دينار ، وبلغ ارتفاع مغلّه بمصر من أملاكه فى العام أربعمائة ألف دينار . قاله فى العبَر [٧] .

١٥ ــ أحمد بن مِهران أبو الحسن السيرافىّ . حدّث عن الربيع المُرادىّ والقاضى بَكّار . مات سنة ست وأربعين وثلاثمائة [٨] .

١٦ ــ أبو الفوارس الصابونىّ أحمد بن محمد بن حسين بن السِّندىّ . الثقة المعمّر مسنِد ديار مصر . عن يونس بن عبد الأعلى والمُزنىّ والكبار وآخرين . روى عنه ابن نَظِيف . مات فى شوال سنة تسع وأربعين وثلثمائة ، وله مائة وخمس سنين [٩] .

---

(١) العبر ٢ : ٢١٧ ، وشذرات الذهب ٢ : ٣٢٣

(٢) من ح ، ط والعبر .

(٣) العبر ٢ : ٢٥٧ .

(٤) العبر ٢ : ٢٦٧ .

(٥) الماذرائى ، بفتح الميم وسكون الألف وفتح الدال ، منسوب إلى ماذرا ، أحد أجداده ــ اللباب .

(٦) من ح ، ط .

(٧) العبر ٢ : ٢٦٨ ، ونقله عن المسبحى .

(٨) العبر ٢ : ٢٠٧ .

(٩) العبر ٢ : ٢٨١ .

١٧ ـ أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن جامع السكّريّ . عن عليّ بن عبد العزيز البَغويّ. مات بمصر سنة إحدى وخمسين وثلثمائة [١].

١٨ ـ أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن عطيّة البغداديّ. يعرف بابن الحداد . عن بَكْر ابن سهل الدِّمياطيّ . مات بمصر سنة أربع وخمسين وثلثمائة [٢].

١٩ ـ الرّافعيّ أبو الفضل العباس بن محمد بن نصر بن السّريّ بن هلال بن العَلاء . مات بمصر سنة ست وخمسين وثلثمائة [٣] .

٢٠ أبو على الحسن بن الخضر الأسيوطيّ. عن النسائيّ والمنجنيقيّ . مات فى ربيع الأول سنة إحدى وستين وثلثمائة [٤] .

٢١ ـ محمد بن بَدْر الحَمَاميّ[٥] الأمير أبو بكر الطولونيّ . عن بكر بن سهل الدِّمياطيّ والنَّسائيّ . وثقه أبو نُعيم . مات سنة أربع وستين وثلثمائة [٦] .

٢٢ ـ أبيض بن محمد بن أبيض بن أسود الفِهريّ المصريّ . آخر مَنْ روى عن النَّسائى . مات سنة سبع وسبعين وثلثمائة [٧] .

٢٣ ـ أبو بكر بن المهتدى بالله أحمد بن محمد بن إسماعيل . محدّث ديار مصر . عن البغويّ ومحمد بن محمد الباهليّ ، مات سنة خمس وثمانين وثلثمائة [٨] .

٢٤ ـ أبو الحسن الاذَنيّ[٩] القاضى عليّ بن الحسين بن بُندار المحدّث . نزيل مصر . روى الكثير عن ابن قُتيبة وعليّ الغَضائريّ وأبى عَرُوبة ومحمد بن الفيض الدِّمشقيّ . مات فى ربيع الأول سنة خمس وثمانين وثلثمائة [١٠] .

---

(١) العبر ٢ : ٢٩٠ . (٢) العبر ٢ : ٢٩٩ .
(٣) العبر ٢ : ٣٠٤ . (٤) العبر ٢ : ٣٢٤ .
(٥) الحامى ، بفتح الحاء وتخفيف الميم ، منسوب إلى الحمام ، وهى الطيور ، يقال ذلك لمن يطيرها ويرسلها فى البلاد .
(٦) العبر ٢ : ٣٢٤ .
(٧) العبر ٣ : ٤ . (٧) العبر ٣ : ٢٧ .
(٩) الأذنى ، بفتح الألف والدال ، منسوب إلى أذنة بلد من الثغور قرب المصيصة ـ ياقوت .
(١٠) العبر ٣ : ٢٨ .

٢٥ ـ أبو القاسم عُبيدالله بن محمد بن خَلَف بن سهل المصرىّ البزاز ، ويعرف بابن أبي غالب . عن محمد بن أحمد الباهلىّ وعلىّ بن أحمد عِلّان . وكان من كبراء المصريين ومتموّليهم(١) . مات سنة سبع وثمانين وثلثمائة(٢) .

٢٦ ـ عبدالوهاب بن عيسى أبو العلاء بن ماهان البغدادى ، ثم المصرىّ . روى صحيح مُسلم عن أبي بكر أحمد بن محمد الأشقر ، سوى ثلاثة أجزاء يَرْويها عن الجلودِى . مات سنة ثمان وثمانين وثلثمائة(٣) .

٢٧ ـ أحمد بن عبدالله بن حُميد بن رُزَيْق البغدادىّ أبو الحسن . نزيل مصر ، يروى عن المحاملىّ ومحمد بن مخلَد ، وكان صاحب حديث . مات سنة إحدى وتسعين وثلثمائة(٤) .

٢٨ ـ المؤمَّل بن أحمد بن أبي القاسم الشيبانىّ البزاز . بغدادىّ ثقة ، نزل مصر وحدث عن البغوىّ وابن صاعد ، وعُمِّر دهرا . مات سنة إحدى وتسعين وثلثمائة(٥) .

٢٩ ـ أبو محمد الضَّراب [الحسن بن](٦) إسماعيل المصرىّ المحدّث . راوى المجالسة(٧) ، عن الدينورىّ . مات فى ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين وثلثمائة ، وله تسع وسبعون سنة(٨) .

٣٠ ـ أبو الفتح إبراهيم بن على بن سِيبُخْت(٩) البغدادىّ . نزيل مصر ، حدّث

---

(١) ط : « متواليهم » ، تحريف .

(٢) العبر ٣ : ٢٥ . (٣) العبر ٣ : ٣٩ .

(٤) العبر ٣ : ٤٨ ، وتاريخ بغداد ٤ : ٢٣٦ ، وفيه : « أحمد بن عبد الله بن رزيق بن حميد الدلال » .

(٥) العبر ٣ : ٥١ . (٦) من العبر .

(٧) هو كتاب المجالسة وجواهر العلم للقاضى أبي بكر أحمد بن مروان بن محمد المالكى الدينورى ، منه نسخة بدار الكتب برقم ٩٣٤ ـ تصوف .

(٨) العبر ٣ : ٥٢ .

(٩) سيبخت ، ضبطها ابن حجر فى لسان الميزان « بفتح أوله وسكون التحتانية وضم الموحدة » .

عن البغوىّ وأبى بكر بن أبى داود . مات بمصر سنة أربع وتسعين وثلثمائة [١] .

٣١ أبو الحسين محمد بن أحمد أبو العباس الإخميمى المصرىّ . عن محمد بن زيان بن حبيب وعلىّ بن أحمد عَلّان . مات سنة أربع وتسعين وثلثمائة [٢] .

٣٢ ــ محمد بن أحمد بن شاكر القَطّان أبو عبد الله المصرىّ . مؤلف فضائل الشافعىّ . روى عن عبدالله بن الورد . مات فى المحرم سنة سبع وأربعمائة [٣] .

٣٣ ــ أبو الحسن بن تُرنال أحمد بن عبد العزيز بن أحمد التّميمى البغدادىّ . عن المحاملىّ ومحمد بن مخلَد، وله جزء واحد رواه عنه الصُّورىّ والحبّال . مات بمصر فى ذى القعدة سنة ثمان وأربعمائة ، وله إحدى وتسعون سنة [٤] .

٣٤ ــ مُنير بن الحسن بن علىّ بن منير الخشاب أبو العباس المصرىّ العدل . شيخ الخلَعى ، عن علىّ بن عبد الله بن أبى مطير ، قال الحبّال : كان ثقةً لايجوز عليه تدليس . مات فى ذى القعدة سنة اثنتى عشرة وأربعمائة [٥] .

٣٥ ــ أحمد بن محمد بن يحيى أبو العباس الإشبيلىّ المعدّل . سمع عثمان بن محمد السَّمرقندىّ وأبا الفوارس الصابونى . تفقه عليه أبو نصر السِّجزىّ . مات بمصر فى صفر سنة خمس عشرة وأربعمائة [٦] .

٣٦ ــ القاضى أبو الحسين الُحصَيب بن عبد الله بن محمد بن الحسين ، ابن الُحصَيب المصرىّ . حدّث عن أبيه وعثمان بن السَّمرقندىّ . مات سنة ستّ عشرة وأربعمائة . قاله فى العبر [٧] .

---

(١) العبر ٣ : ٥٧ .
(٢) العبر ٣ : ٥٩ ، وذكره فى وفيات سنة ٣٩٥ .
(٣) العبر ٣ : ٩٧ .
(٤) العبر ٣ : ٩٨ .
(٥) العبر ٣ : ١١٠ .
(٦) العبر ٣ : ١١٩ .
(٧) العبر ٣ : ١٢١ .

٣٧ ـ أبو محمد بن النّحاس عبد الرحمن بن عمر المصرىّ البزاز . مُسنِد الديار المصرية ومحدّثها . عن ابن الأعرابىّ وأبى الطاهر المدينىّ وعلىّ بن عبد الله بن أبى مطر . مات سنة ست عشرة وأربعمائة ، وله بضع وتسعون سنة [(١)] .

٣٨ ـ أبو النعمان تُراب بن عمر بن عُبيد الكاتب المصرىّ . عن أبى أحمد بن الناصح . مات فى ذى القعدة سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وله خمس وثمانون سنة [(٢)] .

٣٩ ـ محمد بن الفضل بن نظيف أبو عبد الله المصرىّ الفرّاء . مسنِد الديار المصرية ، عن أبى الفوارس الصّابونىّ والعباس بن محمد الرافقىّ [(٣)] . وكان شافعيًّا . مات فى ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، عن تسعين سنة وشهرين [(٤)] .

٤٠ ـ على بن مُنير بن أحمد الخلّال أبو الحسن المصرىّ . عن أبى حامد النّاصح والذهلىّ . مات فى ذى القعدة سنة تسع وثلاثين وأربعمائة [(٥)] .

٤١ ـ أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن نصر الحكيمىّ المصرىّ الوراق . عن أبى الطاهر الذّهلىّ . مات يوم الأضحى سنة أربعين وأربعمائة ، وله إحدى وثمانون سنة [(٦)] .

٤٢ ـ علىّ بن ربيعة أبو الحسن التّميمىّ . المصرىّ البزاز . راوية الحسن بن رشيق . مات فى صفر سنة أربعين وأربعمائة [(٧)] .

٤٣ ـ أبو الحسن علىّ بن عمر الحرّانىّ المصرىّ الصوّاف . يعرف بابن حمّصة .

---

(١) العبر ٣ : ١٦١ .

(٢) العبر ٣ : ١٢٢

(٣) الرافقى ، بفتح الراء وكسر الفاء : منسوب إلى الرافقة ، بلدة على الفرات . ـ اللباب .

(٤) العبر ٣ : ١٧٥ .

(٥) العبر ٣ : ١٨٩ .

(٦) العبر ٣ : ١٩٢ .

(٧) العبر ٣ : ١٩٢ .

راوى جزء البطاقة عن حمزة الكنانىّ . مات فى رجب سنة إحدى وأربعين وأربعمائة [١] .

٤٤ — أبو القاسم علىّ بن محمد بن علىّ . مسنِد الدّيار المصرية ، أكثر عن أبى أحمد بن النّاصح والذّهلىّ وابن رشيق . مات فى شوال سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة [٢] .

٤٥ — ابن الطّفال أبو الحسن محمد بن الحسين بن محمد النّيسابورىّ ، ثم المصرىّ المقرئ البزّاز . ولد سنة تسع وخمسين وثلثمائة ، وروى عن ابن حَيّوة وأبى الطاهر الذّهلىّ وابن رشيق ؛ مات سنة ثمان وأربعين وأربعمائة [٣] .

٤٦ — علىّ بن بقاء أبو الحسن المصرىّ الورّاق . محدّث ديار مصر . عن القاضى أبى الحسين المَحَاملىّ . مات سنة خمسين وأربعمائة [٤] .

٤٧ — أبو الحسين محمد بن مكىّ بن عثمان الأزدىّ المصرىّ . عن أبى الحسن الحكيمىّ ومحمد بن أحمد الإخميمىّ . مات بمصر فى جمادى الأولى سنة إحدى وستين وأربعمائة ، عن ست وسبعين سنة [٥] .

٤٨ — الخُلَعىّ يأتى فى الفقهاء .

٤٩ ابن رفاعة [٦] .

٥٠ — أبو صادق مرشِد بن يحيى بن القاسم المدَينىّ ثم المصرىّ . عن أبى الحسن بن الطفّال وعلىّ بن محمد الفارسىّ . وكان أسند مَنْ بقى بمصر ، مع الثقة والخير . مات فى ذى

---

(١) العبر ٣ : ١٩٦ .
(٢) العبر ٣ : ٢٠٢ .
(٣) العبر ٣ : ٢١٧ .
(٤) العبر ٣ : ٢٢٣ .
(٥) العبر ٣ : ٢٢٣ .
(٦) كذا فى الأصل ، وفى ح ، ط : « وكذا راويه ابن رفاعة » .

القعدة سنة سبع عشرة وخمسمائة ، عن سنّ عالية (١) .

٥١ — أبو عبد الله الرازىّ ، صاحب السُّداسيات والمشيخة محمد بن أحمد بن إبراهيم . يعرف بابن الحَطّاب ، مُسنِد الدّيار المصرية ، وأحد عدُول الإسكندريّة . مات فى جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، عن إحدى وتسعين سنة (٢) .

٥٢ — أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى العثمانى الدِّيباجىّ . محدّث الإسكندرية بعد السِّلَفىّ فى الرتبة ، روى عن أبى القاسم بن الفحّام والطَّرَسوسىّ وخَلْق. مات فى شوّال سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، عن ثمان وتسعين سنة (٣) .

٥٣ — أبو المفاخر المأمونىّ — راوى صحيح مسلم بمصر — سعد بن الحسين بن سعيد العباسىّ . مات سنة ستّ وسبعين وخمسمائة بالقاهرة (٤) .

٥٤ — الأثير محمد بن محمد بن أبى الطّاهر محمد بن بَيَان الأنصارىّ ثم المصرىّ الكاتب. رَوَى عن أبى صادق مرشد المدينىّ وغيره ، وروى ببغداد صحاح الجوهرىّ عن أبى البركات الصّوفىّ . مات فى ربيع الآخر سنة ستّ وتسعين وخمسمائة ، وولد سنة تسع وثمانين (٥) .

٥٥ — أبو القاسم البوصيرىّ هبة الله بن علىّ بن مسعود الأنصارىّ الكاتب الأديب ، مسنِد الدّيار المصرية ، ولد سنة ست وخمسمائة ، وسمع من أبى صادق المدينىّ ومحمد بن بركات السعيدىّ وطائفة ، وتفرّد فى زمانه ، ورُحِل إليه ؛ مات فى ثانى صفر سنة ثمان وتسعين [وخمسمائة] (٦) .

٥٦ — أبو القاسم عبد الرحمن بن مكّىّ بن حمزة بن مُوقَا الأنصارى التاجر . مسنِد

---

(١) العبر ٤ : ٦٥ .
(٢) العبر ٤ : ٢١٤ .
(٣) العبر ٤ : ٢٢٩ .
(٤) العبر ٤ : ٢٩٤ .
(٥) العبر ٤ : ٣٠٦ .
(٦) فى الأصول : « وسبعين » ، وصوابه من العبر .

الإسكندرية ، وآخر مَنْ حدّث عن أبى عبد الله الرازىّ . مات فى ربيع الآخر سنة تسع وتسعين [١] وخمسمائة ، وله أربع وتسعون سنة [٢] .

٥٧ ـ علىّ بن حمزة أبو الحسن البغدادىّ الكاتب . حاجب [باب] [٣] النّوبى . حدّث بمصر عن ابن الحُصين . مات فى شعبان سنة تسع وتسعين وخمسمائة .

٥٨ ـ صنيعة المُلْك القاضى أبو محمد هِبة بن يحيَى بن علىّ بن حيدرة المصرىّ . يعرف بابن ميسِّر العدْلىّ ، راوى كتاب السِّيرة مات فى ذى الحجّة سنة ستمائة [٤] .

٥٩ ـ عبد الرحمن الرومىّ عتيق أحمد بن باقا البغدادىّ . قرأ القراءات على أبى الكرم الشهرزورىّ ، وروى صحيح البخارىّ بمصر والإسكندرية عن أبى الوقت . مات فى ذى القعدة سنة ثمان وستمائة [٥] .

٦٠ ـ عبد الرحمن بن عبد الجبار العثمانىّ أبو محمد الإسكندرانىّ التاجر الكارمىّ المحدّث . أكثر عن السِّلَفىّ . مات فى ذى الحجّة سنة أربع عشرة وستمائة ، عن سبعين سنة [٦] .

٦١ ـ أبو طالب أحمد بن عبد الله بن أبى الحسين بن حديد الإسكندرانىّ المالكىّ ، من بيت قضاء وحشمة ، روى عن السِّلَفِىّ وغيره . مات فى جُمادى الآخرة سنة تسع عشرة وستمائة [٧]

٦٢ ـ الحسين بن يحيى بن أبى الرّدّاد المصرىّ : آخرُ مَنْ روى بمصر عن ابن رفاعة الخُلَعيات [٨] . مات فى ذى القعدة سنة عشرين وستمائة [٩] .

---

(١) العبر ٤ : ٣٠٧ .
(٢) من العبر .
(٣) العبر ٤ : ٣٠٨ .
(٤) العبر ٤ : ٣١٥ .
(٥) شذرات الذهب ٥ : ٣٣ .
(٦) شذرات الذهب ٥ : ٦٠ ، واسمه هناك : « عبدالله بن عبد الجبار » .
(٧) شذرات الذهب ٥ : ٨٤ .
(٨) الخلعيات من أجزاء الحديث ؛ تخريج القاضى أبى الحسين على بن حسن بن حسين الخلعى الموصلى ، المتوفى سنة ٤٩٢ . كشف الظنون .
(٩) شذرات الذهب ٥ : ٧٨

٦٣ ـ ابن الحباب القاضى الأسعد أبو البركات عبد القوىّ بن القاضى الجليس عبد العزيز بن الحسين التميمىّ السعدىّ الأغلبىّ المصرىّ المالكىّ الأخبارىّ المعدِّل. راوى السِّيرة عن ابن رفاعة، كان ذا فضل ونُبل وسُؤدد وعلم ووقار وحِلم، جمالا لبلده. مات فى شوّال سنة إحدى وعشرين وستمائة، وله خمس وثمانون سنة[١].

٦٤ ـ أبو الحسن علىّ بن أبى الكَرَم نصر بن المبارك القرافىّ الخلّال المعروف بابن النباراوىّ. جامع الترمذىّ عن الكرخىّ. وحدّث بمصر والإسكندرية وقبرص. مات بمكّة فى صفر سنة اثنتين وعشرين وستمائة[٢].

٦٥ ـ نظام الدّين علىّ بن محمد بن يحيى يعرف بابن رحّال المعدِّل. سمع السِّلَفِىّ وغيره. مات فى شوال سنة ثمان وعشرين وستمائة[٣].

٦٦ ـ عبد الغفار بن سخىّ الحلِّى الشّروطىّ. عن السِّلَفىّ وغيره. مات فى شوّال سنة تسع وعشرين وستمائة[٤].

٦٧ ـ يعقوب بن محمد بن حسن الأمير شرف الدّين الهذبانىّ الإربلىّ. عن يحيى الثقفىّ. كان ذا علم وأدب. مات بمصر فى ربيع الأوّل سنة ستّ وأربعين وستمائة[٥].

٦٨ ـ منصور بن سندىّ[٦] الدّباغ أبو علىّ الإسكندرانىّ النحّاس. عن السِّلَفِىّ. مات فى ربيع الأوّل سنة ست وأربعين وستمائة[٧].

---

(١) شذرات الذهب ٥ : ٩٥ .
(٢) شذرات الذهب ٥ : ١٠١ .
(٣) شذرات الذهب ٥ : ١٢٨ .
(٤) شذرات الذهب ٥ : ١٣١ .
(٥) شذرات الذهب ٥ : ٢٣٣ ، وذكره فى وفيات سنة ٦٤٥ .
(٦) شذرات الذهب : « السيد » .
(٧) شذرات الذهب ٥ : ٢٣٧ .

٦٩ ـ عبد العزيز بن عبد الوهّاب بن العلامة أبى طاهر إسماعيل بن مكىّ الزهرىّ العوفىّ الإسكندرانىّ المالكىّ . سمع من جدّه الموطأ ، وكان ذا زهد وورع . مات فى صفر سنة سبع وأربعين وستمائة عن ثمانين سنة[١] .

٧٠ ـ جمال الدين الساوى يوسف بن محمود أبو يعقوب المصرىّ الصوفىّ . عن السِّلفىّ وابن برّى . مات فى رجب سنة سبع وأربعين وستمائة عن ثمانين سنة[٢] .

٧١ ـ فخر القضاة بن الحباب أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن الحسن السّعدىّ المصرىّ . عن المأمونى والسِّلفىّ وابن برّىّ . مات فى رمضان سنة ثمان وأربعين وستمائة ، عن سبع وثمانين سنة[٣] .

٧٢ ـ ابن رواج المحدّث رشيد الدين أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن علىّ بن فتوح الإسكندرانىّ المالكىّ . ولد سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، وسمع من السِّلفىّ ، وخرّج الأربعين ، وكان ذا دين وفقه وتواضع . مات فى ثامن عشر ذى القعدة سنة ثمان وأربعين وستمائة[٤] .

٧٣ ـ مظفّر بن السّرىّ أبى منصور بن عبد الملك بن عتيق الفِهرىّ الإسكندرانىّ المالكىّ الشاهد . عن السِّلَفِىّ . مات فى ثامن عشر ذى القعدة سنة ثمان وأربعين وستمائة ، عن تسعين سنة[٥] .

٧٤ ـ هبة الله بن محمّد بن الحسين بن مفرج جمال الدين أبو البركات المقدسىّ ثم الإسكندرىّ ، يعرف بابن الواعظ . من عُدول الثّغر ، عن السِّلفىّ . مات فى صفر سنة خمسين[٦] وستمائة ، عن إحدى وثمانين سنة[٧] .

---

(١) شذرات الذهب ٥ : ٢٣٨ .
(٢) شذرات الذهب ٥ : ٢٣٩ .
(٣) شذرات الذهب ٥ : ٢٤٠ .
(٤) شذرات الذهب ٥ : ٢٤٢ .
(٥) شذرات الذهب ٥ : ٢٤٣ .
(٦) ح : « خمس » ، تصحيف .
(٧) شذرات الذهب ٥ : ٢٥٣ .

٧٥ ـ صالح بن شجاع بن محمّد بن سيّدهم ، أبو البقاء المدلجىّ المصرىّ . روى صحيح مسلم عن أبى المفاخر المأمونىّ . مات فى صفَر سنة إحدى وخمسين وستّمائة[١] .

٧٦ ـ سِبْط السِّلَفىّ جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن مكىّ بن عبد الرحمن الطّرابلسِىّ الإسكندرانىّ . ولد سنة سبعين وخمسمائة ، وسمع من جدّه السِّلَفِىّ الكثير ، وأجاز له عبد الحق . وشهده ، وانتهى إليه علوّ الإسناد بالديار المصرية . مات بمصر فى رابع شوّال سنة إحدى وخمسين وستّمائة[٢] .

٧٧ ـ ابن المقدسية العَدْل شرف الدين أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد السلام التميمىّ السَّفاقُسِىّ الأصل ، الإسكندرانىّ . ولد سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وأحضره خاله الحافظ ابن المفضّل عند السِّلَفِىّ ، وله مشيخة خرّجها له الحافظ منصور ابن سُليم . مات فى جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وستّمائة[٣] .

٧٨ ـ أبو الكرم لاحق بن عبد المنعم بن قاسم الأنصارىّ الأرتاحىّ اللّبان . سمع من عمّ جدّه أبى عبد الله الأرتاحىّ ، وتفرّد بالإجازة من ابن المبارك بن الطّبّاخ . مات بمصر فى جُمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وستّمائة[٤] .

٧٩ ـ أبو العباس أحمد بن حامد[٥] بن أحمد الأنصارىّ . سمع جدّه لأمّه أبى عبد الله الأرتاحىّ وابن ياسين والبُوصيرىّ والحافظ عبد الغنىّ . مات فى رجب سنة تسع وخمسين وستّمائة[٦] .

٨٠ ـ التّيجىّ محمّد بن عبد الله بن إبراهيم بن عيسى ضياء الدّين الإسكندرانىّ المحدّث

---

(١) شذرات الذهب ٥ : ٢٥٣ .
(٢) شذرات الذهب ٥ : ٢٥٣ .
(٣) شذرات الذهب ٥ : ٢٦٦ .
(٤) شذرات الذهب ٥ : ٢٩٦ .
(٥) شذرات الذهب : « حاتم » .
(٦) شذرات الذهب ٥ : ٢٩٧ .

الرحّال . أحد من عُنِي بالحديث ، روى عن عبد الرحمن بن مُوقا فمَنْ بعدَه . مات فى جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وستمائة (١) .

٨١ — الضياء عيسى بن سليمان بن رمضان الثعلبىّ المصرىّ العراقىّ . آخر مَنْ روى البخارىّ عن منجب المرشدىّ مولى مرشد المدينىّ . مات فى رمضان سنة ستين وستمائة عن تسعين سنة(٢) .

٨٢ — ابن عرق الموت أبو بكر بن محمد بن فتوح بن خلوف بن يخلف بن مصال الهمدانىّ الإسكندرانىّ . عن التاج المسعودىّ وابن موقا . أجاز له أبو سعد بن أبى عصرون والكبار ، وتفرّد عن جماعة . مات فى جُمادى الأولى سنة ستين وستمائة (٣) .

٨٣ — أبو بكر بن علىّ بن مكارم بن فِتْيان الأنصارىّ المصرىّ . عن البُوصيرىّ . مات فى المحرّم سنة ستين وستمائة (٤) .

٨٤ — الحسن بن علىّ بن مُنتصر أبو علىّ الفارسى ثم الإسكندرانىّ . آخر أصحاب عبد المجيد بن دليل . مات فى ربيع الآخر سنة إحدى وستين وستمائة (٥) .

٨٥ — ابن بنين أثير الدين عبد الغنى بن سليمان بن بنين المصرى . ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وسمع من عشير (٦) الحنبلىّ ؛ فكان آخر أصحابه ، وأجاز له ابن برّى ، وانتهى إليه علوّ الإسناد بمصر . مات فى ثالث ربيع الأول سنة

---

(١) شذرات الذهب ٥ : ٢٩٩ ، والتيجى ، ضبطه ابن العماد الحنبلى : « بفتح الميم وكسر التاء المثناة فوق ، المشددة ، وتحتية وجيم ، نسبة إلى متيجة من ناحية بجاية » .

(٢) شذرات الذهب ٥ : ٣٠٣ .

(٣) شذرات الذهب ٥ : ٣٠٤ .

(٤) شذرات الذهب ٥ : ٣٠٤ .

(٥) شذرات الذهب ٥ : ٣٠٥ .

(٦) شذرات الذهب : « عشير الجبلى » .

إحدى وستين وستمائة [1] .

٨٦ ـ إسماعيل بن صارم أبو الطاهر الكنانى العسقلانى ، ثم المصرى . عن الأبوصيرى وابن ياسين . مات فى جمادى الأولى سنة اثنتين وستمائة [2] .

٨٧ ـ ابن سُراقة الإمام محيى الدين أبو بكر محمد بن محمد بن إبراهيم الأنصارى الشاطبى . شيخ دار الحديث الكاملية . وُلِد سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، وسمع من أبى القاسم أحمد بن بقى ، وبالعراق عن أبى على بن الجواليقى ، وله مؤلفات فى التصوف . مات فى العشرين من شعبان سنة اثنتين وستين وستمائة [3] .

٨٨ ـ إسماعيل بن عبدالقوى بن عزون زين الدين أبو الطاهر الأنصارى المصرى . عن البوصيرى وابن ياسين ، مات فى المحرم سنة سبع وستين وستمائة [4] .

٨٩ ـ شرف الدين أبو الطاهر محمد بن الحافظ أبى الخطاب عمر بن دِحْية . وُلد سنة إحدى وستمائة ، وسمع أباه وجماعة ، وولى مشيخة دار الحديث الكاملية ، وحدث . وكان فاضلاً . مات سنة سبعين وستمائة .

٩٠ ـ أحمد بن قاضى القضاة زين الدين على بن يوسف بن بُندار معين الدين . عن البُوصيرى وابن ياسين . ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة ؛ مات فى رجب سنة سبعين وستمائة .

٩١ ـ أبو البركات أحمد بن عبد الله بن محمد الأنصارى الإسكندرانى النحاس . عن عبد الرحمن بن موقا . مات فى جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين وستمائة [5] .

---

(١) شذرات الذهب ٥ : ٣٠٦ .
(٢) شذرات الذهب ٥ : ٣٠٨ .
(٣) شذرات الذهب ٥ : ٣١
(٤) شذرات الذهب ٥ : ٣٢٤ .
(٥) شذرات الذهب ٥ : ٣٣٣

٩٢ ـ النجيب عبد اللطيف بن عبد المنعم بن الصيقل أبو الفرج الحرانيّ الحنبليّ . مسند الديار المصرية ، عن ابن كُليب وابن المعطوش وابن الجوْزيّ وابن أبى المجد . ولى مشيخة دار الحديث الكاملية . ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، مات فى صفر سنة اثنتين وسبعين وستمائة (١) .

٩٣ ـ ابن علاّق أبو عيسى عبد الله بن عبد الواحد بن محمد بن علاّق الأنصاريّ المصريّ . يعرف بابن الحجّاج ، آخر مَنْ روى عن البوصيريّ وإسماعيل بن ياسين . مات فى ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، وله ست وثمانون سنة (٢) .

٩٤ ـ يكن الدين الحصنى المحدّث أبو الحسن بن عبد العظيم بن أحمد المصريّ . ولد سنة ستمائة ، وسمع الكثير ، وتعب واجتهد ، وكان فاضلا . مات فى رجب سنة أربع وسبعين (٣) .

٩٥ ـ محمد [بن مهلهل] (٤) بن بدران سعد الدين أبو الفضل الهيثميّ . عن الأرتاحيّ والحافظ عبد الغنيّ . مات فى ربيع الأول سنة أربع وسبعين وستمائة (٥) .

٩٦ ـ أبو المفتح عثمان بن هبة الله بن عبد الرحمن بن مكيّ بن إسماعيل ابن عوف الزُّهريّ الإسكندرانيّ . آخر أصحاب عبد الرحمن بن موقا . مات سنة أربع وسبعين وستمائة (٦) .

٩٧ ـ ابن النّنن (٧) شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد البغداديّ . عن عبد العزيز بن منينا وسليمان الموْصليّ . مات بالإسكندرية فى رجب سنة إحدى وسبعين

---

(١) شذرات الذهب ٥ : ٣٣٦ .
(٢) شذرات الذهب ٥ : ٣٣٨
(٣) شذرات الذهب ٥ : ٣٤٣
(٤) تكملة من شذرات الذهب
(٥) شذرات الذهب ٥ : ٣٤٣
(٦) شذرات الذهب ٥ : ٣٤٣
(٧) شذرات الذهب : « بزوتات » .

وستمائة عن ثمانين سنة [١] .

٩٨ ـ الجد ابن الخليل عبد العزيز بن الحسين الدارىّ المصرىّ . والد الصاحب فخر الدين . عن أبى الحسن بن جُبير الكنانىّ ، والفتح بن عبد السلام . وكان رئيسا ديّنا خيّراً . مات فى ربيع الأول سنة ثمانين [٢] وستمائة عن إحدى وثمانين سنة [٣] .

٩٩ ـ أبو بكر بن الحافظ أبى الطاهر إسماعيل بن الأنماطىّ . ولد سنة تسع وستمائة وسمع من الكندىّ وابن الحرستانىّ وابن ملاعب . مات بالقاهرة فى ذى الحجة سنة أربع وثمانين وستمائة [٤] .

١٠٠ ـ السراج بن فارس أبو بكر عبد الله بن أحمد بن إسماعيل التميمىّ الإسكندرانىّ . عن التاج الكندى وابن الحرَستانىّ . مات بإسكندرية فى ربيع الأول سنة خمس وثمانين وستمائة [٥] .

١٠١ ـ ابن المهتار المحدّث الورِع مجد الدين يوسف بن محمد بن عبد الله المصرىّ ، ثم الدمشقىّ . قارئ دار الحديث الأشرفية . ولد سنة عشر وستمائة ، وسمع من ابن الزبيدىّ وابن الصبّاح ، وروى الكثير . مات فى تاسع ذى القعدة سنة خمس وثمانين [٦] .

١٠٢ ـ جمال الدين أبو صادق محمد بن الحافظ رشيد الدين يحيى العطار . سمع من محمد ابن عماد وابن باقا ، وخرّج الموافقات . مات فى ربيع الآخر سنة ست وثمانين وستمائة عن بضع وستين سنة [٧] .

---

(١) شذرات الذهب ٥ : ٣٦٤ ، وذكره فى وفيات ٦٧٩ .
(٢) ح ، ط « ثمان » تصحيف .
(٣) شذرات الذهب ٥ : ٣٦٦
(٤) شذرات الذهب ٥ : ٣٨٨
(٥) شذرات الذهب ٥ : ٣٩١
(٦) شذرات الذهب ٥ : ٣٩٤
(٧) شذرات الذهب ٥ : ٣٩٩ .

١٠٣ ـ عزّ الدين عبد العزيز بن عبد المنعم بن الصيقل الحرانىّ أبو العزّ . مسنِد الوقت . ولد سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، وسمع من أبى حامد ويوسف بن كامل ، وأجاز له ابن كليب ، وكان آخر مَن رَوى عن أكثر شيوخه . استوطن مصر إلى أنْ مات بها فى رجب سنة ست وثمانين وستمائة .

١٠٤ ـ النجيب أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد بن علىّ الهمذانىّ ثم المصرىّ المحدّث . أجاز له ابن طبرزَد وعفيفة ، وسمع من عبد القوىّ بن الحباب وابن باقا . مات فى ذى القعدة سنة سبع وثمانين وستمائة (٢) .

١٠٥ ـ محمد بن عبد الخالق بن طرخان شرف الدين أبو عبد الله الأموىّ الإسكندرانىّ . أجاز له أسعد بن روح ، وسمع من علىّ بن البناء والحافظ بن المفضل . مات سنة سبع وثمانين وستمائة عن اثنتين وثمانين سنة (٣) .

١٠٦ ـ غازى الحلاوى [أبو محمد] بن أبى الفضل بن عبد الوهاب الدّمشقىّ . عن حنبل وابن طبرزد . عُمِّر دهراً ، وانتهى إليه علوّ الإسناد بمصر . مات بالقاهرة فى صفر سنة تسعين وستمائة عن خمس وتسعين سنة (٤) .

١٠٧ ـ محمد بن إبراهيم بن ترجم أبو عبد الله المصرىّ . آخر مَنْ روى عن الترمذىّ ، عن علىّ بن البناء . مات سنة اثنتين وتسعين وستمائة (٥) .

١٠٨ ـ التاج إسماعيل بن إبراهيم بن قريش المخزومىّ المصرىّ المحدّث . عن جعفر الهمدانىّ وابن المقيّر . مات فى رجب سنة أربع وتسعين وستمائة (٦) .

١٠٩ ـ ابن الحامض أبو الخطاب محفوظ بن عمر بن أبى بكر البغدادىّ . عن عبد السلام الزّاهدىّ . مات بمصر يوم الأضحى سنة أربع وتسعين وستمائة (٧) .

---

(١) شذرات الذهب ٥ : ٣٩٦
(٢) شذرات الذهب ٥ : ٤٠٢
(٣) شذرات الذهب ٥ : ٤٠٣
(٤) شذرات الذهب ٥ : ٤١٧
(٥) شذرات الذهب ٥ : ٤٢٢
(٦) شذرات الذهب ٥ : ٤٢٦
(٧) شذرات الذهب ٥ : ٤٢٧

١١٠ ـ سعد الدين عبد الرحمن بن علىّ بن القاضى الأشرف أحمد بن القاضى الفاضل عبد الرحيم . عن عبد الصمد الغَضَارِى[١] وجعفر الهَمْدانى . مات فى رجب سنة خمس وتسعين وستمائة ، وقد قارب السبعين[٢] .

١١١ ـ ابن الدَّميرى[٣] محيي الدين عبد الرحيم بن عبد المنعم المصرىّ . آخر مَنْ سمع من الحافظ علىّ بن المفضل وأبى طالب بن حديد ، وأكثر عن الفخر الفارسىّ . مات فى المحرّم سنة خمس وتسعين وستمائة ، وله تسعون سنة[٤] .

١١٢ الجلال عبد المنعم بن أبى بكر بن محمد الأنصارىّ الشافعىّ . قاضى القدس ، عالم ديّن ، حدّث عن ابن المُقيّر . مات بالقدس فى ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وستمائة[٥] .

١١٣ ـ الوجيه النِّفَّرِىّ المحدّث موسى بن محمد . أحد من عُنى بمصر بالحديث ، وأكثر عن أصحاب ابن طبرزد . مات فى جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وستمائة[٦]

١١٤ ـ ابن الأغْلاقىّ أبو العباس أحمد بن عبد الكريم ، ابن غازى الواسطىّ ثم المصرىّ . عن عبد القوىّ بن الحباب وابن باقا . مات فى صفر سنة ست وتسعين وستمائة[٧] .

١١٥ ـ الضياء السَّبَنِى[٨] أبو الهدى عيسى بن يحيى بن أحمد الأنصارىّ الشافعىّ

---

(١) ط : « الغضائرى » .
(٢) شذرات الذهب ٥ : ٤٣١
(٣) الدميرى ، بفتح ثم كسر ، منسوب إلى دميرة ، قرية بمصر قرب دمياط .
(٤) شذرات الذهب ٥ : ٤٣١
(٥) شذرات الذهب ٥ : ٤٣١
(٦) شذرات الذهب ٥ : ٤٣٣ ، والنفرى ، بكسر النون وفتح الفاء المشددة ، منسوب إلى النفر ، بلد نهر على النرس من بلاد الفرس .
(٧) شذرات الذهب ٥ : ٤٣٤
(٨) السبنى ، ضبطه صاحب شذرات الذهب « بفتحتين ونون ، نسبة إلى السبن ، موضع » .

الصّوفيّ المحدّث . ولد سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وسمع من الصّفراويّ وابن المقيّر ، ولبس الخرقة من السّهرورديّ . مات بالقاهرة فى رجب سنة ست وتسعين وستمائة[1] .

١١٦ — محمد بن صالح بن خلف الجهنيّ المصريّ المغربيّ . عن ابن باقا ، وعنه الذهبيّ . مات سنة سبع وتسعين وستمائة[2] .

١١٧ ابن الصيّرفيّ شرف الدين الحسن بن عليّ بن عيسى اللخميّ المصريّ المحدّث . أحد مَنْ عُنِيَ بالحديث . روى عن ابن رَواح . مات فى ذى الحجة سنة تسع وتسعين وستمائة[3] .

١١٨ — محمد بن عبد الكريم بن عبد القويّ أبو السعود المنذريّ المصريّ . مات فى ربيع الأول سنة تسع وتسعين وستمائة عن خمس وسبعين سنة[4] .

١١٩ — الفخر محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحباب التميميّ المصريّ . ناظر الخزانة . عن عليّ بن الجمل . مات فى ربيع الأول سنة تسع وتسعين وستمائة عن خمس وسبعين سنة[5] .

١٢٠ — محمد بن مكيّ بن أبي الذكَر القرشي الصّقليّ الرّقام . روى بمصر عن ابن صبّاح والأيليّ . مات فى ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وستمائة عن خمس وسبعين سنة[6] .

١٢١ — أبو المعالى أحمد بن إسحاق الأبَرْقوهيّ[7] مسنِد الديار المصرية ، تفرّد بأشياء . مات بمكّة حاجًّا فى ذى الحجّة سنة إحدى وسبعمائة وله سبع وثمانون سنة[8] .

---

(١) شذرات الذهب ٥ : ٤٣٦
(٢) شذرات الذهب ٥ : ٤٣٩
(٣) شذرات الذهب ٥ : ٤٤٧
(٤) شذرات الذهب ٥ : ٤٥٣
(٥) شذرات الذهب ٥ : ٤٥٥
(٦) شذرات الذهب ٥ : ٤٥٣
(٧) الأبرقوهي ، بفتح الهمزة والوحدة وسكون الراء وضم القاف ، منسوب إلى أبرقوه ، بلد بأصبهان — ابن العماد .
(٨) شذرات الذهب ٦ : ٤

١٢٢ ـ علاء الدين علىّ بن عبد الغنى بن الفخر ، ابن تيميّة الشـاهد . عن الموفّق عبد اللطيف وابن روزبة . مات بمصر سنة إحدى وسبعمائة [١] .

١٢٣ ـ الصاحب فتح الدّين عبد الله بن محمد بن أحمـد المخزومىّ ، ابن القيسرانىّ . من بيت الرياسة والوزارة ، ولىَ وزارة دمشق ، ثم أقام بمصر مدّة موقّعاً ، وكان شاعراً أديبا محدّثا ، ألف فى رجال الصحيحين من الصحابة ، روى عنه الدّمياطىّ . مات بالقاهرة فى ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعمائة [٢] .

١٢٤ ـ تاج الدين علىّ بن أحمد بن عبدالمحسن الحسينىّ الغرّافىّ [٣] الشريف . محدّث الإسكندرية ، عن أبى الحسن القطيعىّ وجماعة ، تفرّد ورُحِل إليه . مات فى ذى الحجـة سنة أربع وسبعمائة عن ست وسبعين سنة [٤] .

١٢٥ ـ محمد بن عبد المنعم شهاب الدين المصرىّ ، عن ابن باقا ، وعنه السُّبكىّ . مات بمصر سنة خمس وسبعمائة [٥] .

١٢٦ زينب بنت سليمان بن أحمد الإسعردية . عن الزّبيدىّ وأحمد بن عبد الواحد البخارىّ . وتفرّدت بأشياء . ماتت بمصر سنـة خمس وسبعمائة عن بضع وثمانين سنـة [٦] .

١٢٧ ـ الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الوزير بهاء الدين علىّ بن محمد بن حنّا [٧] . حدث عن سبط السِّلَفىّ ، وكان رئيسا شاعرا . مات سنة سبع وسبعمائة [٨] .

---

(١) شذرات الذهب ٦ : ٢ (٢) شذرات الذهب ٦ : ٩ .
(٣) الغراف ، بالغين المعجمة المفتوحة وتشديد الراء : نسبة إلى الغراف ، نهر عند واسط .
(٤) شذرات الذهب ٦ : ٢٩١ (٥) شذرات الذهب ٦ : ١٣
(٦) شذرات الذهب ٦ : ١٢ (٧) شذرات الذهب : « محمدحنا » .
(٨) شذرات الذهب ٦ : ١٤

١٢٨ — جمال الدين أبو بكر محمد بن عبد العظيم بن عليّ السقطيّ القاضى . عن ابن باقا ، والعلَم ابن الصابونيّ . مات بالقاهرة سنة سبع وسبعمائة عن خمس وثمانين سنة[١] .

١٢٩ — شهاب الدين بن عليّ الحسنيّ[٢] أبو عليّ . عن ابن المقيّر وابن رَواح . مات بمصر سنة ثمان وسبعمائة عن ثمانين سنة[٣] .

١٣٠ — نبيه الدّين حسن بن حسين بن جبريل الأنصاريّ . عن ابن المقيّر وابن رَواح . مات بمصر سنة تسع وسبعمائة عن تسع وسبعين سنة[٤] .

١٣١ — عبد الله بن رعاف البغويّ . عن ابن المقيّر وابن رَواح ، والعلم الصّابونى . مات بمصر سنة عشر وسبعمائة .

١٣٢ — بهاء الدين عليّ بن الفقيه عيسى بن سليمان الثعلبيّ المصريّ ، ابن القيّم . عن الفخر الفارسى وابن باقا . وكان ناظر الأوقاف . وذكر مرة للوزارة . مات بمصر فى ذى القعدة سنة عشر وسبعمائة عن سبع وتسعين سنة[٥] .

١٣٣ — عمر بن عبد النصير القرشيّ الإسكندرانيّ أبو حفص الزّاهد العابد . عن ابن المقيّر وابن الجُمّيزيّ . مات فى المحرم سنة إحدى عشرة وسبعمائة[٦] .

١٣٤ — القاضى المنشئ جمال الدين محمد بن مكرّم بن عليّ الأنصاريّ . يروى عن مرتضى وابن المقيّر . حدّث ، واختصر تاريخ ابن عساكر ، وله نظم ونثر . مات بمصر فى شعبان سنة إحدى عشرة وسبعمائة عن اثنتين وثمانين[٧] .

---

(١) شذرات الذهب ٦ : ١٦
(٢) شذرات الذهب : « الحجي » .
(٣) شذرات الذهب ٦ : ١٧
(٤) شذرات الذهب ٦ : ٢٠
(٥) شذرات الذهب ٦ : ٢٣
(٦) الدرر الكامنة ٣ : ١٧٤
(٧) شذرات الذهب ٦ : ٢٦

١٣٥ ـ أبو الحسن عليّ بن هارون الثعلبيّ المحدّث . مسنِد ديار مصر . عن ابن صبّاح وابن الزّبيديّ وابن اللّتّيّ . وتفرّد بالعوالى ، واشتهر . مات بمصر فى ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وسبعمائة عن ست وثمانين سنة[١] .

١٣٦ ـ عماد الدين أحمد بن القاضى شمس الدين محمد بن العماد إبراهيم المقدسى الحنبليّ عن الكاشغريّ وابن الخازن وابن رواح . تفرّد بأجزاء . مات بمصر فى جمادى الآخرة سنة اثنتى عشرة وسبعمائة عن خمس وتسعين سنة[٢] .

١٣٧ ـ نور الدّين على بن نصر الله بن عمر القرشى المصريّ ، ابن الصّواف . راوى سنن النّسائيّ عن ابن باقا . سمع جعفراً الهَمْدانيّ ، والعلَم ابن الصابونيّ ، وأجاز له أبو الوفاء محمود بن مَنْده . تفرّد واشتهر . مات فى رجب سنة اثنتى عشرة وسبعمائة وقد قارب التسعين[٣] .

١٣٨ ـ ست الأكياس[٤] موفقية بنت عبد الوهاب بن عتيق بن وَرْدان المصرية . عن الحسن بن دينار والعلَم ابن الصّابونيّ وعبد العزيز بن البَيْطار ، وتفرّدت . ماتت سنة اثنتى عشرة وسبعمائة عن اثنتين وثمانين سنة[٥] .

١٣٩ ـ زين الدين أبو محمد الحسن عبد الكريم بن عبد السلام الغماريّ المصريّ . سبط الفقيه زيادة . عن أبى القاسم بن عيسى المقرئ ومحمد بن عمر القُرطبيّ ، وتفرّد عنهما . مات سنة اثنتى عشرة وسبعمائة عن خمس وتسعين سنة[٦] .

١٤٠ ـ عماد الدّين عليّ بن الفخر عبد العزيز بن قاضى القضاه عماد الدين عبد الرحمن السكريّ . خطيب جامع الحاكم ، ومدرّس مشهد الحسين . حدّث عن جدّه لأمه

---

(١) شذرات الذهب ٦ : ٣١
(٢) شذرات الذهب ٦ : ٣٠
(٣) شذرات الذهب ٦ : ٣١
(٤) شذرات الذهب : « الأجناس » .
(٥) شذرات الذهب ٦ : ٣١
(٦) شذرات الذهب ٦ : ٣٠

ابن الجميزى . مات سنة ثلاث عشرة [وسبعمائة] وله أربع وسبعون سنة[١] .

١٤١ ـ فاطمة بنت عباس البغدادية ، الشيخة العالمة الفقيهة الزاهدة القانتة الواعظة ، سيدة نساء زمانها ، أم زينب . كانت وافرة العلم ، حريصة على النفع والتذكير ، ذات إخلاص وحشمة وأمر بالمعروف ؛ انصلح بها نساء دمشق ثم نساء مصر . وكان لها قبول زائد ، ووقع فى النفوس . ماتت بمصر فى ذى الحجة سنة أربع عشرة وسبعمائة ، عن نيف وثمانين سنة[٢] .

١٤٢ ـ جمال الدين عطية بن إسماعيل بن عبد الوهاب اللخمى الإسكندرانى ، المتفرد بكرامات الأولياء . عن المظفر الفوّى . مات سنة أربع عشرة وسبعمائة ، وهو من أبناء الثمانين[٣] .

١٤٣ عز الدين أبو الفتح[٤] موسى بن على بن أبى طالب العلوى الموسوى[٥] . عن الإربلى والمكرم والسخاوى وابن الصلاح ، وتفرد ورحل إليه . مات بمصر فى ذى الحجة سنة خمس عشرة وسبعمائة[٦] .

١٤٤ ـ فخر الدين عثمان بن بلبان المقاتلى المحدث . مفيد المنصورية ، حدث عن أبى حفص بن القواس وطبقته ، وارتحل وحصل ، وكتب وخرج . مات بمصر سنة سبع عشرة وسبعمائة ، عن اثنتين وخمسين سنة[٧] .

١٤٥ ـ زين الدين محمد بن سليمان بن أحمد بن يوسف الصنهاجى المراكشى ثم

---

(١) شذرات الذهب ٦ : ٣٢
(٢) شذرات الذهب ٦ : ٣٤
(٣) الدرر الكامنة ٢ : ٤٥٦ ، وهناك ، « عطية بن المكين إسماعيل » .
(٤) فى الدرر : « أبو القاسم » .
(٥) ح ، ط : « المرشدى » ، وما أثبته من الأصل والدرر .
(٦) الدرر الكامنة ٤ : ٢٧٩
(٧) الدرر الكامنة ٢ : ٤٣٥

الإسكندرانى . عن ابن رَواح ومظفّر بن الفُوّى . مات فى ذى الحجة سنة سبع عشرة وسبعمائة(١)

١٤٦ — الجلال محمد بن محمد بن عيسى القاهرى . طبّاخ الصّوفية . عن ابن قُميرة وابن الجُميزى والسارى . مات فى سنة ثمانى عشرة وسبعمائة(٢) .

١٤٧ — بدر الدين محمد بن منصور المصرى ، ابن الجوهرى . روى عن إبراهيم بن خليل والكمال الضرير ، وتلا السّبع ، وتفقه . وذُكر للوزارة . مات بدمشق سنة تسع عشرة وسبعمائة(٣) .

١٤٨ — أبو علىّ الكردىّ الحسن بن عمر بن عيسى ، تلا على عيسى وسمع منه ومن ابن اللّتى . وحدّث . مات بمصر فى ربيع الآخر سنة عشرين وسبعمائة ، عن نيّف وتسعين سنة(٤) .

١٤٩ — كمال الدين عبد الرحمن بن عبد المحسن بن ضرغام الكنانى المصرى خطيب جامع المقسيّة . عن السّبط ؛ مات فى ربيع الآخر سنة عشرين وسبعمائة ، وله ثلاث وتسعون سنة(٥) .

١٥٠ — شرف الدين يعقوب بن أحمد ، ابن الصابونى . عن ابن عَزّون وابن علاّق . مات بمصر سنة عشرين وسبعمائة عن ست وسبعين سنة(٦) .

١٥١ — فخر الدين أبو الهُدى أحمد بن إسماعيل بن علىّ بن الحباب الكاتب . تفرّد بأجزاء عن سبط السِّلَفىّ . مات بمصر سنة عشرين ، عن سبع وسبعين سنة(٧) .

---

(١) الدرر الكامنة ٣ : ٤٤٧
(٢) شذرات الذهب ٦ : ٥١
(٣) الدرر الكامنة ٤ : ٢٦٧
(٤) الدرر الكامنة ٢ : ٣٠
(٥) الدرر الكامنة ٢ : ٣٣٤
(٦) الدرر الكامنة ٤ : ٤٣٣
(٧) الدرر الكامنة ١ : ١٠٦

١٥٢ ـ تاج الدين أحمد بن محبّ الدين محمد بن الكمال الضرير القيّاسىّ . روى عن جدّه وابن رَواح والسِّبط ، مات بمصر فى جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين عن تسع وسبعين سنة .

١٥٣ ـ تقىّ الدين محمد بن عبد الحميد بن محمد الهمْدانىّ ثم المصرىّ المُهلبىّ. المحدّث الرحّال . عن إسماعيل بن عزون والنجيب . مات سنة إحدى وعشرين عن نيّف وسبعين سنة (١) .

١٥٤ ـ تقىّ الدين عَتيق بن عبد الرحمن بن أبى الفتح العمرىّ المحدث الزاهد . له رحلة وفضائل . عن النّجيب وابن علاّق . مات بمصر فى ذى القعدة سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة(٢) .

١٥٥ ـ محيى الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن أبى صالح بن مخلوف ، ابن جماعة الرّبَعِىّ المالكىّ . مسنِد الاسكندرية. عن جعفر والقسارسىّ وابن رَواح،وتفرّد. مات فى ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة .

١٥٦ ـ زين الدين عبد الرحمن بن أبى صالح رَواحة بن علىّ بن الحسين بن مظفر ابن نصير بن رواحة الأنصارىّ الحموىّ الشافعىّ . عن جده لأمه أبى القاسم بن رَواحة وصفيّة القُرشية ، وأجاز له ابن روزبة السّهروردىّ ، وتفرّد ، ورُحِل إليه . مات بأسيوط فى ذى الحجّة سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة عن أربع وسبعين سنة (٣).

١٥٧ ـ زكىّ الدين عمر ركن الدين بن محمد بن يحيى القرشى . تفرّد عن السِّبط

---

(١) الدرر الكامنة ٣ : ٤٩٧
(٢) الدرر الكامنة ٢ : ٤٣٤
(٣) الدرر الكامنة ٢ : ٣٢٨

بجزء سفيان ، وبالدعاء للمحاملىّ ومشيخته . مات بالإسكندرية فى صفر سنة أربع وعشرين عن خمس وثمانين سنة[١] .

١٥٨ ـ نور الدين علىّ بن جابر الهاشمى المحدّث . شيخ الحديث بالمنصورية . حدّث عن زكى البيلقانىّ . مات سنة خمس وعشرين عن بضع وسبعين سنة[٢] .

١٥٩ ـ كمال الدين محمد بن علىّ بن عبد القادر التميمىّ الهمْدانىّ ثم المصرىّ . عن النجيب . مات فى المحرّم سنة ست وعشرين عن إحدى وسبعين سنة[٣] .

١٦٠ ـ نور الدين أبو الحسن علىّ بن عمر بن أبى بكر الوانىّ الصوفىّ . عن ابن رواج والسِّبْط والمُرسىّ . تفرد بعوالى . مات سنة سبع وعشرين وسبعمائة عن اثنتين وتسعين سنة[٤] .

١٦١ ـ عز الدين إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن الحسينىّ القَرافىّ . سمع من أبيه والمرديىّ ، وأجاز له ابنُ يعيش وابن رَواح،وتفرّد . مات فى المحرّم سنة ثمان وعشرين وسبعمائة عن تسعين سنة[٥] .

١٦٢ ـ فتح الدين يونس بن إبراهيم بن عبد القوىّ الكنانىّ العسقلانىّ مسنِد مصر . آخِر مَنْ رَوَى عن ابن المقيّر . مات فى جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، وقد جاوز التسعين[٦] .

١٦٣ ـ عثمان بن الحافظ جمال الدين الظاهرىّ . عن ابن علّاق والنجيب ، وكان مكثراً . مات فى رجب سنة ثلاثين وسبعمائة عن ستين سنة .

١٦٤ ـ بدر الدين يوسف بن عمر الخُتَنِىّ[٧] . عن ابن رواج والبكرىّ

---

(١) الدرر الكامنة ٣ : ١٩١
(٢) الدرر الكامنة ٣ : ٣٥
(٣) الدرر الكامنة ٤ : ٦٨
(٤) الدرر الكامنة ٣ : ٩٠
(٥) الدرر الكامنة ١ : ١٠
(٦) الدرر الكامنة ٤ : ٤٨٤
(٧) الختنى ، ضبطه ابن حجر « بضم المعجمة وفتح المثناة الخفيفة ، وبعدها نون » .

والرشيدى ، تفرّد بأشياء . مات بمصر فى صفر سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة عن أربع وثمانين سنةً [١] .

١٦٥ — تاج الدين أبو القاسم عبد الغفار بن محمد بن عبد الكافى السعدىّ الشافعىّ المحدّث . عن ابن عزّون والنّجيب وعِدّة ، وخرّج التّساعيات والمسلسلات ، وتميّز وأتقن ، وولى مشيخة الصالحية وأفتى . مات فى ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة [٢] .

١٦٦ — نور الدين علىّ بن التاج إسماعيل بن قُرَيش المخزومىّ . عن المنذرىّ والرشيدى وابن عبد السلام . مات فى رجب سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة عن ثمانين سنة .

١٦٧ — وجيهة بنت علىّ بن يحيى الأنصارية البوصيريّة . عن البخارىّ ويوسف الشاولىّ ويعقوب الهذبانىّ . ماتت بالإسكندرية فى رجب سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة [٣] .

١٦٨ — شمس الدين حسين بن أسد بن مبارك ، ابن الأثير الواعظ . عن المنذرىّ والنّجيب . وكان حسن العلم والمذاكرة . مات بمصر سنة خمس وثلاثين وسبعمائة عن أربع وثمانين سنة [٤] .

١٦٩ — شرف الدين يحيى بن يوسف المقدسىّ . مسنِد مصر ، عن ابن رَواح وابن الجمّيزىّ وتفرّد . مات فى جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة عن نيّف وتسعين سنة [٥] .

١٧٠ — محيى الدين يحيى بن فضل الله العمرىّ . كاتب السرّ بمصر . روى عن ابن عبد الدائم وغيره . مات فى رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ، عن ثلاث وتسعين سنة [٥] .

---

(١) الدرر الكامنة ٤ : ٤٦٦
(٢) الدرر الكامنة ٢ : ٣٨٦
(٣) الدرر الكامنة ٤ : ٤٠٦
(٤) الدرر الكامنة ٢ : ٥٠
(٥) الدرر الكامنة ٤ : ٤٣٠
(٦) الدرر الكامنة ٤ : ٤٢٤

١٧١ ـ موفّق الدين أحمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن مكىّ . آخر مَنْ حدّث بالسّماع عن جدّ أبيه . مات بمصر فى جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ، وكان من أبناء التسعين (١) .

١٧٢ ـ محمد بن غالى بن نَجْم الدِّمياطىّ . عن النَّجيب ، وعنه البُلْقينىّ . ولد سنة خمس وستمائة ، مات سنة إحدى وأربعين وسبعمائة (٢) .

١٧٣ ـ إبراهيم بن علىّ بن يوسف بن سنان الزرزارىّ . عن ابن علاق والنَّجيب ، وعنه البُلقينىّ وابن الشيخة . مات فى ذى القعدة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة (٣) .

١٧٤ ـ الجاولىّ الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله ، أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية . روى مسنَد الشافعىّ عن ابن دانيال ، وشرحه بشرحٍ جَمَع فيه بين شرحَىِ الرافعى وابن الأثير ، ورتب الأمّ للشافعىّ . روى عنه المسجدىّ وابن رافع . مات فى رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة (٤) .

١٧٥ ـ جمال الدين عبد الرحيم بن عبد الله بن يوسف الأنصارىّ . يعرف بابن شاهد الجيش ، سمع من إسماعيل بن عبد القوى بن عزون وغيره ، وأجاز له الرشيدىّ العطار وابن سُراقة والكمال الضرير . مات فى صفر سنة ست وأربعين وسبعمائة (٥) .

١٧٦ ـ أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن المهندس . شيخ دار الحديث بالكامليّة . عن أحمد بن شيبان وابن البخارىّ وخَلْق . مات فى شوال سنة سبع وأربعين وسبعمائة .

١٧٧ ـ عمر بن حسين بن مَكىّ الشَّطنوفىّ سراج الدين . عن النّجيب وغيره .

---

(١) الدرر الكامنة ١ : ١٠١

(٢) الدرر الكامنة ٤ : ١٣٣

(٣) الدرر الكامنة ١ : ٤٩

(٤) الدرر الكامنة ٢ : ١٧٠

(٥) الدرر الكامنة ٢ : ٣٥٧

مات فى رمضان سنة سبع وأربعين [1] .

١٧٨ — الصاحب شرف الدين محمد بن الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين بن حنا . الفقيه الشافعىّ . سمع من العزّ الحرانىّ وغيره ، وحدّث ودرّس بالشريفيّة . مات سنة سبع وأربعين وسبعمائة فى رمضان .

١٧٩ — قطب الدين أبو بكر بن عامر بن الشيخ تقىّ الدين بن دقيق العيد . عن جدّه وجماعة ، وولى قضاء المحلة ، ودرس بالسرورية . مات فى صفر سنة خمس وخمسين وسبعمائة [2] .

١٨٠ — ناصر الدين محمد بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عيسى بن أبى بكر بن أيوب . يعرف بابن الملوك . مسند القاهرة ، عن العزّ الحرانىّ وغيره . مات سنة ست وخمسين عن نحو ثمانين سنة [3] .

١٨١ — شرف الدين على بن الحسين الأرموىّ ثم المصرىّ الشافعىّ ، الشريف نقيب الأشراف ، ولى قضاء العسكر ، ووكالة بيت المال ، ودرّس بالمشهد الحسينىّ ، وحدث عن ست الوزراء . مات فى جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وسبعمائة [4] .

١٨٢ — فخر الدين محمد بن محمد بن الحارث بن مسكين الزهرىّ نائب الحكم بالقاهرة . حدّث عن جماعة ، وأجاز له العزّ الحرانىّ وابن البخارىّ وخَلْق . ولد سنة ثمان وستين وستمائة . مات فى شعبان سنة إحدى وستين وسبعمائة .

١٨٣ — تقىّ الدين عبد الرحمن بن أحمد بن علىّ الواسطىّ الأصل ، المصرى المولد والوفاة ، المحدّث . ولد سنة سبع وتسعين وستمائة ، وتصدّر للإقراء بأماكن ، وولى مشيخة الحديث بالشيخونيّة . مات فى شعبان سنة إحدى وثمانين وسبعمائة [5] .

---

(١) الدرر الكامنة ٣ : ١٦٠

(٢) الدرر الكامنة ١ : ٤٤٤ .

(٣) الدرر الكامنة ٣ : ٣٨٧

(٤) الدرر الكامنة ٣ : ٤١

(٥) الدرر الكامنة ٢ : ٣٢٣

١٨٤ ـ ابن الشيخة[1] زين المدبر أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن المبارك الغزّىّ. عن الحجّار وغيره. ولد سنة خمس عشرة وسبعمائة. ومات فى ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وسبعمائة[2].

١٨٥ ـ أحمد بن الحسن بن محمد بن محمد بن زكريا السويداوىّ شهاب الدّين. عن أبى القماح والمزىّ وغيرهما. ولد سنة خمس وعشرين وسبعمائة. مات فى ربيع سنة أربع وثمانمائة.

(١) الدرر: «ابن الشحنة».

(٢) الدرر الكامنة ٢: ٣٢٤

ذكر من كان بمصر من الفقهاء الشافعية

١ ــ أبو عثمان محمد بن بن عم الإمام الشافعىّ . قال ابنُ يونس : كان فقيهاً تُوُفِّىَ بمصر سنة إحدى وثلاثين ومائتين . قال الدّار قطنى : أخذ عن أبيه . ابن عم الشافعىّ .

٢، ٣، ٤ــ٥ ــ ابن بنت الشافعىّ، البُويطىّ، حَرْملة، المزنىّ. مرُّوا فى المجتهدين[1] .

٦ ، ٧ ــ الرّبيع بن سليمان المرادىّ ، يونس بن عبد الأعلى ، مرّا فى الحفاظ[2] .

٨ ــ عبد الحميد بن الوليد بن المغيرة المصرى النّحوىّ أبو زيد المعروف بكيد . أخذ عن الشافعىّ . وكان فقيها عالما بالأخبار ، أعجوبة فيها . مات فى شوّال سنة إحدى وعشرين ومائتين.

٩ ــ أبو علىّ عبد العزيز بن عمران بن أيوب بن مِقْلاص الخُزاعى المصرىّ . كان فقيهاً فاضلا ، زاهدا ثقة ، وكان من أكابر العلماء المالكيّة ، فلمّا قدم الشافعىّ مصر لزمه ، وتفقه على مذهبه . مات فى ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين ومائتين[3] .

١٠ ــ الرّبيع بن سليمان بن داود الأزدىّ الجيزىّ أبو محمد . مات بالجيزه ، ودُفن بها فى ذى الحجة سنة ستّ وخمسين ومائتين[4] .

١١ ــ قحزم بن عبد الله الأسوانىّ ، يكنى بأبى حنيفة . كان أصله قبطيًّا ، وكان من

---

(١) تقدم ذكرهم فى المجتهدين ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

(٢) الربيع ص ٣٤٨ يونس ص ٣٠٩ .

(٣) طبقات الشافعية ٢ : ١٤٣ (ط الحلبى) .

(٤) تقريب التهذيب ١ : ٢٤٥ ، طبقات الشافعية ١ : ٢٥٩ .

جلّة أصحاب الشافعيّ الآخذين عنه . كان مقيما بأسوان ، يفتى بها على مذهبه مدة سنين . مات بها سنة إحدى وسبعين ومائتين[١] .

١٢ ـ أخت المزنىّ ، كانت تحضر مجلس الشافعىّ ، ونقل عنها الرافعىّ فى الزّكاة . وذكرها ابن السُّبكىّ والإسنوىّ فى الطبقات .

١٣ ـ أبو علىّ كثَيز ، خادم الخليفة المنتصر بن المتوكل . قال الذهبىّ : كان من أئمة المذهب ، تفقه على الزعفرانىّ ، فلما قُتِل المنتصر خرج إلى مصر ، وأخذ الفقه عن حَرْملة والرّبيع ، وكان يجلس فى حَلْقة ابن عبد الحكم ويناظرهم فقامت قيامتُهم منه ، فسعوا به إلى أحمد بن طولون ، وقالوا : هذا جاسوس ، فحبسه سبع سنين ، فلما مات ابنُ طولون ذهب إلى الإسكندرية ، فأقام بها سبع سنين ، وأعاد كلّ صلاة صلاها فى الحبْس ، ثم ذهب إلى الشام وأقام يُقرئُ بجامع دمشق[٢] .

١٤ ـ يوسف بن عبد الأعلى . قال العِبادىّ : كان أحد فقهاء عصره ، من أصحاب المزنىّ .

١٥ ـ عبدان المروزىّ . مرّ فى الحفاظ[٣] .

١٦ ـ أبو زُرعَة محمد بن عثمان بن إبراهيم الدّمشقىّ . ولى قضاء مصر عن أحمد بن طولون ، فأقام فيه ثمانى سنين ، ثم ولِىَ قضاء دمشق ، فأدخل فيها مذهب الشافعىّ ، وحكم به القضاة بعد أن كان الغالبُ عليهم مذهبَ الأوزاعىّ ، وكان عفيفا شديد التوقّف فى الأحكام ، بالغا فى الكرم أكولا ، تُوفِّىَ سنة اثنتين وثلاثمائة[٤] .

١٧ ـ وولدُه أبو عبد الله الحسين ، عارف بالقضاء ، كريم ، جُمع له بين قضاء

---

(١) طبقات الشافعية ٢ : ١٦١ (الحلبى) (٢) طبقات الشافعية ٢ : ١٦١ ، ١٦٢ (طبعة الحلبى)
(٣) ص ٣٩٥
(٤) ماحق الولاة والقضاة ٥٠٨ (فيما نقل عن كتاب رفع الإصر) .

مصر والشام . مات يوم عيد الأضحى سنة سبع وعشرين وثلثمائة ، عن ثلاث وأربعين سنة[1] .

١٨ ـ أبو القاسم بشر بن نصر بن منصور البغدادىّ . يعرف بغلام عرق ، قال ابن يونس : ارتحل إلى مصر وتفقّه على مذهب الشافعىّ ، وكان متضلعاً من الفقه ديّناً . توفى بمصر فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلثمائة[2] .

١٩ ـ النّسائى ، مرّ فى الحفّاظ[3] .

٢٠ ـ منصور بن إسماعيل بن عُمر أبو الحسن الفقيه . أحد أئمة الشافعية ، له مصنّفات فى المذهب وشعر حسن ، سكن الرّملة ، ثم قدم مصر فمات بها سنة ست وثلثمائة . ذكره ابن كثير[4] .

٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ـ ابن جويرية ، أبو إسحاق المروزىّ ، ابن الحدّاد ، الماسَرْجِسىّ ، مرّوا فى المجتهدين[5]

٢٥ ـ عبد الله بن محمد بن جعفر القزوينىّ أبو القاسم . سكن مصر ، وأخذ عن يونس بن عبد الأعلى والرّبيع بن سليمان المرادىّ . وكان له حلقة للفتوى والإشغال بمصر وللرواية . مات سنة خمس عشرة وثلثمائة نقل عنه الرافعىّ[6] .

٢٦ ـ أبو علىّ الرّوذبارىّ محمد بن أحمد بن القاسم البغدادىّ الزاهد . قال فى العبر : نزيل مصر وشيخها ، صحب الجنيد وجماعة ، وكان إماماً مفتيا ، وورد عنه أنه قال:

---

(١) ملحق الولاة والقضاة ٥٦٢ فيما نقله عن كتاب رفع الإصر .

(٢) طبقات الشافعية ٣ : ٧٩ (الحلبى) (٣) ص ٣٤٩ من هذا الجزء .

(٤) البداية والنهاية ١١ : ١٠٣ .

(٥) ابن جويرية أبو عبيد وأبو إسحاق المروزى مرا فى ص ٣١٢ ، وأبو بكر الحداد والماسرجسى مرا ص ٣١٣ .

(٦) العبر ٢ : ١٩٢ .

أستاذي في التصوّف الجُنيد ، وفي الحديث إبراهيم الحربي ، وفي الفقه ابن سُرَيج ، وفي الأدب ثعلب . مات بمصر سنة اثنتين وعشرين وثلثمائه[1].

٢٧ — أبو هاشم إسماعيل بن عبد الواحد الرَّبَعي المقدسي . قال الذهبي : كان من كبار الشافعيّة ، تولى قضاء مصر في سنة إحدى وعشرين وثلثمائة، ثم عُزِل وأصابه فالج ، فتحوّل إلى الرَّملة ، فمات بها سنة خمس وعشرين[2].

٢٨ — أبو بكر محمد بن علي المصري المعروف بالعسكري . نسبته إلى حارة من مدينة مصر تسمى بالعَسْكر ، نزلها عسكر صالح بن علي أمير مصر . قال ابن يونس : كان مختار أهل العسكر ومفتيهم . روى عن يونس بن عبد الأعلى والرّبيع بن سليمان . مات يوم الأربعاء سابع ربيع الأول سنة سبع عشرة وثلثمائة[3].

٢٩ — أبو بكر محمد بن بشر بن عبد الله الزّبيري العَسكَري — بفتح المهملة والكاف — قال ابن الصلاح : من أهل مصر ، حدّث عن الربيع بمختصر البُويطي وغيره . وقال ابن يونس : توفِّيَ يوم الخميس تاسع شوال سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة[4].

٣٠ — أبو رجاء محمد بن أحمد بن الربيع الأُسواني . كان فقيهاً أديباً شاعرا ، سمع وحدث وألّف قصيدة نظم فيها قصص الأنبياء وكتاب المُزني والطبّ والفلسفة مائة بيت وثلاثين ألفاً . مات في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وثلثمائة[5].

٣١ — عبد الرحمن بن سلويه الرّازي . قال ابنُ يونس : قدم مصر وتفقّه بها ، وأفتى ودرّس في جامعها العتيق . وتوفِّيَ بها سنة تسع وثلاثين وثلثمائة[6].

---

(١) العبر ٢ : ١٩٥ ؛ وفي حواشيه عن طبقات الصوفية ٣٥٤ ، أن اسمه أحمد بن محمد بن القاسم .
(٢) ملحق الولاة والقضاة ٥٤٤ فيما نقله عن كتاب رفع الإصر .
(٣) اللباب ٢ : ١٣٦ .
(٤) شذرات الذهب ٢ : ٣٣٢ .
(٥) الطالع السعيد ٢٦٧ .
(٦) طبقات الشافعية ٢ : ٢٣٧ .

٣٢ ـ محمد بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن عبد الخالق ، أبو الفرج البغدادىّ الفقيه الشافعىّ . يعرف بابن سكّرة . قال ابن كثير : سكن مصر ، وحدّث بها ، مات سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة[١] .

٣٣ ـ أبو بكر عبد الله بن محمد بن الحسين بن الخصيب بن الصّقر الخصيبىّ الأصبهانىّ . له كتاب فى الفقه يسمى المجالسة . ولىَ قضاء دمشق ، ثم قضاء مصر سنة أربعين وثلثمائة ، فأقام بها إلى أن مات بها فى المحرّم سنة ثمان وأربعين ، وولّىَ بعده ابنه محمد ، فأقام شهراً واحداً ، ثمّ مرض ، ومات فى سادس ربيع الأوّل من السنة[٢] .

٣٤ ـ أبو بكر محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندىّ المصرىّ . يعرف بابن الجُبّىّ ، نسبة إلى جُبّة موضع بمصر . يلقب سيبويه . وكان فقيها شاعرا فصيحا أخذ عن ابن الحدّاد ، وكان يتظاهر بالاعتزال . ولد سنة أربع وثمانين ومائتين ، ومات فى صفر سنة ثمان وخمسين وثلثمائة[٣]

٣٥ ـ أبو طاهر محمد بن عبد العزيز بن حسّون الإسكندرانىّ الفقيه الشافعىّ . حدّث بدمشق ، وتُوُفِّىَ فى رجب سنة تسع وخمسين وثلثمائة.

٣٦ ـ أبو أحمد عبد الله بن محمّد بن عبد الله بن الناصح المفسّر . كان فقيهاً شافعياً ، روى عنه الدّار قطنىّ وأثنى عليه . ولد بدمشق فى ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين ومائتين . وسكن مصر ومات بها يوم الثلاثاء فى رجب سنة خمس وستين وثلثمائة[٤].

٣٧ ـ أبو الحسن محمّد بن عبد الله بن زكريا بن حيوية القاضى النيسابورىّ ثم

---

(١) البداية والنهاية ١١ : ٣٢٧ .

(٢) رفع الإصر ٢٩٣ .

(٣) معجم البلدان ٣ : ٥٨ .

(٤) شذرات الذهب ٣ : ٥١

المصرىّ . كان إماماً من أئمة الشافعيّة فى الفرائض ، رحل مع عمّه الحافظ يحيى بن زكريا الأعرج إلى مصر واستوطنها . ولد سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، وتُوُفِّىَ بمصر فى رجب سنة ست وثلثمائة .

٣٨ — أبو العباس أحمد بن محمد الديبلىّ . نزيل مصر ، كان جيّد المعرفة بالمذهب ، كثير النظر فى الأمّ ، صالحا زاهداً ، صاحب كرامات ، كثير العبادات . مات فى رمضان سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة ، وكان يَرَى الجمع بين الصلاتين بعذر المرض ، وكانت جنازته شيئا عجيبا لم يبق بمصر أحد إلا حضرها .

٣٩ — أبو الحسن الحلبىّ علىّ بن محمد بن إسحاق القاضى الشافعىّ . نزيل مصر ، وروى عن علىّ بن عبد الحميد الغضائرى وطبقته . تُوُفِّىَ سنة ست وتسعين وثلثمائة ، وقد عاش مائة سنة . قاله فى العبر[1] .

٤٠ — القاضى أبو الفضل محمد بن أحمد بن عيسى البغدادىّ . تفقّه على الشيخ أبى حامد ، وسمع من جماعة كثيرة ، وسكن مصر وأملى وأفاد . مات بها فى شعبان سنة إحدى وأربعين وأربعمائة[2] .

٤١ — أبو الحسن عبد الملك بن عبد الله بن محمود بن صهيب بن مسكين المصرىّ المعروف بالزّجاج . كان فقيها ، سمع من أبيض بن محمد الفهرىّ[3] صاحب النّسائىّ . مات سنة سبع وأربعين وأربعمائة[5] .

٤٢ — أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القُضاعىّ . صاحب الشهاب والخطط وغيرها . كان فقيها شافعيًّا ، تولّى القضاء بالديار المصرية ، روى عنه الخطيب البغدادىّ .

---

(١) العبر ٣ : ٦١ .   (٢) العبر ٣ : ١٩٧ .

(٣) فى الأصل : « الفترى » ، والصواب ما أثبتة من ح ، ط وشذرات الذهب ٣ : ٨٨ .

قال ابن ماكولا : كان متفنناً فى عدة علوم . توفِّىَ بمصر ليلة الخميس سابع عشر ذى القعدة سنة أربع وخمسين وأربعمائة [(١)] .

٤٣ — أبو القاسم نصر بن بشر بن علىّ العراقىّ نزيل مصر . كان فقيهاً محققاً مناظرا مبرّزاً . سمع وحدّث . ومات فى ذى الحِجّة سنة سبع وسبعين وأربعمائة [(٢)] .

٤٤ — أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن الحسين بن شريح الأُموىّ . كان فقيهاً شافعياً . سمع وحدّث . وتوُفِّىَ بمصر سنة ستين وأربعمائة .

٤٥ — أبو القاسم علىّ بن محمد بن علىّ بن أحمد بن المعروف بالمصِّيصىّ . كان فقيهاً فَرَضياً . تفقّه على القاضى أبى الطيب الطَّبَرىّ . وروى الحديث عن جماعة بمصر والشام والعراق ، وأصلُه من المِصّيصة ، ولد بمصر فى رجب سنة أربعمائة ، ومات بدمشق فى جُمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وأربعمائة [(٣)] .

٤٦ — الخِلَعىّ القاضى أبو الحسن علىّ بن الحسين [(٤)] الموصلىّ . ونسبته إلى بيع الخِلَع [(٥)] ؛ لأنه كان يبيعها لملوك مصر . ولد بمصر فى المحرّم سنة خمسَ وأربعمائة ، وكان فقيهاً صالحا ، له كرامات وتصانيف وروايات متسعة . وكان أعلى أهلِ مصر إسنادا ، جمع له أبو نصر أحمد بن الحسن الشيرازىّ عشرين جزءاً ، وخرّجها عنه ، وسماها الخِلَعيات [(٦)] . وولِىَ قضاء الديار المصرية يوماً واحدا ثم استعفى واختفى بالقرافة [(٧)] . مات بمصر فى ذى الحجة سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ؛ وكان والدُه أيضا فقيها شافعياً ، تُوُفِّىَ

(١) ابن خلكان ١ : ٤٦٢ ، طبقات الشافعية ٣ : ٦٢ .

(٢) سقطت هذه الترجمة وتاليها من الأصل ، وأثبتها من ح ، ط .

(٣) شذرات الذهب ٤ : ٣٩٨ .

(٤) ح ، ط : « الحسن » ، والصواب ما أثبته من الأصل وابن خلكان .

(٥) الخلعى ، بكسر الخاء المعجمة ، وفتح اللام .

(٦) فى ابن خلكان : « أجزاء من مسموعاته آخر من رواها عنه أبو رفاعة » .

(٧) فى ابن خلكان : « القرافة الصغرى » ، قال : « هما قرافتان ، كبرى وصغرى ، فالكبرى منهما ظاهر مصر والصغرى ظاهر القاهرة » .

بمصر فى شوّال سنة ثمان وأربعين وأربعمائة (١) .

٤٧ ــ أبو الفتح سلطان بن إبراهيم بن مُسْلم المقدسىّ . قال السِّلَفىّ فى معجم شيوخه : كان من أفقه الفقهاء بمصر ، وعليه قرأ أكثرهم ؛ وهو شيخ صاحب الذخائر . وُلد بالقدس سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ، وتفقّه على الشيخ نصر المقدسىّ ، ودخل مصر بعد السّبعين ، وتُوُفِّىَ سنة ثمانى عشرة وخمسمائة (٢) .

٤٨ ــ أبو الحسين يحيى اللخمىّ المقدسىّ . تفقّه على الشيخ نصر المقدسىّ ، وحدّث عنه ، وتولّى قضاء الإسكندرية .

٤٩ ــ أبو الحجاج يوسف بن عبد العزيز بن على اللخمىّ المَيُورقىّ . كان عالماً بارعا فقيها أصوليًّا خِلافيًّا ، زاهداً . تفقّه على الكيا الهراسىّ ببغداد ، واستوطن الإسكندرية ، وصنّف تعليقة فى الخلاف . روى عنه السِّلَفىّ . مات فى آخر سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة (٣) .

٥٠ ــ مُجلِّى بن جُمَيْع بن نجا المخزومىّ الأرْسوفىّ الأصل (٤) ، ثم المصرىّ القاضى أبو المعالى . صاحب الذّخائر . تفقّه على الفقيه سلطان المقدسىّ ، وبرع فصار من كبار الأئمة ، وتفقّه عليه جماعة ، منهم العراقىّ شارح المذهب . وولىَ قضاء الديار المصرية سنة سبع وأربعين وخمسمائة ، ثم عُزِل سنة تسع وأربعين . ومات فى ذى القعدة سنة خمسين [وخمسمائة] . ومن تصانيفه : كتاب أدب القضاء ، وكتاب الجهر بالبسملة ، نقل عنه فى الروضة (٥) .

---

(١) شذرات الذهب ٤ : ٣٩٨ ، والعبر ٣ : ٣٣٤ ، وابن خلكان ١ : ٣٣٨ ، وفى كل هذه المراجع ذكر أن وفاته كانت سنة ٢٩٢ .

(٢) شذرات الذهب ٤ : ٥٨ .

(٣) شذرات الذهب ٤ : ٦٧ ، العبر ٤ : ٥٤ .

(٤) منسوب إلى أرسوف ، بالفتح ثم السكون ، وهى مدينة على ساحل بحر الشام .

(٥) العبر ٤ : ١٤١ .

٥١ ـ أبو محمد عبد الله بن رِفاعة بن غدير السعديّ المصرى . قاضى الجيزة ، كان فقيهاً ماهرا فى الفرائض والمقدّرات ، صالحا ديّناً ، تفقّه على القاضى الخِلَعىّ ، ولازمه ، وهو آخر مَنْ حدّث عنه ، ثم ترك القضاء واعتزل فى القَرافة ، مشتغلاً بالعبادة . وُلِد فى ذى القعدة سنة سبع وستين وأربعمائة ، ومات فى ذى القعدة سنة إحدى وستين وخمسمائة (١) .

٥٢ ـ عُمارة ـ بضم أوّله ـ بن علىّ بن زيدان اليمنىّ نجم الدين أبو محمد . كان فقيهاً فَرَضِيًّا شاعرا ماهرا . وُلِد سنة خمس عشرة وخمسمائة ، ودخل مصر سنة خمسين ، ومدح الخليفة الفائز ووزيره الصّالح بن رُزِّيك واستوطنها ، فلما أزال السلطان صلاحُ الدين رحمه الله تعالى دولةَ بنى عُبيد ، اتّفق عُمارة هذا مع جماعة من الرؤساء على على إعادة دولتهم ، فعلم بهم السلطان ، فأمر بشنْقهم ، ومن جملتهم عُمارة هذا ، فشنِقوا فى رمضان سنة تسع وستين وخمسمائة (٢) .

٥٣ ـ أبو القاسم علىّ بن أبى المكارم بن فتيان الدّمشقىّ . أحد الأعيان بمصر . قال النّووىّ : تفقّه على أبى المحاسن يوسف الدّمشقىّ ، وله معرفة بفنون . مات سنة تسع وسبعين وخمسمائة .

٥٤ ـ الخُيوشانىّ نجم الدين أبو البركات محمد بن سعيد بن علىّ . كان فقيها فاضلا ، كثير الورع ، وبه يضرب المثل فى الزُّهد . تفقّه على محمد بن يحيى تلميذ الغزالىّ . وألّف تحقيق المحيط فى شرح الوسيط فى ستة عشر مجلّداً ، وتفقّه بالمدرسة الصلاحيّة المجاورة لضريح الإمام الشافعىّ . وكان شيخها وناظرها ، وله بُنَيت . وُلِد فى رجب

---

(١) العبر ٤ : ١٧٤ .
(٢) العبر ٤ : ٢٠٨ .

سنة عشر وخمسمائة، ومات يوم الأربعاء ثانى عشر ذى القعدة سنة سبع وثمانين ، ودُفِن فى قبّة مفردة تحت رجْلَى الإمام الشافعى[١] .

٥٥ ـ أبو العباس أحمد بن المظفر بن الحسين الدمشقىّ ، المعروف بابن زين التّجار . كان من أعيان الشافعيّة . تولىّ تدريس النّاصرية المجاورة للجامع العتيق بمصر ، وطالتْ مدّتُه فيها ، فعرفت المدرسة به ، وهى الآن معروفة بالشريفيّة ؛ لأنّ الشريف العباسىّ شيخ ابن الرِّفْعة تولاّها ، وطالت مدّتُه أيضا بها . مات فى ذى القعدة سنة إحدى وتسعين وخمسمائة[٢] .

٥٦ ـ الشّهاب الطوسى أبو الفتح محمد بن محمود بن محمد . قال النّوَوىّ فى طبقاته : كان شيخَ الفقهاء ، وصدْرَ العلماء فى عصره ، إماماً فى فنون ؛ تفقّه على جماعة من أصحاب الغزالىّ ؛ منهم محمد بن يحيى ، وقدم مصر فنشر بها العلم ، ووعظ وذكر ، وانتفع به الناس ، وكان معظّماً عند الخاصّة والعامّة ، وعليه مدار الفتوى فى مذهب الشافعىّ . ولد سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، وتُوُفِّىَ بمصر فى ذى القعدة سنة ستّ وتسعين وخمسمائة ، وحمله أولاد السلطان على رقابهم[٣] .

٥٧ ـ العراقىّ شارح المهذّب أبو إسحاق إبراهيم بن منصور بن المسلم المصرىّ . وإنما قيل له العِراقىّ ، لأنه سافر إلى بغداد وأقام بها مدة يشتغل بها . ولد بمصر سنة عشر وخمسمائة ، واشتغل على صاحب الذخائر ، وبالعراق على ابن الخلّ وغيره ؛ ثم عاد إلى مصر ، وتولّى خطابة الجامع العتيق بها ، وشرح المهذّب شرحا حسناً . مات يوم الخميس حادى عشر جُمادى الأولى سنة ست وتسعين ، ودُفِن بسفح المقطم ، وله

---

(١) العبر ٤ : ٢٦٢ ، واسمه هناك : « محمد بن الموفق » .
(٢) طبقات الشافعية ٤ : ٥٥ (٣) طبقات الشافعية ٤ : ١٨٥ .

ولد فاضل جليل القدْر اسمه أبو محمد عبد الحكم ، ولِيَ الخطابة بعد وفاة والده ، وله خطب جيّدة وشعر لطيف[1] .

٥٨ ــ أبو القاسم هبة الله بن معدّ بن عبد الكريم القرشيّ الدمياطيّ المعروف بابن البوريّ ، نسبة إلى بُور بلد قرب دمياط ، ينسب إليها السمك البوريّ . تفقه على ابن أبي عَصْرون ، وابن الخلّ ، ثم انتقل إلى الإسكندرية ، ودرّس بمدرسة السِّلَفِيّ . تُوُفِّيَ سنة تسع وتسعين وخمسمائة[2] .

٥٩ ــ إسماعيل بن محمد بن حسان القاضي أبو طاهر الأُسوانيّ الأنصاريّ . رحل إلى بغداد ، وتفقه على ابن فَضْلان ، ورجع فأقام بأسوان حاكما مدرسا . مات بالقاهرة في رمضان سنة تسع وتسعين وخمسمائة[3] .

٦٠ ــ صدر الدين أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس الكرديّ الموصليّ قاضي القضاة بالديار المصرية . ولد سنة ست عشرة وخمسمائة ، وتفقه بحلب على أبي الحسن المراديّ . مات بمصر في رجب سنة خمس وستّمائة[4] .

٦١ ــ أخوه ضياء الدين أبو عمرو عثمان بن عيسى بن درباس الكرديّ الموصليّ . صاحب الاستقصاء في شرح المهذب . كان من أعلم الفقهاء في وقته بالمذهب ، ماهراً في أصول الفقه ، قرأ على الخضر بن عقيل الإربليّ وابن أبي عَصْرون ، وشرح اللّمع لأبي إسحاق ، وناب عن أخيه صَدْر الدين في الحُكْم بالقاهرة . مات في الثاني من ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وقد قارب التسعين ، ودفن بالقَرافة[5] .

وله ولد يقال له :

---

(١) العبر ٤ : ٢٩١ .
(٢) طبقات الشافعية ٤ : ٣٢٢ .
(٣) الطالع السعيد ٩٦ .
(٤) رفع الإصر ٣٦٧ .
(٥) طبقات الشافعية ٥ : ١٢٥ .

٦٢ ـ جمال الدين أبو إسحاق إبراهيم ، كان فقيها محدّثا شاعراً ، رحل ،فمات بين الهند واليمن سنة اثنتين وعشرين وستمائة (١) .

٦٣ ـ السديد بن سماقة أبو إسحاق إبراهيم بن عمر الإسعردىّ . كان عالمًا صالحا . حدّث بمصر والإسكندرية ، وولىَ قضاء دِمْياط ، ثم عاد إلى بلاده ، فمات بها سنة اثنتى عشرة وستمائة .

٦٤ ـ المقترح تقىّ الدين مظفر بن عبد الله بن على المصرىّ ؛ ولقب بالمقترح لأنه كان يحفظه ، وهو كتاب فى الجَدَل ؛ كان إماماً كبيرا ، له التصانيف فى الفقه والأصول والخِلاف ، ديّناً متورّعاً ، كثير الإفادة ، متواضعاً ، تخرّج به جماعة بالقاهرة والإسكندرية . ولد سنة ست وعشرين وخمسمائة ، ومات فى شعبان سنة اثنتى عشرة وستمائة (٢) .

٦٥ ـ عبد الواحد بن إسماعيل بن ظافر الدّمياطىّ صاىر الدين . كان إماماً فقيها متكلّماً ، درّس وأفاد ، ولد سنة ست وخمسين وخمسمائة ، ومات فى ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وستمائة (٣) .

٦٦ ـ ضياء الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل القرشىّ المصرىّ المعروف بابن الورّاق . كان إماماً عالما ، تفقّه بالطوسىّ وأعاد عنده ، وسمع من ابن برّىّ . تفقّه على المنذرىّ. مات فى جمادى الآخرة سنة ست عشرة وستمائة (٤) .

٦٧ ـ صدر الدين شيخ الشيوخ محمد بن شيخ الشيوخ عماد الدين محمود بن حمويه الجُوَينىّ. برع فى المذهب ، وأفتى ودرّس ، وولِىَ تدريس الشافعىّ والمشهد الحُسينىّ ومشيخة سعيد السعداء . وكان كبير القدْر ، بعثه الملك الكامل رسولا إلى الخليفة يستنجد به على الفرنج

(١) طبقات الشافعية ٥ : ١٥٦ .
(٢) طبقات الشافعية ٥ : ١٣٢ .
(٣) طبقات شافعية ٥ : ٦٥ .

لما أخذوا دِمْياط ، فأدركه الموت بالموصل سنة سبع عشرة وستمائة عن ثلاث وسبعين سنة [١] .

٦٨ ـ شهاب الدين محمد بن إبراهيم الحموىّ المعروف بابن الجاموس . كان من كبار الشافعية ، تفقه بحَماة ، وقدم الديار المصرية ، فولىَ خطابة الجامع العتيق ، وتدريس المشهد الحسينىّ . مات فى ربيع الأول سنة خمس عشرة وستمائة .

٦٩ ـ عبدالسلام بن علىّ بن منصور الدّمياطىّ المعروف بابن الخرّاط . ولد بدمياط ورحل إلى بغداد ، ثم تفقه بها ، وتميز فى الفقه والخِلاف ، ورجع إلى بلده فأقام بهـا قاضيا مدرساً ، ثم ولى قضاء مصر والوجه القبلىّ . ولد سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ، ومات سنة تسع عشرة وستمائة .

٧٠ ـ أمين الدين مظفّر بن محمد بن إسماعيل التّبريزىّ . صاحب المختصر المشهور ، لخّصه من الوجيز . كان عالماً عابدا زاهدا . ولد سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وتفقه ببغداد على ابن فَضْلان ، وقدم مصر فأعاد بالمدرسة الشّريفيّة ، واختصر المحصول ، وصنّف كتاباً فى الفقه ، ثلاثة مجلدات ، سماه سماط سمط الفوائد . سافر إلى شيراز ، فمات بها فى ذى الحجة سنة إحدى وعشرين وستمائة [٢] .

٧١ ـ صَدَقة بن أبى كرم اليعقوبىّ . تفقه ببغـداد على ابن فَضْلان وغيره ، وقدم مصر ، وولى القضاء بأعمـال الأشمونين ، ثم رجع إلى بغـداد ، وأعاد بالنظاميّة . وولى قضاء يعقوبا .

٧٢ ـ عماد الدين أبو عمرو عثمان الـكردىّ . تفقة بالموصل على جماعة ، ثم رحل إلى أبيه عَصْرون ، فتفقه عليه ، ثم قدم مصر فتولى قضاء دميـاط ، ثم ناب بالقاهرة ،

---

(١) طبقات الشافعية ٥ : ٤١ .

(٢) طبقات الشافعية ٥ : ١٥٦ .

ودرّس بالجامع الأقمر وغيره . مات فى ربيع الأول سنة عشرين وستمائة [١] .

٧٣ ــ أبو الطاهر طاهر خطيب الجامع العتيق بمصر . كان علامةً ، فقيها ورعاً ، نقل عنه ابن الرِّفعة فى المطْلب .

٧٤ ــ الجمال المصرىّ يونس بن بدران بن فيروز . ولد بمصر فى حدود خمس وخمسين وخمسمائة ، وسمع من السِّلَفِىّ وغيره ، وكان يشارك فى علوم كثيرة ، واختصر الأمّ للشافعىّ ، وألّف فى الفرائض ، ودرس التفسير بالعادلية بدمشق ، وولى قضاء الشام . مات فى ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وستمائة .

٧٥ ــ زين الدين أبو الحسن علىّ بن أبى المحاسن يوسف بن عبدالله بن بَدْران الدمشقىّ . تفقه ببغداد على والده ، وبرع فى المذهب ، وسمع وحدّث ، وولىَ قضاء الديار المصرية ، ومات بها فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وله اثنتان وسبعون سنة .

٧٦ ــ عماد الدين عبدالرحمن بن عبد العلىّ المعروف بابن السُّكرىّ . ولد بمصر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، وتفقّه على الشهاب الطوسىّ . وله مصنّف فى الدّور ، وحواشٍ على الوسيط ، نقل عنه ابن الرِّفعة فى المطْلب ، وَلِىَ قضاء الديار المصرية ، ومات فى شوّال سنة أربع وعشرين وستمائة [٢]

٧٧ ــ تقىّ الدين صالح بن بدر بن عبد الله الزفتاوىّ . تفقه على الشهاب الطوسىّ وتولّى القضاء . مات فى ذى القعدة سنة ثلاث وستمائة ، وهو ابن سبعين سنة [٣] .

٧٨ ــ جلال الدّين أبو الغنائم همّام الدين بن راجى الله بن سرايا الصعيدىّ . ولد بالصّعيد سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، وقدِم القاهرة ، وأخذ العربيّة عن ابن برِّىّ ، والأصول عن ابن ظافر بن الحسين ، ورحل إلى العراق فتفقّهَ على ابن فَضْلان والمجير

---

(١) طبقات الشافعية ٥ : ١٢٥ .
(٢) طبقات الشافعية ٥ : ٦٣ .
(٣) طبقات الشافعية ٥ : ٥٧ .

البغدادىّ . ثم عاد إلى مصر ، وتولّى الخطابة بجامع الصّالح بن رُزّيك ، ودرّس وأفتى ، وصنف فى الفقه والخلاف والأصول . مات فى ربيع الأول سنة ثلاثين وستمائة[1] .

وله حفيد يقال له :

٧٩ ـ تقى الدين أبو الفتح محمد بن محمد ؛ صنف كتابا فى الأدعية والأذكار ، سماه سلاح المؤمن . مات فى ربيع الأول سنـة خمس وأربعين وستمائة بشاطىء النيل .

٨٠ ـ شمس الدين عثمان بن سعيـد بن كثير الصّنهاجىّ . قدم فى صباه مصر واستوطنها ، وتفقّه بها على الشهـاب الطوسىّ ، وبَرَعَ فى المذهب ، ودرّس بالجـامع الأقمر ، وتولّى قضاء الأعمال القوصيّة . ولد فى حدود سنة خمس وستين وخمسمائة ومات بالقاهرة فى جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وستمائة[2] .

٨١ ـ شرف الدين أبو المـكارم محمد بن عبد الله بن الحسن السكندرىّ المعروف بابن عين الدولة . قال المنـذرىّ : كان عالمـا بالأحـكام الشرعيّة على غوامضهـا . ولد بالإسكندرية سنـة إحـدى وخمسين وخمسمائة ، وتفقّه بالعراقىّ شارح المهذّب ، ووَلِىَ قضاء الديار المصرية . مات فى ذى القعدة سنة تسع وثلاثين وستمائة .وله ولد يقال له :

٨٢ ـ محيى الدين عبد الله . ولى قضاء مصر أيضا ، تُوُفِّىَ فى رجب سنة ثمان وسبعين، ومولده سنة سبع وتسعين وخمسمائة .

٨٣ ـ علَم الدّين على بن محمد بن عبد الصمد السخاوىّ أبو الحسن . كان فقيهاً مفتيا إماماً فى القرءات والتفسير والنّحو واللّغة . لازم الشاطبىّ ، ثم سكن دمشق ، وتصـدّر للإقراء ، وانتفع به النّاس ، وله مصنفّات كثيرة ؛ منها التفسير ، وشرح المفصّل وشرح

---

(١) طبقات الشافعية ٥ : ١٦٤ . (٢) طبقات الشافعية ٥ : ١٣٦ .

الشاطبية ، مات ليلة الأحد ثانى عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة [١] .

٨٤ — شرف الدين عبد الله بن محمد بن علىّ الفِهرىّ المعروف بابن التِّلمسانىّ . كان إماما عالما بالفقه والأصلين، تصدّر للإقراء بمدينة مِصْر ، وانتفع به النّاس ، وصنّف الكتب المفيدة ؛ منها شرح التنبيه ، وشرحان على المعالم للإمام محيى الدين عثمان بن يوسف القليوبىّ . ولد سنة سبع وستين وخمسمائة ، وأجاز له أبو اليُمْن الكندىّ ، وناب فى الحكم بالقاهرة ، وألّف المجموع فى الفقه ، وشرح الخطب النُّباتيّة ، أجاز للدمياطىّ . مات بالقاهرة ليلة السبت حادى عشر جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وستمائة [٢] .

٨٥ — بهاء الدين أبو الحسن علىّ بن هبة الله بن سلامة اللخمى المعروف بابن الُجمّيزىّ . كان فقيهاً مقرئاً ، محدّثاً . ولد بمصر يوم عيد الأضحى سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، وقرأ على الشاطبىّ ، وتفقّه بالعراقىّ والشهاب الطوسىّ وابن أبى عصرون ، وسمع من الحافظ ابن عساكر والسِّلَفِىّ . كتب له ابن أبى عصرون ما نصّه : « لمّا ثبت عندى عِلْم الولد الفقيه الإمام بهاء الدين ، وفّقه الله ، ودينه وعدالته رأيتُ تمييزه من بين أبناء جنسه ، وتشريفه بالطّيْلسان ... » إلى آخر ما كتب . قال فى العبر : تفرّد فى زمانه ، ورُحل إليه الطلبة ، وانتهت إليه مشيخة العلْم بالديار المصرية . مات بمصر فى رابع عشر ذى الحجة سنة تسع وأربعين وستمائة [٣] .

٨٦ — الشريف شمس الدّين محمد بن الحسين بن محمد الحسينىّ الأموىّ المصرىّ المعروف بقاضى العسكر . كان إماماً فقيهاً أصوليًا ، نظّاراً ديّنًا ، درسَ بالشريفيّة ، وشرح المحصول وفرائض الوسيط ، ووِلىَ نقابة الأشراف وقضاء العسكر . مات فى ثالث

---

(١) طبقات الشافعية ٥ : ١٢٦ . (٢) طبقات الشافعية ٥ : ٦٠ .

(٣) طبقات الشافعية ٥ : ١٢٧ ، شذرات الذهب ٥ : ٢٤٦ .

عشر شوّال سنة خمسين وستمائة ، وقد جاوز السبعين .

٨٧ ـ الشّهاب القوصيّ أبو المحامدىّ إسماعيل بن حامد بن أبى القاسم الأنصارىّ .
وُلد بقوص فى المحرّم سنة أربعة وسبعين وخمسمائة ، وسمع وتفقّه ، ودرّس وحدّث ، وخرّج لنفسه معجماً فى أربع مجلدات . وكان بصيراً بالفقه ، أديباً إخبارياً . روى عنه الدمياطىّ وغيرُه ، ووقف دار حديث بدمشق ، ومات بها فى سابع عشر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وستمائة[١] .

٨٨ ، ٨٩ ـ الزكى المنذرىّ ، الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام ، مرّا[٢] .

٩٠ ـ الشّريف عماد الدين العباسىّ . كان إماماً عالماً بالفُروع ، دَرّس بالشريفيّة مدة طويلة ، وبه عرِفت ، واشتغل عليه ابن الرِّفعة ، ونقل عنه فى المطلب .

٩١ ـ ابن الأستاذ كمال الدّين أحمد بن القاضى زين الدّين عبد الله بن عبد الرحمن الحلبىّ . كان عالماً فقيها ، محدّثاً أصيلا فى العلم والرِّياسة والوجاهة . شرح الوسيط فى عشرة مجلدات ، وولى قضاء حلب ، ثم لمّا أخذها التتار ارتحل إلى مصر ، ودرّس بالكهارية وغيرها ، مات فى شوال سنة اثنتين وستين وستمائة ، ومولده سنة إحدى وعشرين .

٩٢ ـ تاج الدين أبو بكر عبد الله بن أبى طالب الإسكندرانىّ . تفقّه على الفخر ابن عساكر ؛ حتى بَرَع فى المذهب ، ودرّس وأفتى ، وحدّث . مات فى سابع ذى الحجة سنة ثلاث وستين وستمائة .

٩٣ ـ شرف الدين يعقوب بن عبدالرحمن قاضى القضاة شرف الدّين أبى سعد عبد الله بن أبى عَصْرون . روى وحدّث ، ودرّس بالمدرسة القطبيّة بالقاهرة مدّة ، مات

---

(١) الطالع السعيد ٨٨ . (٢) الزكى المنذرى ص ٣٥٥ ، والعز ابن عبد السلام ص ٣١٤

بالمحلة فى رمضان سنة خمس وستين وستمائة ، وله مسائل جمعها على المذهب .

٩٤ ـ صدر الدين موهوب بن عمر بن موهوب الجزرىّ . ولد بالجزيرة فى جُمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة ، وأخذ عن العلم السخاوىّ والشيخ عزّ الدين بن عبدالسلام وتفقّه وبرع فى المذهب والأصول والنحو ، وتخرّجت به الطلبة ، وجُمعت عنه الفتاوى المشهورة ، وولىَ القضاء بمصر . مات فجأة فى تاسع رجب سنة خمس وستين وستمائة(١) .

٩٥ ـ ابن بنت الأعزّ تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن خلف بن بدر العلائىّ ـ والأعزّ كان وزير الكامل ـ كان المذكور عالماً فاضلا صالحا ، نَزِهًا ، ولىَ قضاء الديار المصرية ، وتدريس الشافعىّ والصالحيّة والوزارة وغير ذلك . مات فى سابع عشر رجب سنة خمس وستين وستمائة (٢) . وله ولدان

٩٦ ـ أحدهما : صدر الدين عمر . كان فقيهاً عارفا بالمذهب له معرفة بالعربيّة ، ودين وصلابة ، درّس بالصالحية وغيرها ، مات يوم عاشوراء سنة ثمانين وستمائة ، عن خمس وخمسين سنة .

٩٧ ـ والآخر تقىّ الدين أبو القاسم عبد الرحمن . كان فقيها إماماً بارعا ، شاعرا . تفقه على والده ، وعلى ابن عبد السلام . وولى قضاء القضاة والوزارة وتدريس الشريفيّة والشافعىّ والصالحيّة وغيرها . مات فى سادس عشر جمادى الأولى سنة خمس وتسعين وستمائة .

ولصدر الدين ولد يقال له :

٩٨ ـ محيى الدين ، ولى نظر الخزانة وقضاء الإسكندرية ومات فى ربيع الآخر سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة .

٩٩ ـ نجم الدين أبو نصر الفتح بن موسى بن حماد المغربىّ الخضراوىّ . كان

---

(١) طبقات الشافعية ٥ : ١٦٢ .　　(٢) طبقات الشافعية ٥ : ١٣٣ .

عالما فاضلا فى فنون كثيرة . ولد بالجزيرة الخضراء سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وتفقه بدمشق ، وأخذ النحو عن الكندىّ ، والأصول عن الآمدىّ ، ونَظَم السيرة لابن هشام ، والمفصّل للزمخشرىّ والإشارات لابن سينا . تولى قضاء أسيوط وتدريس الفائزية بها . ومات فى رابع جمادى الأولى سنه ثلاث وستين وستمائة .

١٠٠ – النصير ابن الطبّاخ ، نصير الدين المبارك بن يحيى بن أبى الحسن البصرىّ . كان إماما متبحرًا فى الفروع . له اعتناء بالتنبيه ، يدّعى أنه يخرج وسائل الفقه كلها منه ، درّس بالقطبيّة ، وأعاد بالصالحيّة عند ابن عبد السلام . وُلد فى ذى القعدة سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، ومات فى جمادى الآخرة سنه تسع وستين وستّمائة .

١٠١ – أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى المُرادىّ الأندلسىّ . قال النووىّ : كان شافعيًا إماما حافظا ، متقنا محققًا ، زاهدًا ، وَرِعًا ، لم ترَ عينى مثله فى وقته ، وكان بارعًا فى معرفة الحديث وعلومه ؛ ذا عناية بالفقه والنحو واللغة ومعارف الصوفيّة . تُوُفِّىَ بمصر سنة ثمان وستين وستمائة[1] .

١٠٢ – الكمال التفليسىّ أبو الفتح عمر بن عمر . كان فقيها فاضلا ، أصوليًا بارعًا خيّرًا . ولد سنة إحدى وستمائة ، وولى قضاء الشام ، وأقام بمصر مدّةً ينشر العلم إلى أنه مات فى ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وستمائة .

١٠٣ – سديد الدين عثمان بن عبد الكريم بن أحمد التِّزْمِنْتى . ولد بِتِزْمِنْت[2] سنة خمس وستمائة ، وتفقّه بالقاهرة ، وصار إمامًا بارعا عارفا ، بالمذاهب ، ودرّس بالفاضلية وناب فى الحكم . مات فى ذى القعدة سنة أربع وسبعين وستمائة[3] .

١٠٤ – ابن العامرية ، مرّ فى الحفاظ .

(١) طبقات الشافعية ٥ : ٤٨ .
(٢) ترمنت ، بالكسر ثم السكون : قرية من عمل البهنسا بمصر – ياقوت .
(٣) طبقات الشافعية ٥ : ١٤٢ .

١٠٥ – أبو الفضل محمد بن علىّ بن الحسين الخِلاطىّ . سمع ببغداد ودمشق ، ثم انتقل إلى القاهرة ، فناب فى الحكم . وحدّث ، وصنّف كتباً ، منها قواعد الشرع وضوابط الأصل ، والفرع على الوجيز . مات بالقاهرة فى رمضان سنة خمس وسبعين وستمائة(١) .

١٠٦ – الكمال طه بن إبراهيم بن بكر الإرْبِلِىّ . كان فقيها أديباً ، ولد بإرْبِل ودخل القاهرة شابًّا ، وانتفع به خلق كثيرون ، روى عنه الدمياطىّ . مات بمصر فى جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وستمائة وقد جاوز الثمانين .

١٠٧ – جلال الدين أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الكندىّ الدّشناوىّ . كان إماماً فقيها ورعاً ، تفقه بقوص رفيقاً للشيخ تقىّ الدين بن دقيق العيد ثم بالقاهرة على ابن عبد السلام ، هو وإياه . وشرح التّنبيه ، وألّف مناسك وكتابا فى الأصول ، وآخر فى النحو وعاد إلى قوص ، فتفقّه عليه بها جماعة ، وتحكى عنه مكاشفات وأحوال صالحة . مات بقوص فى رمضان سنة سبع وسبعين وستمائة(٢) .

١٠٨ – وله ولد يقال له : تاج الدين محمد ، كان فقيها محدثا أديبا قارئاً بالسبع . ولد فى رجب سنة ست وأربعين وستمائة ، تفقه على والده وغيره . سمع وحدّث ودرّس ، وأفتى بقوص ، مات بها ليلة الجمعة ، ثالث الحجّة سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة(٣) .

١٠٩ – ابن رزين تقىّ الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رزين العامرىّ . كان إماماً بارعا فى الفقه والتفسير ، مشاركا فى علوم كثيرة ، قال الإسنوىّ : ويكفيك أن النّووىّ نقل عنه فى الأصول والضوابط ، مع تأخر موته عنه . ولد بحماة ، يوم الثلاثاء ، ثالث شعبان سنة ثلاث وستمائة . وقرأ النّحو على ابن يعيش ،

---

(١) طبقات الشافعية ٥ : ٣٢ .

(٢) الطالع السعيد ٤٣ .

(٣) الطالع السعيد ٣٩٠ .

والفقه على ابن الصلاح ، ولازَمَهُ ، وانتقل إلى الدِّيار المصرية ، فانتفع به الطَّلبة ، ووَلِيَ قضاءها وتدريس الشافعيّ . مات ليلة الأحَد ، ثالث رجب سنة ثمانين وستمائة ، ودفن بالقرافة[1] . وله ولدان :

١١٠ ـ أحدهما : صدْر الدين عبد البرّ ، كان إماماً فاضلاً ، ومدرِّسا . مات بدمشق فى رجب سنة خمس وتسعين .

١١١ ـ والآخر : بدر الدين أبو البركات عبد اللطيف . كان فقيها فاضلاً معتنيا بالحديث ، درّس وأفتى ، وناب فى الحكم . مات بالقاهرة فى جمادى الآخرة سنة عشر وسبعمائة . ولبدر الدين ولد يقال له :

١١٢ علاء الدين عبد المحسن ، كان فقيها فاضلا ، عارفا بالأدب والتاريخ . مات فى شعبان سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة .

١١٣ ـ الجمال يحيى بن عبد المنعم المصرىّ . كان إماماً كبيرا فى مذهب الشافعىّ ، أخذ عن أبى الطاهر المحلىّ ، وتولّى قضاء الغربيّة . مات فى رجب سنة ثمانين وستمائة وقد قارب الثمانين .

١١٤ ـ ظهير الدين جعفر بن يحيى التَّزْمَنْتِيّ . كان شيخ الشافعية فى زمانه ، تفقه على ابن الجُمّيزىّ . وشرح مشكل الوسيط ، وأخذ عنه فقهاء زمانه كابن الرِّفعة فمن دونه ، مات سنة اثنتين وثمانين وستمائة[2] .

١١٥ ـ سراج الدين موسى ، أخو الشيخ تقىّ الدين بن دقيق العيد . كان فقيها نظّاراً شاعرا ، تصدّر بقوص لنشر العلم والفتوى ، وصنّف المغنى فى الفقه . ولد بقُوص سنة إحدى وأربعين وستمائة ، ومات فى شوّال سنة خمس وثمانين[3] .

---

(١) طبقات الشافعية ٥ : ١٩ . (٢) طبقات الشافعية ٥ : ٥٤ .
(٣) طبقات الشافعية ٥ : ١٥٧ ، الطالع السعيد ٣٨٠ .

١١٦ ـ الوجيه البَهْنَسِىّ عبد الوهاب بن الحسن . كان إماماً كبيراً فى الفقه دَيِّناً ، ولِىَ قضاء الديار المصرية ، ومات سنة خمس وثمانين وستمائة[1] .

١١٧ ـ القطب القَسْطلانى ، قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن علىّ المصرىّ . ولد بمصر سنة أربع عشرة وستمائة ، وتفقّه وأفتى ، وكان ممّن جمع العلم والعمل ، وألّف فى الحديث والتصوف ، وولى مشيخة دار الحديث الكاملية . مات فى المحرّم سنة ست وثمانين وستمائة .

١١٨ ـ الكمال القليوبىّ أحمد بن عيسى بن رضوان . كان عالماً صالحا ، له مصنّفات كثيرة ، منها شرح التّنبيه ، ولِىَ قضاء المحلّة ، ومات سنة تسع وثمانين وستمائة[2] .

وله ولد يقال له :

١١٩ ـ فتح الدين أحمد . كان فقيهاً أديبا شاعرا ، وله موشّحات فائقة ، مات سنة خمس وعشرين وسبعمائة .

١٢٠ ـ ابن المرحِّل زين الدين أبو حفص عمر بن مكّىّ بن عبد الصّمد . كان من علماء زمانه ، دَيِّناً متمسّكا بطريقة السلف ، تفقّه بابن عبد السّلام ، وسمع من المُنذِرىّ ، وقرأ الأصلين على الخُسْرُوشاهىّ ، ودَرّس وأفتى وناظر ، وولِىَ خطابة دمشق ووكالة بيت المال بها . مات فى ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وستمائة[3] .

١٢١ ـ ولده الشيخ صدر الدين محمد . كان إماما جامعا للعلوم الشرعيّة والعقلية واللّغويّة . ولد بدمياط فى شوّال سنة خمس وستين وستمائة ، وتفقّه بأبيه وغيره ، ودرّس بالخشابيّة والمشهد الحسينىّ والنّاصرية . وجمع كتاب الأشباه والنظائر ، ومات

(١) طبقات الشافعية ٥ : ١٣٣ . (٢) طبقات الشافعية ٥ : ١٠ .
(٣) طبقات الشافعية ٥ : ١٤٥ .

قبل تحريره ، فحرّره وزاد عليه ابنُ أخيه . مات بالقاهرة فى ذى الحجة سنة ست عشرة وسبعمائة .

١٢٢ ـ ابن أخيه زين الدين محمد بن عبد الله الشيخ زين الدين عمر . كان عالماً فاضلا فى الفقه ، والأصلين . ولد بدمياط ، وتفقّه على عمّه وغيره . مات فى رجب سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة .

١٢٣ ـ عماد الدين عبد الرحمن بن أبى الحسن بن يحيى الدَّمَنْهورىّ . كان فقيهاً فاضلا ، له نُكت على التنبيه . ولد فى ذى القَعْدة سنة ست وستمائة ، ومات فى رمضان سنة أربع وتسعين .

١٢٤ ـ عبد اللطيف بن الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام . ولد سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وتفقه بأبيه ، وتميّز فى الفقه والأصول ، ومات بالقاهرة فى ربيع الآخر سنة خمس وتسعين .

١٢٥ ـ بهاء الدين هبة الله بن عبد الله بن سيّد الكلّ القِفْطىّ . ولد سنة ستمائة ، وقيل فى أواخر المائة قبلها ، وتفقّه وبرع فى علوم كثيرة ، وولى الحكم بإسنا ، ودرّس ، وقصده الطلبة من كلّ مكان ، وانتهت إليه رياسة العلم فى إقليمه ، وصنّف تفسيراً وكتباً كثيرة فى علوم متعدّدة . مات بإسنا سنة سبع وتسعين وستمائة عن مائة سنة أو نحوها [(١)] .

١٣٦ ـ ضياء الدين أبو الفضل جعفر بن محمد بن الشيخ عبد الرحيم القناوىّ الشريف . أحد كبار الشافعية . كان إماماً فقيهاً أصوليًّا أديباً مُناظراً . ولد سنة ثمانى عشرة وستمائة ، وتفقّه على الجدّ ابن دقيق العيد ، والبهاء القِفْطىّ ، وتولى قضاء قوص ، ووكالة بيت المال ، واشتهر بمعرفة المذهب ، وحدّث ، ومات فى ربيع الأول سنة ست وتسعين [(٢)] .

---

(١) طبقات الشافعية ٥ : ١٢١ .   (٢) طبقات الشافعية ٥ : ٥٣ .

وله ولد يقال له :

١٢٧ ـ تقيّ الدين أبو البقاء محمد . كان عالماً صالحا ، شاعرا زاهدا ورعا . وكانت والدته أخت الشيخ تقيّ الدين بن دقيق العيد . ولد بقوص سنة خمس وأربعين وستمائة ، وتولى مشيخة الرسلانية بمنشاة المهرانيّ ، وأقام بها إلى أن مات فى جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة[1] . ولتقيّ الدين ولدان :

١٢٨ ـ أحدهما فتح الدين عليّ . كان فقيها فاضلا ، أديباً شاعرا ، كثير الانقطاع ، له يدٌ فى حلّ الألغاز ، درّس بإسنا ، ومات بقوص فى رمضان سنة ثمان وسبعمائة .

١٢٩ ـ والآخر عز الدين أحمد بن محمد ، أعاد بالجامع الطُّولونيّ ، وولِيَ حِسْبة القاهرة ، ومات بها سنة إحدى عشرة وسبعمائة .

١٣٠ ـ عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الديرينيّ . كان عالماً صالحا ، نظم التنبيه والوجيز وسيرة نبوية ، وله تفسير . مات سنة سبع وتسعين وستمائة .

١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ـ ابن دقيق العيد، الشرف الدّمياطيّ، ابن الرِّفعة ، مرّوا[2] .

١٣٤ ـ العلَم العراقيّ عبد الكريم بن عليّ بن عُمر الأنصاريّ . كان إماماً فاضلا فى فنون كثيرة ، خصوصا التفسير ، وكان أبوه من الأندلس، فقدم مصر ، فولد ولده هذا بها سنة ثلاث وعشرين وستمائة . وقيل له العراقيّ نسبة إلى جدّه لأمه العراقى شارح المهذب . واشتغل هذا وبرَع ، وصنف الإنصاف بين الزّمخشرى وابن المنيِّر ، وشرح التنبيه ، وأقرأ الناس مدّة طويلة ، وولى مشيخة التفسير بالمنصوريّة . مات فى سابع صفر سنة أربع وسبعمائة[3] .

١٣٥ ـ نورالدين عليّ بن هبة اللهبن أحمد المعروف بابن الشهاب الإسنائيّ . كان

(١) الطالع السعيد ٢٧٩ .
(٢) ابن دقيق العيد ص ٣١٧ ، والشرف الدمياطى ص ٣٥٧ ، وابن الرفعة ص ٣٢٠ .
(٣) الدرر الكامنة ٢ : ٣٩٩ .

إماماً فى الفقه ، ديِّناً صالحاً ، تفقه بالبهاء القفطىّ ، والجلال الدّشناوىّ . ولما حج كتب الرّوضة بمكة ، وهو أولُ مَنْ أدخلها إلى قُوص ، وأقام بقُوص يدرس ويفتى إلى أن مات بها سنة سبع وسبعمائة [1] .

١٣٦ — عزّ الدين الحسن بن الحارث المعروف بابن مسكين . كان من أعيان الشافعية الصُّلَحاء ، كتب ابن الرِّفعة تحت خطّه على فتوى : «جوابى كجواب سيدى وشيخى». درّس بالشافعىّ ، ومات فى جُمادى الأولى سنة عشر وسبعمائة .

١٣٧ — عزّ الدين عبد العزيز بن عبد الجليل النمراوىّ . كان عالماً نظّاراً ، تصدّى للاشتغال والإفتاء ، وولى درس التفسير بالمنصوريّة . مات فى ذى القعدة سنة إحدى عشرة وسبعمائة .

١٣٨ — محبّ الدّين علىّ بن الشيخ تقىّ الدين بن دقيق العيد . ولد بقُوص ، فى صفر سنة سبع وخمسين وستمائة ، وكان فاضلاً ذكيًّا ، شرح التعجيز شرحا جيّداً ، ووَلِىَ تدريس الكهاربة والسيفيّة . مات فى رمضان سنة ست عشرة وسبعمائه ، ودفن عند والده . قال فى العبر : وهو زوج ابنة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله [2] .

١٣٩ — عزّ الدين النَّشائىّ أبو حفص عمر بن أحمد بن مهدىّ . كان إماماً بارعا فى الفقه والنّحو والعلوم الحسابيّة ، أصوليًّا محقّقا ، ديّنا ورعا ، زاهدا متصوّفاً ، يحبّ السماع ويحضره ، درّس بالفاضليّة والجامع الأقمر ، وتخرّج به خلْق ؛ منهم المجد الزّنكلونىّ . وصنّف نكتاً على الوسيط . مات فى ذى القعدة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة [3] .

١٤٠ — ولده كمال الدين أبو العباس أحمد . ولد فى ذى القعدة سنة إحدى

---

(١) الطالع السعيد ٢٢٧ .
(٢) الطالع السعد ٢١٧ .
(٣) الدرر الكامنة ٣ : ١٤٩ .

وتسعين وستمائة ، وأخـذ عن والده . وكان إماماً حافظا للمذهب ، متصوِّفًا طارحًا للتـكلّف ، درس بجامع الخطيرى ببولاق ، وصنّف جامع المختصرات وشرحـه ، والمنتقى ونـكت التنبيه . مات يوم السبت عاشر صفر سنة سبع وخمسين وسبعمائة ودفن بالقرافـة [1] .

١٤١ ـ محيي الدين يحيي بن عبد الرحيم بن زُكَيْر القرشيّ القَرَضيّ . كان فقيها بارعا ، أخذ عن الجلال الدشناوىّ . وانتصب للتدريس والإفتاء . وكان مدار ذلك عليه فى إقليمه ، واختصر الرّوضة ، وانتشرت طلبتهُ . مات بقوص فى المحرّم سنـة ثمانى عشرة وسبعمائة [2] .

١٤٢ ـ قطب الدين محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السّنباطىّ . كان إماما حافظا للمذهب ، عارفا بالأصول ، ديّنا سريع الدّمعة ، صنّف تصحيح التعجيز ، وأحـكام البعض ، واستدراكات على تصحيح التّنبيه ، واختصر قطعةً من الرّوضة . مات بالقاهرة فى ذى الحجّة سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة [3] .

١٤٣ ـ نور الدين إبراهيم بن هبة الله بن علىّ الإسنائىّ . كان إماماً عالمـا ماهراً فى فنون كثيرة : الفقه والأصول والنحو ، أخـذ عن البهـاء القفطىّ ، والشمس الأصبهانىّ ، والبهـاء ابن النحـاس ، واختصر الوسيط والوجيز ، وشرح المنتخب فى فى الأصول وألفيّة ابن مالك . مات بالقاهرة سنة إحدى وعشرين وسبعمائة [4] .

١٤٤ ـ نور الدين علىّ بن يعقوب بن جبريل البكرىّ . كان عالما صالحا نظّاراً ، ذكيًّا متصوّفا ، أوصى إليه ابن الرّفعة بأن يكمل المطلب ، لمـا علمه من أهليّته لذلك

---

(١) الدرر الـكامنة ١ : ٢٢٤ .
(٢) الطالع السعيد ٤٠٨ .
(٣) الدرر الـكامنة ٤ : ١١٦ .
(٤) الطالع السعيد ٣٢ .

دون غيره ، فلم يتفق له ذلك ، لما كان يغلب عليه من التجلّى والانقطاع . مات سنة أربع وعشرين وسبعمائة[١] .

١٤٥ — سراج الدين يونس بن عبد المجيد الأرمنتى . ولد فى المحرّم سنة أربع وأربعين وستمائة . واشتغل بقوص على المجد ابن دقيق العيد ، وأجازه بالفتوى ، ثم ورد مصر ، فأخذ عن علمائها ، وصار فى الفقه من كبار الأئمة مع أفضليته فى النحو والأصول ، وتصدّر للإقراء ، وصنّف كتاب الجمع والفرق والمسائل المهمة فى اختلاف الأئمة لسعه ثعبان بقوص ، فمات فى ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وسبعمائة[٢] . .

١٤٦ — القَمُولِىّ نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد ابن أبى الحزم مكىّ . كان إماما فى الفقه ، عارفا بالأصول العربيّة ، صالحا متواضعا ، صنّف البحر المحيط فى شرح كافية ابن الحاجب ، وشرح الأسماء الحسنى ، ولِىَ حسبة مصر ، مات فى رجب سنة سبع وعشرين وسبعمائة[٣] .

١٤٧ — فخر الدين محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن الصِّقِلّى : تفقه بالقطب السّنباطى ، وصنف التنجيز فى تصحيح التعجيز ، مات فى ذى القعدة سنة سبع وعشرين وسبعمائة[٤] .

١٤٨ — عزّ الدين عبد العزيز بن أحمد بن عثمان الكردىّ . يعرف بابن خطيب الأشمونين . درّس وأفتى ، وألّف على حديث الأعرابىّ الذى جمع فى رمضان كتابا نفيسا فيه ألف فائدة وفائدة ، ولِىَ قضاء الأعمال القوصيّة والمحلّة ، ودرّس بالمعزّية بمصر ، مات فى أواخر سنة سبع وعشرين وسبعمائة[٥] .

١٤٩ — جمال الدين أحمد بن محمد بن سليمان الواسطىّ ، المعروف بالوجيزىّ ، لكونه

---

(١) الدرر الكامنة ٣ : ١٣٩ . (٢) الطالع السعيد ٤٢١ .
(٣) الطالع السعيد ٦٣ ، البداية والنهاية ١٤ : ١٣١ ، النجوم الزاهرة ٨ : ٢٧٩ .
(٤) الدرر الكامنة ٤ : ٢٣٦ . (٥) الدرر الكامنة ٢ : ٣٦٨ .

كان يحفظ الوجيز للغزالىّ ، كان إماما حافظا للفقه ؛ ولد بأشمون الرمّان سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، وتفقه بالقاهرة إلى أن برَع ، وناب فى الحكم بها . نقل عنه ابنُ الرّفعة على حاشية المطلب . مات فى رجب سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، أخذ عنه الإسنوىّ .

١٥٠ — نجم الدين محمد بن عقيل بن أبى الحسن البالسىّ . كان فقيهًا محدّثًا ؛ ورعًا قوّامًا فى الحقّ ، شَرَح التنبيه ، ودرّس بالمعزّية ، وناب فى الحكم بمصر عن ابن دقيق العيد. مات سنة تسع وعشرين وسبعمائة[1] .

١٥١ — بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانىّ الحموىّ . قاضى القضاة بالديار المصرية . ولد سنة تسع وثلاثين وستمائة ، واشتغل بعلوم كثيرة ، وأفتى قديما ، وعرضت فتواه على النووىّ فاستحسن جوابه ، وألّف فى فنون كثيرة وحدّث ودرس بالكاملية وغيرها . مات فى جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، ودفن بالقرافة[2] .

١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ — وولده قاضى القضاة عزّ الدين . تقدم فى الحفاظ ، وكذا ابن سيّد النّاس ، وتقدم الكمال ابن الزّمْلَكانىّ فى المجتهدين ، وكذا الشيخ تقى الدين السبكىّ[3] .

١٥٦ — زين الدين عمر بن أبى الحزْم بن الكنانىّ ، شيخ الشافعية فى عصره بالاتفاق . ولد بالقاهرة سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، وتفقه على التاج ابن القِرْكاح ، وأفتى ، وولى قضاء دمياط عن ابن دقيق العيد ، وناب بالقاهرة ودرّس

---

(١) الدرر الكامنة ٤ : ٥٠ .
(٢) نكت الهميان ٢٣٥ ، البداية والنهاية ١٤ : ١٦٣ .
(٣) ابن جماعة ص٣٠٦ ، وابن سيد الناس ص٣٠٨ ، وابن الزملكانى ص٣٢ ، والسبكى ص٣٢١ .

بعدّة أماكن، وله حواشٍ على الرَّوْضة . مات فى رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة [١] .

١٥٧ ـ نجم الدين حسين بن علىّ بن سيّد الكلّ الأُسوانىّ . كان ماهراً فى الفقه فاضلاً فى غيره ؛ أفتى وتصدّر للإقراء بالقاهرة ، ومات فيها فى صفر سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ، وقد قارب المائة [٢] .

١٥٨ ـ الزَّنكلونىّ مجد الدين أبو بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز . كان إماما فى الفقه أصوليًّا ، محدِّثا . نحويًّا صالحا ، قانتالله ، صاحب كرامات ؛ لا يتردّد إلى أحد من الأمراء ، ويكره أن يأتوا إليه ، ملازما للاشتغال . وله شرح التنبيه الّذى عمّ النفع به ؛ وشرح المنهاج . ولى مشيخة البِيبرسيّة ؛ ودرّس الحديث بهاوبجامع الحاكم . مات سنة أربعين وسبعمائة [٣] .

١٥٩ ـ ابن القمّاح شمس الدين محمد بن أحمد إبراهيم بن حَيْدرة . كان عالمًا فقيها فاضلاً محدّثا ، سريع الحفظ . ولد بالقاهرة سنة ست وخمسين وستّمائة ، واشتغل على الظّهير التِّزمَنْتِىّ . وولى تدريس الشافعىّ . مات فى ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وسبعمائة [٤] .

١٦٠ ـ أبو الفتح السُّبكى تقىّ الدين محمد بن عبد اللطيف . كان فقيها أصوليًّا ، أديبًا شاعراً ، تفقّه على قريبه العلاّمة تقىّ الدين السبكىّ . وألف تاريخا . مات فى ذى القعدة سنة أربع وأربعين وسبعمائة [٥] .

١٦١ ـ ضياء الدين محمد بن إبراهيم المناوى ولد بمُنْية القائد ، سنة خمس وخمسين

---

(١) شذرات الذهب ٥ : ١١٧ ، وذكره فى وفيات سنة ٧٣٢ .
(٢) الطالع السعيد ١١٧ .
(٣) شذرات الذهب ٦ : ١٢٥ .
(٤) شذرات الذهب ٦ : ١٣٢ .
(٥) شذرات الذهب ٦ : ١٤١ .

وستمائة ، وأخذ عن ابن الرِّفعة والأصبهانيّ والبهاء ابن النحاس ، ودرّس بالشافعيّ ، وشرَح التنبيه . مات فى رمضان سنة ست وأربعين وسبعمائة[1] .

وله ولدا أخٍ ، أحدهما :

١٦٢ ـ شرف الدّين إبراهيم بن بهاء الدين إسحاق ، عالم فاضل منقطع عن أبناء الدنيا ، أخذ عن عمّه ، ودرّس وأفتى ، وشرح فرائض الوسيط ، مات فى رجب سنة سبع وخمسين .

١٦٣ ـ والآخر : تاج الدين محمد ، أخو أشرف الدين . كان على نَمط أخيه ، وتولّى قضاء العسكر وتدريس الشافعيّ . مات فى جمادى الأولى سنة خمس وستين وسبعمائة.

١٦٤ ـ الشّهاب بن الأنصاريّ أبو العباس أحمد بن محمد بن قيس ، ويعرف بابن الظَّهير أيضا . شيخ الشافعيّة بالديار المصرية ، كان إماماً فى الفقه والأصلين . ولد فى حدود ستين وستمائة بالجيزة ، وأخذ عن الظّهير والسديد التِّزْمَنْتِيّ . وسمع من ابن خطيب المِزّة ، ودرّس بالخشّابية والكهّارية والمشهد الحسينيّ . مات بالطاعون سنة تسع وأربعين وسبعمائة[2] .

١٦٥ ـ زين الدين عمر بن محمد بن عبد الحكم[3] بن عبد الرزاق البلفيائيّ . من إقليم البَهْنسا . كان إماماً فى الفقه ، غوّاصاً على المعانى الدقيقة ، منزّلا للحوادث على القواعد والنظائر تنزيلا عجيبا ، تفقّه على العَلَم العراقيّ والعلاء الباجيّ ، وشرح مختصر التّبريزيّ . مات فى ربيع الأول سنة تسع وأربعين وسبعمائة بالطّاعون . وكان والده أيضا عالما . شرع فى شرح الوسيط ولم يتمّه[4] .

---

(١) شذرات الذهب ٦ : ١٥٠ .

(٢) الدرر الكامنة ١ : ١٥٦ .

(٣) فى الدرر : « الحاكم » .

(٤) الدرر الكامنة ٣ : ١٨٦ .

١٦٦ ــ عماد الدين محمد بن إسحاق بن محمد بن المرتضى البِلبيسىّ . كان من حُفّاظ المذهب ، أخذ عن ابن الرِّفعة وغيره ، وولىَ قضاء الإسكندرية ، مات بالطاعون فى شعبان سنة تسع وأربعين وسبعمائة . وقد قارب السبعين (١) .

١٦٧ ــ ابن عَدْلان شمس الدّين محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم الكنانىّ . كان إماماً يُضرب به المثل فى الفقه ، عارفا بالأصلين والنّحو والقراءات ذكيًّا نظّاراً ، فصيحا. وُلِد بمصر فى صفر سنة ثلاث وستين وستّمائة،وأخذ الفقه عن الوجيه البهنسىّ ، والأصولَ عن الشمس الأصبهانىّ ، والنحو عن البهاء ابن النحاس ، وشرح مختصر المُزَنِىّ ، مات بالطاعون فى ذى القعدة سنة تسع وأربعين وسبعمائة (٢) .

١٦٨ ــ ابن اللبّان شمس الدين محمد بن أحمد الدّمشقىّ ثم المصرىّ . كان عارفا بالفقه والأصلين والعربيّة ، أديباً شاعراً ، ولد بدمشق ثم قدم إلى الديار المصرية ، فأنزله ابن الرِّفعة بمصر وأكرمه إكراما كثيرا ، وولىَ تدريس الشافعىّ ، واختصر الرّوْضة ، ورتّب الأمّ . مات بالطاعون فى شوال سنة تسع وأربعين وسبعمائة .

١٦٩ ــ نجم الدين الأصفونىّ أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم . ولد سنة سبع وسبعين وستّمائة ، وتفقّه على البهاء القِفطى ، وغيره ، وانتفع به خلق بقُوص ، وألّف مختصر الرّوْضه المشهور . مات بمكّة فى ذى الحجّة سنة خمسين وسبعمائة ، وكان صالحا يُتَبرّك به (٣) .

١٧٠ ــ الفخر المصرىّ محمد بن علىّ بن عبد الكريم . كان فقيها أصوليًّا ، نحويًّا ذكيًّا ، تفقه بابن الزّمْلَكانىّ ، واشتهر بمعرفة المذهب ، وأفتى وناظر ، وأشغل الناس مدة ، ولد سنة اثنتين وتسعين وستّمائة ، ومات فى ذى القعدة سنة إحدى وخمسين وسبعمائة .

---

(١) الدرر الكامنة ٣ : ٣٨٣ .

(٢) الدرر الكامنة ٣ : ٣٣٣ .

(٣) الدرر الكامنة ٢ : ٣٥٠ .

١٧١ ـ ناصر الدين محمد بن إبراهيم النّويرىّ . كان خبيرا بالمذهب ، مطّلعاً على دسائس متعلقة بالرّوضة . ولِىَ قضاء المحلّة ، ومات بها فى صفَر سنة إحدى وخمسين وسبعمائة .

١٧٢ ـ محيى الدين سليمان بن جعفر الإسنوىّ ، خال الشيخ جمال الدين . كان فاضلاً فى علوم ، ماهراً فى الجبر والمقابلة،صنّف طبقات الشافعيّة ، ودرّس بالمشهدالنّفيس. ولد سنة سبعمائة ، ومات فى جمادى الأولى سنة ست وخمسين (١) .

١٧٣ ـ نجم الدين محمد بن ضياء الدّين أحمد بن عبد القوىّ الإسنوىّ . كان عالما فاضلا ، انتفع به خَلْق ، وألف فى علوم متعدّدة . مات فى ذى الحجّة سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، وكان والده أيضاً عالما فاضلاً من كبار الصّالحين . له كرامات ، تفقّه بالبهاء القفطىّ . مات سنة اثنتى عشرة وسبعمائة فى شوّال (٢) .

١٧٤ ـ العماد الإسنوىّ محمد بن الحسن بن علىّ الإسنوىّ . قال أخوه الشيخ جمال الدين فى طبقاته : كان فقيهاً إماماً فى الأصلين والخلاف والجَدَل والتصوّف نظّارا بحاثاً ، طارحا للتكلّف ، مؤثرا للتقشّف . ولد سنة خمس وتسعين وستمائة ، وأخذ عن مشايخ القاهرة ، وانتصب للتدريس والإفتاء والتّصنيف . مات فى رجب سنة أربع وستين وسبعمائة (٣) .

١٧٥ ـ أخوه الشيخ جمال الدين عبد الرحيم ، شيخ الشافعيّة ، وصاحب التصانيف السائرة . ولد سنة أربع وسبعمائة ، وأخذ عن التقىّ السبكىّ والزّنكلونىّ والقونوىّ وأبى حيان وغيرهم ، وبرَع فى الأصول العربيّة والعروض ، وتقدّم فى الفقه فصار إمامَ زمانه ، وانتهت إليه رياسة الشافعية . ومن تصانيفه المهمّات والجواهر ، وشرح المنهاج ، والألغاز ، والفروع ، ومختصر الشرح الصغير ، والهداية إلى أوهام الكفاية ، وشرح

(١) الدرر الكامنة ٢ : ١٤٤ .
(٢) الطالع السعيد ٢٧٦ .
(٣) شذرات الذهب ٦ : ٢٠٢ .

منهاج البيضاوىّ ، وشرح عروض ابن الحاجب، والتمهيد والكوكب وتصحيح التنبيه، والتنقيح ، وأحكام الخناثى ، والزوائد على منهاج البيضاوىّ ،وطبقات الفقهاء ، والرياسة الناصرية فى الردّ على من يعظم أهل الذمّة ويستخدمهم على المسلمين ، وكتاب الأشباه والنظائر ، مات عن مسودّة ، وشرح التنبيه ، كتب منه مجلّداً ، وشرح الألفية لابن مالك ، كتب منه ستة عشر كراسا ، وشرح التسهيل ، كتب منه قطعة . مات فى جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وسبعمائة ، ورثاه البرهان القيراطىّ بقوله:

نَعَمْ قُبِضَتْ رُوح العُلاَ والفضائلِ بموت جمال الدّين صَدْر الأفاضلِ

تعطّل من عبد الرحيم مكانُه وغُيِّب عنه فاضلٌ أىّ فاضلِ

أحقًّا وجوهُ الفقه زال جمالُها وحُطّت أعالى هضبها للأسافلِ !

لقد هاب طرق المذهب اليوم سالكٌ ولو كان يُحْمَى بالقَنَا والقنَابلِ

لَقَدْ حلّ فى ذا العامِ فقدان عالِمٍ يقول فلا يُلْقَى له غير قائلِ

قِفُوا خبّرونا مَنْ يقومُ مقامَهُ ومَنْ ذا يردّ الآن لهفة سائلِ !

قِفُوا خبّرونا مَنْ يُوَقِّفُ ظالماً ويجزىْ فى مَيْدانٍ كُلّ مناضِلِ !

قفوا خبّرونا هَلْ له مِن مُشَابِهٍ قِفُوا خَبّرُونا هَلْ له من مماثِلِ !

فأعظِمْ بحَبْرٍ كان للعلم ساعياً بعزمٍ صحيحٍ لَيْس بالمتكاسِلِ

وأعظِمْ به يوم الجِدالِ مناظراً إذا قالَ لم يتركْ مقالا لقائلِ

وأسيافُه فى البَحْثِ قاطعة الظُّبَا بجوهرها لم يفتقِرْ للصَّياقِلِ

يقومُ بإنضاج المسائل مرشداً لمستفهِمٍ أو طالب أو مسائِلِ

ويجمع أشتات الفوائد جاهداً ويسعَى بجِدٍّ نحوها غير هازلِ

طوى الموتُ حقًّا شافعىَّ زمانِهِ فمِنْ بَعدِهِ للأمّ وجْدُ الثّواكِلِ

ومذْ رأتهُ خيرَ نجلٍ لبرِّه بها أرضعتْه من ثُدِىٍّ الحوافِلِ

أبان الخفايا شارحاً ببيانهِ ... منزّهــة فى الوصفِ عن سِحْرِ بابِلِ

لَهُ قدمٌ فى الفقهِ سابقة الخطـــا ... يقصّر عنهـــا كلُّ حافٍ وناعِلِ

تبارك مَنْ أعطاه فيـــه مراتباً ... يُقرّ له بالفضْــــلِ كلّ مجادِلِ

فكمْ كان يبدى فيــهِ كلَّ غريبـةٍ ... ويُظهر من أبكاره بالمقائِلِ

وكم بات يحيي فيـــه ليلاً كأنما ... يصيـــد دَرارى زهره بالحبائِلِ

فأقلامُه قيـــد الأوابدِ لم تزَلْ ... يقيّد منهـــا كل صَعْبِ التناوُلِ

مثقّفةٌ ألفاظه حلوة الجنَى ... فما هزّ فى الحالَيْن غـــيرَ عوامِلِ

مضَى فمضَى فقــهٌ كثيرٌ إلى الثّرَى ... وهالتْ عليـــه التُّربَ راحةُ هائِلِ

تنـكّرت الدنيـــا ولـكن تعرّفتْ ... بطيب الثنا عن فضـــله المتكامِلِ

وما شُقّتِ الأقْلامُ إلّا تَعسُّفاً ... لفقدانِهاَ بالرّغْمِ خَـــيْرَ أنامِلِ

وكمْ لبستْ ثوبَ الحِـــدَادِ محابرٌ ... لحبْرٍ غـــدَا فى سندسٍ أىّ رافِلِ

لَقَدْ كان للأصحاب منـــه بلا مِرا ... جمالٌ، فدعْ قولَ الغبىّ الجاهِـــلِ

حـــوَى من مواريث النبوّةِ إرْثَهُ ... وحازَ حقيقاً سهمُه غـــير عائِلِ

هُوَ النّجم إلّا أنه البــدرُ كاملاً ... على أنّه شمس الضّحى فى التعـــادلِ

وبلدتُه إسناً مَحَلّاً ومحتِداً ... ومنزلُه فى الخُــلْدِ أسنَى المنازِلِ

إذا ما أفاد النقْل فهـــو ختامُه ... فَلاَ تَسمَعَنْ مِنْ بعـــدِ نَقْلَ ناقِلِ

صـــدوق لدى عزوِ النقولِ محقّقٌ ... وحاشاه من تلك النقول البواطِـلِ

وسحبان نطقٍ فى الدّروس فصاحةً ... فَدَعْ مَنْ له فى درسِـــه عِيٌّ باقِلِ

يؤدّى من الأشغـالِ بالعلمِ للوَرَى ... فروضاً ويُفتِى مقـــدماً بالنوافِلِ

وينْصُرُ نصّ الشافعىّ ولم يزَلْ ... يناضِلُ عنه كلُّ خصمٍ مناضِـــلِ

حَوَى العلم والعلياء والجودَ والتّقَى ... وحازَ بسبْقٍ فضْلَ هَـذِى الخصائِلِ

هو النّجمُ مِن أفْقِ المعارف قد هوَى … فعاد دُجًّى ضوءُ البدور الكواملِ

هُوَ الجبل الراسِى تصدّع ركنُهُ … فللأرضِ مَيْدٌ بعده بالزلازلِ

فمنْ ذا تطيب النّفسُ يوماً بقولِهِ … إذا هو أفتَى فى عويص المسائلِ

لئنْ مهّد التّمهيدُ مَضجعَهُ له … فكوكبُه من بعدِه غيرُ آفلِ

فياعالماً قد أذكرَ الناس آخراً … مزايا أولى العِلمِ الكرام الأوائلِ

كفَيْتَ الورَى أمرَ المهمّاتِ ناهضاً … بأعبائها ، ياخيرَ كافٍ وكافِلِ

وأعْمَلْتَ فيها الدّهْر حتّى تنقّحتْ … ولم تشتغلْ عن أمرِها بالشواغلِ

وأبرزْتَ مكنونَ الجواهرِ للورَى … لأنّكَ بحرٌ مالَهُ من مُساحِلِ

وأوضحْتَ فى الإيضاح للخلق مُشكلاً … فليس يُرَى فى حُسْنِه من مُشاكِلِ

وإن جمعتْ أهلَ العلوم محافِلٌ … فألغازكَ العليا طِراز المحافِلِ

فُروقُكَ يامَنْ كان للعلم جامعاً … تحيّرُ أذهانَ الرّجال الأماثِلِ

تصانيف لا تخفى محاسنها التى … هدايتُها تهدى الورَى بالدلائلِ

وتبدُو فتغنى عن رياضٍ أنيقةٍ … وتُتْلَى فتغنى عن سماع البلابلِ

تمحّض منها القصْدُ فيها فأرشدتْ … حيارَى ثوَوْا من جهلهمْ فى مجاهِلِ

توفّرت سهما فى الأصول لأجْلِهِ … غدَا السّيفُ نائى الحدّ واهِى الحمائِلِ

لعمرُكَ إن النّحو يا زيدُ قد بَدا … لموتِك فى حالٍ من الحزنِ حائِلِ

فلوْ فارسىّ الفنّ عامَرك اغتدى … لنَحْوِك يسعَى وهو فى زىّ راجِلِ

عدِمناكَ شيخاً كم جلَا من علومه … عقائل صِينتْ بعدَه فى معاقلِ

وكمْ جاء فى فنّ الخليل بن أحمدٍ … بأحمدِ أقوالٍ أتتْ بالفواصلِ

لئنْ نالَ أسبابَ السماء بعلمه … فأوتاده فى المجدِ غيرُ مزايِلِ

وأدمعُنا بحرٌ مديدٌ وحزْننا … طويلٌ لبحرٍ وافرِ الجودِ كاملِ

وكان أباً للطالبين يريهمُ … فواضلَهُ مقرونةً بالفضائل

نصيحاً لطلّاب العلوم جميعهمْ … فلم يألُ جُهداً عند تعليم جاهل

يحرّر في علم ابن إدريس للورَى … دروساً تولّى حَمْلَها خيرُ حامل

ويرشدُ بالتهذيب طُلَّاب علمه … فينظر منهم كاملاً بعد كامل

ولا يرتئي في شكره غير حاسدٍ … ولا يَمْتري في علمه غيرَ ناكل

يجودُ بأنواع الفضائل جَهرَةً … ويجهَد في إخفائها للفواضل

هو البحرُ علماً بل هو البحر في ندًى … لقد مَرج البحرين منه لآمل

وإن ابن رفعةَ لو تقدم عصرهُ … طوى نحوهُ البيداء سَيْرَ الحامل

ولو شاهد القفّالُ يوما دروسَه … لما كان يوما عن حِماه بقافل

ترنّم في أمداحه كلُّ صادقٍ … فأطربَ في إنشادها سمعَ ذاهل

سأبكيه بالدرّين دمعٍ ومنطقٍ … لبحرين من علمٍ وبرّ حواصل

لقدْ هجرتْ صادَ المناصب نفسُه … كما هجرت راءَ الهجَا نفسُ واصل

تنزّه عنها وهي لا تستفزُّه … بزخرفها الخدّاع خدْعَ المجامل

وما مدّ عيناً نحوها إذ تبرّجتْ … تبرّجَ حسناء الحلي في الغلائل

ويلقاك بالترحيب والبِشْر دائماً … فلمْ ترَهُ إلاّ كريمَ الشمائل

صفَتْ منه أخلاقٌ لقاصده كما … صفا منهُ للعافينَ شربُ المناهل

أعزّي محاريبَ العُلا بإمامها … وإنْ كان مأموماً بأعظم نازل

أعزّي دروسَ الفقه بعد دُرُوسها … لتصديرهمْ من بعده كلّ خامل

فقلْ لحسودٍ لا يسُدّ مكانَهُ … سيفضحُك التخجيلُ بين المحافل

بحقّ حوَى عبدُ الرحيم سيادةً … وأعداؤها كم حاولوها بباطل

تطاولَ قومٌ كيْ يحلُّوا محلّهُ … فما ظفرُوا ممّا تمنّوا بطائل

أتمتدُّ نحو النجم راحةُ قاصرٍ ... وأين الثريّا من يدِ المتنــاولِ !

ومَن رامَ فى الإقراء عالِيَ شأنه ... فذلك عند النّاس ليس بعاقلِ

أحلَّ جمالَ الدين فى الخُلْد ربُّهُ ... ليحظَى بعفوٍ منه شافٍ وشاملِ

وروّاه مولاهُ الرَّحيمُ برحمةٍ ... يحيِّيه منها هاطِلٌ بعد هاطِــل

ووافاه رِضْوانُ الجنانِ مبادراً ... بشيراً برضوانٍ سريعٍ معاجِلِ

وحيّاه بالرَّيحان والرَّوح والرِّضَا ... إلهُ البرايا فى الضُّحَى والأصائِلِ

لقدْ كان فى الأعمالِ والعلمِ مخلصاً ... لمن لم يُضَيِّعْ فى غدٍ سعىَ عامِلِ

فلهفى لأمداح عليـه تحوّلتْ ... مراثِيَ تبكى بالدموع الهوامِــل

يُساعدنى فيه الحمام بشجوها ... وأغلبها من لوعتى بالبـــلابلِ

صرفتُ عليه كنْزَ صَبْرى وأدمُعِى ... فأفنيتُ من هذا وهـذا حَواصِلِى

سأنشِدُ قبراً حلّ فيه رثاءه ... وأُسمِع ما أُمْليه صمَّ الجنــادِلِ

وما نحن إلا ركبُ موت إلى البِلَى ... تسيِّرنا أيّامُنَا كالرّواحِــــلِ

قطعنا إلى نحوِ القبورِ مَرَاحلاً ... وما بقيتْ إلاَّ أقلُّ المراحِــلِ

وهذا سبيلُ العالمينَ جميعُهمْ ... فما النّاسُ إلّا راحلٌ بعد راحِلِ

وله أخ يقال له :

١٧٦ — نور الدين علىّ ، كان فقيهاً ، فاضلاً . شرح التعجيز . مات فى رجب سنة خمس وسبعين وسبعمائة .

١٧٧ — شهاب الدين بن النقيب ، أبو العباس أحمد بن لؤلؤ ، أحد علماء الشافعيّة ، وصاحب مختصر الكفاية ونكت التنبيه وتصحيح المهذب ، وغير ذلك . ولد بالقاهرة سنة اثنتين وسبعمائة ، ومات بها فى رمضان سنة تسع وستين [وسبعمائة][1] .

---

(١) الدرر الكامنة ١: ٢٣٩ .

١٧٨ ـ بهاء الدين أبو حامد بن الشيخ تقيّ الدين السبكيّ[١]. ولد فى جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبعمائة ، وأخذ عن أبيه وأبى حيّان والأصبهانىّ وابن القمّاح والزّنكلونىّ والتقىّ الصائغ وغيرهم . وبرع وهو شابّ ، وساد وهو ابن عشرين سنة . وولىَ تدريس الشافعىّ والشيخُونيّة أوّل مافتحتْ . وله تصانيف ، منها شرح الحاوى ، وتكملة شرح المنهاج لأبيه ، وعروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح . مات بمكّة فى رجب سنة ثلاث وسبعين[٢] .

وقال البرهان القيراطىّ يرثيه :

ستبكيك عينى أيها البحرُ بالبحرِ ... فيومُك قد أبكى الورى من ورا النّهرِ

لقد كنتَ بحراً للشريعةِ لم تزَلْ ... تجودُ علينا بالنّفيس من الدُّرِّ

لَقَدْ كنتَ فى كلِّ الفضائل أمّةً ... مقالة صِدقٍ لا تقابَلُ بالنُّكْرِ

لَقَدْ كنتَ فى الدُّنيا جليلاً يَعدُّه ... بنوها لتيْسيرِ الجليلِ من العُسْرِ

إليك يُرَدُّ الأمْرُ فى كلِّ مُعْضِلٍ ... إلى أن أتَى مالا يُرَدُّ من الأمْرِ

تعزّى بك الأمصارُ مصراً لعلمِها ... بأنّك مازلتَ العزيزَ على مِصْرِ

مضيتَ فما وَجْهُ الصباحِ بمُسْفرٍ ... وبِنْتَ فما ثغر الأقاحِى بمفترٍّ

وزُلتَ فما ودقُ النّوالِ بهاطلٍ ... وغبتَ فما برق المنَى باسم الثّغْرِ

وأوحش أرض العلم منك وأفقهُ ... فذاك بلا زَهرٍ وهذا بلا زُهرِ

تكامَلْتَ أوصافاً وفضلاً وسؤدُداً ... ولابدّ من نقصٍ فكان من العمرِ

بَهاكَ بهاء الدين مالا يردّه ... إذا ماأتى تدبير زيدٍ ولا عمرِو

لئن غادرتْك الأرض حملاً ببطنِها ... فإنّا حملنا كلّ قاصمة الظّهرِ

---

(١) اسمه كما فى الدرر الكامنة : « بهاء الدين أبو حامد أحمد بن على بن عبد الكافى بن يحيى بن تمام السبكى » .

(٢) شذرات الذهب ٦ : ٢٢٦ .

وأطلقت منى دمع عينى بأسره ... وصيّرت منى مطلق القلب فى أسْرِ
بكت عينُ شمسِ الأمن للبدر موتَ مَنْ ... مناقبُه تزهُو على الأنجمِ الزُّهرِ
تبوّأ بالفردوسِ ممدودُ ظلِّهِ ... وأصبح من قصرٍ يسيرُ إلى قصرِ
توقّع قلبُ النيل فقدان ذاتهِ ... ألَسْتَ تراهُ فى احتراق وفى كسرِ ا
أضاء بشمسٍ منه مغربُ لحدِه ... وأظلم لمّا أن مضَى مطلعُ البدْرِ
لئنْ عطّرتْ أعمالُه تُرْبَ قبرِه ... سيُبعث فى يوم اللّقا طيّب النَّشْرِ
فلا حُلْوَ لى بالصَّبْر من بعد يوم مَنْ ... بكته عيونُ النّاسِ فى الحوْلِ والشَّهْرِ
وقدْ كان شَهْدِى حين منطقِه وقدْ ... ترحّل ، لا شهدِى أقام ولا صبرى
ولو أن عينى يطرق النَّوْمُ جفنَها ... تعلّتُ بالطّيْف الذى منه لى يَسْرِى
تطهّر أخلاقاً ونفسا وعنصراً ... وصار لجنّاتِ الرّضا كاملَ الطُّهْرِ
ثوى فى الثرى جسماً ولكنّ روحَهُ ... سمت نحو علّيين عاليةَ القَدْرِ
فروّاه تحت التربِ لله درّه ... سحابٌ من الغفران متّصل الدَّرِّ
ووافاه رضوانٌ برضوان ربّه ... بشيرا ولاقَى مايؤمِّلُ من ذخرِ
وحيّاه ريحان الإله ورُوحُه ... وآنسه بالعفوِ فى وحشة القبْرِ
عفَا الله عن ذاكَ المحيّا فإنّه ... محلًّى بأنواعِ البشاشة والبِشْرِ
مع السلف الماضين يُذْكَرُ فضلُهُ ... ويحسبُ وهو الصّدْر من ذلك الصّدْرِ
لقدْ عطّلتْ منه الرّياسةُ جيدَهَا ... وقد كان حلاّها بعِقد من الفخرِ
وطرفُ الدواة الأسود ابيضّ بعده ... من الحزن يَشْكُو فقد أقلامه الخُضرِ
لقدْ كان للتفسير فى الذِّكرِ آيةً ... يفوق إذا قابلته بفتًى حَبْرِ

١٧٩ — أخوه جمال الدين الحسين أبو الطيب بن الشيخ تقيّ الدّين السُّبكيّ . ولد فى رجب سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة ، وأخذ عن أبيه والأصبهانيّ والزّنكلونيّ .

وأبي حيّان وفضل ودرّس بعِدّة أماكن ، وألف كتابا في « مَن اسمه الحسين بن عليّ » . مات في حياة أبيه في رمضان سنة خمس وخمسين [١] .

١٨٠ ـ قاضي القضاة أبو البقاء محمد بن عبد البرّ بن الصّدر يحيى بن عليّ بن تمّام السبكيّ . ولد سنةَ ثمان وسبعمائة ، وأخذ عن القُطْب السُّنباطيّ والزّنكلونيّ [٢] والكتنانيّ وأبي حيان والقُونَويّ . وكان إماماً في علوم شتّى ، وله شرح الحاوِي ، واختصر قطعة من المطْلب ، ووليَ قضاء الدّيار المصرية ، وتدريس الشافعيّ . مات في ربيع الأول سنة سبع وسبعين [وسبعمائة] [٣] .

١٨١ ـ ولده بدر الدين محمد . وليَ قضاء الديار المصرية مراراً ، وتدريسَ الشافعيّ ، وكان ماهرا في الفنون ، منصفاً في البحث ، مات سنة اثنتين وثمانمائة [٤] .

١٨٢ ـ بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادِر الزركشيّ . ولد سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وأخذ عن الإسنويّ ومُغلطاى وابن كثير والأذرعيّ وغيرهم. وألّف تصانيف كثيرة في عدّة فنون ، منها الخادم على الرافعيّ والروضة ، وشرح المنهاج ، والدّيباج، وشرح جمع الجوامع وشرح البخاريّ والتّنقيح على البخاريّ وشرح التّنبيه ، والبُرهان في علوم القرآن، والقواعد في الفقه ، وأحكام المساجد ، وتخريج أحاديث الرافعيّ ، وتفسير القرآن ، وصَل إلى سورة مريم ، والبحر في الأصول ، وسلاسل الذّهب في الأصول والنُّكت على ابن الصلاح وغير ذلك . ماتَ يوم الأحد ثالث رجب سنة أربع وتسعين وسبعمائة ، ودُفِن بالقرافة الصغرى [٥] .

١٨٣ ـ البرهان الأبناسيّ [٦] ، إبراهيم بن موسى بن أيّوب . الورع الزاهد ، شيخ

---

(١) شذرات الذهب ٦ : ١٧٧ .

(٢) الدرر الكامنة : « السنكلونى » .

(٣) الدرر الكامنة ٣ : ٤٩٠ .

(٤) الضوء اللامع ٩ : ٨٨ .

(٥) الدرر الكامنة ٣ : ٣٩٧ ، شذرات الذهب ٦ : ٣٣٥ .

(٦) الأبناسي : منسوب إلى أبناسا ، قرية صغيرة بالوجه البحرى بمصر . الضوء اللامع .

الشيوخ بالديار المصرية. ولد سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، وأخذ عن الإسْنوىّ وغيره. وله تصانيف ، وولى مشيخة سعيد السعداء ، وعُيّن لقضاء الشافعية فاختفى. وكان مشهوراً بالصلاح ، تقرأ عليه الجنّ . مات فى المحرّم سنة اثنتين وثمانمائة ، راجعاً من الحج ، ودفن بعيون القَصَب (١) .

ورثاه الحافظ زَيْن الدين العِراقىّ بقصيدة يقول فيها :

زهدت حتىّ فى القضاء إذ أتى إليك مسئولاً بلا تردُّدِ

١٨٤ — ابن الملقّن سِراج الدين أبو حفص عمر بن على بن أحمد بن محمّد الأنصارىّ. ولد سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ، وسمع على ابن سيّد الناس ، ولازم الزّين الرّحَبىّ ومُغلطاى ، واشتغل بالتّصنيف وهو شابٌّ حتى كان أكثرَ أهل العصر تصنيفا . مات فى ربيع الأول سنة أربع وثمانمائة .

ومن تصانيفه شرح البخارىّ وشرح العمدة ، وشرحان على المنهاج وعلى التّنبيه ، وعلى الحاوى ، وعلى منهاج البيضاوىّ ، والأشباه والنظائر وغير ذلك (٢) .

١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ — البُلْقينى والعِراقىّ وولده مرّوا (٣) .

١٨٨ — بدر الدين محمد بن شيخ الإسلام سراج الدين البُلقِينىّ ، أبو اليُمن، ولد سنة إحدى وتسعين وسبعمائة .

١٨٩ — أخوه جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن قاضى القضاة . وُلِد فى رمضان سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، واشتغل على والده وغيره . وكان ذكيًّا قوىّ الحافظة ، واشتهر اسمه ، وطار ذكره فى البلاد ، وخصوصا بعد موت والده ، وانتهت إليه رياسة الفُتيا ، وكان حسَن السِّيرة فى القضاء ، عفيفاً نزهاً ، قامِعاً للمبتدعة . مات فى عاشر

---

(١) الضوء اللامع ١ : ١٧٢ .
(٢) الضوء اللامع ٦ : ١٠٠ .
(٣) انظر ص ٣٢٩ ، ٣٦٠، ٣٦٣

شوّال سنة أربع وعشرين وثلثمائة [1] .

١٩٠ ـ الكمال الدَّميرىّ محمد بن موسى بن عيسى . لازم البهاء السّبكى ، وتخرّج به وبالإسنوىّ وغيرهما . وسمع على العُرضىّ وغيره ، ومهر فى الأدب ، ودرّس الحديث بقبّة بيبَرس . وله تصانيف ؛ منها شرح المنهاج والمنظومة الكبرى وحَياة الحيوان . واشتهرت عنه كرامات ، وأخبار بأمور مغيّبات . مات فى جمادى الأولى سنة ثمان وثمانمائة [2] .

١٩١ ـ ابن العماد شهاب الدين أحمد بن عماد بن يوسف الأقفهسىّ . اشتغل قديما ، وأخذ عن الإسنوىّ وغيره ، وله تصانيف كثيرة ، منها التعقبات على المهمّات ، وشرح المنهاج . مات سنة ثمان وثمانمائة [3] .

١٩٢ ـ البرهان البَيْجورىّ إبراهيم بن أحمد [4] . ولد فى حدود الخمسين وسبعمائة ، وأخذ عن الإسنوى ولازم البُلقينىّ ، ورحل إلى الأذرعىّ بحَلَب ، وكان الأذرعىّ يعترف له بالاستحضار ، وشهد العماد الحُسْبانىّ [5] عالم دمشق بأنّه أعلمُ الشافعيّة بالفقه فى عصره ، وكان يسرُد الرّوضةَ حفظًا ، وانتفعُ به الطلبةُ ، ولم يكن فى عصره مَنْ يستحضر الفروع الفقهية مثلُه ، ولم يخلُف بعده من يقاربه فى ذلك . مات سنة خمس وعشرين وثمانمائة [6] .

١٩٣ ـ البِرْماوىّ شمس الدين محمد بن عبد الدّائم بن موسى . وُلِد فى ذى القعدة سنة ثلاث وستين ، ولازم البَدْر الزّركشىّ ، وتمهّر به ، وأخذ عن السّراج البُلقينىّ . وله تصانيف ؛ منها شرح العُمدة ، ومنظومة فى الأصول . مات سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة [7] .

---

(١) الضوء اللامع ٤ : ١٠٦ .

(٢) الفوائد البهية ٢٠٣ .

(٣) الضوء اللامع ٢ : ٤٧ .

(٤) اسمه فى الضوء اللامع : « إبراهيم بن أحمد بن على بن سليمان » .

(٥) الحسبانى بضم المهملة : منسوب لحسبان ، من أعمال دمشق .

(٦) الضوء اللامع ١ : ١٧ .

(٧) الضوء اللامع ٧ : ٢٨٠ ، والبرماوى ، بكسر أوله : نسبة لبرمة من نواحى الغربية .

١٩٤ ـ المجد البرماوىّ إسماعيل بن أبى الحسن علىّ بن عبد الله . وُلِد فى حدود الخمسين وسبعمائة ، ومهر فى الفقه والفنون ، وتصدَّى للتدريس ، وأخـذ عنه شيخنا البُلقينىّ وغيره . مات فى ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وثمانمائة .

١٩٥ ـ ابن الحمْرة شهاب الدين أحمد بن صلاح بن محمد بن محمد بن عثمان (١) بن علىّ بن السمسار. ولد سنة سبع وتسعين ، ولازم البُلقينىّ والزَّين العِراقىّ . وولى مشيخة الصَّلاحية بالقُدْس . مات فى ربيع الآخر سنة أربعين وثمانمائة (٢) .

١٩٦ ـ ابن المجدىّ شهاب الدين أحمـد بن رجب بن طيبُغَا . ولد سنة ستين وسبعمائة ، واشتغل بالعلوم فبرع فى كثير منهـا ، وصار رأس النّاس فى الفرائض والحساب بأنواعه والهندسة وعلْم الوقت بلا منازعة ، وله فى ذلك مصنّفات فائقة . مات ليلة السبت عاشر ذى القعدة سنة خمسين وثمانمائة (٣) .

١٩٧ ـ الوَنائىّ محمد بن إسماعيل [بن محمد] (٤) بن أحمد القرافىّ قاضى القضاة ، شمس الدين الشافعىّ . ولد فى شعبان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، وأخـذ عن الشيخ شمس الدين البِرْماوىّ وطبقته ، وبَرع فى الفقه والعربيّة والأصول ، واشتهر بالفضيلة . وكان ممّن جمع المنقول والمعقول ، ولِىَ تدريس الشَّيخونيّة والصَّلاحية المجاورة لضريح الإمام الشافعىّ رضى الله عنه ، وقضاء الشام مرّتين ، ثم صُرِف . ومات يوم الثلاثاء ثامن عشر صفَر سنة تسع وأربعين وثمانمائة (٥) .

١٩٨ ـ القاياتِىّ محمد بن علىّ بن يعقوب قاضى القضاة شمس الدين الشافعىّ العلاّمة النحوىّ المفنّن . ولد تقريبا سنة خمس وثمانين وسبعمائة ، وحضر درس الشيخ سراج

---

(١) فى الضوء اللامع : « أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان » .

(٢) الضوء اللامع ١ : ١٨٦ .

(٣) الضوء اللامع ٢ : ٣٠٠ .

(٤) من الضوء اللامع .

(٥) الضوء اللامع ٧ : ١٤٠ ، قال : « الونائى ، بفتح الواو والنون وبالقصر ، نسبـة لقرية بصعيد مصر الأدنى » .

الدّين البُلقِينىّ ، وأخذ عن البَدْر الطنْبذىّ والعزّ بن جماعة والعلاء البخارىّ وغيرهم . وبرع فى الفقه والعربيّة والأصلين والمعانى ، وسمع الحديث ، وحدّث باليسير ، وولِىَ تدريس الحديث بالبرقوقيّة ، ودرّس الفقه بالأشرفيّة والشافعىّ والشيخونية وقضاء الشافعيّـة بمصر ، فباشره بنزاهة وعفّـة ، وأقرأ زمانا ، وانتفع به خَلْق ، ولازمه والدِى رحمه الله ثلاثين سنة ، وشرع فى شرح على المنهاج للنّووىّ . مات يوم الاثنين ثامن عشرى المحرّم سنة خمسين وثمانمائة .

١٩٨ ـ والدى الإمام العلامـة كمال الدِّين أبو المناقب أبو بكر بن محمد بن سابق الدِّين أبى بكر الخضيرى السيوطىّ . ولد رحمه الله بسيوط بعد ثمانمائة تقريبا ، واشتغل ببلده ، وتولّى بها القضاء قبل قُدومه إلى القاهرة ، ثم قدِمها فلازم العلاّمة القاياتىّ ، وأخذ عنه الكثير من الفقه والأصول والكلام والنّحو والإعراب والمعانى والمنطق ؛ وأجازه بالتدريس فى سنة تسع وعشرين . وأخذ عن الشيخ باكير ، وعن الحافظ ابن حجر علم الحديث ، وسمع عليه صحيح مسلم إلا فَوْتًا ، مضبوطا بخطّ الشيخ برهان الدين بن خضر سنة سبع وعشرين ، وقرأ القرآن على الشيخ محمد الجيلانىّ . وأخذ أيضا عن الشيخ عزّ الدين القدسىّ وجماعة ، وأتقن علوما جمّة ، وبرَع فى كل فنون ، وكتب الخطّ المنسوب ، وبلغ فى صناعة التوقيع النهاية ، وأقرّ له كلُّ مَنْ رآه بالبراعة فى الإنشاء ، وأذعن له فيه أهلُ عصره كافة ، وأفتى ودَرَّس سنين كثيرة ، ونَاب فى الحكم بالقاهرة عن جماعة ، بسيرةٍ حميدة ، وعِفّةٍ ونزاهة ، ووَلِىَ دَرْس الفقه بالجامع الشَّيْخونىّ ، وخطب بالجامع الطولونى ؛ وكان يخطب من إنشائه ، بل كان شيخنا قاضى القضاة شرف الدين المناوىّ فى أوقات الحوادث يسأله فى إنشاء خطبة تليق بذلك ليخطب بها فى القلعة . وأمّ بالخليفة المستكفى بالله، وكان يُجلّه إلى الغاية ويعظّمه ، ولم يكُنْ يتردد إلى أحدٍ من الأكابر غيره . وأخبرنى بعض القضاة أنّ الوالد دار يوما على الأكابر ليهنّئهم بالشهر ، فرجع آخر

النهار عطشان ، فقال له : قد دُرْنَا فى هذا اليوم ولم تحصل لنا شربة ماء، ولو ضيّعْنا هذا الوقت فى العبادة لحصل لنا خير كثير ،أو ما هذا معناه ، ولم يهنِّئ أحداً بعد ذلك اليوم بشهر ولا غيره . وعُيِّن مرة لقضاء مكة ، فلم يتفق له . وكان على جانب عظيم من الدِّين والتحرِّى فى الأحكام وعزّة النفس والصِّيانة ، يغلب عليه حبّ الانفراد وعدم الاجتماع بالناس ، صبورا على كثرة أذاهم له ، مواظبا على قراءة القرآن ، يختم كلّ جمعة ختمة ، ولم أعرف من أحواله شيئا بالمشاهدة إلا هذا .

وله من التصانيف : حاشية على شرح الألفية لابن المصنِّف ، وصل فيها إلى أثناء الإضافة ، وحاشية على شرح العَضُد كتب منها يسيراً ، ورسالة على إعراب قول المنهاج : « وما ضبّب بذهب أو فضة ضبّة كبيرة » ، وأجوبة اعتراضات ابن المقرئ على الحاوى . وله كتاب فى التصريف وآخر فى التوقيع ؛ وهذان لم أقف عليهما .

تُوُفِّىَ شهيداً بذات الجنب وقت أذان العشاء ، لليلة الاثنين من صفر سنة خمس وخمسين وثمانمائة . وتقدم فى الصلاة عليه قاضى القضاة شرف الدين المناوىّ [١] .

وذكر لى بعض الثقات أنه قيل له وهو ينتظر الصلاة عليه : لم يبق هنا مثله ، فقال : لا هنا ولا هناك ـ يشير إلى المدينة ـ ودفن بالقرافة قريبا من الشمس الأصفهانىّ .

ولصاحبنا الشيخ شهاب الدين المنصورىّ فيه أبيات يرثيه بها وهى :

مَاتَ الكمالُ فقَالُوا ولّى الحِجَا والجَلَالُ
فللعيونِ بكاءٌ وللدّموع انهمالُ
وفى فؤادىَ حُزْنٌ ولوعةٌ لا تَزَالُ
للهِ علمٌ وحِلْمٌ وَارَتْهُ تلكَ الرِّمَالُ
بَكَى الرَّشَادُ عَلَيْهِ دَمًا وَسُرَّ الضَّلَالُ

---

(١) نظم العقيان ٩٥ ، الضوء اللامع ١١ : ٧٢ .

قَدْ لَاحَ فى الخير نَقْصٌ لَمَّا مَضَى واخْتِلَالُ
وَكَيْفَ لَمْ تَرَ نَقْصاً وَقَدْ تَوَلَّى الْكَمَالُ
علومـــه راسخاتٌ تَزُولُ مِنْهَـــا الْجِبَالُ
بِقَـــبره العـــلم ثاوٍ والفضـــلُ والإِفْضَالُ

١٩٩ — علاء الدين القَرْقشندىّ علىّ بن أحمد بن إسماعيل . وُلِد فى ذى الحجّة سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، وتفقّه بعلماء مصر ، وأفتى ودرّس ، وانتفع به جماعة . وتولّى عِـدّة مدارس ، ورُشّح لقضـاء الديار المصرية . مات فى المحرّم سنـة ست وخمسين وثمانمائة (١) .

٢٠٠ — الشيخ جلال الدين المَحَلّىّ محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد . وُلِد بمصر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، واشتغل وبرَع فى الفنون؛ فقهاً وكلاماً وأصولا ونحواً ومنطقاً وغيرها . وأخذ عن البَدْر محمود الأقصرائى والبُرهان والبيجورىّ والشمس البساطىّ والعَلاء البخارىّ وغيرهم . وكان علاّمةً آيةً فى الذّكاء والفَهْم ؛ كان بعضُ أهلِ عصره يقول فيه : إن ذِهْنَه يثقُب الماس . وكان يقول عن نفســه : أنا فهمى لا يقبل الخطأ ؛ ولم يكن يقدر على الحفظ ، وحَفِظ كُراسًا من بعض الـكتب ، فامتلأ بدنه حرارة . وكان غُرّة هذا العصر فى سلوك طريق السَّلف ، على قدمٍ من الصَّلاح والوَرَع والأَمْر بالمعروف والنَّهى عن المنـكر ، يواجه بذلك أكابر الظلَمَة والحُـكام ، ويأتون إليه فلا يلتفت إليهم ، ولا يأذن لهم بالدُّخول عليه ؛ وكان عظيم الحِدّةِ جدًّا ، لا يراعِى أحداً فى القول ، يوصى فى عقود المجالس على قضاة القضاة وغيرهم ؛ وهم يخضعون له ، ويهابونه ويرجعون إليه ؛ وظهرت له كراماتٌ كثيرة ، وعُرِض عليه

---

(١) الضوء اللامع ٥ : ١٦١ . والقرقشندى . منسوب إلى قرقشندة ؛ قرية بأسفل مصر ؛ ذكرها ياقوت ؛ وقال : ولد بها الليث بن سعد بن عبد الرحمن المصرى » .

. القضاء الأكبر فامتنع . ووَلِىَ تدريس الفقه بالمؤيدية والبَرْقوقيّة ، وقرأ عليه جماعة ، وكان قليل الإقراء ، يغلب عليه المَلَل والسآمة . وكان سمع الحديث من الشّرف ابن الكويك ، وحدّث . وكان متقشّفاً فى مَلْبُوسه ومركوبه ، ويتكسّب بالتجارة ، وألف كتبا تُشدُّ إليها الرّحال ؛ فى غاية الاختصار والتحرير والتنقيح ، وسلامة العبارة وحسن المزج ، والحلّ بدفع الإيراد ؛ وقد أقبل عليها الناس وتلقّوْها بالقبول ، وتداولوها ؛ منها شرح جمع الجوامع فى الأصول ، وشرح بُردة المديح ، ومناسك ؛ وكتاب فى الجهاد ؛ ومنها أشياء لم تكمل ؛ كشرح القواعد لابن هشام ، وشرح التسهيل ؛ كتب منه قليلا جدًّا ، وحاشية على شرح جامع المختصرات ، وحاشية على جواهر الإسنوىّ ، وشرح الشمسيّة فى المنطق ، ومختصر التنبيه ، كتب منه ورقة . وأجلُّ كتبه التى لم تكمل تفسير القرآن ، كتب منه من أول الكهف إلى آخر القرآن فى أربعة عشر كراسا ؛ فى قطع نصف البلدىّ ، وهو ممزوج محرّر فى غاية الحسن ؛ وكتب على الفاتحة وآيات يسيرة من البقرة ، وقد أكملته بتكملة على نمطه من أول البقرة إلى آخر الإسراء . تُوُفِّىَ فى أول يوم من سنة أربع وستين وثمانمائة [1] .

٢٠١ — البُلقينىّ شيخنا قاضى القضاة عَلَم الدين صالح بن شيخ الإسلام سراج الدّين ، حامل لواء مذهب الشافعىّ فى عصره ؛ ولد سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، وأخذ الفقه عن والده وأخيه ، والنّحو عن الشّطَنَوْفىّ والأصول عن العزّ ابن جماعة ، وسمع على أبيه جزء الجمعة وختم الدلائل وغير ذلك ؛ وعلى الشهاب ابن حجّى جزء ابن نجيد ، وحضر عند الحافظ أبى الفضل العراقىّ فى الإملاء ، وتولىّ مشيخة الخشابيّة ، والتفسير بالبَرْقوقيّة بعد أخيه ؛ وتدريس الشريفيّة بعد القمنى ، والحديث بمدرسة قايتباى . وتولى القضاء الأكبر سنة ست وعشرين ، بعزْل الشيخ ولى الدين ، وتكرر عزلُه وإعادته ؛ وتفرّد

---

(١) شذرات الذهب ٧ : ٣٠٣ ، الضوء اللامع ٧ : ٣٩ .

بالفقه ؛ وأخذ عنه الجمّ الغفير ، وألحق الأصاغر بالأكابر ، والأحفاد بالأجداد . وألّف تفسير القرآن ، وكمل التدريب لأبيه وغير ذلك . قرأتُ عليه الفقه ، وأجازني بالتدريس وحضر تصديري : وقد أفردت ترجمته بالتأليف . مات يوم الأربعاء خامس رجب سنة ثمان وستين وثمانمائة [1] .

٢٠٢ ـ المناوي قاضي القضاة شرف الدّين يحيى بن محمد بن محمد بن محمد ، شيخنا شيخ الإسلام ، ولد سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ، ولازم الشيخ وليّ الدين العراقيّ ، وتخرّج به في الفقه والأصول ، وسمع الحديث عليه ، وعلى الشرف ابن الكويك ، وتصدّى للإقراء والإفتاء وتخرّج به الأعيان ، ووليَ تدريس الشافعيّ وقضاء الديار المصرية ، وله تصانيف ، منها شرح مختصر المُزَنيّ . توفِّيَ ليلة الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وسبعين وثمانمائة ، وهو آخر علماء الشافعية ومحققيهم [2]

وقد رثيته بقولي :

قُلْتُ لَمَّا مات شيخُ الـعَصْرِ حقًّا باتفـاقِ
حين صارَ الأمر ما بَيْـنَ جَهُـولٍ وفُسَّاقِ
أيّها الدنيـا لكِ الوَيْـلُ إلى يوم التّلاقِ

---

(١) شذرات الذهب ٧ : ٣٠٦ .

(١) شذرات الذهب ٧ : ٣١٢ .

ذكر من كان بمصر من الفقهاء المالكية

١ ـ عثمان بن الحكم الجذامي[1] .

٢ ـ سعيد[2] بن عبد الله بن أسعد[3] المعافري المصري ؛ من كبار أصحاب مالك، تفقه بابن وهب وابن القاسم ، مات بالإسكندرية سنة ثلاث وسبعين ومائة[4] .

٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ـ عبد الرحمن بن القاسم ، ابن وهب ، إسحاق بن الفرات ، أشهب ، عبد الله بن عبد الحكم ، وولده محمد ، أصبغ بن الفرج الغازي ، مرّوا[5] .

١٠ ، ١١ ، ١٢ ـ ابن المواز ، أبو بكر الدينوري صاحب المجالسة ، أبو جعفر بن قتيبة ، مرّوا[6] .

١٣ عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصري . أبو القاسم ، مصنف فتوح مصر ، روى عن أبيه وشعيب بن الليث وخلق ، وعنه النسائي وأبو حاتم ووثّقه[7] .

١٤ ـ عبد الحكم بن عبد الله بن عبد الحكم أبو عثمان . قال ابن فرحون : هو

---

(١) الديباج المذهب ١٨٧ ؛ قال في ترجمته : « مشهور من أصحاب مالك المصريين ؛ وهو أول من أدخل علم مالك مصر ، ولم تثبت مصر أنبل منه ، يروى عن مالك وموسى بن عقبة وابن جريج وغيرهم روى عنه ابن وهب وسعيد بن أبي مريم توفى سنة ثلاثة وستين ومائة » .

(٢) ح ، ط : « سعد » ، وما أثبته من الأصل ؛ وهو يوافق ما ذكره ابن فرحون .

(٣) ابن فرحون : « سعد » .

(٤) الديباج المذهب ١٢٣ ؛ وذكر أن وفاته كانت سنة ١٩٣ .

(٥) انظر ص ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣٠٩ (٦) انظر ص ٣١٠

(٧) الأعلام للزركلي ٤ : ٨٥ .

أكبر أولادِ ابن عبد الحكم وأفقهُهم، وأجلُّ أصحاب ابن وَهْب [١]، مات بمصر سنة سبع وثلاثين ومائتين ممتحنًا في فتنة خَلْق القرآن، ودُخِّن بالكبريت عليه حتى ماتَ [٢].

١٥ — عبد الرحمن بن أبي جعفر الدِّمياطيّ. روى عن مالِك، وتفقّه بكبار أصحابه: ابن وهب وابن القاسم وأشهب؛ وله مؤلفات، مات سنة ست وعشرين ومائتين [٣].

١٦ — هارون بن عبد الله الزُّهريّ الكُوفيّ. نزيل بغداد. الإمام أبو يحيى، تفقّه بأصحاب مالك. قال الشيخ أبو إسحاق الشيرازيّ: هو أعلمُ مَنْ صنّف الكتب في مختلف قول مالِك، ووَلِيَ قضاء مصر، ومات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين [٤].

١٧ — عبد الرحمن بن عُمَر بن أبي الغَمْر [٥]، مولى بني سَهْم أبو زيد؛ من أهل مصر. أكثر عن ابن القاسم وابن وَهْب، وكان فقيهًا مُفْتِيًا. روى عنه البخاريّ وأبو زُرْعة. ولد سنة ستين ومائة، ومات سنة أربع وثلاثين ومائتين [٦].

١٨ — إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي العاص أبو إسحاق البَرْقيّ المصريّ. أخذ عَنْ أشهب وابن وَهْب. مات سنة خمس وأربعين ومائتين [٧].

١٩ — موسى بن عبد الرحمن بن القاسم الفقيه، ابن الإمام المشهور [٨].

٢٠ — سليمان بن داود بن حماد بن سعد الرشدينيّ [٩] أبو الربيع المصريّ. قال

---

(١) العبارة في الديباج المذهب: «أكبر بني عبدالله بن الحكم وهم عبد الحكم هذا وعبدالرحمن وسعد ومحمد؛ ولم يكن فيهم أفقه من عبد الحكم ولا أجود خطا؛ وكان خيرا فاضلا؛ وله سماع كثير من أبيه وابن وهب وغيرهما من رواة مالك».

(٢) الديباج المذهب ١٦٦.
(٣) الديباج المذهب ١٤٨.
(٤) الديباج المذهب ٣٤٨.
(٥) الديباج: «ابن أبي الغمر».
(٦) الديباج المذهب ١٤٨.
(٧) الديباج المذهب . . .
(٨) الديباج المذهب.
(٩) الديباج: «ابن أخي رشدين».

ابن يونس : كان فقيهاً على مذهب مالك ، وكان من أجلّة القرّاء وعبّادهم ، قرأ على وَرْش ، وروى عن ابن وهب وأشهب ، وعنه أبو داود والنّسائىّ . وكان زاهداً ، قال أبو داود : قلّ مَنْ رأيتُ فى فضله . ولد سنة ثمان وسبعين ومائة ، وتُوُفِّىَ فى ذى القعدة سنة ثلاث وخمسين ومائتين [(١)] .

٢١ — عبد الغنىّ بن عبد العزيز المعروف بالعسّال . من أهل مصر . روى عن ابن وَهْب وابن عُيينة ، وعنه النّسائىّ ، وقال : لا بأس به . وكان حافظاً فقيهاً مفتياً مذكوراً فى فقهاء المالكية . مات سنة أربع وخمسين ومائتين .

٢٢ — زكريا بن يحيى الوقّار المصرىّ . قرأ على نافع بن أبى نعيم ، وتفقّه بابن وهب وابن القاسم وأشهب . وكان فقيهاً ، ولم يكن بالمحمود فى روايته ، مات سنة أربع وخمسين ومائتين بمصر [(٢)] .

٢٣ — ولده أبو بكر محمد بن زكريا . كان حافظاً للمذهب ، تفقّه بأبيه وابن عبد الحكم وأصبَغ ، وله تصانيف . مات فى رجب سنة تسع وستين ومائتين .

٢٤ — محمد بن أصبغ بن الفرج . كان فقيهاً مُفْتياً ، مات بمصر سنة خمس وسبعين ومائتين [(٣)] .

٢٥ — رَوْح بن الفرج أبو الزِّنباع الزّبيرىّ . قال ابن فرحون : عالمٌ فقيه بمذهب مالك ، من أهل مصر ، أخذ عنه أبو الذّكر الفقيه ، وكان من أوثق النّاس فى زمانه ورفعه الله بالعلم . روى عن عمرو بن خالد وأبى مُصعب ، وعنه محمد بن سعد وقاسم بن أصبغ . ولد سنة أربع ومائتين ومات سنة اثنتين وثمانين [(٤)]

(١) الديباج المذهب ١١٩ .
(٢) الديباج المذهب ١١٨ .
(٣) الديباج المذهب ٢٣٩ .
(٤) الديباج المذهب ١١٧ .

٣٦ ـ أحمد بن موسى بن عيسى بن صدقة الصّدفىّ المصرىّ أبو بكر الزّيات . فقيه مشهور بمصر من أصحاب محمد بن عبد الحكم . مات بها سنة ست وثلاثمائة .

٢٧ ـ أحمد بن الحارث بن مسكين أبو بكر . جلس مجلس أبيه بعده بجامع عمرو ، وأخذ الناس عنه . ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين ، ومات سنة إحدى عشرة وثلاثمائة [١] .

٢٨ ـ أحمد بن محمد بن خالد بن ميسّر أبو بكر الإسكندرانىّ . تفقه بابن الموّاز ، وانتهت إليه الرياسة بمصر بعده . وله تصانيف . مات سنة تسع وثلاثمائة [٢] .

٢٩ ـ أحمد بن محمد بن عبيد أبو جعفر الأزْدىّ . كان فقيهاً مالكيًّا موصوفاً بحفظ المذهب ، له كتاب فى إثبات الكرامات [٣] .

٣٠ ـ هارون بن محمد بن هارون الأُسوانىّ أبو موسى . قال ابن يونس : كان فقيهاً على مذهب مالك ، كتب الحديث ، ومات فى ربيع الأول سنة سبع وعشرين وثلثمائة [٤] .

٣١ ـ محمد بن أحمد بن أبى يوسف ، أبو بكر بن الخلّال . من فقهاء مصر ، درّس بجامعها ، وأخذ عنه الناس ، وألف . مات سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة .

٣٢ ـ أبو الحسن علىّ بن عبد الله بن أبى مطر المَعافرىّ الإسكندرانىّ الفقيه . قاضى الإسكندرية ، روى عن ابن أبى الدنيا . مات سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وله مائة سنة [٥] .

٣٣ ـ محمد بن يحيى بن مهدىّ التّمار الأُسوانىّ أبو الذكر الفقيه المالكىّ .

---

(١) الديباج المذهب ٣٣ .
(٢) الديباج المذهب ٣٧ .
(٣) الديباج المذهب ٣٨ .
(٤) الطالع السعيد ٣٩٣ .
(٥) العبر ٢ : ٢٥٠ .

قاضي مصر روى عن المعافى ومحمد بن عُمير الأندلسيّ . مات فى شوال سنة أربعي وثلثمائة [١] .

٣٤ ـ بكر بن محمد بن العلاء العلامة أبو الفضل القشيريّ البَصريّ المالكيّ . صاحب التصانيف فى الأصول والفروع . روى عن أبى مسلم الكَجِّيّ ، ونزل مصر ، وبها تُو سنة أربع وأربعين وثلاثمائة . قاله فى العبَر [٢] .

٣٥ ـ أحمد بن جعفر الأُسوانيّ المالكيّ الصوّاف . قال أبو القاسم بن الطّحان روى عن ابن بشر الدّولابيّ وأبى جعفر الطحاوى ، وروى عنه عبد الغنى بن سعيد . ماد سنة أربع وستين ـ وقيل : أربع وسبعين ـ وثلثمائة [٣] .

٣٦ ـ أبو الطاهر محمد بن عبد الله البغداديّ . قال فى العبر : كان مالكيّ المذهب فصيحاً فقيهاً شاعرا ، أخباريًّا ، حاضر الجواب ، غزير الحفظ ، ولىَ قضاء واسط ، قضاء بعض بغداد ، ثم قضاء دمشق ، ثم قضاء الدّيار المصرية ، واستناب على دمشق حدّث عن بشر بن موسى وأبى مسلم الكجّى وطبقتهما . توفِّىَ سنة سبع وستين وثلثما وقد قارب التسعين [٤] .

قال ابن ماكولا : كان يذهب إلى قول مالك ، وربما اختار ، وكان متفنّنا فى علو وله تصانيف .

٣٧ ـ محمد بن يوسف بن بلال الأُسوانيّ المالكيّ أبو بكر . روى عن ابن أبى سفيان الورّاق . سمع منه أبو القاسم بن الطحّان ، وقال : تُوفِّىَ سنة سن وسبعين وثلثمائة [٥] .

---

(١) الطالع السعيد ٣٦٤ . (٢) العبر ٢ : ٢٦٣ .
(٣) الطالع السعيد ٧٤ ، واسمه هناك : « أحمد بن محمد بن هارون بن موسى الأسوانى أبو جعفر »
(٤) العبر ٢ : ٣٤٤ ، واسمه هناك : « محمد بن أحمد بن عبدالله القاضى البغدادى » .
(٥) الطالع السعيد ٣٦٦ .

٣٨ ـ محمد بن سليمان أبو بكر النعالىّ ، إمام المالكية بمصر فى وقته . أخذ عن ابن ميان ، وبكر بن القَلاء ، وعَظُم شأنه ، وإليه كانت الرِّحلة والإمامة بمصر ، وكانت لقته فى الجامع تدور على سبعة عشر عموداً من كثرة من يحضرها . مات سنة نين وثلثمائة(١) .

٣٩ ـ أبو القاسم الجوهرىّ عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الغافقىّ المصرىّ ، الفقيه الكىّ الذى صنف مُسند الموطأ . كان فقيهاً وَرِعاً مستفيضاً خَيِّراً ، من جِلَّة الفقهاء . ت فى رمضان سنة إحدى وثمانين وثلثمائة . قاله فى العبر(٢) .

٤٠ ـ رَجَاء بن عيسى بن محمد أبو العباس الأنصارىّ . قال ابن كثير : نسبة إلى ية من قرى مصر يقال لها أنصار ، كان فقيها مالكيًّا ، ثقة ، قدِم بغداد فحدَّث بها ، سمع منه الحفَّاظ ، ثم عاد إلى بلده ، فمات بها سنة تسعين وأربعمائة ، وقد اوز الثمانين(٣) .

٤١ ـ الأبهرىّ الصغير محمد بن عبد الله أبو جعفر ، قال ابن فرحون : تفقه بى بكر الأبهرىّ ، وسكن مصر ، فتفقه عليه خَلْق كثير ، وسمع من روزىّ(٤) .

٤٢ عبد الجليل بن مخلوف الصِّقِّلىّ الفقيه المالكى . قال ابن ميسّر : أفتى بمصر بعين سنة ، ومات بها سنة تسع وخمسين وأربعمائة .

٤٣ ـ عبد الله بن الوليد بن سعيد أبو محمد الأنصارىّ الأندلسىّ الفقيه المالكىّ . أخذ ن أبى محمد بن أبى زيد وخلق ، وسكن مصر ، ومات بالشام فى رمضان سنة ثمان أربعين وأربعمائة عن ثمان وثمانين سنة .

---

(١) الديباج المذهب ٢٥٨ ، والنعالى : منسوب إلى عمل النعال .
(٢) العبر ٣ : ١٧ .
(٣) لم أجده فى البداية والنهاية فى وفيات هذه السنة .
(٤) الديباج المذهب ٢٦٧ .

٤٤ ـ عليّ بن الحسن بن محمد بن العباس بن فهر أبو الحسن الفِهريّ . من أهل مصر . فقيه مالكيّ ، ألّف فى فضائل مالك ، قال المهلّب : لقيته بمصر ، ولم ألق مثله .

قلت : رأيت تأليفه المذكور ، ونقلت منه فى شرح الموطأ .

٤٥ ـ أبو بكر الطُّرطوشيّ محمد بن الوليد الفِهريّ الأندلسيّ . نزيل الإسكندرية . أحد الأئمة الكبار ، أخذ عن أبى الوليد الباجيّ ، ورحل ، وسمع ببغداد من رزق الله التميميّ وطبقته ، وكان إماماً عالماً زاهداً ، ورعاً متقشّفاً ، متقلّلاً ، له تصانيف كثيرة . مات فى جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، عن خمس وسبعين سنة . ومن كراماته أن خليفة مصر العُبيديّ امتحنه ، وأخرجه من الإسكندرية ، ومنع الناس من الأخذ عنه ، وأنزله الأفضل وزير العُبيديّ فى موضع لا يَبرَحُ منه ، فضجر من ذلك ، وقال لخادمه : إلى متى نصبر ! اجمع لى المباحَ من الأرض ، فجمع له فأكله ثلاثة أيام ؛ فلما كان عند صلاة المغرب ، قال لخادمه : رميتُه الساعة ، فركب الأفضل من الغد ، فقُتل ، وولى بعده المأمون البَطائحيّ ، فأكرم الشيخ إكراماً كثيراً ، وصنف له الشيخ كتاب سِراج الملوك [1] .

٤٦ ـ سند بن عنان بن إبراهيم الأزديّ . أبو عليّ ، تفقه بالطّرطوشيّ ، وجلس فى حلقته بعده ، وانتفع به الناس ، وشرح المدوّنة ، وكان من زُهّاد العلماء وكبار الصالحين ؛ فقيهاً فاضلاً ، مات بالإسكندرية سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ، ورُئِيَ فى النّوم ، فقيل له : مافعل الله بك ؟ فقال : عُرِضتُ على رَبِّى ، فقال لى : أهلاً بالنفس الطاهرة الزكيّة العالمة [2] !

٤٧ ـ صدر الإسلام أبو الطاهر إسماعيل بن مكيّ بن إسماعيل بن عيسى بن عوف

---

(١) الديباج المذهب ٢٧٦ ، وفيات الأعيان : ١ : ٤٧٩ .
(٢) الديباج المذهب ١٢٦ .

الزُّهرىّ(١) الإسكندرانىّ . تفقّه على أبى بكر الطُّرطوشىّ ، وسمع منه ومن أبى عبدالله الرازىّ ، وبَرَع فى المذهب ، وتخرّج به الأصحاب ، وقصده السلطان صلاح الدين ، وسمع منه الموطّأ ، وله مصنّفات . مات فى شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ، عن ست وتسعين سنة . قال ابن فَرْحون : كان إمام عصره فى المذهب، وعليه مدار الفَتْوى، مع الزهد والورع (٢) .

٤٨ ـ حفيدة أبو الحرم مكّى نفيس الدين . ألّف شرحا عظيما على التهذيب للبرادعىّ فى جلد ، وشرحاً على ابن الجلاّب فى عشر مجلدات .

٤٩ ـ أبو القاسم بن مخلوف المغربىّ ثم الإسكندرىّ . أحد الأئمة الكبار من المالكيّة ، تفقّه به أهلُ الثغر زماناً ، مات سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة . قاله فى العبر(٣) .

٥٠ ـ أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن هشام بن الحطيئة اللخمىّ الفاسىّ . كان رأساً فى القراءات السبع ، ومن مشاهير الصُّلَحاء وأعيانهم . ولد بفاس فى جمادى الآخرة سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، وانتقل إلى الديار المصرية ، فقرأ على ابن الفحّام ، وقرأ الفقه والعربيّة ، وسكن مصر ، وتصدّر بها للإقراء، وكان صالحا عابدا، كبير القدْر، قرأ عليه شجاع بن محمد بن سيدهم ، وروى عنه السِّلَفىّ . مات آخر المحرم سنة ستين وخمسمائة ، ودفِن بالقرافة . وقد شغرت مصر عن قاضٍ ثلاثة أشهر ، فى سنة ثلاث وثلاثين [وخمسمائة] أيام الخليفة العُبيدىّ ، فعُرِض القضاء على أبى العباس هذا ، فاشترط ألّا يقضى بمذهب الدولة، فأبَوْا وتولّى غيره(٤) .

---

(١) بقية نسبه كما فى ابن فرحون : « عوف بن يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
(٢) الديباج المذهب ٩٥ .
(٣) لم أجده فى العبر فى وفيات سنة ٥٣٣.   (٤) إنباه الرواة ١ : ٣٩ .

٥١ — الحضرمىّ قاضى الإسكندرية أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد المالكىّ ، روى عن محمد بن أحمد الرازىّ وغيره . مات سنة تسع وثمانين وخمسمائة . قاله فى العبر[1] .

٥٢ — ظافر بن الحسين أبو منصور الأزدىّ المصرىّ شيخ المالكية . كان منتصباً للإفادة والفُتيا، انتفع به بشر كثير مات بمصر فى جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وخمسمائة . قاله فى العبر[2] .

٥٣ — شيث بن إبراهيم[3] بن محمد بن حيدرة أبو الحسن القفطىّ . كان فقيها فاضلا نحويًّا بارعا زاهدا ، وله فى الفقه تعاليق ، وفى النّحو تصانيف ، حدّث عن السِّلَفىّ . ولد بقفط سنة خمس عشرة وخمسمائة ، ومات سنة ثمان وتسعين[4] .

٥٤ — الحافظ أبو الحسن ابن المفضل مرّ فى الحافظ[5] .

٥٥ — ابن شاس العلامة جلال الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن شاس بن نزار الجُذامىّ السّعدى المصرىّ شيخ المالكية ، وصاحب كتاب الجواهر الثّمينة فى المذهب . كان من كبار الأئمّة العاملين ، حجّ فى آخر عمره ، ورجع ، فامتنع من الفُتيا إلى أن مات بدمياط مجاهداً فى سبيل الله فى رجب سنة ست عشرة وستمائة ، والفرنج محاصرون لدمياط . قاله ابنُ كثير والذهبىّ ، وكان جدّه شاس من الأمراء[6] .

٥٦ — أبو الحسن الإبيارىّ علىّ بن إسماعيل بن علىّ . أحد العلماء الأعلام ، وأئمة الإسلام . برع فى علوم شتّى : الفقه ، والأصول ، والكلام . وكان بعضُ الأئمة يفضّله

(١) العبر ٤ : ٢٦٩ .
(٢) العبر ٤ : ٢٩٧ .
(٣) فى الأصول : « أبرهة » ، وصوابه من الطالع السعيد وإنباه الرواة .
(٤) إنباه الرواة ٢ : ٧٣ ، والطالع السعيد ١٣٦ .
(٥) هو أبو الحسن على بن المفضل ، مر فى ص ٣٥٤ .
(٦) البداية والنهاية ١٣ : ٨٦

على الإمام فخر الدين فى الأصول ، تفقه بأبى الطاهر بن عَوْف ، ودرس بالإسكندرية ، وانتفع به النّاس ، وتخرّج به ابن الحاجب . ولد سنة سبع وخمسين وخمسمائة ، ومات سنة ثمانى عشرة وستّمائة[١] .

٥٧ ـ الحسين[٢] بن عتيق بن رشيق ، جمال الدين أبو علىّ الرَّبَعِىّ . قال ابن فَرْحون : كان من العلماء الورعين ، وشيخ المالكية فى وقته ، وعليه مَدار الفتيا بالديار المصرية ، عالمًا بالأصليْن والخلاف . ولد سنة سبع وأربعين وخمسمائة ، ومات سنة اثنتين وثلاثين وستّمائة[٣] .

٥٨ ـ كمال الدين أبو العباس أحمد بن علىّ القَسْطلانىّ ثم المصرىّ الفقيه المالكىّ الزاهد . تلميذ الشيخ أبى عبد الله القرشىّ . قال فى العِبَر : درّس وأفتى ، ثم جاور بمكة مدّة ، ومات بها فى جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وستّمائة عن سبع وسبعين سنة[٤] .

٥٩ ـ ولده تاج الدين علىّ ، قال فى العبر : مُفْتٍ مدرّس ، سمع من زاهر بن رستم ويونس الهاشمىّ ، وولِىَ مشيخة الكاملية ، مات فى شوال سنة خمس وستين وستّمائة، عن سبع وسبعين سنة .

٦٠ ـ جعفر بن علىّ بن هبة الله أبو الفضل الهمدانىّ الإسكندرانىّ المالكىّ المقرئ الأستاذ المحدّث . ولد سنة ست وأربعين وخمسمائة وقرأ القرآن على عبد الرحمن بن خلَف الله صاحب ابن الفحّام ، وأكثر عن السِّلَفِىّ ، وتصدّر للإقراء ، روى عنه التقىّ سليمان وعيسى المطعم . مات بدمشق فى صفر سنة ست وثلاثين وستّمائة[٥] .

---

(١) الديباج المذهب ٢١٣
(٢) فى الأصول : « الحسن » ، وما أثبته من ابن فرحون.
(٣) الديباج المذهب ٥ : ١٠ .
(٤) شذرات الذهب ٥ : ١٧٩ .
(٥) شذرات الذهب ٥ : ١٨٠ .

٦١ — ابن الصفراوىّ جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد المجيد بن إسماعيل الإسكندرانىّ المالكىّ الفقيه المقرئ . ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وسمع من السِّلَفِىّ ، وتفقه بأبى طالب صالح بن بنت معافَى ، وقرأ القراءات على أبى القاسم عبد الرحمن ابن خلَف الله ، وطال عمره ، وبعُد صيته ، وانتهت إليه رياسة الإقراء والإفتاء ببلده . مات بالإسكندرية فى خامس عشرى ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وستمائة [١] .

٦٢ — ابن الحاجب العلاّمة جمال الدين أبو عمرو عثمان بن أبى بكر الكُردىّ الإسنائىّ ثم المصرىّ المالكىّ الفقيه المقرئ النحوىّ الأصولىّ . صاحب التصانيف البديعة ، كان أبوه حاجبا للأمير عزّ الدين موسك الصلاحىّ ، فاشتغل هو ، وقرأ القراءات على الغزنوىّ والشاطبىّ ، وبرع فى الأصول والفروع والعربيّة وغيرها ، وكان ركناً من أركان الدين فى العلم والعمل ، صنّف المختصر فى الأصول ، ومنتهى السؤال فى الأصول ، والمختصر فى الفقه ، والكافية فى النّحو وشرحها ، والوافية وشرحها ، والشافية فى التّصريف وشرح المفصّل والأمالى النحويّة وقصيدة فى العَروض . مات بالإسكندريّة سادس عشرى شوّال سنة ست وأربعين وستّمائة عن خمس وثمانين سنة ، حدّث عنه الشرف الدمياطىّ وغيره [٢] .

٦٣ — عبد الكريم بن عطاء الله أبو محمد الإسكندرانىّ . كان إماماً فى الفقه والأصول والعربيّة ، تفقّه على أبى الحسن الإبيارىّ ، رفيقاً لابن الحاجب . وله تصانيف ، منها شرح التّهذيب ، ومختصر التهذيب ، ومختصر المفصّل . توفِّىَ فى شهر رمضان سنة اثنتى عشرة وستّمائة [٣] .

---

(١) شذرات الذهب ٥ : ١٨٠ .
(٢) شذرات الذهب ٥ : ٢٣٤ .
(٣) الديباج المذهب ١٦٧ .

٦٤ ـ القرطبيّ أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاريّ المالكيّ ، الفقيه المحدّث نزيل الإسكندريّة . ولد سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وسمع الكثير ، وقدم الإسكندريّة، فأقام بها يدرّس،وصنّف المفهم في شرح صحيح مسلم ، واختصر الصحيحين. مات في ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة (١) .

٦٥ ـ ابن الجرج أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن التِّلمسانيّ المالكيّ نزيل الثغر . كان من صُلحاء العلماء ، سمع بسَبْتة الموطّأ من أبي محمد ابن عبيد الله الحجريّ . مات في ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة عن اثنتين وسبعين سنة (٢) .

٦٦ ـ عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر الشارمْساحيّ . نشأ بالإسكندرية ، وتفقّه وبرع ، وكان من أئمّة المالكيّة ، بحراً لا تُكدّره الدلاء. وله تصانيف في الفقه والنّظر والخلاف ، وصل إلى بغداد فأكرمه الخليفة المستنصر وولّاه تدريس المستنصريّة . ولِدَ سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، ومات سنة تسع وستين وستمائة (٣) .

٦٧ ـ العلاّمة مجد الدين عليّ بن وهب بن دقيق العيد ، والد الشيخ تقيّ الدين ، شيخ أهل الصّعيد ، ونَزِيل قُوص . كان جامعاً لفنون العلم، موصوفا بالصلاح والتألّه ، معظَّما في النفوس ، روى عن عليّ بن المفضّل وغيره . مات في المحرّم سنة سبع وستين وستمائة عن ست وثمانين سنة (٤).

٦٨ ـ قاضي القضاة شرف الدين أبو حفص عمر بن عبد الله بن صالح السّبكيّ . ولد سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وتفقّه وأفتى ، ودرّس بالصالحيّة ، ووَلِيَ حِسْبة القاهرة ، ثم قضاء الديار المصريّة لما ولّوا من كلّ مذهب قاضياً ، وكان مشهورا

---

(١) شذرات الذهب ٥ : ٢٧٣ . (٢) شذرات الذهب ٥ : ٢٨٣ .
(٣) الشافعي : منسوب إلى شارمساح : قرية بمصر ، قريبة من دمياط .
(٤) الطالع السعيد ٢٢٩ .

بالعلم والدّين ، روى عنه البدر بن جماعة . مات فى ذى القعدة سنة تسع وستين وستمائة .

٦٩ ـ قاضى القضاة نفيس الدين بن هبة الله بن شكر ، قاضى الديار المصريّة . ولد سنة خمس وستمائة ، ومات سنة ثمانين وستمائة .

٧٠ ـ محمد بن الحسين بن عتيق بن رشيق الرَّبَعىّ المصرىّ علم الدين ، شيخ المالكية . كان من سادات المشايخ ، جمع بين العلم والعمل والوَرَع ، ولى قضاء الإسكندريّة . ولد سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، ومات سنة ثمانين وستمائة [1] .

٧١ ـ شمس الدين محمد بن أبى القاسم بن حميد التونسىّ الرَّبَعى . العلاّمة المفتى ، ولى قضاء الإسكندريّة مرّةً ، ومات سنة خمسين وثمانمائة عن ست وثمانين سنة .

٧٢ ـ قاضى القضاة زين الدين علىّ بن مخلوف بن ناهض النُّويرىّ . ولى قضاء الديار المصرية ثلاثا وثلاثين سنة من بعد ابن شاس ، وكان مشكور السّيرة . مات سنة ثلاث عشرة وسبعمائة [2] .

٧٣ ـ زين الدين أبو القاسم محمد بن العلَم محمد بن الحسين بن عتيق بن رشيق المالكىّ . ولى قضاء الإسكندرية اثنتى عشرة سنة ، وذُكر لقضاء دمشق ، روى عن ابن الجُمّيزىّ ، وله نظم وفضائل . مات فى المحرّم سنة خمس وعشرين وسبعمائة عن اثنتين وسبعين سنة [3] .

٧٤ ـ تاج الدين الفاكهانى عمر بن علىّ بن سالم اللّخمىّ الإسكندرىّ . كان فقيهاً متفنّنا فى العلوم، صالحا عظيماً ، صحب جماعة من الأولياء ، وتخلّق بآدابهم. صنّف شرح العمدة وشرح الأربعين النوويّة وغير ذلك . وُلِد سنة أربع وخمسين وستمائة ومات سنة أربع وثلاثين وسبعمائة [4] .

---

(١) الديباج المذهب ٣٢٨ .
(٢) الدرر الكامنة ٣ : ١٢٧ .
(٣) الدرر الكامنة ٤ : ١٧٤ .
(٤) الدرر الكامنة ٣ : ١٧٨ .

٧٥ ـ عبد الواحد بن شرف الدين بن المنيّر ، ابن أخي القاضي ناصر الدين . قال ابن فَرْحون : كان شيخ الإسكندريّة ، ويلقب بعزّ القضاة ، فاضلاً أديبا عُمّر وانتفع به الناس ، أخذ الفقه عن عَمّيْه ناصر الدين وزين الدين ، وألّف تفسيراً في عشرة مجلدات . ولد سنة إحدى وخمسين وستمائة ، ومات سنة ست وثلاثين وسبعمائة (١) .

٧٦ ـ ابن الحاج صاحب المدخل ، أبو عبد الله بن محمد بن محمد العبدريّ الفاسيّ . أحد العلماء العاملين المشهورين بالزُّهد والصلاح ، من أصحاب أبي محمد بن أبي جمرة ، كان فقيهاً عارفا بمذهب مالك ، وصحِب جماعة من أرباب القلوب . مات بالقاهرة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة (٢) .

٧٧ ـ ابن القويع ركن الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن التُّوسيّ ، نزيل القاهرة . قال ابن فَرْحون : شيخ المالكية بالديار المصرية والشامية ، العلامة الفريد في فنون العلم ، لم يُخلّف بعده مثله ، ولد سنة أربع وستين وستّمائة ، ومات بالقاهرة سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة (٣) .

٧٨ ـ أبو الحسين بن أبي بكر الكنديّ ، قاضي الإسكندرية . شيخ العلماء ، وحيد عصره وفريد زمانه ، حدّث عن الدِّمياطيّ ، وصنّف وأفتى ، وانتفع به الناس . ولد سنة أربع وخمسين وستّمائة ، ومات سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، ذكره ابن فَرْحون .

٧٩ ـ الزَّواويّ عيسى بن مسعود أبو الرّوح . كان فقيهاً عالما متفنّنا ، انتفع به الناس ، وانتهت إليه رياسة المالكيّة بالديار المصرية والشاميّة ، وله تصانيف ؛ منها شرح

(١) الديباج المذهب ١٧٧ ، والدرر الكامنة ٢ : ٤٢٢ ، واسمه هناك : « عبد الواحد بن منصور » .
(٢) الديباج المذهب ٣٢٧ ، والدرر الكامنة ٤ : ٢٣٧ .
(٣) الدرر الكامنة ٤ : ١٨١ .

مسلم وشرح مختصر ابن الحاجب ، وشرح المدوّنة ، وتاريخ ومناقب مالك ، والردّ على ابن تيميّة فى مسألة الطلاق . ولد سنة أربع وستين وستمائة ، ومات بالقاهرة سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة (١) .

٨٠ — جمال الدين عبدالله بن محمد المسيلىّ العلاّمة البارع . صاحب المصنّفات البديعة. مات بالقاهرة سنة أربع وأربعين وسبعمائة .

٨١ — عيسى بن مخلوف بن عيسى المغيلىّ . قال ابن فرحون : كان من فضلاء المالكية وأعيانهم بالديار المصرية ، ولى القضاء بها ؛ فحمِدت سيرتُه . مات سنة ست وأربعين وسبعمائة (٢) .

٨٢ — قاضى الديار المصرية تقىّ الدين محمد بن أبى بكر السعدىّ المعروف بابن الأخنائىّ . كان فقيها صالحا ، سمع من الدّمياطى ، وله تصانيف حسنة ، وكان من عدول القضاة وخيارهم ، وكان بقية الأعيان وفقهاء الزمان . ولد سنة ثمان وخمسين وستمائة ، ومات سنة خمسين وسبعمائة (٣) .

٨٣ — خليل بن إسحاق الجندىّ ، أحد أئمة المالكيّة بالقاهرة ، وصاحب المختصر المشهور ، وله أيضاً شرح مختصر ابن الحاجب، ومناسك الحجّ وغير ذلك ، تفقّه بالشيخ عبد الله المنوفىّ ، وكان ممّن جمع بين العلم والعمل ، والزهد والتقشف . تخرّج به جماعة من الفضلاء ، ومات سنة سبع وستين وسبعمائة (٤) .

٨٤ — الرُّهونىّ شرف الدين يحيى بن عبدالله الفقيه المالكىّ . قال الحافظ ابن حجر : أصله من المغرب ، واشتغل ومهر واشتهر ، ودرّس بالشيخونيّة ، ودرّس الحديث فى

---

(١) الدرر الكامنة ٣ : ٢١٠ . (٢) الديباج المذهب ١٨٤ .

(٣) الإخنائى ، بالكسر ، نسبة لإخنا ، مقصورة ، بلدة بقرب الإسكندرية من الغربية . الضوء اللامع ١١ : ١٨٣ .

(٤) الدرر الكامنة ٢ : ٨٦ .

الصّرغتمشيّة ، وأفتى . وله تخاريج وتصانيف ، تخرّج به المصريون . مات فى ثالث شوال سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، ورثاه ابن الصائغ [١] .

٨٥ ـ القَفْصِىّ عبد الله بن عبد الرحمن المالكىّ . قال ابن حجر : كان مشهوراً بالعلم منصوبا للفتوى ، مات فى رمضان سنة ست وسبعين وسبعمائة [٢] .

٨٦ ـ الإخنائى برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبى بكر ، كان شافعيًّا ، ثم تحول مالكيا كعمّه ، وولى الحِسْبة ، ونظر الخزانة ، وناب فى الحكم ، ثم وَلِىَ القضاء استقلالاً سنة ثلاثين وستمائة ، فاستمرّ إلى أن مات . وكان مهيباً صارماً قوالاً بالحق ، قائماً بنصر الشرع ، رادعاً المفسدين . صنّف مختصراً فى الأحكام ، مات فى رجب سنة سبع وسبعين وسبعمائة .

٨٧ ـ ناصر الدين أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عطاء الله الزّبيرىّ الإسكندرانىّ . تفقّه ومهر ، وفاق الأقران فى العربيّة ، وشرح التّسهيل ومختصر ابن الحاجب ، ووليَ قضاء الديار المصرية . مات فى رمضان سنة إحدى وثمانمائة .

٨٨ ـ ابن مكين شمس الدين محمد بن محمد بن إسماعيل البكرىّ . برع فى الفقه ، ووَلِىَ تدريس الظاهريّة وعُيّن للقضاء فامتنع ، مات فى ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة ، وقد بلغ الستين [٣] .

٨٩ ـ بَهرام بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر ، بن عوض . ولد سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، وأخذ عن الشيخ خليل وغيره ، وصنّف الشامل فى الفقه ، وشرح مختصر

---

(١) الدرر الكامنة ٤ : ٤٢١ ، وشذرات الذهب ٦ : ٢٣٠ ، وفيه : « الرهونى ـ نسبة إلى زرهون ، جبل قريب من فاس .

(٢) القفصى : منسوب إلى قفصة : مدينة بالمغرب ، قرب القيروان .

(٣) الضوء اللامع ٩ : ٥٤ .

الشيخ خليل ، وشرح أصول بن الحاجب ، وشرح ألفيّة بن مالك وغير ذلك ، وولى تدريس الشيخونيّة وقضاء المالكية ، أجاز للكمال الشُّمُنِّىّ ، ومات فى جمادى الآخرة سنة خمس وثمانمائة[1] .

٩٠ ـ ابن خلدون قاضى القضاة ولىّ الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمىّ . ولد سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، وسمع من الواديآشىّ وغيره ، وأخذ الفقه عن قاضى الجماعة ابن عبد السلام وغيره ، وبرع فى العلوم ، وتقدم فى الفنون ، ومهر فى الأدب والكتابة ، وولى كتابة السرّ بمدينة فاس ، ثم دخل القاهرة فولِىَ مشيخة البيبرسيّة وقضاء المالكية ، وصنّف التاريخ الكبير . مات فى رمضان سنة ثمان وثمانمائة[2] .

٩١ ـ البساطىّ قاضى القضاة شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان شيخ الإسلام ، ولد سنة ست وخمسين وسبعمائة ، وبرّز فى الفنون ، ودرّس بالشيخونيّة وغيرها ، ووَلِىَ قضاء المالكية ، وصنف تصانيف ، مات فى رمضان سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة[3] .

٩٢ ـ الشيخ عبادة بن علىّ بن صالح بن عبد المنعم الأنصارىّ الزرزائىّ الإمام العلامة . ولد فى جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، ومهر فى الفقه والأصلين والعربيّة ، وصار رأس المالكيّة ، وعُيِّن للقضاء بعد موت البساطىّ فامتنع ، فألحّ عليه ، فتغيّب إلى أن وُلِّىَ غيرُه ، وولى تدريس الأشرفية والشيخونية والظاهرية ، وانقطع فى آخر عمره إلى الله تعالى ، وأعرض عن الاجتماع بالناس ، وامتنع من الإفتاء . مات فى شوال سنة ست وأربعين وثمانمائة[4] .

---

(١) الضوء اللامع ٣ : ٢٠ .

(٢) الضوء اللامع ٤ : ١٤٥ .

(٣) الضوء اللامع ٧ : ٥ .

(٤) الضوء اللامع ٤ : ١٦ .

ذكر من كان بمصر من الفقهاء الحنفية

١ ـ إسماعيل[١] بن سبيع[١] الحنفيّ أبو محمد الكوفى قاضى مصر . روى عن أبى رَزِين وأبى مالك . روى عنه إسرائيل ، وحفص بن غياث ، وخرّج له مسلم وأبو داود والنَّسائىّ [٢] .

٢ ـ القاضى بكار بن قتيبة بن أسد الثقفى ـ من ولد أبى بكرة الصحابىّ البصرىّ. أبو بكر الفقيه قاضى الديار المصرية ، سمع أبا داود الطيالسىّ وأقرانه ، روى عنه أبو عَوانة فى صحيحه وابن خُزيمة ، وولّاه المتوكل القضاء بمصر سنة ست وأربعين ومائتين ، وله أخبار فى العدْل والعفّةِ والنّزاهة والورع، وتصانيف فى الشروط والوثائق والردّ على الشافعىّ فيما نقضه على أبى حنيفة . ولد سنة اثنتين وثمانين ومائة ، ومات فى ذى الحجة سنة سبعين ومائتين[٣] .

٣ ـ أحمد بن أبى عمران موسى بن عيسى البغدادىّ الإمام أبو جعفر الفقيه قاضى الديار المصرية . من أكابر الحنفية ، تفقّه على محمد بن سماعة ، وحدّث عن عاصم بن علىّ وطائفة ، وروى الكثير ، وهو شيخ الطحاوىّ . مات فى المحرم سنة خمس وثمانين ومائتين بمصر ، ووثّقه ابنُ يونس فى تاريخه[٤] .

٤ ـ الطحاوى مرّ[٥] .

٥ ـ الحسن بن داود بن بابشاذ أبو الحسن المصرىّ . قال ابن كثير : قدم بغداد ،

---

(١) فى الأصول : « سميع » ، وصوابه من الجواهر المضية .

(٢) الجواهر المضية ١ : ١١٩ .

(٣) الجواهر المضية ١ : ١٦٨ .

(٤) الجواهر المضية ١ : ١٢٦ .

(٥) ص ٣٥٠ ، وهو على بن أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى ، وانظر الجواهر المضية ١ : ٣٥٢ .

وكان من أفاضل النّاس وعلمائهم بمذهب أبي حنيفة ، مفرط الذكاء قويّ الفهم . مات ببغداد سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، ولم يبلغ من العمر أربعين سنة[١] .

٦ ـ عبد المعطى بن مسافر بن يوسف بن الحجاج أبو محمد الرشيدىّ ؛ من أصحاب الفقيه أبي بكر محمد بن إبراهيم الرازىّ نزيل الإسكندرية ، كان إماماً حنفيًّا ، سمع منه السِّلفيّ بالإسكندرية ، وقال : سألتُه عن مولده ، فقال : سنة ستين وأربعمائة[٢] .

٧ ـ عبد الله بن محمد بن سعد الله الجريرىّ . يعرف بابن الشاعر ، برع في مذهب أبي حنيفة ، وقدم صحبة صلاح الدين بن أيوب مصر ، فأقام بها يفتى ويدرّس بالمدرسة السيوفيّة ويعظ ، إلى أن مات سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، ومولده في صفر سنة ثلاث عشرة ببغداد .

٨ ـ الحسين بن أحمد بن الحسين بن سعيد بن علىّ بن بُندار الإمام أبو الفضل الهمدانىّ اليزدىّ . كان تحت يده في بلاده اثنتا عشرة مدرسة ، فيها من الطلبة ألف ومائتا طالب ، قدم من جُدّة إلى قوص ، فمات بها سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ، وحُمِل إلى مصر ميتا ، فدفن بسفح المقطم[٣] .

٩ ـ محمد بن يوسف بن علىّ بن محمد الغزنوىّ الإمام أبو الفضل . أحد الفقهاء والقرّاء والرواة المسنِدين ، تفقّه على عبد الغفور بن لقمان الكردىّ ، وسمع الحديث من أبي الفضل بن ناصر ، روى عنه الرشيد العطّار والمنذرىّ بالإجازة ، ولد سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، ومات بالقاهرة سنة تسع وتسعين[٤] .

١٠ ـ عبد الوهاب الحنفىّ أبو محمد بن النحاس المعروف بالبدر بن الجنّ[٥] . قال ابن العديم : تفقّه وبرع في المذهب ، وأفتى ، وكان مجيدا في مناظرته ، فريدا في محاورته

(١) الجواهر المضيئة ١ : ١٩٢ .
(٢) الجواهر المضيئة ١ : ٣٣٠ .
(٣) الجواهر المضيئة ١ : ٢٠٧ .
(٤) الجواهر المضيئة ٢ : ١٤٨ .
(٥) شذرات الذهب : « المجرد » .

ناظر الفحول الواردين من وراء النهر وخُراسان . قدم القاهرة ودرّس بالسيوفيّة ، ومات بها سنة تسع وتسعين وخمسمائة [(١)] .

وله ولد يقال له محمد .

١١ ـ عبد القوىّ بن عبد الخالق بن وحشىّ المسكىّ الكنانىّ المصرىّ أبو القاسم . كان فقيها حنفيًّا ، فاضلا حسن الكلام فى مسائل الخلاف ، مناظراً أديبا شاعراً . أخذ عن أبى موسى وغيره ، ورحَل إلى بغداد وأصبهان ونيسابور ، ومات ببُخارى سنة اثنتين وخمسين وستمائة ، وقد جاوز الخمسين [(٢)] .

١٢ ـ الملك المعظم عيسى بن أبى بكر بن أيوب . ولد بالقاهرة سنة ست وسبعين وخمسمائة ، وبرع فى الفقه والأدب ، وشرح الجامع الكبير ، وصنّف فى العروض . ملك دمشق ثمانى سنين وأشهرا ، مات فى ذى الحجة سنة أربع وعشرين وستمائة [(٣)] .

١٣ ـ علىّ بن أحمد بن محمود العماد بن الغزنوىّ أبو الحسن . كان فقيها فاضلا، درّس بالسيفيّة وغيرها . ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، ومات فى جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة [(٤)] .

١٤ ـ إسماعيل بن إبراهيم بن غازى الماردينىّ أبو الطاهر . يعرف بابن فلوس ، كان عالمًا مبرّزاً فى الفقه ، له يد طولى فى الأصلين ، ويعرف الطبّ والمنطق والحكمة وعلوم الأوائل . قدم مصر ودرّس بها . وذكره القطب فى تاريخ مصر . ولد سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، ومات بدمشق سنة سبع وثلاثين وستمائة [(٥)]

١٥ ـ عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز اللخمىّ وجيه الدين أبو القاسم القوصىّ الفقيه النحوىّ . قال الحافظ الدمياطىّ : كان متبحرّاً فى مذهب أبى حنيفة ، درّس وناظر،

---

(١) شذرات الذهب ٤ : ٣٤١ .

(٢) الجواهر المضية ١ : ٣٢٥ .

(٣) الجواهر المضية ١ : ٤٠٢ .

(٤) الجواهر المضية ١ : ٣٥٢ .

(٥) الجواهر المضية ١ : ١٤٤ .

وطال عمره . وله تصانيف فى علوم عديدة ، نظماً ونثراً ، تفقّه على عبد الله بن محمد بن سعد البَجَلِىّ مدرس السيوفية ، وأخذ النحو عن ابن برِّىّ . ولد بقُوص سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، ومات بالقاهرة فى ذى القعدة سنة ثلاث وأربعين وستمائة [١] .

١٦ – عمر بن أحمد بن هبة الله الصاحب كمال الدين بن العديم الحلبىّ ، الملقب رئيس الأصحاب . الإمام العالم المحدّث المؤرخ الأديب الكاتب البليغ . ولد بحلب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وبَرَع وساد ، وصار أوحد عصره فَضْلاً ونبلاً ، ورياسة ، ألّف فى الفقه والحديث والأدب ، وله تاريخ حَلب . مات بمصر فى جُمادى الأولى سنة ستين وستمائة ، ودفن بسفح المقطم [٢] .

١٧ – ولده مجد الدين عبد الرحمن . كان عالماً بالمذهب ، عارفاً بالأدب ؛ وهو أول حنفىّ خطب بجامع الحاكم ، وأوّل حنفىّ درّس بالظاهرية حين بناها الظاهر بيبرس بالقاهرة ، ثم ولى قضاء الشام ، وانتهت إليه رياسة الحنفيّة بمصر والشام . ولد سنة ثلاث عشرة وستمائة ، ومات فى ربيع الآخر سنة سبع وسبعين [٣] .

١٨ – الصّدر سُليمان بن أبى العزّ بن وهيب بن عطاء الأذرعىّ العلاّمة . قال الصفدىّ : كان إماماً عالما متبحّراً عارفا بدقائق الفقه وغوامضه ، انتهت إليه رياسة الأصحاب بمصر والشام ، تفقّه على الجمال الحصيرىّ وغيره ، وسكن مصر ، وحكم بها ، ووَلِىَ بها قضاء العسكر ، ودرّس بالصالحيّة ، ثم وَلِىَ قضاء الشام . مات سنة سبع وسبعين وستمائة عن ثلاث وثمانين سنة . وله مؤلفات [٤] .

١٩ – لؤلؤ بن أحمد بن عبد الله الضّرير أبو الدّر نجيب الدين . قال الدّمياطىّ :

---

(١) الجواهر المضية ١ : ٣٠٤ . (٢) الجواهر المضية ١ : ٣٨٦ .
(٣) الجواهر المضية ١ : ٣٠٣ .
(٤) الجواهر المضية ١ : ٢٥٢ ، واسمه هناك : « سليمان بن وهيب أبو الربيع بن أبى العز » .

كان عارفاً بالفقه والنّحو ، تصدّر للإقراء بجامع الحاكم ، وأعاد بالسيوفيّة . ولد سنة ستمائة ، ومات فى رجب سنة اثنتين وسبعين [١] .

٢٠ ـ أبو بكر بن محمد بن عبد الله القزوينى الأصل الإسنوىّ المولد جمال الدين . برع فى مذهب أبى حنيفة ، وأكبّ على العبادة ، واشتهر ، وقصده النّاس للاشتغال عليه ، ودرّس بالصالحية والسيوفيّة . مات بالقاهرة فى حدود الثمانين وستمائة ، ذكره فى الطالع السعيد [٢] .

٢١ ـ النعمان بن الحسن بن يوسف الخطيبىّ معزّ الدين . قاضى الحنفيّة بالديار المصرية . كان عارفاً بالمذهب ، خيّراً ، مات بالقاهرة فى شعبان سنة اثنتين وتسعين وستمائة [٣] .

٢٢ ـ علىّ بن نصر بن عمر الإمام نور الدين بن السوسىّ . ناب فى الحكم بالقاهرة عن ابن بنت الأعزّ ، وجمع كتابا فيه زوائد الهداية على القُدورىّ . مات فى جمادى الأولى سنة خمس وتسعين وستمائة [٤] .

٢٣ ـ ابن النقيب الإمام المفسر العلامة المفتى جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن حسن البلخىّ ثم المقدسىّ . مدرس العاشوريّة بالقاهرة . ولد فى شعبان سنة إحدى عشرة وستمائة ، وقدم مصر ، فسمع بها من يوسف بن المخيلىّ ، وأقام مدّة بالجامع الأزهر ، وصنّف تفسيراً كبيرا إلى الغاية ، وكان إماماً عابدا زاهدا أمّارا بالمعروف ، كبير القدر ، يُتبرّك به بدعائه وزيارته . مات بالقُدْس فى المحرّم سنة ثمان وتسعين . ذكره فى العبر [٥] .

---

(١) الجواهر المضية ١ : ٤١٦ .

(٢) الطالع السعيد ٤٢٦ ، واسمه فيه « أبو بكر بن محمد ابن إبراهيم » .

(٣) الجواهر المضية ٢ : ٢٠١ .

(٤) انظر الجواهر المضية ١ : ٣٨١

(٥) الجواهر المضية ٢ : ٣٨٢ .

٢٤ — حسام الدين الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنُوشروان الرازىّ . كان إماماً علّامة ، كثير الفضائل . ولِىَ قضاء الحنفيّة بالديار المصرية وقضاء الشام ، وعدم فى وقعة التتار سنة تسع وتسعين وستمائة ، ومولده فى المحرّم سنة إحدى وثلاثين [١] .

٢٥ — السُّروجىّ العلّامة شمس الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى . كان بارعاً فى علوم شتّى ، تفقّه على الصّدر سليمان ، وشرح الهداية ، وولِىَ قضاءالديارالمصرية . مات فى ربيع الآخر سنة إحدى وسبعمائة ، ومولده سنة سبع وثلاثين وستّمائة [٢] .

٢٦ — رشيد الدين إسماعيل بن عثمان بن المعلّم القرشىّ الدمشقىّ العلامة شيخ الحنفيّة . سمع من ابن الزبيدىّ وغيره ، وتفرّد ، وتلا على السخاوىّ ، وأفتى ودرّس ، وسكن القاهرة من سنة خمس وخمسين وسبعمائة إلى أن مات بها فى رجب سنة أربع عشرة عن إحدى وتسعين سنة . وله ولد يقال له تقىّ الدين مُفْتٍ أيضا ، مات قبل والده بقليل [٣] .

٢٧ — شمس الدين محمد بن عثمان بن أبى الحسن الدمشقىّ الحريرىّ قاضى الديار المصرية . كان رأساً فى المذهب ، عادلاً مهيباً ، حدّث عن ابن الصّيرفىّ وابن أبى اليسر والقُطب بن أبى عَصْرون . ولد فى صفر سنة ثلاث وخمسين وستّمائة ، ومات فى جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة [٤] .

٢٨ — علاء الدين علىّ بن بلبان الفارسىّ أبو الحسن المصرىّ . ولد سنة خمس وسبعين وستّمائة ، وسمع من الدّمياطىّ وتفقّه بالسروجىّ ، وبرع فى المذهب وأصوله ، وشرح الجامع الكبير ، ورتّب صحيح ابن حِبّان على الأبواب ، ورتّب معجم الطّبرانِىّ على الأبواب ، وشرح التلخيص للخلاطىّ . مات بالقاهرة فى شوال سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة [٥] .

---

(١) الجواهر المضية ١ : ١٨٧ .
(٢) الجواهر المضية ١ : ٥٣ .
(٣) الجواهر المضية ١ : ١٥٤ .
(٤) الجواهر المضية ٢ : ٩٠ .
(٥) الجواهر المضية ١ : ٣٥٤ .

٢٩ — برهان الدين بن علىّ بن أحمد بن علىّ ، سِبْط ابن عبد الحق الواسطىّ قاضى الديار المصرية . روى عن جدّه وابن البخارىّ ، وكان إماما عالما ، فقيها عارفا بغوامض المذهب ، محدّثا ، درّس وناظر ، وصنّف شرح الهداية وغيره ، واختصر سنن البيهقىّ الكبير . مات فى ذى الحجة سنة أربع وأربعين وسبعمائة .

٣٠ — فخر الدين عثمان بن إبراهيم بن مصطفى الماردينىّ المشهور بابن التركمانىّ . شيخ الأصحاب فى وقته ، انتهت إليه رياسة الحنفيّة بالديار المصرية ، وتخرّج به خلق كثير ، وشرح الجامع الكبير ، وألقاه دروسا بالمنصوريّة . مات بالقاهرة فى رجب سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ، عن إحدى وثمانين سنة [١] .

وله ولدان :

٣١ — أحدهما : تاج الدين أحمد . ولد بالقاهرة فى ذى الحجة سنة إحدى وثمانين وستمائة ، وتفقه ودرّس ، وأفتى وصنّف فى الفقه وأصوله والفرائض والنّحو والهيئة والمنطق . ومن تصانيفه شَرْح الهداية ، وشرح الجامع الكبير . مات بالقاهرة سنة أربع وأربعين وسبعمائة [٢] .

٣٢ — والآخر : علاء الدين علىّ . ولد سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة ، وكان إماماً فى الفقه والأصول ، والحديث ، ملازماً للاشتغال ، والإفادة . له تصانيف بديعة منها مختصر الهداية ، ومختصر علوم الحديث لابن الصلاح ، والردّ على البيهقىّ : ولىَ قضاء الديار المصرية ، ومات فى المحرّم سنة خمس وأربعين وسبعمائة [٣] .

وله ولدان :

٣٣ — أحدهما : عبد العزيز ، كان فقيها فاضلا ، درس بعدّة أماكن . مات بالطاعون سنة تسع وأربعين فى حياة أبيه [٤] .

(١) الجواهر المضية ١ : ٣٤٥ .
(٢) الجواهر المضية ١ : ٧٧ .
(٣) الجواهر المضية ١ : ٣٦٦ .
(٤) الجواهر المضية ١ : ٣٢٠ .

٣٤ ـ والآخر : جمال الدين عبد الله . وَلِىَ قضاء الديار المصرية بعد موت أبيه ، ودرّس الحديث بالكاملية بنزولٍ من القاضى عزّ الدين بن جماعة ، ودرّس التفسير بجامع ابن طولون ، وأفتى وصنّف . ولد سنة تسع عشرة وسبعمائة ، ومات فى شعبان سنة تسع وستين (١) .

٣٥ ـ ولده صدر الدين محمد . أفتى ودرّس ، ووَلِىَ قضاء الديار المصرية . ولد سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، ومات شابًّا فى ذى القعدة سنة ست وسبعين .

٣٦ ـ الزّيلعى شارح الكنز فخر الدّين عثمان بن علىّ بن محجن البارعىّ . قدم القاهرة سنة خمس وسبعمائة ، ودرّس وأفتى ، ونشر الفقه ، وانتفع به الناس . مات فى رمضان سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، ودفن بالقرافة (٢) .

٣٧ ـ أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم تاج الدين أبو محمد القيسىّ . جمع الفقه والنحو واللغة ، وصنّف تاريخ النّحاة ، والدرّ اللقيط من البحر المحيط . ولد فى ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين وستمائة ، ومات سنة تسع وأربعين وسبعمائة (٣) .

٣٨ ـ أمير كاتب بن أمير عمر بن أمير غازى قوام الدين أبو حنيفة الإتقانىّ . درّس ببغداد ودمشق ، ثم قدم إلى مصر فدرّس بالجامع الماردانىّ ، وبالصُّرغُتمشية أوّلَ ما فُتِحت . وكان رأساً فى مذهب الحنفيّة ، بارعاً فى الفقه واللغة والعربية . صنّف شرحَ الهداية ، وشرح الأخسيكثىّ ، ورسالة فى عدم صحّة الجمعة فى موضعين من البلد . ولد فى شوال سنة خمس وثَمانين وستّمائة ، ومات فى شوال سنة ثمان وخمسين وسبعمائة (٤) .

٣٩ ـ السراج الهندىّ عمر بن إسحاق بن أحمد الغزنوىّ قاضى القضاة بالديار المصرية . تفقّه على الوجيه الرازىّ ، والسِّراج الثّقفِىّ ، وصنّف شرح الهداية ، والشامل

(١) الجواهر المضية ١ : ٢٧٨ .
(٢) الجواهر المضية ١ : ٣٤٥ .
(٣) الجواهر المضية ١ : ٧٥ .
(٤) الفوائد البهية ٥٠ .

فى الفروع ، وشرح البديع ، وشرح المغنى وشرح تائيّة ابن الفارض ، وغير ذلك .
مات سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة [١] .

٤٠ ـ عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سلّام ، محيى الدين أبو محمد بن أبى الوفا القرشىّ . درّس وأفتى ، وصنّف شرح معانى الآثار ، وطبقات الحنفيّة [٢] ، وشرح الخلاصة ، وتخريج أحاديث الهداية وغير ذلك . ولد سنة ست وسبعين وستّمائة ، ومات فى ربيع الأول سنة خمس وسبعين وسبعمائة [٣] .

٤١ ـ ابن الصائغ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن على الزمردىّ . برع فى الفقه والعربيّة والأدب ، ودرّس وأفاد ، وله تصانيف فى فنون ، من ذلك شرح ألفيّة ابن مالك ، وشرح البُرْدة ، وشرح مشارق الأنوار . مات فى شعبان سنة سبع وسبعين وسبعمائة [٤] .

٤٢ ـ أحمد بن علىّ بن منصور بن شرف الدين أبو العباس الدمشقىّ . ولىَ القضاء بالديار المصرية ، واختصر المختار فى الفقه ؛ وسمّاه التحرير ، وعلّق عليه شرحاً ، وله تصانيف أُخَر . مات فى شعبان سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة [٥] .

٤٣ ـ أكمل الدّين محمد بن محمد بن محمود البابرتىّ علامة المتأخرين ، وخاتمة المحققين . برَع وساد ، ودرّس وأفاد ، وصنّف شرح الهداية ، وشرح المشارق ، وشرح المنار ، وشرح البزدوىّ ، وشرح مختصر ابن الحاجب ، وشرح تلخيص المعانى والبيان ، وشرح ألفيّة ابن معطٍ ، وحاشيته على الكشّاف ، وغير ذلك . ووَلىَ مشيخة الشيخونيّة أول مافتحت ، وعُرِض عليه القضاء فأبى . مات فى رمضان سنة ست وثمانين وسبعمائة [٦] .

---

(١) الفوائد البهية ١٤٩ .
(٢) هو الكتاب المسمى بالجواهر المضية ، طبع فى حيدر آباد سنة ١٣٣٢ .
(٣) الفوائد البهية ٩٩ .
(٤) الفوائد البهية ١٧٥ .
(٥) الفوائد البهية ٢٨ .
(٦) الفوائد البهية ١٩٥ .

٤٤ — جلال بن أحمد بن يوسف التّبانيّ . أخذ عن القوام الإتقانيّ والقوام السكاكي وابن عَقيل وابن هشام ، وكان فقيهاً أصولياً نحوياً بارعاً ، تنصّبَ للاشتغال والفتوَى مدة طويلة ، وسُئل بقضاء مصر فلم يرضَ ، ووَلِيَ تدريس الصُّرْغتمشيّة ومدرسة الجائيّ . وله تصانيف ، منها شرح المنار ورسالة فى عدم جواز صحة الجمعة فى مواضع . مات فى رجب سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة .

٤٥ — العجميّ جمال الدين محمود بن عليّ القيصريّ . قدم القاهرة قديماً ، واشتغل بالفنون ، ومهر . ووليَ الحسبة مرارا ، ونَظَر الجيش ، وقضاء الحنفيّة ومشيخة الشيخونيّة والصُّرْغتمشيّة ، ودَرّس التفسير بالمنصورية ، ودرّس الحديث بهـا . مات فى سابع ربيع الأوّل سنة تسع وتسعين وسبعمائة (١) .

٤٦ — الطرابلسيّ قاضى القضاة شمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر . تفقه بالسّراج الهنديّ وغيره ، وكان فقيهاً مشاركا فى الفنون ، عارفا بالوثائق ، خبيرا بالأقضيَة . ووَلِيَ القضاء بالقاهرة مرّتين ، ومات فى ذى الحجة سـنة تسع وتسعين وسبعمائة ، وقد زاد على السبعين .

٤٧ الـكُلُسْتانيّ بدر الدين محمود بن عبد الله . اشتغل ببلاده ، وقدِم القاهرة فوَلِيَ مشيخة الصُّرغتمشيّة . وله نظم السّراجية فى الفرائض وغيره ، وكان بارعاً فى الفنون . مات سنة إحدى وثمانمائة (٢) .

٤٨ — القاضى مجد الدّين إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن موسى الـكنانيّ البِلبيسيّ . تخرّج بمُغلطاى والترّكمانى ، ومهر فى الفقه والفرائض ، وشارك فى الأدب ، وله

(١) الفوائد البهية ٢٠٩ .

(٢) الضوء اللامع ١٠ : ١٣٦ ؛ واسمه فيه : « محمود بن عبد الله أبو الثناء الصرائى ثم القاهرى الحنفى » . قال : « الـكلستانى ، بضم الـكاف واللام ثم مهملة ، لـكونه كان فى مبدئه يكثر من قراءة السعدى العجمى الشاعر المسمى كلستان ؛ وهو بالتركى والعجمى : حديقة الورد » .

تأليف فى الفرائض ، واختصر الأنساب للرُّشاطِىّ ، ووَلِىَ قضاء الحنفيّة بالقاهرة . مات فى ربيع الأوّل سنة اثنتين وثمانمائة (١) .

٤٩ ــ المَلَطىّ يوسف بن موسى بن محمد بن أحمد . اشتغل بحلب حتى مهر ، ثم دخل إلى الديار المصرية ، وتفقّه على القوام الإتقانىّ وغيره ، وأفتى ودرّس ، وولى قضاء الحنفيّة بالقاهرة . مات فى ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانمائة ، وقد قارب الثمانين .

٥٠ ــ الدَّيْرِىّ قاضى القضاة شمس الدين محمد بن عبد الله المقدسىّ . وولد بعد سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، واشتغل وواظب ، ومهر فى الفنون ، وناظر العلماء ، واستدعاه المؤيّد ، فقرّره فى قضاء الحنفيّة وفى مشيخة المؤيّدة . مات فى ذى الحجّة سنة سبع وعشرين وثمانمائة (٢) .

٥١ ــ قارئُ الهداية سراج الدين عمر بن علىّ . كان فى أول أمره خيّاطاً بالحُسَينيّة ، ثم اشتغل ومَهر فى الفقه إلى أن صار المشار إليه فى مذهب الحنفيّة ، وكثرت تلامذته والآخذون عنه ، ووَلِىَ مشيخة الشيخونيّة ، ومات فى ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وثمانمائة ، وقد نيّف على الثمانين (٣) .

٥٢ ــ التَّفَهْنِىّ قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن بن علىّ بن عبد الرحمن بن علىّ ابن هاشم . قال الحافظ ابن حجر : لازم الاشتغال فمَهَر فى الفقه والعربيّة والمعانى ، واشتهر اسمه وناب فى الحكم ، ثم قرأ تدريس الصُّرغتمشيّة ومشيخة الشيخونيّة ، ثم قضاء الحنفيّة . ومات ــ قيل ــ مسموما فى شوّال سنة خمس وثلاثين وثمانمائة (٤) .

٥٣ ــ العَيْنِىّ قاضى القضاة بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود . ولد فى رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، وتفقّه ، واشتغل بالفنون ،

(١) الضوء اللامع ٢ : ٢٦٨ .
(٢) الفوائد البهية ١٧٨ . قال : « الديرى ، نسبة إلى دير قرية بدمشق » .
(٣) الضوء اللامع ٦ : ١٠٠ . (٤) الفوائد البهية ٨٨ .

وبرع ومهر ودخل القاهرة ، وولى الحسبة مرارا وقضاء الحنفية ، وله تصانيف ؛ منها شرح البخارى وشرح الشواهد ، وشرح معانى الآثار ، وشرح الهداية وشرح الكنز ، وشرح المجمع ، وشرح درر البحار ، وطبقات الحنفية . وغير ذلك . مات فى ذى الحجة سنة خمس وخمسين وثمانمائة (١) .

٥٤ ــ ابن الهمام العلامة كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسى ثم السكندرى . ولد تقريبا سنة تسعين وسبعمائة ، وتفقه بالسراج قارئ الهداية وغيره ، وتقدم على أقرانه فى أنواع العلوم ، من الفقه والأصول والنحو والمعانى وغيرها . وكان علامة محققا جدليا نظارا ، قرره الأشرف شيخا فى مدرسته ، فباشرها مدة ثم تركها . وولى مشيخة الشيخونية ثم تركها أيضا . وله تصانيف ، منها شرح الهداية والتحرير فى أصول الفقه . مات فى رمضان سنة إحدى وستين وثمانمائة (٢) .

٥٥ ــ قاضى القضاة سعد الدين سعد بن قاضى القضاة شمس الدين الديرى . ولد فى رجب سنة ثمان وستين وسبعمائة ، وأخذ عن والده وغيره وانتهت إليه رياسة الحنفية فى زمانه ، وولى مشيخة المؤيدية وقضاء الحنفية . وله تصانيف ، منها تكملة شرح الهداية للسروجى . مات سنة سبع وستين وثمانمائة (٣) .

٥٦ ــ شيخنا الشمنى الإمام تقى الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ المحدث ، كمال الدين محمد بن محمد بن حسن التميمى الدارى . قدوة عين الزمان وإنسانها ، وواحد عصره فى العلوم بحيث خضعت له رجالها وفرسانها ، وشجرة المعارف التى طاب أصلها فزكت فروعها وأغصانها ، ورياض الآداب التى فاضت ينابيعها وفاحت زهورها وتنوعت أفنانها . إن أخذ فى التفسير كل عنده الكشاف واختفى ، أو الحديث كان عن ألفاظه الغريبة مزيل الخفا ، أو الفقه عد للنعمان شقيقا ، أو النحو كان للخليل رفيقا ، أو الكلام

(١) الفوائد البهية ٢٠٧ .
(٢) الفوائد البهية ١٨٠ .
(٣) الفوائد البهية ٧٨ .

فلو رآه النظّام اختل نظامُه ، ولو أدركه صاحب المواقف لقال : أنت فى كلّ موقف مقدّمه وإمامه ، أو الأصول، ولو جادله السيف لاختفى فى غمده ، ولقطع له بالإمامة ولم يقطع بحضرته لسان حدّه ، أو الإمام الفخر لقال : ما لأحد أنْ يتقدّم بين يدىْ هذا الحبر ، وخاطبه لسان حاله : أنت إمام الطائفة ، والرازى على فرقة هى عن الحق صادفة ، ولا فخر .

ولد بالإسكندرية فى رمضان سنة إحدى وثمانمائة ، وتلا على الزراتيتى وتفقه بالشيخ يحيى السِّيرامىّ ، وأخذ النحو عن الشمس الشَّطَنوفىّ والحـــديث عن الشيخ ولىّ الدين العراقىّ ، ولازم البساطى فى المعقول ، وبرع فى الفنون ، وسمع الكثير ، وأجاز له العراقىّ والبُلقينى والحلاوىّ والمراغى وغيرهم، وقرأ الفنون، وانتفع به الخلق ، وصنّف حاشية على المغنى ، وحاشية على الشفا وشرح النقاية فى الفقـــه ، وشرح نظم النخبة لأبيه ، وأرفق المسالك لتأدية المناسك. وطُلِب لقضاء الحنفية فامتنع . مات فى ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة [1] .

وقلت أرثيه :

رزءٌ عظيم به تستنزَل العِبَرُ ... وحادثٌ جلّ فيه الخطب والغِيَرُ

رزءٌ مصابُ جميع المسلمين به ... وقلبهمْ منه مكلومٌ ومنكسِرُ

ما فقدُ شيخ شيوخ المسلمين سوى انـــهدام ركنٍ عظيم ليس ينعمرُ

رزيّةٌ عظمت بالمسلمين وقدْ ... عَمّت وطمّت فما للقلب مصطَبرُ

تبــكيــه عينُ أولى الإسلام قاطبةً ... ويضحك الفاجر المسرور والغمر

مَنْ قام بالدّين فى دنياه مجتهدا ... وقام بالعِلمْ لا يألوُ ويقتصِرُ

كُلّ العلوم تناغيه وتُنشِدُهُ ... لما قضى : مهلا يأيها البشر

إذ كان فى كلّ علمٍ آية ظهرتْ ... وما العَيان كمن قد جاءه الخبَرُ

---

(١) الفوائد البهية ٣٧ .

باعٌ طويل يدٌ علياء مع قَدَمٍ ... لها رسوخ سواها ماله ظَفَرُ
النقل والعقل حقا شاهدان رضاً ... بأنه فاق مَنْ يأتى ومَنْ غبَرُوا
أبان عِلْمَ أصولِ الدين متضحاً ... وكم جلا شُبَهاً حارتْ بها الفِكَرُ
وفى الكتاب وفى آياته ظهرتْ ... آياته حين يتلوها ويعتبرُ
محقق كامل الآلات مجتهدٌ ... وما عسى تبلغ الأبيات والسّطرُ !
وفى الحديث أياديه قد انتشرتْ ... آثارُها وشذا فيّاحها العَطِرُ
قدْ توّجَ الفقهَ بالشرح المفيد وقد ... حلّته بالسِيَرا أبحاثه الغُرَرُ
أنعم بنعمان عيناً حين يذكر فى ... أصحابه الشيخ دامتْ فوقه الدُّرَرُ
يسطو بسيف على الرازىّ مفتخراً ... لدى الأصول وما فى القوم مفتخِرُ
كلامه فى علوم العُرْبِ أجمعها ... مغنى اللبيب إذا أعيت به الفِكَرُ
والنّظم فى الرّتبة العلياء فضلته ... يحكيه فيه انسجام القَطْرِ والنّهرُ
على هدى الأقدمين الغرّ منهجُه ... علماً وقولا وفعلا مَا بِهِ نُكُرُ
نقِىّ عرضٍ تقىّ الدين لادَنسٌ ... يَشينُه ، لا ولا فى شأنه غَبَرُ
سعى إليه قضاء العصرِ يخطُبه ... فردّه خائباً زهداً به حَصَرُ
له مكارم أخلاقٍ يسود بها ... أكابر العصر إن طالوا وإن فخَرُوا
وجود حاتمٍ يجرى من أناملِهِ ... لِوَافِدِيه وإنّ قلُّوا وإن كَثُرُوا
له فصاحة سحبانٍ وشاهدها ... إجماع كلّ الورى والنصُّ والنَّظَرُ
لَوْ يحلفُ الخلق بالرحمن إنّ له ... كلّ المحاسن والإحسان ما فجرُوا
عمّ الورى منه علم ماله مددٌ ... ومن فوائده ماليس ينحصرُ
وكلّ أعيان أهل العصر مرتفعٌ ... بالأخذ عنه لعلياه ومفتخرُ
المنهل العذب حقّاً للورود فما ... عن غيره لهم وِرْدٌ ولا صَدَرُ

شيخ الشيوخ ولا أوحشت من سكنٍ ... ولا عفا لك ربعٌ زانه الخفرُ
حياتك الحق فى الدارين ثابتة ... ما العالمون بأمواتٍ وإن قُبِرُوا
قطعت عمرك إمّا ناشراً لهدًى ... أو نافعاً لفتًى قد مسّه الضررُ
على سواك ربيع العلم رونقُه ... محرّمٌ وهمْ من فهمه صفروا
غرست دوحة علمٍ للورى فهمُ ... من مستظلّ ومن دانٍ له الثمر
وكم قصدْتَ إلى إيضاح مشكلةٍ ... أو حلّ معضلةٍ طارتْ بها الشررُ
ولم تَشِنْكَ ولاياتُ القضاء فلا ... تُراع من حاسبٍ يُحصِى ويختبِر
ومَنْ يكنْ عمره التقوَى بضاعته ... فلا يخاف ، ونعم العمر والعُمر
حُزْتَ العلا فى الورَى عِلْماً ومنقبةً ... سوى الذى لك عند الله مدّخَرُ
أبشِرْ بروْحٍ وريحانٍ ودار رضاً ... ورحمةٍ وصفاءٍ مابه كدَرُ
أبشِرْ وبشرِاك صدقٌ مابها ريَبٌ ... كما بها يشهد التنزيل والأثَرُ
يثني عليك جميعُ الخلق قاطبةً ... إنّ الثناء على هذا لَمُعْتَبَرُ
يذَكّر الموتَ قربِ الإنتقال وما ... كمثل موتِ تقيّ الدين مذّكرُ
فاللهُ يخلفُه فى نسله كرماً ... والله أعظم مَنْ يُرْجَى ويُنْتَظَرُ
والله يقضِى بإسراع اللحوق فما ... للقلب بعد هداة الدّين مصطَبرُ
دهرٌ عجيب يطمّ السمع منكرُه ... وما به الهدى عوْنٌ ولا وَزَرُ
وكلّ وقتٍ ترى الأخيار قد ذهبُوا ... وللأشرّة فيه النار تستَعِرُ
حبْرٌ فحَبْرٌ إمامٌ بعد آخر لا ... يرُى لهمْ خلَفٌ كلاّ ولا نُظُرُ
إذا نجوم الهدى والرّشد قد أفلَتْ ... ضلّ الورى فلهمْ فى غيّهم سُكرُ
هم الألى تشرق الدنيا ببهجتها ... لا شمسُها وأبو إسحاق والقمَرُ
وإن تكن أعين الإسلام ذاهبةً ... تترى فعمّا قليلٍ يذهبُ الأثر

٥٧ ـ الشيخ أمين الدين ، الأقصرائى يحيى بن محمد شيخ الحنفيّة فى زمانه . ولد سنة نيِّف وتسعين وسبعمائة ، وانتهت إليه رياسة الحنفية فى زمانه . مات فى أواخر المحرم سنة ثمانين وثمانمائة .

٥٨ ـ الشيخ سيف الدين الحنفىّ محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا البكتمرىّ العلاّمة الورع الزاهد العابد . ولد تقريباً على رأس ثمانمائة ، وأخذ عن السّراج قارئ الهداية والتّفهنىّ ، ولازم ابنَ الهمام ، وانتفع به ، وبرع فى الفقه والأصول والنّحو ، وكان شيخُه ابنُ الهُمام يقول عنه : هو محقّق الديار المصريّة ، مع ماهو عليه من سلوك طريق السّلف والعبادة والخير ، وعدم التردّد إلى أحدٍ أبداً مدّة عمره ، [ولم يُرَ مثله تورّعاً][1] ، وولِىَ التدريس بأماكن ، منها درّس التفسير بالمنصوريّة ، وآخر ماتولى مشيخة المؤيديّة ثم الشيخونية . وله حاشية على التّوضيح كثيرة الفوائد . مات فى ذى القعدة سنة إحدى وثمانين وثمانمائة [2] .

وهو آخر شيوخى موتاً لم يتأخرّ بعده أحد ممّن أخذت عنه العلم إلا رجل قرأت عليه ورقات من المنهاج . وقلت أرثيه :

مات سيفُ الدّين منفردًا	وغدا فى اللّحد منفردًا
عالمُ الدّنيا وصالحها	لم تزل أحواله رَشَدًا
يبكيهِ دينُ النبىّ إذا	ما أتاه ملحِدٌ كمدا
إنما يُبكَى على رجل	قد غدا فى الخير معتمَدا
لم يكن فى دينه وَهْنٌ	لا ولا للكبر منه ردَا
عمره أفناه فى نصبٍ	لإله العرش مجتهدا
من صلاةٍ أو مطالعة	أو كتاب الله مقتصِدًا

---

(١) من ط .

(٢) شذرات الذهب ٧ : ٣٣٢ .

لا يوافيه لمظلمـــةٍ ... بشرٌ أو مدّعٍ فَنَـــدا
فى الذى قد كان من ورعٍ ... لم يخلّف بعـــده أحـــدا
دنت الدنيـــا لمنصرمٍ ... ورحيل النّاس قد أفدا
ليت شعرى مَنْ نؤمِّلهُ ... بعد هذا الحـــبر ملتحدا !
ثُلْمَةٌ فى الدين مَوْتته ... مالها من جابر أبدًا
قد روينـــا ذاك فى خـــبرٍ ... وهو موصول لنا سَنَدَا
فعليه هامعات رضاً ... ومن الغفران سُحْبَ نَدَى
وبُعِثنـــا ضمن زمرته ... مع أهل الصّدق والشُّهدا

ذكر من كان بمصر من أئمة الفقهاء الحنابلة

هم بالديار المصرية قليل جدًّا ، ولم أسمع بخبرهم فيها إلّا في القرن السابع وما بعده ؛ وذلك أنّ الإمام أحمد رضى الله عنه كان فى القرن الثالث ، ولم يبرز مذهبه خارجَ العراق إلا فى القرن الرابع ، وفى هذا القرن ملكت العُبيديون مصر ، وأفنوا مَنْ كان بها من أئمة المذاهب الثلاثة ، قتلاً ونفياً وتشريداً ، وأقاموا مذهب الرّفض والشّيعة ، ولم يزالوا منها إلى أواخر القرن السادس ، فتراجعت إليها الأئمة من سائر المذاهب .

١ ـ وأول إمام من الحنابلة علمتُ حلولَه بمصر، الحافظ عبد الغنىّ المقدسىّ صاحب العمدة ، وقد مرّت ترجمته فى الحفاظ[1] .

٢ ـ نجم الدين أبو عبد الله أحمد بن حمدان الحرانىّ النُّميرى الحنبلىّ العلّامة الكبير شيخ الفقهاء . مصنّف الرّعاية الكبيرة ، روَى عن عبد القادر الرّهاوىّ وفخر الدين بن تيميّة ،وانتهت إليه معرفة المذهب . مات بالقاهرة فى صفر سنة خمس وتسعين وستمائة ، وله اثنتان وتسعون سنة . قاله فى العبر[2] .

٣ ـ قاضى الديار المصرية عز الدين عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسىّ . قال ابن كثير : سمع الحديث ، وبرع فى المذهب ، ووليَ قضاء الحنابلة بالقاهرة ، وكان مشكور السِّيرة مات فى صفر سنة ست وتسعين وستمائة وله خمس وستون سنة[3] .

قال فى العبر : روى عن ابن اللّتِّى وجعفر الهمذانىّ .

٤ ـ عفيف الدين عبد السلام بن محمد بن مزروع بن أحمد عوارى المصرىّ الحنبلىّ .

---

(١) ص ٣٥٤ .
(٢) شذرات الذهب ٥ : ٤٢٨ .
(٣) البداية والنهاية ١٣ : ٣٥٠ ، وشذرات الذهب ٥ : ٤٣٠ ، وذكره فى وفيات سنة ٦٩٥ .

العالم القدوة . ولد سنة خمس وعشرين وستمائة وسمع الحديث ، وجاور بالمدينة خمسين سنة ، ومات بها فى صفر سنة ست وتسعين[1] .

٥ ــ قاضى القضاة شرف الدين عبد الغنى بن يحيى بن عبد الله الحرّانىّ . لم يكن فى زمانه مثله علما ورياسة . ولد بحرّان سنة إحدى وتسعين وستمائة ، وقدم مصر فولِىَ نظر الخزانة وتدريس الصالحية ثم القضاء ، وكان مشكور السيرة . مات فى ربيع الأول سنة تسع وخمسين وسبعمائة .

٦ ــ سعد الدين الحارثى. مرّ فى الحفاظ[2] .

٧ ــ قاضى القضاة موفق الدين عبد الله بن عبد الملك المقدسىّ . أقام فى القضاء بديار مصر أكثر من ثلاثين سنة . مات فى المحرّم سنة تسع وستين وسبعمائة[3] .

٨ ــ أبو بكر بن محمد العراقىّ ثم المصرىّ تقى الدين الحنبلىّ . قال الحافظ ابن حجر : كان من فضلاء الحنابلة . مات فى جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة[4] .

٩ ــ قاضى القضاء ناصر الدين أبو الفتح نصر الله بن أحمد الكنانىّ العسقلانىّ . أقام فى قضاء الديار المصرية ستا وعشرين سنة ، وكان مشكور السِّيرة . مات فى شعبان سنة خمس وتسعين وسبعمائة .

١٠ ــ ولده برهان الدين إبراهيم . ولد فى رجب سنة ثمان وستين وسبعمائة ، وولِىَ القضاء بعد والده ، وعمره بضع وعشرون سنة ، وسلك طريق أبيه فى الفقه والتعفّف فى الأحكام ، مع بشاشة ولين جانب . وكان الظاهر برقوق يعظّمه . مات فى

---

(١) شذرات الذهب ٥ : ٤٣٦ .

(٢) ص ٣٥٨

(٣) شذرات الذهب ٦ : ٢١٥ .

(٤) شذرات الذهب ٦ : ٢٢٧ .

ربيع الأول سنة اثنتين وثمانمائة [١] .

١١ ـ أخوه موفق الدين أحمد بن القاضي ناصر الدين . ولد في المحرّم سنة تسع وستين وسبعمائة ، ووَلِيَ القضاء مرتين ، ومات في رمضان سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة .

١٢ ـ أبو بكر بن أبي المجد ماجد السعد الحنبليّ عماد الدين . ولد سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ، وسمع من المزيّ والذهبيّ ، وحصّل طرفا صالحا من الحديث ، واختصر تهذيب الكمال ، وسكن مصر ، فقُرِّر طالبا بالشيخونية ، فلم يزل بها حتى مات في جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وثمانمائة . ومن تصانيفه تجريد الأوامر والنواهي من الكتب الستة .

١٣ ـ نور الدين الحكريّ عليّ بن خليل بن عليّ . كان فاضلاً نبيها ،درّس وأفاد ، وليَ قضاء الحنابلة عوضاً عن موفق الدين ، ثم عزل . مات في المحرّم سنة ست وخمسين وثمانمائة [٢] .

١٤ ـ عبد المنعم بن سليمان بن داود بن الشيخ شرف الدين البغداديّ . ولد ببغداد ، واشتغل بها وتفقّه ومهر وأفتى ، ودرّس وأخذ الفقه عن الموفق الحنبليّ وعُيِّن للقضاء غير مرّة ، واستوطن القاهرة إلى أن مات في شوّال سنة سبع وخمسين وثمانمائة [٣] .

١٥ ـ جلال الدين نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر البغداديّ نزيل القاهرة . ولد سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، وأخذ عن الكرمانيّ وغيره ، وولي غالب تداريس الحديث ببغداد ، ثم قدم القاهرة ، فولي تدريس الحنابلة بالبرقوقية ، وغالب تداريس

---

(١) شذرات الذهب ٧ : ١٣ .　　(٢) الضوء اللامع ٥ : ٢١٦ .

(٣) الضوء اللامع ٥ : ٨٨ ، واسمه هناك : « عبد المنعم بن داود بن سليمان » .

الحديث بمصر . مات فى صفر سنة اثنتى عشرة وثمانمائة[1] .

١٦ ـ نجم الدين الباهى محمد بن محمد بن محمد بن عبد الدائم . سمع على العُرْضِىّ وجماعة ، وأفتى ودرّس ، وشارك فى العلوم . قال الحافظ ابن حجر : كان أفضل الحنابلة بالديار المصرية ، وأحقهم بولاية القضاء . مات سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة .

١٧ ـ الحَبْتِىّ شمس الدين محمد بن أحمد بن معالى . ولد سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، ومهر فى الفنون ، وناب فى الحكم ، وتكلّم على الناس . مات فى المحرّم سنة خمس وعشرين وثمانمائة[2] .

١٨ ـ ابن مغلى قاضى القضاة علاء الدين علىّ بن محمود بن أبى بكر الحموىّ . ولد سنة إحدى وسبعين وسبعمائة ، وكان آيةً فى سرعة الحفظ ، ولِىَ قضاء الديار المصرية ، ومات فى صفر سنة ثمان وعشرين وثمانمائة[3] .

١٩ ـ قاضى القضاة محبّ الدين أحمد بن العلامة جلال الدين نصر الله بن أحمد ابن محمد بن عمر البغدادىّ . ولد فى صفر سنة خمس وستين وسبعمائة ببغداد ، ونشأ على الخير والاشتغال بالعلوم ، ثم رحل إلى دمشق ، ثم دخل القاهرة ، فقُرِّر صوفيا بالبرقوقية ، وناب فى القضاء عن ابن مغلى والمجد بن سالم ، ثم ولى قضاء الحنابلة بالقاهرة استقلالاً . ومات فى جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثمانمائة[4] .

٢٠ ـ الزّركشىّ زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد ، أبو ذرّ . ولد فى رجب سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ، وتفقّه على قاضى القضاة ناصر الدين بن

---

(١) شذرات الذهب ٧ : ٩٩ .

(٢) شذرات الذهب ٧ : ١٧١ ، قال : « الحبتى : بفتح الحاء المهملة ، وسكون الموحدة وفوقية ، نسبة إلى حبتة بنت مالك بن عمرو بن عوف » .

(٣) شذرات الذهب ٧ : ١٨٥ . (٤) شذرات الذهب ٧ : ٢٥٠ .

نصر الله وغيره ، وسمع صحيح مسلم على البيانىّ ، وولى تدريس الحنابلة بالأشرفيّة الجديدة ، وله تصانيف .

٢١ ــ أحمد بن إبراهيم بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن أبى الفتح بن هاشم بن إسماعيل بن نصر الله بن أحمد الكنانىّ العَسْقلانىّ الأصل المصرىّ المولد ، شيخنا قاضى القضاة عزّ الدين أبو البركات بن قاضى القضاة برهان الدين بن قاضى القضاة ناصر الدين الحنبلىّ . قاضٍ مشى[1] على طريقة السلف ، وسعى إلى أن بلغ العلا لما كلّ غيره ووقف ، من أهل بيت فى العلوم والقضاء عريق ، وبالرياسة والنفاسة حقيق ، خدم فنون العلم إلى أن بلغ منها المنى ، وتفرّد بمذهب الإمام أحمد فما كان فى عصره من يشير إلى نفسه بأنا ، ووَلِىَ القضاء فأحيا سنة التواضع والتقشّف ، وترك الناموس وطرح التكلّف . سهل الباب ، عديم الحجاب ، خشن الأثواب ، ليِّن الخطاب ، للدنيا به نخار ، وللكسير به انجبار ، تعتقده الملوك والأمراء ، ويتردّد إليه الفضلاء والفقراء ، يصل إليه لتواضعه المرأة والصغير ، ويهابه لفرط دينه الجبار والأمير ، ولم يزل على حاله الجميل ، سائرا من أنواع المحاسن فى أحسن سبيل ، ما بين تأليف ومطالعة ، وإفتاء ومراجعة ؛ إلى أن أتاه من الموت مالا محيد عنه ، وحلّ به ما لابد منه ، فضحك له وجه الدار الآخرة وأقبل ، وبكى على فراقه مذهب ابن حنبل . ولد فى ذى القعدة سنة ثمانمائة ، وأخذ عن المحبّ بن نصر الله ، والعزّ بن جماعة ، والشيخ عبد السلام البغدادىّ وغيرهم ، وسمع الكثير . وأجاز له العراقىّ والمراغىّ وخَلْق ، وناب فى القضاء عن ابن مغلى وله نحو العشرين سنة ، ثم ولى قضاء الحنابلة بالديار المصرية ، فباشره بعفة ونزاهة وتواضع مفرط بحيث لم يتخذ نقيبا ولا حاجباً ، ودرّس للحنابلة بغالب مدارس البلد ، وله تعاليق[2] وتصانيف ومسوّدات كثيرة ، فى الفقه وأصوله ، والحديث والعربية والتاريخ وغير ذلك . مات فى جمادى الأولى سنة ست وسبعين وثمانمائة[3] .

---

(١) كذا فى ح ، ط ، وفى الأصل : « قاضى مصر » . (٢) كذا فى ح ، وفى الأصل « تآليف »
(٣) شذرات الذهب ٧ : ٣٢١ .

ذكر من كان بمصر من أئمة القراءات

١ – عقبة بن عامر الجهنىّ [١] .

٢ – أبو تميم الجيشانىّ [٢] .

٣ – عبد الرحمن بن هُرمز الأعرج [٣] .

٤ – ورش عثمان بن سعيد أبو سعيد المصرىّ – وقيل أبو عمرو ، وقيل أبو القاسم – أصله قِبْطىّ مولى آل الزّبير بن العوّام . ولد سنة خمس عشرة ومائة ، وأخذ القراءة عن نافع ، وهو الذى لقّبه بورْش لشدّة بياضه ، وقيل لقّبه بالورشان ثم خُفّف . انتهت إليه رياسة الإقراء بالديار المصرية فى زمانه ، وكان ماهراً فى العربية . مات بمصر سنة سبع وتسعين ومائة [٤] .

٥ – سقلاب بن شنينة أبو سعيد المصرىّ . قرأ على نافع ، وكان يقرئ فى أيام ورْش . أخذ عنه يونس بن عبد الأعلى ويعقوب بن الأزرق . مات سنة إحدى وتسعين ومائة [٥] .

٦ – معلّى بن دِحْية أبو دحية . قرأ على نافع ، وعليه يونس بن عبد الأعلى ، وعبد القوىّ بن كمونة ، وأبو مسعود المدنىّ [٦] .

---

(١) عقبة بن عامر الجهنى ؛ ذكره الذهبى فى تذكرة الحفاظ ١ : ٤٠ ، وقال : « صاحب رسول الله ، كان فقيهاً علامة ، قارئاً لكتاب الله بصيرا بالفرائض » ؛ ونقل عن ابن يونس أنه ولى إمرة مصر ؛ وكان له مصحف بخطه ، ثم قال : توفى سنة ٥٨ .

(٢) ذكره ابن سعد فى الطبقات ٧ : ٥١٠ ، وقال : « كان ثقة ، روى عمن عمر وعلى ؛ ومات سنة سبع أو ثمان وسبعين فى خلافة عبد الملك بن مروان » .

(٣) ذكره ابن الأنبارى فى نزهة الألباء ١٥ ؛ وقال : كان أحد القراء ، عالما بالعربية ، وأعلم الناس بأنساب العرب ، وخرج إلى الإسكندرية وأقام بها إلى أن مات سنة سبع عشرة ومائة » .

(٤) طبقات القراء لابن الجزرى ١ : ٥٠٢ .

(٥) طبقات القراء ١ : ٣٠٨ .

(٦) طبقات القراء ٢ : ٣٠٤ .

٧ ــ الغازى بن قيس مرّ[١] .

٨ ــ داود بن أبى طيبة المصرىّ أبو سُليم بن هارون بن يزيد مولى آل عمر بن الخطاب . قرأ على ورش ، وعليه ابنه عبد الرحمن . قال ابنُ يونس : مات فى شوال سنة ثلاث وعشرين ومائتين[٢] .

٩ ــ أبو سعيد يحيى بن سليمان الُجعفىّ الكوفىّ المقرئ الحافظ نزيل مصر . سمع عبد العزيز الدراوردىّ وطبقته . مات سنة ثمان ــ وقيل سبع ــ وثلاثين ومائتين . قاله فى العبر[٣] .

١٠ ــ أبو يعقوب الأزرق يوسف بن عمرو بن يَسار المدنىّ ثم المصرىّ . لزم ورْشاً مدّة طويلة ، وأتقن عنه الأداء ، وخلفه فى الإقراء بالديار المصرية ، وانفرد عنه بتغليظ اللّامات وترقيق الراءات . قال أبو الفضل الُخزاعىّ : أدركت أهل مصر والمغرب على أبى يعقوب وورْش ، لا يعرفون غيرهما . تُوُفِّىَ فى حدود الأربعين ومائتين[٤] .

١١ ــ عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم العَتقِىّ أبو الأزهر المصرىّ . أحد الأئمة الأعلام كوالده ، حدّث عن أبيه وابن عيينة وابن وهب ، وقرأ القرآن على ورْش ، ولمكان أبى الأزهر اعتمد الأندلسيون على قراءة ورْش ، وهو أخو الفقيه موسى بن عبد الرحمن . مات سنة إحدى وثلاثين ومائتين[٥] .

١٢ ــ سليمان بن داود الرشيدىّ مرّ فى المالكية[٦] .

١٣ ــ أحمد بن صالح المصرىّ مرّ فى المجتهدين[٧] .

١٤ ــ يونس بن عبد الأعلى مرّ فى المجتهدين[٨] .

---

(١) انظر طبقات القراء ٢ : ٢

(٢) طبقات القراء ٢: ٢٧٩ .

(٣) طبقات القراء ٢ : ٣٧٣ ، والعبر . . .

(٤) طبقات القراء ٢ : ٤٠٢ .

(٥) طبقات القراء ١ : ٣٨٩ .

(٦) ص٤٤٧ .

(٧) ص٣٠٦ .

(٨) ص ٣٠٩ .

١٥ ـ أحمد بن محمد بن الحجاج بن رشدين بن سعد ، الحافظ أبو جعفر المصرى المقرئ . قال فى العبر : قرأ القرآن على أحمد بن صالح ، وروى عن سعيد بن عفير وطبقته وفيه ضعف . قال ابنُ عدى : يكتب حديثه . مات سنة اثنتين وتسعين ومائتين [١] .

١٦ ـ إسمعيل بن عبد الله بن عمرو بن سعيد بن عبدالله أبو الحسن النحاس . مقرئ الديار المصرية . قرأ على أبى يعقوب الأزرق ، وتصدّر للإقراء مدّة بجامع عمرو فقرأ عليه خلْق لإتقانه وتحريره . قرأ عليه أبو الحسن بن شَنَبوذ . مات سنة بضع ثمان وعشرين [٢] .

١٧ ـ أبو بكر بن عبد الله بن مالك بن عبد الله بن سيف التُّجيبى المقرئ المصرى . شيخ الإقليم فى القراءات فى زمانه . قرأ على أبى يعقوب الأزرق ، وعُمّر دهراً طويلا . حدّث عن محمد بن رمح صاحب اللّيث بن سعد، وحدّث عنه ابن يونس . مات فى جُمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وثلثمائة .

١٨ ـ محمد بن محمد بن عبد الله بن النفاح بن بدر الباهلى أبو الحسن البغدادى المقرئ . نزيل مصر ، أخذ القراءة عن الدورى ، وحدّث عن أحمد بن إبراهيم الدّوْرقى وإسحاق بن أبى إسرائيل . روى عنه حمزة الكنانى وأبو سعيد بن يونس ، وقال : كان ثقة ثبتا صاحب حديث متقلّلا من الدنيا . مات بمصر فى ربيع الأول سنة أربعين وثلثمائة [٣] .

١٩ ـ محمد بن سعيد الأنماطى أبو عبد الله المصرى . قرأ على أبى يعقوب الأزرق وعبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم . قال أبو عمرو الدانى : هو من كبار أصحابهما ومن جِلّة المصريّين . أخذ عنه عبد المجيد بن مَسكين ومحمد بن خيرون المقرئ [٤] .

(١) طبقات القراء ١ : ١٠٩ ، العبر ٢ : ٩٢
(٢) طبقات القراء ١ : ١٦٥ .
(٣) طبقات القراء ٢ : ٢٤٢
(٤) طبقات القراء ٢ : ١٤٦ .

٢٠ ـ أحمد بن محمد بن شبيب أبو بكر الرّازىّ . نزيل مصر . أخذ عن موسى بن محمد بن هرون صاحب البزىّ والفضل بن شاذان ، قرأ عليه أبو الفرج الشّنبوذىّ . مات بمصر سنة اثنتى عشرة وثلثمائة .

٢١ ـ أحمد بن عبد الله بن محمد بن هلال أبو جعفر الأزدىّ المصرىّ . أحد الأئمة القرّاء بمصر ، قرأ على أبيه وعلى إسماعيل بن عبد الله النّحاس ، وتصدّر للإقراء . مات فى ذى القعدة سنة خمس عشرة وثلثمائة [١] .

٢٢ ـ عامر بن أحمد بن حمدان أبو غانم المصرىّ المقرئ النحوىّ . أحد أصحاب أحمد بن هلال وأضبطهم . قرأ عليه محمدّ بن علىّ الأدفوىّ وعامة أهل مصر ، وله مؤلّف فى اختلاف السبعة . مات فى ربيع الأوّل سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة .

٢٣ ـ أحمد بن أسامة بن أحمد بن أسامة بن عبد الرحمن بن عبد الله بن السّمح أبو جعفر بن أبى سلمة التّميمىّ مولاهم المصرىّ المقرئ . قرأ لورش على إسماعيل بن عبد الله النحاس ، قرأ عليه محمد بن النعمان ، وعبد الرحمن بن يونس ، وروايته فى التيسير . مات سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة ، وقد جاوز المائة . وقيل : مات فى رجب سنة ست وخمسين وثلثمائة [٢] .

٢٤ ـ حمدان بن عون أبو جعفر الخولانىّ المصرىّ . أحد الحذّاق . قرأ على أحمد ابن هلال ثلثمائة ختمة ، ثم على إسمعيل بن عبد الله النحاس ختمتين . قرأ عليه عمر بن محمد بن عرّاك . مات سنة خمس وأربعين وثلثمائة [٣] .

٢٥ ـ محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن منيّر أبو بكر بن أبى الأصبغ الحرّانىّ نزيل مصر : قرأ على أحمد بن هلال ، وكان بصيراً بمذهب مالك . مات فى شوّال سنة تسع وثلاثين وثلثمائة [٤] .

---

(١) طبقات القراء ١ : ٧٤

(٢) طبقات القراء ١ : ٣٨ .

(٣) طبقات القراء ١ : ٥٢

(٤) طبقات القراء ٢ : ٦٨ .

٢٦ _ أحمد بن عبد العزيز بن بدهن أبو الفتح البغدادىّ المقرئ نزيل مصر . قرأ على أحمد بن سهل الأشنانىّ وابن مجاهد ، وحذق ومهر ، وطال عمره واشتهر ، وكان من أطيب النّاس صوتاً ، وأفصحهم أداء . أخذ عنه عبد المنعم بن غلبون وابنه طاهر . مات سنة تسع وخمسين وثلثمائة [١] .

٢٧ _ محمد بن عبد الله المعافرىّ أبو بكر المصرىّ . قرأ على أبى بكر بن حميد بن القباب ، قرأ عليه خلف بن إبراهيم بن خاقان . مات بمصر سنة بضع وخمسين وثلثمائة [٢] .

٢٨ _ عبد الله بن الحسين بن حسنون بن أحمد السامرىّ البغدادىّ مسند القرّاء بالديار المصرية . قرأ على أحمد بن سهل الأشنانىّ ويموت بن المزرّع وابن مجاهد وابن شنبوذ ، وسمع من أبى بكر بن أبى داود وابن الأنبارىّ وجماعة . وكان عارفاً بالقراءات شديد العناية بها . قال الدانىّ : مشهور ضابط ثقة مأمون ؛ غير أنّ أيامه طالت فاختلّ حفظُه ولحقه الوهم . أخذ عنه فى وقت حفظه وضبطه فارس بن أحمد ومحمد بن الحسين بن النعمان وخلق من المصريّين . ولد سنة خمس وتسعين ومائتين ، ومات فى المحرّم سنة ست وثمانين وثلثمائة . قال الذهبىّ : آخر مَنْ قرأ عليه موتاً أبو العباس بن نفيس [٣] .

٢٩ _ غزوان بن القاسم بن علىّ بن غزوان أبو عمرو المازنىّ . أخذ عن ابن مجاهد وابن شنبوذ ، وكان ماهراً ضابطاً شديد الأخذ ، واسع الرواية . ولد سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة ، ومات بمصر سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة [٤] .

٣٠ _ محمد بن الحسن بن علىّ بن طاهر الأنطاكىّ . أحد أعلام القرّاء ، نزيل

---

(١) طبقات القراء ١ : ٦٨
(٢) طبقات ٢ : ١٨٨ .
(٣) طبقات القراء ١ : ٤١٥
(٤) طبقات القراء ٢ : ٣ .

مصر . أخذ عن إبراهيم بن عبد الرزاق ، وأخذ عنه عبد المنعم بنُ غلْبون وفارس الضرير ، خرج من مصر إلى الشام ، فمات فى الطريق قبل سنة ثمانين وثلثمائة[1] .

٣١ ـ عبد العزيز بن علىّ بن محمد بن إسحاق بن الفرج أبو عدىّ المصرىّ . يعرف بابن الإمام ، مسنِد القراء فى زمانه بمصر ، تلى على أبى بكر بن عبد الله بن مالك بن سيف ، قرأ عليه أئمة كطاهر بن غلْبون ومكىّ بن أبى طالب وأبى عمر الطَّلَمنكىّ وجماعة ، آخرهم موتاً أبو العباس أحمد بن نَفِيس . مات فى عاشر ربيع الأول سنة إحدى وثمانين وثلثمائة عن تسعين سنة أو أكثر[2] .

٣٢ ـ محمد بن علىّ بن أحمد الإمام أبو بكر الأدفُوىّ المِصرىّ المقرئ النحوىّ المفسّر . قرأ القرآن على أبى غانم المظفّر بن أحمد ، ولزم أبا جعفر النحاس النحوىّ ، وحمل عنه كتبه ، وبرع فى علوم القرآن ، وكان سيِّد أهل عصره بمصر . قال الدّانىّ : انفرد أبو بكر بالإمامة فى وقته فى قراءة نافع ، مع سَعة علمه وبراعة فهمه وصدق لهجته وتمكّنه من علم العربيّة ، وبصره بالمعانى . له كتاب التفسير فى مائة وعشرين مجلدا ، وسمّاه كتاب الاستغناء فى علوم القرآن . مات فى سابع ربيع الأوّل سنة ثمان وثمانين وثلثمائة[3] .

٣٣ ـ عمر بن محمد بن عرَاك أبو حفص الحضرمىّ المصرىّ . قرأ على حمدان بن عون وعبد الحميد بن مسكين ، وكان متبحّراً فى قراءة ورش . مات سنة ثمان وثمانين وثلثمائة[4] .

٣٤ ـ عبد المنعم بن عُبيد[5] الله بن غَلْبون بن المبارك أبو الطّيّب الحلبىّ المقرئ

---

(١) طبقات القراء ٢ : ١١٧ (٢) طبقات القراء ١ : ٣٩٤ .

(٣) طبقات القراء ٢ : ١٩٨ (٤) طبقات القراء ٢ : ٥٩٧ .

(٥) ط : « عبد الله » ، وما أثبته من الأصل وطبقات القراء .

المحقق ، مؤلف كتاب الإرشاد فى القراءات . قال الذهبيّ : عِداده فى المصريّين، سكنها مدّة . قرأ على إبراهيم بن عبد الرزاق ، قرأ عليه ولدهُ مكّى بن أبى طالب وأبو عمر الطّلمنكيّ . وكان حافظاً للقراءة ، ضابطاً ، ذا عفافٍ ونُسكٍ وفضل ، وحسن تصنيف . ولد فى رجب سنة تسع وخمسين وثلثمائة ، ومات بمصر فى جمادى الأولى سنة تسع وثمانين[(١)].

٣٥ ـ ولده أبو الحسن طاهر . أحدُ الحذّاق المحقّقين ، مصنّف التذكرة فى القراءات، برع فى الفنّ ، وكان من كبار المقرئين فى عصره بالديار المصرية ، قرأ عليه الدّانيّ ، وقال : لم نرَ فى وقته مثلَه . مات بمصر فى سنّ الكهولة لعشر بقينَ من شوّال سنة تسع وتسعين وثلثمائة[(٢)].

٣٦ ـ عبد الباقى بن الحسن بن أحمد بن السّقا أبو الحسن الخراسانى. أحد الحذّاق. قرأ على نظيف بن عبد الله الحلبيّ ، وقرأ عليه فارس بن أحمد وجماعة ، وكان إماماً فى القراءات ، عالماً بالعربيّة ، بصيراً بالمعانى ، خيراً مأمونا . قدم مصر ، فقامت له بها شهرة عظيمة ، وكنّا لانظنّه هناك ، إذ كان ببغداد . ومات بالإسكندرّية سنة نيّف وثمانين وثلثمائة[(٣)].

٣٧ ـ محمّد بن الحسن بن أحمد بن علىّ بن الحسين أبو مسلم الكاتب البغداديّ نزيل مصر . كاتب الوزير أبى الفضل بن حِنْزَابة ، أخذ عن ابن مجاهد ، وسمع الحديث من أبى القاسم البغويّ وأبى بكر بن أبى داود وابن دريد ونفطويه وابن صاعد . روى عنه الدّانى والحافظ عبد الغنى ورشا بن نظيف والقُضاعى وخَلْق . قال الذهبيّ : هو آخر مَنْ روى عن البَغَويّ وغيره ، وآخر مَنْ روى السّبعة عن ابن مجاهد . مات فى ذى القعدة سنة تسع وتسعين وثلثمائة[(٤)]

(١) طبقات القراء ١ : ٤٧٠
(٢) طبقات القراء ١ : ٣٣٩ .
(٣) طبقات القراء ١ : ٣٥٦
(٤) العبر ٣ : ٧١ .

٣٨ ـ خلف بن إبراهيم بن محمد بن جعفر بن خاقان أبو القاسم المصرى . أحد الحذّاق فى قراءة ورش ، قرأ على أحمد بن أسامة التُّجيبى ، قرأ عليه الدّانى وقال : كان مشهوراً بالفضل والنُّسك ، واسع الرواية . مات بمصر سنة اثنتين وأربعمائة ، وهو فى عشر الثمانين[1].

٣٩ ـ عبد الجبار بن أحمد الطرسوسى أبو القاسم . شيخ القراء بمصر فى زمانه ، قرأ على أبى عدىّ عبد العزيز وأبى أحمد السامُرىّ . قرأ عليه أبو الطاهر إسماعيل بن خلَف صاحب العنوان[2]. وله كتاب المجتبَى فى القراءات . مات غرة ربيع الأوّل سنة عشرين وأربعمائة[3].

٤٠ ـ قسيم بن أحمد بن مطير أبو القاسم الظهراوىّ المصرىّ . من ساكنى قرية أبى اليبس. قرأ على جدّه لأمّه محمد بن عبدالرحمن الظّهراوىّ صاحب أبى بكر بن سيف ، وكان ضابطا لرواية ورش، يقصَد فيها ، وتؤخذ عنه ، خيِّراً فاضلا . مات سنة ثمان أو تسع وتسعين وثلثمائة .

٤١ ـ فارس بن أحمد بن موسى بن عمران أبو الفتح الحمصىّ المقرئ الضرير . أحد الحذّاق بهذا الشأن ،ومؤلّف كتاب المنشأ فى القراءات الثمّان ، قرأ على أبى أحمد السامُرىّ وعبد الباقى بن السقّا وأبى الفرج الشَّنبوذِىّ . قرأ عليه ابنُه عبد الباقى ، والدّانىّ . مات بمصر سنة إحدى وأربعمائة وله ثمانون سنة وهو المذكور فى باب التكبير من الشاطبية[4].

٤٢ ـ ولده عبد الباقى أبو الحسن المصرىّ . جوّد القراءات على والده وعلى عمر بن عراك وقسيم الظهراوىّ ، وجلس للإقراء وعمِّر دهرا ، قرأ عليه ابن الفحّام وابن بليمة . مات فى حدود الخمسين وأربعمائة[5].

---

(١) طبقات القراء ٢ : ٢٧١

(٢) العنوان فى القراءات ، لأبى طاهر إسماعيل بن خلف الأنصارى .

(٣) العبر ٣ : ١٣٧ .

(٤) طبقات القراء ٢ : ٥

(٥) طبقات القراء ١ : ٣٥٧ .

٤٣ ـ إسماعيل بن عمرو بن إسماعيل بن راشد الحدّاد أبو محمد المصرىّ ، المقرئ الصالح . قرأ على أبى عدىّ عبد العزيز بن الإمام وغَزوان بن القاسم ، قرأ عليه أبو القاسم الهُذلىّ والمصريون ، وحدّث عنه أبو الحسن الخِلعىّ ، مات سنة تسع وعشرين وأربعمائة[1] .

٤٤ ـ إبراهيم بن ثابت بن أخطل أبو إسحق الأُقليشىّ ، نزيل مصر . قرأ على أبى الحسن طاهر بن غَلْبون وعبد الجبّار الطَّرَسوسىّ ، وأقرأ الناس بمصر مكان عبد الجبار بعد موته . مات سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، وقد شاخ[2] .

٤٥ إسمعيل بن محمود بن أحمد أبو الطاهر المحلّى . خطيب جامع المحلّة من ديار مصر ، تصدّر للإقراء ، وكان ظاهر الصلاح . مات سنة نيّف وثلاثين وأربعمائة [3] .

٤٦ ـ الحسن بن محمد بن إبراهيم أبو علىّ البغدادى المقرئ المالكىّ . مصنف كتاب الروضة فى القراءات . قرأ على أبى أحمد الفَرَضِىّ وأبى الحسن . ابن الحامىّ ، وسكن مصر ، وصار شيخ القرّاء بها ، قرأ عليه أبو القاسم الهُذلىّ وابن شُريح صاحب الكافى . مات فى رمضان سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة [4] .

٤٧ ـ أحمد بن علىّ بن هاشم ، تاج الأئمة أبو العباس المصرىّ . قرأ على عمرو ابن عراك وأبى عدىّ عبد العزيز بن الإمام وأبى الطّيب بن غلبون ، وأقرأ الناس دهرا طويلا بمصر . قرأ عليه أبو القاسم الهذلىّ ، وحدّث عنه أبو عبدالله محمد بن أحمد الرازىّ فى مشيخته . مات فى شوّال سنة خمس وأربعين وأربعمائة [5] .

٤٨ ـ محمد بن أحمد بن على أبو عبد الله القزوينىّ نزيل مصر . قرأ على طاهر بن غلْبون . قرأ عليه يحيى بن الخشاب وعلىّ بن بليمة . مات فى ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة [6] .

---

(١) طبقات القراء ١ : ١٦٧ .
(٢) طبقات القراء ١ : ١٠ .
(٣) طبقات القراء ١ : ١٦٠ .
(٤) طبقات القراء ١ : ١٣٠ .
(٥) طبقات القراء ١ : ٨٩ .
(٦) طبقات القراء ٢ : ٧٥ .

٤٩ ـ أحمد بن سعيد [1] بن أحمد بن نفيس أبو العباس المصرىّ . انتهى إليه علوّ الإسناد ، قرأ على أبى أحمد السامرىّ وعبد المنعم بن غلبون ، وحدث عن أبى القاسم الجوهرىّ صاحب المسند ، قرأ عليه أبو القاسم الهذلىّ وابن الفحّام ، وحدّث عنه أبو عبد الله محمد بن أحمد الرازىّ . مات فى رجب سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة وهو فى عشر المائة [2] .

٥٠ ـ نصر بن عبد العزيز بن أحمد بن نوح الفارسىّ الشّيرازىّ أبو الحسين . مقرئ الديار المصرية ومسندها ، قرأ على أبى الحسن الحمامىّ ، وحدّث عن أبى الحسين ابن بُشران . قرأ عليه ابن الفحّام ، وحدّث عنه روزبة بن موسى . مات سنة إحدى وستين وأربعمائة [3] .

٥١ ـ إسمعيل بن خلف بن سعد بن عمران أبو الطاهر الأنصارىّ الأندلسىّ ثم المصرىّ . مصنّف العنوان فى القراءات ، أخذ عن عبد الجبار الطّرسوسىّ ، وتصدّر للإقراء زمانا ولتعليم العربية ، وكان رأساً فى ذلك ، اختصر كتاب الحجّة لأبى علىّ الفارسىّ . مات فى أوّل المحرّم سنة خمس وخمسين وأربعمائة [4] .

٥٢ ـ يحيى بن علىّ بن الفرج الأستاذ أبو الحسين المصرىّ المعروف بابن الخشّاب . مقرئ الديار المصرية فى وقته . قرأ على ابن نفيس وإسماعيل بن خلف ، وعليه ناصر بن الحسين وجماعة . مات سنة أربع وخمسمائة [5] .

٥٣ ـ الحسن بن خلف بن عبد الله بن بليمة الأستاذ أبو الحسن القيروانىّ . نزيل الإسكندرية ، ومصنّف كتاب تلخيص العبارات فى القراءات . ولد سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وعُنِىَ بالقراءات ، وتقدّم فيها ، وتصدّر للإقراء مدة . مات بالإسكندرية فى

(١) ط : « سعد » ، وما أثبته من الأصل وطبقات القراء .
(٢) طبقات القراء ١ : ٥٦
(٣) طبقات القراء ٢ : ٣٣٦ .
(٤) طبقات القراء ١ : ١٦٤ .
(٥) طبقات القراء ٢ : ٣٧٥ .

ثالث عشر رجب سنة أربع عشرة وخمسمائة [١] .

٥٤ ـ عبد الرحمن بن أبي بكر عتيق بن خلف العلامة الأستاذ أبو القاسم بن الفحّام الصِّقلّيّ صاحب كتاب التجريد في القراءات . انتهت إليه رياسة الإقراء بالإسكندرية علوًّا ومعرفة . قال سليمان بن عبد العزيز الأندلسيّ : ما رأيتُ أحداً أعلمَ بالقراءات منه؛ لا بالمشرق ولا بالمغرب . قرأ العربيّة على ابن بابشاذ ، وشرح مقدّمته . ولد سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، ومات في ذي القعدة سنة ست عشرة وخمسمائة ، روى عنه السِّلَفِي [٢] .

٥٥ ـ عبد الكريم بن الحسن بن المحسن بن سوّار الأستاذ أبو عليّ المصريّ التِّكَكِيّ المقرئ النحويّ . سمع من الخِلعيّ ، ومنه السِّلَفِيّ ، وقرأ على أبي الحسن عليّ ابن محمد بن حميد الواعظ ، وبرع في القراءات وعِللها والتفسير ووجوهه والعربية وغوامضها ، وكان له حلْقة إقراء بمصر . مات في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، وله ثمان وستون سنة [٣] .

٥٦ ـ ناصر بن الحسن بن إسماعيل الشريف أبو الفتوح الزيديّ الخطيب مقرئ الديار المصرية . قرأ على يحيى بن الخشّاب ، وسمع من [ابن] القطّاع اللغويّ وغير واحد . انتهتْ إليه رياسة الإقراء بالديار المصرية ، وكان من جِلّة العلماء في زمانه . قرأ عليه غياث بن فارس ، وآخِرُ مَنْ روَى عنه سماعاً القاضي أبو الكرم وأسعد بن قادوس المتوفّى في حدود الأربعين وستّمائة مات يوم عيد الفِطْر سنة ثلاث وستين وخمسمائة عن إحدى وثمانين سنة [٤] .

٥٧ ـ أبو العباس مرّ في المالكية [٥] .

---

(١) طبقات القراء ١ : ٢١١ . (٢) طبقات القراء ١ : ٣٧٤ .

(٣) طبقات القراء ١ : ٤٠٠ ؛ والتككي ، بكسر التاء : منسوب إلى التكك جمع تكة .

(٤) طبقات القراء ٢ : ٣٢٩

(٥) ص ٤٥٣ ، وهو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن احمد بن هشام بن الحطيئة اللخمي .

٥٨ ـ عبد الرحمن بن خلف الله أبو القاسم الإسكندرانىّ المالكىّ المقرئ المؤدّب. قرأ على ابن الفحّام وابن بليمة ، وحدّث عن أبى عبد الله الرازىّ ، وأقرأ الناس مدّة على صدق واستقامة . قرأ عليه أبو القاسم الصفراوىّ والفضل الهمدانىّ ، روى عنه علىّ ابن المفضّل الحافظ . مات قريبا من سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة (١) .

٥٩ ـ اليسع بن حزم أبو يحيى الغافقىّ الأندلسىّ الجيّانىّ . أخذ عن أبيه وغيره ، وأجاز له أبو محمد بن عتّاب ، ورحل فسكن الإسكندريّة ، وأقرأ بها ثم رحل إلى مصر فأكرمه الناصر صلاح الدين بن أيّوب ، وكان فقيها مشاوراً مقرئا ، حافظاً نسابة . وله تاريخ المغرب ، سماه المغرب . روى عنه المفضّل المقدسىّ (٢) . مات فى رجب سنة خمس وسبعين وخمسمائة (٣) .

٦٠ ـ عساكر بن علىّ بن إسماعيل الجيوشىّ المصرىّ المقرئ النحوىّ الشافعىّ . ولد سنة تسعين وأربعمائة ، وأخذ عن الشريف ناصر الزيدىّ وإبراهيم بن أغلب النحوىّ ، وتفقه على مجلّى ، وتصدّر للإقراء ، وانتفع به الناس . أخذ عنه السخاوىّ وغيره . مات فى المحرّم سنة إحدى وثمانين وخمسمائة (٤) .

٦١ ـ أحمد بن جعفر بن أحمد بن إدريس الإمام أبو القاسم الغافقىّ الخطيب المقرىء . وُلِد سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، وقرأ على أبى البركات محمد بن عبد الله بن عمر المقرئ صاحب أبى معشر الطبرىّ ، وعليه أبو القاسم الصفراوىّ . مات سنة خمس وستين وستمائة بالإسكندرية (٥) .

٦٢ ـ القاسم بن فيرّه بن خلف بن أحمد الإمام أبو محمد وأبو القاسم الرُّعينىّ الشاطبىّ المقرىء الضرير . أحد الأعلام . وُلد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، وقرأ على

---

(١) طبقات القراء ٢ : ٣٦٧ . (٢) فى ط : « ابن المفضل » .
(٣) طبقات القراء ٢ : ٣٨٥ ؛ واسمه فيه : « اليسع بن عيسى بن حزم » .
(٤) طبقات القراء ١ : ٥١٢ (٥) طبقات القراء ١ : ٤٣ .

أبى عبد الله المقرئ الشريف ، وسمع من أبى الحسن بن هُذيل ، وارتحل للحجّ ، فسمع من السِّلَفِىّ ، واستوطن مصر ، واشتهر اسمُه ، وبَعُد صيته ، وقصده الطلبة من النّواحى. وكان إماماً علاّمة كثير الفنون ، منقطع القرين ، رأساً فى القراءات ، حافظاً للحديث ، بصيرا بالعربيّة ، واسع العلم ، وقد سارت الركبان بقصيدتيه حرز الأمانى والرائية ، وخضع لهما فحولُ الشعراء وحذّاق القراء . قرأ عليه أبو الحسن السخاوىّ والكمال الضرير ، وآخِرُ مَنْ رَوَى عنه الشاطبية أبو محمد عبد الله بن عبد الوارث الأنصارىّ المعروف بابن فار اللبن ، وهو آخر أصحابه موتاً .

قال ابن الأبار : انتهت إليه الرياسة فى الإقراء . مات بمصر، فى ثامن عشر جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة .

وقال الذهبىّ : كان موصوفاً بالزهد والعبادة والانقطاع ، تصدّر للإقراء بالمدرسة الفاضليّة .

ومن شعره :

قل للأمير نصيحةً ... لا تركَنَنّ إلى فقيهِ

إنّ الفقيهَ إذا أتَى ... أبوابَكُمْ لا خيرَ فيهِ

وترك الشاطبىّ أولادا ، منهم زوجة الكمال الضرير ، ومنهم أبو عبدالله محمد ، بَقِىَ إلى سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، وروى عنه وعن البوصيرىّ ، وعاش قريباً من ثمانين سنة [1] .

٦٣ ـ شجاع بن محمّد بن سيدهم الإمام أبو الحسن المدلجىّ المصرىّ المقرئ المالكىّ . ولد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، وقرأ على أبى العباس بن الحُطيئة ، وسمع من السِّلَفِىّ ، وتفقّه على أبى القاسم عبد الرحمن بن الحسين الحباب ،

---

(١) طبقات القراء ١ : ٢٠

وتصدّر للإقراء بجامع مصر ، وانتفع به الناس . مات فى ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين وخمسمائة [1] .

٦٤ ـ محمد بن يوسف بن علىّ بن شهاب الدين، أبو الفضل الغزنوىّ المقرئ الفقيه النحوىّ . نزيل القاهرة . ولد سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، وقرأ على أبى محمد سبط الخيّاط ، وسمع من أبى بكر قاضى المارستان ، وتصدّر للإقراء ، فأخذ عنه العلَم السخاوىّ والجمال بن الحاجب ، وروى عنه ابن خليل والضياء المقدسىّ والرّشيد العطار ، ودرّس المذهب بمسجد الغزنوىّ المعروف به . مات بالقاهرة فى نصف ربيع الأول سنة تسع وتسعين [2] .

٦٥ ـ غياث بن فارس بن سكن. الأستاذ أبو الجود اللخمىّ المنذرىّ المصرىّ المقرئ الفرَضىّ النحوىّ الضرير شيخ القراء بديار مصر . قرأ على الشريف ناصر ، وسمع من عبدالله بن رفاعة السّعدىّ ، وتصدّر للإقراء من شبيبته ، وقرأ عليه خَلْق ، ورُحِل إليه . ولد سنة ثمانى عشرة وخمسمائة ، ومات فى تاسع رمضان سنة خمس وستمائة [3] .

٦٦ ـ عبد الصمد بن سلطان بن أحمد بن الفرج أبو محمد الجذامىّ المصرىّ المقرئ النحوىّ المعروف بالمعتمد بن قراقيش . ولد سنة أربعين وخمسمائة ، وقرأ على الشريف ناصر ؛ وكان متقناً للعربيّة ، رأساً فى الطبّ . مات فى جمادى الآخرة سنة ثمان وستمائة [4] .

٦٧ ـ عبد السّلام بن عبد الناصر بن عبد المحسن أبو محمد المصرىّ المقرئ . شيخ عالى الإسناد فى القراءات ، يعرف بابن عديسة . قرأ على الشريف ناصر ، وأقرأ بدمياط مدّة . مات سنة ثلاث عشرة وستمائة [5] .

---

(١) طبقات القراء ١ : ٣٢٤ .

(٢) طبقات القراء ١ : ٢٨٦

(٣) طبقات القراء ٢ : ٤ .

(٤) طبقات القراء ١ : ٣٨٨

(٥) طبقات القراء ١ : ٣٨٦ .

٦٨ – عيسى بن عبد العزيز بن عيسى الأستاذ أبو القاسم بن المحدّث أبي محمد اللخميّ الشّريشيّ ثم الإسكندرانيّ المقرئ . سمع من السِّلَفي وغيره ، وقرأ على أبي الطيب عبد المنعم بن الخلوف وغيره ، وعُني بهذا الشأن ، ورأس فيه ، وتصدّر مدّة ، روى عنه المنذريّ وغيرُه ، وآخر مَنْ روى عنه بالإجازة القاضي تقيّ الدين سليمان . مات في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وستمائة[1] .

٦٩ – عليّ بن عبد الصمد بن محمد بن نفيس بن الرماح عفيف الدّين أبو الحسن المصري المقرئ الشافعيّ . قرأ على عساكر وغياث ، وسمع من السِّلَفيّ ،وتصدّر للإقراء بالفاضليّة .ولد سنةسبع وخمسين وخمسمائة ، ومات في جُمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة[2] .

٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ – أبو الفضل الهمدانيّ ، ابن الصفراويّ ، ابن الحاجب ، العلَم السخاوي ، البهاء بن الجميزيّ – مرُّوا[3] .

٧٥ – عليّ بن علي بن عبد الله بن ياسين بن نجم الدين الإمام أبو الحسن الكنانيّ العسقلانيّ ثم التّنيسيّ المصريّ . يعرف بابن البلان المقرئ النحويّ . ولد سنة بضع وخمسين وخمسمائة ، وقرأ على أبي الجود، والعربية على ابن برّي ، وسمع منه ومن مشرف ابن عليّ الأنماطيّ ، وتصدّر بالجامع العتيق بمصر . مات في ذي القعدة سنة ست وثلاثين وستمائة [4] .

٧٦ – زيادة بن عمران بن زيادة أبو النماء المصريّ المالكيّ المقرئ الضرير . قرأ على أبي الجود ، وتفقّه على أبي المنصور ظافر ، وتصدّر للإقراء بمصر وبالفاضليّة . مات

---

(١) طبقات القراء ١ : ٦٠٩ .

(٢) طبقات القراء ١ : ٥٤٩ .

(٣) ص ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤٥٦ .

(٤) طبقات القراء ١ : ٥٥٤ ، واسمه هناك : « علي بن عبدالله بن ياسين » .

فى شعبان سنة تسع وعشرين وستمائة[1] .

٧٧ — عبد الكريم بن غازى بن أحمد الفقيه أبو نصر الواسطى المقرئ المصرى ابن الأعلاقى . قدم مصر ، وأقرأ بها . مات فى نصف رجب سنة أربعين وستمائة بالقاهرة[2] .

٧٨ — عبد القوى بن المغربل تقى الدين المقرئ . قرأ على أبى الجود ، وتصدّر وأقرأ ، أخذ عنه البرهان الوزيرى . مات سنة أربعين وستمائة[3] .

٧٩ — عبد القوى بن عزّون بن داود أبو محمد المصرى . أخذ عن أبى الجود ، وسمع من البُوصيرى والخشوعى . مات سنة أربعين وستمائة ، وله ثلاث وسبعون سنة[4] .

٨٠ — منصور بن عبد الله بن جامع بن مقلد الأنصارى المصرى المقرئ الأستاذ شرف الدين أبو على الدهشورى . قرأ على أبى الجود وأبى اليُمن الكندى ، وأقرأ بالفيوم ، وكان بصيراً بهذا الشأن . مات سنة أربعين وستمائة[5] .

٨١ — عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر الإمام رشيد الدين أبو محمد الجذامى المصرى المقرئ الضرير . قرأ على أبى الجود ، وسمع من أبى القاسم البوصيرى ، وبرع فى العربيّة وتصدّر للإقراء ، وانتهت إليه رياسة الفنّ فى زمانه ، وكان ذا جلالة ظاهرة ، وحرمة وافرة ، وخبرة تامة بوجوه القراءات . مات فى جمادى الأولى سنة ستّ وأربعين وستمائة ، وهو والد الكاتب البليغ محيى الدين بن عبد الظاهر[6] .

---

(١) طبقات القراء ١ : ٢٩٥ (٢) طبقات القراء ١ : ٤٠٣ .

(٣) طبقات القراء ١ : ٣٩٩ ؛ وهو عبد القوى بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد السعدى تقى الدين الأغماطى .

(٤) طبقات القراء ١ : ٣٩٩ (٥) طبقات القراء ٢ : ٣١٣ .

(٦) طبقات القراء ١ : ٣٩١

٨٢ ـ أحمد بن علىّ بن محمد بن علىّ بن سكن الإمام أبو العباس الأندلسىّ ، أحد الحذّاق . قرأ على أبى الفضل جعفر الهمدانىّ ، وسكن الفيوم . اختصر التيسير ، وشرح الشاطبية . مات فى حدود الأربعين وستمائة(١) .

٨٣ ـ السديد أبو القاسم عيسى بن أبى الحَرَم مكىّ بن حسين بن يقظان العامرىّ المصرىّ. إمام جامع الحاكم. قرأ القراءات على الشاطبىّ ، وأقرأها مدّة مات فى شوال سنة تسع وأربعين وستمائة عن ثمانين سنة(٢) .

٨٤ ـ منصور بن سرار بن عيسى بن سليم أبو علىّ الأنصارىّ الإسكندرانىّ المعروف بالمسدى . كان من حُذّاق القراء ؛ نظم أرجوزة فى القراءات . ولد سنة سبعين وخمسمائة ، ومات فى رجب سنة إحدى وخمسين وستمائة(٣) .

٨٥ ـ ابن وثيق شيخ القراء أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن الأموىّ الإشبيلىّ . ولد سنة سبع وستين وخمسمائة ، وأخذ عن أصحاب أبى الحسن بن شُريح ، وتنقل فى البلاد ، وقرأ بمصر والشام والموصِل ، وكان عالىّ الإسناد . مات بالإسكندرية فى ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وستمائة(٤) .

٨٦ ـ الناشرىّ البارع تقىّ الدين عبد الرحمن بن مرهف المصرىّ . قرأ على أبى الجود ، وتصدّر للإقراء ، وبَعُد صيتُه . مات سنة إحدى وستين وستمائة عن نيّف وثمانين سنة(٥) .

٨٧ ـ الكمال الضرير شيخ القرّاء أبو الحسن علىّ بن شجاع بن سالم الهاشمىّ العباسىّ المصرىّ صاحب الشاطبىّ ، وزوج بنته . وقرأ على الشاطبىّ وشجاع المعطى وأبى الجود ، وسمع من البُوصيرىّ وطائفة ، وتصدّر للإقراء دهراً ، وانتهت إليه

(١) طبقات القراء ١ : ٨٧ .
(٢) طبقات القراء ١ : ٦١٤
(٣) طبقات القراء ٢ : ٣١٢ .
(٤) طبقات القراء ١ : ٢٤
(٥) طبقات القراء ١ : ٣٧٩ .

رياسة القرّاء ، وكان إماماً يجرى فى فنون العلم . مات فى سابع ذى الحجة سنة إحدى وستين وستمائة[١] .

٨٨ ـ ابن فار اللبّن معين الدين أبو الفضل عبدالله بن محمد بن عبدالوارث الأنصارىّ المصرىّ . آخر مَنْ قرأ الشاطبيّة على مؤلّفها ، قرأها عليه البدر التاذفىّ . مات سنة أربع وستين وستمائة[٢] .

٨٩ ـ أبو الحسن الدّهان علىّ بن موسى السّعدىّ المصرىّ المقرئ الزاهد . قال فى العبَر : ولد سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وقرأ القراءات على جعفر الهمدانىّ وغيره ، وتصدّر بالفاضلية ، وكان ذا علم وعمل . مات فى رجب سنة خمس وستين وستمائة[٣] .

٩٠ ـ علىّ بن عبدالله بن أبى بكر الإمام زين الدين أبو الحسن بن القلّال الجزائرىّ : نزيل مصر . مات بالقاهرة سنة ثمان وستين وستمائة[٤] .

٩١ ـ القصّال أبو عبد الله محمد بن محمد المغربىّ نزيل الصعيد . قرأ على أبى عبد الله محمد بن أحمد بن مسعود الشاطبىّ ؛ والتقىّ ابن ماسوية ، وتصدّر للإقراء . مات سنة بضع وخمسين وستمائة[٥] .

٩٢ ـ عبد الهادى بن عبد الكريم بن علىّ أبو الفتح القيسىّ المصرىّ . خطيب جامع المقياس . ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، وقرأ على أبى الجود ، وسمع من قاسم ابن إبراهيم المقدسىّ ، وأجاز له أبو الطاهر بن عوف وأبو طالب أحمد بن المسلم اللخمىّ

---

(١) طبقات القراء ١ : ٥٤٤ .

(٢) طبقات القراء ١ : ٥٠٢ ؛ ويعرف أيضا بابن الأزرق .

(٣) طبقات القراء ١ : ٥٨٢ (٤) طبقات القراء ١ : ٥٥٢ .

(٥) طبقات القراء ٢ : ٢٤١ ؛ واسمه هناك : « محمد بن محمد بن عبد العزيز التجيبى المغربى يعرف بالقصال » وفى ط : « البصال » .

وتفرّد بالرواية عنهم . مات فى شعبان سنة إحدى وسبعين وستمائة[١] .

٩٣ ـ الكمال المحلّىّ أحمد بن على الضرير شيخ القراء بالقاهرة . انتفع به جماعة . مات فى ربيع الآخر سنة اثنتين وسبعين وستمائة عن إحدى وخمسين سنة[٢] .

٩٤ ـ الكمال بن فارس أبو إسحاق إبراهيم بن الوردى بن نجيب الدين أحمد بن إسماعيل ابن فارس التميمىّ الإسكندرانىّ . آخر مَنْ قرأ بالرواية على الكندىّ . ولد سنة ست وتسعين وخمسمائة ، ومات فى صفر سنة ست وسبعين وستمائة[٣] .

٩٥ ـ إسماعيل بن هبة الله بن علىّ أبو الطاهر الحليمىّ المصرىّ . قرأ على أبى الجود غياث بن فارس ، وعمّر دهراً ، واحتيج إلى إسناده العالى ، فقرأ عليه جماعة منهم أبو حيّان ، وختم بموته أصحاب أبى الجود ، وكان تاركا للفنّ ؛ وإنما ازدحموا عليه لعلوّ روايته . مات فى رمضان سنة إحدى وثمانين وستمائة[٤] .

٩٦ ـ عبد الله بن محمد بن عبد الله القاضى معين الدين أبو بكر النكزاوىّ الإسكندرانىّ النحوىّ المقرئ . ولد بالإسكندرية سنة أربع عشرة وستمائة ، وقرأ على أبى القاسم الصفراوىّ ، وصنّف كتابا فى القراءات ، وتصدّر وأفاد ، وتخرّج به جماعة . مات سنة ثلاث وثمانين وستمائة[٥] .

٩٧ ـ برهان الدين إبراهيم بن إسحاق بن المظفّر المصرىّ الوزيرىّ . ولد سنة تسع عشرة وستمائة ، وقرأ على أصحاب الشاطبىّ وأبى الجود ، وأقرأ بدمشق . مات فى ذى الحجة سنة أربع وثمانين وستمائة[٦] .

(١) طبقات القراء ١ : ٤٧٣ .

(٢) طبقات القراء ١ : ٨٢ ؛ واسمه هناك : « أحمد بن على بن إبراهيم أبو العباس كمال الدين المحلى الضرير » .

(٣) طبقات القراء ١ : ٦ ، واسمه هناك : « إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن فارس التميمى الإسكندرى الأصل ثم الدمشقى الشيخ النبيل كمال الدين » .

(٤) طبقات القراء ١ : ١٦٩ (٥) طبقات القراء ١ : ٤٥٢ .

(٦) طبقات القراء ١ : ٩

٩٨ ـ الرضيّ الشاطبي . يأتي في النحاة واللغويين .

٩٩ ـ عبد النصير المريوطيّ أبو محمد . من كبار القرّاء بالإسكندرية ، قرأ على أبي القاسم الصفراويّ وأبي الفضل الهمدانيّ . قرأ عليه أبو حيّان . مات سنة ثمانين وستمائة [١] .

١٠٠ ـ الراشديّ المقرئ الأستاذ القدوة أبو عليّ الحسن بن عبد الله بن ويحيان ، الرجل الصالح . تصدّر للإقراء والإفادة ، وأخذ عنه مثل الشيخ مجد الدين التونسيّ وشهاب الدين بن جبارة ، ولم يقرأ على غير الكمال الضرير . مات في صفر سنة خمس وثمانين وستمائة بالقاهرة ؛ ذكره في العبر [٢] .

١٠١ ـ الصفيّ خليل بن أبي بكر بن محمد بن صديق المراغيّ الفقيه الحنبليّ المقرئ . ولد سنة بضع وتسعين وخمسمائة ، سمع من الحرستانيّ وابن ملاعب ، وتفقّه على الموفّق المقدسيّ . وقرأ القراءة على ابن باسوية ، وهو آخر مَنْ قرأ عليه ، وتصدّر بالقاهرة للإقراء ، وناب في القضاء ، مع وفور الديانة والورع . مات في ذي القعدة سنة خمس وثمانين وستمائة ، روى عنه المزنيّ وابن حيّان [٣] .

١٠٢ ـ الجرائديّ تقيّ الدين يعقوب بن بدران بن منصور المصريّ . شيخ القراء في وقته بالديار المصرية . أخذ عن السخاويّ ، وتصدّر . مات في شعبان سنة ثمان وثمانين وستمائة ، عن نيِّف وثمانين سنة ، وقد حدّث عن ابن الزبيديّ وابن المنجى وابن الآتيّ [٤] .

١٠٣ ـ نور الدين بن الكفتي أبو الحسن عليّ بن ظهير بن شهاب الدين المصريّ . شيخ القراء بديار مصر ، أخذ عن ابن وثيق وأصحاب أبي الجود ، واشتهر بالاعتناء

---

(١) طبقات القراء ١ : ٤٧٢ .
(٢) طبقات القراء ١ : ٢١٨ .
(٣) طبقات القراء ١ : ٢٧٥ .
(٤) طبقات القراء ٢ : ٣٨٩ ، شذرات الذهب ٦ : ٤٠٧ .

بالقراءات وعللها ، وسمع من ابن الجميزى ، مع الورع والتقى والجلالة . مات فى ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وستمائة[1] .

١٠٤ ـ المكين الأسمر عبدالله بن منصور الإسكندرانى . شيخ القراء بالإسكندرية . أخذ عن أبى القاسم بن الصفراوى ، وأقرأ الناس مدة . مات فى ذى القعدة سنة اثنتين وتسعين وستمائة عن نيف وثمانين سنة[2] .

١٠٥ ـ شمس الدين محمد بن عبد العزيز الدمياطى المقرئ . أخذ عن السخاوى ، وتصدر ، واحتيج إلى علو روايته . مات فى صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وله نيف وسبعون وسنة .

١٠٦ ـ شهاب الدين أحمد بن عبد البارئ الصعيدى ثم الإسكندرانى . قرأ على أبى القاسم عيسى ، وروى عن الصفراوى والهمدانى ، وكان أحد الصالحين . مات فى أوائل سنة خمس وتسعين وستمائة عن ثلاث وثمانين سنة[3] .

١٠٧ ـ سحنون العلامة صدر الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكيم بن عمران الأوسى الدكالى المالكى المقرئ النحوى . قرأ على الصفراوى ، وسمع منه ومن على بن مختار . وكان إماماً عارفا بالمذهب مفتياً . مات بالإسكندرية فى شوال سنة خمس وتسعين وستمائة ، وقد جاوز الثمانين[4] .

١٠٨ ـ يحيى بن أحمد بن عبد العزيز الإمام شرف الدين أبو الحسين بن الصواف الجذامى الإسكندرانى . ولد سنة تسعين وستمائة ، وقرأ على أبى القاسم بن الصفراوى ؛ وهو آخر من قرأ عليه وفاة ، وآخر من حدث عن ابن عماد وجماعة ، سمع منه المزى والبرزالى وابن سيد الناس والسبكى . مات فى شعبان سنة خمسين وسبعمائة ، ونزل القراء بموته درجة[5] .

(١) طبقات القراء ١ : ٥٤٧
(٢) طبقات القراء ١ : ٤٦٠ .
(٣) طبقات القراء ١ : ٦٥
(٤) طبقات القراء ١ : ٣٧١ .
(٥) طبقات القراء ٢ : ٣٦٦ .

١٠٩ ـ إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم برهان الدين أبو إسحاق الجذامىّ الإسكندرانىّ . قرأ على علَم الدين القاسم وغيره ، وتفقه بالنووىّ وأفتى ودرس، وتصدّر للإقراء مدة طويلة . قرأ عليه البدر بن نصحان . مات بدمشق فى شوال سنة اثنتين وسبعمائة ، وهو فى عشر الثمانين (١) .

١١٠ ـ إسحاق بن البرهان الوزيرىّ السابق أبو الفضل . اعتنى به أبوه فأسمعه من الكمال الضرير والحافظ عبد العظيم ، وقرأ القراءات على والده والكمال بن فارس . ولد سنة خمس وخمسين وستمائة ، ومات بعد السبعمائة .

١١١ ـ محمد بن عبد الحسن شمس الدين المصرىّ الضرير الملقّب بالمزراب . قرأ على الكمال المحلّىّ وابن فارس . مات سنة ثلاث وسبعمائه وقد جاوز الستين .

١١٢ ـ محمد بن نصير بن صالح الإمام أبو عبد الله المصرىّ المقرئ الصوفىّ نزيل دمشق. ولد فى حدود سنة خمسين وستمائة ، وقرأ على الرّشيد بن أبى الدرّ والزواوىّ ، وجلس للإقراء ، وكان شيخ الإقراء بدار الحديث الأشرفيّة . مات بعد السبعمائة . (٢)

١١٣ ـ علىّ بن يوسف بن جرير اللخمىّ الشَّطَنوفىّ الإمام الأوحد نور الدين أبو الحسن . شيخ الإقراء بالديار المصرية . ولد بالقاهرة سنة أربع وأربعين ، وستمائة ، وقرأ على التّقىّ الجرائدىّ والصفىّ خليل ، وسمع من النّجيب عبد اللطيف ، وتصدّر للإقراء بالجامع الأزهر ، وتكاثر عليه الطلبة . مات فى ذى الحجة سنة ثلاث عشرة وسبعمائة (٣) .

١١٤ ـ محمد بن أحمد بن علىّ بن غدير شمس الدين الواسطىّ . ولد فى حدود سنة سبعين وستمائة ، وقرأ على العزّ الفاروثىّ وغيره ، وعُنى بهذا الشأن حتى تقدّم فيه ،

---

(١) طبقات القراء ١ : ٢٢ .
(٢) طبقات القراء ٢ : ٢٦٩ .
(٣) طبقات القراء ١ : ٥٨٥

وصار من كبار المقرئين ، تحوّل إلى مصر فسكنها .

١١٥ ـ محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن رضوان أمين الدين أبو بكر الكنانىّ المصرىّ يعرف بابن الصوّاف . تصدّر بجامع عمرو لإقراء القرآن ، وأخذ عنه جماعة . مات سنة خمس عشرة وسبعمائة [١] .

١١٦ ـ محمد بن أبى بكر بن عبد الرزاق الصّقلّىّ الضرير شرف الدين . قرأ على الكمال الضرير ، وأقرأ زمانا . ولد سنة بضع وعشرين وستّمائة ، ومات بالقاهرة سنة ثلاثين وسبعمائة .

١١٧ ـ محمد بن مجاهد الضرير شرف الدين الملقّب بالوراب . قرأ على أبى طاهر المليجىّ ، وتصدّر بالقاهرة لإقراء القرآن ، وأخذ عنه جماعة [٢] .

١١٨ ـ إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل القُوصىّ جلال الدين أبو طاهر . تصدّر مدة بجامع ابن طولون لإقراء القرآن والنحو ، ومات سنة خمس عشرة وسبعمائة [٣] .

١١٩ ـ الصدر بن الأعمى محمد بن عثمان بن عبد الله المدلجىّ . قرأ على إسماعيل بن المليجىّ ، وتصدر . مات بالقاهرة سنة سبع عشرة وسبعمائة [٤] .

١٢٠ ـ أبو العلاء رافع بن محمد بن هجرس بن شافع الصميدىّ السّلامىّ المقرئ المحدّث جمال الدين ، والد الحافظ تقىّ الدين محمد بن رافع . تفقّه فى مذهب الشافعىّ على العَلَم العراقىّ ، وأخذ النحو عن البهاء بن النحاس ، وسمع من أبى الحسن بن البخارىّ وجماعة ، وتلا على أبى عبد الله محمد بن الحسن الإربلىّ الضرير ، وتصدّر للإقراء بالفاضليّة

---

(١) طبقات القراء ٢ : ١٨١ .
(٢) طبقات القراء ٢ : ٢٣٥
(٣) طبقات القراء ١ : ١٦١ .
(٤) طبقات القراء ٢ : ١٩٧ ، واسمه هناك : « محمد بن عثمان بن عبدالله بن علان بن طعان أبو عبدالله المليجى » .

ولد بدمشق سنة ثمان وستين وستمائة ، ومات بالقاهرة فى ذى الحجة سنة ثمانى عشرة وسبعمائة [١] .

١٢١ — التقىّ الصائغ شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصرىّ شيخ القراء فى عصره . قرأ على الكمال الضرير والكمال إبراهيم بن فارس ، ورحلت إليه الطلبة من أقطار الأرض لانفراده بالقراءة دراية ورواية . وكان أيضاً فقيها شافعياً مشاركا فى فنون أخرى . ولد فى جمادى سنة ست وثلاثين وستمائة ، ومات بمصر فى صفر سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، ذكره ابن مكتوم فى ذيله .

وذكر الإسنوى فى طبقاته أنّه بلغ من العمر أربعا وتسعين سنة [٢] .

١٢٢ — ضياء الدين موسى بن علىّ بن يوسف الزرازرى القطبىّ ، لسكنه بالمدرسة القطبية بالقاهرة . قرأ على أبى الحسن بن الكفتىّ ، وتصدّر للإقراء بالجامع الظاهرىّ ، وحدّث عن أبى الفرج الحرّانىّ وأبى عيسى بن علاق . ولد سنة إحدى وستين وستمائة ومات فى رجب سنة ثلاثين وسبعمائة [٣] .

١٢٣ — أبو حيّان . يأتى فى النحاة .

١٢٤ — شمس الدين محمد بن محمد بن نمير المعروف بابن السراج . قرأ على ابن الكفتىّ والمكين الأسمر وتصدّر للإقراء ، وأخذ عنه جماعة ، وكتب الخط المنسوب ، وبرَع فيه ، وصار معلّماً له بالجامع الأزهر . ولد بعد السبعين وستمائة ، ومات بالقاهرة فى شعبان سنة سبع وأربعين وسبعمائة [٤] .

١٢٥ — برهان الدين إبراهيم بن لاجين الرّشيدىّ . كان عالماً بالقراءات والنحو شافعيًّا . تصدّر بجامع أمير حسين مدّة ، وانتفع به الناس ، ووَلِىَ دَرْس التفسير

(١) طبقات القراء ١ : ٢٨٢ ، وفيه : « هجرش » .

(٢) طبقات القراء ٢: ٦٥

(٣) طبقات القراء ٢ : ٣٢١ .

(٤) طبقات القراء ٢ : ٢٥٦

بالمنصورية بعد موت أبى حَيّان . مات بالطاعون فى شوال سنة تسع وأربعين وسبعمائة .

١٢٦ – برهان الدين إبراهيم بن عبدالله بن علىّ الحكرىّ . كان إماماً فى القراءات نحوياً مفسّراً، يُضرَب به المثل فى حسن التلاوة . تصدّر للإقراء ، وانتفع به الخلق . مات بالطاعون فى ذى القعدة سنة تسع وأربعين وسبعمائة (١) .

١٢٧ – محمد بن مسعود المقرئ المالكىّ . تلا بالسبع على التقىّ الصائغ ، وكان متصدّرا للإقراء حتى إنّ القاضى محبّ الدين ناظر الجيش كان يقرأ عليه. مات سنة خمس وسبعين وسبعمائة (٢) .

١٢٨ – التقىّ الواسطىّ . مرّ فى المحدّثين (٣) .

١٢٩ – العسقلانىّ إمام جامع ابن طولون فتح الدين أبو الفتح محمد بن أحمد بن محمد المصرىّ. ولد بعد العشرين وسبعمائة ، وتلا على التقىّ الصائغ، وسمع عليه الشاطبيّة ،وكان خاتمة أصحابه بالسماع ، وأقرأ الناس بأَخَرة ، فتكاثروا عليه . مات فى المحرّم سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة (٤) .

١٣٠ – نور الدين علىّ بن عبد الله بن عبد العزيز الدّميرىّ أخو القاضى تاج الدين بهرام. كان إماماً فى القراءات، مشاركاً فى فنون، ولىَ مشيخة القراء بالشّيخونيّة. مات سنة ثمان وتسعين وسبعمائة (٥) .

١٣١ – خليل بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الجليل المقرىء ، المعروف بالمشبّب

(١) طبقات القراء ١ : ١٧ .
(٢) طبقات القراء ٢ : ٢٦٢ ؛ واسمه هناك : «محمد بن مسعود بن عامر بن عباس أبو عبدالله سعدالدين الكنانى المالكى » .
(٣) ص ٣٩٦ .
(٤) طبقات القراء ٢: ٨٢
(٥) طبقات القراء ١ : ٥٥٣ .

أقرأ الناس بالقَرافة دهراً طويلا ، وكان منقطِعاً بسفح الجبل ، وللسلطان وغيره فيه اعتقاد كبير . مات فى ربيع الأول سنة إحدى وثمانمائة [١] .

١٣٢ — علىّ بن محمد بن الناصح نور الدين المقرئ . قرأ على المجد الكفتىّ ، ونظم قصيدة فى القراءات ، وكان يقرئ بجامع الماردانىّ . مات فى ذى الحجة سنة إحدى وثمانمائة .

١٣٣ — عثمان بن عبد الرحمن المخزومىّ البلبيسىّ ، فخر الدين الضرير إمام الجامع الأزهر . انتهت إليه الرياسة فى فن القراءات ، وانتفع به مَنْ لا يحصى عددهم فى القراءات وصار أُمّةً وحده ، وأخبر أنّ الجنّ كانوا يقرءون عليه ، وكان صالحا خيّراً . مات فى ذى القعدة سنة أربع وثمانمائة عن ثمانين سنة .

١٣٤ — محمد بن محمد البغدادىّ المقرئ الزركشىّ . أصله من شيراز ، ثم سكن القاهرة ، أتقن القراءة والعَروض ، مات فى ذى الحجة سنة ثلاثين وثمانمائة [٢] .

١٣٥ — الزراتيتى شمس الدين محمد بن علىّ بن محمد الغزولىّ . ولد سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، واشتغل بالعِلْم ، وعُنِى بالقراءات من سنة ثلاث وستين وهلمّ جرّا . مات فى جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وثمانمائة [٣] .

---

(١) طبقات القراء ١ : ٢٧٦ (٢) طبقات القراء ١ : ٥٠٦ .

(٣) الزراتيتى : منسوب إلى زراتيت ، قرية .

ذكر من كان بمصر من الصلحاء والزهاد والصوفية

١ ـ سليم بن عتر .

٢ ـ ابن حُجيرة .

٣ ـ أبو عَقِيل .

٤ ـ زهرة بن معبد .

٥ ـ الحارث بن يزيد الحضرمىّ .

٦ ـ ولده عبد الكريم بن الحارث الحضْرمىّ .

٧ ـ عبد الرحيم بن ميمون المدنىّ .

٨ ـ حَيْوة بن شُريح .

٩ ـ أبو الأسود النّضْر بن عبد الجبار المرادىّ .

١٠ ـ السيدة نفيسة بنت الأمير حسن بن زيد بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم . كان أبوها أمير المدينة للمنصور ، وله رواية فى سنن النسائىّ ، ودخلت هى مصر مع زوجها المؤتمن إسحاق بن جعفر الصادق ، فأقامت بها ، وكانت عابدةً زاهدة، كثيرة الخير . وكانت ذاتَ مالٍ ؛ فكانت تحسِنُ إلى الزَّمْنَى والمرضى وعموم الناس . ولمّا ورد الشافعىّ مصر كانت تُحسن إليه ، وربما صلّى بها فى شهر رمضان . ولما تُوُفِّىَ أمرت بجنازته فأدخلت إليها المنزل ، فصلّت عليه . ماتت فى رمضان سنة ثمان ومائتين . وكان عزم زوجها على أن ينقلها فيدفنها بالمدينة النبوية ؛ فسأله أهلُ مصر أن يدفنَها عندهم، فدُفِنت بمنزلها بدرب السّباع ؛ محلة بين مصر والقاهرة [(١)] .

١١ ـ ذو النون المصرىّ ثوبان بن إبراهيم أبو الفيض ، أحد مشايخ الطريق

---

(١) طبقات الشعرانى ١ : ٥٨

المذكورين في رسالة القُشَيري ؛ وهو أوّل مَنْ عَبّر عن علوم المنازلات ، وأنكر عليه أهل مصر ، وقالوا : أحدَث علماً لم تتكلّم فيه الصحابة ، وسعوْا به إلى الخليفة المتوكّل ، ورموْه عنده بالزندقة ، وأحضره من مصر على البريد ، فلمّا دخل سُرَّ منْ رأى ، وعظه، فبكى المتوكّل ، وردّه مكرّماً . وكان مولده بإخميم ، وحدّث عن مالك والليث وابن لَهِيعة ، روى عنه الُجنيد وآخرون . وكان أوحَد وقته علماً وورعا وحالا وأدباً ، مات في ذى القعدة سنة خمس وأربعين ومائتين ، وقد قارب التسعين . قال السُّلمى : كان أهلُ مصر يسمّونَه الزِّنديق ، فلمّا مات أظلّت الطير الخضر جَنازته ترفرف عليه إلى أن وصل إلى قبره ، فلمّا دُفن غابت ، فاحترم أهل مصر بعد ذلك قبره [(١)] .

١٢ ـ القاضى بكار . مرّ في الحنفية [(٢)] .

١٣ ـ أبو بكر أحمد بن نصر الدّقاق الكبير ، من أقران الُجنيد وأكابر مشايخ مصر . قال الكتّانيّ : لما مات الدقّاق انقطعت حجة الفقراء في دخولهم إلى مصر . ومن كلامه : مَنْ لم يصحبه التقى في فقره ، أكل الحرام المحض . وقال : كنت ماراً في تيه بني إسرائيل ، فخطر ببالى أنّ علم الحقيقة مباينٌ لعلم الشريعة ، فهتف بى هاتف من تحت شجرة : كلّ حقيقةٍ لا تتبع الشريعة ، فهى كفر [(٣)] .

١٤ ـ فاطمة بنت عبد الرحمن بن أبي صالح الحرّانية الصوفية أم محمد . من الصالحات المتعبدات . قال الخطيب : ولدت ببغداد ، وحُمِلت إلى مصر ، فطال عمرها حتى جاوزت الثمانين ، وأقامت ستين سنة لا تنام إلا وهى في مصلاّها بغير وطاء ، سمعت من أبيها ، وروى عنها ابنُ أخيها عبد الرحمن بن القاسم . ماتت سنة اثنتى عشرة وثلثمائة [(٤)] .

١٥ ـ أبو الحسن ابن بُنان [(٥)] بن محمد بن حمدان الحمّال الزّاهد الواسطيّ . نزيل

---

(١) ابن خلكان ١ : ١٠١ .

(٢) ص . . .

(٣) طبقات الشعراني ١ : ٧٦

(٤) تاريخ بغداد ١٤ : ٤٤١ .

(٥) في العبر : « أبوبنان » .

مصر وشيخها . من كبار مشايخ مصر ومقدّميهم ، قال ابن فضل الله فى المسالك : صحب الخزّاز ، وإليه ينتهى ، مات فى التّيه ؛ وذلك أنّه ورد عليه واردٌ فهام على وجهه ، فمات به . ومن كلامه : اجتنبوا رياء الأخلاق كما تجتنبوا الحرام . وقال : الوحدةُ جلسة الصّدّيقين . وقال : ذكر الله باللسان يُورث الدّرجات ، وذكر الله بالقلب يورثُ القُربات .

وقال الذهبيّ فى العبر: صحبَ الجُنيد ، وحدّث عن الحسن بن محمد الزعفرانىّ وجماعة، وكان ذا منزلةٍ عظيمة فى النّفوس ، وكانوا يضربون بعبادته المثل . وثّقة ابن يونس ، وقال : تُوُفِّىَ فى رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة، وخرج فى جنازته أكثرُ أهل مصر؛ وكان شيئاً عجيبا ، ومن كراماته أنّه أنكر على ابن طولون يوما شيئا من المنكرات ، وأمَره بالمعروف ، فأمر به فأُلقِىَ بين يدى الأسد ؛ فكان يشمّه ويحجم عنه : فرفع من بين يديه ، وزاد تعظيم الناس له . وسأله بعضُ الناس : كيف كان حالك وأنت بين يدَى الأسد ؟ فقال : لم يكن علىّ بأس ؛ ولكن كنت أفكّر فى سؤر السِّباع : أهو طاهر أم نجس ؟ وجاءه رجل ، فقال : لى على رجلٍ مائة دينار ، وقد ذهبت الوثيقة ، وأخشى أن يُنكر ، فادْعُ لى ، فقال له . إنى رجل قد كبرت ، وأنا أحبّ الحلوى ، فاذهب فاشتر لى رطلاً ، وائتنى به حتى أدعوَ لك ، فذهب الرجل فاشترى فوضع له البائع الحلْوَى فى ورقة ؛ فإذا هى وثيقته بالمائة دينار ؛ فجاء إلى الشيخ فأخبره ، فقال : خذ الحلوى فأطعِمْها صبيانك [1] .

١٦ — أبو على الرُّوذْبارىّ . مرّ فى الشافعية [2] .

١٧ — أبو الحسن علىّ بن محمد بن سهل الدينورىّ الصائغ الزاهد .

---

(١) العبر ٢ : ١٦٣ ، طبقات الشعرانى ١ : ٨٧ .

(٢) ص ٤٠٠ .

قال فى العِبَر : أحـد المشايخ الـكبار ، تُوُفِّىَ بمصر فى رجب سنة إحـدى وثلاثين وثلثمائة ، ومن كلامه : مَنْ أيقن أنه لِغيره[1] فما له يبخل بنفسه .

قال ابن كثير : ومن كراماته أنه رُئِىَ يصلّى بالصحراء فى شدة الحرّ ، ونَسْر قد نشرَ جَناحيه يظلّه من الحرّ .

وحكى صاحب المرآة أنه أنـكر على تـكين أمير مصر شيئا ــ وكان تـكين ظالمًا ــ فسيّره تـكين إلى القدس ، فلمّا وصل القدس ، قال : كأنّى بالبائس ــ يعنى تـكين ــ وقد جيء به فى تابوت إلى هنا ، فإذا أدنى من الباب عثر البغل ، ووقع التابوت ، فبال عليه البغل . فلم نلبث إلّا مدّة يسيرة ، وإذا بقائلٍ يقول : قد وصل تـكين ،وهو ميّت فى تابوت ، فلمّا وصل إلى الباب عثر البغل فى المـكان الذى أشار إليه الدّينورىّ ، فوقع التابوت وغفل عنه المـكارىّ ، فبال عليه البغل ، وخرج الدينورىّ ، فقال للتابوت : جئت بالبائس إلى المـكان الذى نفانا إليـه ! ثم ركب الدينورىّ ، وعاد إلى مصر ، فمات بها . ودُفِن بالقرافة [2] .

١٨ ــ أبو الخير الأقطع المعروف بالتيناتىّ . أصله من المغرب ، وصحب أبا عبد الله ابن الجلّاد وغـيره ، وكان أوْحَـد عصره فى طريقة التوكل ، وكانت السباع والهوامّ تأنس به ، وله فراسة حادّة . مات سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة [3] .

١٩ ــ أبو علىّ الحسن[4] بن أحمد الـكاتب المصرىّ . من كبار مشايخ المصريين ، صحب أبا بكر المصرىّ وأبا على الرّوذْبارى وغيرهما ، وكان أوحد مشايخ وقته ، ومن كلامه : إذا انقطع العبد إلى الله بكلّيته، أوّل مايفيده الله الاستغناء به عن الناس . وقال : يقول الله : مَنْ صبر علينا وصل إلينـا . وقال : إذا سكن الخوف فى القلب ، لم ينطق

---

(١) ط : « لغيره » .
(٢) العبر ٢ : ٢٢٧
(٣) طبقات الشعرانى ١ : ٩٣ .
(٤) فى طبقات الشعرانى : « الحسين » .

اللسان بما لا يعنيه . مات سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة [١] .

٢٠ ـ أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل الرملى النابلسى . قال فى العبر : كان عابداً صالحاً زاهداً قوّالاً بالحق ، قال : لو كان معى عشرة أسهم ، رميت الرّوم بسهم ورميت بنى عُبيد بتسعة ، فبلغ صاحب مصر المعزّ فقتله فى سنة ثلاث وستين وثلثمائة .

حكى صاحب المرآة أنّ كافورا الإخشيدىّ بعث إليه بمال ، فردّه وقال : قال الله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، فالاستعانة بالله تكفى . فردّ كافور الرّسول بالمال إليه ، وقال : قل له : قال الله تعالى : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾ ، فأين ذكر كافور هنا ! فقال أبو بكر : صدق ، الملك والمال لله ، كافور صوفىّ لا أنا ، ثم قبل المال [٢] .

٢١ ـ عيسى بن يوسف المصرىّ الزاهد . مات بعد السبعين وثلثمائة .

٢٢ ـ ابن التُّرجمان محمد بن الحسين بن علىّ الغَزىّ شيخ الصوفية بديار مصر . قال فى العِبَر : مات بمصر فى جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، وله خمس وتسعون سنة ، ودُفِن بتربة ذى النون [٣] .

٢٣ ـ أبو القاسم الصّامت أحد الصالحين ، وقبره أحد المزارات بالقرافة ، مات فى رمضان سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ، ذكره ابن ميسر .

٢٤ ـ عبد الرحيم بن أحمد بن حجون القنائىّ الشريف الحسنى السيد الكبير الإمام الشهير . أصله من سَبْتَة ، وقدم من المغرب فأقام بمكة سبع سنين ، ثم قدم قِنا فأقام بها سنين كثيرة إلى أنْ مات . قال الحافظ المنذرىّ : كان أحد الزّهاد المشهورين ،

(١) طبقات الشعرانى ١ : ٩٦

(٢) العبر ٢ : ٣٣٠ .

(٣) العبر ٣ : ٢٠٧

والعبّاد المذكورين ، ظهرت بركاته على جماعة ممّن صحبه ، وتخرج به جماعة من أعيان الصالحين بصالح أنفاسه . وكان مالكيّ المذهب ، وكراماته كثيرة . مات فى تاسع صفر سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة[1] .

٢٥ ــ وكان للشيخ ولد يقال له الحسن ، كان أيضاً من الصوفيّة الفقهاء الفضلاء العلماء أرباب الأحوالِ والكرامات وعلوّ المقامات ؛ روى عنه المنذرىّ من شعره ، وتبرّك بدعائه . مات بقِنا فى جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وستّمائة ، وقد قارب الثمانين .

٢٦ ــ وللحسن هذا ولد يقال له محمّد ، جمع بين العلم والعبادة ، والورع والزهادة ، فقيهاً مالكيًّا ، ويقرئ مذهب الشافعىّ ، نحويًّا فَرَضيًّا ، حاسبا ، انتفع بعلومه وبركته طوائف من الخلق ، وله كرامات ومكاشفات ؛ حُكى عنه أنه قال : كنت فى بعض السياحات ، فكنت أمرّ بالحشائش فتخبرنى عن منافعها . مات فى ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين وستّمائة .

٢٧ ــ علىّ بن أحمد بن إسماعيل بن يوسف ، الشيخ أبو الحسن الصباغ القوصىّ . صاحب المعارف والكرامات ، أخذ عن الشيخ عبد الرحيم القنائىّ . قال المُنذِرىّ : وظهرت بركاته على الّذين صحبوه ، وهدى الله به خلقا ، وكان حسن التربية للمريدين ، وصحبه جماعة من العلماء منهم الشيخ مجد الدين بن دقيق العيد . مات بقنا منتصف شعبان سنة ثلاث عشرة وستّمائة، وفى العبر سنة اثنتى عشرة .

٢٨ ــ يوسف بن محمد بن علىّ بن أحمد الهاشمىّ أبو الحجاج المغاورىّ . قدم من المغرب ، فأقام بقنا إلى أن تُوفِّىَ بها ، وصحِب الشيخ أبا الحسن بن الصباغ . وكان من المشهورين بالولاية ، وله كرامات كثيرة . مات فى صفر سنة تسع عشرة وستّمائة ؛ ويقال

---

(١) طبقات الشعرانى ١ : ١٣٥ .

إنه عاش مائة وثلاثين سنة . ذكره في الطالع السعيد[1] .

٢٩ — الشيخ أبو العباس البَصير أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن جزيّ الخزرجيّ الأنصاريّ الأندلسيّ . كان أبوه من ملوك المغرب ، فوُلد له الشيخ أبو العباس أطمسَ العينين ، فخافت أمّه سطوة أبيه ، فأمرت به فأُلقيَ في البريّة فأرضعته الغزلان . ثم إنّ والده خرج إلى الصيد فلقيه فأخذه ، وهو لا يشعر أنه ابنُه وقال لزوجته : ربِّيه ، لعلّ الله أن يجعل لنا فيه خيرا . فلما كبر قرأ القرآن ، واشتغل بالعلوم الشرعية إلى أن برع فيها ، وصَحِب في التصوّف جعفر بن عبد الله بن شيندبونة الخُزاعيّ الأندلسيّ ، ثم سافر على قدم التجريد ، فدخل الصعيد ، وأقام بالقاهرة يُقرئ الناس وينفعهم . قال الشيخ برهان الدين الأبناسي في ترجمته : كان الشيخ أبو العباس يشغل الناس بالقراءات السبع ، وكان حافظاً بارعاً في علم الحديث ، حافظا لمتونه ، عارفا بعلله ورجاله ، حسن الاستنباط بذهن وقاد ، وكانت له الأحوال الغريبة ، والأساليب العجيبة ، أجاز سبعة آلاف رجل بالقراءات السبع . توفيَ سنة ثلاث وعشرين وستّمائة ، وقد بلغ ثلاثا وستين سنة ، ودفن بالقرافة .

٣٠ — يحيى بن موسى بن على القنائى يعرف بابن الحلاويّ . قال الحافظ رشيد الدين العطار : كان من المشايخ المعروفين بالزهد والصلاح ، سمعته يقول : سمعتُ الشيخ العارف عبد الرحيم بن أحمد بن حجون المغربيّ — وكان شيخ وقته وإمامَ عصره — يقول في قوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ طلب العلم تكفّل الله برزقه » ، معناه والله أعلم : يخصّه بالحلال من الرزق لمكان طلب العلم . قال الرّشيد : وسمعتُ منه جزءا منتخباً من كلام شيخه عبد الرحيم . مات بقنا في ذى القعدة سنة خمس وعشرين وستّمائة[2] .

---

(١) الطالع السعيد ٤١٩ ، طبقات الشعرانى ١ : ١٣٦ .

(٢) الطالع السعيد ٤٠٩ .

٣١ ـ ابن الفارض شرف الدين أبو القاسم عمر بن علىّ بن مرشد الحموىّ الأصل المصرىّ . ولد بالقاهرة فى ذى القعدة سنة ست وسبعين وخمسمائة ؛ وكان أبوه يكتب فروض النِّساء . ترجمه الرشيد العطار فى معجمه ، فقال : الشيخ الفاضل الأديب . كان حسن النظم ، متوقّد الخاطر ، وكان يسلك طريق التصوّف ، وينتحل مذهب الشافعىّ ، وأقام بمكّة مدّة ، وصحب جماعة من المشايخ . وترجمه أيضا المنذرىّ فى معجمه وغيره . مات فى ثالث جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة [١] .

٣٢ ـ أبو الحجاج الأقصرىّ الشيخ العارف يوسف بن عبد الرحيم بن غزىّ ، شيخ الزمان وواحد الأوان ، صاحب المعارف والكرامات والمكاشفات والاستغراقات . انتفع به خلق من أصحابه ، وكان فى أول أمره مشارف الديوان ثم تجرّد، وصحب الشيخ عبد الرازق تلميذ الشيخ أبى مدين ، فحصل له من الفتح ما حصل . توفِّىَ فى رجب سنة اثنتين وأربعين وستمائة بالأقصر من الصعيد الأعلى [٢] .

٣٣ ـ وولده نجم الدين أحمد . مشهور أيضا بالصلاح ، له كرامات ومكاشفات . مات ببلده سنة نيّف وثمانين وستمائة .

٣٤ ـ وولد نجم الدين هذا جمال الدين محمد ، له أيضا مكاشفات ؛ منها أنه أخبر بفتح عكا يوم وقوعه . توفِّىَ فى شعبان ست وتسعين وستمائة .

٣٥ ـ أبو السعود بن أبى العشائر بن شعبان بن الطيب الباذِبِينىّ . مولده بباذبين بلد بقرب واسط العراق ؛ ذكره كذلك المنذرىّ فى معجمه ، وقال : سمعته يقول : ينبغى للسالك الصادق فى سلوكه أن يجعل كتابه قلبه . قال : ومات بالقاهرة يوم الأحد تاسع شوال سنة أربع وأربعين وستمائة ، ودفن بسفح المقطم .

٣٦ ـ أبو بكر وأبو يحيى بن شافع القنائىّ ، شيخ عصره . صحب الشيخ أبا الحسن بن

---

(١) ابن خلكان ١ : ٣٣٣ (٢) الطالع السعيد ٤١٦ .

الصبّاغ ، وله كرامات استفاضتْ وأحوال اشتهرت ، ومعارف بهرت ، وانتفع به جماعة . مات فى شوال سنة سبع وأربعين وستمائة .

٣٧ ـ مفرّج بن موفق بن عبد الله الدّمامينىّ أبو الغيث . صاحب المكاشفات الموصوفة ، والمعانى المعروفة ، صحب أبا الحسن بن الصباغ ، قال الحافظ الرشيد العطار : كان من مشاهير الصالحين ، وممن تُرْجَى بركاته ، واشتهرت كراماته . مات فى جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وقد قارب التسعين .

٣٨ ـ إسماعيل بن إبراهيم بن جعفر المنفلوطىّ ثم القنائىّ الشيخ علم الدين . أحد أصحاب أبى الحسن بن الصبّاغ . كان ممن جمع الشريعة والحقيقة ، فقيهاً مالكيًّا . له كرامات ومكاشفات ومعارف صوفيّة . مات بقنا فى صفر سنة اثنتين وخمسين وستمائة[١] .

٣٩ ـ رفاعة بن أحمد بن رفاعة القنائىّ الُجذامىّ . من أصحاب الشيخ أبى الحسن ابن الصباغ . أحد المشهورين بالصلاح والكرامات والمقامات ، حكى الشيخُ عبد الغفار ابن نوح أنّ الشيخ أبا الحسن بن الصبّاغ تحدّث مع والى قُوص أن يعزل والىَ قنا ، فامتنع ، وكان رفاعة حاضراً ، فقال رفاعة : ياسيّدى ، أقول ؟ قال : لا ، فلما خرج سأله الفقراء ، ما الذى كنت تريد تقول ؟ فقال: إنّ الوالىَ لمّا ردّ على الشيخ عُزِل فى ساعته . فأرّخوا ذلك الوقت ، فجاء المرسوم بعزله فى ذلك التاريخ[٢] .

٤٠ ـ إبراهيم بن علىّ بن عبد الغفار بن أبى القاسم بن محمد بن فضل بن أبى الدنيا الأندلسىّ ثم القنائىّ. قال الأدفوىّ فى الطالع السعيد : كانَ من المشهورين بالكرامات ، وذكروا أنّ الشيخ عبد الرحيم كان يذكره ، ويقول : يأتى بعدى رجلٌ من الغرب يكون له شأن ، فقدم هذا . مات بقنا يوم الجمعة مستهلّ صفَر سنة ست وخمسين وستمائة[٣] .

---

(١) الطالع السعيد ٨٠ .
(٢) الطالع السعيد ١٢٨
(٣) الطالع السعيد ٢٧ .

٤١ ـ الشيخ أبو الحسن الشاذلىّ شيخ الطائفة الشاذلِيّة . هو الشريف تقىّ الدين علىّ بن عبد الله بن عبد الجبّار . قال الشيخ تقىّ الدين بن دقيق العيد : مارأيتُ أعرفَ بالله من الشاذلىّ . وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله : منشؤه بالغرْب الأقصى ، ومبدأ ظهوره بشاذِلة ، وله السياحات الكثيرة ،والمنازلات الجليلة ، والعلوم الكثيرة ، لم يدخل فى طريق الله حتى كان يعدّ للمناظرة فى العلوم الظاهرة ، وعلوم جمة ، جاء فى هذا الطريق بالعجَب العُجاب ، وشرح من علم الحقيقة الأطناب ، ووسّع للسالكين الرّكاب . وكان الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام يحضرُ مجلسه ، ويسمع كلامه . قال الشيخ تاج الدين : أخبرنى والدى قال : دخلتُ على الشيخ أبى الحسن الشاذلىّ ، فسمعته يقول : والله لقد يسألوننى عن المسألة لا يكون لها عندى جواب، فأرى الجواب مسطَّراً فى الدواة والحصير والحائط . مات فى ذى القعدة سنة ست وخمسين وستّمائة بصحراء عَيذاب متوجّهاً إلى مكة(١) .

٤٢ ـ أبو القاسم بن منصور بن يحيى المالكىّ الإسكندرىّ المعروف بالقبّارىّ ـ أحد العبّاد المشهورين بكثرة الورع والتحرّى والانقطاع ، أفرد ناصر الدين بن المنيّر ترجمته بتأليف . مات بظاهر الإسكندرية فى سادس شعبان سنة اثنتين وستين وستمائة عن خمس وسبعين سنة . ومن غريب ماحُكِىَ عنه أنه باع دابّةً لرجل ، فأقامت أياما لم تأكل عنده شيئاً فجاء إليه وأخبره ، فقال له الشيخ : ماصنعتك ؟ قال: رقّاص عندالوالى ، فقال: إنّ دابتنا لاتأكلُ الحرام، ثم ردّ إليه دراهمه .

(١) نكت الهميان ٢١٣ ، نور الأبصار ٢٣٤ قال فى القاموس : شاذلة ، أو بالذال : بلدة بالمغرب ، منها السيد أبو الحسن الشاذلى أستاذ الطائفة الشاذلية من صوفية الإسكندرية ؛ وفيهم يقول أبو العباس ابن عطاء .

تمسَّكْ بحبِّ الشاذلِيّة تلقَ ما ... تروم فحقِّقْ ذاكَ منهم وحَصِّلِ
ولاتعدُوَنْ عيناكَ عنهمْ فإنّهمْ ... شموس هدًى فى أعين المتأمِّلِ

٤٣ ـ أبو الحسن بن قفل . ذكره ابن فضل الله فى المسالك فى صوفيّة مصر وقال: من كلامه : إن شئت أن تصير من الأبدال ، فحوّل خُلُقك إلى بعض خُلُق الأطفال ، ففيهم خمسُ خصال لو كانت فى الكبار لكانوا أبدالا : لا يهتمّون للرزق ، ولا يشكون مِنْ خالقهم إذا مرضوا ، ويأكلون الطعام مجتمعين ، وإذا تخاصموا لم يتحاقدوا وتسارعوا إلى الصلح ، وإذا خافوا جرتْ عيونهم بالدموع .

٤٤ ـ الجنيد بن مقلد السمهودىّ . من المشهورين بالصلاح والكرامات . مات ببلده سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، ذكره فى الطالع السعيد[1] .

٤٥ ـ الشاطبىّ الزاهد نزيل الإسكندريّة أبو عبد الله محمد بن سليمان المَعافرىّ . كان أحد المشهورين بالعبادة والتألّه . مات سنة اثنتين وسبعين وستمائة عن بضع وثمانين سنة .

٤٦ ـ أبو العباس الملثّم أحمد بن محمد . كان مقيماً بالصّعيد ، وله كرامات وعجائب . صحب الشيخ عبد الغفار . مات بقُوص فى رجب سنة اثنتين وسبعين وستمائة[2] .

٤٧ ـ مسلم البرقىّ صاحب الرباط بالقرافة . كان صالحاً متعبّداً يُقْصَد للتبرّك بدعائه . مات سنة ثلاث وسبعين وستمائة . ذكره ابن كثير[3] .

٤٨ ـ خضر بن أبى بكر المهرانىّ . له حال وكشف ، وكان الظاهر بيبرس يخضع له ، ثم تغيّر عليه ، فأراد قتله فى سنة إحدى وسبعين ، فقال له : إنما بينى وبينك فى الموت شىء يسير ، فوجَم لها السلطان وتركه ، فأقام إلى أن مات فى سادس المحرّم سنة ست وسبعمائة ، ومات الظاهر بعده باثنين وعشرين يوما .

٤٩ ـ سيدى أحمد البدوىّ ، هو أبو الفتيان أحمد بن علىّ بن إبراهيم بن محمد بن

---

(١) الطالع السعيد ٩٦ ، وفيه : « جعفر بن مقلد » .
(٢) الطالع السعيد ٦٦
(٣) البداية والنهاية . . .

أبى بكر القدسىّ الأصل اللثم . ولد سنة ست وتسعين وخمسمائة مع أبيه وأهله ، وأقام بمكة إلى أن مات أبوه سنة سبع وعشرين ، وعُرف بالبدوىّ لملازمته اللثام . ولبس لثامين لا يفارقهما، وعُرِض على التزويج فأبى ، لإقباله على العبادة . وكان حفظ القرآن ، وقرأ شيئاً من الفقه على مذهب الشافعىّ ، واشتهر بالعطّاب لكثرة ما يقع بمن يؤذيه من الناس ، ثم لازم الصمت حتى كان لا يتكلم إلا بالإشارة ، واعتزل الناس جملة ، وظهر عليه الوله . فلما كان فى الحرّم سنة ثلاث وثلاثين ، ذكر أنه رأى فى النوم من بشّره بأنه ستكون له حالة حسنة . ثم إن أخاه حسن بن علىّ دخل العراق ، وهو صحبته ، ولازم أحمد الصيام ، وأدمن عليه حتى كان يطوى أربعين يوما لا يتناول طعاماً ولا شراباً ، ولا ينام وهو فى أكثر حاله ، شاخص البصر إلى السماء وعيناه كالجمرتين ، ثم صار إلى مصر سنة أربع وثلاثين ، فأقام بطنتدتا من الغربية على سطح دار لا يفارقه ، وإذا عرض له الحال يصيح صياحا متصلا . وكان طوالا غليظ الساقين ، عبْل الذراعين ، كبير الوجه ، ولونه بين البياض والسمرة ، وتُؤثر عنه كرامات وخوارق ، من أشهرها قصّة المرأة التى أسر الفرنج ولدها ، فلاذت به ، فأحضره إليها فى قيوده ، ومرّ به رجلٌ يحمل قربة لبن فأومأ إليها بأصبعه ، فانقدّت فانسكب اللبن ، فخرجت منه حيّة قد انتفخت . توفّى يوم الثلاثاء ثانى عشرى ربيع الأول سنة خمس وسبعين وستمائة [(١)] .

٥٠ — ابن النعمان القدوة الزاهد أبو عبد الله محمد بن موسى بن النّعمان التِّلِمْسانىّ ثم المرسىّ . قدم الإسكندريّة شاباً ، فسمع بها من الصفراوىّ ، وكان عارفاً بمذهب مالك ، راسخ القدم فى العبادة والنسك ، ولد سنة سبع وستمائة ، ومات فى رمضان سنة ثلاث وثمانين ودفن بالقرافة ذكره فى العبر [(٢)] .

٥١ — شرف الدين محمد بن الحسن بن إسماعيل الإخميمىّ الزّاهد . قال فى العِبَر :

---

(١) شذرات الذهب ٦ : ٣٤٥ (٢) شذرات الذهب ٦ : ٣٨٤ .

كان صاحب توجّه وتعبّد ، وللناس فيه عقيدة عظيمة . مات بدمشق فى جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وسبعمائة .

٥٢ ـ الشيخ أبو العباس المرسى . أحمد بن عمر الأنصارىّ العارف الشهير . قطب زمانه ورأس أصحاب الشيخ أبى الحسن الشاذلىّ ، ذكر الشيخ تاج الدين بن عطاء الله عنه أنه قال يوما : والله لو حُجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ماعددتُ نفسى مع المسلمين . مات بالإسكندرية سنة ست وثمانين وستمائة (١) .

٥٣ ـ الجعبرىّ أبو إسحاق إبراهيم بن معضاد الزّاهد الواعظ المذكّر . قال فى العبر : روى عن السخاوىّ ، وسكن القاهرة وكان لكلامه وقع فى القلوب لصدقة وإخلاصه وصدعه بالحق . مات فى المحرّم سنة سبع وثمانين وستمائة عن سبع وثمانين سنة وشهر (٢) .

٥٤ ـ ولده ناصر الدين محمدّ . كان صالحاً معتقدا يعظ الناس مكان والده ولوعظه رَوْنق . مات سنة سبع وثلاثين وسبعمائة .

٥٥ ـ الإمام أبو محمد بن أبى جمرة المقرىء المالكى العالم البارع الناسك . قال ابن كثير : كان قوّالاً بالحق أمّاراً بالمعروف . مات بمصر فى ذى القعدة سنة خمس وتسعين وستمائة (٣) .

٥٦ ـ الشيخ كمال الدين بن عبد الظاهر علىّ بن محمد بن جعفر الهاشمىّ الجعفرىّ القوصىّ . صاحب المناقب المأثورة والكرامات المشهورة ولد بقوص، وتفقه بالمجد بن دقيق العيد ، وأجازه بالتدريس ثم تصوّف وانقطع للذكر والعبادة ، وصحب الشيخ إبراهيم الجعبرىّ بالقاهرة ، ثم استوطن إخميم وانتصب لتذكير الناس ، وانتفع به كثيرون . مات بها فى رجب سنة إحدى وسبعمائة (٤) .

---

(١) طبقات الشعرانى ١ : ١٢

(٢) طبقات الشعرانى ١ : ١٧٧ .

(٣) طبقات الشعرانى ١ : ١٧٦ ، ابن كثير .

(٤) طبقات الشعرانى ١ : ١٣٧ .

٥٧ وله ولد يقال له أبو العباس ، نجوه فى العلم والعمل والاجتهاد وتذكير الناس . انتفع به الخلق الكثير . ومات بإخميم فى رجب سنة سبع وخمسين وسبعمائة ، .

٥٨ — عبد الغفار بن أحمد بن عبد المجيد الأقصرىّ ثم القوصىّ المعروف بابن نوح. صحب أبا العباس الملثّم وعبد العزيز المنوفىّ ، وتجرّد زمانا وتعبّد ، وله أحوال وكرامات. ألّف الوحيد فى علم التوحيد ، وله شعر حسن . مات بالقاهرة فى ذى القعدة سنة ثمان وسبعمائة وله ثلاث وستون سنة (١) .

٥٩ — الشيخ تاج الدين بن عطاء الله أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الكريم الجُذامى الإسكندرانىّ الإمام المتكلّم على طريقة الشاذلىّ . كان جامعاً لأنواع العلوم من تفسير وحديث ونحو وأصول وفقه على مذهب مالك وصحب فى التصوّف ، الشيخ أبا العباس المرسى — وكان أعجوبة زمانه فيه — أخذ عنه التقىّ السبكىّ . وله تصانيف منها التنوير فى إسقاط التدبير ، والحكم ولطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس والشيخ أبى الحسن ، والمرقى إلى القدس الأبقى ، ومختصر تهذيب المدوّنة للبرادعىّ فى الفقه . مات بالمدرسة المنصوريّة من القاهرة فى ثالث عشر جمادى الآخرة سنة تسع وسبعمائة ودفن بالقرافة (٢) .

٦٠ — عمر بن أبى الفتوح الدّمامينىّ . صاحب كرامات ومكاشفات . مات بالقاهرة فى ذى القعدة سنة أربع عشرة وسبعمائة ، ومولده سنة سبع وأربعين وستمائة . ذكره فى الطالع السعيد (٣)

٦١ — نصر بن سلمان بن عمر المنبجىّ أبو الفتح . القدوة العابد شيخ مصر . حدّث عن إبراهيم بن خليل ، وتلا على الكمال الضرير ، وتفقّه على مذهب أبى حنيفة ، ثم

---

(١) الطالع السعيد ١٧١

(٢) طبقات الشعرانى ٢ : ١٩ .

(٣) الطالع السعيد ٢٣٨ .

اعتزل وزاره السلطانُ والأعيان والعلماء . مات بزاويته، بالحسينيّة فى جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبعمائة عن بضع وثمانين سنة .

٦٢ ـ ياقوت بن عبد الله الحَبشىّ القُرشىّ العارف ، تلميذ الشيخ أبى العباس المرسىّ تسلّك عليه ، قال ابن أيبك : كان شيخا صالحا مباركا ذا هيبة ووقار . أخذ الطريق عن الشيخ أبى العباس المرسىّ وصحبه مدّة وسمع من كلامه ، وكان يقصَد للدعاء والتبرك ،ولم يخلف بناحيته بعده مثله . مات بالإسكندرية ليلة الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وهو من أبناء الثمانين [1] .

٦٣ ـ عبد العال خليفة سيّدى أحمد البدوىّ . كان له شهرة بالصلاح ، يقصَد للزيارة والتبرك . مات بطندتا فى ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة [2] .

٦٤ ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم المرشدىّ . من أهل منية مرشد من الوجه البحرىّ ، ذكره ابن فضل الله فى صوفيّة مصر ، وقال : إنه كان مع اشتهاره بالصلاح فقيهاً على مذهب الشافعىّ ، يفتِى مَن استفتاه من غير أن يكتب خطّه . مات فى شعبان سنة سبع وثلاثين وسبعمائة .

٦٥ ـ عبد الله بن محمد بن سليمان المنوفىّ . قال ابن فضل الله : جمع بين العلم والعمل والصلاح تفقّه على مذهب مالك ، واعتزل ، وانقطع بالمدرسة الصالحية مقتصرا على خويصّة نفسه ، لايكاد يخرج إلا إلى الصلاة ، وله كرامات ظاهرة حكى الأمير الجائىّ الدوادار قال : وقع فى نفسى إشكال فى مسألة، وكان لى صاحب من الفقهاء الحنفية أتردّد إليه ، فركبت إليه لأسأله على تلك المسألة فلم أجده ، فأتيت الشيخ عبد الله المنوفىّ فلمّا جلست قال لى : كأنك مشتغل بشىء من الفقه ! فقلت: نعم ، قال : فأقول لك فى كذا وكذا؟ لتلك المسألة بعينها ، فقلت ، منكم تُستَفَاد ،فأخذ يتكلّم فى تلك المسألة وما عليها من

---

(١) طبقات الشعرانى ٢ : ١٨

(٢) طبقات الشعرانى ٢ : ١٦٨ .

الإرادات — وذكر الإشكال الذى وقع فى نفسى — ثم شرع يُجيب عنه حتى انجلَى ، فسألته عن شىء آخر ، قال : لا ، قم مع السلامة ، والقصد قد حصل . ولد سنة ست وثمانين وستمائة ، وتوُفِّىَ فى رمضان سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، رأيت بخط الشيخ كمال الدين الشُّمُنِّى قال: سمعت شيخنا الحافظ أبا الفضل العراقىّ يقول : لم أر قطُّ جنازة أكثر جمعاً من جنازة الشيخ عبد الله المنوفىّ ، وذلك أنه صادف اليوم الذى خرج فيه أهل مصر ليدعُوا ربَّهم لمَّا كثر الفناء . قال العراقىّ : وكان النّاس إنّما خرجوا فى الحقيقة لأجل جنازة الشيخ . قال : ثمّ رأيت بعد ذلك فى مناقب الشيخ التى جمعها تلميذه الشيخ خليل ، قال : لمّا حصل الفناء ، وأراد الناس أن يخرجوا ليدعوا ربّهم جئت إلى الشيخ ، وطلبت منه الحضور مع الناس، فقال لى : نعم ، أنا أكون معهم فى ذلك اليوم ؛ ولكن لا أظهر ؛ فكان ذلك يوم موته ، ففهمت أنه أشار إلى خفائه عنهم بالكفن .

٦٦ — مسلم السلمىّ . كان مقيما بجامع الفيلة ، وكان صالحاً عابداً ، له كرامات. ربّى سبُعا فصار عنده كالهرّ يدور فى البيوت ، فلما مات الشيخ أخذه السباعون ، فتوحّش عندهم فى الغابة وعجزوا عنه . مات سنة أربع وستين وسبعمائة .

٦٧ — سيدى يوسف العجمىّ العارف المسلّك جمال الدين أبو المحاسن عبد الله بن عمر بن علىّ بن خضر الكورانىّ . إمام المسلكين فى عصره ، وله رسالة فى التصوف . مات سنة ثمان وستين وسبعمائة ، وقبره مشهور بالقرافة .

٦٨ — يحيى بن علىّ بن يحيى الصّنافيرىّ المجذوب . صاحب كرامات ومكاشفات وأحوال خارقة ، وكان الغالب عليه السكرة . مات فى شعبان سنة اثنتين وسبعمائة .

٦٩ — صالح بن نجم المصرىّ . كان عَلَى قدم عظيم من العبادة والزّهد والورع ، وللناس فيه اعتقاد كبير مات بمنية السِّيرج فى رمضان سنة ثمان وسبعمائة .

٧٠ — نهار المغربىّ السكندرىّ المجذوب . صاحب كرامات وأحوال . مات فى جمادى الأولى سنة ثمانين وسبعمائة .

٧١ ـ الشيخ عبد الله الجبرتى الزيلعىّ . أحد الصلحاء المعتقدين . مات فى المحرّم سنة ثمانين وسبعمائة ، وقبره مشهور بالقرافة .

٧٢ ـ حسن بن عبد الله الفرات . أحد المشايخ المعتقدين . قال الحافظ بن حجر : كان أبى يعتقده . قال : وذكر لى شمس الدين الأسيوطى أنه غضب عليه ، فرمى بسهم فى الهواء ، فقال : أصابه ، فلم يلبث إلا يسيرا حتى مات . مات الشيخ حسن فى ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وسبعمائة .

٧٣ ـ إسماعيل بن يوسف الإنبابىّ . صاحب الزاوية بإنبابة . نشأ على طريقة حسنة ، واشتغل بالعلم ، ثم انقطع بزاويته . مات فى شعبان سنة تسعين وسبعمائة[1] .

٧٤ ـ حسن بن عبد الله الخبار . صحب ياقوت العرشىّ ، وتزوّج بابنته ، وجلس للوعظ ، وانتفع به الناس . مات فى ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة .

٧٥ ـ ابن الملبق قاضى القضاة ناصر الدين أبو المعالى محمد بن عبد الدائم بن محمد بن سلامة المصرىّ الشاذلىّ . ولد سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ، واشتغل وحصّل ، وتصوّف وتزهد ، وتكلم على الناس دهرا ، ثم ولى قضاء الشافعية فباشره بعفة ونزاهة . مات سنة سبع وتسعين وسبعمائة[2] .

٧٦ ـ الزهورىّ أحمد بن أحمد بن عبد الله العجمىّ نزيل القاهرة . كان صاحب مكاشفات ، وللناس فيه اعتقاد كثير ، وكان برقوق يجلّه ويُجلسه معه فى مجلسه العام على المقعد الّذى هو عليه ، وكان هو يسبّ برقوقا بحضرة الأمراء ، وربما بصق فى وجهه ولا يتأثر . مات سنة إحدى وثمانمائة .

٧٧ ـ خلف بن حسين بن عبد الله الطوخىّ . أحد المعتقدين بمصر . كان كثير التلاوة ، ملازماً لداره والخلق يُهرعون إليه ، وشفاعاته مقبولة عند السلطان فمَنْ دونه .

(١) الدرر الكامنة ١ : ٣٨٤ (٢) الدرر الكامنة ٣ : ٤٩٤ .

مات فى ربيع الآخر سنة إحدى وثمانمائة .

٧٨ ـ صلاح الدين محمد الكلائى . أحد الذاكرين على طريقة الشاذلية . صحب حسن الخبار ، وخلفه فى مكانه ، فصار يذكر الناس . مات فى ربيع الأول سنة إحدى وثمانمائة .

٧٩ ـ إبراهيم بن عبد الله الرقا . كان مقيما بزاوية فى مصر ، وللناس فيه اعتقاد كبير ، وله كرامات . مات فى جمادى الأولى سنة أربع وثمانمائة .

٨٠ ـ محمد بن عبد الله الخواص . أحد مَنْ كان يُعتقَد بمصر . مات بالروضة فى جمادى الآخرة سنة خمس وثمانمائة .

٨١ ـ محمود بن عبد الله الصامت . كان لايتكلّم البتّة . أقام بالجيزة مدّة طويلة ، وللناس فيه اعتقاد كبير . مات فى ذى القعدة سنة خمس وثمانمائة .

٨٢ ـ محمد بن حسن بن الشيخ مسلم السُّلَمِىّ . أحد المشايخ المعتقدين بمصر . مات فى ربيع الأول سنة ست وثمانمائة .

٨٣ ـ سيدى على بن وفا الشاذلىّ العارف الكبير أبو الحسن بن العارف الكبير سيدى محمد بن محمد . ولد بالقاهرة سنة تسع وخمسين وسبعمائة ، وكان يقظاً حادّ الذّهن ، مالكى المذهب ، وله نظم كثير ، وكان أبوه معجَباً به ، وأذن له فى الكلام على الناس وهو دون العشرين . مات فى ذى الحجة سنة سبع وثمانمائة .

٨٤ ـ ابن زقاعة برهان الدين إبراهيم بن محمّد بن بهادر الغزّىّ . ولد سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وأخذ القراءة من الحكرىّ ، والفقه عن ناصر الدين القونَوىّ ، والتصوّف عن الشيخ عمر حفيد عبد القادر ، وسمع الحديث من نور الدين الفُوِّىّ ، واشتغل بالآداب ، وقال الشعر ، ثم ساح فى الأرض ، وتجرّد وتزهد ، وعظم قدره ، وشاع ذكره . مات فى ذى الحجة سنة ست عشرة وثمانمائة .

٨٥ ـ شمس الدين البلالىّ محمد بن علىّ بن جعفر العجلونىّ . نزيل القاهرة . ولد قبل الخمسين وسبعمائة ، واشتغل بالعلم قليلا ، وسلك طريق الصوفيّة ، فمهر ، وصارت له بإحياء علوم الدين مَلَـكة ، واختصره اختصارا حسناً ، وولِىَ مشيخة سعيد السعداء ، وكان خيّراً معتقدا . مات فى شوال سنة اثنتى عشرة وثمانمائة .

٨٦ ـ يوسف بن إسماعيل بن يوسف الإنبابىّ . ولد سنة ست ...[1] ، وأخذ عن العراقىّ وابن جماعة ، وكان أبوه ممن يُعتقد فى ناحيته ، ثم صار ابنُه كذلك ، مع ملازمة الاشتغال والإشغال والخشوع والتعبّد . مات فى شوال سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة .

٨٧ ـ ابن عرب أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن محمد اليمانىّ الزاهد بالشيخونيّة . نشأ نشأة حسنة ، واشتغل ونسخ بالأجرة ثم انقطع عن الناس ، فلم يـكن يجتمع بأحد ، واختار العزلة مع مواظبته على الجمعة والجماعة ، واقتصر على ملبسٍ خشن جدًّا ، وقنع بيسير من القوت ، وأقام على هذه الطريقة أكثر من ثلاثين سنة ، ولم يـكن فى عصره مَنْ داناه فى طريقته ، وكان يدرى القراءات . مات فى ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وثمانمائة .

٨٨ ـ أبو بكر بن عبد الله بن أيوب بن أحمد الملّوىّ الشاذلىّ الشيخ زين الدين . كان جدّه أيوب معتقدا ، وولد هذا سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، وصحب الفقراء ، وتلمذ للشيخ حسن الخبّاز ، ثم لازم صاحبه صلاح الدين الـكلاعىّ ، وصار يتـكلّم على الناس ، وكان كثير الذكر والعبادة ، يتكسب بدلالة الغزْل ، وللناس فيه اعتقاد كبير . مات ليلة الجمعة خامس ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة .

٨٩ ـ الشيخ شمس الدين الحنفىّ محمد بن حسن بن علىّ الشاذلىّ . ولد سنة خمس وسبعين وسبعمائة ، وأخذ...[1] ابن هشام وغيره ، وأخذ طريق القوم عن الشيخ ناصر الدين بن المليق ، وحضر إملاء الشيخ زين الدين العراقىّ ، وسمع على غالب سيرة

(١) بياض فى الأصل

ابن سيد الناس ، واشتهر اسمه ، وشاع ذكره . مات فى ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وثمانمائة .

٩٠ ـ الشيخ أبو العباس الحنفىّ أحمد بن محمد بن عبد الغنى المرسىّ صاحب الشيخ شمس الدين الحنفىّ . وكان يقال إنه أعظم منه ، وكان الشيخ كمال الدين بن الهمام يتردّد إليه ، وأتى إليه يوماً ومعه تأليف التحرير فى أصول الفقه ، فنظره الشيخ أبو العباس ، فقال : هو كتاب مليح ، إلا أنه لا ينتفع به أحد ، فكان الأمر كما قال . مات الشيخ أبو العباس فى جمادى الآخرة سنة إحدى وستين وثمانمائة .

٩١ ـ أحمد بن إسماعيل بن أبى بكر بن عمر بن خالد الشيخ شهاب الدين الأبشيطىّ العلامة الصالح الزاهد الولىّ الكبير ، والإمام الشهير . رَجُلٌ يُستسقى به الغيث . ويهابه لفرطِ صلاحِه الليث ، معرض عن الدنيا ، حالٌّ بالمرتبة العليا ، بعيد عن الخلق، قريب من الحق ، مواظب على الصلاة والصيام ، قائم بخدمة مولاه والناس نيام ، هذا مع تفنن وعلوم كثيرة ، وتصانيف ما بين منظومة ومنثورة، ازدان به هذا الزمان ، وانتفع بإقرائه الإنس والجان، اتخذ طيبة المشرّفة دارا ، وفاز بجوار سيد المرسلين وما أكرمه جارا، إلى أن جاءه الرسول من ربه بالبشرى ، والارتحال من دار الدنيا إلى الدار الأخرى . كان مولده بأبشيط ، وأخذ عن البرهان البيجورىّ والشمس البرماوىّ ، وجماعة ، ونبغ فى العلوم . وألف تصانيف نظما ونثرا ، ثم تزهد وانقطع ، وسافر إلى المدينة فأقام بها إلى أن مات سنة ثمان وثمانين وثمانمائة . اجتمعتُ به لمّا حججت ، فسألته أن يحدثنى بشىء لأكتبه عنه فى المعجم ، فامتنع ، فقلت له : لم ياسيدى ، وهذا خير ؟ فقال : قال الشافعىّ رضى الله عنه :

فإنْ تجتنبْها كنت سِلْماً لأهلها ... وإن تجتذبها نازعتْك كلابُها

فعلمت أنه يشير إلى أن ذلك من أمور الدنيا[1] .

---

(١) الضوء اللامع ١ : ٢٤٤ .

ذكر من كان بمصر من أئمة النحو واللغة

١ ـ عبد الملك بن هشام بن أيوب المَعافرىّ أبو محمد . صاحب السيرة ، هذّب سيرة ابن إسحاق فصارت تنسب إليه . كان إماماً فى اللغة والنحو والعربية ، أديباً أخبارياً نسّابة . قال الذهبىّ : سكن مصر ومات فى سنة ثمانى عشرة ومائتين .

وقال ابن كثير : كان مقيماً بديار مصر وقد اجتمع به الشافعىّ حين وردها ، وتناشدا من أشعار العرب أشياء كثيرة . مات لثلاث خلت من ربيع الآخر[١] .

٢ ـ محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلم أبو بكر . قال ابن يونس فى تاريخ مصر : كان نحويًّا يعلّم أولاد الملوك النحو ، حدّث عن القاضى بكار ، وأمّ بالجامع العتيق بمصر . مات يوم السبت لأربع وعشرين خلت من ربيع الآخر سنة ثلاثين وثلاثمائة .

٣ ـ ابن ولّاد أبو العباس أحمد بن محمد بن الوليد التميمىّ المصرىّ . مصنّف كتاب الانتصار لسيبويه على المبرِّد . قال فى العبر : كان شيخ الديار المصرية فى العربية مع أبى جعفر النحاس . تُوُفِّىَ سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة[٢] .

٤ ـ أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل المُرادىّ المصرىّ النحوىّ . قال فى العبر : كان ينظر بابن الأنبارىّ ونفطويه ببلده ، له تصانيف كثيرة . مات فى ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ، وقد أخذ عن الأخفش الصغير وغيره ، وروى الحديث عن النَّسائىّ . ومن تصانيفه : تفسير القرآن ، والناسخ والمنسوخ ، وشرح أبيات سيبويه ، وشرح المعلّقات . غرق تحت المقياس ولم يُدْرَ أين ذهب[٣] .

٥ ـ ابن الجُبّىّ محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندىّ المصرىّ . أحد أئمة النحو

---

(١) إنباه الرواة ٢ : ٢١١ (٢) العبر ٢ : ٢٣١ .
(٣) العبر ٢ : ٢٤٦ .

كان يلقب سيبويه ، لاعتنائه بذلك . مات فى صفر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، ومولده سنة أربعين وثمانين ومائتين (١) .

٦ — أبو بكر الأدفوى . مرّ فى القراء (٢) .

٧ — الحوفىّ صاحب إعراب القرآن الإمام أبو الحسن علىّ بن إبراهيم بن سعيد . كان إماماً فى العربية والنحو والأدب ، وله تصانيف كثيرة ، وهو من قرية يقال لها شَبْرا من أعمال الشرقيّة . قال فى العبر : أخذ عن الأدفوىّ ، وانتفع به أهلُ مصر . مات مستهلّ ذى الحجة سنة ثلاثين وأربعمائة (٣) .

٨ — ابن بابشاذ أبو الحسن طاهر بن أحمد المصرىّ الجوهرىّ صاحب التصانيف ، دخل بغداد تاجراً فى الجوهر ، وأخذ عن علمائها ، وخدم بمصر فى ديوان الإنشاء ثم تزهّد بأخَرة . ومن تصانيفه : المقدّمة وشرحها ، وشرح الجمل ، وتعليقة فى النحو نحو خمسة عشر مجلدا . سقط من سطح جامع عمرو بن العاص ، فمات فى ساعته فى رجب سنة تسع وستين وأربعمائة (٤) .

٩ — محمد بن إسحاق بن أسباط الكندىّ أبو النضر المصرىّ . أخذ عن الزّجاج ، وكان شيخ أهل الأدب . صنّف فى النحو المغنى وغيره (٥) .

١٠ — محمد بن بَرَكات بن هلال أبو عبد الله السعيدىّ المصرىّ النحوىّ اللغوىّ . سمع من كريمة والقُضاعىّ وعبد العزيز بن الضّراب . مات فى ربيع الآخر سنة عشرين وخمسمائة ، وله مائة سنة وثلاثة أشهر (٦) .

١١ — ابن القطّاع أبو القاسم علىّ بن جعفر بن علىّ السعدى الصّقلّىّ ، ثم المصرىّ

---

(١) بغية الوعاة ١ : ٢٥٠ ، ٢٥١ . (٢) ص ٤٩٠
(٣) العبر ٣ : ١٧٢ . (٤) إنباه الرواة ٢ : ٩٥
(٥) إنباه الرواة ٣ : ٦٨ . (٦) إنباه الرواة ٣ : ٧٨

اللغوىّ، مصنف كتاب الأفعال . قدم مصر فى حدود سنة خمسمائة. فأكرمه أهلها ، وأقام بها إلى أن مات سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وقد جاوز الثمانين [١] .

١٢ – عبد الله بن بَرِّىّ بن عبد الجبار أبو محمد المصرىّ النحوىّ اللغوىّ . صاحب التصانيف . قال فى العبر : روى عن أبى صادق المدينىّ وطائفة ، وانتهى إليه علم العربية واللّغة فى زمانه ، وقصد من البلاد لتحققه . وقال غيره: له حواشٍ على صحاح الجوهرىّ. ولد بمصر فى رجب سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، ومات بها يوم الأحد تاسع عشر شوال سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة [٢] .

١٣ – يحيى بن معطٍ بن عبد النور زين الدين الزواوىّ . كان إماماً مبرّزاً فى العربية ، شاعراً محسناً ، قرأ على الجزولىّ، وتصدّر بجامع عمرو لإقراء النّحو ، وحمل النّاس عنه . وصنّف الألفيّة المشهورة والفصول . ولد سنة أربع وستين وخمسمائة ، ومات سنة ثمان وعشرين وستمائة [٣] .

١٤ – أمين الدين المحلّى محمد بن علىّ بن موسى الأنصارىّ . أحد أئمة النحو بالقاهرة. تصدّر لإقرائه ، وانتفع به الناس . وله تصانيف حسنة ، مات فى ذى القعدة سنة ثلاث وسبعين وستمائة .

١٥ – حافى رأسه محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن محيى الدّين الإسكندرانىّ . ولد بتاهَرْت بظاهر تِلِمْسَان سنة ست وستمائة ، وكان من أئمة العربيّة تصدر لإقرائها أزمانا . قال أبو حيان : كان شَيخ أهل الإسكندرية فى النّحو . تخرّج به أهلها . مات فى رمضان سنة ثلاث وتسعين وستمائة .

١٦ – الرضىّ الشاطبىّ محمد بن على بن يونس . ولد ببلَنْسيَة سنة إحدى وستمائة ، وكان إمام عصره فى اللغة . تصدّر بالقاهرة ، وأخذ عنه الناس ، روى عنه أبو حيّان

---

(١) إنباه الرواة ٢ : ٢٣٦ .

(٢) إنباه الرواه ٢ : ١١٠

(٣) بغية الوعاة ٢ : ٣٤٤ .

وغيره . مات سنة أربع وثمانين وستمائة .

١٧ ـ صاحب لسان العرب ، محمد بن مكرّم الإفريقىّ المصرىّ جمال الدين أبو الفضل . ولد سنة ثلاثين وستمائة ومات فى شعبان سنة إحدى عشرة وسبعمائة (١) .

١٨ ـ أبو حيّان الإمام أثير الدين محمّد بن يوسف بن علىّ بن يوسف بن حَيّان الأندلسىّ الغرناطىّ . نحوىُّ عصره ولغويّه ومقرئه . ولد فى شوال سنة أربع وخمسين وستمائة ، وأخذ عن أبى الحسن الأُبّذِىّ وابن الصائغ وخلْق . وأخذ بمصر عن البهاء بن النحّاس ، وتقدّم فى النحو فى حياة شيوخه ، واشتهر اسمُه ، وطار صيتُه ، وألّف الكتب المشهورة ، وأخذ عنه أكابرُ عصره وتقدّموا فى حياته . مات فى صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة .

ورثاه الصلاح الصفدىّ بقوله :

مات أثير الدِّين شيخ الورَى ... فاسْتَعَر البـــارقُ واستَعْبَرا
ورقّ من حُسْنٍ نسيمُ الصَّبا ... واعتـلّ فى الأسحار لمّا سرَى
وصادحاتُ الأيكِ فى نَوْحِهـا ... رثَتْهُ فى السجع على حـرف را
ياعين جـودى بالدموع التى ... يُرْوَى بها ماضمّه مِنْ ثَرَى
واجرى دماً فالخطب فى شأنه ... قد اقتضى أكثر ممـا جرى
مات إمامٌ كان فى علمه ... يُرَى إماماً والورى مِنْ ورا
أمسى منـادًى للبـلا مفرَدا ... فضمّه القــبر على ماترى
يأسفا كان هــدًى ظاهراً ... فعاد فى تربتــه مُضْمَرا
وكان جمعُ الفضل فى عصره ... صَحّ فلما أنْ قضى كُسِّراً
وعُرِّفَ الفضلُ به بُرهة ... والآن لما أنْ مضى نُـكِّراً

---

(١) بغية الوعاة ١ : ٢٤٨

وكان ممنوعاً من الصرف لا يطْرُق مَنْ وافاه خطبٌ عرا
لا أفعَلُ التفضيلَ مابينه وبين مَنْ أعرفه فى الورَى
لا بَدَلٌ عن نعتـه بالتُّقى ففعله كان له مَصْدَرَا
لم يُدَّغَمْ فى اللّحد إلاّ وقدْ فكّ من الصبر وثيقَ العُرَا
بكى له زيدٌ وَعَمْرٌو فمنْ أمثلة النَّحو وممّن قرَا
ماعُقِل التسهيل من بعـده فكمْ له مِنْ عُسْـرِه يسَّرا
وَجَسَّرَ النـاس على خوضـه إذ كان فى النحوِ قد استبحرا
من بعـده قد حال تمييزُه وحظُّـه قد رجعَ القهقرى
شارك من ساواه فى فنِّـه وكم له فنٌّ به استأثرا
دأْبُ بنى الآداب أن يغسلوا بدمعهم فيـه بقايا الكرَى
والنحو قد سار الرّدى نحوَه والصّرْف للتصريف قد غـيّرا
واللّغةُ الفصحَى غدتْ بعـدهُ يُلْغَى الذى فى ضبطها قرّرا
تفسيره البحرُ المحيطُ الّذى يُهـدِى إلى وارده الجوْهَرَا
فوائدٌ مـن فضـله جَمّةٌ عليـه فيهـا نَعْقد الخنصرَا
وكان ثَبْتاً نقلُه حُجّـةٌ مثلَ ضياء الصّبح إذ أسفرا
ورُحلةً فى سنّـة المصطفى أصدق مَن تسمع إنْ خبَّرا
له الأسانيدُ التى قدَ علَتْ فاسْتَسْفَلتْ عنها سَوامِى الذُّرَا
ساوى بها الأحفادُ أجدادَهُمْ فاعجبْ لماضٍ فاته مَنْ طرا
وشاعرا فى نظمه مغلقا كم حرّر اللفظ وكم حبَّرا
له معانٍ كلّما خطّها تَسْتُرُ ما يُرْقَمُ فى تُسْتَرا
أفديه من ماضٍ لأمر الردى مستقبَلاً من ربّه بالقِرى

مابات فى أبيض أكفانه إلا وأضحى سُنْدُساً أخضرا
تصافح الحورُ له راحـةً كم تَمِيتْ فى كلِّ ماسَطَّرا
إن مات فالذِّكر له خالدٌ يَحْيَا به من قبل أن يُنْشَرا
جادَ ثرًى واراه غيثٌ إذا مسّاه بالسقيا له بـكَّرا
وخصَّه من ربِّه رحمةٌ تُورِدُه فى حشره الـكوثَرَا

١٩ ـ ابن أم القاسم المرادىّ بَدر الدين حسن بن قاسم بن عبـد الله بن علىّ . ولد بمصر ، وأخذ عن أبى حيّان وغيره ، وأتقن العربيّة والقراءات ، وألف كتباً ، منها شرح التسهيل ، وشرح الألفية ، وشرح المفصّل والجنَى الدانى فى حروف المعانى . مات يوم عيد الفطر سنة تسع وأربعين وسبعمائة [١] .

٢٠ ـ ابن هشام جمال الدين عبد الله بن يوسف بن عبدالله المصرىّ الإمام المشهور . ولد فى ذى القعدة سنة ثمـان وسبعمائة ، ولازم الشّهاب عبد اللطيف بن المرحّل ، وتلا على ابن السرّاج ، وأتقن العربية ، ففاق الأقران بل الشيوخ ، وتخرّج به خلق ، وانفرد بالفوائد الغريبة ، والمباحث الدقيقة ، والاستدراكات العجيبة ، والتحقيق البالغ ، والاطلاع المفرط والاقتدار على التصرف فى الـكلام . قال ابن خلدون : مازلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحَى من سيبويه . مات فى ذى القعدة سنة إحدى وستين وسبعمائة [٢] .

٢١ ـ السمين صاحب الإعراب المشهور شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبـد الدائم الحلبىّ نزيل القاهرة . قال الحافظ ابن حجر: تعانَى النّحو، فمهَر فيه ،ولازم أباحيّان إلى أن فاق أقرانه ، وأخذ القراءات عن التقىّ الصائغ ، ومهر فيها ، وولىَ تدريس القراءات بجامع ابن طُولون ، والإعادة بالشافعىّ وناب فى الحـكم ، وله تفسير القرآن

---

(١) بغية الوعاة ١ : ٥١٧

(٢) بغية الوعاة ٢ : ٦٨ ـ ٧٠ .

والإعراب وشرح التسهيل وشرح الشاطبيّة . مات فى جمادى الأولى سنة ست وخمسين وسبعمائة [١] .

٢٢ ـ ابن عَقيل قاضى القضاة بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل العَقيلى من ولد عَقِيل بن أبى طالب . ولد فى المحرم سنة ثمان وتسعين وستمائة ، وأخذ القراءات عن التقىّ الصائغ ، والفقه عن الزّين الكتنانىّ ، ولازم العلاء القُونوىّ والجلال القزوينىّ وأبا حيان ، وتفنّن فى العلوم ، وَولِىَ قضاء الديار المصرية وتدريس الخشابية ، والتفسير بالجامع الطولونىّ . وله تصانيف،منها المساعد فى شرح التسهيل ، وشرح الألفية. مات فى ربيع الأول سنة تسع وستين وسبعمائة [٢] .

٢٣ ـ ناظر الجيش محبّ الدين محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم الحلبىّ . ولد سنة سبع وتسعين وستمائة ، واشتغل ببلاده ، ثم قدم القاهرة ، ولازم أبا حيّان والجلال القزوينىّ والتاج التّبريزىّ ، وتلا على التقىّ الصائغ ، ومهر فى العربية وغيرها ، وله شرح التسهيل وشرح التلخيص ، ووَلِىَ نظر الجيش ، ودرّس التفسير بالمنصورية . مات فى ذى الحجة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة [٣] .

٢٤ ـ برهان الدين إبراهيم بن عبد الله الحكرىّ المصرىّ . كان عارفاً بالعربية شرح الألفية . مات فى جمادى الآخرة سنة ثمان وسبعمائة [٤] .

٢٥ ـ محبّ الدين محمد بن الشيخ جمال الدين بن هشام . ولد سنة خمسين وسبعمائة وكان أوحد عصره فى تحقيق النحو . مات سنة تسع وتسعين وسبعمائة .

٢٦ ـ الغمارىّ شمس الدين محمد بن محمد بن علىّ بن عبد الرزاق . أخذ عن أبى حيّان ، وغيره ، وسمع من اليافعىّ والشيخ خليل المالكىّ ، وحدّث . وكان عارفا باللغة

(١) بغية الوعاة ١ : ٤٠٢ ، الدرر الكامنة . . .
(٢) بغية الوعاة ٢ : ٤٧ ، ٤٨ (٣) بغية الوعاة ١ : ٢٧٥ .
(٤) بغية الوعاة ١ : ٤١٥

والعربية بارعا فيهما ، كثير المحفوظ للشعر ، قال بعضهم: تفرّد على رأس الثمانمائة خمسة بخمسة : البُلقينىّ بالفقه ، والعراقىّ بالحديث ، والغِمارىّ بالنحو ، وصاحب القاموس باللغة ، وابن الملقّن بكثرة التصانيف .

ولد الغِمارىّ في ذى القعدة سنة عشرين وسبعمائة ، ومات في شعبان سنة اثنتين وثمانمائة (١) .

٢٧ ـ شمس الدين الأسيوطىّ محمد بن الحسن . كان عالمًا بالعربيّة ماهرًا فيها انتفع به خلق . مات سنة سبع وثمانمائة .

٢٨ ـ شمس الدين محمد بن إبراهيم . وقيل ابن أبى بكر . الشَّطَنَوفىّ . ولد بعد الخمسين وسبعمائة ، ومهر في العربية ، وتصدّر بالجامع الطولونىّ في القراءات وبالشيخونية في الحديث ، وانتفع به خلق ، منهم شيخنا الشُّمُنِّى . مات في ربيع الأوّل سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة (٢) .

٢٩ ـ ابن الدَّمامينى بدر الدين محمد بن أبى بكر بن عمر الإسكندرانىّ . ولد بالإسكندرية سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، وتعانى الآداب ففاق في النحو والنظم والنثر، وشارك في الفقه وغيره ، ومهر واشتهر ذكره، وتصدّر بالجامع الأزهر لإقراء النحو، وصنّف حاشية على مغنى اللبيب وشرح التسهيل وشرح البخارىّ وشرح الخزرجية . مات بالهند في شعبان سنة سبع وعشرين وثمانمائة (٣) .

---

(١) بغية الوعاة ١ : ٢٣٠ .

(٢) بغية الوعاة ١ : ١٠ ، ١١

(٣) بغية الوعاة ١ : ٦٦ ، ٦٧ .

ذكر من كان بمصر من أرباب المعقولات وعلوم الأوائل والحكماء والأطباء والمنجمين

١ ـ بليطان . طبيب نصرانىّ . كان بديار مصر . ذكره ابنُ فضل الله فى المسالك . مات سنة ست وثمانين ومائة[١] .

٢ ـ سعيد بن ترفيل[٢] . طبيب نصرانىّ ، كان فى خدمة أحمد بن طولون . ذكره ابن فضل الله فى حكماء مصر[٣] .

٣ ـ سعيد بن البطريق . نصرانىّ مشهور بالطبّ . له مؤلفات . مات فى رجب سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة[٤] .

٤ ـ محمد بن أحمد بن سعيد التميمىّ أبو عبد الله . من أطبّاء مصر . له مؤلفات ، كان فى خدمة العزيز بن المعزّ . مات فى حدود سنة سبعين وثلاثمائة[٥] .

٥ ـ أبو الحسن علىّ بن الإمام الحافظ أبى سعيد بن يونس صاحب تاريخ مصر . قال ابنُ كثير : كان منجّماً شديد الاعتناء بعلم الرّصْد ، له زيج مفيد يَرْجِع إليه أصحابُ أهل الفنّ ، كما يرجع المحدثون إلى أقوال أبيه وتواريخه ، ويسمّى الزيج الحاكمىّ . وله شعر جيدٌ ، وكان مغفّلا . مات سنة تسع وتسعين وثلثمائة[٦] .

٦ ـ أبو الصلت أميّة بن عبد العزيز بن أبى الصّلت الدانىّ الأندلسىّ . قال فى العبر : كان ماهراً فى علوم الأوائل ، رأساً فى معرفة الهيئة والنجوم والموسيقى والطبيعى والرياضىّ والإلهىّ ، كثير التصانيف بديع النظم . مات سنة ثمان وعشرين وخمسمائة عن ثمان وستين سنة[٧] .

---

(١) ابن أصيبعة ٢ : ٨٢ .

(٢) فى الأصول : « توفيل » ، وصوابه من ابن أبى أصيبعة .

(٣) ابن أصيبعة ٢ : ٨٣

(٤) ابن أصيبعة ٢ : ٨٦ .

(٥) ابن أبى أصيبعة ٢ : ٨٧ .

(٦) العبر ٤ : ٧٤ .

(٧) ابن أبى الصلت ٢ : ٥٢ ـ ٦٣ .

٧ — الرّشيد بن الزُّبير الأسوانيّ أبو الحسن أحمد بن أبي الحسن عليّ بن إبراهيم . قال العماد في الخريدة : كان ذا علم غزير ، وفضل كثير ، عالما بالهندسة والمنطق وعلوم الأوائل ، شاعرا ، تولّى نظر الإسكندريّة ثم قتل بها في المحرّم سنة ثلاث وستين وخمسمائة[1] .

٨ — المبشّر بن فاتك الأموي أبو الوفا . قال ابن أبي أصيبعة : من أعيان أمراء مصر وأفاضل علمائها إمام في الهيئة والعلوم الرياضيّة والطّبّ ، وله تصانيف جليلة في المنطق وغيره[2] .

٩ — شرف الدين عبد الله بن عليّ الشيخ السّديد ، شيخ الطبّ بالديار المصرية . قال في العبر : أخذ الصناعة عن الموفّق بن العين زربيّ ، وخدم العاضد ، صاحب مصر ، وعمّر دهرا . أخذ عنه نفيس الدين بن الزبير . مات سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة[3] .

١٠ — الحسين بن منصور أبو عليّ الحسام الطبيب الإسنائي . قال في الطالع السعيد : اشتهر بصناعة الطبّ ، فكان بها قيّماً ، وكان أديباً فاضلا . توفّيَ في أوائل المائة السادسة[4] .

١١ — الفخر . الفارسيّ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد الشيرازيّ نزيل مصر . كان فاضلاً بارعا ، له مصنّفات في الأصول والكلام . مات بمصر في ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وقد نيّف على التسعين[5] .

١٢ — القطب المصريّ قطب الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ بن محمد السُّلميّ . أصله من المغرب ، ثم انتقل إلى مصر ، وأقام بها مدّة ، ثم سافر إلى العجم ، وأخذ عن الإمام فخر الدين ، وكان من أشهر تلامذته ، عالماً بالمعقولات ، وألّف كتباً كثيرة في الطبّ والحكمة ، منها شرح كليات القانون قتله التتار بنيسابور لمّا استولَوْا عليها

(١) الخريدة ١ : ٢٠٠ — ٢٠٣ (قسم مصر) .
(٢) ابن أبي أصيبعة ١ : ٥٧
(٣) العبر ٤ : ٢٧٩
(٤) الطالع السعيد ١٢٠ .
(٥) انظر ابن أبي أصيبعة ٢ : ١٨

وقتلوا أهلها سنة ثمانى عشرة وستمائة [1] .

١٣ ـ الموفّق عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادىّ موفق الدين أبو محمد . كان عالماً بأصول الدين والنّحو واللّغة والطبّ والفلسفة والتاريخ ، فى غاية الذكاء شافعيًّا محدّثاً . ولد ببغداد سنة سبع وخمسين وخمسمائة ، وتفقه ، على ابن فَضْلان ، وصنف التصانيف الكثيرة فى أنواع من العلوم ، منها شرح المقامات والجامع الكبير فى المنطق والطبيعىّ والإلٰهى عشرة مجلدات . أقام بمصر ، ومات ببغداد فى ثانى عشر المحرّم سنة تسع وعشرين وستمائة [2] .

١٤ ـ السيف الآمدىّ أبو الحسن علىّ بن علىّ . صاحب التصانيف النافعة منها ، الأحكام وغيره . ولد سنة إحدى وخمسين وخمسمائة واشتغل بمذهب الحنابلة ، ثم انتقل إلى مذهب الشافعىّ ، ومهر فى المعقولات حتى لم يكن فى زمانه أعلم منه بها . ثم سكن مصر ، وتصدّر مدة للإقراء بالجامع الظافرىّ ، وانتفع به النّاس ثم حسده جماعة ونسبوه إلى فساد العقيدة فخرج إلى الشام فمات بها فى ثالث صفر سنة إحدى وثلاثين وستمائة [3] .

١٥ ـ أفضل الدين الخونجىّ محمد بن ناماوار بن عبد الملك الفيلسوف . ولد سنة تسعين وخمسمائة ، وبرع فى علوم الأوائل حتى صار أوحد وقته فيها ، وصنّف الموجز فى المنطق والجمل ، وكشف الأسرار فى الطبيعىّ ، وشرح مقالة ابن سينا وغير ذلك . ولىَ قضاء الديار المصرية بعد عزل الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام [4] .

قلت : فاعتبروا ياأولى الأبصار ، يعزل شيخ الإسلام وإمام الأئمة شرقا وغربا ويولّى عوضه رجل فلسفىّ ! مازال الدهر يأتى بالعجائب ! مات الخونجىّ فى رمضان سنة اثنتين وأربعين وستمائة .

---

(١) انظر ابن أبى أصيبعة ٢ : ٣٠ .

(٢) ابن أصيبعة ٢ : ١٧٤

(٣) إنباه الرواة ٢ : ١٩٣

(٤) ابن أبى أصيبعة ٢ : ١٢٠ .

١٦ ـ ابن البيطار الطبيب البارع ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقيّ . أوحد زمانه صاحب كتاب الأدوية المفردة . انتهتْ إليه معرفة تحقيق النبات وصفاته وأماكنه ومنافعه . خدم الملك الكامل ، ثم ابنه الصالح . مات بدمشق فى شعبان سنة ست وأربعين وستمائة (١) .

١٧ ـ قيصر بن أبى القاسم بن عبد الغنيّ بن مسافر . ينعت بالعلم ، ويعرف بتعاسيف الأصفونيّ . كان عالماً بالرياضيّات وأنواع الحكمة والموسيقى عارفاً بالقراءات فقيها حنفيًّا ، ولد بأصفون من الصعيد سنة أربع وستين وخمسمائة ، وتُوُفّيَ بدمشق فى رجب سنة تسع وأربعين وستمائة (٢) .

١٨ ـ جعفر بن مطهرّ بن نوفلّ الأدفويّ ، نجم الدين . قال فى الطالع السعيد : كان عالماً بعلوم الأوائل من الطبّ والفلسفة ، أديباً شاعرا فاضلا . توفيّ ببلده فى حدود الستين (٣) .

١٩ ـ ابن النفيس العلامة علاء الدين عليّ بن أبى الحزْم القرشيّ . شيخ الطبّ بالديار المصرية وصاحب التصانيف : الموجزة وشرح القانون وغير ذلك ، وأحد من انتهت إليه معرفة الطبّ ؛ مع الذكاء المفرط والذهن الحاذق بالمشاركة فى الفقه والأصول والحديث والعربيّة والمنطق . مات فى ذى القعدة سنة سبع وثمانين وستّمائة ، وقد قارب الثمانين ، ولم يخلف بعده مثله (٤) .

٢٠ ـ الأصبهانيّ شارح المحصول شمس الدين محمد بن محمود . كان إماماً بارعا فى الأصلين والجدل والمنطق . صنّف كتاباً فى هذه العلوم سمّاه القواعد ، وكان عارفاً بالنحو والشعر ، مشاركا فيما عداها . ولد بأصبهان سنة ست عشرة وستّمائة ، واشتغل ببغداد ،

---

(١) ابن أبى أصيبعة ٢ : ١٣٣
(٢) الطالع السعيد ٢٥٩ .
(٣) الطالع السعيد ٩٦
(٤) ابن أبى أصيبعة ٢ : ٢٤٩ .

وقدم القاهرة فولاّه تاج الدين بن بنت الأعزّ قضاء قُوص ، فانتفع به خلق هناك ،وعاد فولِىَ تدريس الشافعىّ ومشهد الحسين . مات بالقاهرة ليلة الثلاثاء والعشرين من رجب سنة ثمان وثمانين وستمائة ، ودُفن بالقرافة (١) .

٢١ ـ الخُوَيِّى قاضى القضاة شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن قاضى القضاة شمس الدين ، أحمد بن الخليل بن سعادة الشافعىّ . كان من أعلم أهل زمانه بالفتوى . له تصانيف منها كتاب فى عشرين فنًّا ، ونظم علوم الحديث لابن الصلاح ، وكفاية المتحفظ وروى عن ابن احمد اللّتّى وابن المقيّر . ولِىَ قضاء الديار المصرية وقضاء الشام ، ومات بها فى رمضان سنة ثلاث وتسعين وستمائة عن سبع وستين سنة (٢) .

٢٢ ـ التقىّ شبيب بن حمدان بن شعيب الحرّانىّ الطبيب الكحال الشاعر . له نظم فائق وتقدّم فى الطبّ ، روى عن أبى الحسن بن رُوزبة وغيره . ومات سنة خمس وتسعين وستمائة بمصر . ذكره فى العبر .

٢٣ ـ شمس الدين محمد بن أبى بكر بن محمد الفارسى المعروف بالأيكىّ . كان إماماً فى الأصلين والمنطق وعلوم الأوائل ، شرح مختصر ابن الحاجب ،ودرّس بالغزاليّة بدمشق، ثم قدم مصر فولِىَ مشيخة الشيوخ بها ، فتكلّم فيه الصوفيّة ، فرجع إلى دمشق ،فمات بالمزّة يوم الجمعة ثالث رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة .

٢٤ ـ عزّ الدين إسماعيل بن هبة الله بن علىّ الحميرى الإسنائىّ . كان إماماً فى العلوم العقليّة . أخذ عن الشمس الأصفهانى والبهاء بن النحاس وانتصب للإقراء ، وتخرّج به خلق ، وألف . مات بمصر سنة خمس وخمسين وسبعمائة (٣) .

٢٥ ـ أخوه المفضّل . قال الإسنوى فى طبقاته : كان ذكيًّا إلى الغاية ، فاضلا يُضرب

(١) شذرات الذهب ٥ : ٤٠٦ (٢) ابن أبى أصيبعة ٢ : ٢٣ ، ١٧١ .

(٣) الطالع السعيد ٨٨

به المثل ولكن غلب عليه علم الطبّ والحكمة والمنطق ، ومهرَ فيها إلى أن فاق أبناء جنسه . مات وهو شاب .

وقال فى الطالع السعيد : تميّز فى الفقه والأصول والنحو وغلَب عليه الطبّ والحكمة والمنطق والفلسفة ، وألّف فى الترياق مجلّداً . مات بمصر فى حدود تسعين وستمائة [1]

٢٦ ـ العلَم بن أبى خليفة رئيس الطب بمصر . مات سنة ثمان وسبعمائة .

٢٧ ـ علاء الدين الباجىّ علىّ بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب ، كان إماماً فى الأصلين والمنطق فاضلاً فيما سواها ، وكان أنظر أهل زمانه لا يكاد ينقطع فى المباحث. وُلد سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، وتفقّه على الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام ، واستوطن القاهرة ، وصنّف مختصرات فى علوم متعددة ، وأخذ عنه التقىّ السبكىّ . مات يوم الأربعاء سادس ذى القعدة سنة أربع عشرة وسبعمائة.

٢٨ ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عبد الله الجزرى ثم المصرىّ . قال الإسنوىّ : كان فقيهاً عارفا بالأصلين والنحوّ والبيان والمنطق والطبّ . ولد سنة سبع وثلاثين وستمائة ، واشتغل بقُوص على قاضيها الشمس الأصفهانى ، ثم استوطن مصر ، ودرّس بالشريفية وشرح منهاج البيضاوىّ وأسئلة الأرموىّ على التحصيل . مات بمصر فى ذى القعدة سنة إحدى عشرة وسبعمائة .

٢٩ ـ الصفىّ الهندى محمد بن عبد الرحمن بن محمد . كان فقيها أصوليًّا متكلّماً دينًا متعبّدا . ولد بالهند فى ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وستمائة ، ودخل الديار المصرية فأقام بها أربع سنين ، وانتقل إلى دمشق يدرّس ويفتى ويصنّف . مات بها فى صفر سنة خمسين وسبعمائة .

٣٠ ـ تاج الدين محمد بن علىّ البارنبارىّ الشافعىّ الملقب طوير الليل . كان

---

(١) الطالع السعيد ٣٧٥ .

فاضلاً فى الفقه والأصلين والعربيّة والمنطق . ولد سنة أربع وخمسين وستمائة ، واشتغل على الأصفهانىّ شارح المحصول ، ومات بالقاهرة سنة سبع عشرة وسبعمائة .

٣١ – فخر الدّين أحمد بن سلامة بن أحمد الإسكندرانىّ المالكىّ العلامة الأصولىّ البارع . ولِىَ قضاء دمشق ، ومات بها فى ذى الحجة سنة ثمان عشرة وسبعمائة عن سبع وخمسين سنة .

٣٢ – التاج التّبريزىّ أبو الحسن علىّ بن عبد الله نزيل القاهرة . كان عالماً فى علوم كثيرة ، تخرّج به فضلاؤها ، له تصانيف . مات بالقاهرة سنة ست وأربعين وسبعمائة .

وقال الصلاح الصفدى يرثيه :

يقول تاج الدين لمّا قضى :	من ذا رأى مثلى بتبريز
وأهل مصرٍ بات إجماعهم	يقضى على الكلّ بتبريزى

٣٣ – الأصفهانىّ شمس الدين أبو الثناء محمود بن عبد الرحمن بن أحمد . كان إماماً بارعاً فى العقليات ، عارفاً بالأصلين ، فقيها . ولد سنة أربع وسبعين وستّمائة ، واشتغل بتبريز ، وقدم الديار المصرية فولِىَ تدريس المعزّية بمصر ومشيخة خانقاة قوصون بالقرافة . وصنّف الكتب المحرّرة النافعة ، وانتشرت تلاميذه . مات شهيدا بالطاعون فى أواخر سنة تسع وأربعين وسبعمائة [1] .

٣٤ – محمد بن إبراهيم المتطبّب صلاح الدين المعروف بابن الدهان . قال ابنُ فضل الله : قرأ الطبَّ على ابن نفيس وغيره ، والمعقولات على الشمس محمود الأصفهانىّ ، وكان طبيباً حكيما ، فاضلا متفلسفاً .

٣٥ – أرشد الدين محمود بن قطلوشاه السراى . كان غايةً فى العلوم العقليّة والأصول

(١) الدرر الكامنة ٤ : ٣٢٧

والطبّ أقدمه صرغتمش بعد وفاة القوام الإتقانىّ ، فولاّه مدرسته، فلم يزل بها إلى أن مات فى رجب سنة خمس وسبعين وسبعمائة وقد جاوز الثمانين [١] .

٣٦ ـ شمس الدين محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المصرىّ . مدرس الأطباء بجامع ابن طولون . كان فاضلا له نظم . مات فى شوال سنة ست وسبعين وسبعمائة [٢] .

٣٧ ـ محمدبن محمد التِّبريزىّ. قال ابن حجر: قدِم من بلاد العجم، وأخذ عن القطب التحتانىّ وبرع فى المعقول، وشغل الناس كثيرا بالقاهرة وانتفعوا به . مات فى ذى الحجة سنة ست وسبعين وسبعمائة .

٣٨ ـ صلاح الدين يوسف بن عبد الله المعروف بابن المغربىّ الطبيب ، رئيس الأطباء بالقاهرة وصاحب الجامع الذى على الخليج الحاكىّ . مات فى جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وسبعمائة [٣] .

٣٩ ـ العلاء علىّ بن أحمد بن محمد بن أحمد السراى علاء الدين . كان من أكابر العلماء بالمعقولات وإليه المنتهى فى علم المعانى والبيان ، استدعى به برقوق ، فقرّره شيخاً فى مدرسته . مات فى جمادى الأولى سنة تسعين وسبعمائة وقد جاوز السبعين .

٤٠ ـ ضياء الدين عبدالله بن سعد القِرمىّ الشافعىّ . كان إماماً فى المعقولات. أخذ عنه العزّ بن جماعة ، ودرّس بالشيخونيّة بعد البهاء بن السبكى . مات فى ذى الحجة سنة ثمانين وسبعمائة ، وكانت لحيته طويلة جدًّا تصل إلى رجليه وإذا نام يجعلها فى كيس ، وإذا ركب انفرقت فرقتين ، فكلّ من رآه يقول : سبحان الخالق : فكان يقول : أشهد أن العوامّ مؤمنون بالاجتهاد لا بالتقليد ، لأنّهم يستدلّون بالصنعة على الصانع [٤] .

---

(١) الدرر الكامنة ٤ : ٣٣٣ .
(٢) الدرر الكامنة ٣ : ٤٧٥ .
(٣) الدرر الكامنة ٤ : ٤٦٤ .
(٤) الدرر الكامنة ٢ : ٢٦٠ .

٤١ ـ مولانا زاده شهاب الدين أحمد بن أبى يزيد بن محمد السراى الحنفىّ . كان إماماً فى فنون العلم لا سيّما دقائق المعانى والعربيّة . ولىَ تدريس الحديث بالصُّرغتمشيّة والبرقوقيّة وانتفع به الخلق . مات فى المحرّم سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ومولده سنة أربع وخمسين .

٤٢ ـ ابن صغير الرئيس علاء الدين علىّ بن عبد الواحد بن محمد الطبيب . كان أعجوبة الدهر فى الفنّ . ولىَ رياسة الطبّ دهراً طويلا ، وله فيه المعرفة التّامة ، بحيث كان يصف الدّواء الواحد للمريض الواحد بما يساوى ألفا وبما يساوى درهما ، وكان الشيخ عز الدين بن جماعة يثنى على فضائله . مات فى ذى الحجة سنة ست وتسعين وسبعمائة (١) .

٤٣ ـ قنبر بن عبد الله السبزوانىّ (٢) . اشتغل فى بلاده ، وقدم الديار المصرية قبل التسعين ، فأقام بالجامع الأزهر يشغل الطلبة وكان ماهراً فى العلوم العقليّة حسن التقرير ، معرضاً عن الدنيا ، قانعاً باليسير ، لا يتردد إلى أحد ، مذكور بالتشيّع . يمسح على رجليه من غير خفّ ، وكان يحبّ السماع والرقص . مات فى شعبان سنة إحدى وثمانمائة (٣) .

٤٤ ـ الشيخ زاده الخرزبانىّ . كان فاضلاً فى المعقول والهيئة والحكمة والمنطق والعربيّة وله تصانيف واقتدار على حلّ المشكلات ، طلبه برقوق من صاحب بغداد ، فولاّه مشيخة الشيخونية عوضاً عن الكُلُستانى . مات فى ذى الحجة سنة ثمان وثمانمائة ، ودُفن بالشيخونيّة مع شيخها أكمل الدين (٤) .

٤٥ ـ السِّيرامىّ سيف الدين محمد بن عيسى . كان عالماً فاضلا ، نشأ بتبريز ، ثم قدم حلَب ، ثم استدعاه الظاهر برقوق من حلَب ، فقرره شيخا بمدرسته عِوضاً عن علاء

(١) الدرر الكامنة ٣ : ٧٩ .
(٢) فى الضوء : « وبخط العينى : بالراء بدل النون » .
(٣) الضوء اللامع ٦ : ٢٢٥ . (٤) الضوء اللامع ٣ : ٢٣١

الدين السِّيرامىّ سنة تسعين ، ثم ولاّه مشيخة الشيخونيّة ، بعد وفاة عز الدين الرازىّ مضافة إلى الظاهريّة ، وأذن له أن يستنيب عنه فى الظّاهرية ولده ، فباشر مدة ثم ترك الشيخونيّة ، واقتصر على الظاهريّة ، وكان الشيخ عز الدين بن جماعة يُثنِى على فضائله . مات فى ربيع الأول سنة إحدى وثمانمائة [1] .

٤٦ — ابن جماعة الشيخ عزّ الدين محمد بن شرف الدين أبى بكر بن قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن قاضى القضاة بدر الدين محمد . ولد سنة تسع وخمسين وسبعمائة ، واشتغل صغيراً ، ومال إلى فنون المعقول فأتقنها إتقاناً بالغاً إلى أن صار هو المشار إليه فى الديار المصرية والمفاخَر به علماء العجم ، تخضع له الرقاب وتسلّم إليه المقاليد . وله تصانيف عديدة تقرب من ألف مصنّف . مات بالطاعون فى جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وثمانمائة [2] .

٤٧ — الشيخ همام الدين همام بن أحمد الخوارزمىّ . ولد فى حدود الأربعين وسبعمائة وقدم القاهرة شيخاً فدرّس بها ، وكان يقرِّر الكشاف والعربيّة ، وولى مشيخة الجمالية ومات سنة تسع عشرة وثمانمائة [3] .

٤٨ — الهرَوى قاضى القضاة شمس الدين بن عطاء الله بن محمد بن أحمد بن محمود . ولد بهراة سنة سبع وستين وسبعمائة ، واشتغل فى بلاده بالعلوم وفاق فى العقليّات ، ثم قدم القاهرة فولى قضاء الشافعيّة وكتابة السرّ . مات فى ذى القعدة سنة تسع وعشرين وثمانمائة .

٤٩ — علاء الدين الرّومىّ علىّ بن موسى بن إبراهيم . تفنّن فى العلوم ببلاده . ودخل بلاد العجم ولقى الكبار ، ثم قدم القاهرة سنة سبع وعشرين ، فولِىَ مشيخة الأشرفية . مات فى شعبان سنة إحدى وأربعين وثمانمائة [4] .

---

(١) الضوء اللامع ١٠ : ٣٢٧ ، وترجمه باسم : « يوسف بن عيسى » .
(٢) الضوء اللامع ٧ : ١٧١ — ١٧٤ (٣) الضوء اللامع ١٠ : ٢٠٩
(٤) الضوء اللامع ٦ : ٤١ .

٥٠ — الشيخ علاء الدين البخارى علىّ بن محمد بن محمد الحنفىّ . علامة الوقت ، ولد سنة تسع وسبعين وسبعمائة ، وأخذ عن أبيه وعمه والشيخ سعد الدين التفتازانىّ ورحل إلى الأقطار ، وأخذ عن علماء ، عصره حتى برع فى المعقول وصار إمام عصره . قدم القاهرة ، وتصدّر للإقراء بها ، وأخذ عنه غالبُ أهلها ، وكان مع مااشتمل عليه من العلم غايةً فى الورع والزّهد والتحرِّى وعدم التردّد إلى بنى الدنيا . مات فى رمضان سنة إحدى وأربعين وثمانمائة [1] .

٥١ — الشيخ باكير زين الدين أبو بكر بن إسحاق بن خالد الكختاوىّ . ولد فى حدود سنة سبعين وسبعمائة ، وكان إماماً بارعاً فى العلوم وتفرّد بالمعانى والبيان وولى مشيخة الشيخونيّة . مات فى جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وثمانمائة .

٥٢ ، ٥٣ — البساطىّ وابن الهمام . مرّا .

٥٤ — الشروانىّ شمس الدين محمد علّامة الوقت فى المعقولات والتحقيق . مات سنة سبع وأربعين وثمانمائة .

٥٥ — الكافيَجىّ شيخنا العلّامة محيى الدين محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الإمام المحقق علامة الوقت أستاذ الدنيا فى المعقولات . ولد قبل ثمانمائة تقريبا ، وأخذ عن البرهان حيدرة ، والشمس ابن العَزَرىّ وجماعة ، وتقدّم فى فنون المعقول حتى صار إمام الدنيا فيها ، وله تصانيف كثيرة [1] .

مات ليلة الجمعة رابع جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وثمانمائة .

وقال الشهاب المنصورى يرثيه :

بكت على الشيخ محيى الدين كافيَجِى　　عيونُنا بدموعٍ من دم المُهَجِ
كانت أساريرُ هـذا الدهر من دُرَرٍ　　تُزْهَى فبُـدِّل ذاك الدرّ بالسَّبَج

---

(١) الفوائد البهية ١٦٩، الضوء اللامع ٧ : ٢٥٩ .

فكم نفى بسماحٍ من مكارمه فقرًا وقوّم بالإعطاء مِنْ عِوج
يانور علم أراه اليوم منطفئاً وكانت الناس تمشى منه فى سُرُج
فلو رأيت الفتاوَى وهى باكيةٌ رأيتها من نجيع الدمع فى لُجج
ولو سرتْ بثناء عنه ريح صَبًا لاستنشقوا من شذاها أطيَب الأرَج
ياوحشة العلم من فيه إذا اعتركت أبطاله فتوارتْ فى دُجَى الرَّهج
لم يلحقوا شأوَ علمٍ من خصائصه أنَّى ورتُبتــه فى أرفع الدَّرَج !
قد طال ما كان يَقْرِينا ويُقْرِئُنَا فى حالتيه بوجهٍ منه مبتهج
سَقْياً له ، وكساه الله نورَ سَنًا من سندسٍ بيد الغفران منتسَجِ

ذكر من كان بمصر من الوعاظ والقصاص

١ ـ سليم بن عنزة .

٢ ـ عبد الرحمن بن حجيرة .

٣ ـ توبة بن نمر .

٤ ـ عقبة بن مسلم التجيبيّ .

٥ ـ الحلّاج .

٦ ـ أبو كثير .

٧ ـ موسى بن وردان .

٨ ـ دراج أبو السمح .

٩ ـ خير بن نعيم .

١٠ ـ أبو الحسن عليّ بن محمد بن أحمد بن الحسن الواعظ البغدادى ثم المصريّ . قال ابن كثير : ارتحل إلى مصر ، فأقام بها حتى عُرِف بالمصريّ . روى عنه الدّار قطنيّ وغيره . وكان له مجلس وعظ عظيم .

وقال فى العبر : كان مقدّم زمانه فى الوعظ ، وله مصنفات كثيرة فى الحديث والوعظ والزهد . مات فى ذى القعدة سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة ، وله سبع وثمانون سنة [1] .

١١ ـ ابن نجا الواعظ زين الدين أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن نجا الدمشقيّ ، الحنبليّ نزيل مصر . ولد سنة ثمانين وخمسمائة ، وتفقّه ببغداد ، وعاد إلى دمشق وقدم مصر وصحب السلطان صلاح الدين بن أيوب وحظِيَ عنده ، وكان له مكانة بمصر . مات فى رمضان سنة تسع وتسعين وخمسمائة .

(١) البداية والنهاية ١٢ : ٢٢٢ ، العبر ٢ : ٢٤٧ .

١٢ ـ زين الدين أحمد بن محمد الأندلسيّ الأصل المعروف بكشاكث ، المصريّ الواعظ الأديب الشاعر . كان إماماً فى الوعظ . ولد سنة خمس وستمائة . ومات بالقاهرة فى ربيع الآخرة سنة أربع وثمانين وستمائة .

١٣ ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن ميلق الشاذليّ الواعظ . كان يجلس للوعظ ولو عظه تأثيرٌ فى القلوب . مات سنة تسع وأربعين وسبعمائة .

ذكر من كان بمصر من المؤرخين

١ ـ سعيد بن عفير .

٢ ـ عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم .

٣ ـ محمد بن الربيع الجيزى . مرّوا .

٤ ـ عُمارة بن وثيمة بن موسى أبو رفاعة الفارسى ، صاحب التاريخ على السنين . قال ابن كثير : ولد بمصر ، وحدّث عن أبى صالح كاتب الليث وغيره . مات سنة تسع وثمانين ومائتين (١) .

٥ ـ الطحاوى ـ مرّ (٢) .

٦ ـ الحسن بن القاسم بن جعفر بن دحية أبو على الدمشقى . من أبناء المحدّثين . قال ابن كثير : كان أخباريا له فى ذلك مصنفات ، حدّث عن العباس بن الوليد السّدوسى وغيره . مات بمصر سنة سبع وعشرين وثلثمائة ، وقد أناف على الثمانين (٣)

٧ ـ أبو سعيد بن يونس ، صاحب تاريخ مصر ، مرّ فى الحفاظ (٤) .

٨ ـ أبو عمر الكندى محمد بن يوسف بن يعقوب ، صنّف فضائل مصر ، وكتاب قضاة مصر (٥) . كان فى زمن كافور (٦) .

٩ ـ ابن زُولاق أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسين المصرى المؤرّخ . صنف كتاباً فى فضائل مصر ، وذيلاً على قضاة مصر للكندى (٧) . مات فى ذى القعدة سنة

---

(١) البداية والنهاية ١١ : ٩٦ .
(٢) ص ٣٥٠
(٣) البداية والنهاية ١١ : ١٩٠ .
(٤) ص ٣٥١
(٥) سماه : « أخبار قضاة مصر » .
(٦) هدية العارفين ٢ : ٤٦ ، وفيه أنه توفى سنة ٣٥٨ ؛ وانظر أيضا الأعلام للزركلى ٨ : ٢١ .
(٧) سماه « أخبار قضاة مصر » .

سبع وثمانين وثلثمائة عن إحدى وثمانين سنة [١] .

١٠ ـ المسبِّحىّ الأمير المختار عزّ الملك محمد بن عبد الله بن أحمد الحرّانىّ صاحب التصانيف . قال فى العبر : كان رافضيًّا ، صنّف تاريخ مصر ، وكتابًا فى النّجوم وكتاب التلويح والتصريح من الشعر ، وكتاب أنواع الجماع . مات سنة عشرين وأربعمائة عن أربع وخمسين سنة [٢] .

١١ ـ القُضاعىّ . مرّ فى الشافعية [٣] .

١٢ ـ القِفْطىّ الوزير جمال الدين علىّ بن يوسف بن إبراهيم الشّيبانىّ . وزير حلب ، صاحب تاريخ النحاة [٤] ، وتاريخ اليمن، وتاريخ مصر، وتاريخ بنى بويه وتاريخ بنى سلجوق . ولد بقفْط سنة ثمان وستين وخمسمائة ومات بحلب سنة ست وأربعين وستمائة [٥] .

١٣ ـ محمد بن عبد العزيز الإدريسىّ الشريف الفاوىّ . كان من فُضلاء المحدّثين وأعيانهم، سمع الكثير وألف : المفيد فى أخبار الصعيد . ولد فى رمضان سنة ثمان وستين وخمسمائة ؛ وتوفِّىَ بالقاهرة فى صفر سنة تسع وأربعين وستمائة [٦] .

١٤ ـ ولده جعفر . ولد بالقاهرة فى شوال سنة إحدى عشرة وستمائة ، وسمع من ابن الجمّيزىّ وابن المُقَيِّر ، روى عنه الدِّمياطىّ وأبو حيان . وكان نسّابة الشرفاء بمصر أديبا ، صنّف تاريخًا للقاهرة ، ومات سنة ست وسبعين وستمائة [٧] .

---

(١) ابن خلكان ١ : ١٣٤ ، والبداية والنهاية ١١ : ٣٢١ .

(٢) العبر ٣ : ١٣٩ ؛ والمسبحى ، بضم الميم وفتح السين وكسر الباء ، وفى آخرها الحاء المهملة ؛ نسبة إلى جد من أجداده اسمه مسبح . اللباب .

(٣) ص ٤٠٣ (٤) هو المسمى إنباه الرواة على أنباه النحاة .

(٥) الطالع السعيد ٢٣٧ ، وفيه : « ولادته سنة ٥٦٣ » وانظر أيضا مقدمة كتاب إنباه الرواة .

(٦) الطالع السعيد ٢٩٧ ، واسمه هناك : « محمد بن عبد العزيز بن أبى القاسم عبد الرحيم الشريف عبدالله وأبو القاسم الإدريسى الفاوى المولد المغربى المحتد » . والفاوى : منسوب إلى فاو ، من عمل قوص وفى ح ، ط : « الناوى » تصحيف .

(٧) الطالع السعيد ٩٣ .

١٥ — ابن خَلِّـكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الإربليّ الشافعيّ . صاحب وفيات الأعيان[١] . ولد سنة ستمائة ، وأجاز له المؤيد الطوسيّ ، وتفقه بابن يونس وابن شدّاد ، ولقي كبار العلماء ، وسكن مصر مدّة ، وناب في القضاء بها ، ثم ولي قضاء الشّام عشر سنين ثم عُزل فأقام بمصر سبع سنين ثم رُدّ إلى قضاء الشام . قال في العِبَر : كان سريًّا ذكيا أخباريًّا عارفا بأيام الناس . مات في رجب سنة إحدى وثمانين وستمائة[٢] .

١٦ — أبو الحسن بن سعيد عليّ بن موسى بن عبدالملك بن سعيد الغرناطيّ الأديب الأخباريّ الشهير صاحب التصانيف الأدبية . ولد بغَرْناطة سنة عشر وستمائة ، وأخذ عن الشَّلَوْبين وغيره ، وجال في الأقطار ، ودخل مصر والشام وبغداد ، وألَّف المُغرب في حُليّ المغرب ، والمشرق في حليّ المشرق ، والطالع السعيد في تاريخ بلده . مات بتونس سنة خمس وثمانين وستمائة[٣] .

١٧ — الأمير ركن الدين بيبرس المنصوريّ الدوادار صاحب التّاريخ المسمى بزبدة الفكرة[٤] ، في أحد عشر مجلدا ، والتفسير . مات سنة خمس وعشرين وسبعمائة[٥] .

١٨ — ابن المتوّج تاج الدين محمد بن عبد الوهاب ابن المتوّج بن صالح الزبيريّ . أحد العُدول بمصر . ولد بها في ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وستمائة ، وسمع وحدّث ، وألف تاريخ مصر سماه : إيقاظ المتغفّل واتّعاظ المتأمل . روى عنه البدر بن جماعة . مات

(١) انتقده ابن كثير في البداية والنهاية ١ : ٤١٣ في كلامه على ابن الراوندي بقوله : « وقد ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان وقلس عليه ، ولم يجرحه بشيء ، ولا كأن الكلب أكل له عجينا ، على عادته في العلماء والشعراء ، فالشعراء يطيل تراجمهم ، والعلماء يذكر لهم ترجمة يسيرة ، والزنادقة يترك ذكر زندقتهم » .

(٢) وفيات الأعيان ٢ : ٤٢٠ ، ٤٢١ ، والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٥٣ . وفي روضات الجنات ٨٧ : « وابن خلكان بفتح الخاء وتشديد اللام المكسورة ، أو بضم الخاء وفتح اللام المشددة ، أو بكسر الخاء واللام جميعاً » .

(٣) الأعلام للزركلي ٥ : ١٧٩ ، وبغية الوعاة ٢ : ٢٠٩ .

(٤) اسمه : « زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة » .

(٥) النجوم الزاهرة ٩ : ٢٦٣ .

بمصر فى المحرم سنة ثلاثين وسبعمائة [1] .

١٩ ــ الكمال الأدفوىّ أبو الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر . كان فاضلا أديبا شاعراً . صنّف الطالع السعيد فى تاريخ الصعيد، والإمتاع فى أحكام السماع . مات بالطاعون بالقاهرة سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، وقد قارب التسعين [2] .

٢٠ ــ النويرىّ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد البكرىّ المؤرخ صاحب التاريخ المشهور . مات فى رمضان سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة [3] .

٢١ ــ القطب الحلبى ، مرّ فى الحفاظ [4] .

٢٢ ــ ابن الفرات ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علىّ بن الحسن المصرىّ الحنفىّ . كان لهجاً بالتاريخ، فكتب تاريخا كبيرا جدًّا، وسمع من أبى بكر بن الصناج ، وأجاز له أبو الحسن البَنْدَنيجىّ وتفرّد بهما. مات ليلة عيد الفطر سنة خمس وسبعين وثمانمائة ، وله اثنتان وسبعون سنة [5] .

٢٣ ــ صارم الدين إبراهيم بن محمد بن دُقْماق . مؤرخ الديار المصرية . جمع تاريخا على الحوادث ، وتاريخا على التراجم ،وطبقات الحنفية . مات فى ذى الحجة سنة تسعين وسبعمائة وقد جاوز الثمانين [6] .

٢٤ ــ شهاب الدين الأوحدىّ أحمد بن عبد الله بن الحسن بن طوغان . ولد سنة إحدى وستين وسبعمائة ، وكان لهجاً بالتاريخ ، ألف كتابا كبيرا فى خطط مصر والقاهرة وكان مقرئا أديباً ، تلا على التقىّ البغدادىّ . مات فى جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وثمانمائة [7] .

---

(١) الدرر الكامنة ٤ : ٣٦ .
(٢) الدرر الكامنة ١ : ٥٣٥ .
(٣) الدرر الكامنة ١ : ١٩٧ .
(٤) ص ٣٥٨
(٥) الضوء اللامع ٨ : ٥١ . وفيه : « أنه بلغ فى كتابه نهاية سنة ٨٠٣ ، وبيض منه نحو ٢٠ مجلدا، ذكر المقريزى فى عقوده أنه وقف عليها واستفاد منها » .
(٦) الضوء اللامع ١ : ١٤٥ .
(٧) الضوء اللامع ١ : ٣٥٨ .

٢٥ ـ المقريزى تقىّ الدين أحمد بن علىّ بن عبدالقادر بن محمد مؤرخ الديار المصرية . ولد سنة تسع وستين وسبعمائة ، واشتغل فى الفنون وخالط الأكابر ، وولِىَ حسبة القاهرة، ونظم ونثر ، وألف كتباً كثيرة ، منهـا درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيـان المفيدة، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، وعقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينـــة الفسطاط ، واتعاظ الحنفاء بأخبار الفاطميين الخلفاء ، والسلوك بمعرفة دول الملوك ، والتاريخ الكبير ، وغير ذلك مات سنة أربعين وثمانمائة [١] .

٢٦ ـ ابن حجر ، مرّ فى الحفاظ [٢] .

٢٧ ـ شيخنا العز الحنبلى ، مر فى الحنابلة [٣] .

---

(١) البدر الطالع ١ : ٧٩ .

(٢) ص ٣٦٣

(٣) ص ٤٨٤ .

ذكر من كان بمصر من الشعراء والأدباء

١ — جميل بن عبدالله بن مَعْمَر العُذرِىّ . صاحب بُثَينة ، أحد عشّاق العرب . شاعر إسلامى من أفصح الشّعراء فى زمانه . قال : ابن ميسّر وغيره: قدِم مصر علَى عبد العزيز ابن مروان فأكرمه ، ومات بها سنة عشرين وثمانمائة [١] .

وأنشد لما احتُضِر:

بكر النعىُّ وما كَأنْ بجميلِ   وثوى بمصر ثواءَغيرَ قفول [٢]

قومِى بثينة فاندبى بعويل   وابكى خليلَك قَبْل كلّ خليلِ

٢ — كُثيرة عزّة بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر أبو صخر الخُزَاعِىّ . يقال إنه أشعرُ الإسلاميين . مات سنة خمسين — وقيل سبعين — ومائة . أقام بمصر مدّة يمدح عبد العزيز بن مرْوان وهو فى كَنَفه ، وزار قبر صاحبته عَزّة بها [٣] .

٣ — عزة بنت جميل بن حفص أمّ عمرو الضَّمْرية صاحبة كُثَيِّر . كانت أبرعَ الخلق أدبا ، وأحلاهم حديثا ، وقد أمر عبد الملك بن مروان بإدخالها على حُرَمه ليتعلّمْنَ من أدبها . قال ابن كثير : ماتت بمصر فى أيام عبد العزيز بن مروان وقد زار كُثَيِّر قبرهَا ، ورثاها ، وتغيّر شعرُه بعدها ، فقال له قائل : ما بالُ شعرك قد قصّرتَ فيه ! فقال : ماتت عزّة فلا أطرب ، وذهب الشباب فلا أعجب ، ومات عبد العزيز بن مرون فلا أُرغَب ، وإنما الشعر عن هذه الخلال .

٤ — نصيب بن رَباح الشاعر أبو محجن مولى عبدالعزيز بن مرْوان. من الطبقة السادسة من شعراء الإسلام ومن شعراء الحماسة ، كان بمصر أيام مولاه. مات سنة ثمانين ومائة . قاله فى المرآة [٤].

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ٤٠٠ — ٤١٣ .
(٢) ديوانه ١٨٣
(٣) الشعر والشعراء ٤٨٠ — ٤٩٩ .
(٤) الشعر والشعراء ٣٧١ — ٣٧٤ .

٥ ــ أبو نواس الحسن بن هانئ الشّاعر المشهور. أقام بمصر مدّة ، وركب ذات يوم في النّيل ، فحذِرَ من التمساح ، فقال :

أضمرتُ للنيـل هجرانا وتَقْلِيةً إذ قيل لى إنما التِّمساحُ فى النِّيلِ

مات ببغداد سنة خمس وتسعين ومائة [١] .

٦ ــ أبو تمام حبيب بن أوْس الطائى المشهور صاحب الحماسة ملك شعراء العصر ، قال ابن خلّكان : أصلُه من قرية جاسم بالقرب منَ طَبَرِيّة ، وكان بدمشق ، ثم صار إلى مصر وهو فى شبيبته [٢] .

وقال الخطيب : هوشامىّ ، وكان بمصر فى حَداثته يسقى الماء فى المسجد الجامع ، ثم جالس الأدباء وأخذ عنهم حتى قال الشعر فأجاد ، وشاع ذِكْرُه ، وسار شعره . وبلغ المعتصمَ خبرُه ، فحمله إليه ، فقدم بغداد ، فجالس الأدباء ، وعاشر العلماء ، وتقـدّم على شعراء وقته . مات بالموصل سنة ثمان وعشرين ومائتين ، وقيل بعد الثمانين [٣] .

٧ ــ أبو العباس النّاشى الشاعر المتـكلّم المعتزلىّ عبد الله بن محمد . أصله من الأنبار وأقام ببغداد مدّة ، ثم انتقل إلى مصر ، فمات بها سنة ثلاث وتسعين ومائتين . وكان شاعراً مطيقاً مفنّنا فى علومٍ منها المنطق ، ذكيّاً فطناً ، وله قصيدة فى فنون من العلم على روىٍّ واحد تبلغ أربعة آلاف بيت ، وله عدة تصانيف وأشعار كثيرة [٤] .

٨ ــ أحمد بن محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم طَباطبا الشريف الحسنىّ أبو القاسم المصرىّ الشاعر . كان نقيبُ الطالبيّين بمصر ، مات فى شعبان سنة خمس وأربعين وثلاثمائة [٥] .

---

(١) الشعر والشعراء ٧٧٠ ــ ٨٠٢ . (٢) ابن خلـكان ١ : ١٢١ .

(٣) تاريخ بغداد ٨ : ٢٤٨ .

(٤) إنباه الرواة ٢ : ١٢٨ . والناشى : لقب غلب عليه ، ويعرف أيضا بابن شرسير .

(٥) ابن خلـكان ١ : ٣٩ .

٩ ــ كشاجم اسمه محمود بن محمد بن الحسين بن السدىّ بن شاهك . يكنى أبا نصر . قال صاحب سجع الهديل : كان أقام بمصر مدّة فاستطابها ، ثم رحل عنها ، فكان يتشوّق إليها ، ثم عاد إليها فقال :

قدْ كان شوقى إلى مصرٍ يُؤَرِّقُنى   فالآنَ عُدْتُ وعادتْ مصرُ لى دارا[1]

١٠ ــ المتنبي أحمد بن الحسين أبو الطيب الشاعر المشهور . أقام بمصر مدّة أربع سنين عند كافور الأخشيدىّ يمدحه . ولد بالكوفة سنة ست وثلثمائة ، وقتِل فى رمضان سنة أربع وخمسين ، وسبب قتله أنه كان يركب فى جماعة مين مماليكه فتوهمّ منه كافور لجفاء ، نخاف منه المتنبي وهرب ، فأرسل كافور فى أثره فأعجزه ، فقيل لكافور : ماقيمة هذا حتى تتوهم منه ! فقال : هذا رجل أراد أن يكون نبيًّا بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، فهلّا يروم أن يكون ملكا بديار مصر ! قدسّ إليه من قتله[2] .

١١ ــ تميم بن صاحب القاهرة الخليفة المعز العُبيدىّ . كان من أكابر أمراء دولة أبيه وأخيه العزيز ، وكان شاعراً ، وله فضل . ذكره ابن سعيد فى شعراء مصر ، وتبعه ابن فضل الله فى المسالك ، فقال : تشبّه بابن عمّه ابن المعتز ، وتشبّث بذيله فاقتدران يبتزّ ، وهو وان لم يزاحم ابنَ المعتز ، فإنه لايقع دون مطاره ، ولا يقصر ذهبه الموزون عن قنطاره .

قال ابن كثير : وقد اتفقّ له كائنة غريبة وهى أنّه أرسل إلى بغداد ، فاشتريتْ له جارية مغنّية بمال جزيل ، وكانت تحبّ شخصاً ببغداد ، فلمّا حضرتْ عند تميم ، غنّت

---

(١) الفهرست لابن النديم ١٣٩ : وذكر صاحب معجم المطبوعات ص ١٥٦١ أن وفاته كانت سنة ٣٥٠ أو ٣٦٠ .

(٢) ابن خلكان ١ : ٣٦ .

فاشتد طربه[١]. فقال لها: لابدّ أن تسأليني حاجةً. فقالت: عافيتك، فقال: ومع هذا؟ [٢]
قالت: أحجّ وأمرّ على بغداد [٣]. فأرسلها مع بعض أصحابه فأحججها [٤]، ثم سار بها على طريق العِراق، فلما كانت على مرحلة من بغداد، ذهبت فى اللّيل فلم يُدرَ أين ذهبت! فلما وصل الخبر إلى تميم تألم ألما شديداً[٥].

مات تميم سنة ثمان وستين وثمانمائة[٦].

١٢ — علىّ بن النعمان القيروانىّ. قاضى قضاة مصر للدولة العُبَيدية. قال فى العبر: كان شيعياً غالياً، شاعرا مجوّدا. مات سنة أربع وسبعين وثلثمائة [٧].

١٣ — المقداد المصرىّ. ذكره ابن فضل الله فى شعراء مصر، وقال: جاء بالبيان وحبرّه [٨]، وحقق الإحسان وحرّره، وجاء بسحر عظيم، ودرّ نَظيم.

١٤ — أبو الرقعمق الشاعر صاحب المجون والنّوادر أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكىّ. دخل مصر، ومدح المعزّ وأولاده والوزير ابن كِلّس، ومات سنة تسع وتسعين وثلثمائة. قاله فى العبر [٨].

---

(١) الأبيات التى غنت بها كما ذكرها ابن كثير:

وبدَا لَهُ من بَعْدِ ما انتقَلَ الْهوَى ... برقٌ تألّق من هُنَا لَمعانُهُ
يبدو لحاشيةِ اللِّواء ودونَهُ ... صَعْبُ الذّرَا مُتَمنّعٌ أركانُهُ
فبدا لينظُرَ كيفَ لاحَ فلم يُطِقْ ... نَظَرًا إليه وشدّه أشجانُهُ
فالنّارُ مااشتملتْ عليه ضلوعُهُ ... والماء ماسمحتْ به أجفانُهُ

(٢) ابن كثير: «ومع العافية».

(٣) ابن كثير: «تردنى إلى بغداد حتى أغنى بهذه الأبيات».

(٤) ابن كثير: «فوجم لذلك ثم لم يجد بداً من الوفاء لها».

(٥) البداية والنهاية لابن كثير ١١: ٢٩٤، وفى نهاية الخبر: «وندم ندماً شديدا حيث لا ينفعه الندم».

(٦) ابن خلكان ١: ٩٨.

(٧) العبر ٢: ٢٦٧.

(٨) العبر ٣: ٧٠.

١٥ ـ صريع الدلاء الشاعر المشهور الماجن أبو الحسن عليّ بن عبد الواحد البغداديّ . له مقصورة فى الهزل ، عارض بها مقصورة ابن دريد ، يقول فيها :

وألفُ حِملٍ من متاعٍ تُشتَرى   أنفع للمسكين من لقط النّوَى

مَـــنْ طبخ الديكَ ولا يذبحُهُ   طَار مِنَ القدر إلى حيث انتهى

من أُدخِلَتْ فى عينـــه مِسَلَّةٌ   فَسلْهُ من ساعتِه كيفَ العمَى

والذقنُ شعرٌ فى الوجـوه طالع   كذلك المقْصَةُ مِن خَلفِ القفا

إلى إنْ ختمها بالبيت الّذى حسد عليه وهو قولُه :

من فاته العلمُ وأخْطأه الغِنَى   فذاك والـكلبُ على حدٍّ سَوَا

قال ابن كثير : قدم مصر ، ومدح صاحبها ، فمات بها فى رجب سنة اثنتى عشرة وأربعمائة [1] .

١٦ ـ صنّاجة الدوح محمد بن القاسم بن عاصم . شاعر الحاكم . ذكره ابن فضل الله فى شعراء مصر ، وهو صاحب البيت المشهور :

مازُلزِلتْ مصرُ من سوءٍ يرادُ بها   لـكنّها رقصَتْ مَن عَدْلِه فَرَحا

١٧ ـ هاشم بن العباس المصريّ . قال ابن فضل الله : ما حكت مصر بمثله إقليمها ولا حكت شبيه فضله قديمها . ومن شعره :

كأنّ بياضَ البدر من خلف نخلةٍ   بياضُ بَنانٍ فى اخضرار نُقُوشِ

١٨ ـ عليّ بن عبّاد الإسكندريّ . شاعر ، كان يمدح ابن الأفضل ، فلما قتل الحافظ بن الأفضل قُتل هذا معه [2] .

١٩ ـ إبراهيم بن شعيب المصريّ . ذكره ابن فضل الله وأورد له :

ياذا الذى يَدّخِرُ أمـوالَه   عن مثل هـذا الأسمـر الفائقِ

(١) ابن كثير ١٢ : ١٣ وابن خلكان ١ : ٣٩٥ وسماه على بن عبد الواحد ، ثم قال : رأيت فى نسخة ديوان شعره أنه محمد بن عبد الواحد .

(٢) خريدة القصر ٢ : ٤٣ .

ماالذهبُ الصامتُ إنفاقُه مستنكَرٌ فى الذهب الناطق

٢٠ ـ أبو الصّلت أميّة بن عبد العزيز الأندلسى .[1] مرّ .

٢١ ـ ظافر بن القاسم الحداد الجذامىّ الإسكندرىّ الشاعر المحسن ، صاحب الدّيوان . مات سنة تسع وعشرين ، وخمسمائة[2] .

٢٢ ـ أبو الغمر محمد بن علىّ الهاشمىّ الإسنائىّ . ذكره العماد فى الخريدة ، وقال : كان أشعرَ أهل زمانه ، وأفضل أقرانه . مات سنة أربع وأربعين وخمسمائة[3] .

٢٣ ـ محمود بن إسماعيل بن قادوس أبو الفتح الدمياطىّ . كاتب الإنشاء بالديار المصرية وشيخ القاضى الفاضل ، وكان يسمّيه ذا البلاغتين ، ذكره العماد الكاتب فى الخريدة . مات سنة إحدى وخمسين وخمسمائة[4] .

٢٤ ـ عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأغلبىّ السعدىّ القاضى أبو المعالى المعروف بالجليس ، لأنّه كان يجالس صاحب مصر . ذكره العماد فى الخريدة ، وقال : له فضل مشهور ، وشعر مأثور . مات سنة إحدى وستين وخمسمائة[5] .

٢٥ ـ الرّشيد بن الزّبير الأسوانىّ . مرّ[6] .

٢٦ ـ الحسن بن علىّ بن إبراهيم الأسوانىّ المعروف بالمهذّب بن الزبير ، أخو الرشيد ابن الزبير . ذكره العماد فى الخريدة ، وقال : لم يكن بمصر فى زمنه أشعر منه ، وأنه أعرف به من أخيه الرّشيد . تُوُفِّىَ سنة إحدى وستين وخمسمائة[7] .

٢٧ ـ القاضى موفّق الدين يوسف بن محمد المصرىّ أبو الحجّاج بن الخلّال صاحب ديوان الإنشاء بالديار المصرية ، اشتغل على القاضى الفاضل فى هذا الفنّ ، وتخرّج به . مات فى جُمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة[8] .

---

(١) ص ٥٣٩ .

(٢) خريدة القصر ٢ : ١ ـ ١٨ .

(٣) خريدة القصر ١ : ١٨٥ .

(٤) خريدة القصر ١ : ٢٤٦

(٥) خريدة القصر ١ : ١٨٩ .

(٦) انظر خريدة القصر ١ : ٢٠٠

(٧) خريدة القصر ١ : ٢٠٤ .

(٨) خريدة القصر ١ : ٢٣٥ .

٢٨ - ابن قلاقِس الإسكندرىّ نصير الدين عبد الله بن مخلوف بن علىّ بن عبدالقوىّ اللخمىّ ، ويلقبّ بالقاضى الأعزّ . من شعراء الدولة الصلاحية ، قال ابن خلكان : كان شاعراً مجيدا فاضلا نبيلا، ولم يكن له لحية ، صحب السِّلَفِىّ فانتفع به . ولد بالإسكندرية فى ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ، ومات ثالث شوال سنة سبع وستمائة فى عيذاب عن خمس وثلاثين سنة [(١)] .

٢٩ - عمارة اليمنىّ مرّ [(٢)] .

٣٠ - فخر الدولة الأسوانىّ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن نصر الأديب الشاعر الكاتب . كتب الإنشاء للملك الناصر صلاح الدين بن أيوب ، ثم كتب لأخيه العادل . مات بحلب سنة إحدى وثمانين وخمسمائة .

٣١ - علىّ بن عمر أبو الحسن الهاشمى القوصىّ . ذكره العماد فى الخريدة ، فقال : شاب بقوص، له بالأدب خصوص .

٣٢ - القاضى الفاضل أبو على عبد الرّحيم بن على بن الحسن اللخمىّ البَيْسانىّ ثم العسقلانىّ ثم المصرىّ محيى الدين . وقيل مجير الدين . الوزير صاحب ديوان الإنشاء وشيخ البلاغة . ولد سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وقيل: إن مسوّدات رسائله لو جمعت بلغت مائة مجلد ، وكان له حدَبة يخفيها الطيلسان، وله آثار جميلة وأفعال حميدة . مات فى سابع ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة ، ودفن بالقرافة [(٣)] .

٣٣ - العماد الكاتب الوزير العلاّمة أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الأصبهانىّ . ولد سنة تسع عشرة وخمسمائة بأصبهان ، وتفقه ببغداد على ابن الرزّاز ، وأتقن الفقه والخلاف والعربيّة ، ثم تعانَى الكتابة ، والترسّل والنّظم ، ففاق الأقران ، وحاز قصب

---

(١) خريدة القصر ١ : ١٤٥ .

(٢) انظر ابن خلكان ١ : ٣٧٦ .

(٣) ابن خلكان ١ : ٢٨٤ .

السبق ، وصنّف التصانيف الأدبيـة ، وختم به هذا الشأن . مات فى رمضـان سنة سبع وتسعين [١] .

٣٤ — علىّ بن أحمد بن عرّام الرَّبَعىّ الأسوانىّ . ذكره العماد فى الخريدة ، وقال : شيخ من أهل الأدب بأسوان ، وأثنى عليه . مات فى حدود الثمانين وخمسمائة [٢] .

٣٥ — الأسعد بن الخطير مهذّب بن مَمّاتى المصرىّ الـكاتب الشاعر ، من شعراء الدولة الصلاحية . كان ناظر الدواوين ، وفيه فضائل ، وله مصنفات عديدة ونظّم السيرة الصلاحية، ونظم كتاب كليلة ودمنة ، وله ديوان شعر . مات فى جمادى الأولى سنة ست عشرة وستمائة عن اثنتين وستين سنة ، وجدّه ممّاتى نصرانىّ [٣] .

٣٦ — السعيد أبو القاسم هبة الله بن الرّشيد جعفر بن سنـاء الملك المصرىّ الشاعر المشهور . صاحب الديوان البديع الموشحات ، الذى سمّاه درّ الطّراز كان أحد الفضلاء الرؤساء النّبلاء ، أخذ الحديث عن السِّلَفىّ والنّحو عن ابن برّىّ ، وكتب بديوان الإنشاء مدة ، وكان بارع الترسّل والنظم ، واختصر كتاب الحيوان للجاحظ ، وسمّـاه روح الحيوان . ولد فى حدود خمسين وخمسمائة ، ومات سنة ثمان وخمسين وستمائة [٤] .

٣٧ — وجيه الدين علىّ بن الحسين بن الذروىّ أبو الحسن . من مشاهير الشعراء بمصر ، كان فاضلا نبيلاً ، ذا معرفة تامّة له نظم فائق ، ونثر رائق .

٣٨ — علىّ بن المنجّم أبو الحسن المصرىّ . كان أشعـر أهل زمانه ، وأفضـل أقرانه ، وكان من أعلام أدباء مصر المشاهير . مدح الملوك والوزراء وفيه فضائل . ولد فى المحرّم سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، ومات سنة ست عشرة وستمائة .

٣٩ — النّجيب بن الدّبّاغ المصرىّ الشاعر الأديب . ولد فى جمادى الآخـرة سنة

(١) ابن خلـكان ٢ : ٧٤ .
(٢) خريدة القصر ٢ : ١٦٥ .
(٣) إنباه الرواة ١ : ٢٣١ .
(٤) ابن خلـكان ٢ : ١٨٨ .

اثنتين وخمسين وخمسمائة ، وأقام بمصر مدّة ، وكان له فضل مشهور ، وشعر مأثور . مات فى ربيع الآخر سنة عشرين وستمائة .

٤٠ ـ جعفر بن شمس الخلافة محمد بن مختار المصرىّ أبو الفضل الأفضلىّ الشاعر . يلقّب مجد الملك الأديب الكبير ، له ديوان وتصانيف . ولد فى المحرّم سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، ومات فى المحرم سنة اثنتين وعشرين وستمائة (١) .

٤١ ـ مظفّر بن إبراهيم بن جماعة بن علىّ العيلانىّ الحنبلىّ الأعمى . ولد فى جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، ومات فى المحرم سنة ثلاث وعشرين وستمائة (٢) .

٤٢ ـ ابن النّبيه علىّ بن محمد بن النبيه الشاعر المشهور ، أحد شعراء العصر . مات سنة إحدى وعشرين وستمائة (٣) .

٤٣ ـ راجح بن إسماعيل الحلّىّ الأديب شرف الدين الشاعر . سار شعره ومدائحه للملوك . مات فى شعبان سنة سبع وعشرين وستمائة (٤) .

٤٤ ـ البرهان بن الفقيه نصر . من شعراء مصر ، ولىَ النّظرَ على ديوان الخراج بالصّعيد ، وكان حسن الأدب . ذكره ابن فضل الله .

٤٥ ـ الحسن بن شاور بن العاضد ، ذكره ابن فضل الله ، وأورد له :

لا تثِقْ مـــن آدمىّ فى ودادٍ بصفـــاء
كيف ترجو منـه صفوًا وهْومن طـــين وماء !

٤٦ ـ شرف الدين الدّيباجىّ محمد بن الحسن بن أحمد . كان أبوه وزير الكامل

---

(١) ابن خلكان ١ : ١١٣ .
(٢) نكت الهميان ٢٩٠ ، ابن خلكان ٢ : ٩٨ ، شذرات الذهب ٥ : ١١٠ .
(٣) فوات الوفيات ٢ : ١٤٣ .
(٤) أعيان الشيعة ٣١ : ٧٥ ، وانظر الأعلام للزركلى ٣ : ٣١ .

وأخيه إسماعيل بن العادل . وكان هو وابنه ممن جرَيَا فى الأدب إلى غاية. ذكره ابن فضل الله .

٤٧ ـ ابن بصاقة كاتب الإنشاء فخر القضاة نصر الله بن هبة الله بن عبدالباقى الغفارىّ . كان أكتب أهل زمانه بلا مدافعة ، وأعرفهم بالقواعد الإنشائية وأجودهم ترسُّلاً ، وأحسنَهم عبارة ، وأطولهم باعاً فى الأدب ، وله ديوان شعر . ولد بقُوص سنة سبع وسبعين وخمسمائة ومات بدمشق فى جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وستمائة[١] .

٤٨ ـ ابن مطروح الصاحب جمال الدين أبو الحسن يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن مَطْروح المصرىّ . أحد الشعراء المجيدين ، وصاحب التصانيف المفيدة فى الأدب . تُوفِّىَ سنة أربع وخمسين وستمائة[٢] .

٤٩ ـ ابن أبى الإصبع عبدالعظيم بن عبد الواحد بن ظافر البغدادىّ ثم المصرىّ . أحد الشعراء المجيدين ، وصاحب التصانيف المفيدة فى الأدب . تُوفِّىَ سنة أربع وخمسين وستمائة[٣] .

٥٠ ـ البهاء زهير بن محمد بن علىّ بن يحيى بن الحسن الأزدىّ المصرى الشاعر الكاتب صاحب الديوان المشهور . ولد بمكة ونشأ بقوص ، وقدِم القاهرة ، وخدم الملك الصالح . مات بمصر فى ذى القعدة سنة ست وخمسين وستمائة[٤] .

٥١ ـ سيف الدين أبو الحسن علىّ بن عمر بن قزل المعروف بالمشدّ الشاعرالمشهور. ولد بمصر فى شوال سنة عشرين وستمائة ، وتولّى شد الدواوين، وله ديوان شعر مشهور. مات يوم عاشوراء سنة ست وخمسين وستمائة .

---

(١) الطالع السعيد ٣٨٦ ، شذرات الذهب ٥ : ٢٥٢ .
(٢) ابن خلكان ٢ : ٢٥٧ ، شذرات الذهب ٥ : ٢٤٧ .
(٣) فوات الوفيات ١ : ٦٠٧ ؟ ، النجوم الزاهرة ٧ : ٣٧ .
(٤) ابن خلكان ١ : ١٩٤ ، النجوم الزاهرة ٧ : ٦٢ .

٥٢ ـ أمين الدولة علىّ بن عمار السليانىّ . أحد الشعراء . ولد سنة اثنتين وخمسين وستمائة ، ومات بالفيوم سنة خمس وسبعين .

٥٣ ـ أحمد بن موسى بن يغمور بن جلدك الأمير شهاب الدين . ذكره ابن فضل الله فى شعراء مصر . مات بالمحلّة فى جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وستمائة .

٥٤ ـ أبو الحسين الجزّار الأديب جمال الدين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد المصرىّ الشاعر المشهور . مدح الملوك والأمراء والوزراء والكبراء . مات فى شوال سنة تسع وسبعين وستمائة وله ست وسبعون سنة (١) .

ومن شعره :

سقى الله أكناف الكنانة بالقَطْرِ ... وجاد عليها سُكَّرٌ دائمُ الذَّرِّ

وتبًّا لأوقات الُمخَلَّلِ إنها ... تمرُّ بلا نفع وتحسَبُ من عمرى

أهيم غراماً كلَّما ذُكِرَ الحِمى ... وليس الحِمى إلا العطارة بالسعر

وأشتاق أن هبت نسيمُ قطائفِ السحور سُحَيْراً وهى عاطرة النشر

ولى زوجة إنْ تشتهى قاهريّة ... أقول لها : ما القاهرية فى مصر

٥٥ ـ الشرف النساج بن غنوم الإسكندرىّ . نزيل مصر . كان شاعراً أديباً ، له معرفة تامة ، وفضائل عامة .

٥٦ ـ البدر يوسف بن لؤلؤ الشاعر . المشهور من كبار شعراء الدولة الناصرية . مات فى شعبان سنة ثمانين وستمائة وقد نيف على السبعين .

٥٧ ـ المعين ابن لؤلؤ الشاعر المشهور عثمان بن سعيد الفهرىّ المصرىّ . مات بالقاهرة فى ربيع الأول سنة خمس وثمانين وستمائة ، وله ثمانون سنة وبه تخرّج الحكيم بن دانيال ، وتأدّب .

---

(١) شذرات الذهب ٥ : ٣٦٤ ، النجوم الزاهرة ٧ : ٣٤٥ .

٥٨ — ابن الخيمى شهاب الدين أبو الفضل محمد بن عبد المنعم الأنصارى اليمنى . ثم المصرى . قال ابن فضل الله: قدوة فى الطريقة ، وأسوة فى علم الحقيقة ؛ إلا أن صناعة الأدب عليه أغلب ، وعلم الشعر فيه أرجح .

وقال فى العبر : صوفى شاعر محسن، حامل لواء النظم فى وقته ، سمع الترمذى من على ابن البناء، وأجاز له عبدالوهاب بن سكينة . مات فى رجب سنة خمس وثمانين وستمائة عن نيف وثمانين سنة [١] .

٥٩ — مجاهد بن أبى الربيع سليمان بن مرهف بن أبى الفتح التميمى المصرى . قال ابن فضل الله : من أعلام أدباء مصر المشاهير . مات فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين وستمائة .

٦٠ — نصير الحمامى . كان حجة فى الأدب ، ماهرا فى الشعر . له تصانيف عديدة فى فن الآداب المفيدة ، وله معرفة كبيرة ، وفضائل كثيرة .

٦١ — يوسف بن سيف الدولة أبى المعالى بن رماح بدر الدين أبو الفضل بن المهندار. شاعر له معرفة بالنسب ، مدح الظاهر بيبرس ، وأقام بمصر مدة ، وله فضل مشهور وشعر مأثور .

٦٢ — ابن النقيب محمد بن الحسن بن شاور الكنانى ناصر الدين. من مشاهير الشعراء. مات فى ربيع الأول سنة سبع وثمانين وستمائة ، عن تسع وسبعين سنة .

٦٣ — محمد بن باخل الأمير شمس الدين أبو عبدالله الأموى .

٦٤ — علم الدين الصوابى عبدالله . والى البحر ، قال ابن فضل الله : جندى متأدب ، له شعر بديع .

٦٥ — أبو بكر محمد بن عمار بن إسماعيل التلمسانى . قال ابن فضل الله: من شعراء مصر

---

(١) شذرت الذهب ٥ : ٣٩٢ .

٦٦ ـ الجمال التلمسانيّ .

٦٧ ـ الشرف البوصيري صاحب البردة محمد بن سعيد بن حماد الدلاصيّ المولد المغربيّ الأصل البوصيريّ المنشأ . ولد بناحية دلاص في يوم الثلاثاء أوّل شوال سنة ثمان وستمائة ، وبرع في النظم . قال فيه الحافظ فتح الدين بن سيّد الناس : هو أحسن شعراً من الجزّار والورّاق . مات سنة خمس وتسعين وستمائة [١] .

٦٨ ـ محيي الدين عبدالله بن عبدالظاهر بن نشوان المصريّ الأديب . كاتب الإنشاء بالديار المصرية ، وأحد البلغاء المذكورين ، له النظم الفائق والنثر الرائق ، ومصنفات ، منها سيرة الملك الظاهر . ولد سنة عشرين وستمائة ، ومات بمصر في رجب سنة اثنتين وتسعين ودفن بالقرافة [٢] .

٦٩ ـ ولده فتح الدين محمد صاحب ديوان الإنشاء ، وأول من سُمِّيَ بكاتب السر . ولد بالقاهرة سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وسمع الحديث من ابن الجمّيزي ، وتفقه ومهر في الإنشاء وساد ، وتقدم على والده . مات في رمضان سنة إحدى عشرة وستمائة قبل والده [٣] .

٧٠ ـ تاج الدين أحمد بن شرف الدين سعيد بن محمد ، ابن الأثير الحلبيّ الكاتب المنشئ . باشر كتابة الإنشاء بدمشق ثم بمصر بعد موت فتح الدين بن عبد الظاهر ، وكان فاضلا نبيلا ؛ له يد في النظم والنثر . مات سنة إحدى وتسعين وستمائة .

٧١ ـ شهاب الدين أحمد بن عبدالملك العزازيّ الشاعر المحسن . ديوانه في مجلدين . مات بمصر سنة اثنتين وتسعين وستمائة .

٧٢ ـ شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله بن مجليّ العدويّ كاتب السرّ بمصر ، وأحد أرباب الإنشاء والخطّ الحسن . روى عن ابن عبد الدائم . مات في رمضان سنة سبع عشرة وسبعمائة عن أربع وتسعين سنة [٤] .

(١) فوات الوفيات ٢ : ٤١٢ ؟ (٢) فوات الوفيات ١ : ٢١٢ ـ ٢١٩ ؟
(٣) شذرات الذهب ٥ : ٤١٩ ، وذكره في وفيات سنة ٦٩١ .
(٤) الدرر الكامنة ٢ : ٤٢٨ .

٧٣ ـ علاء الدين عليّ بن الصاحب فتح الدين محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر الأديب . من كبار المنشئين وعلمائهم . مات بمصر سنة سبع عشرة وسبعمائة [١] .

٧٤ ـ ناصر الدين شافع بن عليّ بن عباس الكنانيّ ، سبط محيي الدين بن عبد الظاهر . الكاتب المنشئ الشاعر الأديب الفاضل . ولد سنة تسع وأربعين وستمائة ، ومات سنة ثلاثين وسبعمائة [٢] .

٧٥ ـ شهاب الدين أحمد بن محيي الدين بن فضل الله كاتب السرّ بالديار المصرية. الأديب البليغ الناظم ، الناثر ، صاحب مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار وغيره . ولد فى شوّال سنة سبعمائة ، ومات فى ذى الحجة سنة تسع وأربعين وسبعمائة [٣] .

٧٦ ـ المعمار الأديب إبراهيم المصريّ المشهور . مات سنة تسع وأربعين وسبعمائة .

٧٧ ـ ابن نُباتة الأديب المشهور جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد بن محمد بن محمد ابن الحسن الجُذاميّ المصريّ . ولد بمصر سنة ست وثمانين وستمائة ، وفاق أهل زمانه فى النّظم والنثر ؛ وهو أحد من حذا بحذو القاضى الفاضل وسلك طريقه .مات بالقاهرة فى صفر سنة ثمان وستين وسبعمائة [٤] .

٧٨ ـ علاء الدين عليّ بن القاضى محيي الدين يحيى بن فضل الله العمريّ . كاتب السرّ بالديار المصرية أكثر من ثلاثين سنة ، كان أوحد عصره فى الكتابة . مات سنة تسع وستين وسبعمائة .

٧٩ ـ ابن أبى حَجلة شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبى بكر بن عبد الواحد

---

(١) الدرر الكامنة . . (٢) الدرر الكامنة ٢ : ١٨٤

(٣) شذرات الذهب ٦ : ١٦٠ ، واسمه هناك : « أحمد بن يحيى بن فضل الله بن مجلى القرشى العمرى الشافعى » وانظر الدرر الكامنة ١ : ٣٣١ ، والنجوم الزاهرة ١٠ : ٢٣٤ .

(٤) الدرر الكامنة ٤ : ٢١٦ ، النجوم الزاهرة ١١ : ٩٥ .

التِّلمسانىّ ، نزيل القاهرة . ولد سنة خمس وعشرين وسبعمائة ومهر فى الأدب والنظم الكثير ، ونثر فأجاد ، وترسّل فأفاق ، وعمل المقامات وغيرها . وله مجاميع كثيرة ؛ منها الشكر دان ، وحاطب ليل ، وديوان الصبابة وغير ذلك . مات فى ذى الحجة سنة ست وسبعين وسبعمائة (١) .

٨٠ ـ القيراطىّ برهان الدين إبراهيم بن شرف الدين ، بن عبد الله بن محمد البارع المفتن . ولد فى صفر سنة ست وعشرين وسبعمائة ، ولازم علماء عصره وبرع فى الفنون ودرّس بعدّة أماكن وفاق فى النظم والشعر وله ديوان مشهور . مات بمكة فى ربيع الأول سنة إحدى وثمانين (٢) .

٨١ ـ ابن العطار الأديب شهاب الدين أحمد بن محمد بن علىّ الدنيسرىّ . شاعر مشهور ، مات فى ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وسبعمائة .

٨٢ ـ ابن مَكانس الوزير فخر الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد الرزاق القِبْطىّ ، وزير دمشق ، وناظر الدولة بمصر . الشاعر المشهور ، أحد فحول الشعراء ، وله ديوان إنشاء . مات فى ذى الحجة سنة أربع وستين وثمانمائة (٣) .

٨٣ ـ ولده مجد الدين فضل الله . ولد فى شعبان سنة تسع وستين وسبعمائة وتعانَى الأدبيّات ، ومهر . مات بالطاعون فى ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة .

٨٤ ـ البارزىّ ناصر الدين محمد بن محمد بن الفخر عثمان بن الكمال محمد بن عبد الرحيم ابن عبد الله بن المسلم . ولد فى شوال سنة تسع وستين وسبعمائة ، وبرع فى الأدب وتنقلت به الأحوال إلى أنْ وَلِىَ كتابة السرّ بالديار المصرية . مات فى شوال سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة (٤) .

---

(١) الدرر الكامنة ١ : ٣٢٩ .
(٢) شذرات الذهب ٦ : ٢٦٩
(٣) الدرر الكامنة ٢ : ٣٣٠ .
(٤) الضوء اللامع ٩ : ١٣٧ .

٨٥ ـ ولده مجد الدين محمد . ولد فى ذى الحجة سنة ست وتسعين وسبعمائة ، ومات سنة خمسين وثمانمائة .

٨٦ ـ البدر البشتكىّ محمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقىّ الأصل الأديب الفاضل المشهور . ولد سنة ثمان وأربعين وسبعمائة . ومات فى جمادى الآخرة سنة ثلاثين وثمانمائة [(١)] .

٨٧ ـ ابن حِجّة رأس أدباء العصر تقىّ الدين أبو بكر بن علىّ الحموىّ نزيل القاهرة . صاحب البديعيّة المشهورة وشرحها ، وثمار الأوراق ، وغير ذلك من التصانيف الأدبيّة . مات فى شعبان سنة سبع وثلاثين وثمانمائة [(٢)] .

٨٨ ـ ابن كميل القاضى شمس الدين محمد بن أحمد بن عمر المنصورىّ . ولد فى صفر سنة خمس وسبعين وسبعمائة وعنى بالأدب كثيرا ، وتقدّم على أقرانه . مات فى شعبان سنة سبع وأربعين وثمانمائة .

٨٩ ـ النواجى أديب العصر شمس الدّين محمد بن حسن بن علىّ بن عثمان . ولد سنة بضع وثمانين وسبعمائة ، وأمعن النّظر فى علوم الأدب حتى فاق أهل العصر ، وألف كتبا منها تأهيل الأديب [(٣)] والشفاء فى بديع الاكتفاء ، وروضة المجالسة فى بديع المجانسة ، وحَلْبة الكميت فى وصف الخمر وغير ذلك . مات فى يوم الثلاثاء خامس عشر جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثمانمائة [(٤)] .

٩٠ ـ الشهاب الحجازىّ أبو الطيب أحمد بن محمد بن علىّ بن حسن بن إبراهيم الأنصارىّ الخزرجىّ . الفاضل الأديب الشاعر البارع . ولد فى شعبان سنة تسعين وسبعمائة ، وسمع على المجد الحنفىّ والبرهان الأبناسىّ ، وأجاز له العراقىّ والهيثمىّ ،

(١) مطالع البدور ١ : ٨٠ ، الضوء اللامع ٦ : ٢٧٧ ، والبشتكى هو جامع ديوان ابن نباتة .
(٢) الضوء اللامع ١١ : ٥٣ ، شذرات الذهب ٧ : ٢١٩ .
(٣) الصواب أنه لابن حجة الحموى ، ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب برقم ٥٥١ ـ أدب .
(٤) الضوء اللامع ٧ : ٢٢٩ ، والبدر الطالع ٢ : ١٥٦ .

وعنى بالأدب كثيرا حتى صار أحد أعيانه ، وصنف كتباً أدبية ، منها : روض الآداب والقواعد والمقامات من شرح المقامات والتذكرة وغير ذلك . مات فى رمضان سنة خمس وسبعين وثمانمائة [1] .

وقال الشهاب المنصورى يرثيه :

لهف قلبى على أفول الشهاب ... تحفة القوم نزهة الأصحاب

كان فى مطلع البلاغة يسرى ... فتوارى من الثرى بحجاب

فقدت بره أيامى المعانى ... ويتامى جواهر الآداب

هطلت أدمع السحاب عليه ... وقليل فيه دموع السحاب

وذووا الجمع أصبحوا حين ولى ... كلهم جامعا بلا محراب

ربع بلواى آهل منذ أخلى ... كتبى من سؤاله والجواب

ياشهابا طلوعه فى سما الفضـ ... ـل ولكن أفوله فى التراب

لك فيما ألفت تذكرة مما انتقى دره أولو الألباب

روضة أينعت بفاكهة من ... حسن لفظ كثيرة وشراب

فسقى تربها الرباب لتهتز ... وتربو على سماع الرباب

ورأى كسره فقابله اللـه تعالى بالجبر يوم الحساب

٩١ ـ الشهاب المنصورى أبو العباس أحمد بن محمد بن على بن محمد بن أحمد بن عبد الدائم السلمى المعروف بالهائم . الأديب البارع . ولد سنة تسع وتسعين وسبعمائة واشتغل ، وفهم شيئاً من العلم وبرع فى الشعر وفنونه وتفرد به فى آخر عمره ، وله ديوان كبير . مات فى جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وثمانمائة [2] .

٩٢ ـ القادرى الشيخ شمس الدين محمد بن أبى بكر بن عمر بن عمران بن نجيب

(١) الضوء اللامع ٢ : ١٤٧ . (٢) شذرات الذهب ٧ : ٣٤٦ .

الأنصارى السعدى الدنجاوى ، شاعر العصر . ولد سنة خمس عشرة وثمانمائة ، واشتغل بالعلم على جماعة من الشيوخ مع ذكاء مفرط ، وقال الشعر فأكثر ، وبرع فى فنون الأدب نظماً ونثراً وهو الآن شاعر الدنيا على الإطلاق ، لايشاركه فى طبقته أحد . مات فى جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعمائة .

ومن نظمه وأنشده عندى فى الإملاء :

شَجَاكَ بربع العامرية معهدُ	به أنكرتْ عيناك ما كنتَ تعهدُ
ترحَّلَ عنه أهلُهُ بأهِلَّةٍ	بأخداجها غيدٌ من العِينِ خُرَّدُ
كواعبُ أترابٌ حِسانٌ كأنها	بدورٌ بأغصان النَّقا يتأوَّدُ
وممّا شجانى فوقَ عودٍ حمامةٌ	تُرجِّع ألحانا لها وتُغرِّدُ
كأنَّ بدمعى الكفَّ منها مخضَّبٌ	وبالحزن منى الجيدَ منها مُقَلَّدُ
وبى غادةٌ كالشمس فى أفق حسنها	نأتْ وبقلبى حرُّها يتوقّد
ولو هدَّدَتْ رَضْوى بتبريح هجرها	لأمْسَى من التهديد وهو مُهَدَّدُ
خفيفةُ أعطاف نشاوَى من الصِّبا	ثقيلةُ أرداف تقُومُ وتُقعِد
من النافثات السحرَ فى عُقَدِ النُّهى	بنجلاء عنها سحرُ هاروتَ يُسْنَدُ
وعَيْنِى تروِّى عن مَعِين دموعها	وسمعىَ عن عذل العذول مُسَدَّدُ
وأعجبُ من جسمٍ حكى الماء رقةً	يُقلُّ بلطفٍ قلبَها وهوَ جَلْمَد
مُحَيًّا كبدر التِّمِّ فى جنح طُرَّةٍ	يظَلُّ به غصنُ النَّقا يتأوَّد
وجنَّاتُ وجْنَاتٍ بماء نعيمها	على النور نار أصبحت تتوقّد
مَهاةٌ إذا استنَّتْ بعُودِ أراكةٍ	على مَتْنِ سِمْطَىْ لؤلؤ يتردَّد
تريك ثَنِيَّاتِ العقيق ببارقٍ	جلالى النقا منه العُذَيْب المبرَّد

كأن بفيها من سنا العلم جوهرًا ... جلاه جلال الدين فهْو منضّد
إمامُ اجتهادٍ عالم العصر عاملٌ ... بجامع فضلٍ ناسكٌ متهجِّدُ
ويحسُد طرفُ النجم بالعلم طَرفَه ... إذا بات ليلاً فيه وهْو مسهّدُ
ويقدح زَندَ العزم زندُ ذكائه ... فيصبحُ منه فكرُه يتوقّدُ
ومِنْ مَددِ المولى وعينِ عنايةٍ ... وتوفيقِه يحيا ويحمى ويحمَد
ومجتهدٍ قد طال فى العلم مُدرَكا ... وباعاً ففى كلِّ العلوم له يَدُ
ومستنبطٍ من آية بعد آيةٍ ... تَلِى آية الكرسىّ معنى يخلَّد
فوائد أشتات البديع التى بها ... تفرّد فيها جمعه فهْو مفرَدُ
وأنواعها عشرُون معْ مائة وقدْ ... توحّد فيها بالذكا فهْو أوحد
ولم يك للماضين فى الجمع مثلها ... فسُحْقاً لمن للفضل فى الناس يجحد
فحقّ له دعوَى اجتهادٍ لأنه ... هو البحر علماً زاخرُ اللُّجِّ مُزْبِدُ
عليم بآلات اجتهاد أولى النهى ... أئمة دين الله من حيث تقصد
فَمِنْ ذاك علمٌ بالكتاب وسنّةٍ ... تبيِّن ما فى بحره فهْو مورد
وما كان فيها مجملا ومفصّلا ... ومن مُطلَقٍ ينفكُّ عنه المقيَّدُ
ولحوى خطاب ثم مفهومُ مابه ... يدلُّ على مفهومه حيث يُوجد
ومعرفة الإجماع فهى لدينا ... ثلاثٌ عليها بالخناصر يُعقَد
وباللغة الفُصْحَى من العرب التى ... بها نزل الذكر العزيزُ الممجَّد
ومعرفة الأخبار ثم رُواتِها ... عُدُولاً ومَن بالطعن فيه تردَّد
وبالعلم بالفرق الذى بين واجبٍ ... ونَدْب وما فيه الإباحةُ تقصد
وما بين حظر موبق وكراهةٍ ... وتقييدِها والعلم نعم المقيّد
وفى النّحو والتصريف للمرء عصمةٌ ... من اللحن فاللحان باللحن مُكمَدُ

ومعرفة الإعراب أرفع مرتقًى فطوبى لمن يرقى إليه ويصعدُ
وعلم المعانى والبيـــانِ كلاهما مَراقٍ إلى علم البـديع ومَصْعَد
وسلطان منقولِ الفقيه متى يجد وزيرًا من المعقول فهو مؤيَّد
وإنّ الجلالىّ السيوطىَّ للهُدى لَـكوكبُ علم بالضيا يتوقّدُ
وقد جادصَيّبُ العلم روضةَ أصله فطاب له بالعلم فرع ومَحْتِدُ
وذى حَسَد مُغرًى ببغداد فضله على نفسه يبكى أسًى ويعدّد
فلو أبصر الـكفار فى العلم درسه وقد شاهدوا تقريره لتشهّدوا
تخذها جلال الدين فى المدح كاعباً لها جيدُ حسن بالنجوم مقلّدُ
ولا تبتئس من قول واشٍ وحاسد فما برحت أهلُ الفضائل تُحْسَد
ومن لحظت مسعاه عينُ عنايةٍ فطرْف أعاديه مدَى الدهر أرْمَدُ
وبالعـلم ، من يأمَنْ وعيد إلهه فإنّ بوعد الفوز موعدَهُ غدَ
وحيث وهَى ثوبُ اجتهاد فذُو العلا يُقَيِّضُ فى الدنيا له من يجدّد
بمن أخبر المختار عنهم وإنهم لطائفةٌ بالحق للدين تعضدُ
بإخلاصهم لا الهجوُ يوماً يسوءهم ولا سَرَّهم مدح الذى راح يحمد
وهذا اعتقادُ المؤمنين أولى النُّهى فلايكُ فى هذا لديكَ تردُّد
وإنّ جلال الدين منهم فإنه بيُمْنَى علوم الدِّين سيفٌ مجرّد
وإن القوافى ضقن ذرعاً عن الذى له من تصانيفٍ فليسَتْ تُعدَّدُ
وإنّ الفقير القادرىَّ لعاجزٌ عن المدْح فى علياهُ إذ يتقصّد
وقاهُ إله العرش من كل محنة وما أضمرَتْ يوماً عِداه وحُسّدُ
بجاه رسول الله أحمدَ مرسل بأمداحه جاء الـكتاب المجَّد
عليه مع الآل الـكرام وصحبه صلاةٌ على طول المدى تتجدَّد

ذكر أمراء مصر من حين فتحت إلى أن ملكها بنو عبيد

أوّل أمير عمرو بن العاص رضى الله عنه ، ولاّه عمر بن الخطاب رضى الله عنه على الفُسطاط وأسفل الأرض ، ووليَ عبدُ الله بن سعد بن أبى سرْح على الصّعيد إلى الفيّوم .

أخرج ابنُ عبد الحكم ، عن أنس ، قال : أتى رجلٌ من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب فقال : ياأمير المؤمنين ، عائذ بك من الظّلم ، قال : عذتَ معاذاً [1] ، قال : سابقت [ابن] [2] عمرو بن العاص فسبقتُه ، فجعل يضربنى بالسّوط ، ويقول : أنا ابن الأكرمين ! فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه ، ويَقْدَم بابنه معه . فقدم فقال عمر : أين المصرىّ ؟ خذ السوط فاضرب ، فجعل يضربه بالسّوط ويقول عمر : اضرب ابنَ الأكرمين [3] . ثم قال للمصرىّ : ضعه على صَلْعة [4] عمرو ، قال : ياأميرَ المؤمنين ، إنما ابنه الذّى ضربنى وقد اشتفيت منه ، فقال عمر لعمرو : مذ كمْ تعبّدتم النّاس وقد ولدتْهم أمهاتهم أحرارا ! قال : ياأمير المؤمنين ، لم أعلم ولم يأتنى [5] .

وأخرج ابنُ عبد الحكم عن نافع مولى ابن عمر ، أن صُبيغا العراقىّ جعل يسأل عن أشياء من القرآن فى أجناد [6] المسلمين ، حتى قدم مصر ، فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر ابن الخطاب ، فضربه ونفاه إلى الكوفة ، وكتب إلى أبى موسى الأشعرىّ أن

---

(١) كذا فى الأصول ، وفى اللسان : « عاذبه معاذا ، لجأ إليه واعتصم » .

(٢) تكملة من فتوح مصر .

(٣) بعدها فى فتوح مصر : « قال أنس : فضرب ، فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه ؛ فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه » . وهناك : « اضرب ابن الأمين » .

(٤) فتوح مصر : « ضلعة » .

(٥) فتوح مصر ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٦) أجناد : جمع جند ، وهو العسكر .

ألا يجالسه أحدٌ من المسلمين[1] .

وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل فى كتابه : حدّثنا عبد الله بن صالح ، حدثنى ابن لَهِيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب أنّ عمرو بن العاص استحلّ مال قِبطىّ من قِبْط مصر لأنّه استقرّ عنده أنّه كان يُظهر الرّومَ على عورات المسلمين يكتب إليهم بذلك ، فاستخرج منه بضعاً وخمسين إردبا دنانير . قال أبو صالح : والإردبّ ستّ وَيْبات وعيّرنا الويبة ، فوجدناها تسعا وثلاثين ألف دينار .

قال الحافظ عماد الدين بن كثير : فعلَى هذا يكون مبلغ ماأخذ من هـذا القبطىّ يقارب ثلاثة عشر ألف ألف دينار .

قال ابنُ عبد الحكم : تُوُفِّىَ عمر ، وعلى مصر أميران : عمرو بن العاص بأسفل الأرض وعبد الله بن سعد على الصعيد . فلما استخلف عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص وولّى عبد الله بن سعد [بن أبى سرح] أميراً على مصر كلها ؛ وذلك فى سنة خمس وعشرين[2] .

وقال الواقدىّ وأبو معشر : فى سنة سبع وعشرين .

فانتقل عمرو بن العاص إلى المدينة ، وفى نفسه من عثمان أمر كبير ؛ وجعل عمرو بن

---

(١) كذا نقل الخبر مقتضبا ؛ وهو كما فى فتوح مصر ١٦٨ : « أن صبيغاً العراقى جعل يسأل عن أشياء من القرآن فى أجناد المسلمين حتى قدم مصر ، فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ، فلما أتاه الرسول بالكتاب ، فقرأه ، قال : أين الرجل ؟ قال : فى الرحل ، فقال عمر : ابصر أن يكون ذهب، فتصيبك منى العقوبة الموجعة. فأتاه به ، فقال له عمر : عم تسأل ؟ فحدثه، فأرسل عمر إلى رطائب الجريد، فضربه بها حتى ترك ظهره دبره ، ثم تركه حتى برأ ، ثم عاد له ، ثم تركه حتى برأ ، ثم دعا به ليعود له ، فقال صبيغ : يا أمير المؤمنين ؛ إن كنت تريد قتلى فاقتلنى قتلا جميلا ، وإن كنت تريد أن تداوينى ، فقد والله برئت ، فأذن له إلى أرضه ، وكتب له إلى أبى موسى الأشعرى ألا يجالسه أحد من المسلمين . فاشتد ذلك على الرجل، فكتب أبو موسى إلى عمر، إأنه قد حسنت هيئته ، فكتب عمر أن ائذن للناس فى مجالسته » .

(٢) فتوح مصر ١٧٣ .

العاص يؤلّب الناسَ على عثمان ؛ وكره أهلُ مصر عبدَ الله بن سعد بعد عمرو بن العاص ؛ واشتغل عبد الله بن سعد عنهم بقتال أهلِ المغرب وفتحه بلاد البربر والأندلس وإفريقيّة ، ونشأ بمصر ناس[1] من أبناء الصحابة يؤلّبون الناس على حرب عثمان ، والإنكار عليه فى عزل عمرو ، وتولية مَنْ دونهم ؛ وكان عُظْم ذلك مسنَداً إلى محمد بن أبى بكر ومحمد بن أبى حُذيفة ، حتى استنفرا نحوا من ستمائة راكب يذهبون إلى المدينة لينكروا على عثمان،فساروا إليها، وسألوه أن يعزل عنهم ابن أبى سَرْح ،ويُوَلّيَ محمد بن أبى بكر أميرا ، فأجابهم إلى ذلك ، فلمّا رجعوا إذا هم براكب ، فأخذوه وفتّشوه ، فإذا فى إداوته كتاب إلى ابن أبى سرْح على لسان عثمان بقتل محمد بن أبى بكر وجماعة معه، فرجعوا وداروا بالكتاب على الصحابة ؛ فلام النّاس عثمان على ذلك ، فحلف : ماله علم بذلك،وثبت أنه زوّره على لسانه مَرْوان بن الحكم، وزوّره على خاتمه ، فكان ذلك سبب تحريض المصريّين على قتل عثمان حتى حصروه وقتلوه . وكان الذى باشر قتلهرجلاً من أهلِ مصر من كِنْدة يسمى أسود بن حُمران ، ويكنى أبا رُومان ، ويلقب حمارا ، وقيل : اسمه رُومان ، وقيل اسمهسُودان بن رُومان المرادىّ . وكان أشقر أزرق ، وقتل هو أيضافى الحال-لعنه الله ورضى عن عثمان أمير المؤمنين- وفعل المصريون فى المدينة من الشرّ مالا يفعله فارس والرّوم ، ونهبُوا دار عثمان ، وعدلوا إلى بيت المال فأخذوا مافيه ، وكان فيه شيء كثير جدًّا ، وذلك فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين .

وأخرج الواقدىّ عن عبدالرحمن بن الحارث، قال : الذى قتل عثمان كنانة بن بشر بن غياث التُّجيبيّ، حتى قال القائل:

ألاَ إنّ خير الناس بعد ثلاثةٍ قتيل التُّجيبيّ الذّى جاء من مصرا

وأخرج ابن عساكر عن سعيد بن المسيّب ، قال : كانت المرأة تجيء فى زمان عثمان

---

(١) ط : « طائفة » .

إلى بيت المال ، فتحملَ وَقْرها ، وتقول : اللهمّ بدّل، اللهمّ غَيِّر . فلما قتل عثمان ، قال حسان بن ثابت :

قلتمُ بدّل فقد بَدَّلَكُمْ سَنَةً حرّى وحَرباً كاللّهَبْ[1]
ما نقِمتُمْ مِن ثياب خِلْفَةٍ وعبيدٍ وإماء وذَهبْ[2]

وروى محمد بن عائذ، عن إسماعيل بن عيّاش ، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جُبير ، قال : سمع عبد الله بن سلَام رجلاً يقول لآخر : قتِل عثمان بن عفّان فلم ينتطح فيها عنزان . فقال ابن سلَام : أجل إن البقر والغنم لاتنتطح فى قتل الخليفة، ولكن تنتطح فيه الرجال بالسلاح ؛ والله لَيُقْتلَنّ به أقوام إنّهم لفى أصلاب آبائهم ماوُلِدوا بعد . وبقيت المدينة خمسة أيام بلا خليفة ، والمصريون يلحُّون على عليّ أن يبايعوه وهو يهرب منهم ؛ ويطلب الكوفيون الزُّبيرَ فلا يجدونه، والبصريّون طلحة فلا يجيبهم، فقالوا فيما بينهم : لانولّى أحداً من هؤلاء الثلاثة، فمضوا إلى سعد بن أبىوقّاص فلم يقبل منهم ، ثم جاءوا إلى ابن عمر ، فأبى عليهم ، فحاروا فى أمرهم ، وقالوا : إن نحن رجعنا بقتلعثمان عن غير إمْرَةٍ ، اختلف الناس ، فرجعوا إلى عليّ فألحوا عليه فبايعوه، فأشار عليهابن عباس باستمرار نوّاب عثمان فى البلاد إلى حينٍ آخر ، فأبَى عليه ، وعزل عبد الله بن سعد بنّأبى سَرْح عن مصر وولّى عليها قيسَ بنْ سعد بن عبادة .

وكان محمد بن أبى حُذيفة لمّا بلغه حصرُ عثمان تغلّب على الديار المصرية ، وأخرج منها ابنَ أبى سرْح ، وصلّى بالناس فيها ، فسار ابنُ أبى سرح ، فجاءه الخبر فى الطريق بقتل عثمان ، فذهب إلى الشام ، فأخبر معاوية بما كان فى أمره بديار مصر ، وأنّ محمد بن

---

(١) ديوانه ٢٣ ، وفيه البيت الأول بعد الثانى .
(٢) خلفة ، أى مختلفات :

أبي حُذيفة قد استحوذَ عليها،فسار معاوية وعمرو بن العاص ليُخرجاه منها،فعالجا دخول مصر ، فلم يَقْدِرا ، فلم يزالا بِهِ حتى خرج إلى العريش فى ألف رجل ، فتحصّن بهـا . وجاء عمرو بن العاص ، فنصب عليه المنجنيق حتى نزل فى ثلاثين من أصحـابه فقتِلوا ؛ ذكره ابن جرير (١) .

ثم سار إلى مصر قيس بن سعد بن عبادة بولاية من علىّ ، فدخل مصر فى سبعة نفرٍ ، فرقىَ المنبر ، وقرأ عليهم كتابَ أمير المؤمنين علىّ ، ثم قام قيس فخطب النـاس ، ودعاهم إلى البَيْعة لعلىّ ، فبايعوا ، واستقامت له طاعة بلاد مصر سوى قريةٍ منها يقـال لها خَرِبْتَا ، فيها أناس قد أعظموا قتل عثمان ، وكانوا سادة الناس ووجوههم ، وكانوا فى نحو من عشرة آلاف، منهم بُسْر بن أرطاة ، ومسلمة بن مخلّد ، ومعاوية بن حُـدَيج وجماعة من الأكابر ، وعليهم رجل يقال له يزيد بن الحارث المدلجىّ ، وبعثوا إلى قيس ابن سعد فوادَعهم وضبط مصر ، وسار فيها سيرة حسنة .

قال ابنُ عبدالحـكم : لمّـا ولِىَ قيسٌ مصرَ اختطّ بها دارا قبلِىّ الجامع ، فلما عُزِل كان الناس يقولون : إنّها له ، حتى ذكرت له ، فقال : وأىّ دار لى بمصر ؟ فذكروها له فقال : إنّما تلك بنيتُها من مال المسلمين ، لاحق لى فيها (٢) .

ويقال : إن قيساً أوصى لمّا حضرته الوفاة: إنى كنت بنيتُ دارا بمصر وأنا واليها ، واستعنت فيها بمعونة المسلمين ؛ فهى للمسلمين ينزلها ولاتهم .

وكانت ولاية قيس مصر فى صفر سنة ست وثلاثين. فـكتب معاوية إلى قيس يدعوه إلى القيام بطلب دم عثمان،وأن يكون هو أزراً له على ماهو بصدده من القيام فى ذلك،ووعده أن يكون نائبَه على العراقين إذا تمّ له الأمر. فلما بلغه الـكتاب ـ وكان قيس رجلا حازما ـ لم يخالفه ولم يوافقه،بل بعث يلاطِف معه الأمر ؛ وذلك لبعده من علىّ،وقربه من بلاد الشام ؛ وما

---

(١) تاريخ الطبرى ٥ : ١٠٥ ، ١٠٦ (٢) فتوح مصر ٩٨ .

مع معاوية من الجنود ، فسالمه قيس وتاركه ؛ فأشاع بعضُ أهل الشام أنّ قيس بن سعد يُكاتبهم فى الباطن ، ويمالئهم على أهل العراق .

وروى ابن جرير أنه جاء من جهته كتاب مزوّر بمبايعته معاوية ، فلمّا بلغ ذلك عليًّا اتّهمه ، وكتب إليه أن يغزوَ أهلَ خَرِبْتا الذين تخلفوا عن البيعة ؛ فبعث يعتذر إليه بأنهم كثير عددهم ، وهم وجوه الناس ، وكتب إليه : إن كنتَ إنّما أمرتنى بهذا لتختبرنى لأنك اتّهمتنى ، فابعث على عملك بمصر غيرى .

فولّى علىّ على مصر محمد بن أبى بكر ، وارتحل قيس إلى المدينة ، ثم ركب إلى علىّ ، واعتذر إليه ، وشهد معه صِفّين ، فلم يزل محمد بن أبى بكر بمصر قائم الأمر ، مهيباً بالديار المصرية ، حتى كانت وقعة صِفّين ، وبلغ أهلَ مصر خبر معاوية ومَنْ معه من أهل الشام على قتال أهل العراق ، وصاروا إلى التحكيم . فطمع أهل مصر فى محمد بن أبى بكر ، واجترءوا عليه ، وبارزوه بالعداوة ، وندم علىّ بن أبى طالب على عزل قيس من مِصْر لأنه كان كفؤا لمعاوية وعمرو . فلمّا فرغ علىٌّ من صِفّين ، وبلغه أنّ أهل مصر استخفّوا بمحمد بن أبى بكر لكونه شابا ابن ست وعشرين سنة أو نحو ذلك ، عزم على ردّ مصر إلى قيس بن سعد .

ثم إنه ولّى عليها الأشتر النَّخَعىّ ، فلما بلغ معاويةَ توليةُ الأشتر ديار مصر ، عظُم ذلك عليه ؛ لأنّه كان طمع فى استنزاعها من يد محمد بن أبى بكر ، وعلم أنّ الأشتر سيمنعها منه لحزمه وشجاعته . فلمّا سار الأشتر إليها وانتهى إلى القُلْزم ، استقبله الجايسار — وهو مقدّم على الخراج — فقدّم إليه طعاما ، وسقاه شرابا من عسل ، فمات منه . فلما بلغ ذلك معاوية وأهل الشام قالوا : إنّ لله جندا من عسل . وقيل : إن معاوية كان تقدّم إلى هذا

الرجل فى أن يحتال على الأشتر ليقتله ففعل ذلك ، ذكره ابنُ جرير .

فلمّا بلغ عليا وفاةُ الأشتر تأسّف عليه لشجاعته ، وكتب إلى محمد بن أبى بكر باستقراره واستمراره بديار مصر ، وكان ضَعَف جأشه مع مافيه من الخلاف عليه من العثمانيّة الذين ببلد خَرِبْتا ، وقد كانوا استفحل أمُرهم ؛ وكان أهلُ الشام حين انقضت الحكومة سلّموا على معاوية بالخلافة ، وقوىَ أمرُهم جداً ، فعند ذلك جمع معاوية أمراءه ، واستشارهم فى المسير إلى مصر ، فاستجابوا له ؛ وعيّن نيابتَها لعمرو بن العاص إذا فتحها ، ففرح بذلك عمرو ، فكتب معاوية إلى مسلمة بن مخلّد ومعاوية بن حُديج — وهما رؤساء العثمانية ببلاد مصر — يخبرهم بقدوم الجيش إليهم سريعا ، فأجابوه ، فجهزّ معاوية عمرو بن العاص فى ستة آلاف ، فسار إليها ، واجتمعت عليه العثمانيّة وهم عشرة آلاف . فكتب عمرو إلى محمد بن أبى بكر : أن تنحَّ عنّى بدمك ، فإنّى لا أحبّ أن يصيبَك منّى ظفر ، وإنّ الناس قد اجتمعوا بهذه البلاد على خلافك . فأغلظ محمد بن أبى بكر لعمروفى الجواب ، وركب فى ألفىْ فارس من المصريّين، فأقبل عليه الشاميّون ، فأحاطوا به من كلّ جانب ، وتفرّق عنه المصريون ، وهرب هو فاختفى فى خربة ، ودخل عمرو بن العاص فُسطاط مصر ، ثم دُلّ على محمد بن أبى بكر ، فجىء به ؛ وقد كاد يموت عطشاً ، فقدّمه معاوية بن حُدَيج فقتَله ، ثم جعله فى جيفة حمار ، فأحرقه بالنار ؛ وذلك فى صفر سنة ثمان وثلاثين .

وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية يخبره بما كان من الأمر ، وأن الله قد فتح عليه بلادَ مصر ، فأقام عمرو أميراً بمصر إلى أن مات بها ليلة عيد الفِطْر سنة ثلاث وأربعين على المشهور ، ودفن بالمقطم ، من ناحية الفجّ ؛ وكان طريق الناس يومئذ إلى الحجاز ، فأحبّ أن يدعوَ له من مرّ به ؛ وهو أول أمير مات بمصر .

وفى ذلك يقول عبد الله بن الزّبير :

ألم ترأنّ الدهر أخنت ريوبُهُ على عمرٍو السّهمىّ تُجبى له مصرُ
فأصحى نبيذاً بالعراء وضُلِّلت مكائده عنه وأمواله الدّثْرُ
ولم يعن عنه جمعُه المَال برهةً(١) ولا كيدُه حتى أتيحَ له الدّهْرُ

فلما مات عمرو بن العاص ولّى معاوية على ديار مصر ولده عبد الله بن عمرو .

قال الواقدىّ : فعمل له عليها سنتين . وقال غيره : بل أشهرا . ثم عزله وولّى عتبة ابن أبى سفيان .

ثم عزله وولّى عُقْبة بن عامر سنة أربع وأربعين ، فأقام إلى سنة سبع وأربعين فعزله .

وولّى معاوية بن حُدَيج ، فأقام إلى سنة خمسين ، فعزله .

وولّى مسلمة بن مخلّد وجمعت له مصر والمغرب ؛ وهو أول والٍ جمع له ذلك (١) .

قال ابن عبد الحكم : حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، عن ابن لَهيعة عن بعض شيوخ أهل مصر ، قال : أول كنيسة بنيت بفسطاط مصر الكنيسة التى خلْف القنطرة أيام مسلمة بن مخلّد ، فأنكر ذلك الجند على مسلمة ، وقالوا له : أتقرّ لهم أن يبنوا الكنائس ، حتى كاد يقع بينهم وبينه شرّ ، فاحتجّ عليهم مسلمة يومئذ ، فقال : إنها ليست فى قيْروانكم ، وإنما هى خارجة فى أرضهم ، فسكتوا عند ذلك (٢) .

فأقام مسلمة أميراً إلى سنة تسع وخمسين .

وكان عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن ربيعة الثقفىّ المشهور بابن أم الحكم ـ وأم الحكم هى أخت معاوية ـ أميراً على الكوفة ، فأساء السيرة فى أهلها ، فأخرجوه من بين أظهرهم طريدا ، فرجع إلى خاله معاوية ، فقال : لأولينّك مصر خيراً منها ، فولّاه مصر ، فلما سار إليها تلقاه معاوية بن حُدَيج على مَرْحلتين من مصر ، فقال : ارجع إلى خالك ، فلعمرى لا تسير فينا

(١) ابن عبد الحكم : « جمعه واحتياله »
(٢) بن عبد الحكم ١٣٢ .

سيرتك فى أهل الكوفة ، فرجع ابن أم الحكم ولحقه معاوية بن حُديج وافداً على معاوية. فلما دخل عليه وجدَه عند أخته أم الحكم- وهى أم عبد الرحمن الذى طرده عن مصر - فلما رآه معاوية،قال : بخ بخ! هذا معاوية بن حُدَيج ؛ فقالت أم الحكم : لا مرحباً ! تسمع بالمُعَيدىّ خيرٌ من أن تراه . فقال معاوية بن حُدَيج : على رِسْلِكِ يا أم الحكم، أما والله لقد تزوجتِ فما أكرمت ، وولدت فما أنجبت ؛ أردتِ أن يلى ابنك الفاسق علينا ، فيسير فينا كما سار فى أهل الكوفة ، فما كان الله ليريَهَ ذلك، ولو فعل لضربنا ابنك ضرباً يطأطئ منه- وإن كره هذا الجالس - فالتفت إليها معاوية ، فقال : كفى ، فاستمرّ مسلمة على إمرة مصر إلى أن مات فى خلافة يزيد فى ذى الحجة سنة اثنتين وستين .

فولِىَ بعده سعيد بن يزيد بن علقمة الأزدىّ .

فلما ولى الزبير الخلافة بعدموت يزيد، وذلك فى سنة أربع وستين، استناب على مصر عبد الرحمن بن قحزم القرشىّ الفهرىّ ، فقصد مروان مصر ومعه عمرو بن سعيد الأشدق فقاتل عبد الرحمن ، فهزم عبد الرحمن وهرب .

ودخل مروان إلى مصر ، فتملّكها ، وجعل عليها ولده عبد العزيز ، وذلك فى سنة خمس وستين ، فلم يزل أميرا بها عشرين سنة . وكان أبوه جعلَ إليه عهد الخلافة بعد عبد الملك ، فكتب إليه عبدُ الملك يستنزله عن العهد الذى له من بعده لولده الوليد فأبى عليه . ثم إنه مات من عامه . قال ابن عبد الحكم : وقع الطّاعون بالفُسطاط ، فخرج عبد العزيز إلى حُلوان ، وكان ابنُ حُديج يرسل إليه فى كلّ يوم بخبر مايحدث فى البلد من موت وغيره ، فأرسل إليه ذات يوم رسولاً فأتاه ، فقال له عبد العزيز : ما اسمك ؟ قال : أبو طالب ، فثقُل ذلك على عبد العزيز وغاظه ، فقال : أسألك عن اسمك فتقول : أبو طالب ! ما اسمك ؟ قال : مدرك، فتفاءل عبد العزيز بذلك فمرض ، فدخل نصيب الشاعر فأنشأ يقول:

ونزورُ سيدَنا وسيدَ غيرنا ليتَ التَّشكِّى كان بالعُوَّادِ

لو كان يقْبَل فدْيةً لفديتهُ بالمصطَفَى من طارِفى وتلادِى

فأمر له بألف دينار ، ثم مات عبد العزيز بحُلوان ، فحمل فى البحر إلى الفسطاط ، ودفن بمقبرتها [١] .

وكانت وفاته ليلة الاثنين ثانى عشر جمادى الأولَى سنة ست وثمانين . وكتب على قصره بحُلوان :

أين ربُّ القصر الذى شيّد القَصْـــرَ ، وأين العبيدُ والأجنادُ !

أين تلك الجموع والأمر والنَّهْـــىُ وأعوانهم ، وأين السواد !

وقال عمر بن أبى الجدير العجلانىّ يرثى عبد العزيز بن مروان وابنَه أبا زَبّان :

أبعدَك ياعبد العزيز لحجة وبعد أبى زَبّان يُسْتَعْتَبُ الدَّهْرُ

فلا صلحَتْ مصرٌ لحىّ سوا كُمَا ولا سقيتْ بالنِّيل بَعْدَ كُمَا مِصْرُ

فأمّر بعده عبد الملك ، فأقام شهراً إلاّ ليلة ، ثم صُرف وولّىَ بعده ابنه عبد الله بن أمير المؤمنين عبد الملك . قال الليث بن سعد : وكان حدَثاً ، وكان أهل مصر يسمونه نَكيس ، وهو أول من نقَل الدواوين إلى العربية ؛ وإنما كانت بالعجميّة ، وهو أوّل من نهى الناس عن لُباس البرانس ، فأقام إلى التسعين ، فعزله أخوه الوليد .

وولّى قرّة بن شريك العبسىّ ، فقدمها يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأوّل ، وفى ذلك يقول الشاعر :

عَجَباً ماعجِبْتُ حِينَ أتانَا أنْ قَدَ أمّرتُ قُرّة بن شَريكْ [٢]

وعزلْتَ الفتى المبارك عَنّا ثم فيّلت فيـــه رأى أبيكْ

وكان قُرّة ظلوما عَسُوفا ، قيل كان يدعو بالخمر والملاهى فى جامع مصر ؛ أخرج أبو

---

(١) فتوح مصر ٢٣٧ (٢) فتوح مصر ١٣١ .

نُعيم فى الحلية ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : الوليد بالشام ، والحجّاج بالع
بمصر ، وعثمان بن حيّان بالحجاز . امتلأت والله الأرض جورا !

وقال ابنُ عبد الحكم : أنبأنا سعيد بن عُفير ، أنّ عمال الوليد بن عبـد
إليه أنّ بيوت الأموال قد ضاقت من مال الخُمس ؛ فكتب إليهم : أن ابن
فأوّل مسجد بنى بفسطاط مصر المسجد الذى فى أصل حصن الروم عند
قُبالة الموضع الذى يُعرف بالقالوس يعرف بمسجد العيلة [1] ، فأقام قرّة والياً
مات سنة ست وتسعين [2] .

فولِىَ بعده عبد الملك بن رفاعة القينىّ ، فأقام سنة تسع وتسعين .

ثم وَلِىَ أيوب بن شُرحبيلَ الأصبحىّ فأقام إلى سنة إحدى ومائة .

ثم ولِىَ بشر بن صفوان الكلبىّ فأقام إلى سنة ثلاث ومائة .

ثم ولِىَ أخوه حنظلة فأقام إلى سنة خمس ومائة .

ثمّ وِلِىَ محمّد بن عبد الملك أخو هشام بن عبد الملك الخليفة .

ثمّ ولِىَ الحرّ بن يوسف .

ثم ولِىَ حفص بن الوليد ، فأقام إلى آخر سنة ثمان ومائة .

وولِىَ بعده سنة تسع ومائة عبد الملك بن رفاعة ، وصُرِف فى السنة .

وولِىَ أخوه الوليد، فأقام إلى أن تُوُفِّىَ سنة تسع عشرة.

وولِىَ بعده عبدالرحمن بن خالد الفهمىّ ، فأقام سبعة أشهر ، وصرف
ابن صفوان فى سنة عشرين ، ثم صرف وأعيد حفص بن الوليد ، فأقام
ثم صُرِف .

---

(١) فتوح مصر : « القلعة » .

(٢) فتوح مصر ١٣٢ .

وولىَ بعده سنة سبع وعشرين حسان بن عتاهية التُّجيبىّ .

ثم أعيد حفص بن الوليد ، وعزل عنها سنة ثمان وعشرين .

وولى الحَوْثرة بن سُهيل الباهلىّ .

ثم ولى المغيرة بن عبيد الفزارىّ سنة إحــدى وثلاثين .

ثم ولىَ عبد الملك بن مروان مولى لَخمْ سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

* * *

ثمّ لمّا قامت الدولة العباسية ، وقام السفّاح، وانهزم مرْوان الحمار ،وهرب إلى الديار المصرية ، ولّى السّفاح نيابة الشام ومصر صالحَ بن عَلّى بن عبدالله بن عباس ، فسار صالح حتى قتِل مروان ببُوصير فى ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، ثم رجع إلى الشّام واستخلف على مصر أباعون عبــد الملك بن أبى يزيد الأزدىّ ، فأقام إلى سنــة ست وثلاثين .

ثم أعيد صالح بن علىّ ثم صُرف، وأعيد أبو عون سنة سبع وثلاثين، فأقام إلى سنة إحدى وأربعين .

ثم ولىَ بعده موسى بن كعب التميمىّ ، فأقام سبعة أشهر ومات .

وولىَ محمدّ بن الأشعث الُخزاعىّ ، ثم عزل سنة اثنتين وأربعين .

وولىَ نوفل بن الفرات ، ثم عُزل نوفل .

ووَلىَ حميد بن قحطبة الطائىّ ، ثم صرف سنة أربع وأربعين .

وولى يزيد بن حاتم المهلبىّ، فأقام إلى سنة اثنتين وخمسين فعزُل.

وولى محمدّ بن سعيد ، فأقام إلى أن استُخلِف المهدىّ ، فعزله فى سنة تسع وخمسين .

وولّى أبا ضمرة محمد بن سليمان ، كذا فى تاريخ ابن كثير ؛ وأما الجزّار فقال : إنه

ولىَ بعد يزيد بن حاتم عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حُدَيْج التُّجيبيُّ .

ثم ولىَ بعده أخوه [١] فأقام سنة وشهرين .

ثم ولىَ بعده موسى [٢] بن علىّ اللّخمى سنة خمس وخمسين ، فأقام إلى سنة إحدى وستين .

ثم ولى عيسى [بن لقمان] [٣] اللخميّ [٤] .

ثم وَلى واضحٌ مَولى المنصور سنة اثنتين وستين [٥] .

ثم صرف من عامه وولى منصور بن يزيد الحِميرىّ .

ثم ولى بعده يحيى بن داود أبو صالح الخُرَسىّ [٦] .

ثم وَلىَ سالم بن سوادة التميمىّ سنة أربع وستين .

ثم ولىَ إبراهيم بن صالح العباسىّ سنة خمس وستين .

ثم ولىَ موسى بن مصعب مولى خَثْعم .

ثم ولىَ الفضل بن صالح العباسىّ سنة تسع وستين .

ثم ولىَ علىّ بن سليمان العباسىّ من السنة .

ثم ولىَ موسى بن عيسى العباسى .

ثم عزل سنة اثنتين وسبعين . وولى مسلَمة بن يحيى الأزدىّ [٧] .

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن معاوية ، كما ذكره فى الولاة والقضاة ص ١١٨ .

(٢) موسى بن على بن رباح اللخمى ، كما فى الولاة والقضاة ١١٩ .

(٣) من الولاة والقضاة ، وموضعه بياض فى الأصل .

(٤) كذا فى الأصول ، وفى الولاة والقضاة : « الجحى » .

(٥) فى الولاة والقضاة : « جعل على شرطه موسى بن زريق مولى تميم ، ثم صرف فى شهر رمضان سنة اثنتين وستين ومائة » .

(٦) فى الأصول: «ممدود»، والصواب ماأثبته من الولاة والقضاة ١٢٢ والنجوم الزاهرة ١ : ٤٣٦. والحرسى : منسوب إلى خراسان .

(٧) فى الولاة والقضاة : « البجلى » .

ثم ولىَ محمد بن زهير الأزدىّ سنة ثلاث وسبعين

ثم ولىَ داود بن يزيد المهلبىّ سنة أربع وسبعين .

ثم أعيد موسى بن عيسى سنة خمس وسبعين ، ثم عزله الرشيد سنة ست وسبعين .

وولىَ عليها جعفر بن يحيى البرمكىّ ، فاستناب عليها عمر بن مِهْران ـ وكان شيعيًّا زرىّ الشكل أحول ـ وكان سبب ذلك أنّ الرشيد بلغه أنّ موسى بن عيسى عزم على خلعه ، فقال : والله لأوَلّينَّ عليها أخسّ الناس ، فاستدعى عمر بن مِهْران ، ولاّه عليها نيابةً عن جعفر ، فسار عمر إليها على بغل ، وغلامه أبو دُرَّة على بغل آخر ، فدخلها كذلك ، فانتهى إلى مجلس موسى بن عيسى ، فجلس فى أُخرَيات النّاس ، حتى انفضّوا فأقبل عليه موسى بن عيسى ، وهوَ لايعرف مَنْ هُوَ، فقال : ألك حاجة ياشيخ ؟ قال : نعم ، أصلح الله الأمير ! ثم مال بالكتب ، فدفعها إليه ، فلما قرأها قال : أنت عمر بن مِهْران ؟ قال : نعم، قال : لعن الله فرعون حين قال : ﴿ أَلَيْسَ لى ملك مصر ﴾ ، ثم سلّم إليه العمل وارتحل منها .

ثم فى سنة سبع وسبعين عزل الرشيد جعفرا عن مصر ، وولّى عليها إسحاق بن سليمان ، كذا فى تاريخ ابن كثير وغيره[1] . وذكر الأديب أبو الحسين الجزار فى أرجوزته فى أمراء مصر خلاف ذلك؛ فإنه قال : أعيد موسى بن عيسى سنة خمس وسبعين .

ثم أعيد إبراهيم بن صالح العباسىّ سنة ست وسبعين ، ثم ولىَ عبد الله بن المسيب الضبىّ .

ثم ولى إسحاق بن سليمان العباسى سنة سبع وسبعين . كذا قال والله أعلم[2] .

---

(١) البداية والنهاية ١٠ : ١٧٧ .

(٢) وهو قوله فيما يلى من أرجوزته التى سماها العقود الدرية فى الأمراء المصرية ، ضمّنها أمراء مصر من عمرو بن العاص إلى الملك الظاهر :

ثم عزل إسحاق سنة ثمان وسبعين وولى هَرْثمة بن أعين ، فأقام نحوا من شهر .

ثم عزل وولى عبد الملك بن صالح العباسىّ ، فأقام إلى سلخ سنة ثمان وسبعين .

وولى عبيدالله بن مهدىّ العباسىّ سنة تسع وسبعين .

ثم أعيد موسى بن عيسى سنة ثمانين .

ثم أعيد عبيدالله المهدىّ ، وصرف فى رمضان سنة إحدى وثمانين.

وولىَ إسماعيل بن صالح العباسىّ .

ثم ولىَ إسماعيل بن عيسى سنة اثنتين وثمانين ، ثم صرف وولى الليث بن الفضل البيروذىّ .

ثم ولىَ أحمد بن إسماعيل العباسىّ سنة سبع وثمانين[1] .

ثم وَلِىَ عبدالله بن محمد العباسىّ[2] .

ثم ولىَ الحسين بن جمل الأزدى سنة تسعين .

ثم ولىَ مالك بن دلهم الكلبىّ سنة اثنتين وتسعين .

ثم ولىَ الحسن بن التختاخ سنة ثلاث وتسعين.

ثم ولىَ حاتم بن هرثمة بن أعين .

ثم صرف فى سنة خمس وتسعين . وولى جابر بن الأشعث الطائىّ .

=

وجاء مُوسَى ثم عيسَى ثانيهْ	ونال فى إمرتها أمانيَهْ
كذلك إبراهيمُ أيضاً وَلِى	فيها كما قد قيل بعد العزْلِ
وحازَ عبد الله فيها الآفاقْ	وابن سليمان المسمَّى إسحاقْ

(١) فى الولاة والقضاة : « صرف عنها يوم الاثنين لثمان عشرة خلت من شعبان سنة تسع وثمانين ومائة ، وليها سنتين وشهراً ونصفا » .

(٢) فى الولاة والقضاة : « صرف عنها لإحدى عشرة بقيت من شعبان سنة تسعين ومائة » .

ثم ولىَ عباد بن نصر الكندى سنة ست وتسعين [1] .

ثم ولىَ المطلّب بن عبد الله الخزاعىّ سنة ثمان وتسعين .

ثم ولىَ العباس بن موسى فى السنة .

ثم أعيد المطلب سنة تسع وتسعين .

ثم ولىَ السرىّ بن الحكم سنة مائتين .

ثمّ ولىَ سليمان بن غالب سنة إحدى .

ثم أعيد السرىّ بن الحكم فى السّنة ، فمات فى سنة خمس ومائتين ، فولىَ بعده أبو نصر محمد بن السرىّ .

ثم تغلب عليها عُبيد الله بن السرىّ فى سنة ست ، فأقام إلى سنة عشر ، فوجّه إليه المأمون عبد الله بن طاهر فاستنقذها منه بعد حروب يطول ذكرها .

وقد ذكر الوزير أبو القاسم المغربىّ : أنّ البطيخ العبدلّاوىّ الذى بمصر منسوب إلى عبد الله بن طاهر هذا ، قال ابن خلكان : إمّا لأنه كان يستطيبهُ ، أو لأنه أوّل من زرعه بها .

ثمّ ولىَ بعده عيسى بن يزيد الجُلودىّ .

ثم فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين ثار رجلان بمصر ، وهما عبد السلام وابن حُليس ، فخلعا المأمون ، واستحوذا على الديار المصرية ، وتابعهما طائفة من القيسيّة واليمانيّة فولّى المأمون أخاه أبا إسحاق بن الرشيد نيابةَ مصر مضافة إلى الشام ، فقدمها سنة أربع عشرة ، وافتتحها ، وقتل عبد السلام وابن حُليس ، وأقام بمصر .

ثم ولىَ عليها عمير بن الوليد التميمىّ .

ثم صُرِف وأعيد عيسى بن يزيد الجُلودىّ .

ثم ولىَ عبدويه بن جبلة سنة خمس عشرة .

(١) فى الولاة والقضاة : « عباد بن محمد بن حيان الكندى » .

ثم ولىَ عيسى بن منصور مولى بنى نصر ، وفى أيامه قدم المأمون مصر فى سنة ست عشرة .

ثم ولىَ نصر بن كيدر السعيدىّ سنة تسع عشرة .

ثم ولىَ المظفّر بن كيدر .

ثم ولىَ موسى بن أبى العباس الحنفىّ .

ثم ولىَ مالك بن كيدر سنة أربع وعشرين ومائتين .

ثم أعيد عيسى بن منصور ثانية سنة تسع وعشرين .

ثم ولىَ هرثمة بن النّضر الجبلىّ سنة ثلاث وثلاثين .

ثم ولى ابنه حاتم فى السنة ، فأقام شهرا.

ثم ولىَ علىّ بن يحيى سنة أربع وثلاثين .

ثم ولىَ أخوهُ إسحاق بن يحيى الجبلىّ سنة خمس وثلاثين .

ثم ولىَ عبد الواحد بن يحيى ، مولى خُزاعة سنة ست وثلاثين .

ثم ولى عنبسة بن إسحاق الضبّى سنة ثمان وثلاثين ، ثم عزل ووَلىَ يزيد بن عبد الله من الموالى سنة اثنتين وأربعين .

ثمّ ولىَ مُزاحم بن خاقان سنة ثلاث وخمسين .

ثم ولىَ ابنهُ أحمد فى السنة .

ثم ولىَ أزجور التركىّ فى السنة ، ثم صُرف فيها أيضا.

***

وولىَ أحمد بن طولون التركىَ ، ثم أضيفت إليه نيابة الشّام والعواصم والثغور وإفريقيّة ، فأقام مدّة طويلة ، وفتح مدينة أنطاكية ، وبنى بمصر جامعه المشهور ، وكان أبوه طولون من الأتراك الذين أهداهم نوح بن أسد السامانىّ عامل بخارى إلى المأمون فى سنة مائتين — ويقال إلى الرشيد فى سنة تسعين ومائة — وولد ابنه أحمد فى سنة أربع عشرة — وقيل سنة عشرين ومائتين — ومات طولون سنة ثلاثين ، وقيل سنة أربعين .

وحكى ابن عساكر عن بعض مشايخ مصر أنّ طولون لم يكن أبا أحمد ؛ وإنما تبنّاه وأمّه جارية ، تركيّة اسمها هاشم ، وكان الأتراك طلبوا منه أن يقتل المستعين ، ويُعطوه واسطًا فأبى وقال : والله لا تجرأت على قتل أولاد الخلفاء ، فلما ولى مصر ، قال : لقد وعدنى الأتراك إن قتلت المستعين أن يولونى واسطًا ، فخفت الله ولم أفعلْ ، فعوّضنى ولاية مصر والشام وسعة الأحوال .

قال محمد بن عبد الملك الهمدانىّ فى كتاب عنوان السير : قال بعض أهلُ مصر : جلسنا فى دكان، ومعنا أعمى يدّعى علْم الملاحم- وذلك قبل دخول أحمد بن طولون بساعة - فسألناه عمّا يجده فى الكتب لأجله ، فقال : هذا رجل من صفته كذا وكذا ، يتقلّدُ هو وولده قريبا من أربعين سنة ؛ فما تمّ كلامه حتى اجتاز أحمد ، فكانت صفتهُ وولايته وولاية ولده كما قال .

وقال بعض أصحابه : ألزمَنى ابن طولون صدقاته ، وكانت كثيرة ، فقلت له يوما : ربما امتدّت إلىّ اليد المطوّقة بالجوهر ، والمِعْصم ذو السّوار ، والكمّ الناعم ، أفأمنع هذه الطبقة ! فقال : هؤلاء المستورون الّذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، احذر أنْ ترّد يداً امتدّت إليك ، وأعطِ من استعطاك ، فعلى الله تعالى أجرُه ؛ وكان يتصدق فى كل أسبوع بثلاثة آلاف دينار سادة سوى الراتب ، ويُجرى على أهل المساجد فى كلّ شهر ألف دينار ، وحمل إلى بغداد فى مدة أيامه ، وما فرّق على العلماء والصالحين ألفى ألف دينار ومائتى ألف دينار ، وكان خراجُ مصر فى أيامه أربعة آلاف دينار وثلثمائة ألف دينار ، وكان لابن طولون مابين رَحْبة مالك بن طوق إلى أقصى المغرب .

واستّمر ابن طولون أميرا بمصر إلى أن مات بها ليلة الأحد لعشر خلوْن من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين ، وخلّف سبعة عشر ابناً . قال بعض الصوفيـة : ورأيتهُ فى المنام بعد وفاته بحال حسنة ، فقال : ماينبغى لمن سكَن الدّنيا أن يحقر حسنة فيدعَها ولا

سيئة فيأتيها ، عدل بى عن النار إلى الجنة بتثّبتى على متظلم عيّ اللسان شـديد التهيّب ، فسمعت منه وصبرت عليه حتى قامت حُجّته ، وتقدّمْتُ بإنصافه ، وما فى الآخرة أشـدّ على رؤساء الدنيا من الحجاب لملتمس الإنصاف .

وولىَ بعده ابنُه أبو الجيش خمارَوْيه ، وأقام أيضا مدة طويلة ، ثم فى ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين قدِم البريد فأخبر المعتضد بالله أنّ خمارَوَيْه ذبحه بعض خدمه على فراشه وولّوْا بعده ولده جيش فأقام تسعة أشهر ، ثم قتلوه ونهبوا داره ، وولّوْا هارون بن خمارويه ، وقد التزم فى كلّ سنة بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار ، تحمَل إلى باب الخليفة ، فأقرّه المعتضد على ذلك ، فلم يزل إلى صفر سنة اثنتين وتسعين ، فدخل عليه عمّاه شيبان وعدىّ ابنا أحمد بن طولون ، وهو ثمِل فى مجلسه ، فقتلاه ، ووَلىَ عمّه أبو المغانم شيبان ، فورد بعد اثنى عشر يوما من ولايته من قبَل المكتفى ولاية محمد بن سليمان الواثقىّ ، فسلّم إليه شيبان الأمر ، واستصفى أموال آل طولون ، وانقضت دولة الطولونية عن الديار المصرية .

* * *

وأقام محمد بن سليمان بمصر أربعة أشهر ، وولىَ عليها بعده عيسى بن محمد الوشرىّ فأقام واليا عليها خمس سنين وشهرين ونصفا ، ومات سنة سبع وتسعين ، ومائتين ، فولّى المقتدرُ أبا منصور تَـكِين الخاصّة ثم صرِف فى سنة ثلاث وثلثمائة ، وولىَ ذكاء أبو الحسن ، ثم صُرِف وأعيد تَـكِين ثم صُرِف سنة تسع .

وولى هلال بن بدر ثم صُرِف فى سنة إحدى عشرة .

وولى أحمد بن كَيْغَلَغ ثم صرف من عامه ، وأعيد تَـكِين الخاصّة ، فأقام إلى أن مات سنة إحـدى وعشرين وثلثمائة ، وورد الخبر بموته إلى بغداد ، وأن ابنه محمـدا ، قد قام بالأمر من بعده ، فسيّر إليه القاهر الخلع بتنفيذ الولاية واستقرارها ، ثم صرف .

وولى أبو بكر محمد بن طُغْج الملقبّ بالأخشيد ، ثم صرف من عامه ،وأعيد أحمد بن كَيْغَلَغ ، ثم صرف سنة ثلاث وعشرين .

وأعيد محمد بن طُغْج الإخشيدىّ ، وفى هذا الوقت كان تغلّب أصحاب الأطراف عليها لضعف أمر الخلافة وبطل معنى الوزارة، وصارت الدواوين تحت حكم أمير الأمراء محمد بن رائق ، وصارت الدّنيا فى أيدى عمّالها ؛ فكانت مصر والشام فى يد الإخشيد والموصل وديار بكْر وديار ربيعة، ومُضر فى أيدى بنى حَمْدان ، وفارس فى يد علىّ بن بُويه ، وخراسان فى يد نصر بن أحمد ، وواسط والبصرة والأهواز فى يد اليزيدىّ ، وكرمان فى يد محمد بن اليأس ، والرّىّ وأصفهان والجبَل فى يد الحسن بن بويه، والمغرب وإفريقيّة فى يد أبى عمرو الغسّانىّ ، وطَبَرستان وجُرجان فى يد الدّيلم، والبحرين واليمامة وهَجَر فى يد أبى طاهر القرمطىّ ؛ فأقام محمد بنُ طغْج فى مصر إلى أن مات فى ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة .

وقام ابنه أبو القاسم أنُوجور — قال الذهبىّ فى العبر : ومعناه بالعربية محمود مقامه — وكان صغيرا ، فأقيم كافور الإخشيد الخادم الأسود أتابكا ، فكان يُدبر المملكة فاستمرّ إلى سنة تسع وأربعين .

فمات أنوجور ، وقام بعده أخوه علىّ ، فاستمرّ إلى أن مات سنة خمس وخمسين ؛ فاستقرّت المملكة باسم كافور ، يُدعَى له على المنابر بالبلاد المصرية والشاميّة والحجاز ، فأقام سنتين وأربعة أشهر ، ومات بمصر فى جمادى الأولى سنة سبع وخمسين . قال الذهبىّ : كان كافور خَصيًّا حبشيًّا ، اشتراه الإخشيد من بعض أهل مصر بثمانية عشر دينار ثم تقدّم عنده لعقله ورأيه إلى أن صار من كبار القوّاد ، ثم لمّا مات أستاذهُ كان أتابك [1] ولده أنوجور ، وكان صبيًّا فغلب كافور على الأمور ،

(١) الأتابك : من ألقاب الوظائف التى استعملت فى مصر ، وأهل الأتابكية من بقايا عادات التركمان القديمة أحياها السلاجقة ؛ ومن معانيها الوصاية على الأمراء ، وانظر الألقاب الإسلامية ص١٢٢ .

وصار الاسم للولد ، والدَّسْت لكافور ، ثم استقلّ بالأمر ، ولم يبلغ أحد من الخصيان ما بلغ كافور ومؤنس المظفَّرىّ الذى وَلِىَ سلطنة العراق ، ومدحه المتنبِّى بقوله :

قَواصِدَ كافورٍ توارِكَ غيرِه ومَنْ قَصَد البحر استقلَّ السواقيا[1]

فجاءت بنا إنسانَ عينِ زمانِه وخلّت بياضاً خَلْفَها ومآقيا

وهجاه بقوله :

مَنْ علّم الأسود المخصىّ مكرُمةً أَقَوْمُه البيضُ أم آباؤه الصِّيدُ[2]

وذاك أنّ الفحولَ البيضَ عاجزةٌ عن الجميلِ، فكيفَ الخِصْيةُ السُّودُ

وقال محمد بن عبد الملك الهمدانىّ : كان بمصر واعظٌ يقصّ على الناس ، فقال يوما فى قصصه : انظروا إلى هَوان الدنيا على الله تعالى، فإنه أعطاها لمقصوصَيْن ضعيفين: ابن بويه ببغداد وهو أشَلّ ، وكافور عندنا بمصر وهو خَصِىّ ، فرفعوا إليه قوله وظنوا أنه يعاقبه ، فتقدّم له بخلعة ومائة دينار ، وقال : لم يقل هذا إلا لجفائى له ، فكان الواعظ يقول بعد ذلك فى قصصه : ما أنجب من ولد حام إلاّ ثلاثة : لقمان ، وبلال المؤذّن ، وكافور .

وقال أبو جعفر مسلم بن عبد الله بن طاهر العلوىّ : كنت أساير كافور يوما ، وهو فى موكب خفيف، فسقطت مقرعته من يده ، فبادرت النزول، وأخذتها من الأرض ودفعتها إليه ، فقال : أيها الشريف ، أعوذ بالله من بلوغ الغاية ، ماظننتُ أنّ الزمان يبلغنى حتى يفعل بى هذا — وكاد يبكى — أنا صنيعة الأستاذ، ووليّه، ولمّا بلغ بابَ داره ودّعته وسرت، فإذا أنا بالبغال والجنائب بمراكبها ، وقال أصحابه : أمر الأستاذ بحمل هذا إليك، وكان ثمنها يزيد على خمسة عشر ألف دينار .

ولما مات كافور ولّى المصريون مكانه أبا الفوارس أحمد بن علىّ بن الإخشيد وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، فأقام شهورا حتى أتى جوهر القائد من المغرب فانتزعها منه .

---

(١) ديوانه ٤ : ٢٨٧ . (٢) ديوانه ٢ : ٤٦ .

ذكر أمراء مصر من بنى عبيد

لما تُوُفِّىَ كافور الإخشيدىّ لم يبق بمصر مَنْ تجتمع القلوب عليه ، وأصابهم غلاء شديد أضعفهم ؛ فلمّا بلغ ذلك المعزّ أبا تميم معدّ بن المنصور إسماعيل ، وهو ببلاد إفريقيّة بعث مولى أبيه جوهر ؛ وهو القائد الرومىّ ، فى مائة ألف مقاتل ، فدخلوا مصر فى يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، فهرب أصحاب كافور، وأخذ جوهر مصرَ بلا ضربةٍ ولا طعنةٍ ولا ممانعةٍ ، فخطب جوهر للمعزّ يوم الجمعة على منابر الديار المصرية وسائر أعمالها،وأمر المؤذنين بجامع عمرو وبجامع ابن طولون أن يؤذّنوا بحىّ على خير العمل ؛ فشقّ ذلك على الناس ، وما استطاعوا له ردًّا ، وصبروا لحكم الله ، وشرع فى بناء القاهرة والقصرين والجامع الأزهر ، وأرسل بشيراً إلى المعزّ يبشّره بفتح الديار المصرية وإقامة الدعوة له بها ، وطلبه إليها . ففرح المعزّ بذلك ، وامتدحه شاعره محمد بن هانىء الأندلسى بقصيدة أوّلُها :

يَقول بنُو العبّاسِ:هل فتحت مصرُ؟ فقـلْ لبنِي العبّاسِ : قَدْ قُضِىَ الأمـرُ

وابن هانئ هذا قد كفّره غير واحد من العلماء ، منهم القاضى عياض فى الشفاء لمبالغاته فى مدائحه ، من ذلك قوله فى المعزّ [١] :

ماشئتَ لاما شاءتِ الأقـدارُ فاحكُم فأنْتَ الواحدُ القهّارُ [٢]

وقوله :

---

(١) ديوانه ٥٥ .

(٢) ديوانه ٦٢ .

... لطالما * زاحمتَ تحت رِكابه جبريلا [1] .

ثم توجّه المعزّ من المغرب فى شوّال سنة إحدى وستين ، فوصل الإسكندرية فى شعبان سنة اثنتين وستين ، وتلقّاه أعيان مصر إليها، فخطب هناك خطبةً بليغة ،وجلس قاضى مصر أبو الطّاهر الذُّهلى إلى جنبه ، فسأله : هل رأيتَ خليفةً أفضل منى ؟ فقال: لم أر أحداً من الخلائف سوى أمير المؤمنين ؛ فقال له : أحججت ؟ قال : نعم ، قال : وزرتَ قبرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قال : وقبرَ أبى بكر وعمر ؟ قال: فتحيرتُ ماذا أقول ! ثم نظرت فإذا ابنهُ قائم مع كبار الأمراء ، فقلت : شغلنى عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كما شغلنى أمير المؤمنين عن السلام على ولىّ العهد ، ونهضت إليه فسلّمتُ عليه،ورجعت فانفسح المجلس إلى غيره ، ثم صار من الإسكندرية إلى مصر ، فدخلها فى خامس رمضان ، فنزل بالقصرين ، فكان أوّل حكومة انتهت إليه أنّ امرأةَ كافور الإخشيدىّ تقدّمتْ إليه ، فذكرتْ له أنّها كانت أودعت رجلاً من اليهود الصوّاغ قَباء من لؤلؤ منسوج بالذهب،وأنّه جحد ذلك ،فاستحضره وقرّره ، فأنكر اليهودىّ، فأمر أن تفتّش دارُه، فوجد القَباء قد جعله فى جَرّة ، ودفنها فيها . فدفعه المعزّ إليها ، فقدّمته إليه ، وعرضته عليه ، فأبى أن يقبله منها ، وردّه عليها . فاستحسن ذلك منه الحاضرون من مؤمنٍ وكافرٍ ، وسار إليه الحسن بن أحمد القرمطىُّ فى جيش كثيف ، وأنشد يقول :

زعمتْ رجالُ الغرب أنّى هبتُهمْ ... فَدَمِى إذنْ مابينهمْ مَطلُولُ

يامصرُ إن لم أسقِ أرضَكِ من دمٍ ... يروِى ثراكِ فلا سقَانى النّيلُ

والتقت معه أمير العرب ببلاد الشام ، وهو حسّان بن الجرّاح الطائىّ فى عرب

---

(١) ديوانه ١٠١ ، والبيت بتمامه هناك :

أمُدِيرُها من حيث دار لشدَّما ... زاحمتَ تحتَ ركابِهاَ جبريلاَ

الشام ، ليتزعوا مصر منه ، وضعف جيش المعزّ عن مقاومتهم . فراسل حسّان ، ووعده بمائة ألف دينار ، إن هو خذّل بين الناس ، فأرسل إليه : أن ابعث إلىّ بما التزمت ، وتعال بمن معك ، فإذا التقينا انهزمت بمن معى . فأرسل إليه المعزّ مائة ألف دينار فى أكياس أكثرها زغل ضرب النحاس ، وألبسه الذهب ، وجعله فى أسفل الأكياس ووضع فى رءوس الأكياس الدّنانير الخالصة ، وركب فى أثرها بجيشه ، فالتقى النّاس، فلمّا نشبت الحرب بينهم ، انهزم حسّان بالعرب ، فضعف جانب القرمطىّ ، وقوِىَ عليه المعزّ فكسره ، واستمرّ المعز بالقاهرة إلى أن مات فى ربيع الآخر سنة خمس وستين . وكان مُنجّمة قال له فى السنة التى قبلها: إنّ عليك قطعا فى هذه السنة فتَوَارَ عنْ وجه الأرض حتى تنقضىَ هذه المدة ، فعمل له سرداباً ، ودعا الأمراء وأوصاهم بولده نزار ، ولقّبه العزيز ، وفوّض إليه الأمر حتى يعود ، فبايعوه على ذلك ، ودخل ذلك السرداب،فتوارَى فيه سنة ، فكانت المغاربة إذا رأى الفارسُ منهم سحابا ساريًا ترجّل عن فرسه، وأومى إليه بالسلام ، ظانّين أن المعزّ فى ذلك الغمام . ثمّ برز إلى النّاس بعد مضىّ سنة ، وجلس للحكم على عادته ، فعاجله الله فى هذه السنة . وولى بعده ابنُه العزيز أبو منصور نزار ، فأقام إلى أن مات سنة ست وثمانين .

ومن غرائبه أنّه استوزر رجلا نصرانيًّا يقال له عيسى بن نسطورس ، وآخر يهوديًّا اسمه ميشا ، فعزّ بسببهما اليهود والنصارى على المسلمين فى ذلك الزمان ، حتى كتبتْ إليه امرأة فى قصّة فى حاجة لها تقول:بالذى أعزّ النصارى بعيسى بن نسطورس ، واليهود بميشا،وأذلّ المسلمين بك ؛ لما كشفت عن ظلامتى ! فعند ذلك أمر بالقبض على هذين ، وأخذ من النّصرانىّ ثلثمائة ألف دينار ، وولّى بعده ابنه الحاكم، فكان شرّ الخليفة ، لم يلِ مصرَ بعد فرعون شرٌّ منه ؛ رام أن يدّعِىَ الإلهيّة كما ادّعاها فرعون ، فأمر الرعيّة إذا ذكره الخطيب على المنبر أن يقوموا على أقدامهم صفوفا إعظاما لذكره ، واحتراما

لاسمه ؛ فكان يفعل ذلك فى سائر ممالكه حتى فى الحرمين الشريفين. وكان أهل مصر على الخصوص إذا قاموا خرّوا سُجّداً ؛ حتى أنه يسجد بسجودهم فى الأسواق الرّعاع وغيرهم . وكان جبّاراً عنيدا ، وشيطانا مريداً ، كثير التلوّن فى أقواله وأفعاله ، هدم كنائس مصر ثم أعادها ، وخرّب قمامة ثم أعادها ، ولم يعهد فى ملّة الإسلام بناء كنيسة فى بلد الإسلام قبله ولا بعده إلا ماسنذكره .

وقد نقل السُّبكىّ الإجماع على أنّ الكنيسة إذا هُدمت ولو بغير وجه لا تجوز إعادتها .

ومن قبائح الحاكم أنه ابتنى المدارس ، وجعل فيها الفقهاء والمشايخ ، ثم قتلهم وخرّبها ، وألزم الناس بإغلاق الأسواق نهاراً وفتحها ليلا ؛ فامتثلوا ذلك دهرا طويلا حتى اجتاز مرّة بشيخ يعمل التجارة فى أثناء النهار ، فوقف عليه ، وقال : ألم ننهكم عن هذا ! فقال : ياسيّدى ، أما كان الناس يسهرون لما كانوا يتعيشون بالنّهار ! فهذا من جملة السهر . فتبسّم وتركه ، وأعاد النّاسَ إلى أمرهم الأوّل . وكان يعمل الحسبة بنفسه يدور فى الأسواق على حمار له ، وكان لا يركب إلا حماراً ، فمن وجده قد غشّ فى معيشته أمر عبداً أسود معه يقال له مسعود أن يفعل به الفاحشة العظمى ، وكان منع النساء من الخروج من منازلهنّ ، وأن يطلعنَ من الطاقات أو الأسطحة ، ومنع الخفّافين من عمل الأخفاف لهنّ ، ومنعهنّ من دخول الحمامات ، وقتل خلقاً من النساء على مخالفته فى ذلك ، وهدم بعض الحمامات عليهنّ ، ومنع من طبخ الملوخيا . وله رعونات كثيرة لا تنضبط ، فأبغضه الخلق ، وكتبوا له الأوراق بالشتم له ولأسلافه فى صورة قصص ، حتى عملوا صورة امرأة من ورق بخفّها وإزارها ، وفى يدها قصة فيها من الشتم شىء كثير ، فلما رآها ظنّها امرأة ، فذهب من ناحيتها وأخذ القصّة من يدها ، فلمّا رأى مافيها غضب ، وأمر بقتلها ؛ فلما تحققها من ورق ، ازداد غضباً إلى غضبه ، وأمر العبيد من السُّود أن

يحرقوا مصر وينهبوا ما فيها من الأموال والحريم ، ففعلوا ، وقاتلهم أهلُ مصر قتالاً عظيما ثلاثة أيام ، والنار تعمل فى الدّور والحريم . واجتمع النّاس فى الجوامع ، ورفعوا المصاحف ، وجأروا إلى الله واستغاثوا به ، وما انجلى الحال حتى احترق مِنْ مصر نحوُ ثلثها ، ونهب نحو نصفها ، وسبى حريم كثير وفعل بهنّ الفواحش . واشترى الرّجال من سُبِيَ لهم من النساء والحريم من أيدى العبيد .

قال ابن الجوزىّ : ثم زاد ظلم الحاكم ، وعنّ له أن يدّعىَ الربوبية ، فصار قوم من الجهال إذا رأوه يقولون : ياواحد ، ياأحد ، يامحيي يامميت !

قلت : كان فى عصرنا أمير يقال له أزدمر الطويل ، اعتقاده قريب من اعتقاد الحاكم هذا ، وكان يروم أن يتولّى المملكة ، فلو قدّر الله له بذلك فعل نحو ما فعله الحاكم وقد أطلعنى على ما فى ضميره ، وطلب منّى أنْ أكون معه على هـذا الاعتقاد فى الباطن إلى أن يؤول إلى السلطنة ، فيقوم فى الخلق بالسيف حتى يوافقوه على الاعتقاده . فضقت بذلك ذرعاً ، وما زلت أتضرّع إلى الله تعالى فى هلاكه ، وألاّ يوليه على المسلمين ، واستغاث بالنبىّ صلى الله عليه وسلم ، وأسأل فيه أرباب الأحوال حتّى قتله الله فلله الحمد على ذلك !

ثم كان من أمر الحاكم أن تعدّى شرُّه إلى أخته يتّهمها بالفاحشة ، ويسمعها أغلظ الكلام ، فعملت على قتله ، فركب ليلةً إلى جبل المقطّ ينظر فى النجوم ، فأتاه عبدان فقتلاه ، وحملاه إلى أخته ليلاً فدفنته فى دارها ، وذلك سنة إحدى عشرة وأربعمائة .

وولى بعده ابنه أبو الحسن علىّ ، ولقب الظاهر لإعزاز دين الله وأقام إلى أنْ تُوُفِّىَ فى سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وكانت سيرته جيّدة .

وولى بعده ابنه أبو تميم معدّ ، ولقب المستنصر وعمره سبع سنين ، فطالت مدته جدا

فإنه أقام ستين سنة ، ولم يقم هذه المدّة خليفة ولا ملك فى الإسلام قبله ولا بعده ، وكانت وفاته سنة سبع وثمانين وأربعمائة .

ووَلِىَ بعده ابنه أبو القاسم أحمد ، ولقِّبَ المستعلى ، فأقام إلى أن تُوُفِّىَ فى ذى الحجّة سنة خمس وتسعين وأربعمائة .

وَولِىَ بعده ابنه أبو علىّ منصور ، ولقب الآمر بأحكام الله . قال ابن ميسر فى تاريخه : ولمّا تُوُفِّىَ المستعلى أحضر الأفضل أبا علىّ ، وبايعه بالخلافة ، ونصّبه مكان أبيه ، ولقَّبه بالآمر بأحكام الله ، وكان له من العمر خمس سنين وشهر وأيام ، فكتب ابن الصَّيرفىّ (١) الكاتب السجلّ بانتقال المستعلى وولاية الأمر ، وقرئ على رءوس كافة الأجناد والأمراء ، وأوله :

من عبد الله ووليّه أبى علىّ الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين بن الإمام المستعلى بالله ، إلى كافة أولياء الدولة وأمرائها وقوّادها وأجنادها ورعاياها ، شريفهم ومشروفهم ، وآمرهم ومأمورهم ، مغربيِّهم ومشرقيِّهم ، أحمرهم وأسودهم ، كبيرهم وصغيرهم ؛ بارك الله فيهم . سلام عليكم فإنّ أمير المؤمنين يحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلِّىَ على جدّه محمد خاتم النبيين ، صلّى الله عليه وعلى آله الطيّبين الطاهرين الأئمة المهديين ، وسلم تسليما . أما بعد ، فالحمد لله المنفرد بالثبات والدوام الباقى على تصرّم الليالى والأيام ، القاضى على أعمار خلقه بالتقضِّى والانصرام ، الجاعل نقضَ الأمور معقوداً بكمال الإتمام ، جاعل الموت حُكْماً يستوى فيه جميع الأنام ، ومنهلاً لا يعتصم مَنْ ورده كرامة نبىّ ولا إمام ، والقائل معزِّيا لنبيّه ولكافة أمته : ﴿ كلّ مَنْ عَلَيْهَا فانٍ وَيَبْقَى وجهُ ربِّكَ ذُو الجلال والإكرام ﴾ ، الذى استرعى الأئمة هذه الأمّة ، ولم تخلُ الأرض من أنوارهم لطفاً بعباده ونعمة ، وجعلهم مصابيح الشُّبَه إذا غدت داجيةً مدلهمّة ، لتضىء للمؤمنين

(١) هو على بن منجب بن سليمان ، المعروف بابن الصيرفى المنشئ المؤرخ ، وولى ديوان الإنشاء فى أيام الآمر ؛ توفى سنة ٥٤٢ . ابن خلكان ١ : ٣٦٧ .

سُبُلَ الهداية ، ولا يكون أمرهم عليهم غمّة يَحمدُه أمير المؤمنين حمد شاكر على مانقله فيه من دَرَج الإنافة ، ونقله إليه من ميراث الخلافة ، صابر على الرّزيّة التى أطار هجومها الباب ، والفجيعة التى أطال طروقها الأسف والاكتئاب ، ويسأله أن يُصَلِّيَ على جده محمد خاتم أنبيائه وسيّد رسله وأمنائه ، ومجلى غياهبَ الكفر ومكشف عمائه ، الذى قام بما استودعه الله من أمانته ، وحمّله من أعباء رسالته ، ولم يزل هادياً إلى الإيمان ، داعياً إلى الرحمن ؛ حتى أذعنَ المعاندون وأقرّ الجاحدون ، وجاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون؛ فحينئذ أنزل الله عليه إنما لحكمته التى لا يعترضها المعترضون : ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميّتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ صلّى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه أبينا أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب ، الذى أكرمه الله بالمنزلة العليّة ، وانتخبه للإمامة رأفة بالبرية ، وخصّه بغوامض علم التنزيل ، وجعل له مبرّة التعظيم ومزية التفضيل ، وقطع بسيفه دابر من زلّ عن القصد ، وضلّ عن سواء السبيل ، وعلى الأئمة من ذريتهما العترة الهادية من سلالتهما آبائنا الأبرار المصطفَيْن الأخيار ، ماتصرّفت الأقدار ، وتوالى الليل والنهار .

وإن الإمام المستعليَ بالله أمير المؤمنين قدّس الله روحه ، كان ممّن أكرمه الله بالاصطفاء ، وخصّه بشرف الاجتباء ، ومكّن له فى بلاده ، فامتدت أفياء عدله ، واستخلفه فى أرضه ، كما استخلَفَ أباه من قبله ، وأيّده بما استرعاه إيّاه بهدايته وإرشاده ، وأمدّه بما استحفظه عليه بموادّ توفيقه وإسعاده ، ذلك هدَى الله يهدى به من يشاء من عباده . فلم يزل لأعلام الدين رافعاً ، ولشبه المضلّين دافعا ، ولراية العدل ناشرا ، وبالندى غامرا وللعدوّ قاهرا . إلى أن استوفى المدة المحسوبة ، وبلغ الغاية الموهوبة ؛ فلو كانت الفضائل تزيد فى الأعمار ، أو تحمى من ضروب الأقدار ، أو تؤخّر ماسبق تقديمه فى علم الواحد القهار ، لَحَمَى نفسه النفيسة كريم مجدِها وشريف سَمْتِها ، وكفاها خطير منصبها ، وعظيم

هيبتها ، ووقتها أفعالها التى تستقى من منبع الرسالة ، وصانتها خلالها التى ترتقى إلى مطلع الجلالة ؛ لكنّ الأعمارَ محرّرة مقسومة ، والآجالَ مقدّرةٌ معلومة ، والله تعالى يقول ، وبقوله يهتدى المهتدون : ﴿ ولكلِّ أمّة أجلٌ فإذا جاء أجلُهُمْ لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدِمُون ﴾ فأميرُ المؤمنين يحتسب عند الله هذه الرزيّة التى عظم أمرها وفدَح ، وجُرح خطبها وقدَح ، وغدت لها القلوب واجفة ، والآمال كاسفة ، ومضاجع السكون منقضّة ، ومدامع العيون مرفضّة ، فإن لله وإنا إليه راجعون ! صبراً على بلائه ، وتسليماً لأمره وقضائه ، واقتداء بمن أثنى عليه فى الكتاب ﴿ إنّا وَجَدْناهُ صابراً نِعْمَ العَبْدُ إنّه أوّابٌ ﴾ .

وقد كان الإمام المستعلي بالله قدّس الله روحه عند نقلته ، جعل لى عقد الخلافة من بعده ، وأودعنى ما حازه من أبيه عن جده ، وعهد إلىّ أن أخلفه فى العالم ، وأجرى الكافة فى العدل والإحسان على منهجه المتعالم ، وأطلعنى من العلوم على السرّ المكنون ، أفضى إلىّ من الحكمة بالغامض المصون ، وأوصانى بالعطف على البريّة ، والعمل فيهم بسيرتهم المرضيّة ، على على بما جبلنى الله عليه من الفضل ، وخصّنى به من إيثار العدل ، وإننى فيما استرعيته سالكٌ منهاجَه ، عاملٌ بموجب الشرف الذى عصبَ الله لىّ تاجَه ، وكان ممن ألقاه إلىّ ، وأوجبه علىّ ، أنّ أعلى محلّ السيد الأجلّ الأفضل ، من قلبه الكريم ، وما يجب له من التبجيل والتكريم . وإن الإمام المستنصر بالله كان عندما عهد إليه ، ونصّ بالخلافة عليه ، أوصاه أنْ يتّخذ هذا السيد الأجلّ خليفة وخليلا ، ويجعله للإمامة زعيما وكفيلا ، ويغدق به أمر النظر والتقرير ، ويفوّض إليه تدبير ما وراء السرير ، وإنه عمل بهذه الوصيّة ، وحذى على تلك الأمثلة النبويّة ، وأسند إليه أحوال العساكر والرعيّة ، وناط أمر الكافّة بعزمته الماضية ، وهمته العليّة ؛ فكان قلمه بالسّداد يرجف ولا يخفّ ، وسيفُه من دماء ذوى العنادَ يكف ولا يكفّ ، ورأيه فى

حسم مواد الفسادَ برجح لايخفَ ، فأوصانى أن أجمله لى كما كان له صفيًّا وظهيرا ، وأن لا أستر عنه فى الأمور صغيرا ولا كبيرا ، وأن أقتَدىَ به فى ردّ الأحوال إلى تكلّفه ، وإسناد الأسباب إلى تدبيره والناهض بيساهظ الخطب ومنتقله ، إلى غير ذلك مما استودعنى إياه ، وألقاه إلىّ من النّص الذى يتضوّع نشرُه وريّاه ، نعمةً من الله قضتْ لى بالسّعدِ العميم ، ومنّة شهدت بالفضل المتين والحظ الجسيم ، والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم . فتعزّوْا معاشر الأولياء والأمراء والقوّاد والأجناد والرعايا والخدام ، حاضركم وغائبكم ، ودانيكم وقاصيكم ، عن الإمام المنقول إلى جنات الخلود ، واستبشروا بإمامكم هذا الإمام الحاضر الموجود ؛ وابتهجوا بكريم نظره المطلع لكم كواكب السعود . ولكم من أمير المؤمنين ألاّ يغمض جفناً عن مصابكم ، وأن يتوخّى ماعاد بميامنكم ومناجحكم ، وأن يحسن السِّيرة فيكم ، ويرفع أذى مَنْ يعاديكم، ويتفقّد مصلحة حاضركم وباديكم ، ولأمير المؤمنين عليكم أن تعتقدوا موالاته بخالص الطويّة ، وتجمعوا له فى الطاعة بين العمل والنّية ، وتدخلوا فى البيعة بصدور منشرحة ، وآمال منفسحة ، وضمائر يقينيّة ، وبصائر فى الولاء قويّة ، وأن تقوموا بشروط بيعته ، وتنهضوا بفروض نعمته ، وتبذلوا الطارف والتالد فى حقوق خدمته ، وتتقرّبوا إلى الله سبحانه بالمناصحة لدولته . وأمير المؤمنين يسأله الله أن تكون خلافته كافلة بالإقبال ، ضامنةً ببلوغ الأمانى والآمال ، وأن يجعل ديمها [1] دائمة بالخيرات ، وقسمتها ناميةً على الأوقات إن شاء الله تعالى .

وأقام الآمر بأحكام الله خليفةً إلى أن قُتل فى ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، عدّى إلى الرّوضة فى فئة قليلة ، فخرج عليه منها قوم بالسيوف فأثخنوه . وكان سيّئ السيرة .

(١) ح : « ديمتها » .

ولما قُتِل تغلّب على الديار المصرية غلام أرمنّى منْ غلمـانه ، فاستحوذ على الأمور ثلاثة أيام ورام أن يتأمرّ ، لحضر الوزير أبو علىّ أحمد بن الأفضل بدر الجمـالىّ ، فأقام الخليفة الحافظ لدين الله أبا الميمون عبد المجيـد بن الأمير أبى القاسم بن المستنصر بالله ، واستحوذ على الأمور دونه ، وحصره فى مجلس لا يدخل إليـه أحد إلا مَنْ يريده ، وخطب لنفسه على المنابر ، ونقل الأموال من القصر إلى داره ، ولم يبق للحافظ سوى الاسم فقط ، فلم يزل كذلك حتى قتل الوزير ، فعظم أمر الحافظ من حينئذ ، وجدّد له ألقاب لم يسبق إليها ، وخُطِب له بها على المنابر ، فكان يقول : أصلح الله من شيّدت به الدين بعد دثوره ، وأعززت به الإسلام بأن جعلته سببا لظهوره ، مولانا وسيّدنا إمام العصر والزّمان أبا الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله !

قال ابن خلكان : وكان الحافظ كثيرَ المرض بعلّة القولنج ، فعمل له سرماه [1] الديلمىّ طبل القُولَنج ركّبةً من المعادن السبعة [والكواكب السبعة] [2] فى أشرافها كلّ واحد منها فى وقته ، فكان من خاصّته أنه إذا ضرب به أحد خرج الريح من مخرجه ، فكان هذا الطبل فى خزائنهم إلى أن ملك السلطان صلاح الدين بن أيوب أخذ الطبل المذكور كردىّ ولا يدرى ماهو ! فضرب به فضَرَط فخجل ، فألقى الطبل من يده فانكسر [3].

واستمرّ الحافظ على الولاية إلى أن مات فى جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة .

وولىَ بعده ولده الظافر بالله أبو المنصور إسماعيل، فأقام إلى أن قُتِل فى المحرّم سنة تسع وأربعين .

---

(١) ابن خلكان : « شيرماه الديلمى ، وقيل : موسى النصرانى » .

(٢) من ابن خلكان . (٣) ابن خلكان مع تصرف ١ : ٣١٠ .

وولىَ بعده ولده الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى ، وهو صبىّ صغير ابن خمس سنين ؛ فإنّ مولده فى المحرّم سنة أربع وأربعين ، فأقام إلى أن تُوُفّىَ فى صفر سنة خمس وخمسين ؛ وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة ، وكان مدبّر دولته أبو الغارات طلائع ابن رُزِّيك.

وَولىَ بعده العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ ، وهو آخر العُبيديين . ومات يوم عاشوراء سنة سبع وستين ، وزالت دولتُهم على يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ؛ رحمه الله تعالى .

قال ابن كثير : ومن الغريب أنّ العاضد فى اللغة القاطع ، ومنه الحديث : «لا يُعضَد شجرها » ، فبالعاضد قُطعت دولة بنى عُبيد .

وقال ابن خَلِّكان : سمعتُ جماعةً من المصريّين يقولون : إنّ هؤلاء القوم فى أوائل دَوْلتهم قالوا لبعض العلماء : اكتبْ لنا ألقاباً فى ورقةٍ ؛ تصلُح للخلفاء ؛ حتى إذا تولىَّ واحدٌ لقّبوه ببعض تلك الألقاب ، فكتب لهمْ ألقاباً ، وآخرُ ما كتب فى الورقة « العاضد » . فاتفق أنّ آخر من وَلىَ منهم العاضد . ولم يكن المستنصر ومَنْ بعده من الخلافة سوى الاسم فقط ؛ لاستيلاء وُزرائهم على الأمور وحَجْرهم عليهم ، وتلقّبهم بألقابِ الملوك ؛ فكانوا معهم كخلفاء عَصْرنا مع ملوكهم ، وكخلفاء بغداد مع بنى بُويه ، وأشباههم .

ومن قصيدة ابن فَضْل الله التى سمّاها : حسن الوفاء لمشاهير الخلفاء :

والخلفاء من بنى فاطمةٍ ‏ ‏ ‏ إلى عبيد الله دُرٌّ فاخرُ
أبناء إسماعيلَ فى نجل جعفر الصادقِ فى القولِ أبُوه الباقرُ
بالغربِ مَهْدىٌّ تلاه قائمٌ ‏ ‏ ‏ والثالث المنصورُ وهو الآخِرُ
ثمّ المعزُّ قائدُ الجيشِ الذى ‏ ‏ ‏ سارَ إلى مصرَ ، ونعم السائرُ

ثمّ ابنُــه العزيزُ عَــزّ مشبِهاً والحاكمُ المعروف ثمّ الظّاهرُ
وبعده المستنصِرُ النــّائى الذى تَــلَاه مُسْتَعْلٍ وجاء الآمِــرُ
وحافظٌ وظــافرٌ وفائزٌ وعاضِــدٌ ثمَّ المليكُ النَّاصِرُ
قالوا لقــد ساء لهمْ معتَقدٌ واللهُ عنــد علمِــه السَّرائِرُ
لــكنَّما الحاكم مِمَّنْ لجَّ فِي طغيانِهِ فــكافرٌ أو فاجرُ

تم الجزء الأول من كتاب حسن المحاضرة ، ويليه إن شاء الله الجزء الثانى
وأوله : « ذكر أمراء مصر من حين ملــكها بنو أيوب إلى أن
اتخذها الخلفاء العباسية دار الخلافة » .

حسن المحاضرة

في تاريخ مصر والقاهرة

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

بتحقيق
محمد أبو الفضل ابراهيم

الجزء الثاني

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

الطبعة الأولى
(١٩٦٨ م - ١٣٨٧ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر أمراء مصر من حين ملكها بنو أيوب
إلى أن اتخذها الخلفاء العباسيون دار الخلافة

لمّا قتل صاحب مصر الظافر ، وصلت الأخبار إلى بغداد ، بأن مصر قُتِل صاحبها، ولم يبق فيهم إلّا صبيّ صغير ، ابن خمس سنين ، قد وَلّوْه عليهم ، ولقّبوه الفائز . فكتب الخليفة المقتفى[1] عهداً للملك نور الدين محمود بن زَنْكى على البلاد الشامية والمصرية ، وأرسله إليه ، فسار حتى أتى دمشق ، فحاصرها وانتزعها من يد ملكها مجير الدين بن طُغْتِكين ، وشرع فى فتح بلاد الشام بلدا بلدا ، وأخذها من أيدى مَن استولى عليها من الفرنج.

فلما كان فى سنة اثنتين وستين أقبلت الفرنج فى محافل كثيرة إلى الديار المصرية ، فأرسل نور الدين محمود أسدَ الدين شِيرِكوه بن شادى ، ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فسار إليها فى ربيع الآخر ، وقد وقع فى النّفوس أنّ صلاح الدين سيملك الديار المصرية ، وفى ذلك يقول عرقلة الشاعر :

أقول والأتراكُ قد أزمعتْ مصرَ إلى حرب الأعاريبِ
ربِّ كما ملّكتَها يوسفَ الصّدّيقَ من أولاد يعقوبِ
يملكها فى عصرنا يوسفُ الصّادقُ من أولاد أيوبِ
مَنْ لم يزل ضرّابَ هام العِدَا حقًّا وضرّابَ العراقيبِ

---

(١) كذا فى الأصل ، وهو الصواب ، وفى ح ، ط : « المكتفى » وانظر أخبار الخلفاء ٤٤٠ .

وسار إلى الفرنج ، فاقتتلوا قتالا عظيما ، فهُزِم الفرنج ولله الحمد ، وسار أسد الدين بعد كسر الفرنج إلى الإسكندرية، فملكها، واستناب عليها ابنَ أخيه صلاح الدين، وعاد إلى الصعيد ، فملكه .

ثم إنّ الفِرنج والمصريين اجتمعوا على حصار الإسكندرية ، فصالح شاوَر وزير العاضد أسد الدين عن الإسكندرية بخمسين ألف دينار ، فأجابه إلى ذلك ، وخرج صلاح الدين منها ، وسلّمها إلى المصريين ، وعاد إلى الشام فى ذى القعدة ، وقرّر شاوَر للفرنج على مصر فى كلّ عام مائة ألف دينار ،وأنْ يكون لهم شِحْنةٌ[1] بالقاهرة. وسكن القاهرة أكثرُ شجعان الفرنج ، وتحكّموا فيها بحيث كادوا يستحوِذون عليها ، ويخرِجون المسلمين منها . فلمّا كانت سنة أربع وستين ، قدِمَ أمداد الفرنج فى محافلَ هائلة ، فأخذوا مدينة بِلبيس ، فقتلوا وأسَرُوا ونزلوا بها ، وتركوا فيها أثقالهم ، وجعلوها موئلاً ومعقلا . ثم جاءوا فنزلوا على القاهرة من ناحية باب الشرقية ، فأمر الوزير شاوَر الناس أن يحرِقوا مصر ، وأن ينتقلوا إلى القاهرة . فنهب البلد ، وذهب للناس أموال كثيرة ، وبقيت النّارُ تعمل فى مصر أربعة وخمسين يوما ؛ فعند ذلك أرسل الخليفة العاضدُ يستغيث بالملك نور الدين ، وبعث إليه بشعور نسائه يقول : أدرِكْنى ؛ واستنقذ نسائى من أيدى الفرنج . والتزم له بثلث خراج مصر على أن يكون أسد الدين مقيماً عندهم ، ولهم إقطاعات زائدة على الثلث .

فجهّز نور الدين الجيوش وعليهم أسد الدين ومعه صلاح الدين ، فدخلوا القاهرة وقد رجع الفرنج لما سمعوا بوصولهم . وعظُمَ أمرُ أسد الدين بالديار المصرية ، وقتل الوزير شاوَر ، قتله صلاح الدين . وفرح المسلمون بقتله ، لأنّه الذى كان يمالئُ الفرنج على المسلمين ، وأقيم أسد الدين مكانه فى الوزارة ، ولُقِّب الملك المنصور ؛ فلم يلبث إلا شهرين وخمسة أيام ، ومات فى السادس والعشرين من جمادى الآخرة .

---

(١) الشحنة : رئيس الشرطة .

فأقام العاضدُ مكانه في الوزارة صلاح الدين يوسف ، ولقّبه الملك الناصر .. قال أبو شامة : وصفة الخلعة التي لبسها صلاح الدين يومئذ عمامة بيضاء تنّيسيّ بطرف ذهب ، وثوب دَبيقي [1] بطراز ذهب ، وجُبّة بطراز ذهب ، وطيلسان بطراز ذهب ، وعقد جوهر بعشرة آلاف دينار ، وسيف محلّى بخمسة آلاف دينار ، وحجره بثمانية آلاف دينار ، وعليها سرْج ذهب وسريسار ذهب مُجوْهر ، وفي رأسها مائتا حبّة جوهر ، وفي قوائمها أربعة عُقود جوهر ، وفي رأسها قصبة بذهب ، وفيها شدّة بيضاء بأعلام بيض ، ومع الخلعة عدة بقَج [2] ، وخيل وأشياء أُخَر ، ومنشور الوزارة مكتوب في ثوب أطلَس أبيض ؛ وكان ذلك يوم الاثنين الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وستين ؛ وكان يوماً مشهودا ، وارتفع قَدْر صلاح الدين بالديار المصرية ، وائتلفت عليه القلوب ، وخضعت له النفوس ، واضطهد العاضدَ في أيامه غاية الاضطهاد .

فلمّا كان سنة خمس وستين حاصرت الفرنج دمياط خمسين يوما ، فقاتلهم صلاح الدين حتى أجلاهم ، وأرسل نور الدين إلى صلاح الدين يأمره أنْ يخطب للخليفة المستنجد العباسيّ بمصر ؛ لأن الخليفة بعث يعاتبه في ذلك ؛ فلمّا كان سنة ست وستين ، اتّفق موت المستنجد ، وقام المستضيء ، وشرع صلاح الدين في تمهيد الخطبة لبني العباس ، وقطع الأذان بحيّ على خير العمل من ديار مصر كلها ، وعزل قضاة مصر لأنّهم كلّهم كانوا شيعة ، وولّى أقضى القضاة بها صدر الدين بن درباس الشافعيّ ، واستناب في سائر الأعمال شافعيّة .

---

(١) ثوب دبيقي : منسوب إلى دبيق ، بلدة بمصر اشتهرت بالثياب ، قال ياقوت : « كانت بمصر بين الفرما وتنيس » .

(٢) البقجة : الصرّة من القماش ؛ توضع بها الثياب أو النقود أو الأوراق الخاصة وتجمع على بقج ، فارسية — محيط المحيط .

فلما دخل سنة سبع وستين أمر الملك صلاح الدين بإقامة الخطبة لبنى العباس بمصر فى أوّل جمعة من المحرّم وبالقاهرة فى الجمعة الثانية ، وكان ذلك يوما مشهودا ؛ والعجب أنّ أوّل مَنْ خطب للمعزّ حين أخِذت مصر عمر بن عبد السميع العباسىّ الخطيب بجامع عمرو وبجامع ابن طولون ؛ فكان أوّل مَنْ خطب لبنى العباس هذه النّوبة شريف علوىّ ، يقال له محمد بن الحسن بن أبى الضياء البعلبكىّ . ولما بلغ الخبرُ نور الدين أرسل إلى الخليفة المستضىء يعلمه بذلك ، فزُيِّنت بغداد ، وغُلِّقت الأسواق وعملت القباب ، وفرح المسلمون فرحا شديدا ، قال ابن الجوزىّ :وقد ألّفت فى ذلك كتابا سميته : «النصر على مصر» . وكتب العماد الكاتب عن السلطان صلاح الدين إلى الملك نور الدين يبشره بذلك :

قد خَطبنـــا للمستضىء بمصْرِ　　　نائبِ المصطفى إمامِ العصرِ

فى أبيات ذكرتُها فى تاريخ الخلفاء[1] .

وقال بعض شعراء بغداد فى ذلك[2] :

ليهنِكَ يا مــــولاى فتحٌ تتابعتْ　　　إليك به خُوصُ الرّكائب تُوجِفُ

أخذت به مصراً وقد حال دونهـــا　　　مِن الشِّرك ناس فى لها الحقّ تَقْذِفُ[3]

فعادت بحمْد الله باســم إمامنا　　　تَتيهُ على كلِّ البلاد وتشرُف

(١) تاريخ الخلفاء ٤٤٦ ، وبعده هناك :

وخـــذلْنا لنصرِه الْعضُد العا　　　ضِدَ والقاصِرَ الذى بالْقَصْرِ

وتركنا الدعىّ يدعو ثبورًا　　　وهو بالذلّ تحت حجرٍ وحَصْرِ

(٢) هو شمس المعالى أبو الفضائل الحسين بن تركان ؛ ذكره أبو شامة فى الروضتين ١ : ١٩٧ ، قال : « وكان حاجب ابن هبيرة ، قالها حين سمع تأويل رؤيا منامية ، ومطلع الأبيات هناك:

لتهنِك يامولى الأنام بشـــارة　　　بها سيف دين الله بالحق مرهفُ

(٣) كذا فى الأصل والروضتين وفى ط : « فيهم الحق يقذف » ، وبعده فى الروضتين :

وقدْ دنّسَتْ فيها المنابرَ عصبة　　　يعاف التّقى والدين منهم ويأنَفُ

فطهّرها من كلّ شركٍ وبدعةٍ　　　أغرّ غريرٌ بالمكارم يشغف

ولا غَرْوَ أن ذلّت ليوسف مصرُه[1] وكانت إلى عليـــائه تتشوّفُ
تملّــكها من قبضةِ الـكفر يوسفٌ وخلّصها من عُصْبة الرّفض يوسفُ
كشفْتَ بهـا عن آل هاشِم سبّةً وعاراً أبَى إلّا بسيفك يكشف

وهى طويلة.

قال أبو شامة : أنشدتُ هذه القصيدةَ للخليفة قبل موته ، عند تأويل منام رُئىَ فى هذا المعنى ، وأراد بيوسف الثانى الخليفة المستنجد ، فلم يخطب إلّا لولده المستضىء ، فجرى الفألُ باسم الملك النّاصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وأرسل الخليفة المستضىء بأمر الله إلى الملك صلاح الدين خِلعة سنية ، ومعها أعلام سود ، ولواء معقود ، ففرّقت على الجوامع بالشام وبلاد مصر ، وكتب له تقليدا ؛ وهذه صورته :

أما بعد ، فإنّ أميرَ المؤمنين يبدأ بحمد الله الذى يكون لـكل خطبة قيادا ، ولـكلّ أمرٍ مهادا ، ويستزيده من نِعَمِه التى جعلت التقوى لها زادا ، وحمّلته أعباء الخلافة فلم يضعف عنه طوقاً ولم يَألُ فيه اجتهادا ، وصَغّرَتْ لديه أمر الدنيا فما تسوّرت له محرابا ولا عرضت عليه جياداً ، وحققت فيه قوله تعالى : ﴿ تِلكَ الدّارُ الآخرة نجعلُها لِلّذين لا يريدون علوًّا فى الأرض ولا فسادا ﴾[2].

ثم يصلّى على من أنزلت الملائـكة لنصره إمدادا ، وأسرىَ به إلى السماء حتى ارتقى سَبْعاً شِدادا ، وتجلّى له ربُّه فلم يزغ منه بصر ولا كذب فؤاداً.

ثم من بعده على أسرته الطاهرة التى زكتْ أوراقًا وأعوادا ، وورثت النّور المبين بلادا ، ووُصِفت بأنها أحد الثّقلَين هداية وإرشادا ؛ وخصوصا عمّه العباس المدعوّ له بأن يُحفَظ نفسا وأولادا ، وأن تبقى كلمة الخلافة فيهم خالدة لا تخاف دَرَكا ولا تخشى نفادا.

وإذا استوفى العلم مرادَه من هذه الحمـدلة ، وأسند القول فيها عن فصاحته المرسلة

(١) فى الروضتين : « أن دانت ». (٢) القصص ٨٣.

فإنه يأخذ فى إنشاء هذا التقليد الذى جعله حليفاً لقرطاسه ، واستدام سجوده على صفحته حتى لم يكد يرفع من راسه ؛ وليس ذلك إلا قاضية فى وصف المناقب التى كثرت فحسن لها مقام الإكثار ، واشتبه التطويل فيها بالاختصار ، وهى التى لا يفتقر واضعها إلى القول المعاد ، ولم يستوعر سلوك أطوادها ؛ ومن العجب وجود السهل فى سلوك الأطواد .

وتلك هى مناقبُك أيها الملك الناصر السيّد الأجلّ الكبير ، العالم العادل المجاهد المرابط صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب .

والديوان العزيز يتلوها عليك تحدّثاً بشكرك ، ويباهِى أولياءه تنويهاً بذكرك ، ويقول : أنت الذى تستكفِى فتكون للدّولة سهمها الصائب ، وشهابَها الثاقب ، وكنزَها الذى تذهب الكنوزُ وليس بذاهب . وما ضرّها وقد حضرت فى نصرتها إذا كان غيرُك هو الغائب ؛ فاشكر إذاً مساعيكَ التى أهّلتْك لِما أهّلتك ، وفضّلتك على الأولياء بما فضّلتك . ولئن شُوركت فى الولاء بعقيدة الإضمار ، فلم تشارَك فى عزمِك الذى انتصر للدولة فكان له بسطة الانتصار . وفرْقٌ بين مَنْ أمدّ بقلبه وبين من أمدّ بيده فى درجات الإمداد ، وما جعل الله القاعد كالذى قال : لو أمَرْتَنا لضربْنا أكبادها إلى بَرْك الغِماد .

وقد كفاك من المساعى أنك كَفيْتَ الخلافة أمر منازعيها ، وطمستَ على الدعوة الكاذبة التى كانت تدّعيها . ولقد مضى عليها زمنٌ ومحرابُ حقّها محفوف من الباطل بمحرابيْن ، ورأت ما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم من السّوارين اللّذيْن أوّلَهما كذابين ؛ فبمصر منهما واحد تجرى أنهارُها من تحتِه ؛ ودعا الناس إلى عبادة طاغوته وجِبته ، ولعب بالدّين حتى لم يدرِ يوم جُمعته من يوم أحدِه ولا سبتِه .

وأعانه على ذلك قومٌ رمى الله بصائرَهم بالعَمَى والصَّمَم ، واتّخذوه صنماً ولم تكن الضّلالة هناك إلا بعجْل أو صنم ؛ فقمت أنت فى وجْه باطله حتى قعَد ، وجعلتَ فى جِيده

حبلًا من مسد؛ وقلت ليده : تَبّتْ، فأصبح ولا يسعى بقدم ولا يبطش بيد .وكذلك فعلتَ بالآخر الذى نجمتْ باليمن ناجمتُه،وسامت فيه سائمتُه : فوضع بيته موضع[1] الكعبة اليمانيّة ، وقال هـذا ذو الخَلَصة الثانية . فأىّ مقامك يعترف الإسلام بسبقه ، أم أيّهما يقوم بأداء حقّه .

وهاهنا فليُصْبِح القلم للسيف من الحُسّاد ، وليقصر مكانته عن مكانته وقد كان له من الأنداد ، ولم يُحَظْ بهذه المزيّة إلا أنه أصبح لك صاحبا ، وتخر بك حتى طال فخرا كما عزّ جانباً ، وقضى بولايتك فكان بها قاضيا ، لمّا كان حدّه ماضياً .

وقد قلّدك أميرُ المؤمنين البـلاد المصريّة واليمنيّة غَوْراً ونجْداً ، وما اشتملت عليـه رعيّة وجنـدا ، وما انتهتْ إليه أطرافها برًّا وبحـرا ، وما يستنقذ من مجاوريها مسالمةً وقهرا . وأضاف إليها بلاد الشام وما تحتوى عليـه من المدن المدّنة ، والمراكز المحصّنـة مستثنيا منها ماهو بيد نور الدّين إسماعيل بن نور الدين محمـود رحمه الله وهو حلَب وأعمالها ؛ فقد مضَى أبوه عن آثار فى الإسـلام ترفع ذكره فى الذاكرين ، وتخلفه فى عقبه فى الغابرين ، وولدهُ هذا قد هذّبتْه الفطرة فى القول والعمَل ، وليست هـذه الرّبوة إلّا من ذلك الجَبَل ؛ فليـكن له منك جارٌ يدنو منه ودادأً كما دنا أرضا ، وتُصبح وهو له كالبنيان يشدّ بعضـه بعضا ؛ والذى قدمناه من الثنـاء عليك ربّمَا تجاوزتْك درجة الاقتصاد وألْفَتْكَ عن فضيـلة الازْدِياد . فإيّاك أن تنظر إلى سعيك نظرَ الإعجـاب ، فتقول : هذه بلادُنا افتتحتها بعد أن أضرب عنها كثير من الأضراب . ولـكن اعلم أنّ الأرض لله ولرسوله ، ثم لخليفته من بعده ، ولا مِنّةَ للعبد بإسلامه ، بل المنة لله بهداية عبده . وكم سلَف قبلك ممّن لورام مارمتَـه لدنا شاسعهُ وأجاب مانعُه ؛ لـكن ذخره الله لك لتحظى فى الآخرة بمفازه ، وفى الدنيا برقم طرازه . فألق بيدك عند هذا القول إلقاء

(١) ح : « بموضع » .

التّسليم ، وقل ﴿ لا علم لنا إلا ما علّمتنا إنّك أنتَ العليمُ الحكيمُ ﴾ .

وقد قُرِن تقليدُك هذا بخلعة تكون لك فى الإسلام شعارا ، وفى الرّسم فخارا ، وتناسب محلّ قلبك وبصرك : وخير ملابس الأولياء ما ناسب قلوباً وأبصارا ، ومن جملتها طوْقٌ يُوضع فى عنقك موضع العهد والميثاق ، ويشير إليك بأنّ الإنعام قد أطاق بك إطاقة الأطواق بالأعناق .

ثم إنّك خُوطبتَ بالمُلْك وذلك خطاب يقضى لصدرك بالانشراح ، ولأملك بالانفساح ، وتؤمر معه بمدّ يدك العليا لا تضمّها إلى الجناح .

وهذه الثلاثة المشار إليها هى التى تكمل بها أقسام السيادة ، وهى التى لا مزيد عليها فى الإحسان فيقال إنّها الحسنى وزيادة ؛ فإذا صارت إليك فانصب لها يوما يكون فى الأيّام كريم الأنساب ، واجعله لها عيداً وقل هذا عيد الخلعة والتقليد والخطاب .

هذا ولك عند أمير المؤمنين مكانَةٌ بجعلك إليه حاضرا وأنت ناء عن الحضور ، وتضنّ أن تكون مشتركة بينك وبين غيرك والضّنّة من شيم الغيوب ؛ وهذه المكانة قد عرّفتْك نفسَها وما كنت تعرفها ؛ وما نقول إلّا أنها لك صاحبة وأنت يوسفها ، فاحرسها عليك حراسة تقضى بتقديمها ، واعمل لها فإن الأعمال بخواتيمها .

واعلم أنّك تقلّدْت أمرا يُفتنُ به تقىّ الحلوم ، ولا ينفكّ صاحبه عن عهدة الملوم ، وكثيرا ما ترى حسناته يوم القيامة وهى مقسومة[1] بأيدى الخصوم ؛ ولا ينجو من ذلك إلا من أخذ أهْبَة الحذار ، وأشفق من شهادة الأسماع والأبصار . واعلم أنّ الولاية ميزانٌ إحدى كفتيه فى الجنة والأخرى فى النار ؛ قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ذرّ إنى أحبّ لك ما أحب لنفسى ، لا تأمّرنّ على اثنين ، ولا تولّينّ مال يتيم ». فانظر إلى هذا القول النبوىّ نظر مَنْ لم يخدع بحديث الحرْص والآمال ، ومثّل الدنيا وقد سيقت إليك بحذافيرها ، أليس مصيرها إلى زوال ! والسعيد من إذا جاءته قضى بها أرب الأرواح

(١) ط : « مقتسمة » .

لا أرب الجسوم ، واتخذ منها وهى السمّ دواء وقد تُتخذ الأدوية من السموم .

وما الاغتباطُ بما يختلف على تلاشيه المساء والصباح ، وهو كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرّياح .

والله يعصم أمير المؤمنين وولاة أمره من تبعاتها التى لابستْهم ولابسوها، وأحصاها الله ونسوها ، ولك أنت من الله هذا الدعاء حظٌ على قدر محلّك من العناية التى حدثت بصنيعك ، ومحلك من الولاية التى بسطت من ذرعك .

فخذ هذا الأمْرَ الذى تقلّدته أخذ مَنْ لم يتعقّبه بالنّسيان ، وكنْ فى رعايته ممّن إذا نامت عيناه كان قلبه يقْظان ؛ وملاكُ ذلك كلّه فى إسباغ العدْل الذى جعله الله ثالثَ الحديث والكتاب ، وأغنى بثوابه وحده عن أعمال الثواب ؛ وقدّر يوما منه بعبادة ستين عاما فى الحساب ، ولم يأمر به آمرٌ إلاّ زِيد قوّةً فى أمره ، وتحصّن به من عدوّه ومن دهره . ثم يُجاء به يوم القيامة وفى يده كتاب أمان ، ويجلس على منبر من نور عن يمين الرحمن ؛ ومع هذا فإن مركبه صعب لايستوى على ظهره إلّا مَنْ أمسك عنان نفسه قبل إمساك عنانه ، وغلبت لمّة ملكه على لمة شيطانه. ومن آكد فروضه أن تمحى السِّيَر السّيئة التى طالت مدد أيامها ، ويئس الرّعايا من رفع ظلاماتها فلم يجعلوا أمداً لانحسار ظلامها ؛ تلك السِّير هى المكوس التى أنشأتها الهمم الحقيرة ، ولا غنى للأيدى الغنية إذا كانت ذا نفوس فقيرة ؛ وكلّما زيدت الأموال الحاصلة منها قدراً ، زادها الله محقا ؛ وقد استمرّت عليها العوائد حتى ألحقها الظالمون بالحقوق الموجبة فسموها حقًّا ، ولو أنّ صاحبها أعظم الناس جرما لما أغلظ فى عقابه، ومثلت توبة المرأة الغامدية بمتابه ؛ وهى أشقى ممّن يكون السواد الأعظم له خصما ، ويصبح وهو مطالب بما يعلم وبما لم يحط به علما ؛ وأنت مأمورٌ بأن تأبى هذه الظلامات فتنهى عن إجرائها ، وتلحق أسماءها فى المحو بإمحالها ؛ حتى لايبقى لها فى العيان صورة منظورة ، ولا فى الألسنة أحاديث مذكورة .

وإذا فعلتَ ذلك كنتَ أزلت عن الماضى سنّةَ سوء سنّتْها يداه ، وعن الآتى متابعة ظلم وجده طريقا مسلوكا لجرى على بداه ، فبادر إلى ما أمِرت به مبادرة من يضيق به ذراعا ، ونظر إلى الحياة الدنيا بعينها فرآها فى الآخرة متاعا . واحمد الله على أن قيّض لك إمام هدًى يقف بك على هداك ، ويأخذ بحُجزتك عن خطوات الشيطان الذى هوأعدى عداك ؛ وهذه البلاد المنوطة بنظرك تشتمل على أطراف متباعدة ، وتفتقر فى سياستها إلى أيدٍ متساعدة ؛ ولهذا يكثر بهـا قضاة الأحكام ، وأولو تدابيرات السيوف والأقلام ؛ وكلّ من هؤلاء ينبغى أن يفتّن على نار الاختبار ، ويسلّط عليه شاهد عدل من أمانة الدرهم والدينار ، فما أضلّ الناس شىء كحبّ المال الذى فورقت من أجله الأديان ، وهجِرت بسببه الأولاد والإخوان ؛ وكثيرا مايرى الرّجل الصائم القائم وهو عابدٌ له عبادة الأوثان ؛ فإذا استعنتَ بأحدٍ منهم على شىء من أمرك ، فاضرب عليه بالأرصاد ، ولا ترضَ بما عرفته من مبدأ حاله فإن الأحوال تنقل بنقل الأجساد . وإيّاك أن تُخدَع بصلاح الظاهر كما خُدِع عمر بن الخطاب بالربيع بن زياد .

وكذلك نأمُرُ هؤلاء على اختلاف طبقاتهم بأن يأمروا بالمعروف وينهوْا عن المنكر محاسبين ؛ ويعلموا أن ذلك من دأب حزب الله الذين جعلهم الغالبين ، وليبدءوا أوّلًا بأنفسهم فيعدِلُوها عن هواها ، ويأمروها بما يأمرون به سواها ، ولا يكونوا ممّن هدى إلى طريق البرّ وهو عنها حائد ، وانتصب لطبّ المرضى وهو محتاج إلى طبيب وعائد ؛ فما تنزل بركات السماء إلاّ على مَنْ خاف مقام ربّه ، وألزم التقوى أعمال يده ولسانه وقلبه ؛ فإذا صلحت الولاة صلحت الرعيّة بصلاحهم ؛ وهم لهم بمنزلة المصابيح ولا يستضىء كل قوم إلا بمصباحهم . وممّا يؤمرون به أن يكونوا لمن تحت أيديهم إخـوانا فى الأصحـاب ، وجيرانا فى الاقتراب ، وأعوانا فى توزّع الحمل الذى يثقل على الرقاب ؛ فالمسلم أخو المسلم وإن كان عليه أميرا ، وأوْلَى الناس باستعمال الرفق مَنْ كان فضـل الله

عليه كثيرا ؛ وليست الولاية لمن يستجد بها كثرة اللفيف ، ويتولاها بالوطء العنيف ؛ ولكنها لمن يمال عن جوانبه ، ويؤكل من أطايبه ، ولمن إذا غضبَ لم يرَ للغضب عنده أثر ، وإذا ألحف فى سؤاله تخلّق بخلق الضّجر ، وإذا حضر الخصوم بين يديه عدَل بينهم فى قسمة القول والنظر ؛ فذلك الذى يكون لصاحبه فى أصحاب اليمين ، والذى يُدْعَى بالحفيظ العليم والقوىّ الأمين .

ومن سعادة المرء أن تكون ولاته متأدّبين بآدابه ، وجارين على نهج صوابه ؛ وإذا تطايرت الكتب يوم القيامة كانوا حسناتٍ مثبتةً فى كتابه .

وبعد هذه الوصية ، فإن هاهنا حسنة هى للحسنات كالأمّ الولود ؛ ولطالما أغنت عن صاحبها إغناء الجود ، وتيقّظت لنصره والعيون رقود ؛ وهى التى تُسبِغ لها الآلاء ، ولا يتخطّاها البلاء ، ولأمير المؤمنين عناية تبعثها الرحمة الموضوعة فى قلبه ، والرغبة فى المغفرة والرحمة لما تقدم وتأخر من ذنبه . وتلك هى الصدَقة التى فضّل الله بعض عباده بمزيّة إفضالها ، وجعلهاسببا إلى التعويض عنها بعشر أمثالها ؛وهو يأمرك أن تفقّد أحوال الفقراء الّذين قدرت عليهم مادة الأرزاق، وألبسهم التعفّف ثوب الغِنَى وهم فى ضِيق من الإملاق ؛ فأولئك أولياء الله الذين مسّتهم الضراء فصبروا ، وكثرت الدنيا فى يد غيرهم فما نظرُوا إليها إذا نظروا. وينبغى لك أن تهيّئ لهم من أمرهم مرفقاً ، وتضرب بينهم وبين الفقر مَوبِقا .

وما أطَلْنا لك القول فى هذه الوصية إلا إعلاما بأنّها من المهمّ الذى يستقبَل ولا يُستدبَر ، ويُستكثَر منه ولا يستكبَر ؛ وهذا يعدّ من جهاد النفس فى بذل المال ، ويتلوه جهاد العدوّ الكافر فى مواقف القتال ؛ وأمير المؤمنين يعرّفك من ثوابه مايجعل السّيف فى ملازمته أخا ، وتسخو له بنفسك إن كان أحد بنفسه سخا . ومن صفاته أنّ العمل المحبوب بفضل الكرامة ، الذى ينمو أجره بعد صاحبه إلى يوم القيامة ، وبه يمتحن طاعة

الخالق على المخلوق ، وكلّ الأعمال عاطلة لاخلوق لها وهى المختصّ دونها بزينة المخلوق ، ولولا فضلُه لمَا كان محسوباً بشطر الإيمان ؛ ولَمَا جعل الله الجنة له ثمنا وليست لغيره من الأثمان ، وقد علمت أنّ العدوّ هو جارك الأدنى ؛ والذى يبلغك وبلغه عيناً وأذنا ، ولا تكون للإسلام نعم الجار ؛ حتى تكون له بئس الجار . ولا عذرَ لك فى ترك جهاده بنفسك ومالك إذا قامت لغيرك الأعذار . وأميرالمؤمنين لايرضى منك بأن تلقاء مصافحاً ، أو تطرُق أرضه مماسياً أو مصابحا ، بل يريد أنْ تقصد البلاد التى فى يده قصد المستغير لا قصد المغير ، وأن تحكم فيها بحكم الله الذى قضاه على لسان سعد فى بنى قُريظة والنّضير ، وعلى الخصوص البيت المقدّس فإنّه بلاد الإسلام القديم ، وأخو البيت الحرام فى شرف التعظيم ، والّذى توجّهت إليه الوجوه من قبل بالسجود والتسليم . وقد أصبح وهو يشكو طولَ المدّة فى أسر رقبته ، وأصبحت كلة التوحيد وهى تشكو طول الوحشة فى غربتها عنه وغربته . فانهض إليه نهضة متوغّل فى فرَحِه ، وتبدل صعب قياده بسمحِه ؛ وإن كان له عام حُديبية فاتبعه بعام فتحه . وهذه الاستزادة بعد سداد مافى اليد من ثَغرٍ كان مهملاً فحميتْ مواردُه ، أو مستهدماً فرفعتْ قواعدُه ، ومن أهمّها ما كان حاضر البحر كأنه أعمه عورته مكشوفة ، وخطّة مخوفة ، والعدوّ قريب منه على بعده . وكثيرا مايأتيه فجاءة حتى يشقّ برقه برعدِه ؛ فينبغى أن ترتّب بهذه الثغور رابطة يكثر شجعانها ، ويقلّ أقرانها ، ويكون قتالها لأنْ تكون كلة الله هى العليا لالأنْ يرى مكانها ، وحينئذ يصبح كلٌّ منها وله من الرجال أسوار ، ويعلم أهله أن بناء السيف أمنَع من بناء الأحجار ؛ ومع هذا فلا بدّ له من أسطول يكثر عدده ، ويقوى مدده ، فإنه العمدة التى يستعين بها على كشف العماء ، والاستكثار من سبايا العبيد والإماء ، وجيشه أخو الجيش السليمانىّ ، فذاك يسرِى على متن الريح وهذا يجرى على متن الماء .

ومن صفات خيله أنّها جمعت بين العوْم والمطار ، وتساوت أقدار خلقها على اختلاف

مدّة الأعمار ، فإذا أشرعت قيل جبال متلفّعة بقطع من الغيوم ، وإذا نظر إلى أشكالها قيل أهلّة غير أنها تهتدى فى مسيرها بالنجوم ، ومثل هذه الخيل ينبغى أن يغالى من جيادها ، ويُستكثر من قيادها ، وليؤمّر عليها أمير يلقى البحر بمثله من سعة صدره ، ويسلك طرقه سلوك من لم تقتله بجهلها ، ولكن قتلها بخبره ؛ وكذلك فليكن ممّن أفنت الأيّام تجاربُه ، ورحمتها منا كبُه ، وممّن يذلّ الصّعب إذا هو ساسه وإن سيس لان جانبه ، وهذا هو الرجل الذى يرأس على القوم فلا يجد هذه بالرياسة ، فإن كان فى الساقة ففى الساقة أو كان فى الحراسة ففى الحراسة . ولقد أفلحت عصابة اعتصبت من ورائه ، وأيقنت بالنصر من رايته كما أيقنت بالنجح من رأيه .

واعلم أنه قد أخلّ من الجهاد بركن يقدح فى عقده ، وهو تمامه الذى يأتى فى آخره كما أنّ صدق النية تأتى فى أوله ؛ وذلك هو قسم الغنائم فإن الأيدى قد تناولته بالإجحاف ، وخلطت جهادها فيه بغلولها فلم ترجع بالكفاف . والله قد جعل الظلم فى تعدّى حدوده المحدودة ، وجعل الاستئثار بالمغنم من أشراط الساعة الموعودة ؛ ونحن نعوذ به أن يكون زماننا هذا شرّ زمان وناسه شرّ ناس ، ولم يستخلفنا على حفظ أركان دينه ثم نهمله إهمال مضيع ولا إهمال ناس .

والذى نأمرك به أن تُجرِىَ هذا الأمر على النصوص من حكمه وتبرّئ ذمّتك مما يكون غيرك الفائز بفوائده وأنت المطالب بإثمه ، وفى أرزاق المجاهدين بالديار المصرية والشامية مايغنيهم عن هذه الأكلة التى تكون غداً نكالا وجحيما ، وطعاماً ذا غصّة وعذابا أليما .

فتصفّح ماسطّرناه لك من هذه الأساطير التى هى عزائم مبرمات ، بل آيات محكمات ، وتحبّبْ إلى الله وإلى أمير المؤمنين باقتفاء كتابها ، وابنِ لك بها مجداً يبقى فى

عقبك إذا أصيبت البيوت فى أعقابها : وهذا الذى ينطق عليك بأنه لم يأل فى الوصايا التى أوصاها ، فإنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها .

ثم إنه قد ختم بدعوات دعا بها أمير المؤمنين عند ختامه ، وسأل فيها خيرة الله التى تتنزّل من كلّ أمر منزلة نظامه. ثم قال : إنى أشهدك على من قلّدته شهادة تكون عليه رقيبة وله حسيبة ، فإنى لم آمره إلا بأوامر الحقّ التى فيها موعظة وذكرى ، ولمن تبعها هدًى ورحمة وبشرى ، وإذا أخذ بها فاج بحجّته يوماً يُسأل فيه عن الحجج ، ولم يختلج دون رسوله على الحوض فى جملة مَنْ يختلج ، وقيل له : لا حرج عليك ولا إثم إذ نجوت من وَرَطات الإثم والحرَج . والسلام .

قال الفقيه عُمارة اليمنى يرثى العاضد — وكان من خواصهم :

ياعاذلى فى هوى أبناء فاطمةٍ … لك الملامةُ إن قصّرتَ فى عَذَلى
باللهِ زُرْ ساحة القصرين وابكِ معى … عليهما لا على صِفّينَ والجَمَلِ

وقال بعض الشعراء يمدح بنى أيوب على مافعلوه :

ألستم مُزيلى دولة الكفر من بنى … عُبيدٍ بمصرٍ ، إنّ هذا هو الفضلُ[1]
زنادقةٌ شيعيّةٌ باطنيّةٌ … مجوسٌ وما فى الصالحين لهم أصلُ
يُسِرّون كفرا ، يظهرون تشيّعاً … ليستروا شيناً ، وعمّهم الجهل

وقال حسان عرقلة[2] :

أصبح الملك بعد آل عُبيدٍ[3] … مشرقاً بالملوك من آل شاذى
وغدا الشرقُ يحسد الغرب للقوْ … م ومصرٌ تزهُو على بغداذِ
ماحووْها إلا بعزمٍ وحزمٍ … وصليل الفولاذ فى الفولاذِ
لا كفرعونَ والعزيز ومن كا … ن بها كالخصيب والأستاذ

(١) كتاب الروضتين ١ : ٢٠٢ . (٢) كتاب الروضتين ١ : ٢٠٠ .
(٣) فى الروضتين : « آل علىّ » ، وقال : « يعنى بذلك بنى عبيد المستخلفين » .

قال أبو شامة : يعنى بالأستاد كافور الإخشيدىّ .

قال : وقد أفردت كتابا سميته : « كشف ما كان عليه بنو عبيد ، من الكفر والكذب والمكر والكيد » . وكذا صنف العلماء فى الردّ عليهم كتبا كثيرة من أجلّها كتاب القاضى أبى بكر الباقلاّنىّ الّذى سماه « كشف الأسرار وهتك الأستار » .

ولمّا استقلّ السلطان صلاح الدين بأرض مصر ، أسقط عن أهلها المكوس والضرائب ، وقرأ المنشور بذلك على رءوس الأشهاد يوم الجمعة بعد الصلاة ثالث صفر سنة سبع وستّمائة . واستولى على القصر وخزائنه وفيها من الأموال مالا يحصى ؛ من ذلك سبعمائة يتيمة من الجوهر ، وقضيب زمرّد طوله أكثر من شبر وسمكه نحو الإبهام ، وَعِقْدٌ من ياقوت ، وإبريق عظيم من الحجر المائع إلى غير ذلك من التّحَف ، ووجد خزانة كتب ليس فى الإسلام لها نظير ، تشتمل على نحو ألفَىْ ألف مجلد منها بالخطوط المنسوبة مائة ألف مجلد ، فأعطاها القاضى الفاضل . وأخذ السّلطان صلاح الدين فى نصر السنة وإشاعة الحق ، وإهانة المبتدعة والانتقام من الروافض ، وكانوا بمصر كثيرين .

ثم تجرّدت همته إلى الفرنج وغزوهم ؛ فكان من أمره معهم ماضاقت به التواريخ ، واستردّ منهم ما كانوا استولوا عليه من بلاد الإسلام بالشام . من ذلك القدس الشريف فتحه ، بعد أن كان فى يد الفرنج[1] ... وأجلى ما بين الشام ومصر من الفرنج . ثم افتتح الحجاز واليمن من يد متغلّبيها وتسلّم دمشق بعد موت نور الدين ، فصار سلطان مصر والشام واليمن والحجاز .

قال ابن السبكى فى الطبقات الكبرى : له من الفتوحات التى خلّصها من أيدى الفرنج قلعة أيلَة ، طبَرِيّة ، عكا ، القدس ، الخليل ، الكَرَك ، الشّوبَك ، نابُلس ،

---

(١) بياض فى الأصل

(حسن المحاضرة ٢/٢)

عَسْقلان ، بيروت ، صَيْدَاء ، بَيْسان ، غَزّة ، لُدّ ، حيفا ، صفُّوريَه ، مَعْليَا ، الفُولَة ، الطّور إسكندرونة ، هفوس[١] ، يافا ، أرْسُوف ، قيسارية ، جبل ، نبل[١] ، معليكة[١] ، عَفرَبَلاَ ، اللّجّون ، لستمة[١] ، ياقون ، مِجْدل يابا ، تلّ الصافية ، بيت نُوبَا ، الطّرُون ، الجيب البيرة ، بيت لحم ، رِيحاء ، قرا[١] ، واحصر[١] الدير ، دمرا[١] ، قلقيلية[١] ، صرير الزّيت[١] ، الوعر[١] ، الهرمس[١] ، تفليسا[١] ، العَازريّة ، تفرع[١] ، الكَرْك ، مَجْدَل ، الحارغير[١] فى جبل عاملة ، الشّقيف ، سَبَسْطِية ويقال بها قبر زكريا ، وجُبَيل ، وكوكب ، وأنطرْطُوس واللاّذِقيّة ، وبكِسْرائيل ، صِهيَوْن ، جَبلة ، قلعة العبد ، قلعة الجاهرية ، بلاطُنس ، الشُّغر ، بكاس ، وسمر[١] سامية ، بُرْزية ، ودَرْبَساك ، وبغرَاس ، وصَفد .

وله مصَافّات يطول شرحها .

وافتتح كثيرا من بلاد النّوبة من يد النصارى ، وكانت مملكته من المغرب إلى تخُوم العراق ومعها اليمن والحجاز ، فملَك ديار مصر بأسرِها مع ما انضمّ إليها من بلاد المغرب والشام بأسرها مع حلَب ومَا والاها ، وأكثر ديار ربيعة وبكْر والحِجاز بأسره واليمن بأسره ، ونشرَ العدْل فى الرعيّة ، وحكَم بالقسط بين البريّة ، وبنى المدارس والخوَانِق ، وأجْرَى الأرزاق على العُلماء والصّلحاء ، مع الدّين المتين والورع والزهد والعلم ، وكان يحفظ القرآن والتنبيه والحماسة . وهو الّذى ابتَنَى قلعة القاهرة على جبل المقطّم التى هى الآن دار السلاطين ، ولم يكن السلاطين يسكنون قبلها إلا دار الوزارة بالقاهرة . وفتح من بلاد المسلمينَ حرّان ، وسُروج ، والرّها والرّقة ، والبيرة ، وسنجار ، ونصيبين ، وآمِد . وملك حلب ، والمواريخ وشهرز . وحاصر الموصل إلى أن دخل صاحبُها تحت طاعته ، وفتح عسكرهُ طرابلس الغرب وبَرْقة من بلاد المغرب ، وكسر

(١) وردت أسماء هذه البلاد محرفة فى الأصول وقد رجعت إلى كتب المعاجم وطبقات الشافعية ؛ فلم أهتد لتصويبها .

عسكر تونس ، وخطب بها لبنى العباس . ولو لم يقع الخلف بين عسكره الذين جهّزهم إلى المغرب لَمَلَكَ الغرب بأسره ، ولم يختلف عليه مع طول مدته أحدٌ من عسكره على كثرتهم . وكان النّاس يأمنون ظُلْمَه لعدلِه ، ويرجون رِفْدَه لكثرته ، ولم يكن لمبطلٍ ولا لصاحب هزلٍ عنده نصيب . وكان إذا قال صدق ، وإذا وعد وفَى ، وإذا عاهد لم يَخُنْ .

وكان رقيق القلب جدّا ، ورحل إلى الإسكندريّة بولديه الأفضل والعزيز لسماع الحديث من السِّلَفيّ ، ولم يُعْهَد ذلك لملك بعد هارون الرشيد ، فإنّه رحل بولديْه الأمين والمأمون إلى الإمام مالك لسماع الموطّأ . هذا كله كلام السبكى فى الطبقات [١] .

قال : ومن الكتب والمراسيم عنه فى النّهى عن الخوض فى الحرْف والصوت ؛ وهو من إنشاء القاضى الفاضل : ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ... ﴾ [٢] الآية خرج أمرنا إلى كلّ قائم فى صفّ ، أو قاعدٍ فى أمام وخلْف ؛ ألّا نتكلم فى الحرف بصوت ، ولا فى الصّوت بحرف ، ومن تكلّم بعدها كان الجديرَ بالتّنكيل ، ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [٣] ، ويسأل النواب القبض على مخالفى هذا الخطاب ، وبسط العذاب ، ولا يسمع لمتفقّه فى ذلك تحرير جواب ، ولا يقبل عن هذا الذنب متاب . ومن رجع إلى هذا الإيراد بعد الإعلان ؛ وليس الخبر كالعيان ، رجع أخْسَرَ مِنْ صفقة أبى غَبْشان [٤] ، وليُعْلَنّ [٥] بقراءة هذا الأمر على المنابر ، وليعلم به الحاضر والبادى ليستوىَ فيه البادى والحاضر ، والله يقول الحقّ وهو يهدى السبيل [٦] .

(١) طبقات الشافعية ٤ : ٣٢٩ ، ٣٣٠ .
(٢) سورة الأحزاب ٦٠ .
(٣) النور ٦٣ .
(٤) وردت هذه الجملة محرفة فى الأصول، والصواب ما أثبته . وصفقة أبى غبشان يضرب بها المثل فى الخسران ، وكان أبو غبشان والى أمر خزاعة ، وكانت خزاعة سدنة الكعبة قبل قريش ؛ ولأبى غبشان ولصفقته خبر فى المضاف والمنسوب ١٣٥ .
(٥) فى الأصول : « وليعلى » ، والصواب ما أثبته من الطبقات .
(٦) طبقات الشافعية ٤ : ٣٣١ .

ومن صنائع السلطان صلاح الدين أنّه أسقط المكوس والضرائب عن الحجّاج بمكة، وقد كان يُؤخذ منهم شيء كثير ، ومن عَجَز عن أدائه حُبس ، فربّما فاته الوقوف بعَرفة ، وعوّض أميرها بمال إقطاعا بديار مصر ، يُحمل إليه منه فى كلّ سنة ثمانية آلاف أردبّ غلّة ، لتكون عونًا له ولأتباعه ، وقرّر للمجاورين أيضا غَلّات تحمَل إليهم وصِلاتٍ ، فرحمة الله عليه فى سائر الأوقات ، فلقد كان إماماً عادلا ، وسلطانا كاملا لم يلِ مصرَ بعد الصّحَابة مثله ، لا قبله ولا بعده !

وقد كان الخليفة المستضيء أرسل إليه فى سنة أربع وسبعين خِلَعاً سنية جدّا ، وزاد فى ألقابه « معزّ أمير المؤمنين » . ثم لمّا ولى الخليفة الناصر فى سنة ست وسبعين أرسل إليه خِلْعة الاستمرار ، ثم أرسل إليه فى سنة اثنتين وثمانين يعاتبه فى تلقيبه بالملك الناصر ، مع أنّه لقب أمير المؤمنين ، فأرسلَ يعتذر إليه بأنّ ذلك كان من أيّام الخليفة المستضيء ، وأنه إن لَقّبَه أميرُ المؤمنين بلقب ، فهو لا يعدِل عنه ، وتأدب مع الخليفة غاية الأدب .

قال العماد : وقد كان للمسلمين لصوص يدخلون إلى خيام الفرنج فيسرقون ، فاتّفق أنّ بعضهم أخذَ صبيًّا رضيعا من مهده ابن ثلاثة أشهر ، فوجَدَت عليه أمُّه وجْداً شديدا، واشتكت إلى ملوكهم ؛ فقالوا لها : إنّ سلطان المسلمين رحيم القلب ، فاذهبي إليه ، فجاءت إلى السلطان صلاح الدين فبكتْ ، وشكت أمر ولدها ، فرَقّ لها رقّةً شديدة، ودمعت عيناه ، فأمر بإحضار ولدها ، فإذا هو بيع فى السوق ، فرسَم بدفع ثمنه إلى المشترِى ، ولم يزل واقفا حتى جيء بالغلام ، فدفعه إلى أمّه ، وحملها على فرس إلى قومها مكرّمة .

واستمرّ السلطان صلاح الدين على طريقته العظيمة ؛ من مثابرة الجهاد للكفّار ، ونشْر العدل ، وإبطال المكوس والمظالم ، وإجراء البرّ والمعروف إلى أن أصيبَ به

المسلمون ، وانتقل بالوفاة إلى رحمة الله تعالى ليلة الأربعاء سادس عشرى صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وله من العمر سبع وخمسون سنة . وعمل الشعراء فيه مراثيَ كثيرة ، من ذلك قصيدة للعماد الكاتب ، مائتان وثلاثون بيتا أولها :

شَمْلُ الهُدَى والملكِ عمّ شتاتُه ... والدّهر ساء وأقلعتْ حسناتُه[1]

بالله أين النّاصر الملك الّذى ... لله خالصــــةً صفت نيّاتُه

أيْنَ الّذى مازال سلطانًا لنــا ... يُرْجَى نَدَاه وتُتّقَى سَطَواتُه

أين الذى شرُفَ الزمانُ بفضلِهِ ... وسمت على الفضلاء تشريفاتُه

أين الّذى عنَتِ الفرنجُ لبأسِهِ ... ذُلًّا ومنهــا أدركتْ ثاراته

أغلالُ أعناق العِــدَا أسيافُه ... أطواقُ أجيادِ الوَرَى مِنَاتُه

قال العماد وغيره : لم يترك فى خزانته من الذهب سوى دينار واحد صوريٍّ وستة وثلاثين درهما ، ولم يترك داراً ولا عَقاراً ولا مَزْرَعة، ولا شيئا من أنواع الأملاك، وترك سبعة عشر ولدا ذكرا وابنة واحدة .

وكان متديّنًا فى مأكله ومشربه ومركبه وملبسه ، فلا يلبس إلا القُطْن والكتّان والصّوف ، وكان يواظب الصلاة فى الجماعة ، ويواظب سماع الحديث ، حتى أنه سمع فى بعض المصافّات جزءا وهو بين الصّفين ويتبجح بذلك ، وقال : هذا موقف لم يسمع فيه أحد حديثاً .

وبالجملة فمناقبه الحميدة كثيرة لا تُستقصى إلا فى مجلداتٍ ، وقد أفرد سيرته بالتصنيف جماعة من العلماء والزّهاد والأدباء ، وكان به عَرَج فى رجله ، فقال فيه ابن عِنَين الشاعر :

سلطاننَا أعرجٌ وكاتبُـــه ... ذو عَمَشٍ والوزير مُنْحدِبُ

---

(١) النجوم الزاهرة ٦ : ٦٠ ، وكتاب الروضتين ٢ : ٢١٥ .

قال ابن فضل الله فى المسالك : ومن غرائب الاتّفاق أن الشيخ علَم الدين السخاوىّ مدح السلطان صلاح الدين ، ومدحه الأديب رشيد الدين الفارقىّ ، وبين وفاتيهما مائة سنة .

وذكر اليافعىّ فى رَوْض الرياحين أنّ السلطان صلاح الدين كان من الأولياء الثلثمائة ، وأنّ السلطانَ محموداً كان من الأولياء الأربعين .

***

وقام بمصر من بعده ولدُه الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ، وكان نائب أبيه بها فى حياته مدّة اشتغاله بفتح البلاد الشامية ، فاستقلّ بها بعد وفاته ، فسار سيرة حسنة بعفّة عن الفرْج والأموال ، حتى إنه ضاق مابيده، ولم يبق فى الخزانة لا درهمٌ ولا دينار ، فجاءه رجل يسعَى فى قضاء الصّعيد بمالٍ فامتنع ، وقال : والله لا بعتُ دماء المسلمين وأموالَهم بملك الأرض . وسعى آخر فى قضاء الإسكندريّة بأربعين ألف دينار ، وحملها إليه فلم يقبلْها ، ولم يزل إلى أن مات فى المحرم سنة خمس وتسعين ، وله سبعٌ أو ثمان وعشرون سنة ، ودفن فى قبّة الإمام الشافعىّ .

فأقيم ولده ناصر الدين محمد ، ولقّب المنصور فاستمرّ إلى رمضان سنة ست وتسعين ، ثم استفتى عمُّ أبيه الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب بن شاذى الفقهاء فى عدم صحّة مملكته لكونه صغيرا ابن عشر سنين ، فأفتوْا بأنّ ولايته لا تصحّ ، فنُزِع وأقيم الملك العادل . وقيل إن العادل أخذها من الأفضل علىّ بن السلطان صلاح الدين ، وكان الأفضل غالب عليها ، وانتزعها من المنصور ، وأرسل العادلُ إلى الخليفة يطلب التقليد بمصر والشام ، فأرسله إليه مع الشهاب السُّهرَوَرْدىّ ، فكان يَصيف بالشام ويَشتِى بمصر ، وينتقل فى البلاد إلى أن مات يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة .

ومن قول ابن عنِّين فيه :

إنّ سلطاننا الذى نرتجيه واسعُ المال ضيّق الإنفاقِ
هو سيفٌ كما يقال ولكن قاطعٌ للرسوم والأرزاقِ

والعادل أوّلُ مَنْ سكن قلعة الجبل بمصر من الملوك ، سكنها فى سنة أربعين وستمائة، ونقل إليها أولادَ العاضد وأقاربَه فى بيتٍ فى صورة حَبْسٍ ، وكان ابنه الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالى محمد ينوب عنه بمصر فى أيام غيبته ، فاستقلّ بها بعد وفاته .

* * *

وفى هذه السنة نزلت الفِرِنْج على دمياط ، وأخذوا بُرْجَ السّلسلة، وكان حصناً منيعا ، وهو قُفْل بلاد مصر ، وصفته أنّه فى وسط جزيرة فى النيل عند انتهائه إلى البحر ؛ ومن هذا البُرْج إلى دمياط وهى على شاطىء البحر وحافّة النّيل سلسلة ، ومنه إلى الجانب الآخر ، وعليه الجسر سِلْسلة أخرى، لتمنعَ دخول المراكب من البحر إلى النيل ؛فلا يتمكّن من البلاد ، فلما ملكت الفرنج هذا البُرْج شقّ ذلك على المسلمين بديار مصر وغيرها ، ووصل الخبر إلى الملك العادل وهو بمرْج الصُّفْراء ، فتأوّه تأوّها شديدا ، ودقّ بيده على صدره أسفاً وحزنا ، ومرض من ساعته مرض الموت .

ثم فى سنة ستّ عشرة استحوذ الفِرِنْج على دمياط ، وجعلوا الجامع كنيسة لهم ، وبعثوا بمنبره وبالرّبعات ورءوس القتلى إلى الجزائر ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ! واستمرّت بأيديهم إلى سنة سبع عشرة .

وكان الكامل عرض عليهم أن يردّ إليهم بيتَ المقدس وجميع ما كان صلاح الدين فتحه من بلاد السواحل ويتركوا دمياط ؛ فامتنعوا من ذلك [1] ؛ فقدّر الله أنه ضاقتْ

---

(١) ج : « هذا » .

عليهم الأقوات ، فقدمت عليهم مراكب فيها ميرة ، فأخذها الأسطول البحرىّ ، وأرسلت المياه على أراضى دمياط من كلّ ناحية ، فلم يمكنهم بعد ذلك أنْ يتصرّفوا فى أنفسهم ، وحصرهم المسلمون من الجهة الأخرى ؛ حتى اضطروهم إلى أضيق الأماكن ، فعند ذلك أنابوا إلى المصالحة بلا معارضة ، وكان يوماً مشهودا ، ووقع الصُّلح على ما أراد الكامل ، ومدّ سماطا عظيما ، وقام راجح الحلِّىّ فأنشد :

هنيئاً فإن السّعد أضحى مخلّداً ... وقد أنجز الرّحمنُ بالنّصر موعِدَا

حبانا إله الخلق فتحاً بدَا لنا ... مبيناً وإنعاما وعِزّاً مؤيّدا

إلى أن قال :

أعُبّادَ عيسى إن عيسى وحِزْبه ... وموسى جميعاً يخدُمون محمّدا

وكان حاضرا حينئذا الملك المعظم عيسى والملك الأشرف موسى ابنا الملك العادل .

قال أبو شامة : وبلغنى أنّه لما أنشد هذا البيت ، أشار إلى الملك المعظم عيسى والأشرف موسى والكامل محمد ؛ فكان ذلك من أحسن شيء اتفق ، وتراجعت الفرنج إلى عكّا وغيرها من البلدان . قال الحافظ شرف الدين الدمياطى فى معجمه : أنشدنا أبو زكريا يحيى بن يوسف الصّرصرىّ لنفسه ببغداد ، وقد ورد كتاب من ديار مصر إلى الديوان بانتصار المسلمين على الرُّوم وفتح ثغر دمياط :

أتانا كتاب فيه نسخةُ نُصرَةٍ ... ألّخص معناها لذى فِطَنٍ جَلْدِ

يقول ابن أيّوب المعظّمُ حامداً ... لربّ السماء الواحد الصمد الفردِ

أمِيرُنا بحمد الله جلّ ثناؤه ... وعزأرى دَفْريس فى طالع السّعْدِ

تركنا من الأعلاج بالسيف مطعناً ... ثلاثين ألفا للقشاعِمِ والأسْدِ

ومنهم ألوفٌ أربعون بأسْرِنا ... فكم ملكٍ فى قبضنا صارَ كالعبدِ

ودمياط عادتْ مثل مابدأت لنـا ... ويافاً مَلَـكْناها ، فيالكَ من جَدّ!

ونحن على أن نملك السَّيف كله ... على ثقـة ممنّ له خالصُ الحمـدِ

ألا يابن أيوبٍ لقـد نلتَ غايةً ... من النّصر ضاهت مابلغتَ من المجدِ

قهرت فرنج الرُّوم قهراً سماعه ... يقسم ذلّ الرعب فى التّرك والسُّغْد (١)

ومانلتَ أسبابَ العلا عن كَلَالةٍ ... ولم يأتِكَ المجدُ المؤثّل من بُعدِ

ولكن ورِثْتَ الملك والفضل عن أبٍ ... جليلٍ وعن عمٍّ نبيلٍ وعن جَدّ

لجأتَ إلى ركن شديد ومَعْقِلٍ (٢) ... منيعٍ وكنز جامعٍ جَوْهرَ المجدِ

إلى فاتحٍ بابَ الرشـاد ببعثه ... وخاتم ميثاق النبوّة والعَهْدِ

إلى الشافعى المنجى الوجيهِ محمدٍ ... فأحسنتَ فى صدق التوجّه والقَصْدِ

فمهما تجدْ من كيد ضدٍّ مضاغنٍ ... بوجْهٍ به تظفرْ وتُنصرْ على الضدِّ

فلا صَدّ عن عزّ سوابق مجدكمْ ... كلال ولا غالَى الـكُلول شَبا الحَدِّ

إلى أن تذيق الرّوم فى عقر دارهمْ ... زُعافا وتسقى المؤمنين جَنَى الشّهد

* * *

ولما تولّى المستنصر الخلافة أرسل إلى الـكامل محيى الدين يوسف بن الشيخ أبى الفرج بن الجوزىّ ، ومعه كتاب عظيم فيه تقليده الملك ، وفيـه أوامر كثيرة مليحة من إنشاء الوزير نصير الدين أحمد بن الناقد ؛ رأيت بخط قاضى القضاة عزّ الدين بن جماعة .

قال : وقفت على نسخة تقليد من الخليفة المنصور أبى جعفر المستنصر بالله أمير المؤمنين بخط وزيره أبى الأزهر أحمـد بن الناقد فى رجب سنـة نيّف وعشرين وستمائة للملك الـكامل .

الحمد لله الّذى اطمأنّتْ القلوب بذكره ، ووَجَب على الخلائق جزيل حمده وشكره

---

(١) ط : « السغد » ، تحريف .

(٢) ط : « معمل » تحريف .

ووسعت كلَّ شيء رحمته ، وظهرت فى كل أمر حكمته ، ودلّ على وحدانيته بعجائب ما أحكم صنعاً وتدبيرا ، وخَلَق كلَّ شيء فقدّره تقديرا ، محمدّ الشاكرين بنعمائه التى لاتُحصى عددا ، وعالم الغيب الّذى لايُظهِر على غيبه أحداً ؛ لامعقّب لحكمه فى الإبرام والنقص ، ولا يئوده حفظُ السموات والأرض ، تعالى أن يحيطَ به الضّمير ، وجلّ أن يبلغَ وصفَه البيانُ والتفسير ؛ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

وأحمد الله الذى أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، وابتعثه هادياً للخلق ، وأوضح به منـاهج الرّشد وسُبُل الحقّ ، واصطفاه مِن أشرف الأنساب وأعزّ القبائل ، وجعله أعظم الشُّفعاء وأقربَ الوسائل ، فقذف صلى الله عليه وسلم بالحقّ على الباطل ، وحمل النّاس بشريعته على الحجّة البيضاء والسَّنن العادل؛ حتى استقام اعوجاجُ كلِّ زائغ، ورجع إلى الحقّ كلّ حائد عنهومائل، وسجد للهِ كلّ شىء تتفيّأ ظلاله على اليمين والشمائل ؛ صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام الأفاضل ، صلاةً مستمرّةً بالغَدَوات والأصائل ، خصوصا على عمّه وصِنْو أبيه العباس بن عبدالمطلب الّذىاشتهرت مناقبه فىالجامع والمحافل، ودَرّتْ ببركةاستسقائه[1] أخلافُ السّحب الهَوَاطل ، وفاز من تنصيص الرسول صلى الله عليه وسلم فى الخلافة المعظّمة بما لَم يفُزْ به أحد من الأوائل .

والحمد لله الذى حاز مواريثَ النبوّة والإمامة ، ووفّر من جزيل الأقسام من الفضل والكرامة، لعبده وخليفته ، ووارث نبيّه ومُحيي شريعته وسنّته .

ولمّا وفّق الله نصير الدين محمد بن سيف الدين أبى بكر بن أيوب من الطاعة المشهورة ، والخدم المشكورة ، أنعم عليه بتقليد شريف إمامىّ ، فقلّده على خيرة الله الرّعاية والصلاة وأعمال الحرب والمعاون والأحداث والخراج والضياع والصّدقَات والجوالى وسائر وجوهِ الجبايات ، والقرْض والعطاء ، والنفقة فى الأولياء ، والمظالم

(١) صبح الأعشى : « الاستسقاء به » .

والحسبة فى بلاده ، وما يفتتحه ويستولى عليه من بلاد الفرنج اللاعين ، وبلاد مَنْ تبرز إليه الأوامر الشريفة بقصده من المارقين عن الإجماع المنعقد بين علماء المسلمين . ومنه أمره بتقوى الله تعالى التى هى الجنّة الواقية ؛ والنعمة الباقية ، والملجأ المنيع ، والعماد الرفيع ، والذّخيرة النافعة فى السرّ والنّجوى ، والجذوة المقتبسة من قوله تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فإنّ خَيْرَ الزّادِ التقوى ﴾ (١)؛ وأن يدرع شعارها فى جميع الأقوال ،ويهتدى بأنوارها من مشكلات الأمور والأحوال ، وأن يعمل بها سرّاً وجهرا ، ويشرح للقيام بحدودها الواجبة صدراً ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهُ يكفِّرْ عنه سيئاته ويعظم له أجرا ﴾ (٢)، وأمره بتلاوة كتاب الله تعالى ، متدبراً غوامض عجائبه ، سالكاً سبيل الرشاد ، والهداية فى العمل به ، وأن يجعله مثالاً يتّبعه ويقتفيه ، ودليلا يهتدى بمراشده الواضحة فى أوامره ونواهيه ؛ فإنه النّقل الأعظم ، وسبب الله المحكم ، والدّليل الذى يهدِى للتى هى أقوَم ؛ ضرَب الله فيه لعباده جوامع الأمثال ، وبيّن لهم بُهداه مسالك الرّشد والضّلال ، وفرّق بدلائله الواضحة ونواهيه الصادقة بين الحرام والحلال ، فقال عزّ مِنْ قائلٍ : ﴿ هذا بيانٌ للناسِ وهُدًى وموعظةٌ للمتقين ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ كِتابٌ أنزلناه إليك مباركٌ ليدبروا آياته وليتذكّر أولوا الألباب ﴾ (٤) .

وأمره بالمحافظة على مفروض الصّلوات والدخول فيها على أكمل هيئة من قوانين الخشوع والإخبات ، وأن يكون نظره فى موضع نجواه من الأرض ، وأن يمثل لنفسه فى ذلك موقفه بين يدى الله تعالى يوم العرْض ، قال تعالى : ﴿ والذين هم فى صلاتهم خاشعون ﴾ (٥) ، وقال سبحانه : ﴿ إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا ﴾ (٦)

---

(١) سورة البقرة ١٩٧ .
(٢) سورة الطلاق ٥ .
(٣) آل عمران ١٣٨ .
(٤) سورة ص ٢٩ .
(٥) سورة المومنون ٢ .
(٦) سورة النساء ١٠٣ .

وألّا يشتغل بشاغل عن أداء فروضها الواجبة ، ولا يلهو بسببٍ عن إقامة سنتها الراتبة ، فإنها عماد الدّين التى سمت أعاليه ، ومهاد الشّرع الذى رست قواعده ومبانيه ، قال تعالى : ﴿حافظوا على الصّلوات والصلاة الوُسطى وقُومُوا لله قانتين﴾ [١]، وقال تعالى : ﴿إنّ الصّلاةَ تَنْهَى عن الفحشاء والمنكر﴾ [٢] .

وأمره أن يسعى إلى صلاة الجُمَع والأعياد ، ويقوم فى ذلك بما فرضه الله عليه وعلى العباد ، وأن يتوجّــه إلى المساجد والجوامع متواضعاً ، ويبرز إلى المصلّياتِ الضاحية فى الأعياد خاشعا ، وأن يحافظ فى تشييد قواعد الإســلام على الواجب والمندوب ، ويعظّمَ باعتماده ذلك شعائر الله التّى هى من تقوى القلوب .

وأن يشمَل بوافر اهتمامه واعتنائه ، وكمال نظره وإرعائه ، بيوتَ الله التى هى محالّ البركات ، وموطن العبادات ، والمساجد التى تأكّد فى تعظيمها وإجلالها حكمُه ، والبيوت التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمُه ، وأن يرتّب لها من الخدم مَنْ يتبتّل لإزالة أدناسها ، ويتصدّى لإذكاء مصابيحها فى الظــلام وإيناسها ، ويقوم لهـا بمـا يحتاج إليه من أسباب الصلاح والعمارات ، ويحضر إليها ما يليق من الدّهن والكسوات .

وأمره باتّباع سنة رسول الله صلّى الله عليه وسلم التّى أوْضح جَدَدها ، وثقّف عليه السلام أوَدَها ، وأن يعتمِد فيها على الأسانيد التّى نقلتها الثقات ، والأحاديث التّى صحّت بالطرق السليمة والروايات ، وأن يقتدىَ بما جاءت به من مكارم الأخلاق التّى ندب صلّى الله عليه وسلم إلى التمسك بسببها ، ورغّب أمته فى الأخذ بها والعمل بأدبها ،

---

(١) سورة البقرة ٢٣٨ .   (٢) سورة العنكبوت ٤٥ .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسولُ فخذوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عنه فانتهوا ﴾ [1] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فقد أطاع الله ﴾ [2] .

وأمره بمجالسة أهل العلم والدين ، وأولى الإخلاص فى طاعة الله واليقين ، والاستشارة بهم فى عوارض الشكّ والالتباس ، والعمل بآرائهم فى التمثيل والقياس ؛ فإنّ فى الاستشارة بهم عين الهداية ، وأمناً من الضلال والغواية ، وألّا يلقح عقم الأفهام والألباب ، ويقتدح زناد الرشد والصواب ، قال الله تعالى فى الإرشاد إلى فضلها ، والأمر فى التمسك بحبلها : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فى الأمر ﴾ [3] .

وأمره بمراعاة أحوال الجند والعسكر فى ثغوره ، وأن يشملهم بحسن نظره وجميل تدبيره ، مستصلحاً شأنهم بإدامة التلطّف والتعهّد ، مستوضحا أحوالهم بمواصلة التفحّص عنها والتفقّد ، وأن يسوسهم بسياسة تبعثهم على سلوك المنهج السليم ، ويهديهم فى انتظامها واتساقها إلى الصراط المستقيم ، ويحملهم على القيام بشرائط الخدَم ، والتمسّك منها بأقوى الأسباب وأمتن العِصَم ، ويدعوهم إلى مصلحة التواصل والائتلاف ، ويصدّهم عن موجبات التخاذل والاختلاف ، وأن يعتمد فيهم شرائط الحزْم فى الإعطاء والمنع ، وما تقتضيه مصلحة أحوالهم من أسباب الخفض والرفع ؛ وأن يثيب المحسن منهم على إحسانه ، ويسبل على المسىء ما وسعه العفو واحتمل الأمر ذيلَ صفحه وامتنانه ، وأن يأخذ برأى ذوى التجارب منهم والحُنكة ، ويجتنى بمشاورتهم ثمر البَرَكة [4] ؛ إذ فى ذلك أمنٌ مِنْ خطأ الانفراد ، وتزحزح عن مقام الزَّيْغ والاستبداد .

وأمره بالتبتّل لما يليه من البلاد ، ويتصل بنواحيه من ثغور أولى الشِّرك والعِناد ؛ وأن يصرِف مجامع الالتفات إليها ، ويخصّها بوفور الاهتمام بها والتطلع عليها ، وأن

(١) سورة الحشر ٧ .
(٢) سورة النساء ٨٠ .
(٣) سورة آل عمران ١٥٩ .
(٤) صبح الأعشى : « الشركة » .

يشمل ما ببلاده من الحصون والمعاقل بالإحكام والإتقان ، وينتهى فى أسباب مصالحها إلى غاية الوسع والإمكان ، وأن يشحنها بالميرة الكثيرة والذخائر ، ويمدّها من الأسلحة والآلات بالعدد المستصلح الوافر ، وأن يتخيّر لحراستها من الأمناء الثقات[1] ، ويسدّها بمن ينتخبه من الشجعان الكماة ، وأن يؤكّد عليهم فى استعمال أسباب الحَيْطة والاستظهار ، ويوقظهم إلى الاحتراس من غوائل الغَفْلة والاغترار ، وأن يكون المشار إليهم ممن تربّوْا فى ممارسة الحروب على مكافحة الشدائد ، وتدرّبوا فى نصب الحبائل للمشركين والأخذ عليهم بالمراصد ، وأن يعتمد هذا القبيل بمواصلة المدد ، وكثرة العَدَد ، والتّوسعة فى النفقة والعطاء ، والعمل معهم بما يقتضيه حالهم وتفاوتهم فى التقصير والغَناء ، إذ فى ذلك حَسْمٌ لمادة الأطماع فى بلاد الإسلام ، ورَدٌّ لكَيْد[2] المعاندين من عَبَدة الأصنام ؛ فمعلوم أنّ هذا الفرض أوْلى ما وُجِّهت إليه العنايات وصُرِفتْ ، وأحقّ ما قَصُرَتْ عليه الهِمَم ووقفتْ ؛ فإن الله تعالى جعله من أهم الفروض التى لزم القيام فيها بحقّه ، وأكبر الواجبات التى كتب العمل بها على خلقه ، فقال سبحانه وتعالى هاديا فى ذلك إلى سبيل الرشاد ، ومحرّضاً لعباده على قيامهم له بفرض الجهاد : ﴿ ذَلِكَ بأنّهُمْ لا يُصيبهم ظمأ ولا نصبٌ ... ﴾ ، إلى قوله تعالى : ﴿ ليجزيَهُم اللهُ أحسن ما كانوا يعملون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَاقْتُلوهمْ حيث ثَقِفتموهم ﴾[3] ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « مَنْ نزل منزلا يُخيف فيه المشركين ويُخيفونه ، كان له كأجرِ ساجدٍ لا يرفع رأسه إلى يوم القيامة ، وأجرِ قائم لا يقعد إلى يوم القيامة ، وأجر صائم لا يفطر » . وقال صلى الله عليه وسلم : « غَدْوة فى سبيل الله أو رَوْحة خير مما طلعت عليه الشمس » ، هذا قوله صلى الله عليه وسلم فى حق من سمع هذه المقالة فوقف لديها ، فكيف بمن كان قال

---

(١) صبح الأعشى : « النقاه » . (٢) ح ، ط : « لكثير » ، وصوابه من الأصل وصبح الأعشى.
(٣) سورة البقرة ١٩١ .

عليه السلام : « ألا أخبركم بخير النّاس! ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله، كلّما سمع هيْعةً طار إليها » .

وأمره باقتفاء أوامر الله تعالى فى رعاياه ، والاهتداء إلى رعاية العدل والإنصاف والإحسان بمراشده الواضحة ووصاياه ؛ وأن يسلك فى السياسة بهم سبيل الصّلاح ، ويشملهم بلين الكنف وخفْض الجناح ، ويمد ظلّ رعايتهم على مسلمهم ومعاهدهم ، ويزحزح الأقذاء والشوائب عن مناهلهم فى العدل ومواردهم ، وينظر فى مصالحهم نظراً يساوى فيه بين الضعيف والقوىّ ، ويقوم بأودهم قياماً تهتدى به ويهديهم إلى الصراط السوىّ ؛ قال الله تعالى :﴿ إنَّ الله يأمُر بالعَدْلِ والإحسان . . . ﴾[1] الآية .

وأمره باعتماد أسْباب الاستظهار والأَمَنَة واستقصاء الطاقة المستطاعة والقدرة الممكنة ، فى المساعدة على قضاء تفث حُجّاج بيت الله الحرام ، وزوّار نبيّه عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأن يمدّهم بالإعانة فى ذلك على تحقيق الرجاء وبلوغ المرام ، ويحرسهم من التخطف والأذى فى حالتى الظّعن والمقام ؛ فإن الحج أحدُ أركان الدين المشتدة ،وفروضه الواجبة المؤكّدة ، قال تعالى : ﴿ ولله عَلَى النّاس حِجّ البيتِ مَن اسْتَطَاع إليه سبيلا ﴾[2] .

وأمره بتقوية أيدى العاملين بحكم الشّرع فى الرّعايا، وتنفيذ مايصدر عنهم من الأحكام والقضايا ، والعمل بأقوالهم فيما يثبت لذوى الاستحقاق ، والشدّ على أيديهم فيما يرونه من المنع والإطلاق ، وأنّه متى تأخّر أحدُ الخصمين عن إجابة داعى الحكم ، أو تقاعس فى ذلك لما يلزم من الأداء والغُرْم ، جذبه بعنان القَسْر إلى مجلس الشّرْع ، واضطره بقوّة الأنصار إلى الأداء بعد المنع ، وأن يتوخّى عمّال الوقوف الّتى تقرّب المتقربون بها ،

---

(١) سورة النحل ٩٠ .

(٢) سورة الحج ٩٧ .

واستمسكوا فى ظلّ ثواب الله بمتين سببها ، وأنْ يمدَّهم بجميل المعاونة والمساعدة ، وحُسْن المؤازرة والمعاضدة ، فى الأسباب التى تُؤذِن بالعِمارة والاستنماء ، ويعود عليها بالمصلحة والاستخلاص والاستيفاء ، قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا على البِرِّ والتقوَى﴾[1] .

وأمره أن يتخيَّر من أولى الكفاية والنزاهة من يستَخلِصه للخدم والأعمال ، والقيام بالواجب؛ من أداء الأمانة والحراسة والتمييز لبيت المال ، وأنْ يكونوا من ذوى الاطّلاع بشرائط الخدم المعيّنة وأمورها ، والمهتدين إلى مسالك صلاحها[2] .

قال الصلاح الصَّفَدِىّ فى تاريخه : حكى صاحب كتاب الإشعار بما للملوك من النوادر والأشعار ، قال : كان الملك الكامل ليلة جالسا فدخل عليه مظفّر الأعمى ، فقال له أجزْيا مظفّر :

* قد بلغ الشوقُ منتهاهُ *

فقال مظفّر :

* وما درى العاذلون ماهو *

فقال السّلطان :

* ولى حبيب رأى هوانى *

فقال مظفّر :

* وما تغيّرتُ عن هواه *

فقال السّلطان :

* رياضة النفس فى احتمالٍ *

فقال مظفّر :

* وروضةُ الحسن فى حُلَاهُ *

---

(١) سورة المائدة ٢ . (٢) العهد فى صبح الأعشى ١ : ٩٩ — ١١١ مع حذف واختصار .

فقال السلطان :

* أسمرُ لَدْنُ القوام ألْمَى *

فقال مظفّر :

* يعشقُــه كُلُّ مَن يراهُ *

فقال السُّلطان :

* وريقُــه كلّه[1] مُدامٌ *

فقال مظفر :

* ختامُهُ المسك مِنْ لَمَاهُ *

فقال السلطان :

* ليلته كلُّهــا رقادٌ *

فقال مظفّر :

* وليلتِي كلُّهــا انتباهُ *

فقال السلطان :

* وما يرى أن أكون عبداً *

فقام مظفّر على قدميه ، وقال :

* بالملِكِ الكامل احتَماه *

العــالم العاملُ الذى فى كلِ صـــلاة ترى لإيّاهُ

ليثٌ وغيثٌ وبدْر تمٍّ ومنصب جَــلّ مرتقاه

قال الحافظ عبد العظيم المنذرىّ : أنشأ الملك الكامل دارَ الحديث بالقاهرة ، وعَمّر القبّة على ضريح الشافعىّ ، وأجرى الماء من بركة الحبَش إلى حوض السبيل والسّقاية على باب القبّة المذكورة ، ووقف غيرذلك من الوقوف على أنواع البِرّ ، وله المواقف المشهودة

(١) ج ، ط : « كلها » ، والصواب ما أثبته من الأصل .

بدمياط ، وكان معظّماً للسّنة وأهلها، قال الذهبيّ : وكانت له إجازة من السِّلَفِيّ ، وخرّج له أبو القاسم بن الصَّفراويّ أربعين حديثاً سمعها من جماعة .

وقال ابن خَلِّكان : اتّسعت المملكة للملك الكامل ، حتى قال خطيب مكّة مرة عند الدعاء له : سلطان مكة وعبيدِها ، واليمن وزَبيدِها ، ومصر وصعيدِها ، والشام وصناديدِها ، والجزيرة ووليدِها ، سلطان القِبلتيْن ، وربّ العلامتين ، وخادم الحَرَميْن الشريفين ، الملك الكامل أبو المعالى ناصر الدين محمد خليل أمير المؤمنين .

وكانت وفاته بدمشق يوم الأربعاء حادِى عشرِى رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة.

***

وأقيم بعده ولده الملك العادل أبو بكر ، وكان نائب أبيه بمصر مدّة غيبته، فبلغ ذلك أخاه الأكبر الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل صاحب حصن كَيْفا ، فقدِم ، وبرز العادل إلى بِلْبِيس قاصدًا للقتال ، فاختلفت عليه الأمراء ، فقيّدوه واعتقلوه ، وأرسلوا إلى الصالح أيّوب فوصل إليهم ، فملّكوه ، وذلك فى صفر سنة سبع وثلاثين . فأقام فى الملك عشر سنين إلّا أربعةَ أشهر . وكان مهيباً جدًّا، دَبّر المملكة على أحسن وجه ، وبنى المدارس الأربعة بين القَصْرَيْن ، وعمّر قلعةً بالروضة ، واشترى ألفَ مملوك وأسكنهم بها ، وسمّاهم البحريّة ، وهو الذى أكثر من شراء الترك وعِتْقِهم وتأميرهم ، ولم يكن ذلك قبله ، فقام الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام القوْمَة الكبرَى فى بيع أولئك الأمراء ، وصرف ثمنهم فى مصالح المسلمين، وقال بعض الشعراء :

الصالحُ المرتضى أيّوبُ أكثَرَ مِنْ ترْكٍ بدولته ، ياشَرَّ مجلوبِ !

قد آخـذ اللهُ أيوبًا بفَعلتِه فالنّاسُ كلّهمُ فى ضُرّ أيوبِ

***

ولما تولّى الخليفة المستعصم أنفذ الصالح إليه رسولَه ، يطلب تقليدًا بمصر والشام ، فجاءه التشريف والطّوق الذهب والمركوب ، فلبس التشريف الأسود والعمامة والجُبّة ، وركب الفرس ، وكان يوما مشهودا .

فلما كان سنة سبع وأربعين ، هجمت الفرنج على دِمْياط ، فهرب مَنْ كان فيها ، واستحوذوا عليها ، والملك الصالح مقيم بالمنصورة لقتالهم ، فأدركه أجلُه ومرض ومات بها ليلة النصف من شعبان . فأخفَتْ جاريته شجر الدرّ موتَه ، وبقيت تعلِم بعلامته سواه ، وأعلمت أعيان الأمراء ، فأرسلوا إلى ابنه الملك المعظم تُوران شاه وهو بحصْن كيْفا ، فقدم فى ذى القعدة ، وملّكوه ، فركب فى عصائب الملك ، وقاتل الفرنج وكسَرهم ، وقتل منهم ثلاثين ألفا ولله الحمد .

وكان فى عسكر المسلمين الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام ، وكانت النّصرة أولا للفرنج ، وقويت الرّيحُ على المسلمين ، فقال الشيخ عزّ الدين بأعلى صوته مشيرا بيده إلى الريح : ياريح خذِيهم ، عدّة مرار ، فعادت الريح على مراكب الفرنج فكسرتْها ، وكان الفتح ، وغرق أكثر الفرنج ، وصرخ من المسلمين صارخ : الحمد لله الّذِى أرانا فى أمّة محمد صلى الله عليه وسلم رجلًا سخَّر له الريح ، وكان ذلك فى يوم الأربعاء ثالث المحرّم . وأُسِر الفرنسيس ملك الفرنج ، وحُبِس مقيّدا بدار ابن لقمان ، ووكل بحفظه طواشى يقال له صبيح . ثم نفرت قلوب العسكر من المعظم لكونه قرّب مماليكه ، وأبعد مماليك أبيه ، فقتلوه فى يوم الاثنين سابع عشر المحرم وداسُوه بأرجلهم ، وكانت مملكته شهرين .

قال ابن كثير وقد رئَىَ أبوه الصالح فى النوم بعد قتل ابنه ، وهو يقول :

قتلوه شرّ قِتْلَهْ صَـارَ للعالم مُثْلَهْ

لم يراعُوا فيــه إلًّا لا ولا مَنْ كان قَبْلَهْ

ستراهم عن قريبٍ لِأقلِّ الناس أكلَهْ

فــكان كذلك ، وقع بعد ذلك قتال بين المصريين والشاميّين ، وعدم من المصريين طائفة كثيرة[1] .

* * *

واتفقوا بعــد قتل المعظّم على توليةِ شجر[2] الدرّ أم خليــل جارية الملك الصالح ، فملّــكوها ، وخُطِب لها على المنابر ، فــكان الخطباء يقولون بعد الدعاء للخليفة : واحفظ اللهمّ الجهة الصالحة ملــكة المسلمين ، عصمة الدّنيا والدّين، أمّ خليل المستعصميّة ، صاحبة السلطان الملك الصالح . ونقِش اسمهــا على الدينار والدرهم ، وكانت تُعلِم على المنــاشير وتــكتب : والدة خليل . ولم يل مصرَ فى الإسلام امرأة قبلها .

ولمّا وليتْ تــكلّم الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام فى بعض تصانيفه على ما إذا ابتُلِيَ المسلمون بولاية امرأة ، وأرسل الخليفة المستعصم يعاتبُ أهلَ مصر فى ذلك ويقول : إن كان ما بقِيَ عندكم رجلٌ تولّونه، فقولوا لنا نرسل إليكم رجلًا.

ثم اتّفقت شجر الدّرّ والأمراء على إطلاق الفرنسيس ، بشرط أن يردّوا دمياط إلى المسلمين ، ويعطَوْا ثمانمائة ألف دينار عوضاً عمّا كان بدمياط من الحواصل ، ويطلقوا أسَرَاء المسلمين . فأطلق على هذا الشَّرْط ، فلمّا سار إلى بلاده أخذ فى الاستعداد والعوْد إلى دمياط ، فندِمت الأمراء على إطــلاقه ؛ وقال الصاحب جمــال الدين بن مطروح — وكتب بها إليه :

---

(١) البداية والنهاية ١٣ : ١٨٠ ، قال فى آخر الخبر : « فنهم الشمس لؤلؤ مدبر ممالك الحلبيين وكان من خيار عباد الله الصالحين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر » .

(٢) كذا ورد اسمها فى الأصل ، وهو الصواب ، وفى ح ، ط : « شجرة الدر » .

قلْ للفرنسيس إذا جئتَــه ... مقالَ صِدْقٍ من قؤول نصيحْ[1]

آجرَكَ اللهُ على ماجرَى ... من قتـل عُبّادِ يسوعَ المسيحْ

أتيت مصرَ تبتغى مُلْـكَهَا ... تحسب أن الزّمر بالطّبلِ ريحْ[2]

فســاقك الحَيْنُ إلى أدهمٍ ... ضـاق به عن ناظريْك الفسيحْ

وكلّ أصحـابك أودعتَهم ... بحسن تدبيرك بطنَ الضّريحْ

تسعين ألفًا لاترى منهمُ[3] ... إلّا قتيـلًا أو أسيرًا جَرِيحْ

وفّقك الله لأمثالهـــــا ... لعلّ عيسى منـكمُ يستريحْ

إن كان باباكمْ بذَا رَاضيًا ... فرب غِشٍّ قد أتَى من نَصيحْ

وقـل لهمْ إن أضمروا عودةً ... لأخــــذ ثأرٍ أو لعقد صحيحْ :

دارُ ابن لقمانَ على حالِهـــــا ... والقيد باقٍ والطّواشى صَبيحْ

فلم ينشب الفرنسيس أن أهلكه الله ، وكفى المسلمين شرّه ، وأقامت شجر الدرّ فى المملكة ثلاثة أشهر ، ثم عزلت نفسها . واتفقوا على أن يملّكوا الملك الأشرف موسى بن صلاح الدين يوسف بن المسعود بن الملك الكامل ، فملّكوه وله ثمان سنين، وذلك فى يوم الأربعاء ثالث جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين . وجُعل عزّ الدين أيبك التركمانىّ مملوك الصالح أتابكه[4] ، وخُطِب لهما ، وضُربت السكّة باسميهما ، وعظم شأن الأتراك من يومئذ ،ومدّوا أيديَهم إلى العامّة ، وأحدث وزيره الأسعد الفائزىّ ظلاماتٍ ومكوسا كثيرة :

(١) النجوم الزاهرة ٦ : ٣٧٠ .

(٢) النجوم الزاهرة : « يا طبل ريح » .

(٣) النجوم الزاهرة : «خمسون ألفا » .

(٤) يطلق هذا اللفظ على مقدم العساكر أو القائد العام ، وهو لفظ تركىّ أصله : « أطابك » .

ثم إنّ عز الدين خلع الملك الأشرف واستقلّ بالسلطنة فى سنة اثنتين وخمسين ، ولُقِّب الملك المعزّ ؛ وهو أول مَنْ ملك مصر من الأتراك ، وممّن جرى عليه الرّقّ ، فلم يرض النّاسُ بذلك حتى أرضى الجند بالعطايا الجزيلة . وأمّا أهلُ مصر فلم يرضوْا بذلك ، ولم يزالوا يُسمِعونه ما يكره إذا ركب ويقولون : لانريد إلا سلطانا رئيسا ولد على الفطرة ، وكان المعزّ تزوّج شجر الدّر .

ثم إنه خطب ابنة صاحب الموصل ، فغارت شجر الدّر فقتلتْه فى أواخر ربيع الأول سنة خمس وخمسين ، وأقيم بعده ولده علىّ ولُقِّب المنصور ، وعمره نحو خمس عشرة سنة ، فأقام سنتين وثمانية أشهر ، وفى أيامه أخذ التتارُ بغدادَ ، وقتِل الخليفة .

ثم إنّ الأمير سيف الدين قُطُز مملوك المعزّ قبضَ على المنصور ، واعتقله فى أواخر ذى القعدة سنة سبع وخمسين ؛ وتملّك مكانه ، ولُقِّب بالملك المظفَّر بعد أن جمع الأمراء والعلماء والأعيان ، وأفتوْا بأن المنصور صبىّ لا يصلح للملك، لا سيّما فى هذا الزمان الصعب الذى يحتاج إلى ملك شهم مطاع لأجل إقامة الجهاد ، والتتارُ قد وصلوا البلادَ الشاميّة ، وجاء أهلها إلى مصر يطلبون النّجدة ؛ وأراد قُطُز أنْ يأخذ من الناس شيئاً ليستعين به على قتالهم ؛ فجمع العلماء ، فحضر الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام ، فقال : لا يجوز أن يؤخذ من الرعيّة شىء حتى لا يبقى فى بيت المال شىء ، وتبيعوا مالكم من الحوائص والآلات ، ويقتصر كلٌّ منكم على فرسه وسلاحه ، وتتساووْا فى ذلك أنتم والعامة . وأما أخذُ أموال العامّة مع بقاء ما فى أيدى الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا . ولم يكن قُطُز هذا مرقوقَ الأصل ، ولا من أولاد الكفر .

قال الجزرىّ فى تاريخه : كان قطز فى رقّ ابن الزعيم ، فضربه أستاذه فبكى ، فقيل له : تبكى من لَطْمة ! فقال : إنما أبكى من لَعْنة أبى وجدّى ، وهما خير منه ، فقيل :

مَنْ أبوك ! واحد كافر . قال : ما أنا إلا مسلم ، أنا محمود بن مودود بن أخت خوارزم شاه من أولاد الملوك .

وخرج المظفر بالجيوش فى شعبان سنة ثمان وخمسين متوجِّهاً إلى الشام لقتال التتار وشاويشه[1] ركن الدين بيبرْس البُنْد قدارِىّ ، فالتقوْا هم والتتار عند عين جالوت، ووقع المصافّ يوم الجمعة خامس عشرى رمضان ، فهزِم التتار شرّ هزيمة ، وانتصر المسلمون ولله الحمد ، وجاء كتاب المظفّر إلى دمشق بالنصر ، فطار الناس فرحاً ، ثم دخل المظفر إلى دمشق مؤيداً منصورا ، فأحبّه الخلق غاية المحبة ، وقال بعض الشعراء فى ذلك :

هَلَكَ الكفرُ فى الشآم جميعاً　　واستجدّ الإسلام بعد دُحُوضِه[2]

بالمليك المظفّر الملك الأرْ　　وعِ سيفِ الإسلامِ عند نهوضِه[3]

وقال الإمام أبو شامة رحمه الله فى ذلك شعرا :

غَلَبَ التتَّار على البلاد فجاءهمْ　　من مصر تركىٌّ يجودُ بنفسِهِ

بالشّام أهلكهمْ وبدّد شملهمْ　　ولكلِّ شىء آفة من جنسِه

وساق بيبرس وراء التتار إلى حلب ، وطردهم عن البلاد، ووعده السلطان بحلب . ثم رجع عن ذلك ، فتأثّر بيبرس ووقعت الوحشة بينهما ، فأضمر كل لصاحبه الشرّ ، فاتفق بيبرس مع جماعة من الأمراء على قتل المظفّر ، فقتلوه فى الطريق فى سادس عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين بين العرابى والصالحية ، وتسلْطَن بيبرس، ولقّب بالملك القاهر ، ودخل مصر وأزال عن أهلها ما كان المظفّر أحدثه عليهم من المظالم ، وأشار عليه الوزير زين الدين أن يغيّر هذا اللقب ، وقال : ما تلقّب به أحد فأفلح ؛ فأبطل السلطان هذا اللقب، وتلقّب بالملك الظاهر .

---

(١) الشاويش ، أو الجاويش : لفظ تركى، وكان من وظيفة الجاوشية أيام المماليك السير أمام السلطان فى مراكبه .

(٢) النجوم الزاهرة ٧ : ٨٢

(٣) فى الأصول : « دحوضه » ، تحريف .

[أرجوزة الجزار فى الأمراء المصرية]

وقد نظم الأديب جمال الدين المصرى المعروف بالجزار الشاعر المشهور أرجوزة سماها « العقود الدرية فى الأمراء المصرية » ، ضمّنها أمراء مصر من عمرو بن العاص إلى الملك الظاهر ، هذا فقال :

الحمدُ لله العلىّ ذكرُه ... ومَنْ يفوقُ كلَّ أمرٍ أمرُهُ
أحمَدُه وهُوَ ولّى الحمدِ ... على توالِى برِّهِ والرِّفْدِ
ثم الصّلاةُ بعد هذا كلِّهِ ... على أجلّ خلقِه ورُسْلِهِ
محمّدٍ خير بنى عدنانِ ... ومَنْ أتاه الوحْىُ بالتّبيانِ
دامتْ عليه صلوات رَبِّهِ ... ثمّ على عِترته وصَحْبِهِ
ياسائِلى عن أمراء مصرِ ... منذ حباها عُمَرٌ لعمرِو
خذ من جوابى مايزيل اللّبْسَا ... واحفظه حفظَ ذاكرٍ لا يَنْسَى
أوّلُ مَنْ كان إليه الأمْرُ ... مفوّضاً بعد الفتوح عمرُو
وابن أبى سَرْح تولّى أمرَها ... وقيسُ ساس نفعَها وضُرَّها
ثم تولّى النّخَعِىُّ الأشترُ ... وابن أبى بكر كما قد ذَكَرُوا
ثم أعيدتْ بعده لعمرِو ... ثانيةً وعُتْبَةٍ فى الإثْرِ
وعُقْبة ثم الأمير مَسْلَمَهْ ... وابن يزيدَ وهو نَجْلُ عَلْقَمَهْ
ثم تولّى الأمرَ عبدُ الرّحمٰنْ ... وبعده تأمّر ابنُ مَرْوانْ
إذ كان ولّاها لهُ أبُوهُ ... وهْو بمصر حَوْلَهُ ذَوُوهُ
ثم لعبد الله تعزَى الإمْرَهْ ... وبعده نجل شريك قُرّهْ

ثم تولّى بعــده عبد الملكْ نَقْلاً صحيحاً غير نقلِ مؤتفكْ
وابن شُرَحبيلَ الأمير أيوبْ وبشرٌ فالأمر إليه منسوبْ
ثم أخو بشرٍ الأمير حنظَلَهْ ثم غــدَا محمدٌ والأمْرُ لَهْ
والحرّ نجل يوسفٍ وحَفْصُ من بعــده جاء بذاك النَّصُّ
ثم فتى رفاعــةٍ عبد الملكْ ثم الوليد صنوُه كلّ مَلِكْ
ثم ابنُ خالدٍ بعــدَ تاليَهْ ثمّ ابنُ صفوانٍ تولّى ثانيهْ
وحفصُ قد عاد إليها والياً وقام حسّانُ الأمير تالياً
ثم تولّى حفصُ وهى الثالثهْ وابنُ سهيل جاء فيها وارثهْ
وابن عُبيدٍ واسمه المغــيرهْ دبَّر إقليماً غــدا أميرَهْ
ثم ابن مروانَ ولىّ الحكم وكان للدولة أىَّ خَتْمِ
وصالح أوّلُ مَنْ تولّى ثم ابنُ عونٍ وهو نعم المولَى
ثم أُعيدَ صالحٌ لمصرِ ثانيةً بنهيــه والأمْرِ
ثم أبو عونٍ لها أُعيــدا ثانيةً وأدرَك المقصودَا
وجاء موسى بعده ابنُ كعبِ محكّماً فى سِلْمِها والحربِ
ثم أتى محمدُ بن الأشعثِ فاسمع لمــا حدثته وحَدِّث
ثم حميدٌ وهو إبن قَحْطَبَهْ ثم يزيد نال أيضا منصِبَهْ
وقام عبد الله فيهــا يحمَدُ ثمّ أخوه بعده محمّــدُ
ثم غــدا الأمير موسى بن علِى وبعده عيسى بن لقمان وَلِى
وواضحٌ وكان مولَى المنصورْ وبعد ذاك ابن يزيد منصورْ
وجاء يحيى بعــده ابنُ ممدودْ وسالم فى الأمراء معــدودْ
وبعده أُبراهيم نجــل صالحِ ولم يزل ينظر فى المصالحِ

وجاء موسى وهو نجل مُصْعَبِ   وبعده أسامةٌ بها حُبِى

والفضل نجـــلُ صالح أيضا وَلِى   وبعده نجل سليمانٍ على

ثم حَوَى موسى بن عيسى حرمَهْ   ثم تولّاها ابن يحيى مسلمهْ

وابن زهـــير واسمه محمّـدُ   وجاء داودٌ وهـــذا مسنَدُ

وجاء موسى نجـــل عيسى ثانيَهْ   ونال فى إمرتها أمانيـهْ

كذاك إبراهيم أيضا وُلِّى   فيها كما قد قيل بعد العَزْلِ

وحاز عبد الله منهـا الآفَاقْ   وابن سليمان المسمى إسحاقْ

ثم أتى هرثمةٌ وهو الملكْ   وبعده ابنُ صالحٍ عَبْدُ الملكْ

ثم عُبَيْدُ الله نجـــل المهدِى   وكان ربَّ حَلِّهـــا والعَقْدِ

وبعـــده موسى بن عيسى ثالثهْ   حتى رأى من دَهْرِه حوادِثهْ

ثم عُبيد الله نجـــل المهدِى   ثانيةً فى حَلِّها والعقْدِ

وجاء إسماعيلُ نجل صالحِ   يأمر فى الغادى بها والرّائحِ

وبعده سَمِيُّهُ ابن عيسى   تحدُو إليه القاصدون العِيساَ

ثم تولّى الليثُ نجل الفضلِ   وأحمد من بعده ذو الفضلِ

وجاء عبد الله يقفو جندَهُ   ثم الحسين بن جميل بَعْدَهُ

ثم تولى مالك ثم الحسنْ   كلاهما أوضح فى الْعَدْلِ السُّنَنْ

ثم غدا الأمـــير فيها حاتمُ   وجابرٌ بالأمر فيهـــا قائمُ

ثم لعبـــاد غدت تنتسبُ   وبعــــده أميرُها المطَّلِبُ

ثم تولَّى أمرَهـــا العباسُ   وفوّضَ الأمرَ إليـه الناسُ

ثم أعيـــد الأمر للمطَّلِبِ   ثانيـــةً ثم السّرِىّ فاعْجَب

ثم سليمان له الأمر حَصَـلْ   ثم السرىّ بعدَما كان انفصلْ

ثم تولى ابن السرى الأمرَا | وطالَمَا سَاءَ بهـا وسَرَّا
ثم عبيد الله وهو ابن السَّرِى | وبعـده ابن طاهرٍ لخرَّرِ
وبعده عيسى فتى يزيدِ | ثم عُميرٌ من بنى الوليدِ
قد كان ولّاها له لمّا قَدِمْ | على البلاد ابنُ الرشيد المعتصمْ
وعاد عيسى وهو فيها والِى | وعبدَوْيه ذو المحلِّ العالى
وقد تولى بعده ابنُ منصورْ | عيسى وهذا الأمر أمرٌ مشهورْ
وعند ذاك قدم المأمونُ | لمصر والدُّنيـا لَهُ تَدِينُ
فى سنة تعدُّ سَبْعَ عَشْرَهْ | ومائتين بعـد عامِ الهجرَهْ
ثم تولّى نصرٌ وهْو كيـدَرُ | ثم تولاها ابنـه المظفَّرُ
ثم تولّى ابن أبى العبـاسِ | مُوسى بلا شك ولا التباسِ
ومالك بن كيدرٍ ثم على | وبعده عيسى بن منصور وَلِى
وبعده هرثمـة بن النَّضْرِ | وحاكم وكان ربَّ الأمْرِ
ثم علىّ نجلُ يحيى ثانيـهْ | وجاء إسحاقُ بن يحيى تاليَهْ
وبعده الأميرُ عبد الواحـد | وهْو ابن يحيى فارْضَ بالفوائدِ
وبعـده عنبسة بن إسحاقْ | ثم يزيدُ حاز منها الآفاقْ
ثم تولّى أمرَهـا مُزاحمُ | ثم ابنه أحمـد فيها القائمُ
ونال أرجوزٌ بها ما يقصِدُ | ثم ابن طولون الأمـير أحمدُ
ثم أبو الجيش ابنهُ من بعـدِهِ | ثم أتى جيش ولىّ عهدِهِ
ثم تولّى بعـده هارونُ | وبعده من جَدُّه طولُون
وبعده عيسى فتَى محمّدِ | ثم تـكين صار ربَّ السُّؤدُدِ
ثم تولاها ذَكَا الأعـورُ | ثم تكين وهو وقت آخر
ثم هلالٌ · وهُو ابنُ بدرِ | أصبح فيهـا وهُو ربُّ الأمرِ
ثم تولّى أحمـد بن كَيْغَلَغْ | ثم تَـكينُ إذْ لَهُ الأمر بلغْ

ثم أتى محمّدُ بن طُغْجِ ... وأحمد ثانيـهُ فى النَّهْجِ
ثم تولاّها ابن طغجٍ ثانيه ... ثم أبو القاسم جاء تاليَهْ
ثم أتى الإخشيدُ من بعد علي ... وبعد ذاك الأمر كافورُ وَلِى
وبعـد كافورٍ تولّى أحمَـدُ ... ثم أتى جوهر وهْو أيْد
ثم تولاَّها المعزّ إذ أتَى ... ثمَّ العزيز نجـلُه خَيْرُ فتى
ثم ابنه الحاكم ثم الظّاهرُ ... وكلّهم فى المأثُرات باهرُ
ثم تولّى أمرَها المستنصرُ ... وهْو لعمرى يَقظٌ مستبصِرُ
ثم تولّى أمرَها المستعلِي ... وكان ربَّ عَقْدِها والحَلِّ
وبعد ذاكَ قَدْحواها الآمِرُ ... ولم تـكدْ تُعْصَى له أوَامِرُ
ثم تولاَّها الإمام الحافظُ ... وهو على تدبيرها محـافظُ
وجاء إسماعيل وهْو الظافرُ ... ثم ابنه الفائز وهْو الآخِرُ
أعنى بمن قلت الإمامَ العاضدا ... محرَّرًا فاغتنم الفوائدَا
وشِيركُوه مُدّةً يسيرَهْ ... تناهز الشهرين منه السِّيَرهْ
ثم تولاَّها الصَّلاحُ يوسفُ ... ثم العزيز وابنه مستضعَفُ
ثم أتى الأفضلُ نور الدِّينِ ... وبعده العادلذو التمْـكين
ثم ابنه الـكاملُ ثم العادلُ ... كلاهما بالحـكم فيها عادلُ
ثم أتى الصّالحُ وهو الأعظمْ ... ثم تولاّها ابنُه المعظَّمْ
وبعـده أمُّ خليل ملـكتْ ... وطابَتِ الأفعال فيها وزَكتْ
والملك الأشرف كان طفلاَ ... فلم يدبِّرْ عقدها والحَلاَّ
ثم استبدّ الملِك المعـزُّ ... ثم ابنه ووافقته الفُزُّ
ثم حواها الملك المظفَّرُ ... وحظّه من نصره موّفَّرُ
ثم حوى الأمر المليكُ الظاهرُ ... لازال للأعداء وهو قاهرُ!

ذكر من قام بمصر من الخلفاء العباسيين

كان لانقراض الخلافة ببغداد وما جرى على المسلمين بتلك البلاد مقدّمات نبّه عليها العلماء :

منها ، أنه فى يوم الثلاثاء ثامن عشر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وستمائة ، هبّت ريح عاصفة شديدة بمكّة ، فألقت ستارة الكعبة المشرّفة ، فما سكنت الريح إلّا والكعبة عُريانة ، قد زال عنها شِعار السواد ، ومكثت إحدى وعشرين يوما ليس عليها كسوة .

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير : وكان هذا فألا على زوال دولة بنى العباس ؛ ومنذِراً بما سيقعُ بعد هذا من كائنة التّتار لعنهم الله[1] .

ومنها، قال ابن كثير فى حوادث سنة سبع وأربعين : طغى الماء ببغداد، حتى أتلف شيئاً كثيرا من المحالّ والدُّور الشهيرة ، وتعذّرت إقامة الجمعة بسبب ذلك[2] .

وفى هذه السنة هجمت الفرنج على دِمياط ؛ فاستحوذوا عليها وقتلوا خلقاً من المسلمين[3] .

وفى سنة خمسين وقع حريق بحلَب احترق بسببه ستمائة دار ؛ فيقال : إن الفِرنج لعنهم الله ألقوه فيها قصداً[4] .

وفى سنة اثنتين وخمسين ، قال سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان : وردت الأخبار من مكّة شرفها الله ، بأنّ نارا ظهرت فى أرض عدَن فى بعض جبالها ، بحيث أنه يطير

---

(١) البداية والنهاية ١٣ : ١٧٣ . (٢) البداية والنهاية ١٣ : ١٧٧ ، وبعدها : « سوى ثلاث جوامع » . (٣) البداية والنهاية ١٣ : ١٧٧ ، قال : « وذلك فى ربيع الأول منها » .
(٤) نقله ابن كثير فى البداية والنهاية ١٣ : ١٨٢ .

شررها إلى البحر فى الليـل ، ويصعد منها دخان عظيم فى أثناء النهار ،[١] فتاب الناس وأقلعوا عمّا كانوا عليه من المظالم والفساد ، وشرعوا فى أفعال الخير والصّدقات[٢] .

وفى سنة أربع وخمسين زادتْ دِجْلة زيادة مهولة ، فغرق خلق كثير من أهل بغداد ، ومات خلق تحت الهدْم ، وركب النّاس فى المراكب ، واستغاثوا بالله ، وعاينوا التّلَف ، ودخل المـاء من أسوار البلاد ، وانهدمت دار الوزير وثلثمائة وثمانون دارا ، وانهدم مخزن الخليفة ، وهلك شىء كثير من خِزانة السلاح [٣] .

قال ابن السّبـكى فى الطبقات الـكبرى : وكان ذلك من جملة الأمور ، التى هى مقدّمة لواقعة التتّار .

وفى هذه السنة، فى يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة، وقع بالمدينة الشريفة صوت يشبه صوت الرّعد البعيد تارة وتارة، وأقام على هذه الحالة يومين، فلما كان ليلة الأربعاء تعقّب الصوتَ زلزلة عظيمة ، رجفت منها الأرضُ والحيطان ، واضطرب المِنبر الشريف ، واستمرّت تزلزل ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة خامس الشهر ، ظهر من الحرّة نار عظيمة، وسالت أودية منها سيلَ المـاء ، وسالت الجبال نارا ، وسارت نحو طريق الحـاجّ العراقىّ ، فوقفت وأخذت تأكل الأرض أكلاً ، ولها كلّ يوم صوت عظيم من آخر الليل لى الضحوة ، واستغاث النّاس بنبيهم صلى الله عليه وسـلم ، وأقلعوا عن المعاصى ، واستمرّت النار فوق الشهر ، وخسف القمر ليـلة الاثنين منتصف الشهر ، وكسفت الشمس فى غَـدْوة ، وبقيت أياما متغـيّرة اللون ضعيفة النور ، واشتدّ فزع الناس ، وصعد علماء البلد إلى الأمير يعظونه ، فطرح المـكوس، وردّ على الناس ما كان تحت يده من أموالهم [٤] .

(١) بعـدها فيما نقله ابن كثير : « فما شكوا أنها النار التى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم أنها تظهر فى آخر الزمان » . (٢) نقله ابن كثير فى البداية والنهاية ١٣ : ١٨٥ . (٣) البداية والنهاية ١٣ : ١٩٠ ، ١٩١ . (٤) البداية والنهاية ١٣ : ١٨٧ .

وقال سيف الدين علىّ بن عمر بن قزل المشدّ فى هذه النار :

ألا سلّما عنّى على خير مُرْسَلِ ... ومَنْ فضلُه كالسّيل ينحطُّ مِنْ عَلِ
وأشرفِ مَنْ شُدَّت إليه رحالُنا ... لتُورِد هِيمَ الشّوق أعذَبَ منهلِ
تحمَّلْنَ منّا كلَّ أشعثَ أغبرٍ ... فياعجبا من رَحْلِهَا المتحمّلِ!
إلى سيد جاءت بعالِي محلِّهِ ... ومعجزِه آىُ الكتاب المنزّلِ
نبىٌّ هدانا للهدى بأدِلّةٍ ... فهمنا معانيها بحسن التأوُّلِ
محمّدٌ المبعوث والغىّ مظلِمٌ ... فأصبح وجه الرّشد مثل السَّجَنْجَلِ
وقولا له : إنّى إليك لَشَيِّقٌ ... عسى الله يدنِي من محلك مَحْمَلِي
فتخمُدَ أشواقِي وتَسْكُن لوعتى ... وأُصبِح عن كلِّ الغرام بمعزِلِ
ولمّا نفى عنّى الكَرَى خبرُ التى ... أضاءت بإذن ثم رَضْوى ويذبُلِ
ولاح سَنَاها من جبال قُرَيظةٍ ... لسكان تيماً فاللِّوى فالعَقَنْقَلِ
وأخبرت عنها فى زمانك منذراً ... بيوم عبوسٍ قَمْطرِيرٍ مُطَوَّلِ
فقلتَ كلاما لا يدين لقائلٍ ... سواك ولا يسْطِيعُه ربُّ مِقْوَلِ:
سَتَظْهَر نارٌ بالحجازِ مضيئةٌ ... كأعناق عيسٍ نحو بُصرى لمخيّل
فكانت كما قد قلتَ حقًّا بلا مِرًى ... صدقت وكم كذبت كلَّ مُعَطِّلِ
لها شَرَرٌ كالبرق لكن شهيقُها ... فكالرّعد عند السّامِع المتأمِّلِ
وأصبح وجهُ الشمس كالليل كاسفًا ... وبدرُ الدّجى فى ظلمة ليس تَنْجَلِي
وغابتْ نجومُ الجوّ قبل غروبها ... وكدّرَها دَوْر الدخان المسلسلِ
وهبّت سمومٌ كالحميم فأذبلت ... من الباسقات الشّمّ كلّ مذلّلِ
وأبدتْ من الآيات كلَّ عجيبةٍ ... وزُلزلت الأرضون أىَّ تزلزلِ
وأيقنَ كلُّ النّاس أن عذابَهُمْ ... تعجّل فى الدُّنيا بغير تمهّلِ-

وأعولتْ الأطفالُ مَعْ أمّهاتِهــا فيا نفس جُودِى ، يا مدامعِيَ أهملى
جزعت فقام النّاس حولِى وأقبَــلُوا يقولون : لا تهـلِك أسًى وتجمَّـلِ
لعَـلّ إله الخــالق يرحم ضعفهمْ وما أظهروه من عَظِيم التـذلّلِ
وتاب الورى واستغفروا لذنوبِهِمْ ولاذوا بمنوالِ الـكريم المبجَّلِ
شفعْتَ لهم عند الإله فأصبحوا من النار فى أمـنٍ وبرٍّ معجَّل
أغاثهم الرحمن منكَ بنفحــــةٍ ألذّ وأشهى من جـنًى ومُعسَّل
طفَى النارَ نورٌ من ضريحك ساطعٌ فعادت سـلاما لاتضر بمُصْطلِى
وعاش رجاء الناس بعـد مماتِهمْ فيالكَ من يوم أغرَّ محجـــلِ!
فيـا راحـلا عن طَيبةٍ إنّ طيبةً هى الغاية القصوى لـكل مؤمِّل
قفا نبك ذكراها فإن الذى بها أجلُّ حبيب وهْى أشرف منزل
دخلت إليهـا مُحْرِمًا وملبيّـا وأضربْتُ عن سِقْطِ الدَّخُول فحَوْملِ
مواقف أمّـا تُربها فهْىَ عنـبرٌ وأما كَلآها فهو نبتُ القَرنفُلِ
يفوح شـذاها ثم يعقب نشرها لِمَا راوحَتْها من جَنوبٍ وشمْأل
فيا خيرَ مبعوثٍ وأكرَم شافعٍ وأنجَحَ مأمولٍ وأفضلَ موئل
عليكَ سلامُ اللهِ بَعْدَ صلاتِهِ كما شُفِـع المسك العبيقُ بمَنْدَلِ

وقال بعضهم فى ذلك [1] :

يا كاشف الضُرّ صفحاً عن جرائمنا لقـــد أحاطت بنا ياربِّ بأساء
نشـكو إليك خطوباً لا نطيق لها حَمْلا ونحن بهـــا حقا أحِقّاء
زلازلاً تخشع الصُّمُّ الصِّلابُ لها وكيف يَقْوَى على الزلزال شَمّاء
أقام سبعا ترجّ الأرض فانصدعت عن منظر منـه عينُ الشمس عشواء

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٣ : ١٩١.

بَحْرٌ من النار تجرى فوقه سفنٌ من الهضاب لها فى الأرض إرساء
كأنما فوقه الأجبال طافيةً [١] موجٌ عليه لفرط الهيْج وعثاء [٢]
ترى لها شَرراً كالقصر طائشةً [٣] كأنها ديمة تنصبُّ هَطْلاء
تنشقّ منها قلوب الصخر إن زفرتْ [٤] رُعْباً ، وترعَد مثل السّعف أضواء [٥]
منها تكاثف فى الجوّ الدخانُ إلى أن عادت الشمسُ منه وهى دَهْماء
قد أثرت سفعةً فى البدر لفحتُها فليلة التِّمّ بعد النّور ليلاء [٦]

وقال آخر فى هذه النار ، وغرق بغداد :

سبحان من أصبحتْ مشيئتُه جاريةً فى الورى بمقدار [٧]
أغرق بغدادَ بالمياه كما أحرق أرضَ الحجاز بالنار

قال أبو شامة : والصواب أن يقال :

فى سنة أُغرِق العراق وقدْ أُحْرِقَ أرضُ الحجاز بالنَّارِ

وذكر ابن الساعى أنّ النجاب لمّا جاء إلى بغداد بخبر هذه النار ، قال له الوزير : إلى أىّ الجهات ترمى شررها ؟ قال : إلى جهة الشرق [٨].

قال أبو شامة : وفى ليلة الجمعة مستهلّ رمضان من هذه السنة، احترق المسجد الشريف النبوىّ ، ابتدأ حريقه من زاويته الغربيّة من الشّمال ، وكان دخل أحدُ القَوَمة إلى خزانة ثَمّ ، ومعه نار فعلِقت فى الآلات ، واتّصلت بالسقف بسرعة [٩] ، ثم دبّت فى السقوف ، فأعجلت النار عن قطعها ، فما كان إلّا ساعة حتى احترقت سقوف المسجد أجمع ،

---

(١) ح ، ط : « طائفة » ، صوابه من الأصل وابن كثير .
(٢) ح ،ط : «عثاء» تحريف .
(٣) ابن كثير : « ترمى » .
(٤) ط : « ظفرت » تحريف .
(٥) الذيل : « مثل السيف » .
(٦) وانظر فى ابن كثير والذيل على الروضتين ١٩٣ بقية الأبيات .
(٧) ابن كثير ١٣ : ١٦٢ .
(٨) نقله ابن كثير فى البداية والنهاية ١٣ : ١٩٢ .
(٩) ط : «سرعة» .

ووقعت بعض أساطينه ، وذاب رصاصها [وكل ذلك قبل أن ينام النـاس] [١] ، واحترق سقف الحجرة النبوية الشريفة، واحترق المنبر الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب عليه .

قال أبو شامة : وعُدّ ماوقع من تلك النار الخارجة وحريق المسجد من الآيات ، وكأنها كانت منذرةً بما يعقبها فى السنة الآتية من الـكائنات [٢].

وقال أبو شامة فى ذلك :

نار أرض الحجاز مع حَرَقِ المـــسجد معَ تغريق دار السلام [٣]
بعد ستٍّ من المئين وخمسيـ ـن لدى أربع جرى فى العام
ثم أخْـذُ التتار بغـدادَ فى أوّ ل عام من بعد ذاكَ وعامِ
لم يُعَنْ أهْلَهَا وللـكفر أعوا نٌ عليهمْ ياضيعـــة الإسلام !
وانقضت دولة الخلافة منهـــا صار مستعصمٌ بغير اعتصام
فحنانًا على الحجـاز ومصرٍ وسلامًا على بلاد الشـآمِ [٤]

وفى تاريخ ابن كثير عن الشيخ عفيف الدّين يوسف بن البقّال أحـد الزهاد ، قال : كنت بمصر ، فبلغنى ماوقع ببغداد من القَتْل الذريع ، فأنـكرته بقلبى ، وقلت : يارب كيف هذا وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له ! فرأيت فى المنام رجلا وفى يده كتاب فأخذته فإذا فيه :

دع الاعتراضَ فمـا الأمر لكْ ولا الحـكم فى حركاتِ الفَلَكْ
ولا تسأل اللهَ عن فعـاله فمن خاض لجة بحرٍ هلكْ

---

(١) من الذيل . (٢) الذيل على الروضين ١٩٤ .
(٣) البداية والنهاية ١٣ : ١٩٣ ، والبيت الأول بعد الثانى هناك .
(٤) بعده فى ابن كثير :

ربِّ سَلِّمْ وصُنْ وعافِ بقايا الـ ـمُدْن ، ياذا الجلال والإكرام

قلت : أجرى الله تعالى عادته أن العامة إذ زاد فسادها وانتهكوا حرمات الله ، ولم تقم عليهم الحدود أرسل الله عليهم آية فى إثر آية ، فإنْ لم ينجح ذلك فيهم أتاهم بعذاب من عنده ، وسلّط عليهم من لا يستطيعون له دفاعا ؛ وقد وقع فى هذه السنين مايشبه الآيات الواقعة فى مقدّمات واقعة التتار ، وأنا خائف من عقبى ذلك ، فاللهمّ سلم سلم ! فأول ماوقع فى سنة ثلاث وثمانين حصول قحْط عظيم بأرض الحجاز .

وفى سنة خمس وثمانين لم يزد النّيل القدْر الذى يحصل به الرّىّ ، ولا ثبت المدّة التى يُحتاج إلى ثبوته فيها ، فأعقب ذلك غلاء الأسعار فى كلّ شيء [1] .

وفى سنة ست وثمانين فى سابع عشر المحرم زلزلت مصر زلزلةً منكرة لها دوىّ شديد ، ووقع بسببها قطعة من المدرسة الصالحية على قاضى الحنفيّة شمس الدين بن عيد ، وكان من خيار عبادِ الله فقتلتْه .

وفى ليلة ثالث عشر رمضان من هذه السنة ، نزلت صاعقة من السماء على المسجد الشريف النبوىّ فأحرقته بأسره وما فيه من خزائن وكتب ، وأحرقت الحجرة الشريفة والمنبر والسّقوف ، ولم يبق سوى الجدران ، واحترقت فيه جماعة من أهل الفضلِ والخير ؛ وكان أمراً مهولا .

وفى هذه السّنَة وقع بالغربيّة بَرَدٌ كبار بحيث قتَل كثيراً من الطير ؛ وقيل إن وزن البَرَدة سبعون درهما .

وفى سنة سبع وثمانين ورد الخبر بأن صاعقة نزلت بحلَب ، وبأنّ الفناء وقع ببغداد وبلاد الشرق عظيما جدًّا حتى قيل إنه عُدّ ببغداد مَنْ تأخر من الرجال ؛ فكانوا مائتين واثنين وأربعين نفسا .

وفى ذى الحجة وردت الأخبار بأنّه حصل بمكة فى يوم الأربعاء رابع عشر ذى القعدة

---

(١) البداية والنهاية . .

سيلٌ عظيم بحيث دخل البيت الشريف ، فكان فيه قامة ، وأخرب بيوتا كثيرة ، وهدَم جملة من أساطين الحرَم ، ووجد فى المسجد من الغرقاء سبعين إنساناً وخارج المسجد خمسمائة نفس ، واستمرّ الماء فى المسجد إلى يوم السبت ، ولم تُصَلَّ الجمعة . وكتب القاضى برهان الدين بن ظهيرة إلى مصر كتابا بذلك يقول فيه : إنّ هذا السَّيْل لم يعهد مثله لافى جاهلية ولا فى إسلام ، وإنه ذرّع موضع وصوله فى المسجد ؛ فكان سبع أذرع وثلث ذراع ؛ وقد قلت فى ذلك هذه الأبيات :

فى عام ستّ أتى المدينة فى الـــمسجد ناراً أفنته بالحَرَقِ
وعام سبع أتى لمكةَ فى الـــمسجد سَيْلٌ قد عَمَّ بالغرقِ
وقبلها القحْطُ بالحجاز . فشا ومصْرُ قد زُلزلت من الفرقِ
وانهبط النيل غـيرَ منتَفع به وضاقتْ معايش الفرقِ
فهـذه جمـلة أتت نُذُراً مستوجباتٍ للخوف والقلقِ
فليحذر الناس أن يحلَّ بهمْ ما حلّ بالأولين من حَنَقِ

* * *

ولما أخذ التتار بغداد ، وقتل الخليفة ، وجرى ماجرى، أقامت الدّنيا بلا خليفة ثلاث سنين ونصف سنة ؛ وذلك من يوم الأربعاء رابع عشر صفر سنة ست وخمسين ، وهو يوم قُتل الخليفة المستعصم رحمه الله إلى أثناء سنة تسع وخمسمائة ؛ فلما كان فى رجب من هذه السنة قدم أبو القاسم أحمد بن أمير المؤمنين الظّاهر بأمر الله وهو عمّ الخليفة المستعصم وأخو المستنصر ، وقد كان معتقَلاً ببغداد ثم أطلق ، فكان مع جماعة الأعراب بالعراق ، ثم قصد الملك الظاهر حين بلغه ملكه ، فقدم عليه الدِّيار المصرية صحبة جماعة من أمراء الأعراب عشرة، منهم الأمير ناصر الدين مهنا وكان دخوله إلى القاهرة فى ثانى رجب

فخرج السّلطان للقائه ، ومعه القاضى تاج الدين والوزير والعلماء والأعيان والشهود والمؤذّنون فتلقَّوْه ، وكان يوما مشهودا ، وخرج اليهود بتوراتهم والنصارى بإنجيلهم ، ودخل من باب النّصْر بأبَّهةٍ عظيمة .

فلمّا كان يومُ الاثنين ثالث عشر رجب ، جلس السلطان والخليفة فى الإيوان بقلعة الجبل والقاضى والوزير والأمراء على طبقاتهم ، وأثبت نسب الخليفة على القاضى تاج الدين ؛ فلما ثبت قام قاضى القضاة قائماً ، وأشهد على نفسه بثبوت النسبة الشريفة . ثم كان أوّل من بايعه شيخ الإسلام عزّ الدين بن عبدالسلام ، ثمّ السلطان الملك الظاهر ، ثم القاضى تاج الدين ، ثم الأمراء والدولة ، وركب فى دست الخلافة بمصر والأمراء بين يديه، والنّاس حولَه، وشقّ القاهرة،وكان يوما مشهوداً ولقب المستنصر بالله بلقب أخيه، وخطِب له على المنابر،وضرب اسمه على السِّكّة ، وكتبت بيعته إلى الآفاق ، وأنزل بقلعة الجبل هو وحشمه وخدمُه ، فلما كان يوم الجمعة سابع عشر رجب ، ركب فى أبهة السواد ، وجاء إلى الجامع بالقلعة فصعِد المنبر ، وخطب خطبة ذكر فيها شرف بنى العباس ، ودعا للسلطان،ثم نزل فصلّى بالناس ، وكان وقتا حسنا ويوما مشهودا .

ثم فى يوم الاثنين رابع شعبان ركب الخليفة والسلطان والقاضى والوزراء والأمراء وأهل الحلّ والعقْد إلى خيمة عظيمة قد ضربت ظاهر القاهرة؛ فألبس الخليفة السلطان بيده خِلْعَةً سوداء وعمامة سوداء ، وطوْقاً فى عنقه من ذهب ، وقَيْداً من ذهب فى رجليه . وفوض إليه الأمور فى البلاد الإسلامية وما سيفتحه من بلاد الكفر ، ولقبه بقسيم أمير المؤمنين ؛ وصعد فخر الدين بن لقمان رئيس الكتّاب منبرا ، فقرأ عليه تقليد السلطان ، وهو من إنشائه وصورته :

الحمد لله الذى أضْفى [1] على الإسلامِ ملابس الشَّرَف ، وأظهر بهجة دُرَرِه وكانت

(١) ط : « أخفى » تحريف . وفى السلوك : « اصطفى » .

خافيةً بما استحكم عليها من الصُّدَف ، وشيّد ما وهَى من علائه حتى أنسى به ذكرَ مَنْ سَلَفْ ، وقيّض لنصره ملوكا اتّفق عليهم من اختلاف .

أحمده على نِعَمِه التى رتعت (١) الأعين منها فى الرّوض الأُنُف، وألطافه التى وقف الشاكر عليها فليس له عنها مُنْصَرف . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادةً توجب من المخاوِف أمْناً، وتسهِّل من الأمور ما كان حَزْنًا .

وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله الذى جبر من الدين وَهْنًا ، والذى أظهر من المكارم فنونًا لا تفنىٰ ، صلّى الله عليه وعلى آله الذين أضحت مناقبُهم باقيةً لا تفنَى، وأصحابه الّذين أحسنوا فى الدين فاستحقوا الزّيادة بالحسنَى ، وبعد :

فإنّ أوْلَى الأولياء بتقديم ذكره ، وأحقّهم أن يصبح القلم راكعا وساجدا فى تسطير مناقبه وبرِّه ، مَنْ سعى فأضحى سعيُه للحمد متقدِّما ، ودعا إلى طاعته فأجابَ مَنْ كان منجداً ومُتْهِما ، وما بدت يد فى المكرُمات إلّا كان لها زَنْدا ومِعْصَما ، ولا استباح بسيفه حمى وغًى إلا أضرم منه نارا وأجرى منه دما .

ولمّا كانت هذه المناقب الشريفة مختصّة بالمقام العالى المولوىّ السلطانىّ الملكىّ الظاهرىّ الركْنىّ شرّفه الله وأعلاه . ذكَره الديوان العزيز النبوىّ الإمامىّ المستنصرىّ أعز الله سلطانه تنويهاً بشريف قدره ، واعترافًا بصنيعه الذى تنفدُ العبارة المسْهبة ولا تقوم بشكره .

وكيف لا ، وقد أقام الدولة العباسيّة ، بعد أن أقعدتْها زَمَانة (٢) الزّمان ، وأذهبت ما كان لها من محاسن وإحسان ، وعتب دهرها المسيء لها فأعتب (٣) ، وأرضَى عنها

(١) ح : « وقعت » .
(٢) الزمانة : الضعف .
(٣) أعتب : « أرضى » .

زمنها . وقد كان صال عليها صَوْلة مُغضب ، فأعاده لها سِلْما بعد أن كان عليها حرباً ، وصرف إليها اهتمامه فرجع كلّ متضايق من أمورها واسعا رَحْباً .

ومنح أمير المؤمنين عند القدوم عليه حنوًّا وعطفا ، وأظهر من الوَلاء رغبة فى ثواب الله مالا يخفَى ، وأبدَى من الاهتمام بأمر الشريعةِ والبَيْعة أمرًا لوْ رامَهُ غيرُه لامتنع عليه ، ولو تمسّك بحبله متمسّك لانقطع به قبل وصوله إليه ، ولكن الله ادّخر هذه الحسنة ليُثقِل بها ميزان ثوابِهِ ، ويخفّف بها يوم القيامة حسابَهَ والسعيدُ من خفّف من حسابه . فهذه منقبة أبى الله إلا أن يخلِّدها فى صحيفة صُنعِه ، ومكرمة تضمنت لهذا البيت الشريف بجمعه، بعد أن حصل الإياس من جمعه . وأمير المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع ؛ ويعترف أنّه لولا اهتمامُك لاتّسع الخرق على الراقع ، وقد قلّدك الديار المصرية والبلاد الشاميّة ، والديار البكريّة والحجازيّة واليمنية والفراتيّة ، وما يتجدّد من الفتوحات غَوْراً ونجْداً ، وفوّض أمر جندها ورعاياها إليك حين أصبحتَ بالمكارم فرْدا ، ولا جعل منها بلدًا من البلاد ولا حصنا من الحصون يُستثنَى ، ولا جهةً من الجهات تعدّ فى الأعلى ولا فى الأدنى .

فلاحِظْ أمورَ الأمّة فقد أصبحت لها حاملا ، وخلّصْ نفسك من التّبعات اليوم ففى غدٍ تكون مسئولا لا سائلا ، ودع الاغترار بأمر الدنيا فما نالَ أحدٌ منها طائلا ، وما رآها أحد بعين الحق إلّا رآها حائلا زائلا ؛ فالسعيد مَنْ قطع منها آماله الموصولة ، وقدّم لنفسه زاد التقوى ؛ فتقدِمةُ غير التقوى مردودة لا مقبولة . وابسط يدَك بالإحسان والعدل فقد أمر الله بالعَدل وحثّ على الإحسان ، وكرّر ذكره فى مواضع القرآن ، وكفّر به عن المرء ذنوبا كُتبت عليها وآثاما ، وجعل يوماً واحدا منها كعبادة العابد ستين عاما . وما سلك أحد سبيلَ العدل إلّا واجتُنيت ثماره من أفنان ، ورجع الأمر به بعد بعد تداعِى أركانه وهو مشيّد الأركان ، وتحصّن به من حوادث زمانه ؛ والسعيد من تحصّن من حوادث الزمان .

وكانت أيّامه فى الأيّام أبهى من الأعياد ، وأحسن فى العيون من الغُرَر فى أوجه الجياد ، وأحلَى من العقود إذا حُلِّيَ بها عاطل الأجياد .

وهذه الأقاليم المنوطةُ بك تحتاج إلى نوّاب وحكّام ، وأصحاب رأيٍ من أصحاب السيوف والأقلام ؛ فإذا استعنتَ بأحدٍ منهم فى أمورك فنقِّبْ عليه تنقيبا ، واجعل عليه فى تصرّفاته رقيباً ، واسأل عن أحواله ففى يوم القيامة تكون عنه مسؤولا ، وبما اجترم [1] مطلوبا . ولا تولِّ منهم إلا من تكون مساعيه حسنات لك لاذنوبا .

وأْمرْهم بالأناة فى الأمور والرّفق، ومخالفة الهوى إذا ظهرت أدلّة الحقّ، وأن يقابلوا الضعفاء فى حوائجهم بالثغر الباسم والوجه الطلق؛ وألّا يعاملوا أحدًا على الإحسان والإساءة إلابما يستحقّ، وأن يكونوا لمن تحت أيديهم من الرعايا إخوانا، وأن يوسعوهم برًّا وإحسانا، وألّا يستحلّوا حرماتهم إذا استحلّ الزمان لهم حرمانا ، فالمسلم أخو المسلم ولو كان أميرا عليه وسلطانا . والسعيد مَنْ نسج ولاتُه فى الخير على منواله ، واستنّوا [2] بسنته فى تصرّفاته وأحواله ، وتحمّلوا عنه ما تعجز قدرته عن حمل أثقاله ؛ وممّا يؤمرون به أن يمحى ماأحدث من سيّئ السّنَن ، وجدّد من المظالم التى هى من أعظم المِحَن ، وأن يُشترى بإبطالها المحامد ، فإن المحامد رخيصة بأغلى ثمن . ومهما جُبِى منها من الأموال فإنما هى باقية فى الدم حاصلة ، وأجياد الخزائن وإن أضحت بها حالية ؛ فإنما هى على الحقيقة منها عاطلة؛ وهل أشقَى ممّن احتقبَ [3] إثما ، واكتسب بالمساعى الذميمة ذمًّا ، وجعل السّواد الأعظم له يوم القيامة خَصْما ، وتحمّل ظلم الناس فيما صدر عنه من أعماله ، وقد خاب من حمل ظلما ! وحقيقٌ بالمقام الشريف المولوىّ السلطان الملكىّ الظاهرىّ الركنىّ أن تكون

(١) السلوك : « أجرم » .
(٢) ط : « استسنوا » .
(٣) احتقب : حمل .

ظلامات الأنام مردودةً بعدله ، وعزائمه تخفّف ثقلًا لاطاقة له بحمله ؛ فقد أضحى على الإحسان قادرا ، وصنعتْ له الأيّام مالم تصنعه لغيره ممّن تقدم من الملوك وإن جاء آخراً .

فاحمد الله على أن وصل إلى جانبك إمام هدًى أوجبَ لك مزيّة التعظيم ، ونبّه الخلائق على مافضّل الله به من هذا الفضل العظيم . وهذه أُمورٌ يجب أن تلاحظ وترعى ، وأن يوالى عليها حمْد الله ؛ فإنّ الحمد يجب عليها عقلا وشرعا ، وقد تبيّن أنك صرتَ فى الأمور أصلًا وصار غيرك فرعا . وممّا يجب أيضا تقديم ذكره أمْر الجهاد الذى أضحى على الأمة فرضاً ، وهو العمل الذى يرجع به مسودّ الصحائف مبيضًّا .

وقد وعد اللهُ المجاهدين بالأجر العظيم ، وأعدّ لهم عنده المقام الكريم ، وخصّهم بالجنّة التى لالغوَ فيها ولا تأثيم .

وقد تقدّمت لك فى الجهاد يدٌ بيضاء أسرعت فى سواد الجهاد ، وعُرفتْ منك عزيمة هى أمضَى ممّا تجنّه ضمائر الأغماد ، وأشهى إلى القلوب من الأعياد ، وبك صان الله حمَى الإسلام من أن يُبتذَل ، وبعزمك حفظ على المسلمين نظامَ هذه الدول ؛ وسيفك أثّر فى قلوب الكافرين قروحاً لاتندمِل ، وبك يرجَى أن يرجع من الخلافة ما كان عليه فى الأيّام الأوَل .

فأيقِظْ لنصرة الإسلام جفنا ما كان غافيا ولا هاجعا ، وكنْ فى مجاهدة أعداء الله إماماً متبوعا لاتابعا ، وأيّد كلمةَ التوحيد فما تجد فى تأييدها إلّا مطيعا سامعا[1] ، ولا تُخْلِ الثّغور من اهتمام بأمرها تبسم لك الثغور ، واحتفالٍ يبدّل مادَجَى من ظلماتها بالنور ، واجعلْ أمرها على الأمور مقدّما ، وشيِّد منها كلّ ماغادره العدوّ منهدماً ؛ فهذه حصون بها يحصل الانتفاع ، وهى على العدوّ داعيةُ الافتراق والاجتماع ، وأولاها بالاهتمام ما كان

(١) ط : « متابعا » .

البحر له مجاورا ، والعدوّ له ملتفتاً ناظرا ؛ لاسيّما ثغور الديار المصرية ، فإنّ العدوّ وصل إليها وأتى وراح خاسرا ، واستأصلهم اللهُ فيها حتى ماأقال منهم عاثرا . وكذلك أمرُ الأسطول الذى تُزْجى خيلُه كالأهـلّة ، وركائب سائقه بغير سائقٍ مستقلّة ، وهو أخو الجيش السّليمانىّ فإنّ ذاك غدت الرياح له حاملة ، وهذا تـكفّلت بحمله المياه السـائلة . وإذا لحظها جاريةً فى البحر كانت كالأعلام ، وإذا شبّهها قال : هذه ليالٍ تُقلِـع بالأيام . وقد سـاق الله لك من السعادة كلّ مطلب ، وآتاك من أصَالة الرّأى الذى يريك المُغيَّب ، وبسط بعد القبض منك الأمل ، ونشّط بالسعادة ما كان مِنْ كسل . وهداك إلى مناهج الحقّ ومازلتَ مهتدياً إليها ، وألزمك المراشد ولاتحتاج إلى تنبيه عليها. والله يمدّك بأسباب نَصْره ، ويُوزعك شكر نِعَمه ، فإنّ النعمة تستمّ بشـكره[1] !

ثم ركب السلطان بهذه الأبّهة والقَيد فى رجليْه ، والطوق فى عنقه ، والوزير بين يديه، على رأسه التقليد ،والأمراء والدّولة مشاة سوى القاضى والوزير . فشقّ القاهرة وقد زُيّنت له ، وكان يوما عظيما .

ثم طلب الخليفة من السلطان أن يجهّزه إلى بغداد ، فرتّب له جندا ، وأقام له كلّ ما يحتاج إليه ، وعزم عليه ألف ألف دينار . وسار السلطان صحبته إلى دمشق ، فدخلاها يوم الاثنين سابع ذى القعدة ، وصلّيا فيها الجمعـة . ثم رجع السلطان إلى مصر وسار الخليفة ومعه ملوك الشرق ، ففتح الحديثة[2] ثم هِيت ، فجاءه عسكر من التّتـار فتصافّوا ، فقتِل من المسلمين جماعة وعـدم الخليفة ، فَلا يُدْرَى : أقتِل[3] أم هرب ! وذلك فى ثالث المحرم سنة ستين . فـكانت خلافته دون ستة أشهر .

***

---

(١) التقليد فى السلوك ١ : ٤٥٣ ـ ٤٥٧

(٢) ح ، ط : «الحديث»،والصواب ما أثبته من تاريخ الخلفاء ٤٧٨ . (٣) تاريخ الخلفاء : « فقيل قتل هو والظاهر، وقيل: سلم وهرب فأضمرته البلاد» .

وكان ممّن شهد الوقعة معه وهرب فيمن هرب أبو العباس أحمد بن الأمير أبى على الحسن القُبىّ[1] بن الأمير علىّ بن الأمير أبى بكر بن أمير المؤمنين المسترشد بالله فقصد الرّحبة ، وجاء إلى عيسى بن مهنا ، فكاتب فيه الملك الظاهر[2] فطلبه، فقدِم القاهرة ومعه ولده وجماعة ، فدخلها فى سابع عشرى ربيع الآخر فتلقّاه السلطان ، وأظهر السرور به ، وأنزله بقلعة الجبل ، وأغدقَ عليه ، واستمرّ بقية العامِ بلا مبايعة ، والسّكة تُضرب باسم المستنصر المقتول أوّل العام .

فلما كان يوم الخميس ثامن المحرم سنة إحدى وستين جلس السّلطان مجلسا عاما ، وجاء أبو العباس المذكور راكباً إلى الإيوان الكبير ، وجلس مع السلطان ، وذلك بعد ثبوت نَسَبه ، فقرئ نسبه على الناس ، ثم أقبل عليه السلطان وبايعه بإمْرَة المؤمنين . ثم أقبل هو على السلطان ، وقلّده الأمور ، ثم بايعه الناس على طبقاتهم ، ولقِّب الحاكم بأمر الله ؛ وكان يوما مشهودا .

فلمّا كان من الغد يوم الجمعة خطب الخليفة بالناس ، فقال فى خطبته :

الحمد لله الذى أقام لآل العباس ركناً وظهيرا ، وجعل لهم من لدنه سلطانا نصيرا . أحمَده على السرّاء والضرّاء ، وأستعينه على شكر ماأسبَغ من النّعماء ، وأستنصره على الأعداء ، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، وأنّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه نجوم الاهتداء ، وأئمة الاقتداء [لاسيما][3] الأربعة الخلفاء، وعلى العباس عمّه ، وكاشف غمّه، وعلى السّادة[4] الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديّين ، وعلى بقيّة الصحابةوالتابعين لهم بإحسانإلى يوم الدين .

---

(١) ضبطه فى تاريخ الخلفاء : « بضم القاف وتشديد الباء الموحدة » . (٢) تاريخ الخلفاء : « فطالع به الناصر صاحب دمشق » . (٣) من البداية والنهاية لابن كثير .

(٤) ابن كثير : « أبى السادة » .

أيّها الناس، اعلموا أنّ الإمامة فرض من فروض الإسلام، والجهاد محتومٌ على جميع الأنام،ولا يقوم علَم الجهاد،إلا باجتماع كلمة العباد ، ولا سُبيت الُحرَم إلا بانتهاك المحارم ، ولا سُفِكت الدّماء إلّا بارتكاب المـآثم ، فلو شاهدتم أعداء [١] الإسلام حين دخلوا دار السّلام ، واستباحوا الدماء والأموال ، وقتلوا الرّجال والأطفال [وسبوا الصبيان والبنات ، وأيتموهم من الآباء والأمهات] ، وهتكوا حرم الخلافة والحريم ، وأذاقوا مَن استبقوا العذابَ الأليم ؛ فارتفعت الأصوات بالبكاء والعويل ، وعلَتْ الضجّات من هَوْل ذلك اليوم الطويل ؛ فكم من شيخٍ خُضبت شيبته بدمائه ، وكم من طفلٍ بكى فلم يُرحَمْ لبكائه ! فشمّروا ساقَ الاجتهاد فى إحياء فرض الجهاد .

﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ، واسمعوا وأطيعوا ، وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ [٢]، فلم تبق معذرة فى القعود عن أعداء الدين ، والمحاماة عن المسلمين .

وهذا السلطان الملك الظاهر ، السّيد الأجلّ العالم العادل المجاهد المؤيّد ، ركن الدنيا والدين ، قد قام بنصر الإمامة عند قلة الأنصار ، وشرّد جيوش الكفر بعد أن جاسوا خلال الديار ، فأصبحت البَيْعة باهتمامه منتظمةَ العقود ، والدولة العباسيّة به متكاثرة الجنود .

فبادروا عباد الله إلى شكر هذه النعمة ، وأخلصوا نيّاتكم تنصروا ، وقاتلوا أولياء الشيطان تظفروا ، ولا يرد عنكم ماجرَى ؛ فالحرب سجال والعاقبة للمتقين . والدهر يومانِ والآخر للمؤمنين ؛ جمع الله على التقوى أمركم ، وأعزّ بالإيمان نصركم ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولسائر المسلمين . فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم [٣] .

---

(١) فى الأصول : « أهل » ، والصواب ما أثبته من ابن كثير . (٢) سورة الحشر ٩ .
(٣) نقلها ابن كثير فى البداية والنهاية ١٣ : ٢٢٨ .

ثم خطب الثانية ، ونزل فصلّى بالناس ، وكتب بيعته إلى الآفاق ليُخطَب له ، وتُكتَب السكة باسمه .

قال أبو شامة : فخُطب له بجامع دمشق وبسائر الجوامع يوم الجمعة سادس عشر المحرّم [١] .

قال ابن فضل الله : ونقش اسمه على السّكّة ، وضُرب بها الدينار والدرهم . قال : ثم خاف الظّاهر عاقبة أمره ، فأسكنه عنده فى القلعة ، وعند حريمه وخدمه وغلمانه ، موسّعاً عليه فى النفقات والكساوى ، يتردد إليه العلماء والقراء على أكمل ما يكون من أنواع الإكرام ، وملاحظة جانب الإجلال والمهابة ، ممنوعا من اجتماع أحد من أهل الدولة . ثم أسقط اسمه من سكّة النقود ، وأبقاه على المنابر .

ثم لاحظه الملك الأشرف خليل بن قلاوون أتمّ من تلك الملاحظة ، ورعى لودّ نعمة الخلافة فيه حقّها ، من جميل المحافظة . انتهى .

قال غيره : وقد خطب بالقلعة مرة ثانية يوم الجمعة رابع شوال سنة تسعين بسؤال الملك الأشرف له فى ذلك ، وذكر فى خطبة توليته السّلطنة للأشرف . ثم خطب مرة ثالثة بالمنصورية بحضرة السلطان والقضاة ، وحضّ على غزو التتار واستنقاذ بلاد العراق من أيديهم ؛ وذلك فى ذى القعدة سنة تسعين . ثم خطب مرة رابعة فى التاسع والعشرين من ربيع الأول سنة إحدى وتسعين ، وحثّ على الجهاد والنّفير ، وصلّى بالناس الجمعة ، وجهر بالبسملة .

قال الذهبى فى العبر : آخر خليفة خطب يوم الجمعة الراضى بالله ، ولم يخطب بعده خليفة إلى الحاكم العباسىّ هذا ، فإنه خطب فى خلافته . انتهى .

* * *

---

(١) نقله ابن كثير فى البداية والنهاية ٣ : ٢٣٨ .

قال ابن فضل الله : ثم لما ملك المنصور لاجين زاد فى إكرامه وصرفه فى الركوب والنزول ، فبرز إلى قصر الكبش ، وسكن به . ثم إنه حجّ فى سنة سبع وتسعين ، فأعطاه المنصور لاجين سبعمائة ألف درهم ، ورجع من الحجّ ، فأقام بمنزله إلى أن مات ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى سنة إحدى وسبعمائة ، ودفن بجوار السيدة نفيسة فى قبّة بنيت له ؛ وهو أوّل خليفة مات بها من بنى العباس . وأرسل نائب السلطنة الأمير سلار خلْف كلّ مَنْ فى البلد من الأمراء والقضاة والعلماء والصّوفيّة ومشايخ الزوايا والرُّبط وغيرهم ؛ حتى حضروا الصلاة عليه .

***

ووَلِيَ الخلافة بعده بعهد منه ولدُه أبو الربيع سليمان،ولقّب المستكفى بالله ، وخُطب له على المنابر بالبلاد المصرية والشامية وسارت البشارة بذلك إلى جميع الأقطار والممالك الإسلامية .

***

قال ابن كثير : قدم البريد من القاهرة سادس جمادى الآخرة ، فأخبر بوفاة أمير المؤمنين الحاكم ومبايعة المستكفى ، وأنه حضر جنازته الناس كلّهم مشاة [1] .

فخُطب يوم الجمعة تاسع جمادى الآخرة للخليفة المستكفى بجامع دمشق ، وكتِب له تقليد بالخلافة ، وقرئ بحضرة السلطان والدولة يوم الأحد العشرين من ذى الحجّة ، ولم يكن السلطان أمضى له عهد والده ؛ حتى سأل الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد ، وهو قاضى القضاة يومئذ : هل يصلح للخلافة أم لا ؟ فقال الشيخ تقىّ الدين : نعم يصلح ، وإنما احتيج إلى ذلك لأنه كان صغير السنّ ، لم يبلغ عشرين سنة ، فإن مولده فى أربع وثمانين

(١) بعدها فى ابن كثير ١٤ : ١٨ : « ودفن بالقرب من الست نفيسة،وله أربعون سنة فى الخلافة » ، وقدم مع البريد تقليد بالقضاء لشمس الدين الحريرى الحنفى .

وستمائة ، وكان له ابن أخ أسنّ منه ، فكان ينازعه الأمر ، فلما أشار الشيخ باستخلافه ، أمضى عهد والده ، وهذه صورة العهد :

الحمد لله الذى رفع المستكفى به لمّا انتصب بشريف همّته للمحلّ الأسمى ، ومنح الأمّة به ربيعَ خفضِ العيْش ، وجزم أمرهم على الصّلاح والتوفيق جزمًا ، وأدام الأئمة من قريش ونظم لآلئ حكم أحكامهم فى جيد الزمان نظما ، وجعل النّاسَ تبعا لهم فى هذا الأمر فغيْرهم بالخلافة المعظمة لا يدعى ولا يسمّى ، فالحاكم الحسن المسترشد المستظهر بذخيرة الدّين القائم بأمر الله القادر المقتدر المعتضد الموفّق المتوكل المعتصم الرشيد المهدى الكامل مَن اقتفى لسنَن سنّتهم رسمًا ، استودع الخلافة فى بنى العباس الّذى كان لنبيّه الكريم عمًّا ، وفرّج عنه ليلة العقبة بمبايعة الأنصار كربةً وغمًّا ، فبشّره بأن الخلافة فى عقبه فعمّه بالسرور عمًّا . فلما انتهى ذلك السرّ فى العوالم إلى الحاكم قيل وقد أمسكت هيبة الخلافة عن معرفة حقوقها العظيمة من كلّ عظيم فما ﴿ ففهّمناها سُليمانَ وَكُلًّا آتينا حكما وعلما ﴾ [1] .

أحمده حمدَ من لم يثنِ عن طاعته وطاعة رسوله وأولى الأمر عزما ، ويورثها من يشاء من خلقه اختيارا ورَغْمًا ، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله الّذى دعا إلى مودّة أولى القربى ومن أفضل من قرابته زكاة وأقرب رُحْمًا ، فصلى الله عليه وآله وصحبه وخلفائه وعِترته ، الذين هم أعدل البريّة حكما ، وبعد :

فإنّ الملك السّلام منذ أسجد لآدم ملائكته الكرام فى سالف الزمان قِدْمًا ، جعل طاعة خلفائه فى بلاده على سائر عباده حتمًا ، كيف لا وبهم يعمُر الوجود ، وتقام الحدود وتهدّم أركان الجحود هدمًا ! فبحياتهم تأمنُ البلاد وربما صادف قرب وفاتهم أن لبس القمر ليلة التّمّ حُلّة السّواد وأخفى جرما . ولمّا كان سنّة من تقدّم من الأئمة الخلفاء إذا

(١) الأنبياء ٧٩ .

خاف أن يهجم عليه الحِمام هجماً ، أو تهدى إليه الأيام ألماً وسقما ، تفويض الأمر بولاية العهد على الخلق لخير ذويه وبنيه نجْدَةً وحَزْما ، أشهد على نفسه الشريفة مولانا الإمام الحاكم — والحاكم عليه تقواه — المراقب لله فى سرّه ونجواه ، الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين ، ابن عمّ سيد المرسلين ، وارث الخلفاء الراشدين ، أبو العباس أحمد بن الأمير الحسن بن الأمير أبى بكر بن الأمير على القبّى بن أمير المؤمنين الرّاشد بالله بن أمير المؤمنين المسترشد بالله أبى منصور الفضل بن أمير المؤمنين المستظهر بالله أبى العباس أحمد بن أمير المؤمنين أبى القاسم عبد الله بن المرحوم الذّخيرة للدّين ولىّ عهد المسلمين محمد بن الإمام القائم بأمر الله أبى عبد الله محمد بن القادر بالله أبى العباس أحمد بن أمير المؤمنين أبى الفضل جعفر المقتدر بالله بن أمير المؤمنين المعتضد بالله أبى العباس بن الأمير محمد الموفّق بالله أبى طلحة ولىّ عهد المسلمين بن أمير المؤمنين جعفر المتوكّل بن أمير المؤمنين أبى إسحاق محمد المعتصم بن أمير المؤمنين هارون الرّشيد بن أمير المؤمنين محمد المهدىّ بن أمير المؤمنين عبد الله المنصور بن محمد الكامل بن علىّ السجّاد بن عبد الله حَبْر الأمّة بن العباس بن عبد المطلب عمّ النبى صلى الله عليه وسلم ، أعزّ الله به الدين ، وأمتع ببقاء نسله الشريف الإسلام والمسلمين ؛ وهو فى حالة يَسوغُ معها الشهادة عليه ، ويرجع فى الأمور المنوطة للخلافة الشريفة إليه :

أنه عهد إلى ولده لصُلْبِهِ الإمام المستكفِى بالله أبى الربيع سليمان ، شيّد الله به أركان الإيمان ، ونصر ببركة سلفه العِصابة المحمدية على أهلِ الكفر والطغيان ، وجعله ولىّ عهده ، واستخلفه من بعده ، لما علمه من أهليّته وعدالته وكفالته ، وصلاحه لذلك وكفايته ، وشخصه لشهود هذا المكتوب الشريف ، ونبّه على استحقاقة لذلك ومحلّه العالى المنيف ، عهداً صحيحاً شرعيًّا ، معتبرا تاما مرعيًّا ، وفوّض إليه أمر الخلافة المعظّمة تفويضا شرعيًّا صريحا ، وعقد له عقد ولاية العهد على الأمّةِ عقدا صحيحا ، وقبل

ذلك منه القبول الشرعىّ المعتبر المرضىّ ، فالله تعالى يجمع به كلمة الإسلام ، ويصحبه فى خلافته الشريفة رأياً موفّقا ، ويُقمع ببركة سلفه الكرام أهل الطغيان ، ويهيِّئ له من أمره مرفقاً ؛ بمنّه وكرمه آمين .

والحمدُ لله ربّ العالمين ، وصلاته على سيد المرسلين نبيّه وآله وصحبه أجمعين . وبه شهد فى اليوم المبارك السابع عشر من جمادى الأولى سنة إحدى وسبعمائة ؛ أحسن الله العقبى فى ختامها ، وأجرى الخيرات فيما بقىَ من شهورها وأيامها ، وشهد عليه بذلك أربعةُ شهود ، ورسموا خطوطَهم تحت نسخة العهد بما نصّه :

أشهدنى مولانا الإمام جامع كلمة الإيمان ، ناظم شمل الإسلام ، سيد الخلفاء الأعلام ، إمام المسلمين ، والمناضل عن شريعة سيّد المرسلين ـ الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ، أعزّ الله به الدّين ، وأمتع ببقائه الإسلام والمسلمين ، على نفسه الزكيّة الشريفة ، وهو على الحالة التى يسوغ معها تحمّل الشهادة عليه بما نسب إليه أعلاه وشخّص ، إلى مولانا وسيّدنا الإمام المستكفى بالله أمير المؤمنين فى التاريخ المذكور فيه ، وثبت هذا العهد على قاضى القضاة شمس الدين الحنفىّ .

وكتب صورة الإسجال بما نصّه :

ثبت إشهاد مولانا الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ، سليل الأئمة المهديّين ، بركة الإسلام والمسلمين ، المنتظم به عِقْد جواهر زواهر أحكام الدّين ، ابن عمّ سيد المرسلين ، أبى العباس بن أحمد الرّاقى بهمّة شرفه أعالىَ الدّرجات ، المنقول برحمة الله ومنّه وحسن سيرته إلى روضات الجنّات ، المشار إليه بأعاليه ، قرن الله يمن خلَفه خَلَفَه تأييداً وتسديدا وتوفيقا ، وقرّب له إلى مشاهدة ابن عمه والخلفاء الراشدين فى دار كرامته طريقاً ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

وإشهاد ولده لصلبه ولىّ عهده المختار للخلافة الشريفة المعظمة من بعده مولانا الإمام المستكفى بالله أبى الربيع سليمان ، ثبّت الله به أركان الإيمان ، وسلك به مسالك الخلفاء الراشدين وآبائه الطاهرين التابعين لهم بإحسان ، وبارك للأمة المحمّدية فيه ، ونصرهم ببركة سلفه على أهل الطغيان ، على أنفسهما الشريفة المكرّمة ، الطاهرة الزاكية المعظّمة ، بجميع ما نسب إليهما فى كتاب العهد الشريف المسطّر بأعاليه ، على ما نصّ وشرح فيه المؤرّخ بالسابع عشر من جمادى الأولى سنة تاريخ هذا الإسجال ، ثبوتاً صحيحا شرعيًّا ، معتبرًا تامًّا مرعيًّا ، عند سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله تعالى الكريم ، الحامد فيضَ فضله العميم ، قاضى القضاة ، حاكم الحكّام ، مفتى الأنام ، حجّة الإسلام ، عمدة العلماء الأعلام ، شمس الدّين ، خالصة أمير المؤمنين ، أبى العباس أحمد بن الشيخ الصالح الورع الزاهد ، برهان الدين أبى إسحاق إبراهيم بن عبد الغنى الحنفىّ ، عامله الله بلطفه الخفىّ ، الناظر فى الحكم بالقاهرة ومصر المحروستين ، وسائر أعمال الديار المصرية بالتولية الصحيحة الشرعية . أدام الله أيامه الزاهرة ، وجمع له بين خيرى الدنيا والآخرة ؛ وذلك بشهادة الشهود المعلّم لهم بالأداء أعلاه ، بعد أن أقام كل واحد منهم شهادته بذلك بشروط الأداء المعتبرة ، وذلك أنه شهد على مولانا الإمام الحاكم بأمر الله المشار إليه ، تغمّده الله بالرحمة والرضوان ، وأسكنه فسيح الجنان ؛ وهو على الحالة التى تسوغ معها الشهادة عليه أحسن الله فى آخرته إليه . فقبِل ذلك منه ، وأعلم له ما جرتْ به العادة من علامة الأداء والقبول على الرسم المعهود فى مثله . وحكم مولانا قاضى القضاة شمس الدين الحاكم المذكور ، وقاه الله كلّ محذور ، بذلك كلّه الحكم الشرعىّ ، المعتبر المرعىّ ، وأجاز ذلك وأمضاه ، واختاره وارتضاه ، وألزم ما اقتضاه مقتضاه ، بسؤال من جازت مسألته ، وسُوغّت فى الشريعة المطهرة إجابته ، وذلك بعد استيفاء الشرائط الشرعيّة ، والقواعد المحرّرة المرعية ، وتقدّم الدعوى المعتبرة المرضيّة . وتقدّم هذا الحاكم وفّقه الله لمراضيه ،

وأعانه على ماهو متولّيه ، بكتابة هذا الإسجال ، فكتب عن إذنه الكريم على هذا المنوال ، بعد قراءته وقراءة ما يحتاج إلى قراءته من كتابة العهد الشريف المسطّر أعلاه ، على شهود هذا الإسجال ، وهو وهم يستمعون لذلك فى اليوم المبارك من العشر الأخير من جمادى الأولى سنة إحدى وسبعمائة ، أحسن الله تقضّيها فى خير وعافية .

وبايعه السلطان والقضاة والأعيان ، وألبس جبة سوداء وطرْحة [١] سوداء ، وخلع على أولاد أخيه خِلع الأمراء ، وأشهد عليه أنه ولّى الملك الناصر جميع ماولاّه والده ، وفوّضه إليه .

ثم نزل إلى داره بالكبش ، ونقش اسمه على سكة الدينار والدرهم . ثم رسم السلطان فى جمادى الآخرة بأن ينتقل الخليفة وأولاده وجميع مَنْ يلوذ به إلى القلعة إكراما لهم . فنزلوا فى دارين ، وأجرى عليهم الرواتب الكثيرة ، واستمرّ دهراً وهو والسلطان كالأخوين يلعبان بالأكرة ، ويخرجان إلى السّرحات ، وسافرا معا إلى غزوة التّتار نوبة غازيين ، حتى وشى الواشى بينهما ، فتغيّر خاطر الناصر منه ، وذلك فى سنة ست وثلاثين .

فأمره أن ينتقل من القَلعة إلى مناظر الكبش [٢] حيث كان أبوه ساكناً ، ثم أمره أن يخرج إلى قُوص ، فيقيم بها وذلك فى ثامن عشر ذى الحجة سنة سبع وثلاثين ، فخرج إليها هو وأولاده وأهله ، وهم قريب من مائة نفس ، ورتّب له على واصل المكارم أكثر ممّا كان له بمصر ، وتوجّع الناس لذلك كثيرا .

قال الحافظ ابن حجر : وكان بطول مدّته يُخطَب له على المنابر ؛ حتى فى مدة إقامته بقُوص ، واستمرّ بها إلى أن مات فى شعبان سنة أربعين وسبعمائة ، ودفن بها وقد عهد

---

(١) الطرحة : ملبوس القضاة .
(٢) مناظر الكبش : كانت على جبل يشكر بجوار الجامع الطولونى ، وتعرف اليوم باسم قلعة الكبش .

بالخلافة إلى ابنه أحمد وأشهد عليه أربعين عَدْلاً ، وأثبت ذلك على قاضى قوص .

فلما بلغ الناصر ذلك لم يلتفت إلى ذلك العهد ، وطلب ابن أخى المستكفى إبراهيم ابن ولىّ العهد المستمسك بالله أبى عبد الله محمد بن الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد ، وكان جدّه الحاكم عهد إلى ابنه محمد ، ولقّبه المستمسك بالله ، فمات فى حياته .

فعهد إلى ابنه إبراهيم هذا ظنا أنه يصلح للخلافة ، فرآه غير صالح لما هو فيه من الانهماك فى اللّعب ومعاشرة الأرذال ، فنزل عنه ، وعهد إلى ولد صُلْبه المستكفى ، وهو عمّ إبراهيم ؛ وكان إبراهيم قد نازعه لما مات الحاكم ، فلم يلتفت إلَى منازعته اعتمادا على قول الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد ، فأقام على ضغينته حتى كان هو السبب فى الوقيعة بين عمّه وبين الناصر ، وجرى ماجرى .

فلم يمض الناصر عهدَ المستكفى لولده ، وبايع إبراهيم هذا فى يوم الاثنين ثالث رمضان ، ولقّب الواثق بالله ، وراجع الناس السلطان فى أمره ، ووسموه بسوء السِّيرة، خصوصا قاضى القضاة عز الدين بن جماعة ، فإنّه جهد كل الجهد فى صرف السلطان عنه ، فلم يفعل ؛ وما زال بهم حتى بايعوه .

ثم إنّ الله فجع النّاصِرَ بموت أعزّ أولاده الأمير أنوك ، فكان ذلك أول عقوباته ولم يمتّع بالملك بعد وفاة المستكفى ، فأقام بعده سنة وأياما ، وأهلكه الله .

وقد قيل: إن وفاة المستكفى كانت سنة إحدى وأربعين ، فعلى هذا لم يتمّ الحوْل على الناصر ، حتى مات بعد ثلاثة أشهر؛ سنّة الله فيمن مسّ أحداًمن الخلفاء بسوء ، فإنّ الله يقصِمه عاجلا ، وما يدّخره له فى الآخرة من العذاب أشدّ .

* * *

ثم إنّ الله انتقمَ من النّاصر فى أولاده فسلّط عليهم الخلْع والحبْس والتشّريد فى

البلاد والقتل ، لجميع مَنْ تولّى الملك من ذريّته؛ إما أن يخلَع عاجلا ، وإما أن يقتل[1]؛ فأوّل ولد تولّى بعده ، عوجل بخلعه ونفيه إلى قوص ، حيث كان سيّر الخليفة ، ثم قتِل بها . وغالب مَنْ تولى من ذريته لم تَطُلْ مدته كما سيأتى .

وقد أقام النّاصر فى السلطنة نيّفا وأربعين سنة ، وتولّى من ذرّيته اثنا عشر نفرا ، لم يُتِمّوا هذه المدّة ، بل عُجّلوا واحدا فى إثر واحد ، فما أشبّههم إلا بملوك الفرس حيث قال الكاهن لكسرى لما سقطت من إيوانه أربع عشرة شُرْفة ليلة ولد النبى صلى الله عليه وسلم : يملك منكم أربعة عشر ملكا ؛ ثم يذهب الملك منكم ، فقال كسرى : إلى أن يمضىَ أربعة عشر ملكا تكون أمور وأمور ! فانقرضوا فى أقصر مدة ، وكان آخرهم فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه .

ثم إنّ الله نزع الملك من ولد قلاوون ، وأعطاه بعض مماليكهم ، ولم يَعُد إليهم إلى وقتنا هذا ، وبعض ذُرّيته أحياء إلى الآن فى أسوأ حال ، ديناً ودنيا . ومن تأمّل بدائع صنع الله رأى العَجب العجاب ؛ ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون ، وإنما يتذكر أولو الألباب !

ولما حضر الناصرَ الوفاةُ ندم على ما فعل من مبايعة إبراهيم ، فأوصى الأمراء بردّ العهد إلى ولىّ عهد المستكفى ، فلما تسلْطَن ولده أبو بَكر المنصور عقد مجلسا يوم الخميس حادى عشر ذى الحجة سنة إحدى وأربعين ، وطلب الواثق إبراهيم وولىّ العهد أحمد ابن المستكفى والقضاة ، وقال : مَنْ يستحقّ الخلافة شرعا ؟ فقال ابنُ جماعة : إنّ الخليفة المستكفى المتوفَّى بمدينة قوص أوصَى بالخلافة من بعده لولده أحمد ، وأشهد عليه أربعين عَدْلاً بمدينة قوص ، وثبت ذلك عندى بعد ثبوته على نائبى بمدينة قوص .

فخلع السلطان الواثق حينئذ وبايع أحمد ، وبايعه القضاة .

(١) ح ، ط : « قتل بها » .

قال الحافظ ابن حجر . ولقِّب أولا المستنصر، ثم لقب الحاكم بأمر الله لقّب جدّه وكتب له ابنُ فضل الله صورة المبايعة ؛ وهى هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ إنّ الذين يُبايعونك إنما يبايعُونَ الله يدُ اللهِ فوقَ أيديهمْ فَمَنْ نكث فإنما ينكث على نَفْسِهِ وَمَنْ أوفى بما عاهد عليهُ الله فسيؤتيهِ أجراً عظيما ﴾ [١] ، هذه بيعة رضوان وبيعة إحسان ، وبيعة رضا يشهدها الجماعة ويشهد عليها الرحمن . بيعة يلزم طائرها العنق ، ويحوم بسائرها وكلّ أنبائها البرارى والبحار مشحونة الطرق ، بيعة يُصلح الله بها الأمة ، ويمنح بسببها النعمة ، ويتجارى الرّفاق ، ويسرى الهناء فى الآفاق ، وتتزاحم زهر الكواكب على حوض المجرّة الدّقاق . بيعة سعيدة ميمونة ، بها السّلامة فى الدين والدنيا مضمونة ، بيعة صحيحة شرعيّة ، بيعة ملحوظة مرعيّة ، تسابق إليها كلّ نيّة ، وتطاوع كلّ طويّة ، ويجمع عليها شتات البريّة . بيعة يستهلّ بها العام ، ويتهلّل البدر التمام ، بيعة متّفق على الإجماع عليها ، والإجماع يبسط الأيدى إليها ، انعقد عليها الإجماع فاعتقد صحّتها من سمع لله وأطاع ، وبذل فى تمامها كل امرئ ما استطاع ، حصل عليها اتفاق الأبصار والأسماع ، ووصل بها الحقّ إلى مستحقّه وأقرّ الخصم وانقطع النزاع . تضمنها كتاب مرقوم يشهده المقرّبون ، وتلقّاه الأئمة الأقربون .

﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدىَ لولا أنْ هدانا الله ﴾ [٢] ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ، وإلينا بحمد الله وإلى بنى العباس . أجمع على هذه البيعة أربابُ العقد والحلّ ، من أصحاب الكلام فيما قلّ وجلّ وولاة الأمور والحكّام ، وأرباب المناصب والأحكام ، وحملة العلم والأعلام ، وحماة السيوف والأقلام ، وأكابر

---

(١) سورة الفتح ١٠ (٢) سورة الأعراف ٤٣

بنى عبد مناف ، ومن انخفض قدره وأناف ، وسرواتُ[1] قريش ووجوه بنى هاشم ، والبقيّة الطاهرة من بنى العباس، وخاصة الأئمة وعامة الناس ، بيعة تُرَى بالحرميْن خيامُها ، ويخفق بالمأزِمين أعلامها ، وتتعرّف عرفات بركاتها ، وتعرف بمنًى ويؤمّن عليها يوم الحج الأكبر ، ويوم ما بين الركن والمقام والمنبر ، ولا يُبتغى بها إلّا وجه الله الكريم . بيعة لا يحلّ عقدها ، ولا ينبذ عهدها ، لازمة جازمة ، دائبة دائمة ، تامة عامة شاملة كاملة ، صحيحة صريحة ، مُتعبة مريحة ، ولا مَنْ يوصف بعلم ولا قضاء ، ولا من يُرجع إليه فى اتّفاق ولا إمضاء ، ولا إمام مسجد ولا خطيب ، ولاذو فتوى يُسْأل فيجيبْ ، ولا مَنْ حشى المساجد[2] ، ولا من تضمّهم أجنحة المحاريب ، ولا من يجتهد فى رأى فيخطئ أو يصيب ، ولا مجادل بحديث[3] ، ولا متكلم فى قديم وحديث ، ولا معروف بدين وصلاح ، ولا فرسان حرب وكفاح ، ولا راشق بسهام ولا طاعن برماح ، ولاضارب بصفاح ، ولا ساع بقدَم ولا طائر بجناح ، ولا مخالط الناس ولا قاعد فى عُزْلةٍ ، ولا جَمع تكسير[4] ولا قلّة ، ولا من يُستقلّ بالجوزاء لواؤه ، ولا من يعلو فوق الفرقدين ثواؤه ، ولا باد ولا حاضر ، ولا مقيم ولا سائر ، ولا أول ولا آخر ، ولا مسرّ فى باطن ولا معان فى ظاهر ، ولا عرب ولا عجم ، ولا راعى إبل ولا غنم ، ولا صاحب أناة ولا بِدار ، ولا ساكن فى حضر وبادية بدار ، ولا صاحب عُمُدٍ ولا جدار ، ولا ملجّج فى البحار الزاخرة والبرارى القفار ، ولا مَنْ يعتلى صهوات الخيل ، ولا من يُسبل على العجاجة الذَّيْل ، ولا من تطلع عليه شمس النهار ونجوم الليل ، ولا مَنْ تظلّه السماء وتقلّه الأرض ، ولا مَنْ تدلّ عليه الأسماء على اختلافها وترفع درجاتٍ بعضهم على بعض ؛ حتى آمن بهذه البيعة وأمّن عليها ، وآمن بها ومنّ الله عليه وهداه إليها ، وأقرّ

---

(١) ط : « وسراة » .

(٢) تاريخ الخلفاء : « لزم المساجد » .

(٣) تاريخ الخلفاء : « محدّث » .

(٤) تاريخ الخلفاء : « كثرة » .

بهـا وصدّق ، وخفص لها بصَره خاشعا وأطرق ، ومدّ إليهـا يده بالمبايعة ، ومعتقده بالمتابعة ، ورضىَ بها وارتضاها ، وأجاز حكمها على نفسه وأمضاها ، ودخل تحت طاعتها . وعمل بمقتضاها ، ﴿ وقُضِى بينهم بالحقِّ وقِيل الحمدُ لله ربِّ العالمين ﴾[١] .

وإنّه لما استأثر الله بعبده سليمان أبى الربيع الإمام المستكفى بالله أمير المؤمنين كرّم الله مثواه ، وعوّضه عن دار السلام بدار السلام ، ونقله مزكّى به عن شهادة الإسلام ، بشهادة الإسلام حيث آثره بقربه ، ومهّد لجنبه ، وأقدمه على ماقدّمه من مرجوٍّ عمله وكسبه ، وحاز له فى جواره فريقا ، وأنزله مع الّذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

الله أكبر ليومه لولا مخلفة[٢] كانت تضيق الأرضُ بما رَحُبت ، وتجزى كلّ نفس بما كسبت ، وتنبئ كلّ سريرة ما ادّخرت وما خبّأت[٣] . لقـد اضطرم بسعير[٤] إلا أنّه فى الجوانح ، لقد اضطرب منبرٌ وسرير لولا خلَفه الصالح ، لقد اضطرب مأمور وأمير لولا الفكر بعدَه فى عاقبة المصالح ؛ ولم يكن فى النسب العباسىّ ولا فى البيت المسترشدىّ ، ولا فى غيره من بيوت الخلفاء من بقايا آباء[٥] وجدود ، ولا مَنْ تلده أخرى الليالى وهى عاقر غير ولود ؛ من تُسَلِّم إليه أمة محمد عقد نيّاتها ، وسرَّ طويّاتها ، إلا واحد وأين ذلك الواحد ! هو والله مَن انحصر فيـه استحقاق ميراث آبائه الأطهـار ، وتراث أجداده [الأخيار][٦] ، ولا شىء هو إلا ما اشتمل عليه رداء الليل والنهار ؛ وهو ولد المنتقل إلى ربّه ، وولد الإمام الذاهب لصلبه ، المجمَع على أنّه فى الأيّام فرد الأنام ، وواحد وهكذا فى الوجود الإمام ، وأنّه الحائز لما زرّت عليه جيوبُ المشارق والمغارب ، والفائز لملك[٧] مابين المشارق والمغارب ، الرامى فى صفيح[٨] السماء هذه الذرّوة المُنيفة ، الراقى بعد الأئمة

---

(١) الزمر ٧٥ . (٢) تاريخ الخلفاء « محلفة » . (٣) تاريخ الخلفاء : « جنت » .
(٤) ط : « سعر » تحريف . (٥) ط : « آبائهم » . (٦) من تاريخ الخلفاء . (٧) تاريخ الخلفاء : « يملك » . (٨) تاريخ الخلفاء : « صفح » .

الماضين ونعم الخليفة ، المجتمع فيه شروط الإمامة ، المتضع لله وهو ابن بيت لا يزال الملك فيهم إلى يوم القيامة ، الذى يفضح السحاب نائله ، والذى لا يَعزّه عادله [١] ولا يغيّره [٢] عاذله ، والذى ما ارتقى صهوة المنبر بحضرة سلطان زمانه ، إلا قال ناصره وقام قائمه ، ولا قعد على سرير الخلافة إلا وعرف أنه ماخاب مستكفيه ولا غاب حاكمه ، نائب الله فى أرضه ، والقائم مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته وابن عمه ، وتابع عمله الصالح ووارث علمه ، سيدنا ومولانا عبد الله ، ووليه أبو العباس الإمام الحاكم بأمر الله ، أمير المؤمنين، أيّد الله ببقائه الدّين، وطوّق سيفه رقابَ الملحدين، وكبت تحت لوائه المعتدين ، وكتب له النَّصْر إلى يوم الدين ، وكبّ [٣] بجهاده على الأذقان طوائف المفسدين ، وأعاذ به الأرض ممّن لا يدين بدين ،وأعاد بعدله أيام آبائه الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهذّبين ، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون ، ونصرَ أنصارَه ، وقدّر اقتدارَه ، وأسكن فى القلوب سكينتَه ووقارَه ، ومكّن له فى الجود وجمع له أقطاره .

ولمّا انتقل إلى الله ذلك السيّد ولقىَ أسلافَه ، ونُقِل إلى سرير الجنّة عن سرير الخلافة ، وخلا العصر من إمام يُمسك ما بقى من نهاره ، وخليفة يغالب مزيدَ الليل بأنواره ، ووارث نبيٍّ بمثلِه ومثل آبائه استغنى [الوجود] [٤] بعد ابن عمه خاتم الأنبياء عن نبيٍّ يقتفى على آثاره ، ومضى ولم يعهد فلم يَبْقَ إذ لم يوجد النص إلا الإجماع ، وعليه كانت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا نزاع ، اقتضت المصلحة الجامعة عَقْدَ مجلس كلّ طرف منه معقود ، وعقد بيعة عليها الله والملائكة شهود ، وجمع الناس له وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ؛ لحضر مَنْ لم يعبأ بعده بمن تخلّف ،

(١) لا يعزه : لا يغلبه . وعادله : مساويه .
(٢) تاريخ الخلفاء : « لا يغره » .
(٣) تاريخ الخلفاء : « كبته » .
(٤) من تاريخ الخلفاء .

ولم ير بائعه وقد مدّ يدَه طائعا لمزيدها وقد تكلّف ، وأجمعوا على رأى واحد استخاروا الله فيه نخار ، وأُخِذ يمين تمَدُّ لها الأيمان ، ويُشدُّ بها الإيمان ، وتُعطَى عليها المواثيق ، وتعرض أماناتها على كلِّ فريق ؛ حتى تقلّد كلّ من حضر فى عنقه هذه الأمانة ، وحطّ على المصحف الكريم يده وحلف بالله وأتمّ أيمانه ، ولم يقطع ولا استثنى ولا تردّد ، ومنْ قطع عن غير قصد أعاد وجدّد ، وقد نوى كلّ مَنْ حلف أنّ النية فى يمينه نيّةمن عُقدت له هذه البيعة ونية من حُلف له ، وتذمّم بالوفاء له فى ذمته وتكفله ، على عادة أيمان البيعة وشروطها وأحكامها المردّدة ، وأقسامها المؤكدة ، بأن يبذل لهذا الإمام المفترضِ الطاعةِ الطاعـةَ ، ولا يفارق الجمهور ولا يفرّ عن الجماعة الجماعة ، وغير ذلك مما تضمنته نسخُ الأيمان المكتتب فيها أسماء مَنْ حلف عليها ممّا هو مكتوب بخطوط مَنْ يكتب منهم ، وخطوط العدول الثّقات عمّن لم يكتبوا وأذنوا أن يُكتب عنهم ؛ حسبما يشهد به بعضهم على بعض ، وتتصادق عليه أهلُ السماء والأرض ، بَيعة تمّ بمشيئة الله تمامُها ، وعمّ بالصّوْب المغدق غمامها ؛ وقالوا : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزَن ، ووهب لنا الحسن ، ثم الحمد لله الكافى عبدَه ، الوافى لمَنْ تضاعف على كلّ موهبة حَمده ، ثم الحمد لله على نعمةٍ يرغب[1] أمير المؤمنين فى ازديادها ، ويرهب إلّا أنْ يقاتلَ أعداء الله بإمدادها ، ويرأب بها من أثر فى[2] منابر ممالكه مابان من مباينة أضدادها؛ نحمده والحمد لله ، ثم الحمد لله ، كلمة لايملّ من تردادها ، ولا تخِلّ بما تفوّقُ السهام من سدادها ، ولا تبطل إلّا على مايوجب تكثير أعدادها ، وتكبير أقدار أهل ودادها ، وتصغير التحقير لاالتحبيب لأندادها .

ونشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة تتقايس بدماء الشّهداء وإمداد

---

(١) فى الأصول : « برغبة » ، والأجود ما أثبته من تاريخ الخلفاء . (٢) تاريخ الخلفاء : « من ارتقى منابر » .

مدادِها ، وتتنافس طرر الشباب وغُرَر السحاب على استمدادها ، وتتجانس رقومها المدبّجة وما تلبسه الدولة العباسيّة من شعارها والليالى من دثارها والأعداء من حدادها ؛ صلى الله عليه وعلى جماعة أهله ، ومَنْ خلَف من أبنائها وسلف من أجدادها ، ورضى الله عن الصحابة أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ؛ فإن أمير المؤمنين لمّا ألبسه الله من ميراث النبوّة ما كان لجدّه ، ووهبه من الملك السليمانىّ مالا ينبغى لأحد من بعده ، وعلّمه منطقَ الطيْر بما تحمّله حمائم النطائق [1] من بدائع البيان ، وسخّر له من البريد على متون الخيل ماسخرّه من الريح لسليمان ، وآتاه من خاتم الأنبياء ماامتدّ به أبوه سليمان وتصرّف ، وأعطاه من الفَخَار به ماأطاعه كلّ مخلوق ولم يتخلّف ، وجعل له من لباس العبّاس مايقضى سواده بسؤدد الأجداد ، وينفض على ظلّ الهُدْب مافضل عن سويداء القلب وسواد البصر من السواد ، ويمدّ ظله على الأرض وكل مكان دار ملك وكلّ مدينة بغداد ، وهو فى ليله السجّاد ، وفى نهاره العسكرىّ وفى كرمه جعفر وهو الجواد ؛ يُديم الابتهال إلى الله فى توفيقه ، والابتهاج بما يَغَصّ كلّ عدوّ بريقه .

وتبدأ بعد[2] المبايعة بما هو الأهمّ من مصالح الإسلام ، وصالح الأعمال فيما تتحلّى به الأيّام ، ويقدّم التقوى أمامه ، ويقرّر عليها أحكامَه ، ويتبع الشرع الشريف ويقف عنده ويوقف الناس ، ومن لايحمل أمرَه طائعا على العين يحمله غصْباً على الراسْ ، ويعجّل أمير المؤمنين بما استقرّتْ به النفوس ، ويردّ به كيد الشيطان إنه يئوس ، ويأخذ بقلوب الرعايا وهو غنىّ عن هذا ولكنه يسُوس .

وأمير المؤمنين يُشهد الله وخلقه عليه ، أنه أقرّ ولىّ كلّ أمر من ولاة أمور الإسلام

---

(١) تاريخ الخلفاء : « البطائق » .

(٢) تاريخ الخلفاء : « يوم » .

على حاله ، واستمرّ به فى مقيله تحت كنف ظلاله ، على اختلاف طبقات ولاة الأمور ، وطرقات الممالك والثغور ، برًّا وبحرا ، سهلًا ووعْرا ، شرقًا وغربا ، بعدًا وقُرْبا ، وكلّ جليل وحقير ، وقليل وكثير ، وصغير وكبير ، وملك[1] ومملّك وأمير ، وجنديّ يُرَى[2] له سيف شهير ، ورمح ظهير ، ومنْ مع هؤلاء من وزراء وقضاة وكتّاب ، ومَنْ له تدقيق فى إنشاء وتحقيق فى حساب ، ومنْ يتحدّث فى بريد وخراج ، ومن يحتاج إليه ومَنْ لايحتاج ، ومَنْ فى التّدريس والمدارس، والرّبط والزّوايا والخوانق ، ومن له أعظم التعلّقات وأدنى العلائق ، وسائر أرباب المراتب ، وأصحاب الرواتب ، ومَنْ له من الله رزق مقسوم ، وحق مجهول أو معلوم ، استمرارًا لكلّ امرئٍ على ماهو عليه ، حتى يستخير الله ويتبيّن له مابين يديه ، فمن ازداد تأهيلُه زاد تفضيلُه ، وإلّا فأمير المؤمنين لايريد إلا وجه الله ، ولا يحابى أحداً فى دين الله ، ولا يحابى حقًّا فى حقّ ؛ فإن المحاباة فى الحق مداجاة على المسلمين ، وكلّ ما هو مستمر إلى الآن مستقرّ على حكم الله ممّا فهّمه الله له ، وفهّمه سليمان ، لايغيّر أمير المؤمنين فى ذلك ولا فى بعضه شكرا لله على نعمه ، وهكذا يجازِى من شكر ، ولا يكدّر على أحد موردا نزّه الله نعمه الصافية عن الكدَر ، ولا يتأوّل فى ذلك متأوّلٌ إلا مَنْ جحد النّعمة أو كفر ، ولا يتعلّل متعللٌ ؛ فإنّ أمير المؤمنين يعوذ بالله ويعيذ أيامه [الغرَر][3] من الغيَر ، وأمر أمير المؤمنين — أعلى الله أمرَه — أن يعلن الخطباء بذكره ، وذكر سلطان زمانه على المنابر فى الآفاق ، وأن تُضرب باسمهما النقود وتسير بالإطلاق ، ويوشّح بالدّعاء لهما عطف الليل والنهار ، ويصرّح منه بما يشرق به وجهَ الدرهم والدينار .

---

(١) تاريخ الخلفاء : « ومالك ومملوك » . (٢) تاريخ الخلفاء : « يبرق له » .
(٣) من تاريخ الخلفاء .

وقد أسمع أمير المؤمنين فى هذا المجمع المشهود ما يتناقله كل خطيب ، ويتداوله كلّ بعيد وقريب ، ومختصره أنّ الله أمرَ بأوامر ونهى عن نواهٍ وهو رقيب ، وسيفرِغ لها الأولياء السّجايا ، ويفرع الخطباء لها شعوب الوصايا ، وتتصّل بها المزايا ، وتخرج من المشايخ الخبايا من الزوايا ، ويسمر[(١)] بها السّمار ويترنّم بها الحادى والملاّح ، ويرق شجوها فى الليل المقمر ويرقم على جبين الصباح ، وتعظ بها مكة بطحاءها ، ويحيا بحُدَاتها فناه ، ويلقنها كلّ أب فهمه ابنه ويسأل كلّ ابن نجيب أباه ؛ وهو لـكم أيها الناس من أمير المؤمنين مَنْ سدّد عليكم سنّة ، وإليكم ما دعاكم به إلى سبيل ربّه من الحكمة والموعظة الحسنة . ولأمير المؤمنين عليكم الطاعة . ولولا قيام الرعايا ما قبل الله أعمالها ، ولا أمسك بها البحرَ ودحَى الأرض وأرسى جبالها ، ولا اتّفقت الآراء على من يستحق وجاءت إليه الخلافة تجرّ أذيالها ، وأخذها دون بنىْ أبيه :

ولم تكُ تصلُح إلاّ له ولم يَكُ يصلح إلّا لها

وقد كفاكم أمير المؤمنين السؤال بما فتح لكم من أبواب الأرزاق وأسباب الارتزاق ، وآجركم على وفاقكم وعلّمكم مكارمَ الأخلاق ، وأجراكم على عوائدكم ، ولم يمسِكْ خشية الإنفاق ، ولم يبق لكم على أمير المؤمنين إلا أن يسير فيكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويعمل بما يسعد به من يجئ — أطال الله بقاء أمير المؤمنين — مِنْ بعده ، ويزيد على من تقدم ، ويقيم فروض الحج والجهاد ، ويقيم الرعايا بعدله الشامل فى مهاد .

وأمير المؤمنين يقُيم على عادة آبائه موسم الحجّ فى كلّ عام ، ويشمل برّه سكان الحرمين الشريفين وسَدَنة بيت الله الحرام ، ويجهّز السبيل على حالته[(٢)] ،

---

(١) فى الأصول : « يستمر » وصوابه من تاريخ الخلفاء .

(٢) تاريخ الخلفاء : « ويجهز السبيل على ضالة » .

ويرجو أن يعود على حاله الأوّل فى سالف الأيّام ، ويتدفّق فى هذين المسجدين بحرُه الزاخر ويرسل إلى ثالثهما فى البيت المقدّس ساكبَ الغمام ، ويقيم بعدله[١] قبور الأنبياء صلى الله عليهم وسلم أينما كانوا وأكثرهم فى الشام .

والجُمَع والجماعات هى فيكم على قديم سُنّتها وقويم سَنَنها ، وستزيد فى أيام أمير المؤمنين لمن تضمّ إليه ، وفيما يتسلّم من بلاد الكفر ويُسلِم منهم على يديه .

وأمّا الجهاد فكفى باجتهاد القائم عن أمير المؤمنين بمأموره[٢] ، المقلّد عنه جميع ما وراء سريره . وأمير المؤمنين قد وُكِّل منه — خلّد الله ملكه وسلطانه — عيناً لاتنام ، وقلّد سيفا لو أغفتْ بوارقُه ليلةً واحدة عن الأعداء سلّتْ خيالَه عليهم الأحلام : وسيؤكّد أمير المؤمنين فى ارتجاع ما غلب عليه العِدَا .

وقد قدّم الوصية بأن يوالى غزو العدوّ المخذول برًّا وبحراً . ولا يكفّ عمّن ظفِر به منهم قتلا ولا أسراً ، ولا يفكّ أغلالا ولا إصْراً ، ولا ينفكّ يرسل عليهم فى البرّ من الخيل عِقْباناً وفى البحر غِرْباناً ، تحمل كلّ منهما من كل فارس صقرا ، ويحمى الممالك مما يتخرّق أطرافها بإقدام ، ويتحوّل أكنافها بأقدام ، وينظر فى مصالح القلاع والحصون والثغور ، وما يحتاج إليه من آلات القتال وأمهات الممالك التى هى مرابط البنود ، ومرابض الأسود ، والأمراء والعساكر والجنود ، وترتيبهم فى الميمنة والميسرة والجناح الممدود ، ويتفقّد أحوالَهم بالعرْض ، بمالهم من خيل تُعقد ما بين السماء والأرض ، ومالهم من زَرَدٍ موضون ، وبيض مسّها ذائب ذهب[٣] فكانت كأنها بيض مكنون ، وسيوف قواضب ، ورماح بسبب دوامها من الدماء خواضب ، وسهام تواصل القسىّ وتفارقها ، فتحنّ حنين مفارق وتزمجر القوس زمجرة مُغاضب .

---

(١) ط : « معونة » .　　(٢) ح : « بمأموره » .
(٣) تاريخ الخلفاء : « ذهبذائب » .

وهذه جملة أراد بها أمير المؤمنين إطابةَ قلوبكم ، وإطالة ذيل التطويل على مطلوبكم ، ودماؤكم وأموالكم وأعراضكم فى حماية إلّا ما أباح الشرع المطهّر ، ويزيد[١] الإحسان إليكم على مقدار ما يخفى منكم ويظهر . وأما جزئيّات الأمور فقد علمتم بأنّ من بَعُد عن أمير المؤمنين غَنِيَ عَن مثل هذه الذكرى ، وأنتم على تفاوت مقاديركم وديعة أمير المؤمنين ، وكلُّكم سواء فى الحقّ عند أمير المؤمنين ، وله عليكم أداء النصيحة ، وإبداء الطاعة بسريرة صحيحة ؛ فقد دخل كلٌّ منكم فى كنف أمير المؤمنين وتحت رقّه ، ولزمه حكم بيعته وألزم طائره فى عنقه ؛ وسيعلم كل منكم فى الوفاء بما أصبح به عليما ، ومَنْ أوفى بما عاهد عليهُ الله فسيؤتيه أجرا عظيما .

هذا قول أمير المؤمنين ؛ وقال وهو يعمل فى ذلك كله بما تحمد عاقبته من الأعمال ، وعلى هذا عهِد إليه وبه يعهد ، وما سوى ذلك فجوْر لا يشهد به عليه ولا يشهد ؛ وأمير المؤمنين يستغفر الله على كلّ حال ، ويستعيذ به من الإهمال ، ويسأله أن يمدّه لما يحب من الآمال ، ولا يمدّ له حبل الإهمال .

ويختم أمير المؤمنين قوله بما أمر الله به من العدل والإحسان ، والحمد لله وهو من الخلق أحمد، وقد آتاه الله ملك سليمان، والله يمتّع أمير المؤمنين بما وهبه ، ويملّكه أقطار الأرض ويُورثه بعد العمر الطويل عقبه ، فلا يزال على سُدّة العلياء قعودُه ، ولدست الخلافة به أبهة الجلالة كأنه ماءات منصوره ولا أودى مهديه ولا رشيدُه[٢] .

***

ومن قصيدة ابن فضل الله التى سماها حسن الوفاء بمشاهير الخلفاء :

وطار منهم نحو مصرَ قشعمٌ قَدْ جاءها كما يجىء الطائرُ

---

(١) تاريخ الخلفاء : « ومزيد » .

(٢) نقله السيوطى فى تاريخ الخلفاء ٤٩١ ــ ٤٩٩ .

قال أخى مستنصرٌ ووالدى والدهُ وهْو الإمام الظاهر
فلقّبوه مثـله مستنصرا وذاك أن جدّ هـذا الناصر
وكان منـه الظاهر السلطان ذا خوف ومن بأسائه يحاذِرُ
فبايعوا الحاكم بعـد أن أتى وفر فالتفّت به العشائر
وهْو أبو العباس أحمد الرضا من ولد الرّاشد نجم زاهرُ
وقام مستكفٍ كفاه ربّه جميعَ مايخاف ناهٍ آمرُ
وبعـده الواثقُ إبراهيم لا عاد ولا دارَتْ له الدوائر
والحاكمُ الآن إمام عصرنا بُشْرَى لنا إنّا له نناصِرُ

ثم فى يوم الاثنين ثانى محرم سنة اثنتين وأربعين حضر الخليفة الحاكم والسلطان المنصور والقضاة بدارِ العدل ، فجلس الخليفة على الدرجة العلياء ، وعليه خلعة خضراء ، وفوق عمامته طَرْحة سوداء مرقومة بالذهب ، وجلس السلطان دونه ، فقام الخليفة وخطب خطبة افتتحها بقوله :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾[1] ، وبقوله : ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتمُ الله عليكم كفيلاً إنّ الله يعلم ما تفعلون ﴾[2] ثم أوصى الأمراء بالرفق بالرعية وإقامة الحق ، وتعظيم شعائر الإسلام ونصرة الدين ، ثم قال : فوضّت إليك جميع أحكام المسلمين ، وقلّدتك جميع ماتقلّدته من أمور الدين ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فإنما ينكث على نفسه ﴾[3] وقرأ الآية ، وجلس. ثم جىء بخلعة سوداء ألبسها الخليفة السلطان بيده ، ثم قلده سيفا عربيًّا ، ثم أخذ علاء الدين بن فضل الله كاتب السرّ فى قراءة عهد الخليفة للسلطان ، حتى فرغ منه ، ثم قدّمه إلى الخليفة ، فكتب عليه ثم

(١) النحل ٩٠ (٢) النحل ٩١ . (٣) الفتح ١٠ .

كتب بعده القضاةُ الأربعة بالشهادة عليه، واستمرّ الخليفة فى منصبه الشريف إلى أن مات بالطاعون شهيدا فى منتصف سنة ثلاث وخمسين، ولم يعهد بالخلافة لأحد .

***

فجمع الأمراء شيخو ورفقته القضاة ، وطلب جماعة من بنى العباس ، فوقع الاختيار على أخيه أبى بكر بن المستكفى [1] ، فبايعوه ولقّب المتضد بالله ، وكُنّى أبا الفتح ، وضُمّ إليه نظر المشهد النفيسىّ ، فأقام إلى أن مات ليلة الأربعاء ثامن عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وستين .

قال بدر الدين بن حبيب فى ترجمته : أمير المؤمنين ، وقائد المذعنين ، وإمام الأئمة ، وقدوة المتكلّمين فى براءة الذمة ، علتْ أركانه ، وبَسقت أغصانه ، وتجمّلت به ديار مضره ، وصغت إلى رأيه ملوكُ عصره ، رأس وسادَ ، ومنح وأفاد ، ورفَلَ فى حُلَل النعيم ، وهدى إلى سلوك الطريق المستقيم ، واعتضد بالله فى أموره ، ولم يختف عن الناس بحجبه ولا ستوره ، واستمرّ سائراً فى منهاج عزّه وبقائه ، إلى أن لحق بعد عشرة أعوام بالخلفاء الكرام من آبائه .

***

وعهد بالخلافة لولده أبى عبد الله محمد ، فقام بعده ولقّب المتوكل على الله ؛ هذه صورة العهد :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمدُ لله الذى ميّز أبناء الخلفاء برُتَب العدالة ، وألبس مَنْ نشأ منهم على ستر العفاف خلَعها المذالة ، ورفع قدره على أقرانه حين سلك سُبُلَ الرشاد التى أوضحها له .

---

(١) فى تاريخ الخلفاء ٥٠٠ : « بويع بالخلافة بعد موت أخيه فى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة بعهد منه ، وكان خيرا متواضعا محبا لأهل العلم ، مات فى جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة » .
(حسن المحاضرة ٢/٦)

أحمده على نعمه التى هى على عبده منها له ، وأشكره شكراً أستزيدُ به نعمَه وإفضالَه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لاشريكَ له شهادة امرئٍ أخلَص بهـا نيتّه ومقالَه ، وأشهد أنّ محمـدا عبده ورسولُه المخصوص بعموم الرسالة ، والمبعوث بأوضح حجّة ودلالَة ، والصّادق الأمين الذى أخلص لله أقوالَه وأفعاله ؛ صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولى الصّدْر والأصالة ، والمفاخر الباهرة والجلالة ، وسلّم تسليما كثيرا . ورضى الله عن أوّل الخلفاء بعد نبينّا محمد المصطفى الذى صحبه بوفاء شيخ الوقار ، ومعدن الجود والافتخار ، وأنيس سيّد المرسلين فى الغار ، ذى الكرم العريق ، والرأى الوثيق ، والإخلاص والتّصديق . السابق للنبوّة والرسّالة بالتّصديق ، المكنىّ بعتيق ؛ هو الإمام أبو بكر الصديق . وعن عمّىْ نبيّه حمزة والعباس ، المطهّريْن من الدنّس والأرجاس .

وبعد ، فالخلافة أشرف ملابس أهـل الديانة ، وأزهى حُلَل الصّيانة ، وهى أصـل كلّ سيادة يُتوصّل إليها ، ورياسة جلّ الاعتماد عليها ؛ إذ هى أجـلّ المناصب وأتمّها ، وأشرفها وأرفعها وأسناها ، وأنفَسُها وأعلاها وأغلاها ، ومن لوازمها ألاّ يؤتى تقليدَها إلا من اتّصف بصفاتها المرضيّه ، وتحلّى بحلاها المرعيّة ، ورقى بجميل سيرته إلى مراتبها العليّة . ولمّا كان من يأتى اسمه فى هذا المكتوب ممن هو حقيق بها لامحالة ، وجدير بأن يبلغه حسن الظنّ منها آماله ؛ إذْ كان متصفا بصفاتها الحميدة ، متقيداً بآرائها السديدة ؛ وقد لاحت عليه آثارُ الخلافة وظهرت ، وذاعت محامده واشتهرت ، وقامت الأدلّة بأهليّته لتقليدها ، وأنه كفء لتناول طريفها وتليدها ؛ استخار الله سيّدُنا ومولانا الإمام المعتضد بالله ، المستمسك بتقواه ، المراقب له فى سرّه ونجواه ، أمير المؤمنين ، خليفة ربّ العالمين ، ابن عمّ سيد المرسلين أبو الفتح أبو بكر بن سيدّنا ومولانا المستكفى بالله أبى الرّبيع سليمان أمير المؤمنين ، أعزّ الله به الدين ، وأمتع ببقائه الإسلام والمسلمين ، وأشهد على نفسه الكريمة ، أسبغ الله عليه نعمه العميمة ، إنه عهد إلى ولده لصُلْبه الإمام

المتوكلّ على الله أبى عبد الله محمد نصر الله به الإسلام وأيّده ، ونفع به نفعا مستمرا مؤبّده وجعله ولىّ عهـدِه ، ورضيّه خليفة على الرعيـة من بعده ؛ لمـا علم من ديانته وعدالته وكفالته وكفايته ومروءته وحسن قصده ، عهـدا صحيحا شرعيًّا ، تامًّا معتبرا مرضيًّا ، وفوّض إليه أمرَ الخلافة تفويضاً صريحا ، وعقَد له ولاية العهد على الرعيّة عقداً صحيحـا وقبِل ذلك قبولا شرعيًّا ، جعـله الله لشريعة نبيّه محمـد ناصراً مؤيّدا ، وجمع به كلمة الإسلام .

وصدَّر الإشهادُ بذلك فى اليوم المبارك يوم الثلاثاء الثالث عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وسبعمائة .

فاستمرّ إلى أن قُتِل الأشرف شعبان وأقيم ولد المنصور علىّ ، وكان أيْنَبَك البدرىّ مدبّر دولته ، وقد حقد على المتوكّل أموراً ، فطلب نجم الدين زكريا بن إبراهيم بن ولىّ العهد المستمسك بن الخليفة الحاكم يوم الاثنين رابع ربيع الأوّل سنة تسع وسبعين ، فخلَع عليه،واستقرّ خليفة بغير مبايعة ولا إجماع ، ولقِّب المعتصم بالله. ثم فى العشرين من الشهر كلّم الأمراء أينَبَك فيما فعله مع المتوكّل ، ورغّبوه فى إعادته إلى الخلافة . فأعاده وخلع زكريا ، فكانت خلافته خمسة عشر يوما.ثم لم يتمّ الشهر على أينَبَك حتى اتّفق العساكر على خلافه والخروج عليـه ، فهرب ثم ظُفِر به فى تاسع ربيع الآخر ، فقيِّد وسُجن بالإسكندريّة وكان آخر العهد به .

وقال فيه الأديب شهاب الدين بن العطار :

من بعـــد عزّ أذلّ أينَبَكَا وانحطّ بعدَ السموّ مَنْ فَتَكَا[1]

وراحَ يبكى الدّماءَ منفرداً والنّاس لا يعرفُون أين بكَى

***

واستمرّ المتوكل فى الخلافة إلى رجب سنة خمس وثمانين . فبلغ الظاهرَ برقوقاً أنه

---

(١) النجوم الزاهرة ١١ : ١٥٨

واطأ جماعةً أن يقتلوه إذا لعب الأكرة ، ويقوموا بنصرة الخليفة واستبداده بالأمر، وإن الخليفة ذكر أنّه مافوّض إليه السلطنة إلا كُرهاً ، وأنه لم يسِرْ فى مُلْكِه بالعدل . فاستدعى برقوق بالقضاة ليُفتوه فى الخليفة بشىء فامتنعوا ، وقاموا عنه ، فخلع هو الخليفة بقوّته وسجَنه بالقلعة . ثم طلب عمر بن إبراهيم بن المستمسك بن الحاكم ، وبايعه بالخلافة ولقب الواثق بالله. ثم فى ذى القعدة من السّنة ، أخرج المتوكل من السجن، وأقام بداره مكرّماً ، واستمر الواثق فى الخلافة إلى أن مات يوم الأربعاء تاسع عشرى شوال سنة ثمان وثمانين .

فكلّم الناسُ برقوقاً فى إعادة المتوكّل ، فأبى وأحضر أخا عمر زكريا الذى كان أينبَك ولّاه تلك الأيام اليسيرة ، فبايعه ولقّب المعتصم بالله ، فاستمرّ إلى يوم الخميس ثانى جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين . فندم برقوق على ماصنع بالمتوكّل ، فخلع زكريا وأعاد المتوكّل إلى الخلافة ،وحلّف القضاة كلًّا من الخليفة والسلطان للآخر على الموالاة والمناصحة . وأقام زكريّا بداره إلى أن مات مخلوعا فى جماذى الأولى سنة إحدى وثمانمائة. وقرئ تقليدُ المتوكل بالمشهد النفيسىّ فى ثامن عشر الشهر بحضرة القضاة والأمراء ، وقرّر له السلطان داراً بالقلعة يسكنها ، ويركب إلى داره بالمدينة متى شاء .

واستمرّ المتوكّل فى خلافته هذه إلى أن مات ليلة الثلاثاء ثامن عشرى رجب سنة ثمان وثمانمائة .

قال المقريزى : وهو أوّل من أثرى من خُلَفاء مصر ، وكَثُر ماله ، ورزق أولادا كثيرة ، يقال إنه جاء له مائة ولد ، مابين مولود وسَقط ، ومات عن عدّة أولاد ذكور وإناث ، ولىَ الخلافة منهم خمسة ، ولا نظير لذلك ؛ وأكثرُ إخوته ولُوا الخلافة فيما تقدّم ، أربعة . واتّفق للمتوكّل هذا أنّه عاد إلى الخلافة بعد خلعه مرتين ، ولم يقع ذلك لأحد فيما تقدّم إلا للمقتدِر فقط .

ورأيت فى تاريخ عالم حلب المحبّ أبى الوليد بن الشِّحنة أنّه فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، أرسل أبو يزيد بن عثمان إلى الخليفة المتوكّل بهدايا وتُحف فى طلبِ تشريف منه بأن يكون سلطان الروم ؛ فجهز له ذلك .

وذكر الحافظ ابن حجر فى إنباء الغُمْر ، أن مولد المتوكل هذا فى سنة نيّف وأربعين وسبعمائة ، وأنّه لما تسلطن برقوق المرّة الأولى حَسَّن له جماعةٌ من أهل الدولة وغيرهم طلبَ المُلْك ؛ فكاتب الأمراء والعربان مصرا وشاما وعراقا ، وبثّ الدعاة فى الآفاق . فبلغ ذلك برقوقاً ، فخلعه وسجنه ، فخرج يلبغا الناصرىّ على برقوق بسبب ذلك ، فأفرج عنه برقوق ، وأعاده إلى الخلافة ، وفرح الناس به فرحا كثيرا . فلما انتصر الناصرىّ ، وزالت دولة برقوق قال الناصرىّ للخليفة بمحضر من الأمراء : يامولانا أمير المؤمنين ، ماضربتُ بسيفى هذا إلّا فى نصرتك ؛ وبالغَ فى تعظيمه وتبجيله ، فتبرّم المتوكل من الدخول فى المُلْك ، وأشار بإعادة حاجى بن شعبان .

وكان المتوكّل عهد بالخلافة لولده أحمد ، ولقّبه المعتمد على الله ، ثم خلعه وعهد إلى ابنه أبى الفضل العباسى ؛ فاستقرّ فى الخلافة بعده ، ولقِّب المستعين بالله ، فأقام إلى أن خرج شيخ على الناصر فرج ، وظفِر به ، وذلك فى المحرّم سنة خمس عشرة وثمانمائة، فأشهد على الخليفة بخلْع الناصر من الملك ، لِما ثبت عليه من الكفريّات والانحلال والزندقة ، وحكم ناصر الدين بن العديم بسفك دمه .

واتفق رأىُ الأمراء على سلطنة الخليفة واستقلاله بالأمر ، فلم يوافقهم الخليفة إلا بعد شدّة وتوثّق منهم بالأيمان ، فبايعه الأمراء كلُّهم ، وحلفوا له على الوفاء ، ولم يغيِّر لقبَه ، وجلس على كرسىّ المُلْك ، وقام الكلّ بين يديه ؛ وذلك بالشام ، وقرر بُكْتُمُر جِلّق فى نيابة الشام وقُرْقُماس فى نيابة حلب وسودون الجلب فى نيابة طرابلس، وشيخ ونوروز فى ركابه ، يدبّران الأمر ، ونادى منادى الخليفة : ألا إن فرج بن برقوق

قد خُلِع من السلطنة ، ومن حضر إلى أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين فهو آمن . فتسلّل الناس من الناصر . وكتب المستعين إلى القاهرة باجتماع الكلمة له. وعزل الجلال البُلقينىّ عن قضاة الشافعيّة ، وولّى بدله شهاب الدين الباعونىّ ، فحقدها عليه البُلقينىّ ، حتى فعل معه بعد ذلك مافعل .

ثم أرسل المستعين كتابا ثانياً إلى من بالقاهرة من الأعيان، فأرسل إلى الجامع الطولونىّ، فقرأه خطيبه ابن النّقاش على المنبر ، ثم أرسل إلى الجامع الأزهر ، فقرأه خطيبه الحافظ ابن حجر على المنبر، ثم فرّ الناصر إلى حلب ، فقام ناسٌ على الأسواق،فنادوا : نصَر الله أمير المؤمنين ، فلما سمع الرّماة ذلك تخوّفوا على أنفسهم ولم يغيثوه ، ثم قبض على الناصر وقتِل بحكم ابن العديم .

ثم إن المستعين صرف بُكْتُمُر جِلّق عن نيابة الشام وقرّر فيها نوروز ، وقرّر بُكْتُمر أميرا كبيرا بالقاهرة، وصدرت الكتب من المستعين إلى أمراء التركمان والعُربان والعشير . ومفتتحها : من عبد الله ووليّه الإمام المستعين بالله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين وابن عمّ سيد المرسلين المفترَضة طاعته على الخلق أجمعين ، أعزّ الله ببقائه الدين، إلى فلان . ثم توجّه هو والعسكر إلى القاهرة ، فدخلوا فى يوم الثلاثاء ثانى ربيع الآخر بعد أن تلقّاهم النّاس إلى قَطْيَا وإلى الصالحيّة وإلى بلبيس ، وحصل للناس من الفرح بذلك مالا مزيد عليه ، ونادى فى الناس برفع المظالم والمكوس .

وعمل الحافظ أبو الفضل بن حجر فى المستعين قصيدته المشهورة وهى :

الْمُلكُ أصبح ثابتَ الآساسِ   بالمستعينِ العادل العبّاسى[1]
رجعت مكانةُ آل عمّ المصطفى   لمحلها من بعد طول تناسِ

(١) نقلها السيوطى فى تاريخ الخلفاء ٥٠٦ ـ ٥٠٨ ، وفيه : « الملك فينا ثابت الآساس » .

ثانى ربيع الآخر الميمون فى ... يوم الثلاثا حُفَّ بالأعراس
بقدوم مهدىّ الأنام أمينهم ... مأمونِ غيبٍ طاهر الأنفاسِ
ذو البيت طاف به الرجاء فهل يرىَ ... من قاصدٍ متردّد فى الياس
فرع نمَا من هاشمٍ فى روضة ... زاكى المنابتِ طيّب الأغراس
بالمرتضى والمجتبى ، والمشترى ... للحمد للحالى به والكاسى[1]
من أسرة أسروا الخطوب وَطهّروا ... ممّا بغيرهمُ من الأدناس
أُسْدٌ إذا حضروا الوغى وإذا خَلَوْا[2] ... كانوا بمجلسهم ظباءَ كِناس
مثل الكواكب نورهم مابينهم ... كالبدر أشرق فى دجى الأغلاس
وبكفّه عند العلامة آيةٌ ... قلمٌ يضىء إضاءة المِقبَاسِ
فلبشره للوافدين مباسمٌ ... تُدْعى وللإجلال بالعباسى
فالحمد لله المعزّ لدينه ... من بعد ماقد كان فى إبلاسِ
بالسادة الأبرار أركانِ العلا ... من بينِ مدرك ثاره ومواسِ
نهضوا بأعباء المناقبِ وارتَقَوْا ... فى منصب العليا الأشمّ الراسى
تركوا العِدى صرعَى بمعتركِ الردى ... فالله يحرسهم من الوسواسِ
وإمامهم بجلالِهِ متقدّمٌ ... تقديمَ « بسم الله » فى القرطاسِ
لولا نظامُ الملك فى تدبيرِهِ ... لم يستقم فى الملك حال الناس
كم من أميرٍ قبله خطب العُلا ... وبجهده رجعته بالإفلاس
حتى إذا جاء المعالىَ كفؤُها ... خضعتْ له من بعد فرط شِمَاسِ

---

(١) تاريخ الخلفاء : « والحالى » .

(٢) فى الأصول : « خافوا » والصواب ما أثبته من تاريخ الخلفاء .

طاعت له أيدى الملوك وأذعنَتْ من نيلِ مصر أصابعُ المِقْياسِ
فهو الذى قد ردّ عنا البؤس فى دهر به لولاه كل البـاس
وأزال ظلماً عمّ كل معمّم من سائر الأنواع والأجناس
بالخاذلِ المدعوّ ضـد فعاله بالنّاصر المتناقضِ الآساس
كم نعمةٍ لله كانت عنده فكأنها فى غربة وتناس
مازال سرّ الشر بين ضلوعه كالنار أوْ صحبَتْه للأرماس
كم سنّ سيئةً عليه أثامُها حتّى القيامة ماله من آس
مكراً بنىَ أركانَه ، لكنّها للغدر قد بنيتْ بغير أساسِ
كلّ امرئٍ ينسى ويذكر تارةً لكنّه للشرّ ليس بناسِ
أملَى له ربّ الورى حتى إذا أخذوه لم يفلتهُ مرّ الكاسِ
وأدالنا منه المليك بمالك أيّامه صدرت بغير قياس
فاستبشرت أمّ القرى والأرض من شرق وغرب كالعُذَيْبِ وفاسِ
آيات مجد لا يحاول جَحْدَها فى النّاس غيرُ الجاهل الخنّاس
ومناقب العباس لم تَجْمَع سوى لحفيده مَلِك الورى العباسِ
لا تنكرُوا للمستعين رياسةً فى المُلْكِ من بعد الجحود النّاسِي
فبنُو أمية قد أتى من بعدِهمْ فى سالفِ الدّنيا بنُو العبّاسِ
وأتى أشجُّ بنى أميّة ناشراً للعدْلِ من بعد المبير الخاسِي
مولاى عبدك قد أتى لك راجياً منك القبولَ فلا ترى من باسِ
لولا المهابةُ طوّلَتْ أمداحَهُ لكنّها جاءتْهُ بالقسْطاسِ
فأدام ربّ النّاس عزّك دائماً بالحقّ محروسا بربِّ الناس
وبقيتَ تستمع المديح لخادمٍ لولاك كان من الهموم يُقاسِي

عبْـــدٌ صفا ودّا وزمزم حاديًا   وسعَى على العينين قبل الرّاسِ
أمداحُـــهُ فى آل بيت محمّـدٍ   بين الورى مسكيّـة الأنفـاسِ

ولما دخل الخليفةُ القاهرة شقّها والأمراء بين يديه ، فاستمرّ إلى القلعة ، فنزل بها ونزل شيخ الإصطبل بباب السّلسلة[1] .

ثم فى ثامن ربيع الآخر صعد شيخ والأمراء إلى القصر ، وجلس الخليفة على تخت الملك ، فخلع على شيخٍ خلعة عظيمة بطراز لم يُعْهَد مثلها ، وفوّض إليـه أمر المملكة بالديار المصرية فى جميع الأمور ، وكتب له أنْ يولّىَ ويعزل من غير مراجعة ، وأشهدعليه بذلك ؛ ولقّب نظام الملك ؛ فـكانت الأمراء إذا فرغوا من الخدمة بالقصر ، نزلوا فى خدمة شيخ إلى الإصطبل ؛ فأعيدت الخدمة عنـده ، ويقع عنـده الإبرام والنقض ، ثم يتوجّـه دواداره إلى المستعين ، فيعلِم على المناشير والتواقيع . ثم إنه تقـدّم إليه بألّا يتمكّن الخليفةَ من كتابة العلامة إلا بعد عرضها عليه ، فاستوحش الخليفة عليـه ، وضاق صدره ، وكثر قلقه . فلمّا كان فى شعبان سأل شيخ الخليفةَ أن يفوّض إليـه السلطنة على العادة،فأجاب بشرط أن ينزلَ من القلعة إلى بيته ، فلم يوافقه شيخ على النزول، بل استنظره أياما .

ثم إنه نقل المستعين من القصر إلى دار من دور القلعة ، ومعَه أهله ، ووكّل به مَنْ يمنعه الاجتماع بالنّاس ، فبلغ ذلك نوروز ، فجمع القضاة والعلمـاء فى سّابع ذى القعدة ، واستفتاهم عمّا صنعه شيخ بالخليفة ، فأفتَوْه بعـدم جواز ذلك ؛ فأجمع على قتال شيخ ، واستمرّ المستعين فى القلعة إلى ذى الحجة سنة ست عشرة ، وهو باقٍ على الخلافة ، فلمّا عزم شيخ إلى الشام خشىَ من غائلتِه ، وأراد خلعه فراجع البُلقينىّ فى ذلك . وكان فى نفسه من المستعين شىء لـكونه عزله ، فرتّب له دعوىشرعيّة ، وحكم بخلعه من الخلافة،

(١) تاريخ الخلفاء : « وفوض إليه المستعين تدبير المملكة الإسلامية ولقبه نظام الملك » .

وبايع بالخلافة أخاه أبا الفتح داود ، ولقّب المعتضد بالله ، وسيّر المستعين إلى الإسكندرية ، فأقام بها إلى أن مات شهيدا بالطاعون ، فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين .

* * *

واستقرّت الخلافة باسم المعتضد ، وكان من سَرَوات الخلفاء ، نبيلاً ذكيا فاضلا، يجالسه العلماء والفضلاء ، ويستفيد منهم ويشاركهم فيما هم فيه ، جواداً سمحاً ، وطالت مدّته فى الخلافة نحو ثلاثين سنة ، فلمّا حضرته الوفاة عهد بالخلافة إلى شقيقه أبى الربيع سليمان ، ولقّب المستكفى بالله ؛ وكان والدى خصيصا به ، فكتب له العهد بيده وهذه صورته :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا ما أشهد على نفسه الشّريفة حرسها الله وحماها ، وصانها من الأكدار ورعاها، سيّدنا ومولانا ذو المواقف الشريفة الطاهرة الزكيّة الإماميّة الأعظميّة العباسية النبويّة المعتضديّة ، أمير المؤمنين وابن عمّ سيد المرسلين ، ووارث الخلفاء الراشدين، المعتضد بالله تعالى أبو الفتح داود ، أعزّ الله به الدينَ ، وأمتع ببقائه الإسلام والمسلمين ؛ أنّه عهد إلى شقيقه المقرّ العالى المولوىّ الأصيلىّ العريقىّ الحسيبىّ النسيبىّ السليلىّ سيدى أبى الربيع سليمان المستكفى بالله ، عظّم الله شأنَه ، بالخلافة المعظّمة ، وجعله خليفةً بعده ، ونصبه إماما على المسلمين، عهدا شرعيًّا ، معتبراً مرضيًّا ، نصيحة للمسلمين ، ووفاء بما يجب عليه من مراعاة مصالح الموحِّدين ، واقتداء بسنّة الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديّين .

وذلك لمّا علم من دينه وخيره ، وعدالته وكفالته وأهليّته ، واستحقاقه بحكم أنه اختبر حاله ، وعلم طويّته ، وأنه الذى يدين الله به أنه أتقَى لله ممّن رآه ، وأنه لا يعلم صدر منه ماينافى استحقاقه لذلك ، وإنه إن ترك الأمر هَمَلاً من غير تفويض للمشار إليه أدخل إذ ذاك المشقة على أهل الحلّ والعقد فى اختيار مَنْ ينصبونه للإمامة ، ويرتضونه لهذا الشأن ، فبادر إلى هذا الشأن ، شفقةً عليهم ، وقصداً لبراءة ذمّتهم ووصول الأمر

إلى مَنْ هو أهله ، لعلمه أنّ العهد كان غير محوج إلى رضا سائر أهله ، ووجب على مَنْ سمعه وتحمّل ذلك منه أن يعلم به ، ويأمر بطاعته عنـد الحاجة إليه ، ويدعو النّاس إلى الانقياد له ، فسجّل ذلك على مَنْ حضره حسب إذنِه الشريف ، وسطّر عن أمره قبل ذلك سيّدى المستـكفى أبو الربيع سليمان ، المسمّى فيه ، عظّم الله شأنه قبولا شرعيّاً .

ومات المعتضِد يوم الأحد رابع ربيع الأول سنة خمس وأربعين واستقرّ المستـكفى ، وكان من صلحاء الخلفاء وعبّادهم ، صالحاً ديّناً عابدا ، كثير التعبّد والصلاة والتلاوة ، كثير الصمت ، حسن السيرة . وكان الظاهر جُقْمق يعتقِدهُ ، ويعرف له حقه ، فأقام إلى أن مات ليلة الجمعة ، سَلْخ ذِى الحجّة سنة أربع وخمسين ، ولم يعهد بالخلافة لأحد .

وكان والدى خصيصا به جدّا ، فلم يعش بعده إلا أربعين يوما ، ومشى السلطان فى جنازة المستـكفِى إلى تربته ، وحمل نعشه بنفسه .

* * *

وبايع بعده بالخلافة أخاه أبا البقاء حمزة ، ولقّب القائم بأمر الله ، وكان سهماً صارما ، أقام أبّهـة الخلافة قليلاً . ثم إنّ الجند خرجوا على الأشرف إينال ، فقام معهم ، وحدّثته نفسه بطلب الملك ، فانهزم الجند ، فلم يحصل من يدهم شىء . فغضب عليه الأشرفُ ، وطلبه إلى القلعة ، وعاتبه فى ذلك ؛ فحُـكِىَ أن الخليفة قال : خلعتُ نفسى وعزلتك ، وكان غلطة منه ؛ فقال شيخُنا قاضى القضاة عَلم الدين البُلقينىّ — وكان حريصاً على جرّ الخلافة إلى أخى الخليفة يوسف ، لـكونه زوج ابنته ؛ فقال : قد بدأ بخلْع نفسه فانخلع ، وثنّى بخلع السلطان وهو غير خليفة ؛ فلم ينفذْ عزلُه . وحكَم بصحّة خلعه ؛ وذلك فى جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين ، وبايع أخاه أبا المحاسن يوسف ولقّب المستنجد بالله ، وسيّر القائم إلى الإسكندرية إلى أن مات بهـا سنة ثلاث وستين ودفن عند شقيقة المستعين .

ومن الاتّفاق الغريب أنهما شقيقان ، كلٌّ منهما رامَ السلطنة ، وكلٌّ منهما خلـع ،

وسكن الإسكندريّة ، ودفنا معا ؛ وحكم بخلعهما قاضيان أخوان ؛ ذلك خامسه الجلال البُلقينىّ ؛ وهذا أخوه العَلَم البُلقينىّ .

واستمرّ المستنجدفى الخلافة ساكنا بمنزل إخوته، إلىأن تُوُفِّىَ الظاهرخشقدم ، فدعاه إلى أن يسكن عنده فى القلعة ، واستمرّ ساكنا بها إلى أن مات يوم السبت رابع عشرى المحرّم سنة أربع وثمانين وثمانمائة .

* * *

وعهد بالخلافة إلى ابن أخيه سيّدى عبد العزيز أبى العزّ يعقوب بن المتوكّل على الله فلمّا كان يوم الاثنين سادس عشرى المحرّم طلع إلى القلعة ، وحضر القضاة والأعيان ، فأمضوْا عهد عمّه ، ولبس تشريف الخلافة ، ونزل إلى داره، والقضاة والأعيان بين يديه، وكان يوما مشهودا . وكان أرَاد أن يتلقّب بالمستعزّ بالله ، ثم وقع التردّد بينه وبين المستعين أو المتوكل ، واستقرّ الحال على أن لقب : « المتوكل على الله »، وهو الآن عين بنى العباس وشامتُهم ؛ لم يزل مشارا إليه، محبوباً فى صدور الناس،وله اشتغال على والدى وغيره من المشايخ ، وأجاز له باستدعائى جماعةٌ من المسندين ، وقد خرّجتُ لهم عنه جزءاً حدّث به . وألّفت برسمه كتاب « الأساس فى فضل بنى العباس » ، وكتاب « رفع الباس عن بنى العباس » . أبقاه الله بقاء جميلا ، وأدامه على رباع المسلمين ظلا ظليلاً ! وتعفف عن أخذ مايتحصّل من مشهد السيدة نفيسة من النّذور من شمع وزيت وغيرها، وصرفه إلى مصالح المكان من عمارة وغيرها . وكان الخلفاء قبله يأخذون لأنفسهم غالبه، والباقى يفرّقونه على من شاءوا من ألزامهم ، فرفع ذلك من أصله .

* * *

فصـــل

قال ابن فضل الله فى المسالك : إنّ قاعدة الخلافة أوّل ما كانت المدينة شرفها الله مدّة أبى بكر وعمر وعثمان ، فلمّا انتهت الخلافة إلى علىّ انتقل من المدينة إلى الكوفة ، واتّخذها قاعدة خلافته ، وربّما استوطن البصرة . وجاء ابنه الحسن والكوفة قاعدة خلافته على ما كان عليه أبوه ، فلمّا ولِىَ معاويةُ انتقلت قاعدة الخلافة إلى دمشق ، واستقرّت قاعدة لبنى أميّة ؛ وإن كان هشام قد سكن الرّصافة ، وعمر بن عبد العزيز خُناصرة ، فإنّهما لم يكونا قاعدتىْ خلافة ، لأنّهما سكناها غير مفارقَيْن لدمشق ، بل هى القاعدة والمعتمدة بأنها مستقر الخلافة ، ولم تزل كذلك إلى آخر الدوله الأمويّة . فلما مَلَكَ السّفاح سكن الأنبار ، فلما ولِىَ المنصور بنى الهاشميّة وسكنها ، ثم بغداد ، فصارت قاعدة الخلافة له ولبنيه إلى المعتصم ؛ فبنى سُرَّ مَنْ رأى ، فانتقلت قاعدة الخلافة إليها . ثم بنى ابنه هارون الواثق إلى جانبها الهارونيّة ، فانتقلت قاعدة الخلافة إليها . ثم بنى أخوه جعفر المتوكل إلى جانبها الجعفريّة ، فانتقلت قاعدة الخلافة إليها ، ثم عادت قاعدة الخلافة إلى بغداد فى زمن المعتمد إلى المستعصم الّذى قتلته التتار ، فانتقلت قاعدة الخلافة إلى مصر .

قال : فانظر كيف تنقلتْ قواعد الخلافة من بلدٍ إلى بلد بتنقّل الزمان ، وقد كانت بُخارى قاعدة السلطنة زمن بنى ساسان ، ثم صارت غَزْنة مكان محمود بنُ سُبُكْتُكِين وبنيه ، ثم همذان زمان الدولة السلجوقيّة ، ثم خُوارزم مكان الملوك الخوارزميّة ، ثم دمشق زمان الملك العادل نور الدين محمود بن زِنكى ، ثم مصر من زمن السلطان صلاح الدين

يوسف بن أيوب وإلى اليوم .

* * *

وإذا اعتبرت أحوال البلاد تجد السعادة قد نظرت هذه مرة ، ثم تلك أخرى كما قال الشاعر :

وإذا نظرت إلى البقاع رأيتها   تشقى كما تشقى الرجال وتَسْعَدُ

واعلم أن مصر من حين صارت دار الخلافة عظُم أمرها ، وكثرت شعائر الإسلام فيها ، وعلتْ فيها السنّة ، وعَفَتْ منها البدعة ، وصارت محلّ سكن العلماء ، ومحطّ رحال الفضلاء ، وهذا سرٌّ من أسرار الله أودعه فى الخلافة النبوّية حيث ما كانت يكون معها الإيمان والكتاب، كما أخرج . . . .
. . . . (١)

دلّ هَذَا الحديث على أنّ الإيمان والعلم يكونان مع الخلافة أينما كانت ،فكانا أوّلاً بالمدينة زَمَن الخلفاء الراشدين ، ثم انتقلا إلى الشام زمن خلفاء بنى أمية ، ثم انتقلا إلى بغداد زمن خلفاء بنى العباس ، ثم انتقلا إلى مصر حين سكنها خلفاء بنى العباس ؛ ولا يظنّ أن ذلك بسبب الملوك ، فقد كانت ملوك بنى أيوب أجلّ قدرا ، وأعظم خطرا من ملوك جاءتْ بعدهم بكثير ، ولم تكن مصر فى زمنهم كبغداد ، وفى أقطار الأرض الآن من الملوك مَنْ هو أشدّ بأسا ، وأكثر جندا من ملوك مصر ، كالعجم والعراق والروم والهند والمغرب، وليس الدّين قائما ببلادهم كقيامه بمصر ، ولاشعائر للأسلام فى أقطارهم ظاهرة كظهورها فى مصر ، ولا نُشِرَت السنّة والحديث والعلم فيها كما فى مصر ، بل البدَعُ عندهم فاشية ، والفلسفة بينهم مشهورة ، والسنّة والأحاديث دائرة ، والمعاصى والخمور واللّواط متكاثرة .

(١) بياض بالأصول .

ذكر سلاطين مصر الذين فوض إليهم خلفاء مصر العباسيون فاستبدوا بالأمر دونهم

أوّلهم الملك الظاهر ركن الدين ، أبو الفتح بِيبَرْس الْبُنْدُقدارىّ . ولما فوّض إليه خليفة مصر لقّبه قسيم أمير المؤمنين وهو أوّل من لقب بها ، وكان الملوك قديماً يكتب أحدُهم من جهة الخليفة : «مولى أمير المؤمنين» أى عتيقه ، ويكتب هو إلى الخليفة «خادم أمير المؤمنين» فإن زيد فى تعظيمه لقّب «ولىّ أمير المؤمنين» ، ثم «صاحب أمير المؤمنين» ، ثم «خليل أمير المؤمنين» ، وهو أعلى مالقّب به ملوك بنى أيّوب ، فلقب الظّاهر هذا قسيم أمير المؤمنين ؛ وهو أجلّ من تلك الألقاب ، وكان فى الظاهر محاسن وغيرها ، وظلم أهل الشام غير مرة ، وأفتاه جماعة بموافقة هواه ، فقام الشيخ محيي الدين النّووىّ فى وجهه ، وأنكر عليه ، وقال : أفتوك بالباطل ! وكان بمصر منقمعاً تحت كلمة الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام ، لا يستطيع أن يخرج عن أمره ، حتى إنه قال لما مات الشيخ : ما استقرّ ملكى إلّا الآن .

ومن محاسنه ما حكاه ابن كثير فى تاريخه أنّه حضر فى يوم الثلاثاء تاسع رجب سنة ستين إلى دار العدل فى محاكمة فى بئر بين يدى القاضى تاج الدين ابْن بنت الأعزّ ، فقام الناس سوى القاضى ، فإنه أشار إليه ألاّ يقوم ، فقام هو وغريمه بين يدى القاضى وتداعيا ، وكان الحقّ بيد السلطان ، وله بيّنة عادلة به ، فانتُزعت البئر من يد الغَريم وهو أحد الأمراء .

والظاهر هو الذى أكمل عمارة المسجد النبوىّ من الحريق ، وكان الخليفة المستعصم شرع فيه بعد أن احترق ، فقتل قبل أن يتمّ ، فجهز الظاهر فى رمضان سنة

إحدى وستين صُنّاعاً وأخشابا وآلات ، وطِيف بها بالديار المصرية فرحة بها ، وتعظيما لشأنها ، ثم ساروا بها إلى المدينة الشريفة ، وأرسل منبراً فنُصِب هنالك ، وحجّ فى سنة سبع وستين ، فغسّل الكعبة بيده بماء الورد ، وزار المدينة الشريفة ، فرأى النّاس يلتصقون بالقبر النبوىّ ، فقاس ماحوله بيده ، وأرسل فى العام الذى يليه دارابز يا من خشب ، فأدير حول القبر الشريف .

وللظاهر فتوحات كثيرة ، وملك الرّوم ، وجلس بقيسارية على تخت آل سلجوق ، ولبس التاج ، وضرب باسمه الدينار والدرهم ، وهو الذى جعل القضاة أربعة من كلّ مذهب قاضٍ ، ولم يعهد ذلك قبله فى ملّة الإسلام ، وهو الذى جدّد صلاة الجمعة بالجامع الأزهر وبجامع الحاكم ، وكانا مهجورَيْن من زمن العُبيديين ، فأساء فى ذلك كلّ الإساءة كما سنبينه بعد هذا .

وأمر فى أيامه بإراقة الخمور ، وإبطال المفسدات والخواطىء وإسقاط المكوس المرتّبة عليها ، فأحسن فى ذلك كل الإحسان .

وفى أيامه طِيف بالمحمل وبكسوة الكعبة المشرّفة بالقاهرة وذلك فى سنة خمس وسبعين ، وكان يوما مشهودا ، وهو أوّل مَنْ فعل ذلك بالديارالمصرية . وكان له صدقات كثيرة ؛ من ذلك كلّ سنة عشرة آلاف إردبّ قمح للفقراء والمساكين وأرباب الزوايا ، وكان يخرج كل سنة جملة مستكثرة يستفكّ بها مَنْ حَبس القاضى من المفلسين ، وكان يرتّب فى أول رمضان مطابخ لأنواع الأطعمة برسم الفقراء والمساكين ، ووقف وقفا على تكفين أموات الغرباء ، وأجرى على أهل الحرمَيْن وطرق الحجاز ما كان انقطع فى أيام غيره من الملوك ، وله أنواع من المعروف وأوقاف البرّ .

نقلت من خط شيخنا الإمام تقى الدين الشُّمنىّ ؛ قال : نقلت من خط الشيخ كمال الدين الدّميرىّ ، نقل من خطالشيخ جمال الدين بن هشام ، قال :من غريب مارأيت على

كراريس من تسهيل الفوائد بخط الشيخ جمال الدين بن مالك ، فى أواخرها صورة قصة رفعها الفقير إلى رحمة ربه محمد بن مالك: يقبّل الأرض ، ويُنهى إلى السلطان أيّد الله جنوده وأبّد سعوده ، أنه أعرف أهل زمانه بعلوم القرا آت والنحو واللغة وفنون الأدب ، وأمله أن يُعينَه نفوذاً من سيّد السلاطين ، ومبيد الشياطين ، خلّد الله ملكه ، وجعل المشارق والمغارب ملكه ، على ماهو بصددِه من إفادة المستفيدين ، وإفادة المسترشدين : بصدقةٍ تكفيه همّ عياله ، وتغنيه عن التسبّب فى صلاح حاله ؛ فقد كان فى الدّولة الناصرية عناية تتيسّر بها الكفاية ؛ مع أنّ الدولة ، من الدولة الظاهريّة كجدول من البحر المحيط ، والُخلاصة من الوسيط والبسيط ؛ وقد نفع الله بهذه الدولة الظاهريّة الناصرية خصوصاً وعموما ، وكشف بها عن الناس أجمعين غموما ؛ ولم بّها من شعث الدين مالم يكن ملموماً ، فمن العجائب كون المملوك من مزيد خيراتها وعن يمين عنايتها غائبا محروماً ؛ مع أنه من ألزم المخلصين للدعاء بدوامها ، وأقوم الموالين بمراعاة زِمامها : لابرحت أنوارها زاهرة ، وسيوف أنصارها قاهرة ظاهرة ، وأياديها مبذولة موفورة ، وأعاديها مخذولة مقهورة ، بمحمد وآله !

وكان الشيخ محيي الدين النووىّ يكثر المكاتبات إليه ، ويعظه فى أمور المسلمين . قال الشيخ علاء الدين بن العطار : كتب الشيخ محيي الدين ورقةً إلى الظاهر بيبرس ، تتضمّن العدْل فى الرعيّة ، وإزالةَ المكوس . وكتب فيها معه جماعة ، ووضعها فى ورقة كتبها إلى الأمير بدر الدين بيليك الخازندار [(١)] بإيصال ورقة العلماء إلى السلطان ، وصورتها :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله يحيي النووىّ ، سلام الله تعالى ورحمته وبركاته

(١) كذا فى الأصل والنجوم الزاهرة ٧ : ٩٨ ، والسلوك ٤٣٦ ، وفى ح ، ط : « بليلبك » بالباء الموحدة قبل الكاف ، وهو أحد الخازندارية ، وموضوعها التحدث فى خزائن الأموال السلطانية من نقش وقماش وغير ذلك . وانظر صبح الأعشى ٤ : ٢١ .

على المولى المحسن ، ملك الأمراء بدر الدين . أدام الله الكريم له الخيرات ، وتولاه بالحسنات، وبلغه من أقصى الآخرة والأولى كلّ آماله ، وبارك له فى جميع أحواله ؛ آمين.
وينهى إلى العلوم الشريفة، أن أهل الشام فى هــذه السنة فى ضِيق عيش وضعف حال ، بسبب قلّة الأمطار وغلاء الأسعار ، وقلة الغَلاّت والنبات ، وهلاك المواشى وغير ذلك ؛ وأنتم تعلمون أنه تجب الشفقة على الرعيّة ونصيحته فى مصلحته ومصلحتهم ؛ فإنّ الدين النصيحة . وقد كتب خَدمة الشرع الناصحون للسلطان المحبوبون له كتابا يذّكره النّظر فى أحوال رعيّته ، والرّفقَ بهم؛ وليس فيه ضرر، بل هو نصيحة محضة، وشفقة وذكرى لأولى الألباب.والمسئول من الأمير أيّده الله تعالى تقديمه إلى السلطان،أدام الله له الخيرات. ويتكلّم عنده من الإشارة بالرّفق بالرعيّة بما يجده مدّخراً له عند الله تعالى﴿ يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضَراً وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها و بينه أمداً بعيدا ويحذّركم الله نفسه ﴾ (١) .

وهذا الكتابُ أرسله العلماء أمانةً ونصيحةً للسلطان أعزّ الله أنصاره ، فيجب عليكم إيصاله للسلطان (٢) أعزّ الله أنصارَه ، وأنتم مسئولون عن هذه الأمانة، ولا عذر لكم فى التأخر عنها ، ولا حجة لكم فى التقصير عنها عند الله تعالى وتُسأَلون عنها يوم القيامة ، ﴿يوم لاينفع فيه مال ولا بنون﴾(٣)،﴿ يوم يفرّ المرء من أخيه.وأمّه وأبيه.وصاحبَته وبنيه. لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ (٤) .

وأنتم بحمدالله تحبّون الخير وتحرصون عليه ، وتسارعون إليه، وهذا من أهم الخيرات وأفضل الطاعات ، وقد أُهّلتم له ، وساقه الله إليكم ، وهو فضل من الله ونحن خائفون أن يزداد الأمر شِدّةً، إن لم يحصل النظر فى الرفق بهم ، قال الله تعالى:﴿ إنّ الّذين اتّقَوْا

---

(١) سورة آل عمران ٣٠ .
(٢) ح ، ط : « إلى السلطان » .
(٣) الشعراء ٨٨ .
(٤) عبس ٣٤ ــ ٣٧

إذا مَسَّهم طائفٌ من الشيطان تذكَّرُوا فإذا هُمْ مُبْصِرُون ﴾ (١) ، وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا تفعلوا من خير فإن الله به عليم ﴾ (٢) .

والجماعة الكاتبون منتظرون ثمرة هذا، فإذا فعلتم هذا فأجركم على الله ﴿ إنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ (٣) ؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فلما وصلت الورقتان إليه ، أوقفَ عليهما السلطان ، فردّ جوابهما ردًّا عنيفا مؤلمًا ، فتكدّرت خواطر الجماعة الكاتبين ، فكتب رضى الله عنه جوابا لذلك الجواب وهذه صورته :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آل محمد . من عبد الله يحيى النووى، ينهى أنّ خَدَمة الشرع كانوا كتبوا مابلغ السلطان أعزّ الله أنصاره ، فجاء الجواب بالإنكار والتوبيخ والتهديد ، وفهمْنا منه أنّ الجهاد ذُكِر فى الجواب على خلاف حكم الشرع ، وقد أوجب الله إيضاح الكلام عند الحكام عند الحاجة إليه ، فقال تعالى : ﴿ وإذْ أخَذَ اللهُ ميثاقَ الَّذين أوتُوا الكتاب لَتُبَيِّنُنَّه للناس ولا تَكْتُمُونَه ﴾ (٤) ، فوجب علينا حينئذ بيانُه ، وحرم علينا السكوت . وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى المَرْضَى ولا عَلَى الَّذِين لاَيجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إذا نصحُوا لله ورسُولِهِ مَاعَلَى المحسنين من سبيلٍ واللهُ غفورٌ رحيم ﴾ (٥) .

وذكر فى الجواب أنّ الجهاد ليس مختصًّا بالأجناد ؛ وهذا أمر لم نَدَّعه ، وكان الجهاد فرض كفاية ، فإذا قرّر السلطان له أجناداً مخصوصين ، ولهم أخباز معلومة من بيت المال كما هو الواقع ، تفرّغ باقى الرعيّة لمصالحهم ومصالح السلطان والأجناد وغيرهم من الزراعة والصنائع وغيرها ، ممّا يحتاج النّاس كلهم إليه ، فجهاد الأجناد مقابلٌ بالأخباز المقررة لهم ، ولا يحلّ أن يؤخذ من الرعيّة شىء مادام فى بيت المال شىء من نقد أو متاع أو أرض

(١) الأعراف ٢٠١
(٢) البقرة ٢١٥ .
(٣) النحل ١٢٨ .
(٤) آل عمران ١٨٧ .
(٥) التوبة ٩٠ .

أو ضياع تباع أو غير ذلك ؛ وهؤلاء علماء المسلمين فى بلاد السلطان أعز الله أنصاره ، متّفقون على هذا ، وبيت المال بحمد الله معمور ، زاده الله عمارةً وسعةً وخيراً وبركة فى حياة السلطان ، المقرونة بكمال السعادة والتوفيق والتسديد ، والظهور على أعداء الدين ، وما النصر إلا من عند الله .

وإنما يُستعان فى الجهاد وغيره بالافتقار إلى الله تعالى ، واتباع آثار النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وما لزمه أحكام الشّرع . وجميع ما كتبناه أولا وثانيا ، هو النصيحة التى نعتقدها ، وندين الله بها ، ونسأل الله الدّوام عليها حتى نلقاه . والسلطان يعلم أنّها نصيحة له وللرعيّة ، وليس فيها مايلام عليه . ولم نكتب هذا للسلطان إلا لعلمنا أنه يحبّ الشرع ومتابعة أخلاقِ النبيّ صلى الله عليه وسلم فى الرِّفق بالرعيّة ، والشفقة عليهم وإكرامه لآثار النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، وكلّ ناصح للسلطان موافق على هذا الذى كتبناه .

وأما ماذُكر فى الجواب من كوننا لم ننكر على الكفار كيف كانوا فى البلاد ؛ فكيف يقاس ملوك الإسلام وأهلُ الإيمان والقرآن بطغاة الكُفّار ! وبأىّ شىء كنّا نذكر طغاة الكفّار وهُمْ لا يعتقدون شيئاً من ديننا !

وأمّا تهديد الرعيّة بسبب نصيحتنا وتهديد طائفة العلماء ؛ فليس هذا المرجوّ من عدل السلطان وحلمه ؛ وأىّ حيلةٍ لضعفاء المسلمين الناصحين نصيحة للسلطان ولهم ، ولا علم لهم به ! وكيف يؤاخذون به لوكان فيه مايلام عليه !

وأما أنا فى نفسى فلا يضرّنى التهديد ، ولا أكثر منه ، ولا يمنعنى ذلك من نصيحة السلطان ؛ فإنّى أعتقد أن هذا واجب علىّ وعلى غيرى ، وما ترتّب على الواجب فهو خير وزيادة عند الله تعالى ، ﴿ إنّما هذهِ الحياةُ الدّنيا متاعٌ وإنّ الآخرة هى دار القرار ﴾[1] ، ﴿ وأفوّض أمرِى إلى الله إن الله بصير بالعباد ﴾[2] ، وقد أمرّنا رسول الله

---

(١) غافر ٣٩ (٢) غافر ٤٤ .

صلى الله عليه وسلم أن نقول الحقّ حيث ما كنّا ، وألا نخاف فى الله لومة لائم . ونحن نحبّ السلطان فى كلّ الأحوال،وماينفعه فى آخرته ودنياه ، ويكون سبباً لدوام الخيرات له ، ويبقى ذكره على ممرّ الأيّام ، ويخلّد به فى الجنة ، ويجد نفسه ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نفسٍ ماعملتْ من خيرٍ محضراً ﴾ (١) .

وأما ماذكر من تمهيد السلطان البلاد ، وإدامته الجهاد ، وفتوح الحصون ، وقهر الأعداء ؛ فهذا بحمد الله من الأمور الشائعة التى اشترك فى العلم بها الخاصّة والعامّة ، وطارت فى أقطار الأرض ، فلّله الحمد ، وثواب ذلك مدّخرٌ للسلطان إلى يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرًا ، ولا حجة لنا عندالله تعالى إذا تركنا هذه النصيحة الواجبة علينا ، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

وكتب إلى الملك الظاهر لمّا احتيط على أملاك دمشق :

بسم الله الرحمن الرحيم . قال الله تعالى :﴿ وَذَكِّرْ فإنَّ الذِّكْرَى تنفعُ المؤمنينَ ﴾(٢) . وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ الّذين أوتوا الكتابَ لَتُبيّننّه للنّاسِ وَلَا تَكْتُمونَهُ ﴾(٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى البرِّ والتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإثْمِ والعُدْوان ﴾(٤)؛ وقد أوجب الله على المكلّفين نصيحة السلطان أعزّالله أنصاره ونصيحة عامة المسلمين ، ففى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الدّين النّصيحة لله وكتابه وأئمةالمسلمين وعامّتهم »؛ ومن نصيحة السّلطان وفقّه اللهتعالى لطاعته، وأولاه كرامته ، أن نُنهِيَ إليه الأحكام إذا جرت على خلاف قواعد الإسلام، وأوجب الله تعالى الشفقة على الرعيّة ، والاهتمام بالضعَفة وإزالة الضّرر عنهم ، قال الله تعالى :

---

(١) آل عمران ٣٠
(٢) الذاريات ٥٥ .
(٣) آل عمران ١٨٧
(٤) المائدة ٢ .

﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لمن اتبعك من المؤمنين ﴾[1]. وفى الحديث الصحيح : « إنّما تُنصرون وترزقون بضعفائكم » وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كشف عن مسلم كربةً من كُرَب الدّنيا كشف الله عنه كربةً من كُرَب يوم القيامة ، والله فى عَوْن العبدِ ما كان العبد فى عون أخيه » . وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ وَلِىَ من أمر أمتى شيئاً فرفَق بهم ، فارفق اللّهم به ، ومن شقّ عليهم ، فأشقِق اللهمّ عليه » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « كلّكم راعٍ وكلّكم مسئولٌ عن رعيّته » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « إنّ المقسطين على منابرَ من نورٍ عن يمين الرّحمن؛ الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وماولوا » .

وقد أنعم الله علينا وعلى سائر المسلمين بالسّلطان أعزّ الله أنصاره ، فقد أقامه لنصرة الدّين، والذبّ عن المسلمين ، وأذلّ له الأعداء من جميع الطوائف ، وفتح عليه الفتوحات المشهورة فى المدّة اليسيرة ، وأوقع الرّعبَ منه فى قلوب أعداء الدّين وسائر الماردين ، ومهّد له البلاد والعباد ، وقمع بسيفه أهلَ الزيغ والفساد ، وأمدّه بالإعانة واللطف والسداد ، فلله الحمد على هذه النّعم المتظاهرة ، والخيرات المتكاثرة ، ونسأل الله الكريم دوامَها لنا وللمسلمين ، وزيادتها فى خير وعافية . آمين . وقد أوجب الله شكرَ نعمه ، ووعد الزّيادة للشاكرين ، فقال تعالى : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزيدنّكم ﴾[2] . وقد لحق المسلمين بسبب هذه الحوْطة على أملاكهم أنواع من الضرر لا يمكن التعبير عنها ، وطلب منهم إثبات مالا يلزمهم ، فهذه الحوطة لا تحلّ عند أحد من علماء المسلمين ، بل مَنْ فى يده شىء فهو مِلْكه ، لا يحلّ الاعتراض عليه ، ولا يكلّف بإثبات ، وقد اشتهر من سيرة السلطان أنّه يحبّ العمل بالشرع فيوصى نوّابَه ، فهو أوْلى[3] من عمل به ، والمسئول إطلاق الناس من هذه الحوطة ، والإفراج عن جميعهم .

---

(١) الشعراء ٢١٥ . (٢) إبراهيم ٧

(٣) ح : « أول » .

فأطلقهم أطلقك الله من كلّ مكروه ، فهم ضعفة وفيهم الأيتام والأرامل والمساكين والضَّعَفة والصالحون ، وبهم تُنصر وتُغاث وتُرزق ، وهم سكان الشام المبارك ، جيران الأنبياء صلاة الله وسلامه عليهم ، وسكّان ديارهم ، فلهم حرمات من جهات . ولو رأى السلطان مايلحقُ النّاسَ من الشدائد لاشتدّ حزنه عليهم ، وأطلقهم فى الحال ، ولم يؤخرهم ؛ ولكن لا تُنهى إليه الأمور على جهتها .

فبالله أغِث المسلمين يغثْكَ الله ، وارفُقْ بهم يرفق الله بك ، وعجّل لهم الإفراج قبل وقوع الأمطار وتلف غلاّتهم ، فإن غالبهم[1] ورثوا هذه الأملاك عن أسلافهم ، ولا يمكنهم تحصيل كتب شراء وقد نهبت كتبهم . وإذا رفق السلطان بهم حصل له دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن رَفق بأمّته ، ونصره على أعدائه ، فقد قال الله تعالى : ﴿ إنْ تنصرُوا الله ينصرْكم ﴾[2] ، ويتوفّر له من رعيّته الدعوات ، وتظهر فى مملكته البركات ، ويبارك له فى جميع مايقصده من الخيرات ، وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ سنّ سنّةً حسنةً ، فله أجرها وأجْرُ من عمِل بها إلى يوم القيامة ، ومَنْ سنّ سنة سيّئة ، فعليه وزرُها ووِزْر مَنْ عمل بها إلى يوم القيامة » . ونسأل الله الكريم ، أن يوفّق السلطان للسُّنَن الحسَنة التى يُذكر بها إلى يوم القيامة ، ويحميه من السّنَن السّيئة .

فهذه نصيحتنا الواجبة علينا للسلطان ، ونرجو من فضل الله تعالى أن يلهمَه فيها القبولَ . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب إليه لمّا رسم بأن الفقيه لايكون منزلا فى أكثر من مدرسة واحدة :

بسم الله الرحمن الرحيم . خدمة الشرع يُنْهُون أنّ الله تعالى أمر بالتعاون على البرّ والتقوى ، ونصيحة ولاة الأمور وعامة العلماء[3] ، وأخذ على العلماء العهد ، وتبليغ أحكام الدّين ومناصحة المسلمين ، وحثّ على تعظيم حرماته ، وإعظام شعائر الدّين ، وإكرام

(١) ح : « أكثرهم » . (٢) محمد ٧ (٣) ط : « المسلمين » .

العلماء وأتباعهم . وقد بلغ الفقهاء أنه رسم فى حقهم بأن يغيّروا عن وظائفهم ، ويقطعوا عن بعض مدارسهم ، فتنكّدت بذلك أحوالهم ، وتضرّروا بهذا التضييق عليهم ، وهم محتاجون ، ولهم عيال ، وفيهم الصّالحون [والمشتغلون بالعلوم ، وإن كان فيهم طائفة لايلحقون مراتب غيرهم ؛ فهم منتسبون إلى العلم][1] ويشاركون فيه . ولايخفى مراتب أهل العلم وثناء الله تعالى عليهم وبيانه مزيّتهم على غيرهم ، وأنّهم ورثة الأنبياء صلوات الله عليهم ؛ فإن الملائكة عليهم السلام تضع أجنحتها لهم ، ويستغفر لهم كلّ شىء حتى الحوت فى الماء .

واللائق بالجناب العالى إكرام هذه الطائفة والإحسان إليهم ومعاضدتهم ، ورفع المكروهات عنهم ، والنظر بما فيه من الرّفق بهم ، فقد ثبت فى صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « اللّهمّ مَنْ ولِىَ من أمور أمّتى شيئاً فرَفق بهم فارفُقْ به » . وروى أبو عيسى التّرمذىّ بإسناده عن أبى سعيد الخدرىّ رضى الله عنه ، أنه كان يقول لطلبة العلم : مرحباً بوصيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن رجالاً يأتونكم يتفقّهون ، فاستوصوا بهم خيراً » .

والمسئول ألّا يغيَّر على هذه الطائفة شىء ، وتُستجاب دعوتهم لهذه الدولة القاهرة ، وقد ثبت فى صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هلْ تُنصرون وترزقون إلا بضعفائكم ! » . وقد أحاطت العلوم بما أجاب به الوزير نظام الملك حين أنكر عليه السلطان صرفه الأموال الكثيرة فى جهة طلب العلم ، فقال : أقمتُ لك جندا لاتردّ سهامهم بالأسحار ؛ فاستصوبَ فعله ، وساعده عليه . والله الكريم يوفق الجناب دائما لمرضاته ، والمسارعة إلى طاعته والحمد لله رب العالمين ،وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

***

(١) تكملة من ط .

وقال بعضهم: لمّا خرج السلطان الظاهر بيبرس إلى قتال التتار بالشام أخذ فتاوى العلماء بأنه يجوز له أخذ مالٍ من الرعيّة ليستنصر به على قتال العدوّ ، فكتب له فقهاء الشام بذلك ، فقال : هل بقيَ أحد ؟ فقيل : نعم ، بقيَ الشيخ محيي الدين النوويّ ، فطلبه فحضر ، فقال : اكتب خطك مع الفقهاء ، فامتنع فقال : ما سببُ امتناعك ؟ فقال : أنا أعرف أنك كنت في الرّقّ للأمير بُنْدُقْدار[1] ، وليس لك مال . ثم منّ الله عليك ، وجعلك ملكاً . وسمعت أنّ عندك ألف مملوك ، كلّ مملوك له حياصة من ذهب ، وعندك مائتا جارية ، لكلّ جارية حُقٌّ من الحُليّ ، فإذا أنفقت ذلك كلّه ، وبقيت مماليكك بالبنود الصوف بدلاً عن الحوائص ، وبقيت الجواري بثيابهنّ دون الحُليّ ، أفتيتك بأخذ المال من الرعيّة . فغضب الظاهر من كلامه ، وقال : اخرج من بلدي – يعني دمشق – فقال : السمع والطاعة ! وخرج إلى نَوَى ، فقال الفقهاء : إنّ هذا من كبار علمائنا وصلحائنا ، وممّن يُقتدى به ، فأعِدْه إلى دمشق ، فرسم برجوعه . فامتنع الشيخ ، وقال : لا أدخلها والظاهر بها . فمات الظاهر بعد شهر .

قال الذهبيّ : كان الظاهر خليقاً بالملك[2] ، لولا ما كان فيه من الظلم . قال : والله يرحمه ويغفر له ؛ فإن له أيّاماً بيضاء في الإسلام ، ومواقف مشهودة وفتوحاتٍ معدودة .

واستمرّ الملك الظاهر إلى أن مات يوم الخميس سابع عشري المحرّم سنة ست وسبعين وستمائة بدمشق .

***

وقام بعده في الملك ولده الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالي محمد ، وسنه ثماني عشرة سنة ، وكان أبوه عقد له في حياته ، ولقّبه هذا اللقب ، واستنابه على مصر أيام سفره ،

---

(١) في النجوم الزاهرة ٨ : ٢ : ٤ : « البُنْدقداري » ، وفي حواشيه : « هو علم الدين سنجر بن عبد الله التركي البندقداري أحد الأمراء الأكابر بالديار المصرية » . (٢) ط : « للملك » .

فاستقلّ بالسلطنة من يوم موته ، واستمرّ إلى سنة ثمان وسبعين ، فاختلف عليه الأمراء، وقاتلوه ، فخلع نفسه من السّلطنة ، وأشهد على نفسه بذلك ، وذلك فى يوم سابع عشر ربيع الآخر .

وأقيم مقامه[1] أخوه بدر الدين سلامُش ؛ ولُقّب الملك العادل ، وعمره سبع سنين ، وجعل أتابكه الأمير سيف الدين قلاوون الصالحىّ الألفىّ — سمّى بذلك لأنه اشتُرى بألف دينار — وضربت السّكّة باسمه على وجه ، وباسم أتابكه على وجه . ودعِىَ لهما معا فى الخطبة ، فأقام إلى يوم الثلاثاء حادى عشر رجب من هذه السنة ، فاجتمع الأمراء بالقلعة ، وخلعوا العادل . قال صاحب السّكردان : وهو السادس من دولة الأتراك ؛ فإن أوّلهم المعز أيبك ، وكلّ سادس من الخلفاء والملوك لا بدّ أنه يخلع . وأقاموا بعده قلاوون الصالحىّ ، ففوّض إليه الخليفة ، ولقّب الملك المنصور ، وكُتب له تقليدٌ هذه صورته ، من إنشاء القاضى محيى الدين عبد الظاهر :

الحمدُ لله الّذى جعل آية السّيف ناسخة لكثير من الآيات ، وناسخة لعقود أولى الشّكّ والشّبهات ، الذى رفع بعض الخلْق على بعضٍ درجات ، وأهّل لأمور البلاد والعباد مَنْ جاءت خوارق تملّكه بالّذى إن لم يكن من المعجزات فمن الكرامات .

ثم الحمد لله الذى جعل الخلافة العباسيّة بعد القطوب حسنة الابتسام ، وبعد الشّحوب جميلة الاتّسام ، وبعد التشريد لها دار سلام أعظم من دار السلام . والحمد لله على أن أشهدَها مصارع أعدائها ، وأحمَد لها عواقب إعادة نصرتها وإبدائها ، وردّ شبيبتها بعد أن ظنّ كل أحدٍ أن شعارها الأسود ما بقى منه إلا ما أصابته العيون فى جفونها والقلوب فى سويدائها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة يتلذّذ بذكرها اللسان، وتتعطّر بنفحاتها الأفواه والآذان ، وتتلقّاها ملائكة القبول فترفعها إلى أعلى مكان .

---

(١) ط : « مكانه » .

ونشهد أنّ محمدا عبده ورسوله الذى أكرمنا به وشرّف لنا الأنساب ، وأعزّنا به حتى نزل فينا محكم الكتاب ؛ صلّى الله عليه وآله الذين انجاب الدّين منهم عن أنجاب ، ورضى الله عن صحابته الذين هم أعزّ صحاب ؛ صلاة توفى قائلها أجره بغير حساب يوم الحساب .

وبعد حمد الله على أن أحمد عواقب الأمور ، وأظهر الإسلام سلطانا اشتدّت به من الأمة الظهور ، وشفيت الصدور ، وأقام الخلافة العباسيّة فى هذا الزمن المنصور ، كما أقامها فيما مضى بالمنصور ، واختار لإعلان دعوتها مَنْ يُحيى معالمها بعد العفاء ورسومَها بعد الدثور ، وجمع لها الآن ما كان جمح عليها فيما قبلُ من خلافِ كلِّ ناجم ، ومنحها ما كانت تبشّرها به الملاحم ، وأنفذ كلمتها فى ممالك الدولة العلويّة بخير سيف مشحوذ ماضى العزائم ، ومازج بين طاعتهما فى القلوب وذكرها فى اللسان ؛ وكيف لا والمنصور هو الحاكم . وأخرج لحياطة الأمّة المحمّدية ملكا تنقسم البركات من يمينه ، وتقسم السعادات بنور جبينه ، ويقهر الأعداء بفتكاته ، وتبهر عقائل العقائل بصُفر راياته : ذى السّعْد الّذى مازال سعده يشفّ حتى ظهر ، ومفخره يرفّ إلى أن بهر ، وجوهره ينتقل من جيد إلى جيد حتى يملأ الجبين ، وسرّه يكمن فى كلّ قلب حتى علم العلم اليقين .

والحمد لله الّذى جعل بنا تمكينَه فى الأرض بعد حين ، فاختاره الله على علم ، واصطفاه من بين عباده بما جبله الله عليه من كرم وشجاعة وحلم ، وأتى الله به الأمّة المحمدية فى وقت الاحتياج غَوْثًا ، وفى إبّان الاستمطار غيثا [1] ، وفى حين عبث الأشبال فى غير وقت الافتراس لَيْثًا ، فوجب على كلّ مَنْ له فى أعناق الأمّة المحمديّة بيعة الرضوان ، وعند إيمانهم مصالحة الأيمان ، ومن حيث وَجَبت البيعة باستحقاقه لميراث

---

(١) ح : « عيث » .

منصب النبوّة ، ومَنْ تصحّ به كلّ رسمية شرعية يؤخـذ كتابها قوّة ، ومن هو خليفة الزمان والعصر ، ومَنْ بدعواته تنزل عليكم معاشرَ كماةِ المسلمين ملائـكة النصر ، ومن نسبُه بنسبِ (١) نبيكم صلى الله عليه وسلم مُنْتسِج ، وحَسَبُه بحَسَبِه ممتزج ـ أن يفوّض له مافوّض الله إليه من أمر الخلق ، ليقوم عنه بفرض الجهاد والعمل بالحقّ ، وأن يولّيَه ولاية شرعيّة تصحّ بها الأحكام ، وتنضبط أمور الإسلام ، وتأتى هذه العصبة الإسلاميّة يوم تأتى كل أمة بإمامها من طاعة خليفتها بخير إمام . وخرج أمر مولانا أمير المؤمنين شرّفه الله أن يكون المقرّ العالى المولوىّ السلطانىّ الملـكىّ المنصورىّ أجلّه الله ونصرَه ، وأظفره وأقدره وأيده وأبّده ، كلّما فوّضه مولانا أمير المؤمنين من حكم فى الوجود ، وفى التّهائم (٢) والنجود ، وفى الجيوش والجنود ، وفى الخزائن والمدائن ، وفى الظّواهر والبواطن ، وفيما فتحه الله تعـالى وفيما سيفتحه ، وفيما فسد بالـكفر والرّجا من الله أن سيصلحه ، وفى كل جود ومنّ وكل عطاء ، وفى كلّ هبة وتمليك ، وفى كلّ تفرّد بالنظر فى أمور المسلمين بغير شريك ، وفى كل تعاهد ونَبْذ ، وفى كلّ عطاء وأخذ ، وفى كلّ عزل وتولية ، وفى كل تسليمٍ وتخليـة ، وفى كلّ إرفاق وإنفـاق ، وفى كلّ إنعام وإطلاق ، وفى كلّ استرقاق وإعتاق ، وفى كلّ تقليل وتـكثير ، وفى كلّ تأثيل وتأثير ، وفى كلّ تقليـد وتفويض ، وفى كلّ تجـديد وتعويض ، وفى كلّ حمـد وتقريض ؛ ولايةً تامّة محـكمة ، منضّدة منظمة ، لا يعقبها نسخ من بين يديها ولا من خَلْفِهـا ، ولا يعتريها فسخ يطرأ عليها ، يزيدها مرّ الليالى جِدّة يعقبهـا حسن شباب ، ولا ينتهى عن الأعوام والأحقاب ، ونَعمّ تنتهى إلى مانصبه الله تعالى للإرشاد ، ومن سنّة وكتاب ؛ وذلك من شرع الله ، أقامه للهداية عَلَماً ، وجعله إلى اختيار الثواب سُلّماً .

---

(١) ط : « بيبت » .

(٢) ط : « البهائم » تحريف .

فالواجب أن يُعمَل بجزئيات أمره وكلّياته ، وألّا يخرج أحد عن مقدّماته .

والعدل ، فهو الغرس المثمر ، والسحاب المطر ، والروض المزهر ، وبه تنزل البركات ، وتخلف الهبات ، وتربُو الصدقات ، وبه عمارة الأرض ، وبه تؤدّى السنّة والفرض ؛ فمن زرع العدل اجتنى الخيْر ، ومن أحسن كُفِى الضّرر والضّيْر .

والظلم ، فعاقبته وخيمة ، وما يطول عمر الملك إلا بالمعدلة الرحيمة .

والرعيّة ، هم الوديعة عند أولى الأمر ، فلا يختصّ منهم زيد دون عمرو .

والأموال ، فهى ذخائر العاقبة والمآل ، فالواجب أن تؤخذ بحقّها ، وتنفق فى مستحقّها .

والجهاد براً وبحراً ، فمن كنانة الله يفوّق سهامه ، وتؤرّخ أيامه ، ويُنتضى حُسامه ، وتجرى منشآته فى البحر كالأعلام وتنشر أعلامه ، وفى عقر دار الحرب يحطّ ركابه ، ويخطّ كتابه ، وترسل أرسانُه ، وتجوس خلالها فرسانُه ، فيلزم منه دنياديدنا ، ويستصحب منه فعلا حسنا .

وجيوش الإسلام وكماته ، وأمراؤه وحماته ، فمنهم من قد علمتْ قدَم هجرته ، وعظم نصرته ، وشدة باسه ، وقوّة مراسه . ومامنهم إلا من شهد الفتوحات والحروب ، وأحسن فى المحاماة عن الدين الدءوب ، وهم بقايا الدّول ، وسجايا الملوك الأوّل ، ولا سيّما أولى السعى الناجح ، والرأى الراجح ، ومن له نسبة صالحية ؛ فإذا فخروا بها قيل لهم : نعم السلف الصالح ! فأوسعهم بِرًّا ، وكنْ بهم برًّا ، فهم مما يجب من خدمتك أعلم ، وأنت بما يجب من حقهم أدرى .

والحصون والثغور ، فهى ذخائر الشدة ، وخزائن العديد والعُدّة ، ومقاعد القتال ، وكنائن الرّجا والرجال ؛ فأحسنْ لها التحصين ، وفوّض أمرها إلى كلّ قوى أمين ، وإلى كل ذى دين متين ، وإلى كل ذى عقل رصين .

ونوّاب الممالك ونواب الأمصار ، فأحسنْ لهم الاختيار ،وأجمل لهم الاختبار ،وتفقّد لهم الأخبار .

وأما ماسوى ذلك فهو داخل فى حدود هذه الوصايا ، ولولا أنّ الله تعالى أمر بالتذكير لكان ذلك سجايا المقرّ الأشرف السلطانىّ الملكىّ المنصور مكتفية بأنواره المضيئة الساطعة .

وزمام كلّ صلاح يجب أن يشغل به جميع أوقاته ، هو تقوى الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ يأيّها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾[1]، فليكن ذلك نصب العيْن ، وشغل القلب والشفتين .

وأعداء الدّين من أرمن وتتار ، فأذقْهم وبال أمرهم فى كلّ إيراد وإصدار ، وخذ للخلفاء العباسيين ولجميع المسلمين منهم الثار . واعلم أنّ الله ينصرك على ظلمهم وماللظالمين من أنصار .

وأمّا غيرهُم من مجاوريهم من المسلمين ، فأحسِنْ لهم باستنقاذك من العِلاج، وطبّهم باستصلاحك فبالطّبّ المنصوريّ والملكى مازال يُصاح المزاج ، والله الموفّق بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

واستمرّ قلاوون فى السلطنة ، فكان له مشاهد حسنة ، وفتوحات ، فمنها طرَابُلس وقد كانت فى أيدى الفرنج من سنة ثلاث وخمسمائة وإلى الآن . وهو الذى أحدث وظيفة كتابة السرّ ، وأحدث اللعب بالرّمح أيام إدارة المحمل وكسوة الكعبة ، وغيّر ملابس الدولة عمّا كانوا عليه فى دولة بنى أيّوب .

قال الصلاح الصفدى : كان الجند يلبسون فيما تقدّم كَلّوتات[2] صفر مضرّبة

---

(١) سورة آل عمران ١٠٢ . (٢) الكلوتة : غطاء الرأس تلبس وحدها أو بعمامة ، وهو مما استحدثه سلاطين الأيوبيين بمصر ، وانظر حواشى السلوك ٤٩٣ .

بكلبندات (١) بغير شاشات ، وشعورهم مضفورة دبابيق فى أكياس حرير ملوّنة ، وفى خواصرهم موضع الحوائص بنود ملوّنة ، وأكمام أقبيتهم ضيّقة وأخفافهم برغالى ، ومن فوق قماشهم بحلق وإبزيم (٢) وجلواز كبير، يسع نصف ويبة أو كثر ؛ فأبطل المنصور ذلك كله بأحسن منه ؛ وأقام فى السّلطَنة إلى أن تُوفّى يوم السبت سادس ذى القعدة سنة تسع وثمانين .

***

وأقيم بعده ولده الملك الأشرف صلاح الدين خليل ، فلمّا كان يوم الجمعة رابع عشر شوّال سنة تسعين ، سأل الأشرف الخليفةَ الحاكم بأمر الله ، أن يخطب بنفسه النّاس ، وأن يذكر فى خطبته أنّه قد ولّى السلطنةَ الأشرف خليل بن المنصور ، فلبس الخليفة خِلعةً سوداء ، وخطب الناس بجامع القلعة ، ورسم لقاضى القضاة بدر الدين بن جماعة من ثَمّ أن يخطب بالقلعة عند السلطان ، فخطب يوم الجمعة التى خطب فيها الخليفة ، واستمرّ يخطب ويستنيب فى الجامع الأزهر . ثم أمر الأشرف بقراءة ختمة عند قبر الملك المنصور فى ليلة الاثنين رابع ذى القعدة ، فحضرها القضاة والأمراء والأعيان ، ونزل السلطان ومعه الخليفة إليهم وقت السَّحَر ، وخطب الخليفة بعد الختمة خطبة بليغة، حرّض الناس فيها على غزو بلاد العراق ، واستنقاذها من أيدى التتار ، واستمرّ الأشرف فى السلطنة إلى أن قتل بتَرُوجة (٣) فى ثالث المحرم سنة ثلاث وتسعين ، ونقل فدفن فى مدرسته التى أنشأها بالقرب من السيدة نَفيسة ، وقال ابن حبيب يرثيه :

تبًّا لأقوامٍ لمالك رقِّهِمْ ... قتلوا ومارقُوا لحالة مُترَفِ

وافوه غدرا ثم صالوا جملةً ... بالمشرفىّ على المليك الأشرفِ

---

(١) الكلبند : جزء من غطاء الرأس ؛ وانظر حواشى السلوك ٤٩٤ . (٢) الإبزيم : ما يكون فى رأس المنطقة وما أشبهه ، وهو ذو لسان يدخل فيه الطرف الآخر .

(٣) تروجة : قرية بمصر ؛ من كورة البحيرة من أعمال الإسكندرية ؛ ذكرها ياقوت .

وأقيم أخوه ناصر الدين أبو الفتوح محمد ، ولقبُ الملك الناصر ، وعمره يومئــذ تسع سنين ، واستمرّ إلى حادى عشر المحرّم سنة أربع وتسعين ، نخلع .

وتسلطن زين الدين كتبغا المنصورى من سَبْى التتار ولقّب الملك العادل ، فأقام إلى صفر سنة ست وتسعين ، بخلِع وتسلطن حسام الدّين لاجين المنصوريّ ، وشقّ القاهرة، وعليه الخلعة الخليفيّة ، والأمراء بين يديه مشاة ، وجاء فى تلك السنة غيثٌ عظيم ، بعد ما كان تأخّر ، فقال الوادعى فى ذلك :

يأيّهــــا العالَمَ بشرا كمُ ‏ بدولةِ المنصور ربّ الفخارْ

فالله قد بارك فيهــا لـكمْ ‏ فأمطر الليْل وأضحى النّهارْ

إلى أن قتل ليلة الجمعــة حادى عشر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين ، وأعيــد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكان منفيًّا بالــكرك ، فأحضِر ، وقلّده الخليفة يومالسبترابع جمادى الأولى ، وشقّ القاهرة وعليه خلعة الخليفة ، والجيش مشاة بين يديه ، فأقام إلى سنة ثمان وسبعمائة ، نخرج فى رمضــان قاصداً للحّج ، فاجتاز بالــكَرك ، فأقام بهــا ، ثم كتب كتــابا إلى الدّيار المصرية ، يتضمّن عزل نفسه عن المملــكة ، فأثبت ذلك على القضاة بمصر ، ثم نفّذ على قضــاة الشام .

وأقيم فى الســلطنة الأمــير ركن الدين بيبرس الجاشنــكير المنصوريّ ، وذلك يوم السبت الثالث والعشرين من شوال ، ورقّب الملك المظفّر ، وقــلّده الخليفــة ، وألبسه الخلعــة السوداء والعمامة المدوّرة ، وركب بذلك وشقّ القــاهرة ، والدّولة بين يديه والصاحب ضياء الدين النّشائىّ حامل التقليد من جهــة الخليفة فى كيس أطلس أسود وأوله : إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم .

ثم نفذ التقليد إلى الشام ، فقرِئ هناك ، ثم عاد الملك الناصر من الــكَرَك طالبــاً عَوْده إلى ملــكه، وبايعه علىذلك جماعة من الأمراء ، فبلغ ذلك المظفّر بيبرس ،فاستدعى بالشيخ زين الدين بن المرحّل وبالشيخ شمس الدين بن عدلان ، واستشارهما ، فأشارا عليه

بتجديد العهد من الخليفة وتخايف الأمراء ففعل ذلك ، وكتب له عهد من الخليفة ، صورته :

إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي الرّبيع سليمان العباسيّ لأمراء المسلمين وجيوشها ، ﴿ يأيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾[1] ، وإني رضيت لكم بعبدالله تعالى الملك المظفّر ركن الدّين بيبرس نائبا عنّي لملك الديار المصرية والبلاد الشاميّة ، وأقمته مقام نفسي لدينه وكفايته وأهليّته ، ورضيتُه للمؤمنين ، وعزلت مَنْ كان قبله ، بعد علمي بنزوله عن الملك ، ورأيت ذلك متعيّناً عليّ ، وحكمتْ بذلك الحكّام الأربع . واعلموا رحمكم الله أنّ الملك عقيم ليس بالوراثة لأحد خالفٍ عن سالف ، ولا كابرٍ عن كابر ، وقد استخرتُ الله تعالى وولّيت عليكم الملك المظفّر ، فمن أطاعه فقد أطاعني ، ومَنْ عصاه فقد عصاني ، ومَنْ عصاني فقد عصى أبا القاسم ابن عمّي صلى الله عليه وسلم . وبلغني أنّ الملك الناصر ابن السلطان الملك المنصور شقّ العصا على المسلمين ، وفرّق كلمتهم ، وأطمع عدوّهم فيهم ، وعرّض البلاد الشامية والمصريّة إلى سبي الحريم والأولاد ، وسَفْك الدماء ، فتلك دماء قد صانَها الله تعالى من ذلك ، وأنا خارج إليه ومحاربه إن استمرّ على ذلك ، وأدافع عن حريم المسلمين وأنفسهم وأولادهم بهؤلاء الأمراء والجيش العظيم ، وأقاتله حتى يفيء إلى أمر الله . وقد أوجبتُ عليكم يامعاشرَ المسلمين كافة الخروج تحتْ لوائي ، اللواء الشريف ، فقد أجمعت الحكام على وجوب دفعه وقتاله إن استمرّ على ذلك ، وأنا أستصحب معي الملك المظفّر ، فجهزوا أرواحكم . والسلام .

وقرئ هذا العهد على منابر الجوامع بالقاهرة ، وأمّا النّاصر فإنه سار من الكَرَك بمن معه في أوّل شعبان سنة ثمان وسبعمائة ، فأتى دمشق فانتظم أمرُه ، ثم توجّه إلى مصر ، فلما بلغ ذلك المظفّر بيبرس ، أخذ جميع ما في الخزائن من الأموال ، وتوجّه إلى جهة أسوان ،

(١) النساء ٥٩

(حسن المحاضرة ٨ / ٢)

فدخل النّاصر إلى مصر يوم عيد الفطر ، وصعد القلعة ، وجلس على سرير الملك، وحلفت له العساكر ، ثم وجّه إلى المظفّر من أحضره واعتقله ، ثم خَنقَه فى خامس عشر شوال .

وقال العلاء الوداعى فى عَوْد الناصر إلى ملكه :

الملك النـاصرُ قد أقبلتْ دولتُه مشرِقَةَ الشّمسِ
عادَ إلى كرسيّه مثل ما عادَ سليمانُ إلى الكرسِى

وقال الصلاح الصفدىّ :

تثنّى عِطف مصر حين وافَى قدومُ النّاصر الملك الخبيرِ
فذلّ الجَشْنَكيرُ بلا لقاء وأمسى وهو ذو جأش نكيرِ
إذا لم تعضِد الأقدار شخصاً فأوّل ما يُراع من النّصيرِ

وشرع يعاتب الناس فى أمره ، فقال للخليفة : هل أنا خارجىّ وبيبرس من سلالة بنى العباس !

وقال للقاضى علاء الدين بن عبد الظاهر : وكان هو الذى كتب عهد المظفّر عن الخليفة : يأسودَ الوجه . وقال للقاضى بدر الدين بن جماعة : كيف تفتِى المسلمين بقتالى ! فقال : معاذ الله ، أن تكون الفتوى كذلك ! وإنّما الفتوى على مقتضى كلام المستفتِى . ثم عزله عن القضاء ، وعزل القاضيين : شمس الدين السّروجىّ الحنفىّ والحنبلىّ ، وأبقى المالكىّ ، لكونه كان وصيًّا عليه من جهة أبيه قلاوون .

وقال للشيخ صدر الدين بن المرحّل : كيف تقول فى قصيدتك :

ما للصّبىّ وما للملك يكفلُه شأن الصبىّ بغير الملك مألوف !

فحلف ابن المرحّل ماقال هذا ، وإنّما الأعداء زادوا هذا البيت فى القصيدة ، والعفو من شيم الملوك ؛ فعفا عنه .

وجاء الشيخ شمس الدين بن عَدْلان يستأذن ، فقال النـاصر للدوادار [١] : قل له : أنت أفتيت أنه خارجى ، وقتاله جائز ، مالك عندى دخول ! ولـكن عرّفه أنه وابن المرحّل يكفيهما ماقال الشارمساحىّ فى حقهما ، وكان الأديب شهاب الدين أحمد بن عبد الدائم الشار مساحىّ الماجن قال :

وَلّى المظفّرُ لـمّـا فاتَهُ الظَّفَرُ ... وناصرُ الحقّ وافى وهو منتصرُ

وقد طوَى الله من بين الورى فِتَنًا ... كادت على عُصْبة الإسلام تنتشرُ

فقل لبيبرسَ إنّ الدهر ألبسَهُ ... أثواب عاريةٍ فى طولها قصرُ

لـمّـا تولّى تولّى الخير عن أممٍ ... لم يحمدوا أمرَه فيها ولا شكروا

وكيف تمشى به الأحوال فى زمنٍ ... لاالنيلُ أوفى ، ولا وافاهمُ مَطَرُ

ومن يقوم ابن عدلانٍ بنصرتِهِ ... وابن المرحّل قال لى: كيف ينتصرُ!

وكان النيل لم يوفِّ سنة تولى المظفر ، وارتفع السعر .

قلت : الـكلّ مظلومون مع النّاصر ، فإنهم أفتَوْا بالحقّ ، ولـكن جبروت وظلم وعسف ، وشوكة وصِباً وجهل ، فمن يخاطب الإنسان !

واستمرّ الناصر فى السلطنة بلا منـازع ، فحجّ خفيفا فى سنة اثنتى عشرة من طريق الـكَرَك ، وعاد إلى دمشق، ثم حجّ من القاهرة سنة تسع عشرة، ومعه قاضى القضاة البدر ابن جماعة ، والأمراء وغالب أرباب الدولة ، وكان خروجه فى سادس ذى القعدة ، وأبطل فى هذه السنة مكوسَ الحرمين ، وعوّض أميرىْ مكة والمدينة عنها إقطاعاتٍ بمصر والشام ، ومهّد ما كان فى عقبة إيلياء من الصخور ، ووسّع طريقها .

واتّفق فى هذه السنة أنّ كريم الدين ناظر الخاصّ حضر إلباسَ الـكعبة الـكسوة ، فصعد الـكعبة ، وجلس على العتبة يشرف على الخيّاطين ، فأنـكر الناس استعلاءه على

---

(١) الدوادار دار : وظيفة تعادل السكرتير الخاص للسلطان ، وهو الذى يحمل دواته وغيرها ؛ مع ما يلحق ذلك من المهمات . حواشى السلوك ١ : ١٤١ .

الطائفين ، فسقط لوقته على رأسه ، وصرخ الناس صرخة عظيمة تعجُّبا من ظهور قدرة الله ، وانقطع ظهره ، ولولا تداركه مَنْ تحته لهلك ؛ وعلم بذنبه، فتصدّق بمال جزيل.

ثم حجّ الناصر حجة ثالثة فى سنة اثنتين وثلاثين ، وهو الذى حفر الخليج الناصرىّ الداخل من قنطرة قُدَيدَار[1] ، وعزم على أن يجرى النيــل تحت القلعة ، ويشقّ له من ناحية حُلوان ، فثبّطه عن ذلك فخر الدين ناظر الجيش ، وقال إنه يحتاج إلى ثلاث خزائن من المال ، ولا يدرى : هل يصح أولا ! فرجع عنه .

واستمرّ الناصر إلى أن مات يوم الأربعاء عاشر ذى الحجة سنة إحدى وأربعين ، وهو أطول ملوك الترك مدّة .

وأقيم بعده ولده سيف الدين أبو بكر ، ولقّب الملك المنصور ، فأقام دون الشهرين ، ثم خلع فى يوم الأحـد العشرين من صفر سنة اثنتين وأربعين ، ونفى هو وإخوته إلى قُوص ، وتهتّـكت حريم أبيه الناصر ، وكثر البكاء والعويل بالقاهرة . وكان يوماً من أشنع الأيّام ، ثم قُتِـل بقوص ؛ وأقيم بعده أخوه عـلاء الدين كجك ولقّب الملك الأشرف ، وعمره دون ست سنين ، فقال بعض الشعراء فى ذلك .

سُلطاننا اليومَ طفْلٌ والأكابر فى خُلْف وبينهمُ الشّيطان قـد نزَغا
فكيف يطمع مَنْ تغشاه مظلمةٌ أن يبلغ السؤل والسلطان مابَلَغا

فأقام خمسة أشهر ، ثم خلـع فى أوّل شعبـان ، واعتقل بالقامة إلى أن مات سنة ست وأربعين . قال صاحب السكردان : والله أعلم كيف موته[2] .

وأقيم أخوه شهاب الدين أحمد ولقّب الملك الناصر ، وكان قدم من الـكرَك ، وكان

---

(١) قنطرة قديدار ، كانت على الخليج الناصرى . وانظر حواشى النجوم الزاهرة ٩ : ٨٢ .
(٢) السكردان ٥٨ .

الذى عقد المبايعة بينه وبين الخليفة الشيخ تقى الدين السبكىّ ، وقد حضر من الشام إلى مصر، قال فى السّكردان:

فأقام فى الملك بمصر أربعين يوما ، ثم رجع إلى الكَرَك ، ولم يزل هناك حتى خلع يوم الخميس ثانى عشر المحرم سنة ثلاث وأربعين، ثم قتِل فى أول[١] سنة خمس وأربعين، وأقيم بعده أخوه عماد الدين إسماعيل ولقّب الملك الصالح ، فأقام إلى أن مات فى رابع ربيع الآخر سنة ست وأربعين وعمره نحو عشرين سنة[٢].

وقال الصلاح الصفدى يرثيه :

مضى الصالح المرجوّ للبأس والندّى ... ومن لم يزل يلقى المنى بالمنائح

فيا ملك مصر كيف حالُك بعدَه ... إذا نحن أثنينا عليك بصالح

وأقيم بعده أخوه زين الدين شعبان ، ولقب الملك الكامل . وقال الجمال بن نباته فى ذلك :

طلعة سلطاننا تبدّتْ ... بكامل السَّعد فى الطلوعِ[٣]

فاعجب لَهَا منه كيف أبدَتْ ... هلال شعبان فى ربيعِ

وقال أيضا :

شعبان سلطاننا المرجّى ... مبارك الطّالع البديعِ

يابهجةَ البدرِ إذ تبدّى ... هلال شعبان فى ربيع

فأقام سنة وأياما ، ثم خلع فى جمادى الأولى سنة سبع وأربعين ، وسجن وقتل . وكان من شِرار الملوك ظلماً وعسفا وفسقا ، فقال فيه الصلاح الصفدىّ :

بَيْت قلاوونٍ سعاداتُهُ ... فى عاجلٍ كانت وفى آجلِ

حلّ على أملاكه للرّدَى ... دَيْنٌ قد استوفاه بالكامل

---

(١) السكردان : « فى صفر » . (٢) السكردان ٥٨ . (٣) السكردان ٥٩ .

وأقيم بعده أخوه زين الدين حاجى ، ولقب الملك المظفّر ؛ فأقام سنة وثلاثة أشهر ، ثم خلع فى يوم الأحد ثانى عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وذبح من ساعته ، وقال فيه الصلاح الصفدىّ :

أيّها العــاقلُ اللبيبُ تفــكَّرْ في المليـــكِ المظفّرِ الضّرغامِ
كم تمادَى فى البَغْيِ والغيِّ حتى كان بعث الحمام حدّ الحِمامِ

وقال أيضا :

حان الردى للمظفَّرْ وفى التراب تعفّرْ
كم قد أباد أمــيراً على المعـــالى توفّرْ
وقاتـــل النفس ظلماً ذنوبـــه ما تكفّرْ

وأقيم بعده أخوه ناصر الدين أبو المحاسن حسن ؛ ولقب الملك الناصر ، وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة ؛ فأقام إلى أن خلع فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين ، وسجن بالقلعة ، وأقيم بعده أخوه صالح ، ولقب الملك الناصح ، وجعل شيخو أتابكَهُ (١) فأقام إلى أن خلع فى شوال سنة خمس وخمسين ، وحبس بالقلعة ، وأعيد الناصر حسن ، فأقام إلى أن قُتِل ليلة الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة اثنتين وستين ، وأقيم بعده ابن أخيه ناصر الدين أبو المعالى محمد بن المظفر حاجى ، ولقِّب الملك المنصور ، فأقام إلى أن خلع فى شعبان سنة أربع وستين وسجن بالقلعة إلى أن مات سنة إحدى وثمانين ، وأقيم بعده ابن عمّه أبو المفاخر شعبان بن الأمير حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ولقّب الملك الأشرف وعمره يومئذ عشر سنين واستقرّ أتابكَهُ يلبُغا العمرىّ . ثم إنّ يلبغا قتِل بأيدى مماليكه فى سنة ثمان وستين ، وكان ساكنا بالكبش ، فقال فيه بعض الشعراء :

---

(١) الأتابك : فى أيام المماليك مقدم العساكر أو القائد العام .

بدَا شقا يلبُغَا وعَدّتْ عِــداه فى سفنه إليه
والكبش لم يَفْدِهِ وأضحتْ تنــوحُ غربانُه عليْهِ

وأقيم أسَنْدَمُر الناصر أتابكا ، فاتفقت معه مماليك يلبُغا ، فركبوا على الأشرف فهزموا ، ونصر الأشرف ، وقال بعض الشعراء فى ذلك :

هــلال شعبانَ جهراً لاحَ فى صَفَرِ بالنّصر حتى أرى عيــدا بشعبانِ
وأهلُ كبش كأهل الفيل قد أخذوا رَغماً وما انتطحتْ فى الكبش شاتانِ

ثم أقيم الجائى اليوسفىّ أتابكا وهو زوج أم الأشرف ، فاتفق موت أمّ الأشرف ، فقال شهاب الدين السعدىّ متفائلاً بالجائى :

فى مستهــلّ العشر من ذى حجّةٍ كانت صبيحــةُ موتِ أمّ الأشرفِ
فاللهُ يرحَمُهــا ويعظِم أجْره ويكون فى عاشور موت اليُوسفِى

فاتّفق أن وقع الأمر كذلك ، ركب الجائى على الأشرف فى سابع المحرّم ، فكسر وطلب يوم الثامن ، فساق حتى أرمى نفسه فىالبحر ، فغرق ، ثمأخرجه الغوّاصُون ودفن فى تاسع المحرّم .

ثم إن الأشرف تأهّب للحجّ ، وسافر فى شوال سنة ثمان وسبعين ، وصحبه الخليفة والقضاة والأمراء ، فلما وصل إلى العقبة ، ركب عليه مَنْ تمعه من الأمراء والجند ، فانكسر السلطان ، ورجع هاربا إلى مصر ، فاختفى بها .

قال الحافظ ابن حجر : أخبر الشيخ بدر الدين السلسولىّ أحد علماء المالكيّة وصلحائهم ، أنّه رأى النبىّ صلى الله عليه وسلم لمّا تجهز الأشرف للحجّ ، وعمر يقول له : شعبان بن حسين يريد أن يجىء إلينا ، فقال : لا مايأتينا أبدا ! فلم يلبث الأشرف أن رجع من العقبة .

قال ابن حجر : وعرض طشْتَمُر على الخليفة أن يتسلطن ، فامتنع وقال : بل اختاروا

من شئتم ، وأنا أولّيه ، ورجع هو والقضاة إلى مصر . ثم إنهم ظفروا بالأشرف، فخنقوه وأقيم بعده ولده علاء الدين علىّ وهو صبىّ ؛ ولقب الملك المنصور ، فأقام إلى أن مات فى صفر سنة ثلاث وثمانين ، وعمره يوم مات اثنتا عشرة سنة . وكان التدبيرُ فى أيامه لأينبَك البدرىّ، ثم لَقَرطاى، ثم لبرقوق .

وأقيم بعده أخوه صلاح الدين حاجى بن الأشرف شعبان ، ولقب الملك الصالح ، وسنّه حينئذ تسع سنين ، ثم خلع فى رمضان سنة أربع وثمانين ، وأقيم فى السلطنة سيف الدين أبو سعيد برقوق بن أَنَص ؛ ولقِّب الملك الظاهر ؛ وهو أوّل السلاطين من الجراكسة ، وليس فيهم من تَسَلْطَن وأبوه مسلم غيره ؛ فإنّ أباه قدم إلى الديار المصرية ، فأسلم ومات قبل سلطنة ولده بشهر . وكان الذى أشار بتلقيب برقوق بالظاهر شيخ الإسلام سراج الدين البُلقينىّ ؛ فإنّ ولايته كانت وقت الظهر ، وخطب الخليفة قبل أن يفوّض إليه خطبة بليغة ، ثم قلّده بحضرة البُلقينىّ والقضاة ، واستمرّ فى السلطنة إلى ثالث جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين ، فخلع وسجن بالكَرَك ، وأعيد حاجى إلى السلطنة . ولقِّب الملك المنصور ، فأقام إلى صفر سنة اثنتين وتسعين وخلع . وعاد برقوق إلى السّلطنة ، فاستمرّ إلى أن مات فى شوال سنة إحدى وثمانمائة ، وأقيم بعده ولده زين الدين أبو السعادات فرج ، ولقِّب الملك الناصر ، وقال بعضُ الشعراء فى ولايته :

مضَى الظّاهر السّلطان أكرم مالكٍ إلى ربّه يرقَى إلى الخُلْدِ فى الدّرَجْ
وقالوا ستأتى شدّة بعد موتِه فأكذبهم ربّى وماجا سوى فرجْ

فأقام إلى سادس ربيع الأول سنة ثمان وثمانمائة ، فخلع وأقيم أخوه عبد العزيز ، ولقب الملك المنصور ، ثم خُلع فى رابع جمادى الآخرة من السنة ، وأعيد النّاصر فرج ، فأقام إلى أن خرج عليه شيخ المحمودىّ ، وقاتله وحصره ، وظفر به وحكم ابن العديم

بسفك دمه وقُتِل بسيف الشرع ؛ وذلك فى المحرّم سنة خمس عشرة وثمانمائة ، وأقيم الخليفة المستعين بالله أبو النّصر العباسىّ سلطاناً مستقلاًّ بالأمر ، وحلف له الأمراء على الوفاء ، ولم يغيّر لقبه ، فأقام يتصرّف بالولاية والعزل وغيرهما ، ثم سأله شيخ أن يفوّض إليه السلطنة على العادة ، فأجابه إلى ذلك فى شعبان من السنة ، وبقيت الخلافة باسمه ، واستقرّ شيخ فى السلطنة ، ولقِّب الملك المؤيّد وكان من خيار الملوك .

ترجمهُ الحافظ ابن حجر فى معجمه وأثْنَى عليـه ، وقال : أين مثله ؟ بل أين أين مثله ! وكان معه إجازة بصحيح البخارى من شيخ الإسلام سراج الدين البُلقينىّ ، فكانت لا تفارقه سفَراً ولا حضرا ، وأقام إلى أن تُوُفِّىَ فى ثامن محرم سنة أربع وعشرين ، وأقيم بعده ولده أحمد ، ولقِّب الملك المظفّر ، وعمره يومئذ سنتان . وجعل طَطَر مدبّر المملكة ، ولقِّب نظام الملك ، فلما كان سَلْخ شعبان من السنة خلع من الملك لصغره ، وأقيم طَطَر ، ولقِّب الملك الظاهر ، فأقام إلى أن مات فى سادس ذى الحجّة من السنة .

وأقيم بعد طَطَر ولده محمد ولقّب الملك الصالح ، وجعل برسباى نظام الملك ، فلمّا كان فى ثامن ربيع الآخر خلع سنة خمس وعشرين وأقيم برسباى ، ولقِّب الملك الأشرف ، فأقام إلى أن مات فى ذى الحجة سنة إحدى وأربعين .

وأقيم ولده يوسف ، ولقِّب الملك العزيز ، وجعل جُقْمق نظام الملك ، فلما كان فى سنة اثنتين وأربعين خلِـع وأقيم جُقْمق ، ولقب الملك الظّاهر ، فأقام إلى أن مات سنة سبع وخمسين .

وأقيم ولده عثمان ، ولقّب الملك المنصور ، فمكث شهرا ونصفا ، ثم خُلِـع فى ربيع الأول ، وأقيم إينال العلائىّ ؛ ولقِّب الملك الأشرف ، فأقام إلى أن مات فى جمادى الأولى سنة خمس وستين .

وأقيم ولده أحمد ولقب الملك المؤيد ثم خلع فى رمضان من السنة ، وأقيم خشقدم الناصرىّ ، ولقِّب الملك الظاهر ، فأقام إلى أن مات فى ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين .

وأقيم قايتباى العلائىّ ، ولقِّب الملك الظاهر ، فأقام نحو شهرين وخلع ، وأقيم تمربغا، ولقِّب الملك الظاهر ، فأقيم أيضا نحو شهرين ، وخلع فى رجب . وأقيم سلطان العصر الملك الأشرف قايتباى المحمودىّ ، فأقام إلى أن مات ليلة الاثنين ثانى عشر ذى القعدة سنة إحدى وتسعمائة .

وأقيم ولده محمد ، ولقب الملك الناصر أبو السعادات محمد [1] .

وقد نظم بعضهم أسماء بعض السلاطين فى أرجوزة وهو حمزة بن علىّ الحسنىّ مذيلا على أرجوزة الجزّار عقب ذكر الملك الظاهر ، فقال :

ثم تولّى الملك السعيدُ ... وكلّ يوم فى ذراه عيدُ
ثم أخوه العادلُ استقلاّ ... بالملك أياما بها وولّى

---

(١) ورد فى هامش الأصل ما يأتى : « وقتل فى يوم الأربعاء منتصف ربيع الأول سنة أربع ، فولى بعده خاله قانصوه الغورى يوم الجمعة سابع عشرة ، ثم خلع أول ذى الحجة سنة خمس ، وولى بعده خاله جان بلاط ، ولقب الأشرف ، ثم أقام فى الملك إلى أن خرج من مصر فى منتصف ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة فى جيش كبير إلى البلاد الحلبية لملاقاة السلطان سليم عثمان فوقع المصاف بينهما بمرج دابق فى خامس عشرى رجب من السنة المذكورة ، فمات فى ذلك حتف أنفه ، ولم توجد جثته . ثم فى يوم الجمعة رابع عشر شهر رمضان من السنة المذكورة تولى طومان باى الداودار ابن أخى الغورى ولقب الأشرف ، ثم إن السلطان سليم بن عثمان دخل مصر فى يوم الخميس سلخ الحجة ، وقتل طومان باى يوم الاثنين حادى عشرى ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة . وأقام بمصر إلى أن رحل عنها فى رابع عشرى شعبان من السنة المذكورة وخلف عليها خايربك المحمدى . ثم إن ابن عثمان مات ببلاد الروم فى ليلة السبت تاسع شوال سنة ست وعشرين ، وقام بعده فى الملك ولده سلطان العصر سليمان نصره الله تعالى . ثم مات خاير بك فى ثالث عشرى ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة ، ثم ولى بعده خاير بك مصطفى أحد وزراء السلطان سليمان . ثم فى شهر رمضان قدم من الروم أمير لنيابة مصر يسمى قاسم ، ثم جاء من بعده أحمد باشا ، ثم من بعده سليمان باشاه ، ثم من بعده سليمان باشاه خسرو ، ثم من بعد خسرو أعيد سليمان باشاه ، ثم من بعده الزينى داود باشاه متوليها الآن أدامه الله تعالى » .

وقد وضع هذا النص خطأ داخل نسختى ح ، ط .

ثم تولى الملك المنصورُ ومَنْ جرى بنصره المقدور
ثم تولاها المليك الأشرفُ ومن غدا بكلّ جود يعرَفُ
ثم تولاّها المليك الناصرُ وماله فى نصره موازرْ
ثم الأمير كتبغاء العادلُ وماجرى فى وقته فسائلُ
وبعده لاجينٌ المنصورْ ودولة بلاؤهما مشهورْ
ثم بها الناصِرُ عاد ثانيهْ ولم ينل فى ملكه أمانيَهْ
ثم حوى الأمرَ بها المظفّرُ ليقضَ أمرُ ربّنا المقدّرُ
ثم بها الناصر عاد ثالثهْ ونجله المنصور كان وارثهْ
وبعده الأشرف وهو يافعُ فلا ممانع ولا مدافعُ
ثم تولّى الناصرُ بن الناصرِ وبعده الصالح ذو المآثرِ
أعنى أبا الفداء إسماعيلاَ طائره أضحى به جميلاَ

هذا آخر ما نظمه ، وقد ذيلت عليه فقلت :

وبعده شعبان وهو الكاملُ وبعده المظفّر المباحلُ
وبعده الناصر واسمه حسنْ وبعده الصالح فى البرج سجنْ
ثم أعيد حسن وبعدَهُ محمد المنصور أوهى عهدهُ
وبعده شعبان وهو الأشرفُ وهو ابن عشر أمره مستضعفُ
وبعده المنصور واسمه على وبعده الصالح حاجى قد ولِى
وبعده برقوقُ وهو الظاهرُ ثم أعيد الصالح المنافرُ
ولقّبوه الملك المنصورَا ثم أعادوا الظاهرَ المذكُورا
وبعده الناصر واسمه فرجْ وبعده عبد العزيز قد خرجْ
ولقب المنصور ثم أمسكا وأحضر الناصر حتى مَلَكا

وبعد هـــذا بويع الخليفهْ ذو الرتبة العاليـــة المنيفهْ
المستعين الأعظم العبـــاسُ فاستوثق الأمر وُسّر الناسُ
وبعد هـــذا ملك المؤيدْ شيخ وبعــــده المظفرُ احمَدْ
وبعده الظاهر واسمه طَطَرْ ثم ابنه الصالح لما أن غبرْ
ثم برسباى وذاك الأشرفُ ثم ابنه الملْك العزيز يوسف
وبعده الظاهر وهو جَقْمَقُ ثم ابنه المنصور ثم أطلَقوا
وبعده إينالُ وهو الأشرفُ ثم ابنـــه المؤيد المنصرفُ
وبعده خَشَقَدَمٌ ليث الوغَى وبَعْـــد يلباى أَتَى تمربغاَ
والـكلّ بالظاهر رسما يوصفُ وبعدهم جاء المليك الأشرفُ
أقام فى الملك ثلاثين سوى سبع شهور وحوى ما قد حَوى
وسلطنوا ولده محمــــدا ولقب الناصر رغماً للعـــدا

ذكر الفرق بين الخلافة والملك والسلطنة من حيث الشرع

قال ابن سعد فى الطبقات : أخبرنا محمد بن عمر ، حدثنى قيس بن الربيع، عن عطاء ابن السائب ، عن زاذان ، عن سلمان أن عمر بن الخطاب ، قال له : أملك أنا أم خليفة ؟ فقال : له سلمان إن أنت جبيتَ من أرض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر ، ثم وضعته فى غير حقّه فأنت ملك غير خليفة ، فاستعبَر عمر .

وقال : أخبرنا محمد بن عمر ، حدثنى عبد العزيز بن الحارث ، عن أبيه سفيان بن أبى العوجاء ، قال : قال عمر بن الخطاب : والله ما أدرى أخليفة أنا أم ملك ؟ فإن كنت ملكا ، فهذا أمر عظيم ، قال قائل : يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقاً ، قال : ما هو ؟ قال : الخليفة لا يأخذ إلا حقًّا ولا يضعه إلا فى حقّ، وأنت بحمد الله كذلك ، والملك يعسف الناس ، فيأخذ من هذا ، ولا يعطى هذا. فسكت عمر.

***

ذكر من يطلق عليه السلطنة من حيث المصطلح

قال ابن فضل الله فى المسالك : ذكر علىّ بن سعيد أنّ الاصطلاح ألّا تطلق هذه التسمية إلا على من يكون فى ولايته ملوك ، فيكون ملك الملوك فيملك ، مثل مصر ، أو مثل الشام ، أو مثل إفريقيّة ، أو مثل الأندلس ، ويكون عسكره عشرة آلاف فارس أو نحوها ، فإن زاد بلادا أو عددا فى الجيش ، كان أعظم فى السلطنة . وجاز أن يطلق عليه السلطان الأعظم ، فإن خُطب له فى مثل مصر والشام والجزيرة ومثل خراسان

وعراق العجم وفارس ومثل إفريقيّة والمغرب الأوسط والأندلس ، كان سمّته سلطان السّلاطين كالسلجوقيّة .

* * *

ذكر مايلقّب به ملك مصر

قال الكندى : قال تعالى حكاية عن إخوة يوسف : ﴿ يا أيّها العَزِيزُ مَسَّنَا وأَهلَنا الضُّرُّ ﴾[1] فحكى أن اسم ملكها العزيز ، وذكر جماعة من المفسرين أن فرعون لقبٌ لكل من ولىَ مصر ، ولعلّ هذا خاص بملوك الكفر .

---

(١) سورة يوسف ٨٨ .

ذكر جلوس السلطان فى دار العدل المظالم

قال ابن فضل الله : إذا جلس السلطان للمظالم ، جلس عن يمينه قضاة القضاة من المذاهب الأربعة ، الوكيل عن بيت المال ، ثم الناظر فى الحِسْبة ، ويجلس عن يساره كاتب السرّ ، وقدّامه ناظر الجيش وجماعة الموقّعين تكملة حلقة دائرة ، وإن كان ثم وزير من أرباب الأقلام كان بينه وبين كاتب السرّ ، وإن كان الوزير من أرباب السيوف كان واقفاً على بعْد ، مع بقية أرباب الوظائف ، ويقف من وراء السلطان صفّان عن يمينه ويساره من السلاح دائرة والجدارية[١] والخاصكية[٢] ، ويجلس على بعد تقديره خمسة عشر ذراعا من يمنة ويسرة ، ذوو السنّ من أكابر أمراء المؤمنين ، وهم أمراء المشورة ، ويليهم مَنْ دونهم من أكابر الأمراء وأرباب الوظائف وقوفا وبقية الأمراء وقوف من وراء أمراء المشورة ، ويقف خلف هذه الحلقة المحيطة بالسلطان الحجّاب والدواداريّة[٣] ، لإحضار قصص الناس وإحضار المساكين ، وتقرأ عليه فما احتاج إلى مراجعة القضاة راجعهم فيه ، وما كان متعلّقا بالعسكر تحدّث مع الخاص وكاتب السرّ فيه .

قال : وهذا الجلوس يكون يوم الاثنين ويوم الخميس ، إلا أن القضاة وكاتب السرّ لا يحضرون يوم الخميس .

قال : ومن عادته إذا ركب يوم العيدين ويوم دخول المدينة يركب ، وعلى

---

(١) الجدار هو الذى يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه ، وأصله : « جاما دار ، لفظان فارسيان » . وانظر صبح الأعشى ٥ : ٤٥٩

(٢) الخاسكية : فرقة من المماليك السلطانية ، خاصة بالسلطان وحاشيته .

(٣) الداودارية : وظيفة تعادل وظائف السكرتارية الخاصة .

رأسه العصائب السلطانية وهى صُفر مطرّزة بذهب بألقابه واسمه ، وترفع المظلّة على رأسه ، وهى قبّة مغشاة بأطلس أصفر مزركش ، عليها طائرة من فضة مذهّبة ، يحملها بعض أمراء المئين الأكابر ، وهو راكب فرسه إلى جانبه ، وأمامه الطّبردارية [1] مشاة ، وبأيديهم الأطبار .

قلت : العصائب المذكورة حرام ، وقد بطلت الآن ولله الحمد .

(١) الطبردار : هو الذى يحمل الطبر ، أى الفأس ، وهى فأس السلطان عند ركوبه فى المراكب وغيرها . وانظر حواشى السلوك ١ : ٤٢٧ .

ذكر عساكر مملكة مصر

قال ابن فضل الله فى المسالك : وأمّا عساكر هذه المملكة ، فمنهم مَنْ هو بحضرة السلطان ، ومنهم من فرّق فى أقطار المملكة وبلادها ، ومنهم سكّان بادية كالعرب والتركمان وجندها مختلط من أتراك وجركس وروم وأكراد وتركمان ، وغالبهم من المماليك المبتاعين ، وهم طبقات أكابرهم من له إمرة مائة فارس ، وتقدمة ألف فارس ، ومن هذا القبيل يكون أكابر النواب ، وربما زاد بعضهم بالعشرة فوارس والعشرين . ثم أمراء الطبلخاناه ، ومعظمهم من تكون له إمْرة أربعينَ فارسا وقد يزيد إلى السبعين ولا تكون الطبلخاناه لأقلّ من أربعين ، ثم أمراء العشرات ومنهم من يكون له عشرون فارسا ، ولا يعدّ إلا فى أمراء العشرات، ثم جند الحلقة، وهؤلاء لكل أربعين نفرا ، منهم مقدّم ليس له حكم عليهم إلا إذا خرج العسكر ، كانت مرافقتهم معه، وترتيبهم فى موقفهم إليه ، ويبلغ بمصر إقطاع بعض أكابر الأمراء المثين المقرّبين من السلطان مائتىْ ألف دينار جيشية ، وأما غيرهم فدون ذلك ، ودون دونه إلى ثمانين ألف دينار وما حولها ، وأما العشرات فنهايتها سبعة آلاف دينار إلى مادون ذلك.

وأما إقطاعات جند الخليفة ، فمنه مايبلغ ألفا وخمسمائة دينار ، ومادون ذلك إلى مائتين وخمسين دينارا .

وأما إقطاعات أمراء الشام فعلى الثلاثين من مصر .

ذكر أرباب الوظائف فى هذه المملكة

قال ابن فضل الله : الوظائف الكبار من ذوى السيوف : إمرة سلاح الدّوادارية، الحجوبية ، إمرة جاندار [١] الأستاذ دارية [٢] ، المهمندارية [٣] ، نقابة الجيوش .

ومن ذوى الأقلام : الوزارة ، كتابة السر ، نظر الجيش ، نظر الأموال ، نظر الخزانة ، نظر البيوت ، نظر بيت المال ، نظر الإسطبلات .

ومن ذوى العلم : القضاة ، الخطباء ، وكالة بيت المال، الحسبة .

قال : وكانت وظيفة تسمّى نيابة السلطان ، أبطلها الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكان النائب أولا سلطانا مختصرا ، وكان هو الذى يفرّق الإقطاعات ويعيّن الإمرة والوظائف ، ويتصرّف التصرّف المطلق فى كلّ أمر ، إلا فى ولاية المناصب الجليلة ، كالقضاء والوزارة وكتابة السّر ، لكن يعرض هو على السلطان مَنْ يصلح ، وقلّ ألا يجاب ، وكان يسمّى كافل الممالك والسلطان الثانى .

وأما الوزارة ، فكان يليها من أرباب السيوف والأقلام على قدر مايتّفق ، وكان الوزير ثانى النائب فى المكانة .

قال : وقد أبطل الناصر الوزارة أيضا ، واستقلّ هو بما كان يفعله النائب والوزير، واستجدّ وظيفة يسمىّ مباشرها ناظر الخاص ، أصل موضوعها أن يكون مباشرها متحدّثا فيما هو خاص بمال السلطان يتحدث فى مجموع الأمر فى الخاصّ بنفسه ، وفى العام

(١) الجاندارية : مثل الخاصكية ، مركبة من لفظين أحدهما جان ، ومعناه سلاح ، والثانى دار، ومعناه ممسك ، ومعنى جاندار السلطان؛ أن صاحبها يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ،ويدخل أمامهم إلى الديوان. انظر حواشى السلوك ١ : ١٣٣

(٢) الأستادار هو الذى يتولى شئون مسكن السلطان أو الأمير وصرفه ، وتنفذ فيه أوامره . وانظر صبح الأعشى ٤ : ٢٠

(٣) المهمندار : هو الذى يتلقى الرسل والعربان الواردين على السلطان ، وينزلهم دار الضيافة ويتحدث فى القيام بأمورهم . انظر صبح الأعشى ٤ : ٢٢

بأخذ رأيه فيه ، فيبقى بسبب ذلك كأنه الوزير لقربه من السلطان .

وأوّل مَنْ ولى هذه الوظيفة كريم الدين عبد الكريم بن هبة الله بن السديد .

وأما إمْرة سلاح فموضوعها أنّ صاحبها مقدّم السلاح داريه، والمتولّى بحمل سلاح السلطان فى المجامع الجامعة ، وهو المتحدّث فى السلاح خاناه وتعلقاتها ، وهو من أمراء المئين .

والدواداريّة موضوعها أن صاحبها يبلّغ الرسائل عن السلطان ، ويقدّم القصص إليه، ويشاور على مَنْ يحضر إلى الباب ، ويقدّم البريد إذا حضر ، ويأخذ خطّ السلطان على عموم المناشير والتواقيع والكتب .

والحجوبيّة موضوعها أنّ صاحبها يقف بين الأمراء والجند وهو المشار إليه فى الباب بالقائم مقام البواب فى كثير من الأمور .

وإمرة جاَندار صاحبها كالمتسلّم للباب ، وهو المتسلّم للزردخاناه [1] ، ومَنْ أراد السلطان قتلَه ، كان على يد صاحب هذه الوظيفة .

والأستاذداريّة صاحبها إليه أمر بيوت السلطان كلها من المصالح والنفقات والكساوى، وما يجرى مجرى ذلك ، وهو من أمراء المئين .

ونقابة الجيش صاحبها كأحد الحجّاب الصغار ، وله تحْلية الجند فى عَرْضهم ، وإذا أمر السلطان بإحضار أحد أو التّرْسيم عليه فهو صاحب ذلك .

والولاية صاحبها هو صاحب الشّرطة .

وأما الوزارة فصاحبها ثانى السلطان إذا أنصف ، وعرف حقه ، ولكن فى هذه المدد تقدّمت عليها النيابة وتأخّرت الوزارة وتقهقرت ، فصار المتحدّث فيها كناظر المال لا يتعدّى الحديث فى المال ، ولا يتسع له فى التصرّف بحال ، ولا يمدّ يده فى الولاية والعزل كتطلّع السلطان إلى الإحاطة بجزئيات الأحوال .

ثم إن السلطان أبطل هذه الوظيفة ، وعطّل جيد الدولة من عقودها ، وصار ما كان

(١) الزردخاناه : دار السلاح ، كلمة فارسية مركبة ، وقد أطلقها المقريزى على السلاح نفسه . حواشى السلوك ١ : ٣٠٦

إلى الوزير منقسما إلى ثلاثة : إلى ناظر المال أوشادّ الدواوين ، أمر بتحصيل المال ، وصرف النفقات والكلف ، وإلى ناظر الخاصّ تدبير جملة الأمور وتعين المباشرين، وإلى كاتب السّر التوقيع فى دار العدل مما كان يوقّع فيه الوزير مشاورة واستقلالا ، ثم إن كلاً من المتحدّثين الثلاثة لايقدر على الاستقلال بأمر إلا بمراجعة السلطان .

ومن وظيفة كتابة السّر قراءة الكتب الواردة على السّلطان وكتابة أجوبتها والجلوس لقراءة القصص بدار العدل ، والتوقيع عليها وتصريف المراسيم ورودا أو صدورا .

وأمّا نظر الجيش فلصاحبه النّظر فى الإقطاعات ومعه من المستوفين مايحرّر كليات المملكة وجزئياتها .

وأما نظر الخزانة فكانت وظيفة كبيرة الوضع لأنها مستودع أموال المملكة ، فلما استحدثت وظيفة الخاص ضعف أمرها ، وغالب مايكون ناظرها من القضاة أو نحوهم .

وأما نظر البيوت فمنوط بالأستاذ داريّة فكل مايتحدّث فيه الأستاذ دارية يشارك فيه .

وأمّا نظر بيت المال فوظيفة جليلة موضوعها حمل حمول المملكة إلى بيت المال والتصرّف فيه تارة بالميزان وتارة بالتسبيب بالأقلام ، ولا يلى هذه الوظيفة إلا مَنْ هومن ذوى العدالة المبرّزة .

وأمّا نظر الإصطبلات،فلصاحبه الحديث فى أنواع الإصطبل والمناخات وعلفها وأرزاق خدمها وما يبتاع لها .

وأمّا وظائف أهل العلم فمعروفة مشهورة لاتخلو مملكة من ممالك الإسلام منها .

هذا كله كلام ابن فضل الله .

ذكر فى التاريخ أن الخليفة المقتفى بالله نقل المظفّر بن جهير من الأستاذ داريّة إلى

الوزيرية فى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ، قال بعضهم : وذلك أوّل ماسمع بوظيفة الأستاذدارية فى الدول .

وقال بعض المؤرخين : لما تولّى الظاهر بيبرس أحبّ أن يسلك فى ملكه بالديار المصرية طريقة جنكزخان ملك التتار وأموره ، ففعل ماأمكنه ، ورتّب فى سلطنته أشياء كثيرة لم تكن قبله بديار مصر ، مثل ضرب البوقات وتجديد الوظائف ، فأحدث أميرَ سلاح وأميرَ مجلس ورأس نوبة الأمراء وأمير آخور ، وحاجب الحجاب والدّوادار والجدار وأمير شكار . وموضوع أمير سلاح أنه يتحدث على السلاح دراية ، ويناول السلطان آلة الحرب والسلاح يوم القتال ويوم الأضحى ، ولم تكن رتبته فى زمن الظاهر أن يجلس فى ميسرة السلطان ، إنما كان يجلس فى هذا الموضع أتابك ، ثم فى زمن الناصر ابن قلاوون كان يجلس فيه رأس نوبة الأمراء .

وموضوع أمير مجلس ، أنه يحرس مجلس السلطان وفرشه ، ويتحدّث على الأطبّاء والكحّالين ونحوهم ، وكانت وظيفة جليلة أكبر قدرا من أمير سلاح .

ورأس نوبة ، وظيفة عظيمة عند التتار ويفخّمون فيها السين ، ولما أحدثها الظاهر بمملكة مصر كان صاحبها يسمّى رأس نوبة الأمراء؛ ومعناه أكبر طائفة الأمراء ، وهو أكبر من أمير مجلس وأمير سلاح ، وهو فى مرتبة الأمير الكبير الآن ، ولم يكن أحد يسمّى بالأمير الكبير إذ ذاك ؛ إلى أن ولى هذه الوظيفة شيخو العمرىّ فى زمن السلطان حسن ، فلقّب بالأمير الكبير زيادة على التلقيب برأس نوبة الأمراء ، وهو أول من لقب بالأمير الكبير كما ذكر .

وموضوع أمير أخور النّظر فى علَف الخيل ، وأخور بالمعجمة المِذْود الذى يأكل فيه الفرس .

والحاجب كان فى الزمن الأول من أيام الخلفاء للذى يحجب الناس عن الدخول على

الخليفـة ، وكان يرفّا حاجب عمر بن الخطاب ، ثم عظمت الحجوبيّة فى أيام الناصر ابن قلاوون .

والدوادار كان فى زمن الخلفاء أيضا ، وهو الذى يحمل الدّواة ويحفظها ، ومعناه ماسك الدواة ، وأول من أحدث هذه الوظيفة الملوك السلجوقيّة ، وكانت فى زمنهم وزمن الخلفاء لرجل متعمّم ثم صارت فى زمن الظاهر لأمير عشرة .

والجدار : ماسك البقجة التى للقماش .

ذكر قضاة مصر

قال ابن عبد الحكم : أوّل قاضٍ استُقضى بمصر فى الإسلام ـ كما ذكر سعيد بن عُفير ـ قيس بن أبى العاصى ، [فمات] (١) سنة أربع وعشرين، فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص أن يستقضِىَ كعب بن يسار بن ضِنّة [العبسىّ] (١) . قال ابن أبى مريم: وهو ابن بنت خالد بن سنان العبسىّ الذى [تزعم عبس فيه] أنه(٢) تنبّأ فى الفترة بين عيسى بن مريم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) ، فأبَى كعب أن يقبل القضاء ، وقال : قضيت فى الجاهليّة ولا أعود إليه فى الإسلام (٤) .

حدثنا سعيد بن عُفير ، حدّثنا ابنُ لَهيعة ، قال : كان قيس بن أبى العاصى بمصر ، ولّاه عمرو بن العاص القضاء . وقد قيل إن أوّل من استُقضى بمصر كعب بن ضِنّة بكتاب عمر بن الخطاب فلم يَقبَل (٥) .

حدثنا المقرئ عبد الله بن يزيد ، أنبأنا حَيْوة بن شُريح ، أنبأنا الضّحاك بن شرَحبيل الغافقىّ، أنّ عمّار (٦) بن سعيد التُّجيبىّ أخبرهم أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص ، أن يجعل كعب بن ضِنّـة على القضاء ، فأرسل إليه عمرو ، فأقرأه كتاب أمير المؤمنين ، فقال كعب: والله لا ينجيه الله من أمر الجاهلية وما كان فيها من الهلكة، ثم يعود فيها أبدا إذ أنجاه الله منها ، فأبى أن يقبل القضاء ، فتركه عمرو . قال ابنُ عفير وكان حَكَماً فى الجاهليّة (٧) . فلما امتنع كعب أن يَقبل القضاء ولّى عمرو بن العاص عثمانَ

---

(١) من فتوح مصر .

(٢) من ابن عبد الحكم. (٣) بعدها فى ابن عبد الحكم : « ولخالد بن سنان حديث فيه طول » .

(٤) فتوح مصر لابن عبد الحكم ٢٢٩ (٥) فتوح مصر : ٢٣٠ ، وفى آخر الخبر هناك : « والله أعلم » . (٦) ح ، ط : « عماد » تحريف . (٧) فى ابن عبد الحكم : « وخطة كعب بن ضنة بمصر ، بسوق بربر فى الدار التى تعرف بدار النخلة » .

ابن قيس بن أبى العاص القضاء ، وقد كان عمر بن الخطاب قد كتب إلى عمرو بن العاص أن يفرِض له فى الشّرَف [(١)] .

قال : ودعا عمرو خالد بن ثابت الفهمىّ ليجعله على المكس ، فاستعفاه منه ، فكان شُرَحبيل بن حَسَنة على المكْس ، وكان مسلمة بن مخلّد على الطّواحين ؛ طواحين [(٢)] البَاَقْس .

وأقام عثمان على القضاء إلى أن صُرف سنة اثنتين وأربعين ، ثم وَلِىَ سليم بن عِتْر التُّجيبىّ على القضاء فى أيام معاوية بن أبى سفيان ، وجعل إليه القصص والقضاء جميعا [(٣)] .

حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا حَيْوَة بن شريح ، حدثنا الحجاج بن شدّاد الصنعانىّ ، أن أبا صالح سعيد بن عبد الرحمن الغفارىّ أخبره ، أن سليم بن عِتْر كان يقصّ على الناس وهو قائم ، فقال له صلة بن الحارث الغفارىّ — وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله ماتركْنا عهد نبيّنا ، ولا قطعنا أرحامنا ، حتى قمت أنت وأصحابك بين أظهرنا ! وكان سليم بن عِتْر أحد العبّاد المجتهدين ، وكان يقوم فى ليله فيبتدئ القرآن حتى يختمه ، ثم يأتى أهله ، ثم يقوم فيغتسل ثم يقرأ فيختم ، ثم يأتى أهله [فيقضى منهم حاجته] [(٤)] ، وربّما فعل ذلك فى الليلة مرات ، فلما مات قالت امرأته : رحمك الله ! فوالله لقد كنت ترضى ربّك وتسُرّ أهلك [(٥)] .

ثم لمّا ولى مسلمة بن مخلّد البلد ، ولّى السائب بن هشام بن عمرو أحدَ بنى مالك بن

(١) فى ابن عبد الحكم : « كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص أن افرض لكل من قبلك ممن بايع تحت الشجرة فى مائتين من العطاء وأبلغ ذلك لنفسك بإمارتك ، وافرض لخارجة بن حذافة فى الشرف لشجاعته ، وافرض لعثمان بن قيس بن أبى العاص فى الشرف لضيافته » .

(٢) ابن عبد الحكم : « قال عبد الرحمن : طواحين البلقس » .

(٣) ابن عبد الحكم ٢٣١ ، وفيه : « وقد أدرك عمر ابن الخطاب ، وحضر خطبته بالجابية ، وجعل إليه القصص والقضاء جميعا » .

(٤) من ابن عبد الحكم .

(٥) ابن عبد الحكم ٢٣٢

حِبْل شُرَطه ، وكان هشام بن عمرو أحدَ النفر الذين قاموا فى نَقْض الصحيفة التى كانت فى قريش كتبت . وكان عمرو بن العاص ولّى السائب بن هشام شُرَطَهُ بعد خارجة بن حُذافة ، وكان أيضا على شرطهِ عبد الله بن سعد بن أبى سرْح ، ثم عزل مسلمة السائب وولى عابس بن ربيعة المرادىّ الشرْطة ، ثم جمع له القضاء مع الشُّرْطة [1] .

وسبب ذلك أنّ معاوية كتب إلى مسلمة يأمره بالبيعة ليزيد ، فأتى مسلَمةالـكتابُ وهو بالإسكندرية ، فـكتب إلى السائب بذلك ، فبايع النّاس إلا عبد الله بن عمرو ابن العاصى ، فأعاد عليه مسلمة الـكتاب فلم يفعل ، فقال مسلمة : مَنْ لعبد الله بن عمرو ؟ فقال عابس بن سعيد : أنا ، فقدم الفُسطاط ، فبعث إلى عبد الله بن عمرو فلم يأته ، فدعا بالنّار والحطب ليحرق عليه قصره ، فأتى فبايع ، واستمرّ عابس على القضاء حتى دخل مَرْوان بن الحـكم مصرفى سنة خمس وستين ، فقال : أين قاضيكم ؟فدُعِي لهعابس ـوكان أُميًّا لا يكتبـفقال له مروان: أجمَعت كتابالله ؟ قال : لا، قال : فأحكَمت الفرائض ؟ قال : لا ، قال : فبِمَ تقضى ! قال : أقضى بما علمتُ ، وأسأل عمّا جهلت ، قال : أنت القاضى . فلم يزل عابسٌ على القضاء إن أن تُوفِّىَ سنة ثمان وثمانين .

فولِىَ عبدُ العزيز بن مروان بُشَيْر بن النّضر المُزنىّ القضاء [3] .

ثم وَلِىَ عبد الرحمن بن حُجَيرة الخولانى وجُمع له القضاء والقَصص وبيت المال ، فـكان يأخذ رزقه فى السّنةألف دينارعلى القضاء ؛ فلم يكنيحول عليه الحوْل وعندهماتجب فيه الزكاة ، فلم يزل على القضاء حتى مات سنة ثلاث وثمانين . ويقال: بل ولِىَ فى سنة ثلاث وثمانين، ومات فىسنة خمس وثمانين.

ثم وَلِى القضاء مالك بن شَراحيل الخولانّى ، فلم يزل على القضاء حتى مات [4].

---

(١) فتوح مصر ٢٣٤ ، ٢٤٥ . (٢) فتوح مصر ٢٣٤ ، قضاة مصر للـكندى ٣١٢ .

(٣) قضاة مصر : « وكان أبوه النضر ممن حضر فتح مصر واختط بها » .

(٤) فى كتاب قضاة مصر : « ولى القضاء مالك بن شراحيل من قبل عبدالعزيز بن مروان فى المحرم سنة ثلاث وثمانين » .

فوَلِي من بعده يونس بن عطية الحضرمىّ ، وجُمع له القضاء والشرطة ، فلم يزل حتى مات سنة ست وثمانين (١) .

فولِىَ بعده ابنُ أخيه أوس ، ثم وَلِىَ عبد الرحمن بن معاوية بن حُديج الكندىّ وجُمع له القضاء والشرطة ، فتوفِّىَ عبد العزيز بن مروان ، وولىَ بعده عبدُ الله بن عبد الملك فأراد عزلَ ابن حُديج فاستحيا من عزله عن غير شىء ، ولم يجد عليه مقالا ولا متعلَّقا فولّاه مرابطة الإسكندريّة .

ووَلِىَ عمران بن عبد الرحمن بن شُرحبيل بن حَسنة القضاء والشُّرطة فلم يزل إلى سنَة تسع وثمانين ، فغضب عليه عبد الله بن عبد الملك ، فعزله وولّى عبد الأعلى بن خالد ابن ثابت الفَهْمىّ مكانه (٢) . ثم أتى عبد الله بن عبد الملك فعزله .

ووَلِىَ قرة بن شريك العبسىّ الإمرة ، فعزل عبد الأعلى ، وولّى عبد الله بن عبد الرحمن ابن حُجيرة ، وهو ابن حُجَيْرة الأصغر ، ثم عزل فى سنة ثلاث وتسعين .

ووَلِىَ عياضُ بن عبد الله الأزدىّ ثم السّلامىّ ، ثم صرف فى سنة ثمان وتسعين ، وأعيد ابنُ حجيرة ثم صرف وأعيد ، فلم يزل إلى سنة مائة . ثم صرف (٣) وولىَ عبد الله بن خُذامر ثم صرف سنة اثنتين ومائة (٤) .

ووَلِىَ يحيى بن ميمون الحَضْرمىّ فأقام إلى سنة أربع عشرة ومائة ، ثم صُرِف ولم يكن بالمحمود فى ولايته (٥) .

ثم وَلِىَ يزيد بن عبد الله بن خُذامر ثم صُرِف .

ووَلِىَ الخيار بن خالد المُدْلجىّ ، فأقام نحو سنة ، ومات سنة خمس عشرة ومائة ، وكان محموداً جميل المذهب .

---

(١) قضاة مصر ٣٣٣ « كان يونس أول قاض بمصر من حضرموت » .
(٢) فتوح مصر ٢٣٨ .
(٣) فتوح مصر ٢٣٩ .
(٤) فتوح مصر ٢٤٠ .
(٥) فتوح مصر ٢٤٤ .

ثم وليَ توبة بن نَمِر الحضرمىّ، فأقام ماشاء الله ، ثم استعفى ، فقيل له : فأشر علينا برجل نولّيه ، فقال : كاتبى خَيْر بن نُعيم الحضرمىّ ، فوُلّىَ خير سنة إحدى وعشرين ومائة ، فلم يزل حتى صرف سنة ثمان وعشرين ومائة .

ووَلِىَ عبد الرحمن بن سالم بن أبى سالم الجَيْشانى ، فلم يزل إلى ولاية بنى العباس سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، فصُرف عن القضاء واستعمل على الخراج،ورُدّ خير بن نعيم؛ فلم يزل حتى عزل نفسه فى سنة خمس وثلاثين ؛ وذلك أن رجلا من الجند قذف رجلاً ، فخاصمه إليه وثبّت عليه بشاهد (١) واحد ، فأمر بحبس الجندىّ إلى أن يثبّت الرجلُ شاهدا آخر ، فأرسل أبو عون عبد الملك بن يزيد ، فأخرج الجندىّ من الحبس ، فاعتزل خير وجلس فى بيته ، وترك الحكم ، فأرسل إليه أبو عون ، فقال : لا ، حتى يُرَدّ الجندىّ إلى مكانه ! فلم يردّ ، وتمّ على عزمه ، فقالوا له : فأشِرْ علينا برجل نولّيه ، فقال : كاتبى غَوْث بن سليمان .

فولىَ غوث بن سليمان الحضرمىّ ، فلم يزل حتى خرج مع صالح بن علىّ إلى الصّائفة .

ثم وَلِىَ أبو خُزيمة إبراهيم بن يزيد الحِميْرىّ (٢) وذلك أنّ أبا عون ــ ويقال صالح ابن علىّ شاور فى رجل يولّيه القضاء ، فأشير عليه بثلاثة نفر: حَيْوة بن شريح ، وأبو خزيمة ، وعبد الله بن عياش القِتْبانىّ (٣) ، وكان أبو خزيمة يومئذ بالإسكندرية ، فأشخِص، ثم أتى بهم إليه ، فكان أوّل مَنْ نوظر حيوة بن شريح ، فامتنع ، فدعى له بالسّيف والنِّطَع ، فلما رأى ذلك حيوة أخرج مفتاحا كان معه ، فقال : هذا مفتاح بيتى، ولقد اشتقت إلى لقاء ربى . فلما رأوا عزمه تركوه ، فقال لهم حيوة : لاتظهروا ما كان من آبائى لأصحابى فيفعلوا مثل مافعلت ، فنجا حيوة. ثم دُعِىَ بأبى خزيمة فعرض عليه القضاء

(١) ابن عبد الحكم : « وثبت عليه شاهداً واحداً » . (٢) ابن عبد الحكم : «الثانى» ، وقال : « بطن من حمير » . (٣) ح ، ط : « النسائى » ، وصوابه من الأصل وابن عبد الحكم .

فامتنع ، فدُعِي له بالسيف والنِّطَع فضعف قلبه [١] ، ولم يحتمل ذلك ، فأجاب إلى القبول فاستُقضى [٢] . وكان أبو خزيمة يعمل الأرسان ويبيعها قبل أن يَلِيَ القضاء ، فمرّ به رجل من أهل الإسكندرية ، وهو فى مجلس الحكم ، فقال : لأختبرنّ أبا خزيمة ، فوقف عليه فقال له : ياأبا خزيمة ، احتجتُ إلى رَسَنٍ لفرسى ، فقام أبو خُزيمة إلى منزله ، فأخرج رَسَناً فباعه منه ، ثم جلس . وكان أبو خَرَشة المرادىّ صديقا لأبى خُزيمة ، فمرّ به يوما ، فسلّم عليه ، فلم يرّ منه ما كان يعرف ، وكان [أبو خرشة] [٣] قد خوصم إليه فى جِدار ، فاشتدّ ذلك على أبى خَرَشة ، [٤]فشكاه إلى بعض قرابته ، فسأل أبا خزيمة ، فقال[٤] : ما كان ذلك إلا أن خَصْمك خفتُ أن يرى سَلامى عليك ، فيكسِرَه ذلك عن بعض حُجّته ، فقال أبو خرشة : فإنّى أشهدك أن الجدار له . ثم استعفى أبو خزيمة فأعفِيَ .

ووَلِيَ مكانه عبد الله بن بلال الحضرمىّ ، ويقال إنما هو غوْث الذى كان استخلفه حين شخص غوْث إلى أمير المؤمنين أبى جعفر وذلك فى سنة أربع وأربعين [٥] . ثم قدم غوث ، فأقرّه خليفة له يحكم بين النّاس حتى مات عبد الله بن بلال . قال يحيى بن بكير : لم يزل أبو خزيمة على القضاء ، حتى قدم غَوْث من الصائفة فعزل أبو خزيمة ، ورُدّ غوثٌ [على القضاء][٦] . ثم إن غوثا شخص إلى العراق ، فأعيد أبو خزيمة إلى القضاء ، فلم يزل حتى توفِّىَ سنة أربع وخمسين . وكان ابن حُديج إذ ذاك بالعراق ، قال : فدخلت على

---

(١) ابن عبد الحكم : « قلب الشيخ » . (٢) بعدها فى ابن عبد الحكم : « وأجرى عليه فى كلّ شهر عشرة دنانير ، وكان لا يأخذ ليوم الجمعة رزقاً ، ويقول : « إنما أنا أجيرُ المسلمين ، فإذا لم أعمل لهم لم آخذ متاعهم . فكان يقال لحيوة بن شريح : ولى أبو خزيمة القضاء ، فيقول حيوة : أبو خزيمة خير منى ، اختبر ففتح » . (٣) من ابن عبد الحكم .

(٤–٤) ابن عبد الحكم : « فشكا ذلك إلى بعض قرابته ، فقال له : إن اليوم يوم الخميس – أو قال الاثنين – وهو صائم ، فإذا صلى المغرب ودخل ، فاستأذِن عليه . ففعل أبو خرشة ، قال : فدخلت عليه وبين يديه ثريد عدس ، فسلمت عليه ، فردّ علىّ كما كان يعرف ، وقال : ما جاء بك ؟ فأخبره أبو خرشة فقال . . . » (٥) بعدها فى ابن عبد الحكم : « وكان يجلس للناس فى المجلس الأبيض » .

(٦) من ابن عبد الحكم .

أمير المؤمنين أبى جعفر ، فقال لى : يابن خُدَيج ، لقد تُوفِّىَ ببلدك رجل أصيبت به العامّة! قلت : ياأمير المؤمنين ، ذاك إذًا أبو خزيمة ، قال : نعم [(١)] .

ثم ولِىَ مكانه ابن لَهِيعة ، وأجرى عليه فى كل شهر ثلاثين دينارا ؛ وهو أوّل قاضٍ بمصر أجرى عليه ذلك ، وأول قاضٍ استقضاه بها خليفة ، وإنما كان ولاة البلد هم الّذين يولّون القضاة ، فلم يزل قاضيًا حتى صرِف سنة أربع وستين .

وولِىَ إسمعيل بن اليسع [(٢)] الكوفىّ ،وعزل سنة سبع وستين. وكان محمودا عند أهل البلد ،إلّا أنه كان يذهب إلى قول أبى حنيفة ، ولم يكن أهل البلد يومئذ يعرفونه . قال ابن عبد الحكم : حدثنا أبى [عبد الله] قال : كتب فيه الليث بن سعد إلى أمير المؤمنين: ياأمير المؤمنين : إنك ولّيتنا رجلا يكيد سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، مع أنّا ماعلمنا فى الدينار والدرهم إلا خيرا ، فكتب بعزله .

ورُدّ غوث بن سليمان على القضاء ، فأقام حتى توفِّىَ فى جمادى الآخرة سنة ثمان وستين . حدثنا أبو رجاء حمّاد بن مسور ، قال : قدمت امرأة من الرّيف ، فرأتْ غوثا رائحًا إلى المسجد ، فشكت إليه أمرها ، فنزل عن دابّته ، وكتب لها بحاجتها ، ثم ركب إلى المسجد فانصرفت المرأة وهى تقول : أصابت والله أمّك حتى سمّتك غوثا ، أنت غوث عند اسمك [(٣)] .

وقيل : إنه أول قاضٍ ركب للهلال مع الشهود . وقيل : بل ابن لَهيعة .

فلما مات غوث وَلِىَ المفضّل بن فضالة بن عُبيد القِتْبانىّ ، ثم عزِل سنة تسع وستين ،

---

(١) بعدها فى ابن عبد الحكم : « فمن ترى أن نولىّ القضاء بعده ؟ قلت : أبو معدان اليحصبى ، قال : ذاك رجل أصم ، ولايصلح للقاضى أن يكون أصم، قال: قلت : فابن لهيعة يا أمير المؤمنين ، قال : ابن لهيعة على ضعف فيه ، فأمر بتوليه. . .» . (٢) فى الأصول : «سميع» ، وصوابه من ابن عبد الحكم .

(٣) ابن عبد الحكم ٢٤٤ ، والخبر هناك : « قدمت امرأة من الريف ، وغوث قاض فى محقة ، فوافت غوث بن سليمان عند السراجين رائحاً إلى المسجد ، فشكت إليه أمرها ، وأخبرته بحاجتها ، فنزل عن دابته فى حوانيت السراجين ، ولم يبلغ المسجد ، وكتب لها بحاجتها ، وركب إلى المسجد ، فانصرفت المرأة وهى تقول : أصابت أمك . . . . » .

وهو أول القضاة بمصر طوّل الكتب ، وكان أحد فضلاء الناس وخيارهم .

ثم وَلِيَ أبو طاهر الأعرج عبدالملك بن محمد بن أبى بكر بن حَزْم الأنصارىّ ، وكان محمودا فى ولايته [١] ، ثم استعفى فأعفِى فى سنة أربع وسبعين . قالوا : فأشِرْ علينا برجل ، فأشار بالمفضّل بن فضالة ، فولّى المفضّل،فأقام إلى صفر سنة سبع وسبعين وعزِل .

ووليَ محمد بن مسروق الكندىّ من أهل الكوفة ، ولم يكن بالمحمود فى ولايته ، وكان فيه عتوّ وتجبّر ، فلم يزل إلى سنة أربع وثمانين ، فخرج إلى العراق .

واستخلف إسحاق بن الفرات التُّجِيبىّ ، فعزل فى صفر سنة خمس وثمانين [٢] .

ووَلِيَ عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب ؛ وهو أول مَنْ دَوّن أسماء الشّهود ، فأقام إلى أن عُزل فى جمادى الأولى سنة أربع وتسعين [٣] .

ووَلِيَ هاشم بن أبى بكر البكرىّ من ولد أبى بكر الصديق ، وكان يذهب مذهب أبى حنيفة ، فأقام حتى توفِّىَ فى أول يوم من المحرّم سنة ست وتسعين .

ثم وَلِيَ إبراهيم بن البكّاء ؛ ولّاه جابر بن الأشعث ، وجابر يومئذ والِي البلد ، فأقام إلى أن صرِف جابر سنة ست وتسعين ، ووُلِّيَ مكانه عبّاد بن محمد ، فعزل ابنَ البكّاء .

ووليَ لَهيعة بن عيسى الحضرمىّ ، فأقام حتى قدم المطلب بن عبد الله بن مالك سنة ثمان وتسعين فعزل لَهيعة .

---

(١) وذكر ابن عبد الحكم قال : « كتب إليه صاحب البريد : إنك تبطىء بالجلوس للناس ، فكتب إليه أبو الطاهر: إن كان أميرالمؤمنين أمرك بشىء وإلا فإن فى أكفك وبراذعك ودبر دوابك مايشغلك عن أمر العامة » .

(٢) ابن عبد الحكم : « فلم يزل على القضاء إلى صفر سنة خمس وثمانين ومائة فعزل » .

(٣) فى ابن عبد الحكم : « وقد كان قوم تظلموا منه ، ورفعوا فيه إلى أمير المؤمنين هارون ، فقال : انظروا فى الديوان : كم لى من وال من آل عمر بن الخطاب ؟ فنظروا فلم يجدوا غيره ، فقال : والله لا أعزله أبداً » .

ووَلِىَ الفضل بن غانم ، وكان قدم مع المطّلب من العراق فأقام نحو سنة ، ثم غضب عليه المطّلب فعزله .

وولِىَ لهيعةَ بن عيسى ، فأقام حتى تُوُفِّىَ فى ذى القعدة سنة أربع ومائتين .

فولِىَ السرىَّ بن الحكم بعد مشاورة أهل البلد إبراهيمَ بن إسحاق القارىَّ حليف بنى زهرة ، وجَمَع له القضاء والقَصص ؛ وكان رجلَ صدق ، ثم استعفى لشىء أنكره فأعفِىَ .

ووَلِىَ مكانه إبراهيم بن الجرّاح ؛ وكان يذهب إلى قول أبى حنيفة ، ولم يكن بالمذموم فى ولايته ، حتى قدم عليه ابنُه من العراق ، فتغيّرت حالته ، وفسدت أحكامه ؛ فلم يزل [قاضيا] [1] إلى سنة اثنتى عشرة ومائتين ، فدخل عليه عبدُ الله ابن طاهر البلد فعزلَه .

ووَلِىَ عيسى بن المُنكَدِر بن محمد بن المنكَدِر ، وخرج إبراهيم بن الجرّاح إلى العراق ومات هناك . وأجرى [2] عبد الله بن طاهر على عيسى بن المنكدر أربعة آلاف درهم فى الشهر ؛ وهو أول قاضٍ أجرِىَ عليه ذلك ، وأجازه بألف دينار ، فلما قدم المعتصم مصر فى سنة أربع عشرة ومائتين كلّمه فيه ابن أبى دواد ، فأمره فوقف عن الحكْم ، ثم أشخص بعد ذلك إلى العراق ، فمات هناك .

وبقيت مصر بلا قاضٍ حتّى قدم المأمون الخليفة مصر فى محرم سنة سبع عشرة وولّى القضاء يحيى بن أكثم فحكم بها ثلاثة أيام ، وخرج المأمون إلى سخا ، وأصلح أحوالها وتوجّه إلى الإسكندرية وعاد إلى مصر ، وخرج عنها فى الخامس من صفر [3] .

---

(١) من ابن عبد الحكم. (٢) ح ، ط : « فأحرز » وما أثبته من الأصل وابن عبد الحكم.

(٣) ابن عبد الحكم : « وبقيت مصر بلا قاض حتى ولى المأمون هارون بن عبدالله الزهرى القضاء فقدم البلد لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة سبع عشرة ومائتين ، وكان محموداً عفيفا محببا فى أهل البلد فلم يزل قاضيا إلى شهر ربيع الأولى من سنة ست وعشرين ومائتين ، فكتب إليه أن يمسك عن الحكم ، وقد كان ثقل مكانه على ابن أبى دواد » .

وجعل القضاء بمصر إلى هارون بن عبد الله الزهرى المالكىّ ، قلّده ذلك وهو بالشّام، فقدم فى رمضان سنة تسع عشرة ومائتين ، وكان محموداً عفيفاً محبّباً فى أهل البلد ، فأقام إلى ربيع الأول سنة ست وعشرين ، فكتب إليه أن يُمسك عن الحكم ، وقد كان ثقل مكانه على ابن أبى دواد .

وقدم أبو الوزير والياً على خراج مصر ، وقدم معه بكتاب ولاية محمد بن أبى الليث الأصمّ [على القضاء][1] ، فلم يزل قاضياً إلى شعبان سنة خمس وثلاثين ومائتين ، فعزِل وحبِس.

وبقيت مصر بلا قاضٍ حتى وَلِىَ الحارث بن مسكين فى جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين[2] ، ثم صُرِف فى ربيع الآخر سنة خمس وأربعين .

ووَلِىَ دُحَيم بن اليتيم عبد الرحمن بن إبراهيم بن اليتيم الدِّمَشْقى جاءته ولايته بالرَّمْلة ، فتُوُفِّىَ قبل أن يصل إلى مصر فى العام[3] المذكور .

ووَلِى بعده بكّار بن قتيبة [أبو بكْرة الثقفىّ][4] من أهل البصرة من ولد أبى بكْرة صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، ودخل البلد فى جمادي الآخرة فأقام قاضياً ، [4 وأحمد بن طولون يصِلُه فى كلّ سنة بألف دينار . ثم إنّ ابن طولون بلغه أن الموفّق خرج عن طاعة أخيه المعتمد ، وكان المعتمد ولىّ عهد أخيه ، فأراد ابن طولون خَلْع الموفّق من ولاية العهد ، فوافقه فقهاء مصر ، وخالف القاضى بكّار فحبسه أحمدُ بن طولون ، وذلك فى سنة سبع وخمسين ومائتين ، ورتّب فى الحكم عوضا عنه وهو كالخليفة عنه محمد بن شاذان الجوهرى ، ومات بكّار فى ذى الحجة سنة خمس وسبعين ومائتين 4] .

---

(١) من ابن عبد الحكم . (٢) ابن عبد الحكم : « جاءته ولاية القضاء وهو بالإسكندرية » .
(٣) ابن عبد الحكم : « وكانت وفاته سنة خمس وأربعين ومائتين » .
(٤ ـ ٤) ساقط من المطبوعة التى رجعت إليها من كتاب فتوح مصر .

وأقامت مصر بعد بكار بلا قاض، حتى وَلّى خُمارَوية بن أحمد بن طولون أبا عبد الله محمد بن عبدة بن حرب القضاء سنة سبع وسبعين ومائتين ، فأقام إلى سنة ثلاث وثمانين ، فألزم منزله فى جمادى الآخرة .

وبقيت مصر بلا قاض حتى وَلِيَ أبو زُرْعة محمد بن عثمان الدمشقىّ[١]، فأقام ثمانى سنين، وعُزل فى صفر سنة اثنتين وتسعين .

وأعيد ابن عبدة ، ثم صرف فى رجب من السنة.

وولى أبو مالك بن أبى الحسن الصغير .

ثم وَلِيَ بعده أبو عبيد علىّ بن الحسين بن حرب المعروف بابن حربوية ، فى شعبان سنة ثلاث وتسعين ، ثم عزل فى سنة إحدى وثلاثمائة .

قال ابن يونس فى تاريخ مصر : كان أبو عبيد بن حربوية شيئاً عجبا ، ما رأينا قبله ولا بعده مثله . وكان آخر قاض يركب إليه أمراء مصر ، وكان لا يقوم للأمير إذا أتاه ، ثم أرسل موقّعه الإمام أبا بكر بن الحدّاد إلى بغداد سنة إحدى وثلاثمائة فى طلب إعفائه عن القضاء فأعفى[١] . انتهى . هذا ما ذكره ابن عبد الحكم[٢] .

وولى مكانه أبو الذِّكْر محمد بن يحيى[٣] الأسوانىّ خلافة لأبى يحيى عبد الله بن إبراهيم بن مكرّم، إلى أن صرف فى صفر سنة اثنتين وثلاثمائة .

ووَلِيَ أبو علىّ عبد الرحمن بن إسحاق بن محمد بن معتمر السَّدُوسىّ ، وصرف فى ربيع الآخر سنة أربع عشرة[٤] .

ووليَ أبو عثمان أحمد بن إبراهيم بن حماد ، وصرف فى ذى الحجة سنة ست عشرة .

(١–١) ساقط من النسخة المطبوعة لابن أبى الحكم.
(٢) أخبار القضاة فى ابن عبد الحكم من ص ٢٢٦ – ٢٤٧ .
(٣) انظر الولاة والقضاة للكندى ٤٨١ .
(٤) فى الولاة والقضاة ، أن الذى تولى بعد أبى الذكر هو إبراهيم بن محمد الكريزى ، ثم هارون بن إبراهيم بن حماد ، ثم أحمد بن إبراهيم بن حماد .

ووَلِيَ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن سليمان الرَّبعىّ الدّمشقى ، وصُرِف فى جمادى الآخرة سنة سبع عشرة .

وأعيد أبو عثمان بن حمّاد ، وصُرِف فى ربيع الآخر سنة عشرين .

وأُعيد الرَّبعىّ ، وصُرِف فى صفر سنة إحدى وعشرين .

ووَلِى أبو هاشم إسماعيل بن عبد الواحد الرَّبعىّ المقدسىّ الشافعىّ ، وصرِف فى ربيع الآخر من السنة[1] .

ووَلِيَ أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قُتيبة الدّينورّى ، وصرِف فى رمضان سنة اثنتين وعشرين[2] .

ووَلِى أبو عبد الله محمد بن موسى بن إسحاق السرخسىّ[3] .

ثمّ وَلِيَ أبو بكر بن الحداد الإمام المشهور صاحب المولدات، بأمر أمير مصر فى ربيع الأول سنة أربع وعشرين ، فباشرَ مدّة لطيفةً[4] .

ثم ولِيَ محمد بن بدر مولى أبى خَيْثَمة خلافة لمحمد بن الحسن بن أبى الشوارب إلى أن مات سنة خمس وثلاثين .

ووَلِيَ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن شُعيب بن الفضل بن مالك بن دينار ، يعرف بابن أخت وليد ، وصرِف سنة ثلاث وثلاثين .

---

(١) فى الولاة والقضاة أن الذى تولى بعد أحمد بن إبراهيم بن حماد ، عبد الله بن أحمد بن زبر، ثم أعيد أحمد بن إبراهيم بن حماد، ثم أعيد عبد الله بن أحمد بن زبر، ثم تولى إسماعيل بن عبد الواحدى المقدسى ، ثم أحمد بن عبد الله قتيبة .

(٢) فى الولاة والقضاة أن الذى تولى بعد ابن قتيبة هو أحمد بن إبراهيم ابن حماد ، الثالثة .

(٣) فى الولاة والقضاة أن الذى تولى بعد السرخسى، هو محمد بن بدر الصيرفى ، ثم عبد الله بن أحمد بن زبر الثالثة ، ثم محمد بن أحمد بن الحداد .

(٤) فى الولاة والقضاة أن الذى تولى بعده الحسين بن زرعة ، ثم محمد بن بدر الصيرفى الثالثة ، ثم عبد الله ابن زبر الرابعة ، ثم عبدالله بن أحمد بن شعيب ، ثم محمد بدر الصيرفى الثالثة ثم أبو الذكر محمد بن يحيى الثانية ، ثم الحسن بن عبد الرحمن الجوهرى ، ثم أحمد بن عبد الله الكشى ، ثم عبدالله بن شعيب الثانية ، ثم الحسن بن عبد الرحمن الجوهرى الثالثة ، ثم محمد بن أحمد بن الحداد الثانية ، ثم عبد الله بن أحمد بن شعيب الثالثة ، ثم عمر بن الحسن الهاشمى ، ثم عبدالله بن محمد بن الخصيب ، ثم محمد بن عبدالله بن محمد بن الخصيب ، ثم أبو طاهر الذهلى » .

وأعيدابن الحداد ووَلِىَ بعده عبد العزيز بن الحسن بن العزيز العباسىّ الهاشمىّ خليفة لأخيه ، ثمّ صرف فى ذى الحجة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة .

ووَلِىَ أبو بكر عبد الله بن محمد الخصيبىّ الشافعىّ سنة خمس وأربعين ؛ فأقام إلى أن مات فى المحرّم سنة ثمان وأربعين .

ووَلِىَ بعده ابنه محمد ، فأقام شهرا واحدا ، ثم اعتلّ ومات فى سادس ربيع الأول من عامه .

فولّى كافور بعده أبا الطّاهر محمد بن أحمد بن عبد الله البغدادىّ الذّهلىّ المالكىّ فأقام ست عشرة سنة — وقيل ثمانى عشرة سنة — إلى أن قامت الدولة العُبيدية بالقاهرة ، وقدم المعزّ ومعه قاضيه أبو حنيفة النّعمان بن محمد بن منصور القيروانىّ ، فاجتمع أبو الطاهر بالمعزّ ، فأعجب به ، وأقرّه على ولايته . وأقام النعمان بمصر لا ينظر فى شىء ، ثم إن أبا الطاهر استعفى قبل موته بيسير فأعفى ؛ وذلك فى صفر سنة ست وستين .

ووَلِىَ بعده أبو الحسنّ علىّ بن النعمان ، وكان شيعيًّا غاليًا ، وشاعرا مجيدا ، فأقام إلى أن مات فى رجب سنة أربع وسبعين ؛ وهو أول مَنْ نُعِت بقاضى القضاة فى مصر ؛ ولم يكن يدعَى بذلك إلا ببغداد .

ووَلِىَ بعده أخوه أبو عبد الله محمد، وكان شيعيًّا أيضا . قال ابن زولاق : ولم نشاهد بمصر لقاضٍ من الرّياسة ما شاهدناه له ، ولا بلَغنا ذلك عن قاضٍ بالعراق ، ووافق ذلك استحقاقًا ؛ لما فيه من العلم والصيانة والهيئة وإقامة الحق ، وقد ارتفعت رتبته لأنّ العزيز أجلسه معه يوم العيد على المنبر ، وزادت عظمته فى دولة الحاكم، إلى أن مات فى صفر سنة تسع وثمانين .

ووَلِىَ القضاء بعده ابنُ أخيه الحسين بن علىّ بن النّعمان ، ثمّ صرف سنة أربع وتسعين .

ووَلِىَ أبو القاسم عبد العزيز بن محمّد بن النعمان ، ثم صرِف فى رجب سنة ثمان وتسعين .

ووَلِىَ بعده مالك بن سعد الفارقىّ ، ثم صرِف فى ربيع الآخر سنة خمس وأربعين .

ووَلِىَ أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى العوّام ، إلى أن مات فى ربيع الأول سنة ثمانى عشرة وأربعمائة(١) .

ووَلِىَ أبو محمد قاسم بن عبد العزيز بن النعمان ، ثم صرِف فى رجب سنة تسع عشرة وأربعمائة .

ووَلِىَ أبو الفتح عبد الحاكم بن سعيد الفارقىّ ، ثمّ صرِف فى ذى القعدة سنة تسع وعشرين(٢) .

وأعيد أبو محمد القاسم بن عبد العزيز بن النّعمان ، ولقّب بقاضى القضاة وداعِى الدّعاة ، وثقة الدولة ، وأمير الأمراء ، وشرف الحكام ؛ واستُخلِف عنه القاضى يحيى الشهاب فأقام ثلاث عشرة سنة ، ثم عزل فى المحرّم سنة إحدى وأربعين .

وأعيد قاسم ثم صرِف من عامه، ووَلِىَ مكانه أبو محمّد الحسن بن علىّ بن عبدالرحمن البازورىّ ، ثم أضيف إليه الوزارة أيضا ، وهو أوّل مَنْ جمع بينهما ، ثم صرف عنهما فى المحرّم سنة خمس وأربعين .

ووَلِىَ القضاء أبو علىّ أحمد بن قاضى القضاة عبد الحاكم بن سعيد الفارقىّ ثم صرف فى ذى القعدة من السنة .

ووَلِىَ أبو القاسم عبد الحاكم بن وهب بن عبد الرحمن المليجىّ ، ثم صُرِف فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين .

---

(١) فى الولاة والقضاة : « فكان بين ولايته وموته اثنتا عشرة سنة وستة أشهر وخمسة وعشرون يوماً » .

(٢) انظر الولاة والقضاة ص ٤٩٧ وص ٦٠٤ .

ووَلِىَ أبو عبد الله أحمد بن محمد أبو زكريا بن عمر بن أبى العوّام، إلى أن مات فى ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين .

وأعيد أبو علىّ أحمد بن عبد الحاكم بن سعيد، ثم صُرِف فى رجب .

وأعيد أبو القاسم عبد الحاكم بن وهب ثم صُرِف فى رمضان .

ووَلِىَ أبو محمد عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد ، ثم صرف فى صفر سنة أربع وأربعين .

وأعيد أبو القاسم عبد الحاكم بن وهب بن عبد الرحمن ، ثم صرف فى المحرّم سنة أربع وأربعين .

وأعيد أبو علىّ أحمد بن عبد الحاكم مضافاً للوزارة ، ثمّ صرف فى صفر .

وأعيد أبو القاسم عبد الحاكم بن وَهْب ، ثمّ صرف فى شعبان .

ووَلِىَ أبو محمد الحسن بن مجلى بن أسد بن أبى كدينة مضافاً للوزارة ، ثم صُرِف فى ذى الحجة .

ووَلِىَ جلال الملك أحمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد مضافاً للوزارة ، ثم صرف فى المحرّم سنة ست وأربعين .

وأعيد الحسن بن مجلّى بن أبى كدينة ، ثمّ صرف فى ربيع الآخر .

وأعيد أبو القاسم عبد الحاكم بن وهب ، ثم صرف فى رمضان .

وأعيد ابن أبى كدينة ثم صرف فى ذى الحجة .

وأعيد ابن الحاكم ، ثم صرف فى نصف المحرم سنة سبع وأربعين .

وأعيد ابن أبى كدينة ، ثم صرف فى السادس والعشرين منه .

وأعيد جلال الملك أحمد بن عبد الكريم ، ثم صُرِف فى جمادى .

وأعيد ابن أبى كدينة، ثم صرف فى نصف رجب .

وأعيد عبد الحاكم بن وهب ، ثم صرف .

وأعيد ابن أبى كدينة ، ثم صرف فى صفر سنة ثمان وأربعين .

وأعيد جلال الملك ، ثم صرف .

وأعيد ابن أبى كدينة ، ثم صرف فى المحرّم سنة تسع وأربعين .

وولِىَ عبد الحاكم المليجى ، ثم صرف فى سابع جمادى الآخرة .

وأعيد ابن أبى كدينة ، ثم صرف فى ذى القعدة .

وأعيد جلال الملك ، ثم صرف فى صفر سنة خمس وستين .

وأعيد المليجى ثم صرف فى ربيع الأول .

وأعيد ابن أبى كدينة ، ثم صرف فى جمادى الأولى .

وأعيد جلال الملك ، ثم صرف فى رمضان .

وأعيد المليجى ، ثم صرف فى ذى الحجّة .

وأعيد ابن أبى كُدينة، ثم صرف فى صفر سنة إحدى وستين .

وأعيد المليجى ، ثم صرف بعد يوم .

ووَلى خطير الملك بن قاضى القضاة الوزير البازورىّ ، ثم صرف فى شوال .

وأعيد ابن أبى كدينة ، ثم صرف فى ذى القعدة .

وأعيد المليجىّ ، ثم صرف .

وأعيد ابن أبى كُدينة فى ربيع الأوّل سنة أربع وستين ، ثم صرف سنة ست وستين .

ووَلِىَ أبو يعلَى حمزة بن الحسين بن أحمد العراقىّ إلى أن مات سنة اثنتين وسبعين .

ووَلِىَ أبو الفضل طاهر بن على القضاعىّ .

ثم ولِىَ بعده جلال الدولة أبو القاسم علىّ بن أحمد بن عمّار ، ثمّ صُرف .

ووَلِىَ سنة خمس وسبعين أبو الفضل هبة الله بن الحسين بن عبد الرحمن بن نُباتة .

ثم وَلِىَ أبو الفضل بن عتيق .

ثم ولِىَ أبو الحسن علىّ بن يوسف بن الكمال ، ثم صرف .

وولِىَ سنة سبع وثمانين فخر الحكام أبو الفضل محمد بن الحاكم المليجى .

ثم وَلِىَ الحسن بن علىّ بن أحمد المكرّمى ، ثم صرف بعد شهر .

وولِىَ أبو الطاهر محمد بن رجاء إلى أن مات سنة ثلاث وتسعين .

وولِىَ أبو الفرج محمد بن جوهر بن ذكاء النابلسىّ ، ثم صرف فى ربيع الأوّل سنة أربع وتسعين ، لكونه أحدث فى مجلس الحكم .

وولِىَ حسين بن يوسف بن أحمد الرّصافىّ ، ثم صرف .

ووَلِىَ أبو النجم بدر بن بدر الحرّانىّ .

ثم ولِىَ أبو الفضل نعمة بن بشير النابلسىّ المعروف بالجليس ، ثم استعفى فأعفِىَ سنة أربع وأربعين .

وولِىَ الرّشيد أبو عبد الله محمد بن قاسم بن زيد الصِّقِلّىّ إلى أن مات ، فأعيد الجليس إلى أن مات .

وولِىَ ثقة الملك أبو الفتح مسلم ابن علىّ الرسعنىّ سنة ثلاث وأربعين . قال ابن ميسّر فى تاريخ مصر: لما ولىَ الحكم رفع إلى الأفضل: إنى قد اعتبرت ما فى مودَع الحكم من مال المواريث ـ وكان يقارب مائة ألف دينار ـ ورفعُها إلى بيت المال أولى من تركها فى المودع ، وإنّ لها سنين طويلة لم يطلب شىء منها . فوقّع على رقعته : إنّما قلّدناك الحكم ولا رأى لنا فيما لا نستحقّه ، فاتركه على حاله لمستحقّه ، ولا تراجع فيه . ثم اتفق أنه صلّى

إماما فى مجلس صلاة الصبح ، وخلفه الوزير المأمون ، فقرأ سورة الشمس وضحاها ، فأرتج عليه، وقرأ « ناقة الله وسقناها » بالنون ، فعزل عن القضاء سنة ست وأربعين .

وولِىَ أبو الحجاج بن أيوب المغربىّ إلى أن مات سنة إحدى وعشرين .

وولِىَ أبو عبد الله محمد بن هبة الله بن الميسّر القيروانىّ ، ولقّب القاضى الأمير سناء الملك شرف الأحكام قاضى القضاة عمدة أمير المؤمنين ، قال فى تاريخ مصر : وهو الذى أخرج الفستق الملبّس بالحلوى ، ثم صُرِف فى ربيع الأوّل سنة ست وعشرين .

ووَلِى أبو الفخر صالح بن عبد الله بن رجاء ، ثم صرف فى جمادى الآخرة .

ووَلِىَ سراج الدّين نجم بن جعفر إلى أن قتل فى شوال سنة ثمان وعشرين .

وأعيد ابنُ الميسّر ، ثم صرف فى المحرّم سنة إحدى وثلاثين .

وَوَلِىَ الأعزّ أبو المكارم أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبى عقيل إلى أن مات فى شعبان سنة ثلاث وثلاثين وأقام الحكم [بعده شاغرا] [١] ثلاثة أشهر .

ثم اختير أبو العباس أحمد بن الحطئة ، فاشترط ألاّ يحكم بمذهب الدولة ، فلم يمكَّن من ذلك .

ووَلِىَ فخر الأمناء هبة الله بن حسين الأنصارىّ ؛ يعرف بابن الأزرق فى ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين ، ثم صرف فى جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين .

ووَلِىَ أبو الطاهر إسماعيل بن سلامة الأنصارىّ [٢] ، ثم صرف فى المحرم سنة ثلاث وأربعين .

ووَلِىَ أبو الفضل يونس بن محمد بن حسن المقدسىّ ، ثم صرف سنة سبع وأربعين .

ووَلِىَ عبد المحسن بن محمد بن مكرّم ، ثم صرف .

---

(١) من رفع الإصر .

(٢) بعدها فى رفع الإصر : « الجلجلوتى » .

ثمَ ولىَ أبو المنجم بدر بن غالى (١) .

ثم ولىَ أبو المعالى مجلّى بن جميع الشافعىّ صاحب الذخائر ، فأقام إلى سنة تسع وأربعين ، ثم صرف.

وأعيد أبو الفضائل يونس ثمّ صرف .

وَوَلِىَ المفضّل أبو القاسم جلال الدين هبة الله بن عبد الله بن كامل بن عبد الكريم الصورىّ ، فى شعبان سنة سبع وأربعين ثم صرف فى المحرّم سنة ثمان وأربعين .

وأعيد أبو الفضائل يونس ، ثم صرف فى ذى الحجة من السّنة .

وأعيد ابن كامل ، ثم صُرف فى ربيع الأوّل سنة تسع وأربعين .

ووَلِىَ الأعزّ أبو محمد الحسن بن على بن سلامة المصرىّ ثم صرف (٢) .

ووَلىَ أبو الفتح عبد الجبار بن إسماعيل بن عبد القوىّ ، ثم صرف (٣) .

وأعيد ابنُ كامل فى ذى الحجة سنة أربع وستين ، فلمّا استولى الملك الناصر صلاح الدين بن أيّوب على القاهرة وزيراً عن العاضد ، أزال دولة الرّفْض والشّيعة ، وصُرف ابن كامل .

وَوَلىَ صدر الدين عبد الملك بن درياس الكردىّ الشافعى قضاء القضاة بالقاهرة ، وذلك فى سنة ست وستين وأربعمائة ، فأقام إلى أن صُرف بعد وفاة صلاح الدين فى ربيع الأول فى سنة تسعين فى أيام العزيز .

ووَلِىَ فى سنة خمس وتسعين وأربعمائة محيي الدين محمد أبو حامد بن الشيخ شرف الدين عبد الله بن هبة الله بن أبى عصرون ؛ ثم صُرف فى سنة إحدى وتسعين .

وَوَلىَ زين الدين علىّ بن يوسف بن عبد الله بن بُندار الدمشقى ، ثم عُزل فى جمادى الأولى من السنة .

---

(١) فى رفع الإصر ١ : ١٣٧ : « بدر بن بدر بن عالى » ، وفى صفحة ١٣٨ : « بدر بن عبد الله ابن عالى » . (٢) رفع الإصر ١ : ١٨٩ : « الحسن بن على بن سلامة أبو محمد المعروف بابن العدريس » .
(٣) رفع الإصر : « عبد الجبار بن إسماعيل بن جعفر بن عبد القوى بن الجليس » .

وأعيد ابنُ أبى عصرون ، ثم عزل فى محرّم سنة اثنتين وتسعين .

وأعيد ابن بُندار ، ثم صرف فى محرّم سنة أربع وتسعين.

وأعيد صدرُ الدين ، ثم صرف فى جمادى الأولى سنة خمس وتسعين .

وأعيد زين الدين بن بُندار ؛ وذلك لمّا انتزع الملك الأفضلُ علىّ بن السلطان صلاح الدين بن أيوب مملكةَ مصر من ابن أخيه المنصور محمد العزيز عثمان ؛ وكتب له الصّاحب ضياء الدين نصر الله بن الأثير الجزرى تقليدا ، هذه صورته :

﴿رب أوزعنى أن أشكر نعمتَك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ ، وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخِلْنِى برحمتكَ فى عبادك الصالحين﴾ .(١) من السّنة أن تفتتحَ صدور التقليدات بدعاء يعمّ بفضله ، ويكون وزانًا للنعمة الشاملة من قِبَلِه ، وخير الأدعية ماأجراه الله على لسان نبىٍّ من أنبيائه أو رسول من رسلِه ، وكذلك جعلنا من هذا التقليد الذى أمضى الله قلَمنا فى كتابه ، وصرَف أمرنا فى اختيار أربابه ، ثم صلّينا على رسوله محمد الصادع بخطابه ، الساطع بشهابه ، الذى جُعلت الملائكة من أحزابه ، وضرب له المثَل بقاب قوسين فى اقترابه ؛ وعلى آله وصحبه الّذين منهم مَنْ خَلَفه فى محرابه ، ومنهم من كملتْ به عدّة الأربعين من أصحابه ، ومنهم مَنْ جعل أثواب الحياء من أثوابِه ، ومنهم من بُشِّر أنّه من أحباب الله وأحبّائِه ، أما بعد :

فإنّ منصب القضاء فى المناصب بمنزلة المصباح الّذى به يُستضاء ، أو بمنزلة العين التى عليها تعتمد الأعضاء ؛ وهو خير مارقَمت به الدول مسطورَ كتابها ، وأجزلتْ به مذخور ثوابها ، وجعلته بعد الأعقاب كلمة باقيةً فى أعقابِها . وقد جعله الله ثانى النبوّة حكما ، ووارثها علما ؛ والقائم بتنفيذ شرعها مادام الإسلام يسمّى، لايُستصلح له إلاّ الواحد الذى يعدّ محفلا فى محفله ، وإذا جاءت الدنيا بأسرها خفّت على أنمله ، وقد أجَلْنا النظر

(١) سورة النمل ١٩ .

مجتهدين ، وعوّلنا على توفيق الله معتضدين ، وقدّمنا قبل ذلك صلاة الاستخارة وهى سنّة متبوعة ، وبركة فى الأعمال موضوعة : لاجرم أنّا أرشدْنا فى أثرها إلى مَنْ صرّح الرشد فيه بآثاره، وقال الناس هذا هو الّذى جاء على فترةٍ من وجود انتظاره (١) : وهو أنت أيها القاضى فلان ، مهّد الله لجنبك ، وجعل التوفيق من صحبك ، وأنزل الحكمةَ على يدك ولسانك وقلبك ؛ وقد قلّدناك هذا المنصب بمدينة مصر وأعمالها ، وهى مصرٌ من الأمصار تجمع وجوهاً وأعيانا ، وقد رسِم بأنّه كرسىّ مملكته عزّا وتبيانًا ، وعظُمت سلطانا ، ولما قلّدناك هو علمنا أنه سيعود وهو بك غضٌّ طرىّ ، وإنّ ولايته نيطت منك بكفء فهى بك حريّة وأنت بهـا حرىّ ، ممن طلبها ومن النّاس فإنّها لم تـكن عندك مطلوبة ، ومن انتسب فى وجاهته إليها فليست وجاهتك إليها منسوبة ، وما أردت بها شيئا سوى تحمّل الأثقال ، وبيع الراحة بالتعبَ فى الأشغال؛ وتعريض النّفس لمضاضة الضيم والحيْف، والوقوف على الصّراط الّذى هو أدقّ من الشعرة وأحدّ من السيف ؛ ولـكنك فى خلال ذلك تشترى الجنّة بساعة من ساعاتك ، وإذا رعيت مقام ربّك فقد أرصدته لمراعاتك ؛ وليس فى الأعمـال الصالحة أقوم من إحياء حقٍّ وضع فى لحـده ، أوردّ حق مطلت الأيام ردّه .

فاستخر الله تعالى ، وتولّ ما ولّيناك بعزيمة لأنّك بها شامة، ولا تأخذها فى الله ملامة. وهـذا زمان قد تلاشتْ فيه العلوم ، وعفت رسوم الشريعة حتى صارت كالرّسوم ، ومشت الأمّة المُطيْطَى (٢) وخلَفها ابنا فارس والروم ؛ وإذا نظِر إلى دين الله وجد وقد خُلط أمره خلطا ، وتخطّى رقاب النّاس مَنْ هو جدير بأن يُتخطّى ، وآذنت الساعة بالاقتراب حتى كاد أن يستوىَ ما بين السبابة والوسطى ؛ والمتصدّى لحفظه يعَدّ ثقله بثقلين ، وفضله بفضلين ، ويؤتيه الله من رحمته كفلين ، وحقّ له أن يتقدّم على السلف الصالح الّذى

(١) ح : « أنظاره » .

(٢) المطيطى : مشية التبختر .

كان كثيراً رشده ، حسنا هديه وقصده ، وكان قريبا برسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإن أولئك لم يؤتوا من جهالة ، ولا حُرموا من مقالة ، ولا حدث فى زمانهم بدعة وكلّ بدعة ضلالة ، ونحن نرجو أن يكون ذلك الرّجل الذى وُزن بالنّاس فرجح وزنُه ، وسبق القرونَ الأوّل وإن تأخر قرنه . ولقد ألبسنا الله بك لباساً يبقى جديدا ، ويسّرنا للعمل الذى يكون محضرا ، لا للعمل الذى نود لو أن بيننا وبينه أمدا بعيدا . وإيّاك ثم إيّاك أن تقف معنا موقف الاعتذار ، وما نخشى عليك إلا الشيطان الناقل للطباع فى تقاليب الأطوار ، ولطالما أقام عابدًا من مصلاّه ، وغرّه بامتساك حبله ودلاّه ، ولمكانتك عندنا أضربنا عن وصيتك صفحاً ، وتوسّمنا أن صدرك قد شرحه الله فلم نزده شرحا ؛ والذى تضمّنه تقليد غيرك من الوصايا لم يسفِر إلا عن نقاب خطأ الأقلام ، وقصر أقوالها عن المماثلة من مراتب أولى التعليم وبين العلماء الأعلام ، ولا يفتقر إلى ذلك إلاّ مَنْ ثقُل منصب القضاء على كاهله ، وقضى جهله بتحريمه عليه ، وفرق بين عالِم أمرٍ وجاهله .

وأمّا أنت فإنّ علم القضاء بعضُ مناقبك ، وهو من أوانسك لا من غرائبك ؛ لكن عندنا أربع من الوصايا لابدّ من الوقوف فيها على سنن التوقيف ، وإبرازها إلى الأسماع فى لباس التحذير والتخويف : فالأولى منهنّ ، وهى المهمّ الذى زاغت عنه الأبصار ، وهلك مَنْ هلك فيه من الأبرار ، ولربما سمعتَ هذا القول فظننته مما تجوّز فى مثله القائلون ، وليس كذلك بل هو نبأ عظيم أنتم غافلون ، وسنقصّه عليك كما فوّضناه إليك ؛ وذلك هو التسوية فى الحكم بين أقوالك وأفعالك ، والأخذ من صديقك لعدوّك ومن يمينك لشمالك . وقد علمت أنه لم تخلُ دولة من الدول من قوم يعرّفون بطيش الحلوم ، ويغترّون بقرب السلطان وهو ظلّ عليهم لا يدوم ، وإذا دُعوا لمجلس الحكم حملهم البَطَر والأشر على الامتناع من مساواة الخصوم ، ولا يفرق بين هؤلاء وبين

ضعيف لا يرفع يداً ولا طرفا ، ولا يملك عدلاً ولا صرفاً ؛ ونحن نبرأ من مخالفة الدرجات فى حكم العزيز الحكيم ، ولعن الله اليهود الّذين نسخوا آية الرّجْم بما أحدثوه من التجبية والتحميم ، وقد بسطنا يدك بسطا ليس له انقباض ، ولا عليه اعتراض ؛ وأنت القاضى الذى لا يكون اسمك منقوصاً فيقال فيه إنك قاض . وإذا استقللت بهذه الوصية ، فانظر فيما يليها من أمر الوكلاء القائمين بمجاس الحكم الذين لا تردّ أحداً منهم إلا خليا لويًّا ، أو خادعا خلويًّا ، وإذا اعتبرت أحوالهم وُجدوا عذابا على الناس مصبوباً ولا يتمّ لهم إلا فى ستر القضايا ونعيمها ، ولا ينحون فى شئ منها إلا نحو إمالتها وترخيمها ؛ فأرح الناس من هذه الطائفة المعروفة بنصب الحبالة ، التى تأكل الرّشاء وتخرجها فى مخرج الجعالة ، وطَهِّر منها مجلسك الذى ليس بمجلس ظلم وزور وإنما هو مجلس عدل وعدالة ؛ ومن العدل أن يخلّى بين الخصوم حتى يكافح بعضهم بعضا ، والمهل فى مثل هذا المقام لرعى الرعاية لما يقضى ؛ وإن كان أحدهم ألْحَنَ بحجّته فكِلْهُ إلى عالم الأسرار ، وإذا حكمت له بشىء من حق أخيه فلا تبالِ أن تقطع له قطعة من النار .

وكذلك فانظر فى الوصيّة المختصّة بالشهداء ؛ فإنهم قد تكاثرت أعدادهم وأهمِل انتقادُهم وصار منصب الشهادة يُسأله وسؤاله من الحرام لا من الحلال، وأصبح وهو يورث عن الآباء والأولاد والوراثة تكون فى الأموال، والشاهد دليل يمشى القضاء على مَنهاجه ، ويستقيم باستقامته ويعوجّ باعوجاجه ؛ فانفِ كلّ من شانتْك منه شائبة ، أو رابتْك منه رائبة ، وعليك منهم بِمَنْ تخلّق بخلق الحياء والورع ، وأخذ بالقول الّذى على مثلها فاشهد أو فدَع .

وأما الوصيّة الرابعة فإنها مقصورة على كاتب الحكم الّذى إليه الإيراد والإصدار ، وهو المهيمن على النقض والإمرار ؛ وينبغى أن يكون عارفا بالحلى والوسوم والحدُود والرّسوم ، وأن يكون فقيها فى البيوع والمعاملات ، والدعاوَى والبيّنات ؛ ومن أدنى

صفاته أن يكون قلمه سائغاً ، وخطّه واضحا ؛ وإذا استكمل ذلك فلا يُستصلح حتى يكون العفافُ شعارَه ، والأمانة عيارَه ، والحفظ والعلم سُوره وسوارَه ، وهذا الرّجل إن خلوتَ به فامض يده فيما يقول ويفعل ، واستمّ إليه استنامة الواثق الذى لايخجل ؛ والله يختار لنا ذلك فيما بيّناه من المراشد ، ويجعل أقوالنا ثمارا يانعةً إذا كانت الأقوال من الحصائد .

وبعد أن بوّأناك هذه المكانة ، وحمّلناك هذه الأمانة ، فقد رأينا أن نجمع لك من تنفيذ الأحكام وحفظ أصولها ، وألّا نُخليك من النّظر فى دليلها ومدلولها ؛ فإن التّرك يوحش العلوم من معهود أماكنها ، ويذهب بها من تحت أقفال خزائنها ، ومنصب التّدريس كمنصب القضاء أخ يشدّ[1] من عضده ، ويكثر من عدده ؛ فتول المدرسة الفلانيّة عالماً أنّك قد جمعت بين سَيفين[2] فى قراب ، وسلكت بابين إلى تحصيل الثواب ، وركبت أعزّ مكان وهو تنفيذ الحكم وجالست خير جليس وهو الكتاب .

ونحن نوصيك بطلبة العلم وصيّتين ؛ إحداهما أعظم من الأخرى ؛ وكلتاهما ينبغى أن تصرف إليهما من اهتمامك شطرا ؛ فالأولى أن تتخوّلهم[3] فى أوقات الاشتغال ، وتكون لهم كالرّائض الذى لايبسط لهم بساط الراحة ولا يكلّفهم مشقّة الكلال . والثّانية أن تدرّ عليهم أرزاقهم إدرار[4] المسامح ، وتنزلهم فيها على قدر الأفهام والقرائح : وعند ذلك لاتعدم منهم منبما فى كلّ حين ، ويسرّك فى حالتيه من دنيا ودين ؛ والله يتولاّك فيما تنويه صالحة ، ويوفّقك للعمل بها لا لأن يكون فى قلبك سانحة . وقد فرضنا لك فى بيت المال قسما طيّبا مكسبه ، هنيئا مأكله ومشربه ؛ لاتعاقَبُ غداعلى كثيره ، وإن حوسبت على فتيله ونقيره[5] . والمفروض فى هذا المال ينبغى أن يكون على

(١) ط : « يشهد » تحريف
(٢) ح،ط : « سيمين » تحريف .
(٣) تتخولهم : تتعهدهم .
(٤) ط : « إذرار » تحريف .
(٥) فتيله ونقيره ؛ أى على الصغير والكبير .

قدر الكفاف لا على نسبة الأقدار ، وربّ متخوّض فيما شان نفسه من مالِ الله ومال رسوله ليس له فى الآخرة إلاّ النار ؛ والدنيا حلوة خضرة تلعَبُ بذوى الألباب ،وعلاقاتها بتجدد الأيام فلا تنتهى الآراب منها إلاّ إلى آراب (١) . ومن أراد الله به خيراً لم يسلك إليها ، وإن سلك كان كمن استظلّ بظلّ شجرة ثم راح وتركها ، ونحن نخلص الضراعة والمسألة (٢) فى السّلامة من تبعاتها ، وأن نوفّق لرعى ولاية العدل والإحسان إذْ جُعلنا من رعاتها .

وهذا التّقليد ينبغى أن يُقرَأ فى المسجد الجامع بعد أن يُجمع له النّاس على اختلاف المراتب ، مابين الأباعد والأقارب ، والعراقيب والذوائب ، والأشائب وغير الأشائب ؛ ولتكن قراءته (٣) بلسان الخطيب وعلى منبره ، وليقل: هذا يوم رسم بجميل صيته واعتضاض محضره ؛ ثم بعد ذلك فأنت مأخوذ بتصفّح مطلوبه على الأيّام ،وإثباته فى قلبك بالعلم الذى لا يمحَى سطره إذا محيت سطورُ الأقلام .

واعلم أنّا غدا وإياك بين يدى الحكَم العدل الذّى تكفّ لديه الألسنة عن خطابها، وتستنطق الجوارح بالشهادة على أربابها ، ولا ينجو منه حينئذ إلا من أتَى بقلب سليم ؛ وأشفق من قول نبيه:« لا تأمّرَنّ على اثنين ولا تولّين مال يتيم » .

والله يأخذ بناصية كلّ منا إليه ، ويُخرجه من هذه الدّنيا كَفافاً لا له ولا عليه ، والسلام .

فولى عماد الدين بن عبد الرحمن بن عبد العلى بن السكرىّ مصنّف الحواشى على الوسيط ، ثم صرِف فى المحرم سنة ثلاث عشرة ، لأنه طلِب منه قرض شىء من مال الأيتام فامتنع .

---

(١) الآراب : الحاجات .

(٢) ط : « والمسلمة » .

(٣) ط : « ولكن قرأته » تحريف .

قال القاضي تاج الدين السبكي في الطبقات الكبرى: وبلغني أنه كان في زمانه رجل صالح يقال له الشيخ عبد الرحمن النويريّ ، وكان كثير المكاشفات والحكم بها ،وكان القاضي عماد الدين ينكر عليه ؛ فبلغ القاضي أنّه أكثر الحكم بالمكاشفات ، فعزله،فقال النويريّ : عزلته وذريته . فكان كما قال .

وبلغني عن الظهير التزمنتيّ شيخ ابن الرفعة ، قال: زرت قبر القاضي عماد الدين بعد موته بأيّام ، فوجدت عنده فقيرا ، فقال لي : يافقيه ، يُحشر العلماء وعلى رأس كل واحد منهم لواء ، وهذا القاضي عماد الدين منهم ؛ وطلبتُه فلم أره .

ووَلِي بعده شرف الدين محمد بن عبد الله الإسكندرانيّ المعروف بابن عين الدّولة قضاء القضاة بالقاهرة والوجه البحري ، وتاج الدين عبد السلام بن الخرّاط مصر والوجه القبلي ، ثم صُرِف ابنُ الخرّاط في شعبان سنة سبع عشرة وستمائة ، وجُمِع العمَلان لابن عين الدولة .

ثم صرِف ابن عين الدولة عن مصر والوجه القبلي بالقاضي بدر الدين يوسف ابن الحسن السّنجاريّ في ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وبقي قاضيا بالقاهرة والوجه البحريّ فقط .

وفي زمنه اتّفقت الحكاية التي اتفقت في زمان الإمام محمد بن جرير الطبريّ (١) ؛ وهو أنّ امرأة كادت زوجها ، فقالت : إن كنت تحبّني فاحلف بطلاقي ثلاثا : مهما قلتُ لك تقول مثله في ذا المجلس؛ فحلف، فقالت له : أنت طالق ثلاثا ، قل كما قلت لك . فأمسك ، وترافعا إلى ابن عين الدولة ، فقال : خذ بمقصّها : وقل : أنت طالق ثلاثا إن طلّقتك .

---

(١) هي قصة محمد بن جرير الطبري ومحمد بن إسحاق بن خزيمة ومحمد بن نصر المروزي ومحمد بن هارون الروياني ؛ حينما اجتمعوا في تاريخ مصر ، وأرملوا ولم يبق عندهم زاد يقوتهم ؛ وأضر بهم الجوع ؛ وما كان من أمرهم مع الوالي . وانظر تفصيل القصة في تاريخ بغداد ٢ : ١٦٤ ، ١٦٥ .

قال ابن السبكى : وكأنّهما ارتفعا إليه فى المجلس ؛ وكان بمصر مغنّية تدعى عَجيبة ، قد أولع بها الملك الكامل ، فكانت تحضر إليه ليلا وتغنّيه بالجنك (١) على الدّفّ فى مجلس بحضرة ابن شيخ الشيوخ وغيره . ثم اتّفقتْ قضية شهد فيها الكامل عند ابن عين الدولة،وهو فى دَسْت ملكه، فقال ابنُ عين الدولة : السلطان يأمر ولا يشهد ، فأعاد عليه القول ، فلمّا زاد الأمر، وفهم السلطان أنه لا يقبل شهادته ، قال : أنا أشهد ، تقبلنى أم لا ؟ فقال القاضى : لاما أقبلك ، وكيف أقبلك وعجيبة تطلع إليك بجنكها كلّ ليلة ! وتنزل ثانى يوم بُكْرة وهى تمايل سَكْرى على أيدى الجوارى ، وينزل ابن الشيخ من عندك ! أيحسن مانزلت ، فقال له السلطان : يا كيواج – وهى كلمة شتم بالفارسية – فقال : مافى الشرع يا كيواج ، اشهدوا علىّ أنى قد عزلت نفسى ونهض . فقام ابن الشيخ إلى الملك الكامل، وقال : المصلحة إعادته لئلايقال : لأىّ شىءعزلَ القاضى نفسَه ؟ وتطير الأخبار إلى بغداد ، ويشيع أمر عجيبة ! ونهض إلى القاضى ، وترضّاه ، وعاد إلى القضاء (٢).

ومن شعره :

وَليتُ القضاء وليتَ القضـاء ... لم يكُ شيئًا توليْتُـه
وقد ساقنِى للقضـاء القضـاء ... وما كنتُ قِدْمًا تمنيْتُه

وأقام إلى أن توفِّىَ فى ذى القعدة سنة تسع وثلاثين وستمائة .

فوَلِى بعده قضاء القاهرة بدر الدين يوسف السّنجارىّ .

وولى الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام قضاء مصر والوجه القبلى ، وكان قدم فى هذه السنة من دمشق بسبب أنّ سلطانها الصالح إسماعيل استعان بالفرنج وأعطاهم مدينة صَيْدا وقلعة الشقيف . فأنكر عليه الشيخ عزّ الدين ، وترك الدّعاء له فى الخطبة ، وساعده فى ذلك الشّيخ جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب المالكىّ ، فغضب السلطان منهما ، فخرجا

---

(١) الجنك من آلات الطرب ، فارسى معرب .

(٢) طبقات الشافعية ٥ : ٢٧ .
(حسن المحاضرة ١١ / ٢)

إلى الديار المصرية فأرسل السلطان إلى الشيخ عزّ الدين ؛ وهو فى الطريق قاصداً يتلطّف به فى العوْد إلى دمشق ، فاجتمع به ولاينه، وقال له : ماتُريد منك شيئاً إلّا أن تنكسر للسلطان ، وتقبّل يده لا غير . فقال الشيخ له : يامسكين ، ما أرضاه يقبّل يدِى فضلا عن أنْ أقبّل يده ! ياقوم ، أنتم فى وادٍ وأنا فى وادٍ ! والحمدُ لله الّذى عافانا ممّا ابتلاكم . فلمّا وصل إلى مصر ، تلقّاه سلطانها الصالح نجم الدين أيوب وأكرمه ، وولّاه قضاء مصر ، فاتّفق أن أستاداره [١] فخر الدين عثمان بن شيخ الشيوخ — وهو الذى كان إليه أمر المملكة — عمد إلى مسجد بمصر ، فعمل على ظهره بناء طبلخاناه ، وبقيت تضرب هناك ، فلمّا ثبت هذا عند الشيخ عزّ الدين حكم بهدم ذلك البناء ، وأسقط فخر الدين ، وعزل نفسه من القضاء ، ولم تسقط بذلك منزلة الشّيخ عند السلطان ، وظنّ فخرُ الدّين وغيره أنّ هذا الحكم لا يتأثّر به فى الخارج ، فاتفق أن جهّز السلطان رسولا من عنده إلى الخليفة المستعصم ببغداد ، فلمّا وصل الرسول إلى الديوان ، ووقف بين يدى الخليفة ، وأدّى الرسالة له ، خرج إليه ، وسأله : هل سمعتَ هذه الرسالة من السلطان ؟ فقال : لا ، ولكن حمّلنيها عن السلطان فخر الدين بن شيخ الشيوخ أستاداره ، فقال الخليفة : إن المذكور أسقطه ابن عبد السلام ، فنحن لا نقبل روايته . فرجع الرّسول إلى السلطان حتى شافهَهُ [٢] بالرسالة ، ثم عاد إلى بغداد ، وأدّاها . ولما تولّى الشيخ عزّ الدين القضاء تصدّى لبيع أمراء الدولة من الأتراك ، وذكر أنه لم يثبت عنده أنّهم أحرار ، وأن حكم الرّقّ مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين ، فبلغهم ذلك ، فعظم الخطب عندهم ، واحتزم الأمر ، والشيخ مصمّم لا يصحّح لهم بيعا ولا شراء ولا نكاحا ، وتعطّلت مصالحهم لذلك ؛ وكان من جملتهم نائب السلطنة ، فاستثار غضبا ، فاجتمعوا وأرسلوا إليه ، فقال : نعقد لكم مجلساً ، وننادى عليكم لبيت مال المسلمين ، فرفعوا الأمر إلى السلطان ، فبعث

---

(١) الأستادار : هو الذى يتولى شئون مسكن السلطان أو الأمير . (٢) ط : « شافه » .

إليه فلم يرجع ، فأرسل إليه نائب السلطنة بالملاطفة فلم يفدْ فيه ، فانزعج النائب ، وقال : كيف ينادي علينا هذا الشيخ ، ويبيعنا ونحن ملوك الأرض ! والله لأضربنّه بسيفي هذا ، فركب بنفسه فى جماعته ، وجاء إلى بيت الشيخ والسّيف مسلول فى يده ، فطرق الباب ، فخرج ولد الشيخ ، فرأى من نائب السلطنة ما رأى ، وشرح له الحال ، فما اكترث لذلك ، وقال : ياولدى ، أبوك أقلّ من أنْ يقتل فى سبيل الله ، ثم خرج. فحين وقع بصره على النائب ، يبستْ يدُ النائب ، وسقطَ السيف منها ، وأرعدت مفاصلُه ، فبكى وسأل الشيخ أن يدعوَ له ، وقال : ياسيّدى إيش تعمل ؟ قال : أنادى عليكم وأبيعكم ، قال : ففيم تصرف ثمننا ؟ قال : فى مصالح المسلمين ، قال : من يقبضه ؟ قال : أنا .

فتمّ ما أراد ، ونادى على الأمراء واحدا واحدا ، وغالَى فى ثمنهم ولم يبعهم إلّا بالثمن الوافى ، وقبضه وصرفه فى وجوه الخير . .

واتفق له فى ولايته القضاء عجائب وغرائب ، وفيه يقول الأديب أبو الحسين يحيى ابن عبد العزيز الجزّار :

سار عبدُ العزيز فى الحكم سيراً   لم يَسِرْهُ سوى ابن عبد العزيزِ
عمّنا حكمُه بعدلٍ وسيطٍ   شاملٍ للورَى ، ولفظ وجيز

ولما عزل الشيخ نفسه عن القضاء ، تلطّف السلطان فى ردّه إليه ، فباشره مدة ، ثم عزل نفسه منه مرة ثانية ، وتلطّف مع السلطان فى إمضاء عزله ، فأمضاه وأبقى جميع نوّابه من الحكام ، وكتب لكلّ حاكم تقليدا ، ثم ولّاه تدريس مدرسته التى أنشأها ببين القصرين[1].

ووَلِىَ بعده أفضل الدين محمد الخوَنْجِىّ صاحب المنطق والمعقولات ، فأقام إلى أن

---

(١) رفع الإصر ٣٥٠ ـ ٣٥٣ .

مات فى رمضان سنة ست وأربعين وستمائة ، ورثاه العزّ الإربلىّ بقصيدة أولها :

قضى أفضلُ الدنيا، نعم وهْو فاضلُ   وماتت بموتِ الخونجىِّ الفضائلُ

وكان يخلفه على الأحـكام الجمال يحيى ، فلم يزل إلى أن تولّى القاضى عمـاد الدين القاسم بن إبراهيم بن هبة الله الحموىّ ، فبقىَ إلى أن صرف فى جمـادى الأولى سنة ثمان وأربعين .

وتولّى القاهرة وصرف عنها القاضى بدر الدين ، ورتّب قاضيا بمصر والوجه القبلى صدر الدين موهوب بن عمر الجزَرىّ ، وكان نائبا عن الشيخ عزّ الدين ثم صرف .

وأعيد القاضى عماد الدين الحموىّ بمصر ، ورُتِّب بالقاهرة بدر الدين السنجارىّ ، وذلك فى رجب سنة ثمان وأربعين ، ثمّ بعد ذلك بأيام يسيرة أضيف له مصر أيضا ، وذلك فى شوّال من السنة . ثم صرف عنه القضاء بمصر ، وكان يخلفه أخوه برهان الدين وذلك فى رمضان سنة أربع وخمسين .

ورتّب فيه تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعزّ، ثم صرف السنجارىّ عن القاهرة أيضا ، وأضيف لابن بنت الأعزّ إلى أن توفِّىَ الملك المعزّ .

فرتّب فى القاهرة البدر السنجارىّ فى ربيع الآخر سنة خمس وخمسين، وبقى مع ابن بنت الأعزّ مصر خاصة .

ثم أضيف قضاء مصر أيضا إلى السنجارىّ فى رجب من السنة ، فأقام إلى جمادى الأولى سنة تسع وخمسين ، فعُزل .

وأعيد تاج الدين بن بنت الأعزّ لقضاء مصر والقاهرة معا ، ثم فى شوّال سنة إحدى وستين عُزل ابن بنت الأعزّ عن قضاء مصر وحدَها .

ووليه برهان الدين الخضر بن الحسن السنجارىّ ، وبقى مع ابن بنت الأعزّ قضاء القاهرة، فلم يزل إلى رمضان سنة اثنتين وستين .

فصرف قضاء مصر عن السنجاريّ، وأضيف إلى ابن بنت الأعزّ، فلم يزل على هذه الولاية إلى أن مات يوم الأحد سابع عشر رجب سنة خمس وستين .

قال ابن السبكى فى الطبقات الكبرى : وفى ولايته هذه جدّد الملك الظاهر بيبرس القضاة الثلاثة من كلّ مذهب : قاضٍ فى القاهرة ، ثم فى دمشق . وكان سبب ذلك أنه سأل القاضى تاج الدين فى أمرٍ ، فامتنع من الدّخول فيه ، فقيل له : مُرْ نائبك الحنفىّ ، وكان القاضى هو الشافعىّ يستنيب مَنْ شاء من المذاهب الثلاثة ، فامتنع من ذلك، فجرى ماجرى ، وكان الأمر متمحّضاً للشافعيّة ، فلا يعرف أنّ غيرهم حكم فى الديار المصرية منذ وَلِيَها أبو زُرْعة محمد بن عثمان الدمشقىّ فى سنة أربع وثمانين إلى أن مات الظاهر ، إلا أن يكون نائب بعض قضاة الشافعية فى جزئية خاصة ، وكذا دمشق لم يلها بعد أبى زُرعة المشار إليه إلّا شافعىّ .

قال ابن ميسّر فى تاريخ مصر : فى سنة خمس وعشرين وخمسمائة رتّب أبو أحمد بن الأفضل فى الحكم أربع قضاة ، يحكم كلّ قاضٍ بمذهبه ، ويورّثُ بمذهبه ، فكان قاضى الشافعيّة سلطان بن رشا ، وقاضى المالكية أبا محمد عبد المولى بن اللبنى ، وقاضى الإسماعيليّة أبا الفضل بن الأزرق ، وقاضى الإماميّة ابن أبى كامل ، ولم يسمع بمثل هذا .

وقال ابن ميسر : وقد تجدّد فى عصرنا هذا الذى نحن فيه أربع قضاة على الأربعة مذاهب . انتهى .

قال ابن السبكى : وقال أهل التجربة : إن هذه الأقاليم المصرية والشاميّة والحجازية، متى كانت البلد فيها لغير الشافعية خَرِبت، ومتى قدَّم سلطانُها غيرَ أصحاب الشافعىّ زالت

دولته سريعا .. قال: وكأن هذا السرّ جعله الله فى هذه البلاد ، كما جعله الله لمالك فى بلاد المغرب ، ولأبى حنيفة فيما وراء النهر .

قال : وسمعت الشيخ الإمام الوالد يقول : سمعت الشيخ صدر الدين بن المرّحل يقول : ماجلس على كرسى مصر غير شافعىّ إلا وقتِل سريعا ، قال : وهذا الأمر يظهر بالتجربة ، فلا يعرّف غير شافعىّ إلا قُطُز ، كان حنفيًّا ، ومكث يسيرا وقتل ، وأما الظاهر فقلّد الشافعىّ يوم ولاية السلطنة ، ثم لما ضمّ القضاء إلى الشافعىّ استثنى للشافعىّ الأوقاف وبيت المال والنواب وقضاة البرّ والأيتام ، وجعلهم الأرفعين ، ثم إنّه ندم على مافعل . وذُكر أنّه رأى الشافعىّ فى النوم لما ضمّ إلى مذهبه بقية المذاهب ، وهو يقول : تهين مذهبى ! البلاد لى أو لك ! قد عزلتُك ، وعزلتُ ذرّيّتك إلى يوم الدين . فلم يمكث إلا يسيرا ومات ، ولم يمكث ولده السعيد إلا يسيرا ، وزالت دولته ، وذرّيته إلى الآن فقراء . هذا كلام ابن السبكى(١) .

قال : وجاء بعده قلاوون ، وكان دونه تمكّنًا ومعرفة ، ومع ذلك مكث الأمر فيه وفى ذرّيته إلى هذا الوقت ، وفى ذلك أسرار الله لا يدركها إلا خواصّ عباده .

قال : وقد حُكى أن الظاهر رُئِىَ فى النوم ، فقيل له: ما فعل الله بك ؟ قال : عذّبنى عذابا شديدا لجعلى القضاة أربعة ، وقال : فرّقت كلمة المسلمين !

وقال أبو شامة : لما بلغهم ضمّ القضاة الثلاثة لم يقع مثل هذا فى ملّة الإسلام قطّ ، وكان أحداث القضاة الثلاثة فى سنة ثلاث وستين وستمائة ؛ وأقام ابن بنت الأعزّ قاضيا إلى أن توفِّىَ سنة خمس وستين ، وكان شديد التصلّب فى الدين ، فكان الأمراء الكبار يشهدون عنده فلا يقبل شهادتهم ؛ وكان ذلك أيضا من جملة الحوامل على ضمّ القضاة الثلاثة إليه . وحُكِى أنه ركب وتوجّه إلى القرافة ، ودخل على الفقيه مفضّل ، حتى

تولّى عنه الشرقية ، فقيل له : تروح إلى شخص حتى نولّيه ، فقال : لو لم يفعل لقبّلت رجلَه حتى يقبل ، فإنه يسدّ عنى ثُلْمةً من جهنّم .

قال ابن السبكىّ : وكان يقال إن القاضى تاج الدين آخر قضاة العدل ؛ واتفق النّاس على عدله ؛ وقد اجتمع له من المناصب الجليلة ما لم يجتمع لغيره ؛ فإنّه ولى خمس عشرة وظيفة : القضاء ، والوزارة ،ونظر الأحباس ، وتدريس الشافعيّة،والصالحيّة ، والحِسْبة ، والخطابة ، ومشيخة الشيوخ ، وإمامة الجامع .

ووَلِىَ بعده مصر والوجه القبلى محيى الدين عبد الله بن القاضى شرف الدين بن عين الدولة ، والقاهرة والوجه البحرى تقى الدين محمد بن الحسن بنُ رَزين ، ثم مات ابنُ عين الدولة فى رجب سنة ثمان وسبعين ، وعُزِل ابن رزين فى رجب أيضا سنة ثمان وسبعين لكونه توقّف فى خلع الملك السعيد .

وولىَ صدر الدين عمر بن القاضى تاج الدين بن بنت الأعزّ ، فمشى على طريقة والده فى التحرّى والصلابة ، ثم عزل نفسه فى رمضان سنة تسع وسبعين .

وأعيد ابن رزين فأقام إلى أن مات فى رجب سنة ثمانين ، ووَلِىَ بعده وجيه الدين عبد الوهاب بن الحسين البهنسى قضاء الديار المصرية ، ثم عزِل عن القاهرة والوجه البحرى ، واستمرّ على قضاء مصر والوجه القبلى ، إلى أن تُوفِّى سنة خمس وثمانين .

ووَلِىَ القاهرة بعد عزله عنها شهاب الدين بن الخُوَيّىّ[1] ، فأقام إلى أوّل سنة ست وثمانين ، فعزِل .

ووَلِىَ بعده برهان الدين الخضر السنجارىّ ، فأقام شهرا ، ثم تُوُفِّىَ .

---

(١) الخويى ، بضم الخاء وفتح الواو المشددة وتشديد الياء ، منسوب إلى خوىّ ، مدينة بأذربيجان ، واسمه أحمد بن خليل بن سعادة ، انظر شذرات الذهب ٥ : ١٨٣ .

وولى بعده تقىّ الدين عبد الرحمن بن القاضى تاج الدين بن بنت الأعزّ ، مضافا لما كان معه من قضاء مصر ؛ فإنه وليَه بعد موت البهنسىّ ، وكان من أحسن القضاة سيرةً ، وكان ابن السلعوس وزير الملك الأشرف يكرهه ؛ فعمل عليه ، ورتّب مَنْ شهد عليه بالزّور بأمور عظام ، منها أنهم أحضروا شابًّا حسنَ الصورة ، واعترف على نفسه بين يدى السلطان بأن القاضى لَاط به ، وأحضروا مَنْ شهد بأنه يحمل الزّنّار فى وسطه ، فقال القاضى : أيّها السلطان كلّ ما قالوه ممكن ؛ لكن حمل الزنّار لا يعتمده النصرانىّ تعظيما ولو أمكنه تركه لتركه ؛ فكيف أحمله ! ثم عزل القاضى ، وكان رجلاً صالحا لا يشكّ فيه ، بريئًا من كلّ ما رُمِىَ به .

وولىَ بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة؛ وذلك فى رمضان سنة تسعين وستّمائة ، فتوجّه القاضى تقى الدين إلى الحجاز ، ومدَح النبى صلى الله عليه وسلم بقصيدة ، وكشف رأسه ، ووقف بين يدى الحجرة الشريفة ، واستغاث بالنبىّ صلى الله عليه وسلم ، وأقسم عليه ألّا يصلَ إلى وطنه إلا وقد عاد إلى منصبه ، فلم يصل إلى القاهرة إلّا والأشرف قد قتِل ، وكذلك وزيره ، فأعيد إلى القضاء ، ووصل إليه الخبر بالعَوْد قبل وصوله إلى القاهرة ، وذلك فى أول سنة ثلاث وتسعين ؛ فأقام فى القضاء إلى أن مات فى جمادى الأولى سنة خمس وتسعين .

ووَلِىَ بعده الشيخ تقىُّ الدين بن دقيق العيد بعد امتناع شديد ، حتى قالوا له : إن لم تفعل ولَّوْا فلانا أو فلانا — لرَجُلَيْن لا يصلحان للقضاء — فرأى أنّ القبول واجب عليه حينئذ . ذكره الإسنوىُّ فى الطبقات . قال ابن السبكىّ : وعزل نفسه غير مرّة ثم يعاد . قال الإسنوىّ : وكانت القضاة يخلع عليهم الحرير ، فامتنع الشيخ من لبس الخلعة ، وأمر بتغييرها إلى الصوف ، فاستمرّت إلى الآن . وحضر مرّة عند السلطان

لاجين ، فقام إليه السلطان ، وقبّل يدَه ؛ فلم يزده على قوله : أرجوها لك بين يدى الله .
وكان يكتب إلى نوّابه ، ويعظهم ويبالغ فى وعظهم ، ومع ذلك رآه بعض خيار أصحابه فى المنام وهو فى مسجد ، فسأله عن حاله ، فقال : أنا معوّق ها هنا بسبب نوّابى .
هذا مع الاحتراز التامّ والكرامات الصحيحة الثابتة عنه . فهذا كله كلام الإسنوىّ .

ومن لطائفه ما كتب إلى نائبه بإخميم : صدرت هذه المكاتبة إلى مجلس مخلص الدّين ، وفقه الله تعالى لقبول النصيحة ، وآتاه لما يقربه إليه قصدا صحيحا ونية صحيحة ، أصدرناه إليه بعد حمدِ الله الّذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ويمهل حتى لايلتبس الإمهال بالإهمال على المغرور : ونذكّره بأيّام الله ﴿ وإنّ يوماً عند ربّك كألف سنةٍ ممّا تعدّون ﴾ ، ونحذّره صَفْقة مَنْ باع الآخرة بالدنيا فما أحد سواه مغبون ؛ عسى الله أن يرشده بهذا التّذكار وينفعه ، وتأخذ هذه النصائح بحُجْزته عن النار ؛ فإنى أخاف أن يتردّى فيخرّ مَنْ ولّاه معه . والعياذ بالله . والمقتضى لإصدارها مالحناه من الغفلة المستحكِمة على القلوب ، ومن تقاعد الهمم ممّا يجب للربّ على المربوب ، ومن أنسهم بهذه الدّار وهم يُزْعَجُونَ عنها ، وعلمهم بما بين أيديهم من عقبة كؤود وهم لا يتخففّون منها .
ولا سيّما القضاة الذين تحمّلوا أعباء الأمانة على كواهلَ ضعيفة ، وظهرُوا بصورٍ كبارٍ وهممٍ نحيفة ، ووالله إنّ الأمر عظيم ، والخطب جسيم ؛ ولا أرى مع ذلك أمنا ولا قرارا ، ولا راحة ولا استمرارا ، اللهمّ إلا رجلا نبذ الآخرة وراه ، واتخذ إلهه هواه ، وقصر همّه وهمّته على حظّ نفسه ودنياه ، فغاية مطابه حب الجاه . والرغبة فى قلوب الناس وتحسين الزىّ والملابس ، والرّكبة والمجلس ، غير مستشعر خساسة حاله ولا ركاكة مقصده ، فإنّك لاتسمع الموتى وماأنت بمسمع من فى القبور .

فاتّق الله الّذى يراك حين تقوم ، واقصر أملَك عليه فإن المحروم من فضله غير

---

(١) الحج ٤٧

مرحوم ، وما أنا وإيّاكم أيّها النفر إلا كما قال حبيب العجمىّ وقد قال له قائل : ليتنا ، لم نخلق ! قال : قد وقعتم فاحتالوا !

وإن خفىَ عليك مثل هذا الخطر ، وشغلتك الدنيا عن معرفة الوطَر ، فتأمّل كلام النبوّة : «القضاة ثلاثة قاض فى الجنة وقاضيان فى النار» ، وقول النبىّ صلى الله عليه وسلم لأبى ذرّ مشفقا عليه: « لاتأمّرنّ على اثنين ولا توَلّين مال يتيم» وما أنا والسير فى متلفٍ مبرّح بالذّاكر الضابط ،هيهات جفّ القلم، ونفذ حكم الله ، فلا رادّ لما حكم . إيهٍ، ومن هناك شمّ الناس من فم الصديق رائحة الكبد المشوىّ . وقال الفاروق : ليت أم عمر لم تلده ! وقال علىّ والخزائن مملوءة ذهبا وفضة : من يشترى سيفى هذا ولو وجدت ما أشترى به رداء مابعتُه . وقطع الخوفُ نياط قلب عمر بن عبد العزيز فمات من خشية العرض ، وعلّق بعض السلف سوطا يؤدّب به نفسه إذا فتر . فترى ذلك سدًى ، أم نحن المقرّبون وهم البعداء ! فهذه أحوال لا تؤخذ من كتاب السّلم، والإجارة[1] والجنايات ، وإنما تنال بالخضوع والخشوع ، وأن تظمأ وتجوع .

ومما يعينك على الأمر الذى دعوتُك إليه ، ويزوّدك فى السفر المعرض عليه ، أن تجعل لك وقتا وتعمرّه بالتذكّر والتفكّر ، وإنابة تجعلها معدّة لجلاء قلبك ، فإنه إن استحكم صداه صعب تلافيه ، وأعرض عنه من هو أعلم بما فيه .

فاجعل أكثر همومك الاستعداد ليوم المعاد ، والتأهّب لجواب الملك الجواد ، فإنه يقول : ﴿ فوربّك لنسألنّهمْ أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ .

ومهما وجدت من همّتك قصوراً ، واستشعرت من نفسك عمّا بدا لها نفورا ، فاجررها إليه وقف ببابه واطلب ، فإنه لا يُعرض عمّن صدَق ، ولا يعزب عن علمه خفايا الضمائر ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ .

---

(١) النجوم الزاهرة . . .

فهذه نصيحتي إليك ، وحجّتى بين يدى الله إن فرطت إذا سئلتُ عليك : فنسأل الله لى ولك قلبا شاكرًا ، ولسانًا ذاكراً ، ونفسا مطمئنّة بمنه وكرمه ، وخفىّ لطفه ، والسلام .

واستمرّ الشيخ إلى أن تُوفِّىَ فى صفر سنة اثنتين وسبعمائة .

وأعيد بعده القاضى بدر الدين بن جماعة ، ثم صرف فى ربيع الأول سنة عشر وسبعمائة .

وولِىَ جمال الدين بن عمر الزّرعىّ ، ثم صُرِف .

وأعيد ابن جماعة فى ربيع الآخر سنة إحدى عشرة ، فلم يزل إلى أن عَمِىَ سنة سبع وعشرين .

فولِىَ بعده جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينىّ مصنف التلخيص فى المعانى والبيان ، فأقام مدّة ثم صرف فى سنة ثمان وثلاثين .

ووَلِىَ بعده عز الدين بن القاضى بدر الدين بن جماعة ، فاستمرّ إلى سنة تسع وخمسين ، فعزل بواسطة صُرغتمش .

وولِىَ مكانه بهاء الدين بن عبد الله بن عقيل مؤلّف شرح الألفية وشرح التسهيل ، فأقام ثمانين يوما وصرف .

وأعيد ابن جماعة ، فوَلِى على كُرْهٍ منه ، واستمرّ يطلب الإقالة إلى جمادى الأولى سنة ست وستين ، فعزل نفسه ، وصمّم على عدم العوْد ، ونزل إليه الأمير الكبير يلْبُغا إلى داره ، ودخل عليه أن يعود فأبى .

فوَلِى مكانه بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البرّ السبكىّ ، فأقام إلى أن عزل فى سنة ثلاث وسبعين .

وولىَ بعده برهان الدين إبراهيم بن جماعة ، ثم عزل نفسَه ، ووَلِى بدر الدين محمد بن القاضى بهاء الدين بن عبد البرّ السبكى فى صفر سنة تسع وسبعين .

ثم أعيد البرهان بن جماعة فى سنة إحدى وثمانين ، ثم أعيد البدر بن أبى البقاء فى صفر سنة أربع وثمانين ، ثم ولىّ ناصر الدين محمد بن الميلق فى شعبان سنة تسع وثمانين ثم عزل .

ووَلِى صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوىّ فى ذى القعدة سنة إحدى وتسعين .

ثم أعيد بدر الدين بن أبى البقاء فى ذى الحجة سنة إحدى وتسعين .

ثم ولىّ عماد الدين أحمد بن عيسى الكركىّ فى رجب سنة ثنتين وتسعين ، ثم عُزِل فى ذى الحجّة سنة أربع وتسعين .

وأعيد الصّدْر المناوى فى المحرّم سنة خمس وتسعين .

ثمّ أعيد البدر بن أبى البقاء فى ربيع الأوّل سنة ست وتسعين .

ثم أعيد المناوى فى شعبان سنة سبع وتسعين .

ثم وَلِىَ تقى الدين الزُّبيرىّ فى جمادى الأولى سنة تسع وتسعين .

ثم أعِيد المناوى فى رجب سنة إحدى وثمانمائة .

ثم وَلِىَ ناصر الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الصالحىّ فى شعبان سنة ثلاث .

ثم وَلِىَ جلال الدين البُلقينىّ فى جُمادى الأولى سنة أربع فى حياة والده .

ثم أعيد الصالحىّ فى شوال سنة خمس ، ومات فى المحرّم سنة ست .

فولى شمس الدين محمد بن الأخنائىّ .

ثم أعيد البُلقينىّ فى ربيع الأول من السنة .

ثم أعيد الأخنائىّ فى شعبان من السنة .

ثم أعيد البلقينىّ فى ذى الحجة من السنة .

ثم أعيد الأخنائىّ فى جمادى الأولى سنة سبع .

---

(١) ط : « الحرم » .

ثم أعيد البُلقينىّ فى ذى القعدة من السنة .

ثم أعيد الأخنائىّ فى صفر سنة ثمان .

ثم أعيد البُلقينىّ فى ربيع الأوّل من السنة ، فأقام إلى محرّم سنة خمس عشرة ، فعزله المستعين .

ووَلِىَ شهاب الدين الباعونىّ ، فأقام شهرا ، وعُزِل .

ثم أعيد البُلقينىّ فى صفر سنة خمس عشرة ، فأقام إلى جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين .

وَوَلِى شمس الدين محمد بن عطاء الله الهروىّ ، وفى ولايته هذه وجد فى مجلس السلطان ورقة فيها شعر ، وهو :

يأيهـا الملك المؤيّد دَعوةً	من مُخلِصٍ فى حبّه لك ينصحُ
انظر لحـال الشافعيّـة نظرةً	فالقاضيان كلاهما لا يصلُحُ
هـذا أقاربه عقارب وابنه	وأخٌ وصهر ، فعلُهم مستقبح
غطّوا محاسنه بقبح صنيعهمْ	ومتَى دعاهم للهدى لا يُفلحوا
وأخو هراة بسيرة اللنك اقتدَى	وله سهامٌ فى الجوانح تجرَحُ
لا دَرْسه يقرا ، ولا أحكامُه	تدرَى ، ولا حين الخطابة يفصحُ
فأرِحْ هموم المسلمين بثالثٍ	فعسى فساد منهمُ يستَصْلَحُ

وكان ذلك فى أوّل شعبان ، فعرض السلطان الورقة على الجلساء من الفقهاء الذين يحضرون عنده ، فلم يعرفوا كاتبها ، وطالت الأبيات . فأمّا الهروىّ فلم ينزعج من ذلك، وأمّا البُلقينىّ فقام وقعد ، وأطال البحث والتنقيب عن ناظمها ، وتقسّمت الظنون ؛ فمنهم من اتّهم شعبان الآثارىّ ، ومنهم من اتهم تقىّ الدين بن حِجّة . قال العينىّ : وبعضهم نسبها لابن حجر ؛ قال : والظّاهر أنه هو .

ثم أعيد البلقينىّ فى ربيع الأوّل سنة اثنتين وعشرين ، فأقام إلى أن مات فى شوّال سنة أربع وعشرين .

ووَلِىَ الشيخ ولى الدين العراقى ، ثم عُزل فى ذى الحجة سنة خمس وعشرين .

ووَلِى شيخنا شيخ الإسلام علم الدين صالح بن شيخ الإسلام سراج الدّين البُلقينىّ .

ثم تولّى الحافظ ابن حجر فى المحرم سنة سبع وعشرين .

ثم أعيد الهروىّ فى ذى القعدة من السّنة .

ثم أعيد ابن حَجَر فى رجب سنة ثمان وعشرين .

ثم أعيد شيخنا البُلقينىّ فى صفر سنة ثلاث وثلاثين .

ثم أعيد ابن حَجَر فى جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين .

ثم أعيد شيخنا البُلقينىّ فى شوال سنة أربعين .

ثم أعيد ابنُ حجر فى شوال سنة أحدى وأربعين .

ثم وَلِىَ شمس الدين القاياتىّ فى المحرّم سنة تسع وأربعين ، فأقام إلى أن مات فى المحرّم سنة خمسين .

وأعيد ابن حَجَر .

ثم أعيد شيخنا البُلقينىّ فى أوّل المحرم سنة إحدى وخمسين .

ثم ولِىَ ولىّ الدين السَّفَطىّ فى نصف ربيع الأول من السنة ؛ ثم عزِل .

وأعيد ابن حجر فى ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين ، ثم عزَل نفسه فى آخر جمادى الآخرة من السنة .

وأعيد شيخنا البلقينىّ فى صفر سنة سبع وخمسين ، فأقام إلى شوّال سنة خمس وستين ، فعزِل .

وأعيد المناوىّ ثم أعيد البلقينىّ فى شوّال سنة سبع وستين ، فأقام إلى أن مات فى رجب سنة ثمان وستين .

وأعيد المناوى ، ثم عزل فى جمادى الآخرة سنة سبعين .

ووَلِىَ صلاح الدين المكينىّ ربيب شيخنا البلقينىّ .

ثم عزل بعد ستة أشهر .

ووَلِىَ بدر الدين أبو السعادات محمد بن تاج الدين بن قاضى القضاة جلال الدين البلقينى فى أوّل سنة إحدى وسبعين ، ثم عُزل بعد أربعة أشهر .

وولى ولىّ الدين أحمد بن أحمد الأسيوطىّ فى نصف جمادى الأولى من السنة فأقام خمس عشرة سنة ، ثم عزل فى جمادى الآخرة سنة ست وثمانين .

ووَلِىَ الشيخ زكريا محمد الأنصارى السبكىّ .

وقد نظم محمد بن دانيال الموصلىّ أرجوزة فيمن ولِىَ قضاء مصر من حين فتحت إلى عهد البدر بن جماعة ، فقال :

يقولُ راجِى كرم الله العَلِى	محمّد بن دانيالَ الموصلِى [١]
من بعد حمدٍ للعلىّ الحاكم	غامِرنا بالجود والمراحم
ثمّ الصلاة بعد ترتيل اسمِهِ	على أحمد الهادى أمين حكمه [٢]
وآله وصحبه العدولِ	شهودِ حجّة أحمد الرّسولِ
فإنّنى ضمّنت هذا الشّعْرا	أنباء كلّ مَنْ تولّى مِصْرَا
من سائر القضاة والحكّام	مذ ملكتْهَا مِلّة الإسلام [٣]
من لدُنِ ابن العاصِ أعنى عَمْرا	لفتحها إلى هلُمّ جرّا [٤]

(١) أوردها ابن حجر فى رفع الإصر ١ : ٢ – ٤ ، وقال : أنبأنا أبو الحسن علىّ بن أبى بكر بن سليمان ،شافهة عن أبى عمر بن أبى عبدالله بن إسحاق الكنانى ، قال : « أنشدنا ابن دانيال لنفسه .

(٢) رفع الإصر : « على النبى الهادى » .

(٣) رفع الإصر : « دولة الإسلام » . (٤) رفع الإصر : « من فتحها » .

لكنّنى اخترتُ الكلام الرّاجزا ... فى حَصرهم إذ كان لفظا مُوجَزا[١]

* * *

أوّل مَنْ وَلِى القضا للحكم ... قيسٌ فتى عــدىّ بن سَهْمِ
وآل بعــده لكعب عَبْسِ ... ثمّ لعثمان بغــير لَبْسِ
ثم وَلِى سُلَيمُ نجلُ عِــتْرِ ... وبعده السّائب نجــلُ عَمْرِو
ثم يليــه عابسُ المرادِى ... وبعده ابن النّضْرِ فى البلادِ
وآل بَعْدَهُ لعبــد الرّحمنْ ... ثم إلى مالكٍ نجل خَوْلَانْ
ويونس من بعده ولىَ القضَا ... ثم ولى أوْس بعزمٍ مُنْتَضَى
ثم تولّى الحكم عَبْدُ الرّحمنْ ... ثم وليه بعــد ذاك عمرانْ
وبعده صــار لعبــد الأعلى ... وابن حُدَيج ذى الفخار الأعلى[٢]
ثمّ لعبـــدِ الله ذاك القاضى ... آل ومن بَعْدُ إلى عِياضِ[٣]

---

(١) بعده فى رفع الإصر :

ليغتدِى عِقْدًا من الــلآلِى ... ينفِسُه ذِكْرُ الجناب العــالِى
العالى العاملىّ الأوحــدُ ... بَدْرِ التمامِ ذو السَّنَا محمّــدُ
أعنِى الكنانِىّ ابن إبراهيمَا ... السَّيد المفضَّلَ الكريمــاَ
قاضى القضــاةِ وإمام العصْرِ ... مفتِى الفريقَيْن بأرض مِصْرِ
نظمتُها وسيلةً إليــهِ ... معتمدًا دون الوَرَى عليــهِ
لازال سِتْرًا مسبلاً علينــا ... يبعثُ فضل رفدِه إلينــا
وها أنا بذكر ذاك مبتــدى ... بحمد ذى الحمد البديع الصَّمَدِ

(٢) ط : « جريج » ، وصوابه من الأصل ورفع الإصر .

(٣) رفع الإصر .

وعاد للقضا بحكم ثاني ابن حُجيرة الفتى الخَوْلاني[١]
ثم إلى عياضَ آل ثانيهْ ثمّ لعبد الله غيروانيه
والحضرمىّ ثم للخيار ثم يزيد جاء فى الآثار
وآل بعد نوبةٍ وخُبْرِ إلى ابن سالمٍ بكلِّ خَيْرِ
هذا وفى عصر بنى العبّاسِ صار نعيم ثابت الأساسِ
وعاد غوث بعد ذاك يحكُمُ ثم وَلِي يزيد بعدُ فاعْلَمُوا
وعاد غوْثُ قبل إبراهيما[٢] والحضرمىّ بعده مأموما
ثم لإسماعيل نجل اليَسَعِ ثم تلاه الغَوْثُ خَيْرُ تبَعِ
وبعد هذا حَكَم المفضّلُ[٣] ثم أبو طاهرَ ذاكَ الأفضلُ
ثم المفضّل الأمين حكما ثم ابن مسروق وما إن ظلما
ثم وليها بعده التُّجيبى[٤] والعمرىُّ أيما نجيب
وبعده البكرى وابن ألبُكا ثم ابن عيسى وهو أزْكى نُسُكا
والأسامىّ حاكمُ الشَريعهْ ثم ابنُ عيسى واسمه لَهِيعهْ
ثم لإبراهيم نجل القارى ثم لإبراهيم ذى الفخار
ثم لعيسى آلت الأحكامُ وبعدَهُ زهريها الإمام[٥]
ثم ولِى الأحكام نجل شدّادْ وبعده الحارث خَيْرُ الأجْوادْ[٦]
وبعد ما ولى دُحَيم الأمصار[٧] صارَ لها قاضى القضاةِ بكّارْ
هذا ونجْل عبدةٍ توَلّى[٨] ثم أبو زُرْعة لما ولى

(١) رفع الإصر : « نجل حجيرة » . (٢) رفع الإصر : « قبل إبراهيما » .
(٣) رفع الإصر : « ولى المفضل » . (٤) رفع الإصر : « ثم ولى من بعده التجيبى » .
(٥) رفع الإصر : « هارون الإمام » .
(٦) رفع الإصر : « خير من جاد » . (٧) رفع الإصر : «الأنصار» . (٨) رفع الإصر : «محمد ابن عبدة تولى» .

(حسن المحاضرة ١٢/٢)

ثم ابن عبدةٍ تولى الحُكْما   وكان فيه بالمحل الأسمى
ثم ابن حرب وأبو الذِّكر حَكَمْ   قبل الكُريزىّ زمانًا فى الأمَمْ
والجوهرىّ ، وهو نعم القاضى   ومَنْ به قد وقع التَّراضى
وبعده أحمد وابن أحمدا   وأحمدٌ ثانيةً فيها اغتدَى
وصرفوه بابن زِبْرٍ فقضَى   من قبل إسماعيل فيما قد مَضَى
ثم ابن مسلم ونجل حمّادْ   والسّرخسى والصّيّرفى بإسناد
وبَعْدَ عبدِ الله نجل زبْرِ   ولِى أبو بكر جميع الأمْرِ
ثم ابن زرعةٍ ونجل بدرِ   من قبل عبد الله نجل زِبْرِ
ثم ابن بدر بعد عبد اللهِ   أمسى عليها آمراً وناهى
ثم أبو ذكر تولى والحسَنْ   وبعده الكشىّ فى ذاك الزّمنْ
وبعد ذا ابن أُخت وليد لم يزَلْ   حاكمها والعدْلُ عنه ما عَدَلْ[1]
وبعدَهُ ولى القضا ابن الحدّادْ[2]   وبعده ابن اخت وليدٍ قد عَادْ
وبعد ذاك ولد الخطيبِ   ولى القضا وولد الخصيب
وبعده محمد قد حَكما   ثم أبو الطاهر فيما علِما

***

الدولة المصرية

وبعد هذا ولد النُّعْمانِ[3]   ونَجْلُهُ فى ذلك الزَّمَانِ
ثم ابنُه وصِنْوهُ الحسينُ   ولم يشِنْهُ فى القضاء شَيْنُ
وبعد ذاك مالكٌ تَوَلىّ   ثم أبو العباسِ فيما يُتْلَى
وقاسمٌ ثم أبو الفتحِ وَلِى   وهو بغير قاسمٍ لم يُعْزَلِ[4]

(١) هذا البيت ساقط من رفع الإصر . (٢) رفع الإصر : « ثم تولى حكمها ابن الحداد » .
(٣) رفع الإصر : « وبعدذاك » . (٤) بعده فى رفع الإصر :

وصَرَفوه بأبى محمّدِ   قبل أبى علىّ المسدّدِ

ثم ابن وهبٍ جاءها فى الإثْرِ … ونالها من قبل نجل ذكرى (١)
ثم أعيــــد أحمدٌ للحُكْمِ … ثم ابن وهبٍ فاستمع لنظمِى
ثم ولِىَ الحُكمَ ابنُ عبد الحاكِمِ … ثم أعيد بعـــدَه للقاسمِ
ثمّ لعبـــدِ الحاكم الإمامِ … وقاسمٍ وُجِّهَ بالأحـــكامِ
وبعده ولى القضا نجل أسَـــدْ … وبعده أحْمَد ذو الحُكْمِ الأسدّ
ثم أعيـــدَ ابنُ أبى كدينهْ … لمّا ارتضوْا سيرته ودِينَـــهْ
ثمّ علىّ بعـــده الميسّرِ (٢) … ثم الرّصافى الجميـــلُ الذّكْرِ
وبعـــده ولِى القضـــا ابن وهبِ … وابن أبى كدِينَةٍ ذو اللُّبِّ
وبعـــده المليجى فى المدينَهْ … ولى القضا وابن أبى كدِينَـــه
ثم وليـــه بعده البـــازورِ … وابن أبى كدنَة بغـــير زورِ (٣)
وبعـــده العرق والقضاعِى … ولى القضا حَقًّا بلا نزاعِ
ثم جـــلال الدولة ابن القاسمِ … عاد فأضحى وهو خير حاكِمِ (٤)
وبعده نجل نبـــاتةٍ وَلِى … وولد الـكحّال ذو التفضُّـــلِ
وبعـــده المليجى والمكرمِ … ثم أبو الطاهر ذو التّكرّمِ
وبعـــده وَلِى القضا نجلُ ذكا … وبعده الحسينُ وهو ذو الذّكا
ثم ابن بدرٍ وأبو الفضلِ قضى … من بعده الصقلّى وأبو الفضل الرضى
وبعـــده ابن ظافرٍ تولّى … وابن الحسين ذو المقام الأعلَى
ثم أبو الفتح ويوسف ولِى … وكان كلٌّ ذا محلٍّ أفضلِ
ثم وليـــه ولد الميسّرِ … أعنى سناء الملك ربّ الفخـــرِ

(١) فى الأصل : « ذكر » ، وما أثبته من رفع الإصر ؛ وهو أحمد بن أبى محمد بن زكريا .
(٢) ط : « المعرى » ، صوابه من الأصل ورفع الإصر .
(٣) رفع الإصر : « وابن كدينة بغيرزور » .
(٤) رفع الإصر : « عاد وولى وهو خيرحاكم » .

ثم أبو الفخر ونجـــلُ جعفرًا ثم محمّد وَلِى بلا مِـــرَا
وبعد هذا ولِى الرّعينِي ثم سنا الملك بغـير مين
وبعـده نجـل عقيلٍ لم يَزَلْ وابن حسينٍ صار حا كمَ العَمَلْ
وابن سلامة ونجل المقدسي وكان فيها ذا مَحَلٍّ أنفسِ
وابن مـكرّمٍ ونجـلُ عالِى ثم ضياء الدين ذو الإفضالِ
ثم الأعزّ وأبو الفتح وَلِى وبعـده أعيـد نجـلُ كامل
وبعد ذاك فى زمانِ الغُزِّ ذوى الفَخَار والعُلا والعزِّ
وليـه عبـدُ الملك بن عيسىَ قبـل علي ـ أعنِي الفتىَ الرئيسا
ثم ابن عصرون تَولّى الحكماَ وعاد صدر الدين وهْو الأسْمَى
والسكّرى وأبو محمّدْ قبل ابن عَيْن الدّولة المجّدْ
ثم تولّى يوسف السّنجارِى وجاء عزّ الدين فى الآثار
وبعده موهوبُ ـ أعنى الجزَرىّ والخُوَنجى ثم العماد الحموِىّ
ثم أعيد يوسف السِّنجارِى ثم تلاهُ التّاج ذو الفخار
وولِى البرهانُ أعنى الخِضْرا وعاد تاجُ الدِّين فيما غَبرا
ثم ولِى الأحكام محيِى الدِّينِ وابن رزين ذو الحِجى الرّزينِ
وبعد عزله تولاه عُمَرْ أعنى العلامىّ وبالعدْل أمرْ [(١)]
ثم أعيد ابن رزينٍ فحَـكَمْ من بعْدصدر الدّينعدلًا فىالأمم
ثم الوجيـهُ البهنسىّ للقضا عُيِّن بعد ذا التّقىُّ إذْ قَضَى
وعندما استعفى لبعد القاهرَهْ عن مصره خَصَّ بهـا أوامِرَهْ
ثم الشهاب رفعوا محـــلَّهْ وأشخصوه من رُبى المحَلّهْ [(٢)]

(١) فى الأصول: « العلاق » ، وصوابه من رفع الإصر .
(٢) رفع الإصر : « واستحضروه من قضا المحلة » .

ولم يزل حتى توفاه الرّدَى ووِلِى الشام الفتى ابنُ أحمــدا
ثم وِلِى القاضى التقىّ ابنُ خَلَفْ بعد الوجيه والشهاب المنصرِفْ
وعزلوه عن قضاء القاهِرَهْ ثم وليــه سيّد السّنَاجِرَهْ
ثم وِلِى التّقى عبد الرحمنْ وبانَ بدر الدّين لمّا أنْ بان
وعادَ بدْر الدّين للشــآم ثم ولى الحكم الفتى العــلامِى
ولم يزل حتى توفّاه القضــا ثم ولى التّقى أبو الفتح القضا[1]
وإذ أتــاه نازل الحِمـــامِ عاد إليها البــدْر فى التّمَام
بدر منيرٌ كامل الأوصافِ والمنهل العذبُ المنير الصافِى[2]
لابرحتْ نافــذةً أحــكامُه وخُلِّدْت زاهرةً أيّامُــه[3]

قلت : وقد ذيّلت عليه بمن جاء بعد ذلك ، فقلت :

وبعد ذاك قد وليه الزّرعِى ثم أعيد البدرُ لمّا أنْ دُعِى
ثم ولِيه بعــــدَه القَزْوينِى وبعده ابن البدر عزّ الدّين
وبعده نجل عقيل قد وَلِى ثم أعيــد العزّ ذا تبجُّل
وبعــده وَلِى أبو البقــاء وبعده البرهانُ ذو ارْتقاء

---

(١) رفع الإصر : « الرضا » . (٢) بعده فى رَفع الإصر
قاضِى القضاةِ حاكم الحكّامِ واسطة العقُودِ فى النظامِ
(٣) بعده فى رفع الإصر :
مالاحَ بَدْرٌ كامِلُ الإبدارِ وما انجلى الهلالُ من سِرَارِ
والحمد لله على إنعــامِه وفضل ما سدّد من أحكامِه
وأفضل الصلاةِ والسّلاَمِ على النبىِّ سيّـــد الأنام
وآله وصحبـــهِ وعترتِهْ وكلّ من أخلصَ فى محبّته

وبعده البدْر هو السُّبكىُّ ثم أتى برهاننا الزكىّ
ثم أعيد البدر ذو التحقُّقِ ثم وليه النّاصر ابن الميلقِ
ثم وليه صَدْرُنا المناوى ثم أعيد البدْر ذو الفتاوِى
ثم تولّاه العماد الكَرَكى ثم أعيد الصّدر ذو التمسُّكِ
ثم أعيد البدرُ ثم الصَّدْرُ ثم الزّبيرىّ وعاد الصَّدْرُ
ثم وليه بعد ذاكَ الصالِحِى ولم يكن فى علمه بالراجِحِ
ثم وليه ولدُ البُلقينى عالم عصره جلالُ الدِّينِ
ثم أعيد الصالحىّ النائى ثم وَلِى محمد الإخنائى
وبعده عاد الجلال للقضا ثمت الاخنائىّ وهو مَنْ مَضَى
ثم الجلالُ بعده الباعونِى ثم الجلال باذل المَاعُونِ
ثم ولى الهروِىّ فالجلالِى ثم العراقىّ وهو ذُو الكمال
ثم وليه العَلَمَ البُلقينى لحافظ العَصْر شهاب الدِّين
ثم أعيد الهروى ثم استقرّْ من بعد عزله شهاب ابن حَجَرْ
ثم أعيد شيخنا فابن حَجَرْ ثم أعيد شيخنا فابنُ حَجَرْ
ثم وليه بعده القاياتى ثم أعيد حافظ السّنات
ثم أعيد شيخنا البُلْقينى ثم أتى السَّفطِى ولىّ الدِّين
ثم أعيد بعد ذاك ابن حَجَرْ ثم أعيد شيخنا ثم استقرّْ
من بعد ذاك الشرف المناوِى وشيخنا من بعد ذُو الفتاوِى
ثم أعيد بعد ذاك الشرفْ ثم أعيد شيخنا فالشَّرفْ
ثم الصلاح وهو المكِينى ثم ولِى البدر هو البُلقينى

ثم السّيوطى ولى الدين ثمّ   للشيخ أعنى زكريا الحكم عَمّ(١)

---

(١) وفى رفع الإصر: « وقد ذيل عليها بعض أصحابنا إلى عصرنا ، فسرد الشافعية على منوال ابن دانيال ، ثم سرد القضاة الثلاثة مذهبا بعد مذهب إلى عصره ، وهذا صورة ما نظم فى قضاة الشافعية : أنشدنا العز أحمد بن إبراهيم العسقلانى لنفسه مكاتبة قال :

والزّرعى والبَدْرُ والقَزوينى   والعزّ والبها وعزّ الدين
أبو البقا البرهان ثمّ البدْرُ   وعاد برهانٌ لها وبَدْرُ
وبعده ابن الميلق المناوى   والبَدْر والعماد والمناوى
وبعد هذا البَدْرُ والمناوى   ثمّ الزبيرى مع المناوى
والصالحىّ معْ جلالِ الدِّين   والصالحىّ ثم شمس الدِّين
ثم جلال الدين والإخنائى   ثم جلالُ الدِّين والإخنائى
ثم جلال الدّين ثم الشمسُ   ثمّ جلال الدين ثمّ الشمْسُ
ثمّ الجلالىّ ولىّ الدّين   والعلمىّ مع شهاب الدِّين
والهروىّ مع شهاب الدّين   والعلمىّ مع شهاب الدين
عين الوجود ثم رأس المحتَفَى   ومَنْ به منصبه تشرّفا
كمْ قلّد الأعناق منامِنَّه   مواسى القلب الضعيف منّه
وأوصل الإجداء فى الإجداب   واستعمل الإغضاء فى الإغضاب
دام علاه فى سما السعود   ما أمطرت بوارق الرعود

وسيأتى ما نظمه فى قضاة بقية المذاهب، أما المؤلف فلم يعقد فصلا لقضاة الشافعية .

ذكر قضاة الحنفية

أوّل مَنْ وَلى منهم زمن الظاهر بيبرس فى سنة ثلاث وستين وستّمائة صدرُ الدين سُليمان بن أبى العزّ .

ووَلِىَ بعده معزّ الدين النعمان بن الحسن ، إلى أن مات فى شعبان سنة اثنتين وتسعين .

ووَلىَ شمسُ الدين محمد السُّروجىّ ، ثم عزل أيّام المنصور لاجين .

وولىَ حسام الدين الحسن بن أحمد الرازىّ ، ثم عزِل سنة ثمان وتسعين .

وأعيد السّروجىّ ، ثم عزل فى ربيع الآخر سنة عشر وسبعمائة .

ووَلى شمس الدين محمد بن عثمان الحريرىّ إلى أن مات فى جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين .

وَوَلِىَ برهان الدين إبراهيم بن عبد الحق ، وقال بعض الشعراء فى ذلك :

طُوبَى لمصرَ فقد حلّ السرورُ بها ... من بعد مارُميَتْ دهراً بأحزانِ
كنانةُ اللهِ قد قام الدّليل على ... تفضيلها من نبى حقٍّ ببرهانِ

ثم عزِل فى جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين .

ووَلىَ حسام الدين الحسن بن محمد الغُورى ، ثم عزِل فى سنة اثنتين وأربعين .

ووَلى زينُ الدين عمر البِسطامىّ ، ثُمّ عزل فى جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين .

ووِلىَ علاء الدين التركمانى إلى أن مات فى المحرّم سنة خمسين .

ووَلِىَ ولده جمال الدين عبد الله إلى أن مات فى شعبان سنة تسع وستين .

وَلِى سراج الدين عمر بن إسحاق الهندىّ إلى أن مات فى رجب سنة ثلاث وسبعين

ووَلِىَ صدرُ الدين محمد بن جمال الدين التُّرْكمانى، إلى أنْ مات فى ذى القعدة سنة ست وسبعين .

ووَلِىَ نجمُ الدين أحمد بن العماد إسماعيل بن الكشك ، طُلب من دمشق فى المحرّم سنة سبع وسبعين ، ثم عزل .

ووَلِىَ صدرُ الدّين علىّ بن أبى العزّ الأذرَعىّ ، ثم استعفَى فأعفِىَ .

ووَلِىَ شرفُ الدّين أحمد بن منصور الدمشقىّ ، ثم عزَل نفسه فى سنة ثمان وسبعين .

ووَلِىَ جلالُ الدين جار الله إلى أن مات فى رجب سنة اثنتين وثمانين .

ووَلِىَ صدرُ الدّين محمد بن علىّ بن منصور إلى أن مات فى ربيع الأوّل سنة ست وثمانين .

ووَلِىَ شمسُ الدّين محمد بن أحمد الطرابُلُسِىّ ، ثمّ عزَلَ نفسَه سنة اثنتين وتسعين .

ووَلِىَ مجدُ الدين إسماعيل بن إبراهيم الكنانىّ ، ثم عزِل فى شعبان سنة اثنتين وتسعين .

ووَلِى جمالُ الدين محمود القَيْصرىّ إلى أن مات فى ربيع الأوّل سنة تسع وتسعين .

وأعيد الطرابلسىّ إلى أن مات فى آخر السنة .

وولى جمالُ الدين يوسف بن موسى المَلْطِىّ، طلِب من حلب فى ربيع الآخر سنة ثمانمائة ، فأقام إلى أن مات فى ربيع الآخر سنة ثلاث .

ووَلِى أمينُ الدين عبد الوهاب بن قاضى القضاة شمس الدين الطّرابلُسىّ ، ثم عُزِل فى رجب سنة خمس .

ووَلِىَ كمالُ الدِّين عمر بن العديم إلى أن مات فى جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة.

ووَلى ابنُه ناصر الدين محمد ، ثم عُزِل فى رجب من السنة .

وأعيد الأمين بن الطرابلُسى ، ثم عزل فى المحرّم سنة اثنتى عشرة .

وأعيد ناصر الدين بن العديم ، ثمّ عُزِل فى سنة خمس عشرة .

ووَلِىَ صدرُ الدين على بن الأدَمىّ إلى أن مات فى رمضان سنة ست عشرة .

وأعيد ابنُ العَديم إلى أن مات فى ربيع الآخر سنة تسع عشرة .

ووَلِىَ شمسُ الدين الدَّيرىّ ، طُلِب من القدس ، ثم عُزِل فى ذى القعدة سنة اثنتين وعشرين .

ووَلِىَ زينُ عبد الرحمن بن على التَّفِهْنِىّ ، ثم عُزِل فى ربيع الآخر سنة تسع وعشرين

ووَلِى بدرُ الدين العينىّ ، ثم عزل فى صفر سنة ثلاث وثلاثين .

وأعيد التّفِهْنىّ ، ثم عُزِل فى جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين .

وأعيد العَيْنىّ ، ثم عُزِل فى سنة اثنتين وأربعين .

ووَلِى سعد الدين بن الديْرىّ ، فأقام إلى أن عُزِل قبل موته بيسير فى شوّال سنة ست وستين .

ووَلِى محبّ الدين بن الشّحنة ، ثم عُزِل فى رجب سنة سبع وستين .

ووَلِىَ بدرُ الدين بن الصوّاف الحموىّ إلى أن مات آخر العام ، وأعيد ابنُ الشّحنة ، ثم عزل فى جمادى الآخرة سنة سبعين .

ولِىَ البرهانُ ابن الدَّيرىّ ، ثم عزل .

وأعيد ابنُ الشِّحنة فى أول سنة إحدى وسبعين ، ثم عُزِل فى سنة ست وسبعين .

ووَلِىَ شمسُ الدين محمد بن الحسن الأمشاطىّ ، إلى أن مات فى رمضان سنة خمس وثمانين .

ووَلِيَ شرفُ الدين موسى بن عيد ، طُلِب من دمشق ، فأقام دون الشّهرين ،وما[ت]
من واقِع وقع عليه من الزّلزلة بالمدرسة الصالحيّة فى الحرّم سنة ست وثمانين .

ووَلِيَ شمسُ الدين محمد بن المغربىّ ، ثم عُزل فى رمضان سنة إحدى وتسعين .

ووَلِيَ القاضى ناصر الدين الإخميمىّ (١) .

---

(١) وفى قضاة الحنفيـة نظم أحمـد بن إبراهيم العسقلانى هذه الأرجوزة ، ونقلها ابن حجر فى رفع الإصر ١ : ١٧ :

وابن أبى العزّ معزّ الدّينِ   ثم السّروجىّ حسـام الدين
ثم السّروجى مع الحريرىّ   ثم ابن عبد الحق ثمّ الغورى
والزين والعلا جمال الدينِ   كذلك الهندىّ صدر الدّين
والنجم والصدر كذا ابن منصورِ   والجارُ والصدر هو ابن منصور
والشمس والمجدُ كذاك العجمى   والشمس ثم المَلَطى فاعـلِم
ثمّ أمين الدين والعديمى   ونجله الأمين والعديمى
والآدمى وابن العديمِ يَقتفى   عينيهم ، والسعد بعـــده أتَى

ذكر قضاة المالكية

أوّل من وَلِىَ منهم زمَن الظّاهر شرفُ الدين عمر بن السّبكىّ ، إلى أن مات سنة سبع وستين وستمائة .

وولِىَ بعده نفيس الدّين بن شكر إلى أن مات سنة ثمانين وستمائة .

ووَلِىَ تقىّ الدين بن شاس، إلى أن مات فى ذى الحجة سنة خمس وثمانين .

ووَلِىَ زينُ الدين بن مخلوف النُّويرىّ إلى أن مات سنة خمس وسبعمائة .

ووَلِىَ نورُ الدّين علىّ بن عبد النصّير السخاوىّ، إلى أن مات فى جمادى الأولى سنة ستّ وخمسين .

ووَلِىَ تقىّ الدين محمد بن أحمد بن شاس، إلى أن مات فى شوّال سنة ستين وسبعمائة .

ووَلِىَ تاجُ الدّين محمد بن القاضى علم الدّين محمد بن أبى بكر بن الأخنائىّ إلى أن مات فى أوّل سنة ثلاث وستين .

ووَلِىَ أخوهُ برْهان الدين إبراهيم ، إلى أنْ مات فى رجَب سنة سبع وسبعين .

وولىَ ابنُ أخيه بدر الدين عبد الوهاب بن الكمال أحمد ، ثم صُرِف فى ذى القعدة سنة ثمان وسبعين .

ووَلِىَ علمُ الدّين سليمان بن خالد البساطىّ، ثم عُزِل فى صفر سنة تسع وسبعين .

وأعيد البدْر الإخنائىّ ، ثم صرف فى رجب من السنة .

وأعيد البِساطىّ فى سنة ثلاث وثمانين.

ووليَ جمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن خير السكندرىّ ، وقال بعضهم فى ذلك :

قالوا تولىّ ابن خيرٍ فقيهُ ثَغْر الرّباطِ
فقلت : ذا فيض خيرٍ من بعد خير البِسَاطِ

ثم عزل فى جمادى الآخرة سنة ست وثمانين.

وولى عبد الرحمن بن خلدون ، ثم عُزِل فى جُمادى الآخرة سنة سبع وثمانين .

وأعيد ابن خيرٍ إلى أن مات سنة إحدى وتسعين .

ووَلِىَ تاجُ الدين محمد بن يوسف الكَرَكىّ ، إلى أن مات فى شوال سنة ثلاث وتسعين .

ووَلِى شهاب الدين النَّحريرىّ ، ثم عُزِل فى ذى الحجة من السنة .

ووَلِىَ ناصر الدين أحمد بن محمد بن التَّنَسِىّ ، إلى أن مات فى رمضان سنة إحدى وثمانمائة .

ووَلِىَ ولىّ الدين بن خلدون، ثم عُزِل فى المحرّم سنة ثلاث.

ووَلِىَ نورُ الدّين على بن الخلاّل إلى أن مات من عامه .

ووَلِىَ جمال الدّين عبد الله الأَقْفَهسىّ ، ثم عزل بعد شهر .

وأعيد ابن خلدون، ثم عزل فى شعبان سنة أربع.

ووَلِىَ جمال الدين يوسف البِساطىّ ، ثم صُرف فى ذى الحجة من السنة .

وأعيد ابن خلدون، ثم صُرِف فى ربيع الأول سنة ست.

وأعيد البِساطىّ ، ثم صُرِف فى رجب سنة سبع.

وأعيد ابن خلدون ، ثم صرف فى ذى القعدة من عامه .

وأعيد الجمال الأَقْفَهسىّ .

ثم ولِى جمال الدين عبد الله بن القاضى ناصر الدين التَّنَسِىّ فى مستهلّ ربيع الأول سنة ثمان ، ثم عُزِل بعد يومين .

وأعيد البِساطىّ ، ثمّ صرف فى رمضان من عامه .

وأعيد ابن خلدون، ثم لم يلبث أن مات فيه.

وأعيد جمال الدين التنسىّ ، ثم صُرِف فى سادس عشر شوال .

وأعيد البساطىّ ، ثم صرف فى شوال سنة اثنتى عشرة .

ووَلِىَ شمسُ الدين محمد بن على المدنىّ ثم صُرِف فى ربيع الآخر سنة ست عشرة .

وولى شهاب الدين الأموىّ ، ثم أعيد الجمال الأقفهسىّ إلى أن مات فى جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين .

ووَلِىَ العلامة شمس الدين البِساطىّ ، فأقام إلى أن مات فى رمضان سنة اثنتين وأربعين .

ووَلِىَ بدر الدين بن القاضى ناصر الدين التَّنَسِىّ إلى أن مات فى صفر سنة ثلاث وخمسين .

ووَلِىَ وَلِىّ الدين السنباطىّ، إلى أن مات فى رجب سنة إحدى وستين .

ووَلِىَ حسام الدين بن جرير إلى أن مات سنة ثلاث وسبعين .

ووَلِىَ أخوه سراج الدّين ثم عزل ، وولى البرهان اللّقانىّ ، ثم عزل فى جمادى سنة ست وثمانين .

وولى صاحبنا محيى الدين بن تقىّ[1] .

---

(١) ونظم أيضا أحمد بن إبراهيم العسقلانى فى قضاة المالكية ونقله ابن حجر فى رفع الإصر ١ : ١٨، ١٩ :

والحسنِى وابن شكرَ وابن شاسِ	ثم ابن شكرٍ قد تلا ابن شاسِ
ثم ابن مخلوفٍ تقى تاجُ	ثم السخاوى تلاه التــاجُ
وبعد البرهن بدرٌ وعلمْ	أعنى البِساطىّ وبدر وعلمْ
ثم ابن خلدونٍ مع ابن خيرِ	بهرام ثم العــدنى النحريرى
ثمّ ابن خلدونٍ مع البِساطى	ثم ابن خلدونٍ مع البِساطى
ثم ابن خلدون مع البساطى	والتنسى هكذا البساطى
ثم ابن خلدونٍ جمال الدينِ	ثم البِساطى ثم شمس الدينِ
ثم البِساطى المــدنىّ الأموى	ثم الجمـال والبساط المحتوى
ابن التّنسى والبساطى ولَوْهُ	وابن جرير بعده أخوه

ذكر قضاة الحنابلة

أوّل مَنْ ولِيَ منهم زمن الظاهر شمس الدين محمد بن العماد الجمّاعيلىّ ، ثم عزل سنة سبعين وستمائة ، ولم يل الوظيفة بعد عزله أحدٌ حتى توفّىَ سنة ست وسبعين .

ووَلِىَ عزّ الدين عمر بن عبدالله بن عوض فى جمادى الآخرة سنة ثمان وسبعين ، إلى أن مات سنة ست وتسعين .

ووَلِىَ شرفُ الدين عبد الغنىّ بن يحيى الحرّانى ، إلى أن مات فى ربيع الأوّل سنة تسع وسبعمائة .

ووَلِىَ الحافظ سعد الدين الحارثىّ ، ثم عزل فى ربيع الأول سنة اثنتى عشرة .

ووَلِىَ تقىّ الدين بن قاضى القضاة عزّ الدين عمر ، ثم عُزل .

ووَلِىَ موفّق الدين عبد الله بن محمد المقدسىّ فى جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين ، إلى أن مات فى المحرّم سنة تسع وستين .

ووَلِىَ ناصرُ الدين نصر الله بن أحمد العسقلانىّ ، إلى أن مات فى شعبان سنة خمس وتسعين .

ووَلِىَ ابنه برهان الدين إبراهيم ، إلى أن مات فى ربيع الأول سنة اثنتين وثمانمائة .

ووَلِىَ أخوه موفّق الدين أحمد بن نصر الله ، ثم صرف .

ووَلِىَ نُور الدين على الحكْرِىّ [1] ، ثم صُرِف .

وأعيد موفّق الدين إلى أن مات فى رمضان سنة ثلاث وثمانمائة .

ووَلِىَ مجدُ الدين سالم ثم صرف فى سنة ثمانى عشرة .

ووَلِىَ علاء الدين على بن مُغلى، إلى أن مات فى صفر سنة ثمان وعشرين .

---

(١) فى الأصول : « السكرىّ » ، وما أثبته من النجوم الزاهرة ٧ : ١٣٥ .

ووَلِىَ محبّ الدين أحمد بن نصر الله البغدادىّ ، ثم صرف فى جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين .

ووَلى عزّ الدين عبد العزيز بن على البغدادىّ، ثم صُرِف فى سنة إحدى وثلاثين .

وأعيد محب الدين إلى أن مات فى جمادى الأولى سنة أربع وأربعين .

ووَلِىَ بدرُ الدّين محمد بن عبد المنعم البغدادىّ ، إلى أن مات فى جمادى الأولى سنة سبع وخمسين .

ووَلى شيخُنا عزّ الدين أحمدُ بن قاضى القضاة برهان الدين بن قاضى القضاة نصر الله إلى أن مات فى سنة ست وسبعين .

ووَلِىَ تلميذه البدر السعدىّ [1] .

---

(١) وفى قضاة الحنابلة نظم أيضا أحمد بن إبراهيم العسقلانى ، هذا الرجز ، ونقله ابن حجر فى رفع الإصر ١ : ٢٠ :

وابن العماد قد تلاه ابن عوَضْ   عبد الغنى والحارثى وابن عِوَضْ

ثمّ موفّق الدّين تلاه النـاصِرُ   ثمّ ابنـه ، ثم أخوه الآخر

وبعـده الحكرى والموفّقُ   وسالم ثم ابن فعاله يلحقُ

ثمّ محبّ ثم عز والمحبُّ   والبـدر والنـاظم نال مايحبّ

ذكر وزراء مصر

اعلم أنّ الوزارة وظيفة قديمة كانت للملوك من قبل الإسلام ؛ بل من قبل الطُّوفان، وكانت للأنبياء ؛ فما من نبيٍّ إلا وله وزير ، قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : ﴿ وَٱجْعَلْ لِي وزيراً من أهلي * هارونَ أخي * اشدُدْ به أزْرِي * وأشرِكْهُ في أمرِي ﴾، وقال تعالى مخاطبا له : ﴿ سنشدّ عَضُدَكَ بأخيكَ ونجْعَلُ لكما سلطاناً ﴾ .

وكان للنبي صلى الله عليه وسلم أربعة وزراء : روى البزّار والطّبرانيّ في الكبير عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ الله أيّدني بأربعة وزراء اثنين من أهل السماء : جبريل وميكائيل ، واثنين من أهل الأرض : أبي بكر وعمر » .

وقد وردت الأحاديث في وزراء الملوك ، روى أبو داود عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزيرَ صِدْقٍ ؛ إن نَسِيَ ذَكّرهُ ، وإن ذكر أعانه ، وإذا أراد الله به غيرَ ذلك جعل له وزير سوء ؛ إن نسي لم يذكّرهْ ، وإن ذكر لم يُعِنْه » .

ولم تكن الوزارة في صدر الإسلام إلا للخلفاء دون أمراء البلاد ، فكان وزير أبي بكر الصديق عمر بن الخطاب ، ووزير عمر ووزير عثمان مروان بن الحكم ؛ ذكره ابن كثير في تاريخه .

ووزير عبد الملك رَوْح بن زِنْباع ، ووزير سليمان بن عبد الملك عمر بن عبدالعزيز.

قال ابن كثير : وكان رجاء بن حَيْوة وزيرَ صِدْقٍ لخلفاء بني أميّة . ووزير هشام ابن عبد الملك فمَنْ بعده عبد الحميد بن يحيى ؛ غير أنّه لم يكن أحد في عهدهم يلقّب بالوزير ، ولا يخاطَب بوصف الوزارة .

(حسن المحاضرة ٢/١٣)

وأوّل مَنْ لقب الوزير فى الإسلام أبو سلمة حفص بن سليمان الخلّال وزير الخليفة السّفاح، أوّل خلفاء بنى العباس .

وقال ابن فضل الله فى المسالك : لم تكن للوزارة رُتْبة تعرَف مدّة بنى أميّة وصدراً من دولة السّفّاح ، بل كان كلّ مَنْ أعان الخلفاء على أمرهم ، يقال له : فلان وزير فلان : بمعنى أنّه موازِر له ، لا أنّه متولّى رتبة خاصة يجرى لها قوانين ، وتنتظم بها دواوين .

وأوّل مَنْ فَخَّم قواعد الملك فى هذه الأمّة ، وعظّم عوائد السلطان عبدُ الملك بن مروان ؛ إذ لم يستتبّ الأمر لأحدٍ بعد عثمان بن عفّان كما استتبّ له ، وكان منه إلى معاوية خَبْط عشواء ، وأمّا معاوية فعمرو بن العاص ، وإن كان له وزراً ورداء ، فإنه أجلّ قدرا وأعظم أمرا من أنه يجرى معه مجرى الوزراء ، إذ كان لا يزال كالممتنّ عليه لانحيازه إلى جَمْعه مع مايُمكنه [١] له فى شرفه ... وسابقته [٢] فى الإسلام .

وأوّل من دُعى بالوزير فى دولة السّفاح أبوسلمة حفص سليمان الخلال ؛ وكان يقال له وزير آل محمد ؛ ثم إن أبامسلم الخراسانىّ بعث إليه مَنْ قتله، وفيه قيل هذا البيت :

إنّ الوزير وزير آل محمّدٍ أودَى فمن يشناكَ كان وزيرَا

وَوَزر للسفّاح بعده أبو الجهم بن عطيّة ، وخالد بن برمك ، وسليمان بن مَخْلد ، والربيع بن يونس .

ووزَر للمنصور أبو أيّوب المُوريانىّ وعبد الجبار بن عبد الرحمن والرّبيع بن يونس ، وخالد بن برمك ،وسليمان بن مخلَد ،وعبدالحميد [٣] .

وَوَزر للمهدىّ معاوية بن عبد الله الطبرىّ ، ويعقوب بن داود بن طهمان ، والفيض بن صالح .

---

(١) ط : « تمكنه » . (٢) كذا فى الأصل بعد بياض ، وفى ح ، ط : « وما أبقاه » .
(٣) كذا فى الأصول .

ووزر للهادى الربيع بن يونس ، والفضل بن الربيع ، وإبراهيم بن ذكوان .

فلمّا استخلف الرّشيد ولّى الوزارة يحيى بن خالد البرمكىّ ، وقال له : فوّضتُ إليك[1] أمر الرعيّة ، وخلعت ذلك من عنقى ، وجعلته فى عنقك ، فولّ من شئت ، واعزل من شئت : وقال إبراهيم الموصلى فى ذلك :

ألم ترَ أنّ الشمسَ كانت سقيمةً   فلمّا ولِى هارونُ أشرق نورُها

تبسّمت الدّنيا جمالاً بمُلْكِه   فهارون واليها ويحيَى وزيرُها

ومن هذا الوقت عظُم أمر الوزارة ، ولم تكن قبل ذلك بهذه المثابة : وهى عن الخلافة فى معنى السلطنة عن الخلافة الآن ؛ وكانت البرامكة كلّهم فى معنى الوزراء للرشيد خالد بن برمك ، وأولاده يحيى والفضل وجعفر : حتى قال سَلْم الخاسر :

إذا ما البرمكى غدا ابنَ عشرٍ   فهمّتهُ أميرٌ أو وزيرُ

ثم لما قتَل الرشيد البرامكة ، استوزر الفضل بن الربيع بن يونس ، وفى ذلك يقول أبو نواس :

مَارَعَى الدّهرُ آل برمكَ لمّا   أن رمى ملكهمْ بأمرٍ فظيعِ

إنّ دهرا لم يرع عهداً ليحيَى   غيرُ راعٍ ذمَام آل الربيع

ووزَر للأمين الفضل أيضا .

ووزَر للمأمون الفضل بن سهل ذو الرياستين ، وأخوه الحسن بن سهل ، وأحمد ابن أبى خالد ، وعمرو بن مسعدة .

ووزَر المعتصم الفضلُ بن مروان ، وأحمد بن عمّار ، ومحمد بن عبد الملك الزيات .

ووزَر للواثق محمّد بن عبد الملك الزيات .

---

(١) ح : « لك » .

ووَزَر للمتوكل محمد بن عبد الملك أيضا ، والفتح بن خاقان ، ومحمد بن الفضل الخراسانىّ ، وعبيدالله بن يحيى بن خاقان .

ووَزَر للمنتصر أحمد بن الخصيب .

ووزر للمستعين ابنُ الخصيب ، وسعيد بن حميد .

ووَزَر للمعتزّ جعفر الإسكاف وعيسى بن فرّوخ شاه وأحمد بن إسرائيل . ووَزَر للمهتدى .

ووزر للمعتمد عُبيد الله بن يحيى بن خاقان والحسن بن مخلدوسليمان ابن وهب وابنُه عبيد الله بن سليمان وإسماعيل بن بلبل .

قال محمّدبن عبدالملك الهمدانىّ فى كتاب عنوان السِّيَر : وزَر للمعتضد أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب ، ثم ابنه أبو الحسين القاسم ، وهو أوّل وزير لقب فى الدولة ، فإن المعتضد لقّبه ولى الدولة ، وتوفِّىَ فى زمن المكتفى ، فوزر له أبو أحمد العباس بن الحسن بن أحمد بن أيوب ، وهو أول وزيرمنع أصحاب الدواوين من الوصول إلى الخليفة .

ووَزَر للمقتدر أبو الحسن علىّ بن محمد بن الفرات ثلاث مرات ، وأبو علىّ محمد ابن الوزير أبى الحسن عبيد الله بن خاقان ، وأبو الحسن علىّ بن عيسى بن داود بن الجراح مرتين . قال الصولىّ : ولا أعلمُ أنه وزر لبنى العباس وزير يشبهه فى زُهده وعفته وتعبّده ،كان يصوم نهارَه ، ويقوم ليله ، وكان يسمّى الوزير الصالح[1] .

وقال الذهبىّ فى العبر : كان فى الوزراء كعمر بن عبد العزيز فى الخلفاء . وأبو محمد حامد بن العباس ، وكان له أربعمائة مملوك يحملون السلاح ، ولكلّ منهم عدّة مماليك ،

---

(١) نقله ابن الطقطقى فى الفخرى ٢٣٦ ، والعبارة هناك : « وما أعلم أنه وزر لبنى العباس وزير يشبه علىّ بن عيسى فى زهده وعفته وحفظه للقرآن وعلمه بمعانيه وكتابته وحسابه وصدقاته ومبراته » .

(٢) العبر ٢ : ٢٣٨

وكان يخدُمه على بابه ألف وسبعمائة راجل وعشرون حاجبا ، يجرى مجرى الأمراء[١] .

وأبو العباس أحمد بن عبيد الله ابن الوزير أبي العباس بن الخصيب ، وأبو على محمد بن أبي العباس بن مقلة صاحب الخط المنسوب ، ولمّا خُلِع عليه بالوزارة قال نِفطويه النحويّ :

إذا أبصرت فى خلع وزيراً فقل أبشر بقاصمةِ الظّهور

بأيام طوالٍ فى بــــلاء وأيّامٍ قصـــارٍ فى سرورِ

وأبو علىّ الحسين بن الوزير أبي الحسين القاسم بن الوزير عبيد الله ، ولقّب عميد الدولة ، وأبو القاسم سليمان بن الوزير ، وأبو محمد الحسن بن مخلد بن الجرّاح وأبو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن الفُرات المعروف بابن حِنْزابة ، هؤلاء وزراء المقتدر .

ووزَر للقاهر أبو علىّ بن مقلة ، وأبو العباس بن الخصيب ، وأبو جعفر محمد بن الوزير القاسم بن الوزير عبيد الله .

ووزَر للرّاضى أبو علىّ بن مقلة وابنه علىّ أبو الحسين شريكاً مع أبيه ؛ فكانت الكتب يُكتب عليها : « من أبى علىّ وعلىّ بن أبى علىّ » . ولم يَلِ الوزارَة أصغر سنًّا من علىّ هذا ، فإنه وَلِىَ وسنّه ثمانى عشرة سنة . وأبو الفتح الفضْل بن الفرات ، وأبو علىّ

---

(١) قال فى الفخرى : « وكما عرف المقتدر قلة فهم حامد وقلة خبرته بأمور الوزارة أخرج إليه علىّ بن عيسى بن الجراح من السجن ، وضمه إليه ، وجعله كالنائب له ، فكان على بن عيسى لخبرته هو الأصل ؛ فكل ما يعقده ينعقد ، وكل ما يحله ينحل ، وكان اسم الوزارة لحامد ، وحقيقتها لعلى بن عيسى ؛ حتى قال بعض الشعراء :

قلْ لابن عيسَى قولةً يرضى بها ابنُ مجاهدِ

أنتَ الوزير وإنّما سخروا بلحية حامدِ

جعلوه عندك سُترةً لصلاح أمرٍ فاسدِ

مهما شككتَ فقلْ له كم وَاحدًا فى واحدِ

عبد الرحمن بن علىّ بن عيسى بن داود بن الجراح ، وأبو القاسم سليمان بن الجراح ، وأبو جعفر محمد بن القاسم الكرخىّ وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن يعقوب البريدىّ . وفى أيام الراضى تغلّب محمد بن رائق ، ووَلِىَ إمارة الأمراء ، وصارت الكتب تؤرّخ عن ابن رائق ، وتقدّم على الوزير ، فسقط حكم الوزارة من ذلك الوقت .

ووَزَر للمتقى علىّ بن مقلة ، وأبو القاسم سليمان بن الجرّاح ، وأبو جعفر الكرخىّ وأبوعبدالله البريدىّ ، وأبو الحسين أحمد بن محمد بن ميمون الأفطس[1] ، وأبو إسحاق محمد بن أحمد القراريطىّ الإسكافىّ وأبو العباس أحمد بن عبد الله الأصفهانىّ .

ووَزَر للمستكفى أبو الفرج محمد بن على السريرىّ . قال الهمدانىّ : وصادره تُوزون على ثلاثين ألف دينار . وانتقلت الوزارة من كتّاب الخلفاء إلى كتاب الديلم ، فلم يخاطَبْ بوزير غيرُهم ، وكتب أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازىّ للمستكفى ، وكتب أبو نصر إبراهيم بن الوزير أبى الحسن علىّ بن على بن عيسى للمطيع ، وكتب أبو الحسن علىّ بن جعفر الأصبهانى للطّائع ، وبعده أبو القاسم عيسى بن الوزير أبى الحسن علىّ بن عيسى وبعده أبو الحسن على بن عبد العزيز بن حاجب النعمان ، وخوطب برئيس الرؤساء .

وكتب أيضا للقادر ، وبعده ابنه أبو الفضل ، وبعده أبو طالب محمد بن أيوب ولقب عميد الرؤساء .

وكتب أيضا للقائم وبعده رئيس الرؤساء أبو القاسم علىّ بن أبى الفرج الحسن بن مَسْلَمة ، وخوطب وزير أمير المؤمنين ؛ وهو الذى استدعَى الغُزَّ إلى بغداد ، وأزال دولة بنى بويه .

ووَزَر بعده للقائم أبو الفتح منصور بن أحمد بن داوست الشيرازىّ ، وهو أول مَنْ خوطب بالوزير لدار الخلافة فى الدولة السّلجوقية ، ووَزَر بعده فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جَهِير الموصلىّ .

ووَزَر أيضا للمقتدى ، وبعده ولده عميد الدولة شرف الدين أبو منصور محمد ،

---

(١) ح ، ط : « الأخطس » ، وما أثبته من الأصل .

وعزل بالوزير أبى شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين ، ثم عُزِل وأعيد عميد الدولة . وقال أبو شجاع حين عُزِل :

تولّاهــا وليس له عدوٌّ وفارَقها وليسَ له صديقُ

ووزَر للمستظهر عميد الدولة ، وسديد الملك أبو المعالى الفضـل بن عبد الرزاق الأصبهانىّ ، وأخو عميد الدولة زعيم الرؤساء أبو القاسم علىّ بن محمد بن جَهِـير ، وأبو المعالى هبة الله بن محمد بن علىّ بن المطلب ، ونظـام الدين أبو منصور الحسين ابن أبى شجاع .

ووزَر للمسترشِد ابنه عضُد الدولة أبو شجاع ، وسنّه تسع عشرة سنة وستة أشهر ، ولم يل الوزارةَ أصغرُ منه ، وأبو نصر أحمد بن نظام الملك ، وعميد الدولة جلال الدين أبو علىّ الحسن بن صَدقة ، وشرف الدين صَدر الإسلام أبو شروان بن خالد القاسانىّ ؛ وهو الذى كلّف الحريرى تصنيف المقامات ، وشرف الدين يمين الدلة أبو القاسم علىّ ابن طراد الزينبىّ العباسى ؛ قال الهمــدانىّ : ولم يِل الوزارة عباسِىّ سواه ، ولقّب معزّ الإســلام عضد الإمام صدر الشرق والغرب وكذا قال ابن كثير : لا يعرَف أحــد من العباسيين باشرَ الوزارة غيره .

وأمّا الراشد فلم يرتّب لهوزير مراقبة للعسكرىّ ، وكان المتولى لأمره[1] ناصح الدولة بهاء الدين أبو عبد الله الحسين بن جهير أستاذ الدار إذ ذاك ، وجلس للمظالم فى بيت التوبة جلوس الوزراء ووزر له بالمعسكر جلال الدين بن نوشروان ، وما تمّت وزارته ، ووزَر له جلال الدين أبو الراضى بن صدقة .

ووزَر للمقتفى شرف الدين الزينبىّ ، ونظام الدين أبو نصر المظفّر بن الزعيم علىّ بن جهير ، وعون الدين أبو المظفر يحيى بن هبيرة ، وهو مصنّف كتاب الإفصاح ، وكان من خيار الوزراء وعلمـائهم ، وكان يبالغ فى إقامة الدولة العباسيّة وحسم مادة الملوك

(١) ح : « أمره » .

السلجوقية عنهم بكلّ ممكن ، حتى استقرّت الخلافة بالعِراق كلّه ، ليس للملوك معهم حكم بالـكلية ، ولله الحمد .

ووزَر للمستنجد بن هبيرة المذكور إلى أن مات سنة ستين وخمسمائة ، فوزر بعـده شرف الدّين أبو جعفر ابن البلدىّ ، ولقّب جلال الدين معزّ الدولة .

ووزَر للمستضىء عضُد الدولة رئيس الرؤساء محمد بن عبـد الله بن المظفّر ، وقيماز المستنجدىّ ، وعضد الدولةبن رئيس الرؤساء بن المسلّمة .

ووزَر للناصر أبو المظفر جلال الدين عبـد الله بن يونس الحنبلىّ ، ومؤيد الدين أبو الفضل محمـد بن على بن القصّاب ، وعز الدين أبو المعالى سعيد بن على بن حديدة الأنصارىّ ، ونصير الدين ناصر بن مهدىّ العلوىّ ، ومؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الـكريم القمّى .

ووزر للظاهر القمىّ هذا .

ووزَر للمستنصر القمىّ أيضا ، وشمس الدين أبو الأزهر أحمد بن محمد بن الناقد ، ونصير الدين العلقمىّ .

ووزَر للمستعصم نصير الدين محمد بن الناقد إلى أن مات سنة اثنتين وأربعين وستمائة. فلما مات استوزر مؤيد الدين أبا طالب محمد بن أحمـد بن العلقمىّ ، وهو الوزير المشئوم على الخليفة ، وعلى بقية بنى العباس ، وعلى سائر المسلمين وعلى نفسه أيضا ؛ فإنه الذى مالأ التّتار ، حتى قدموا وأخذوا بغداد ، وقتلوا الخليفة ، وجرى ماجرى ، وقال فيه بعضهم :

يافرقة الإسلام نُوحوا واندُبوا   أسفًا على ماحلّ بالمستعصِم
دَسْتُ الوزارة كانَ قبل زمانهِ   لابن الفرات فصار لابن العلْقمِى

وقال ابن فضل الله فى ترجمته : وزيرٌ وليته ماوزَر ، وارتفع رأسه وليته رُضَّ بالحجَر ، كَمَن كمون الأرقم ، وسقى النّاس من كأسه العلقم .

***

وأما مصر فكانت إمْرة بلا وزارة إلى أيام السلطان أحمد بن طولون ، فعظُم أمرها ، ووزَر لخمارويه أبو بكر محمد بن رستم الماذرائىّ الكاتب .

ووزَر لكافور الأخشيدىّ أبو الفضل جعفر بن الفرات المعروف بابن حِنْزابه .

ووزَر للمعزّ جوهر القائد .

وللعزيز أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلّس ، وكان يهوديًّا فأسلم ، وفوّض إليه الأمور فى سائر مملكته ، قال ابن زولاق : هو أوّل مَنْ وزَر للدولة العُبيدية بالديار المصرية ، وكان من جملة كتّاب كافور ، فلما مات حزن عليه العزيز حزنا شديدًا ، وأغلق الديوان أياما من أجله ، وكانت وفاته سنة ثمانين وثلثمائة .

ووزَر بعده نصرانىّ يقال له عيسى بن نسطورس ، ثم قُبض عليه .

ووزَر للظاهر أبو القاسم على بن أحمد الجرجرائىّ فى سنة ثمانى عشرة وأربعمائة إلى أن مات فى زمن المستنصر سنة ست وثلاثين ، فوزر بعده أبو نصر صدقة بن يوسف الفلاّحىّ ، وكان يهوديًّا فأسلم ، وفيه يقول الحسن بن خاقان الشاعر المصرىّ :

حِجابٌ وإعجابٌ وفرطُ تصلّفٍ ... ومدّ يدٍ نحو العلا بتكلّف

فلو كان هذا من وراء كفاية ... عذَرنا ولكن من وراء تخلف

وكان معه أبو سعد التُّستَرىّ اليهودى يدبر الدوله له ، فقال بعض الشعراء :

يهودُ هذا الزمان قد بلَغُوا ... غاية آمالهمْ وقد ملَكُوا

العزُّ فيهم والمال عندهمُ ... ومنهم المستشار والملِكُ

يا أهلَ مصرٍ إنى نصحتُ لكمْ ... تهوّدوا قد تهود الفَلَكُ

ثم عزل الفلاحىّ سنة تسع وثلاثين : ووزّر بعده أبو البركات الحسين بن محمد بن أحمد الجرجرائىّ ابن أخى الوزير صفىّ الدين ، ثم صرف فى شوال سنة إحدى وأربعين .

ووزر القاضى أبو محمد الحسن بن على البازورىّ مضافا لقضاء القضاة ، ولقّب الناصر للدين ، غياث المسلمين الوزير الأجل المكين سيّد الرؤساء تاج الأصفياء قاضى القضاة ، وداعى الدعاة ، وفى أيامه سأله المستنصر أن يكتب اسمه معه على السّكة ، فكان ينقش عليها :

ضربت فى دولة آل الهدى   من آل طه وآل ياسين

مستنصرٌ بالله جل اسمه   وعبده الناصر للدين

« سنة كذا » ، وطبعت عليها الدنانير نحو شهر ، فأمر المستنصر ألّا تسطر فى السير .

ثم عزل البازورىّ ، عن الوزارة والقضاء فى المحرم سنة خمسين .

ووزر أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلىّ ، ثم صرف فى ربيع الأول من السنة .

ووزّر أبو الفرج محمد بن جعفر المغربىّ ، ثم صرف فى رمضان سنة اثنتين وخمسين .

وأعيد البابلىّ ، ثم صُرف فى المحرم سنة ثلاث وخمسين .

ووزّر أبو الفضل عبد الله بن يحيى بن المدبر ثمّ صرف فى رمضان .

ووزّر أبو محمد عبد الكريم بن عبد الحاكم أخو قاضى القضاة إلى أن مات فى المحرّم سنة أربع وخمسين .

ووزّر أخوه أبو علىّ أحمد مصروفا عن القضاء ، ثم صُرف فى شوّال ، وأعيد أبو الفرج البابلىّ ، ثم صرف فى المحرّم سنة خمس وخمسين .

وأعيد أبو علىّ أحمد بن عبد الحاكم ، مضافا للقضاء ، ثم صُرف فى صفر ، وأعيد أبو الفضل بن المدبّر ، فمات فى جمادى الأولى من السنة .

ووزّر أبو غالب عبد الظاهر بن الفضل بن الموفّق المعروف بابن العجمى ، ثم صُرف فى شعبان .

ووزَر الحسن بن مجلّى بن أسد بن أبى كدينة مضافا للقضاء ، ثم صرف فى ذى الحجة .

ووَزَر أحمد بن عبد الحاكم مضافًا للقضاء ، ثم صُرِف فى المحرّم سنة ست وخمسين .

ووزَر أبو المكارم المشرف بن أسعد بن عقيل ، ثم صرِف فى ربيع الآخر .

وأعيد أبو غالب عبد الظاهر ، ثم صرِف فى رجب .

ووزَر أبو البركات الحسين بن عماد الدولة بجرجراى ، ثم صُرِف فى رمضان وأعيد الحسن بن مجلّى ، ثم صرِف فى ذى الحجة .

ووزَر أبو علىّ الحسن بن أبى سعد إبراهيم بن سهل التُّستَرىّ ، ثم صرف .

ووزَر محمد بن جعفر المغربىّ ثم صُرِف .

ووزَر جلال الملك ثم صُرِف .

ووزَر خطير الملك بن الوزير البازورىّ ، ثم صرِف وأعيد ابن أبى كدينة ، ثم صرِف فى سنة ست وستين .

وولى الوزارة التُّستَرىّ ، ثم صرِف فى نصف المحرم سنة سبع وخمسين .

ووزَر أبو شجاع محمد بن الأشرف أبو غالب محمد بن علىّ بن خلف ، ثم صُرِف ثانى يومه عنها ، وأعيد ابن أبى كدينة ، ثم صُرِف بعد أربعة أيام .

وأعيد أبو شجاع بن الأشرف ، ثم صرِف فى نصف ربيع الأول .

ووزَر سديد الدولة أبو القاسم هبة الله بن محمد الرحبىّ ، ثم صُرِف فى ربيع الآخر .

وأعيد ابن أبى كدينة ، ثم صُرِف فى رجب .

وأعيد أبو المكارم المشرف ابن أسعد ، ثم صُرِف فى شوال .

ووزر الأمير أبو الحسن على بن الأنبارىّ ، ثم صرف فى ذى الحجة .

وأعيد سديد الدولة هبة الله ، ثم صُرِف فى ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين .

ووَزَر جلال الملك أحمد بن عبد الكريم مضافاً للقضاء ، ثم صُرِف بعد أيام

ووَزَر أبو الحسن بن طاهر بن وزير ، ثم صُرِف بعد أيام .

ووَزَر أبو عبد الله محمد بن أبى حامد التنيسى يوماً واحدا ، ثم صُرِف .

ووَزَر أبو سعد منصور بن زنبور ثم هرب بعد أيام .

ووَزَر أبو العلاء عبد الغنى بن نصر بن سعيد ، ثم صُرِف بعد أيام .

وأعيد ابن أبى كدينة .

ووَلِىَ الوزارة أمير الجيوش بدر بن عبد الله الجمالى ، وإليه تنسب قيسارية أمير الجيوش ، والعامة يقولون « مرجوش » ، وهو بانى الجامع الّذى بثغر الإسكندرية بسوق العطارين ، فأقام إلى أن مات سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، فقام فى الوزارة ولدُه الأفضل أبو القاسم شاهنشاه ، فوزّر للمستنصر بقيّة أيّامه وللمستعلى وصدراً من ولاية الآمر ، ثم إنه قتل ، ضربه فداوى وهو راكب ، وذلك فى رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة. قال ابن خلكان : وترك من الأموال مايفوق العدّ من ذلك من الذهب العَين ستّمائة ألف ألف دينار ، ومن الفضة مائتين وخمسين أردبا ، وسبعين ألف ثوب ديباج أطلس ، ودواة ذهب فيها جوهر باثنى عشر ألف دينار ، وخمسمائة صندوق للبس بدنه ، وصندوقان كبيران فيهما إبر ذهب برسْم النساء ، ومن سائر الأنواع مالا يَعلم قدره إلا الله .

وقام فى الوزارة مكانه أبو عبدالله محمد بن مختار بن بابك البطائحىّ ، ولقّب المأمون ، وهو بانى الجامع الأقمر ، وله صنّف الإمام أبو بكر الطرطوشى كتاب سراج الملوك ، ثم قبَض عليه الآمر ، وقتله فى سنة تسع عشرة .

وقام فى الوزارة أبو علىّ بن الأفضل ، ولقِّب أمير الجيوش ، فلما ولِىَ الحافظ استحوذ الوزير على الأمور دونه ، وحصر الحافظ فى موضع لايدخل عليه إلا من يريده ، ونقل الأموال من القصر إلى داره ، ولم يبق للحافظ سوى الاسم فقط ، ودعَا لنفسه على المنابر

بناصر أيام الحق ، هادى العصاة إلى اتباع الحق ، مولى الأمم ، ومالك فضيلتى السيف والقلم . وخطب للمهدى المنتظر آخر الزمان ، فلم يزل كذلك إلى أن قُتل فى العشرين من المحرّم سنة خمس وعشرين ، قتله مملوك أفرنجىّ للحافظ بأمره .

واستوزر بعده مملوكه أبا الفتح يانس الحافظىّ ، ولقّب أمير الجيوش أيضا ، ثم تخيل منه الحافظ ، فدسّ عليه من سمّمه فى ماء الاستنجاء ، فمات .

واستوزر بعده ابنه الحسن — أعنى ابن الحافظ الخليفة — وكان ولىّ عهد أبيه ، فأقام ثلاثة أعوام ، يظلم ظلما فاحشا ؛ حتى إنه قتل فى ليلة أربعين أميرا ، فخافه أبوه ، فدسّ عليه مَنْ سمّه ، فهلك فى سنة تسع وعشرين .

ثم استوزر بهرام الأرمنى النصرانىّ ، ولقّب تاج الدولة ، فتمكّن فى البلاد ، وأساء السيرة ، فقبض عليه الحافظ ، وسجنه .

واستوزر بعده رضوان بن الوحشىّ ، ولقبه الملك الأفضل ، ولم يلقّب وزيرٌ بذلك قبله ، ثم وقع بينه وبين الحافظ ، فقتله سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، واستقلّ بتدبير أموره وحده من غير وزير .

فلمّا وَلِىَ الظافر سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، استوزر أبا الفتح بن فَضالة بن المغربىّ ، ولقّب أمير الجيوش ، فأحسن السيرة ، ثم قُتل سنة خمس وأربعين .

ووزر ابن سلّار ، ولقب الملك العادل ، ثم قُتل من عامه .

ووزر أبو نصر عباس الصّنهاجىّ ، فدسّ عليه الظافر مَنْ قتله فقُتِلَ هو أيضا .

فلما أقيم الفائز وزَر له طلائع بنُ رزّيك ، وتلقّب بالملك الصالح ، وهو صاحب الجامع بجوار باب زويلة ، وخلع عليه مثل الأفضل أمير الجيوش بدر الجمالى من الطّيلسان المقوّر ، وكتب له تقليد من إنشاء الموفق أبى الحجاج يوسف بن على بن الخلّال وهذه صورته :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فالحمدُ لله المنعم على الخاصين من أوليائه بسوابغ

آلائه ، والمتكفّل لمن نصره بنصره وتثبيت قدمه وإعلائه ، الممهّد لمن قام بحقّه أرفع مراتب الدنيا والآخرة ، والموضّح لمَنْ حامى عن الدولة الفاطمية آياتِ التأييد الباهرة ، والجامع القلوبَ على طاعة مَنْ أطاعه فى الدفاع عن أهل بيت نبيّه ، والمحسِن إلى من أحسن إلى مهجته غيْرة لأئمة الهدى المصطفَيْن من عترة وصيّه ، والمذلّل الصعاب لمن رفع راية الإيمان ونَشَرَها ، والميسِّر الطّلاب لمن أحيا كلمةَ التوحيد وأنشرها ، ممّن أحبَّ الله ورسوله ممّن اصطفاه من أبرار عباده ، والماحى إساءة من أعلن ببيان الحق وجهر بعباده ، والمعرض مَنْ أسعده بالسبق إلى مرضاته ، لنيل غايات المنّ الجسيم والمرتّب مَنْ جاء فى ذاته ، فى أرفع مراتب الإجلال والتفخيم ، والموجب لمن أخلص منه وأحسن عملا تعجيل مقام الفخر الكريم ، وتأجيل الخلود فى النعيم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

والحمدُ لله الّذى أوضح أنوار الحقائق بأنبيائه الهُداة ، وأبان برسله الأمناء لعباده مناهج النجاة ، وجعل العمل بمراشدهم ذريعةَ الموقنين إلى علىّ المنازل ورفيع الدرجات ، وختمهم بأفضلهم نفساً ومحتدا ، وأحقّهم بأن يكون لكفاتهم سيّدا ، محمد هادى الأنام ، والداعى إلى الإسلام ، والمخصوص بانشقاق القمر وتظليل الغمام ، وأورث أخاه وابنَ عمّه باهر شرفه وبارع علمه ، وأفرده بإمامة البشر وخَصّ ، وأقرّها فيه فى عقِبه إلى يوم القيامة بجلىّ النصّ ، فأصبحت الإمامة للملة الحنيفيّة قواما ، ولأسباب الشريعة بأسرها نظاما ، ونقل الله نورها فى أئمة الهدى من نسله فتناولها الآخر من الأوّل ، وتلقاها الأكمل عن الأكمل ، فكلّما رام معاند بخيف نورها ، أو قصد منافق إخفاء ظهورها ، زاد أنوارها إشراقا ، ووجد لبُدورها كمالاً واتّساقا ، ومكّن قواعد دولتها وإن زحزحها الغادرون ، وأحكم معاقدها وإن جهد فى حلّها الماكرون ، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون .

والحمد لله الذى حفظ بأمير المؤمنين نظام الخلافة واتّساقها ، وحمى لميامنه دوحة الإمامة وأبقى نضرتها وإبراقها ، وأورث خصائص الأئمة الراشدين فى آبائه ، وأودعه سرائر دينه المصونة فى صدور أنبيائه ، وأيّده بموارد الإرشاد والإلهام ، وجعل طاعته فرضاً مؤكّدا على كافّة الأنام، وخصّه بالتوفيق والعصمة ، وأفاض للأمّة به سجال الرحمة. وأبرم بأمانته أمر الملّة ، وأحكم معاقد الدين ، وجعله من هداته ، قال جل وعلا فيهم : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أئمة يهدُون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴾ .

يحمَده أمير المؤمنين على مانقلَه إليه من خصائص آبائه الأئمة الأطهار ، وأيّده به فى أنصار دعوته من العلوّ والاستظهار ، واتّخذه به من جنود السماء والأرض وأظهرَ له من معجزاته وآياته ، وأظهر بتزيته من مظاهر الظفر لألويته وراياته .

ونسأله أنْ يصلّىَ على جدّه محمد نبيّه الأمين ، ورسوله المبعوث فى الأمّيين ، الهادى إلى جنّات النعيم ، والمحيطة متابعته بالفوز العظيم ، الذى جلّى الله ظلمات الجهالة بمبعثه ، وشرّف الأئمة من ذرّيته بمقامه وموروثه ، وردّ النافر إلى الطاعة بالبرّ والإيناس ، وجعله خيرَ رسولٍ إلى خيرِ أمّةٍ أخرجت للناس .

وعلى أخيه وابن عمّه أبينا أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب قسيمه فى المناسب والفضائل ، وثالثه فى تشفيع الذرائع والوسائل ، ومفرّج الكرب عنه بموازرته وصدق كفاحه ، وباب مدينة علمِه الذى لا يوصّل إليه إلا باستفتاحه ، وعلى الأئمة من ذرّيتهما الذين بلّغ الله بهم الأرب والسؤال ، وأغنى الأئمة بهداهم عن التقفية بعده برسول، والعترة المصطفين ، وأحد الثّقلين ، وبحار العلم الزاخره ، والمرجوّين لصلاح الدنيا والآخرة ، وسلّم ومجّد ، ووالَى وردّد .

وإن أمير المؤمنين لِماَ مهّده الله من ذوى الشرف الباذخ ، وحازه لمنصبه من الفخر

الأصيل والمجد الشامخ ، وأفرد به من خلافته على العالمين ، وأورثه إيّاه من غوامض الحكم التى لا يعقلهـا إلا أعيان العالمين ، وحباه به من ضروب الوجاهة والـكرامة ، وأفاضه عليه من أنوار الإمامة ، ووصاله[1] إليه من العناية الشاملة والبرّ الحفىّ ، وجمعه له من الإحسان الجلىّ واللطف الخفىّ ، وأقرّه من مواهب الفضل والإفضال لديْه ، وجعل فى كلّ حركة وسكون دليلا واضحا يشير إليـه ، يقدّر نعم الله حق قدرها ، ويُواصل العـكوفَ على الاعتداد بها ونشرها ، ويبالغ فى شـكرها قولاً وعملا ونيّة ، ويجهد نفسه فى حمدها اجتْهاداً يرجُو به دَرْكَ الأمنيّة ، ويتحقق أن أسماها محلاّ وقدرا ، وأولاها على كافّة البرية ثناء وشـكرا ، وأعلاها قيمة ، وأعمّها نفعا وأعذبها ديمة ، وأجمعها لضروب الجذَل والاستبشار ، وأجـدرها بأن تؤثر فى الأمم أحسن الآثار ، وأوسعها فى مضمار الاعتداد مجالاً ، وأعظمها على الرئيس والمرءوس نفعا وجمالا . النّعمة بك أيها السيد الأجلّ والتغوّث والدعاء إذْ كنت نجدة الله المذخورة لأمنائه على خلقه ، والقائم دون البرية بما افترضه عليهم من مظاهرة أمير المؤمنين والأخذ له بحقّه ، واللطف الذى كان من الإمامة ومن إعدامها حاجزا ، والنّصر الذى أصبح به أمير المؤمنين بعون الله فائزا ، وحزب الله القاهر الغالب ، وشهاب أمير المؤمنين الصائب الثاقب ، وظلّه الذى يفىء على العـام والخاصّ ، ومنهل فضـله الذى يصفو ويعذب لذوى الولاء والإخلاص ، وسيفه الذى يستأصل ذوى الشقاق والنفاق ، ويده التى ينبعث منها ينابيع العطاء وسحائب الأرزاق ، والولىّ الذى ارتضاه أمير المؤمنين للمصالح كفيلا ، والصفىّ الذى لا تبغى دولته عن موازرته تبديلا ولا تحويلا .

فعلوّ قدرك عنـد أمير المؤمنين لا ينتهى إلى أمدٍ محدود ، وقيامك فى الأخذ بحقّه يتجاوز كلّ سعى مبرور ومقام محمود ، ودعاؤه بنصرك الله فى طاعته يصفو عنـده كل

(١) ح : « وأوصل إليه » .

عظيم فى مجافاتك ، وشفاؤك صدر أمير المؤمنين من أعدائه ، أعجز القدرة عما يشفى غليله فى إحسان مجازاتك .

ولقـد حزتَ من المآثر مافقتَ به أهلَ عصرك قدَما وسبقا ، وسموت بجمالك إلى ذوى مجد لا تجد الهمم العلية إلى تمنّيهـا مرقا ، ومازلت فى كلّ أزمنتك سلطانا مهيبا ، وفردا فى المجالس لا تدرك له الأفكار ضريبا ، ومطاعاً تبارك بأنبائه الأندية والمحافل ، وهماما تخضع باسمه المهائب وتُذعن الجحافل ، وسيدا تلقى إليـه مقاليد التقدمة والسيادة ، ومعظّما ليس على ماخصه الله به من التعظيم موضع الزيادة .

وكشف الله أمرك فى الولاء فدعاك الأئمة ظهيراً ، وزاد فى إنعامه على الأمّةفارتضاك لهداة أهل بيته معينا ونصيرا ، ووفّر نصيبك من الفضائل والمناقب فوهبك منها ماأفاضه عليك سرفا ، وأحظى الملوك بتمـكّنك منهم وكونك لهم فخراً وشرفا ، فلا رتبة علاء إلا وقد فرعتها منزلاً ، ولا منزلة سناء إلا وقد سموتَ إليهـا منتقلا ، ولا مزية فضل إلا احتويت عليها وحزتَهـا ، ولا منزلة فخر إلا طلتَهـا بفضائلك وجزتَهـا ، ولا مأثرة إلا وكنت فاتح بابها ، ولا منزلةً خطيرة إلا وأنت مستوجبها وأولى بها . ولا سماة مجد إلا وخصائلك طالعة فى آفاقها أقمارا ، ولا موقف فضل إلا ولك فيـه تقدّم لا تنازَع فيه ولا تمارَى ، فما يُوجد مقدم إلا وقد فضلتَه بآثارك وتقدّمتَه ، ولا مميز إلا أسمته فى جَناب فضلك ورسمتَه .

تقلّدت جلائل الأمور فابستَها نباهة وتقويما ، وباشرتهـا فأحرزت بمناقبك جلالة ووجاهة وتفخيما ، تجرجرُ بك الرّتب أذيال الفخر والإجلال ، وتُزْهَى بأفعالك التى يبعث عليها ما أوتيتَه من شرف الجلال .

ولم تزل تدابير أولياء الدولة ورجالهـا بفضائل سياستك فتثبّت لهم الأقدام ، وتـكسبهم عزّة النفوس فيستهينوا فى حق الانتصار بك بملاقاة الحمـام .

ورمَى الله بك طغاة الـكفّار بتأييد الإسلام ، واختارك للمجاهدة عن المِلّة فأصبحتْ بك مرفوعة الأعلام ، وأبدت الأعداء الجوامع الباكيات من المحايد والمخلوف وأعمال الحسام : فلو تراخَى بك الأمل فى جهادهم لـكنتَ لجامِهم مستأصلا ، ولغدوت لهم عن الأعمال السامية بعرفانك فاضلا ، فأثرك فيهم الأثر الذى لم يبلغه مجـاهد ، وما فالت فى هامهم من حدّ العضب الصارم بباسل ناطق وبجدل شاهد .

فما يبلغ التّعـداد ماجمعتَه من المناقب والفضائل ، ولا يستولى الإحصـاء على مالك من المفاخر التى لايحيط بهـا أحدٌ من الملوك الأوائل ، فتجمع زُهد الأبْدال إلى هِمَم الأكاسرة ، وتوفّق فى أعمالك بين ما يقضِى بصلاح الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، فأنت البرّ التقىّ النقىّ الحسيب ، الطاهر المبرّأ من كل دنس وعيب ، والمرضِى خالقَه بالأفعال التى لاينجو بها لبْس ولا ريْب ، وواحد الدنيا لايسامَى ولا يطاوَل ، والملك الأوحـد الذى برعت أدوات كماله فما يشابَه ولا يماثَل .

جعلتك الفضائل غريباً فى الأنام ، وخصّك الحظّ السعيد بفطرة تهرب فتهرب أن تأتِىَ بمثلها الأيام ، وحويتَ من الأخلاق الملوكيّة ماقصّر بعظماء الملوك عن مجـاراتك ، واقتنيت من الحـكم والمعارف ماجعل كافة العلماء مفترقين بعظم فضيـلة ذاتك ، وقرنت بَيْن مَنْ عزّه إذفرار البيت ولطافة حكم القلم ، وكاثرت فيك المعجزات لجمعك ما افترق من مفاخر الأمم .

فمـا أشرف ما أفردك الله به من كمال الشجاعة والبراعَة ، وتوحّدك بمجده من معجزات تصنيف الصارم واليراعة ، فسيفك مؤيّد فى قطّ العضو والهام ، وقلمك ماضٍ فى البلاغتين مضاءً لايُدرَك إلا بالإلهام ، فـكم مقام جلال وجلاد فرّجْتَه بعضب وبنان ، وموقف خطاب وضِرَاب كشفتَ غمّته بسنّ قلم وسنان .

فسبحان من أفردك باستـكمال المـآثر ، وجمع لك من المحاسن ما أعجز وصفَه جهـد

الناظم والناثر ، وآتاك غاية شرف النفس وكرم الأصل ، ومكّنك من كلّ منقبة بإحراز السبق وإدراك الخصل ، وأطلعك من أفق علاء نـكاثرت سعوده ، واستخلصك من منصب سناء سما فأعجز النجم صعوده ، وانتخبك من بيتِ عزّ غدت دعائمه ذات السمهريّة وظلاله صَفَحات القبض المشرفيّة ، وحشاياه صهوات الجُرْد الأعوجيّة .

ولقد كان وقع التحامل على الحضرة ببعدك عن فنائها ، وحُسدت على قربك منها لما يُعلم من متابعتك لها ، وأغْراقك فى ولائها ، وحاد بك عن موضعك من الاختصاص بها مَنْ قَصَد اهتضامها ، وأفسد لسوء عقيدته نظامها ، وصَمَّمها على أنك لم تخل بنصرتها على بعد الدار ، بل نصرتَ الحقّ حيث كان ودُرت معه حيث دار .وقد كان أمير المؤمنين حين أبهمت الأمور ،وحرجت الصدور ،وحارت الألباب، واستشرف للارتياب، يرجو من الله أن يفجأه منك بالفـرج القريب ، ويُصمى أعداءه من عزمك بالسّهم المصيب ، واستجاب الله دعاءه فيك بمـا ماثل دعاء جده رسول الله صلى الله عليـه وسلم وضاهَى ، وحصل فى ذلك على معنى قوله تعالى: ﴿ قد نَرَى تَقَلُّبَ وجهكِ فى السماء فلنولينّك قِبلة ترضاها ﴾ .

ولمّا أذهب الله بك أيها السيّد الأجـلّ الملك الصالح عن دولة أمـير المؤمنين غايات الغىّ ، وأدرك بها ثار أولياء الله من ذوى المباينة والبغى ، وأنجْسن له الصنيع بموازرتك، وبلّغه مظافرتك ومكانفتك لما أحاط الخبرة بأرجائه ، وفقه من التعوّيل عليك لما كان غاية رجائه ، فقلدّك من وزارته ، وفوّض إليك تدبير مملـكته وكفالته ، وجعلك إمارة جيوشه الميامين ، وكفالة قضاة المسلمين ، وهداية دعاة المؤمنين ، وتدبير ماهو مردود إليهم من الصلاة والخطابة وإرشاد الأولياء المستجيبين ، والنظر فى كل ماأغدقه الله من أمور أوليائه أجمعين ، وجنوده وعساكره المؤيدين، وكافّة رعاياه بالحضرة وجميع أعمـال المملـكة دانيها وقاصيها ، وسائر أحوال الدولة باديها وخافيها ، وكلّ ماتنفذ فيه أوامره،

تَبووح بشعاره منابره . وردّ إليك تدبير ماوراء سرير خلافته ، وسياسة ماتحتوى عليه أقطار مملكته ، وألقى إليك مقاليد البسْط والقبض ، والرفع والخفض ، والإبرام والنقض ، والقطع والوصل ، والولاية والعزل ، والتصرّف والصّرْف ، والإمضاء والوقف ، والغضّ والتنبيه ، والإخمال والتنويه ، وجميع مايقتضيه صواب التدبير من الإنعام والإرغام ، وما توجبه أحكام السياسة من الإباء والإتمام ، تيمّناً بما يحقق مبالغتك فى متابعته ، واجتهادك فى إعلامنا ودعوته ، وعلماً بأن التوفيق لايعْدو وراك ، والمسعود لايفارق أنحاءك .

فتقلّدْ ماقلدك أميرُ المؤمنين من هذه الرتب العالية ، والمنزلة التى قرّب عليك تناولَها أعمالك الزاكية ، والمنصب الذى تحكم[١] فيه بأمر أمير المؤمنين وتنطق بلسانه[٢] ، وتبطش[٣] بيدِه وتحبّ وتبغض بقلبه وجَنانه ، جارياً على رسمك فى تقوى الله وخشيته ، واتّباع مرضاته واستشعار رجعته ، ومنتجزاً ماوعد به فى كتابه ، إليه ينتهى الحكم[٤] وينتسب[٥] ، إذ يقول تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتّقِ اللهَ يَجْعَلْ له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾[٦] .

والعساكر المنصورة فهم أشياعُ الدين ، وأعضاد دولة أمير المؤمنين ، وأبناء دعوة آبائه الرّاشدين ، والقائمون بمدافعة الأعداء عن حَوْزة الدولة العلويّة ، والمدَّخَرون لكفاح المباين للمملكة الفاطميّة ، والمنادون بشعارها فى كلّ وقت وحين ، والمُعَدّون للذبّ عن بيضة المسلمين وأنصار الخلافة ، وطاردو الوجل والمخافة ، المصطلون نيرانَ الحرْب والكِفاح ، ذوو القلوب فى المواقف التى تهتزّ فيها السيوف وتضطرب كعُوب

---

(١) ط : « يحكم » ، بالمبنى للمجهول .
(٢) ط : « وينطق » .
(٣) ط : « وتبطن » .
(٤) بعدها فى ط : « إليه » .
(٥) ح : « وينسب » .
(٦) سورة الطلاق ٢ .

الرماح ، والممنوحون مزيّة اللطف لحسنِ معتقَدهم فى الطاعة ، والمستعمِلون فى خدمة ولىّ نعمتهم جهد الطّاقة والاستطاعة .

ومنهم الأمراء الأكابر ، والأعيان الأخاير[1] ، وولاة الأعمال وسَداد الثّغور ، واللائقة بهم سوامى الرُّتب ومعالى الأمور ، والأوليـاء الّذين سلمت موالاتُهم من الشوائب ، واشتملوا على غُرَر المآثر والمناقب ، والأنجاد الذين يندفع بهم الخطْب الملمّ ، والكفاة الذين يتسرّعون إلى ما ينَدَبون له من كلّ مهمّ ، وما زلت تحسُن لهم الوساطة فى المحضر والمغيب ، ويشيع ذكرهم بما يتضوّع نشرُه ويطيب ، وتسفر لهم بما يَبْلُغون به آمالهم ، وتجتهد فى توفير المنافع عليهم وتحرص على إيصالها لهم ؛ لا سيّما الآن وجميع أمرهم إليك مردود ، وقد ظهر لك من إخلاصهم فى الطّاعة مقامهم المشهور وسعيهم المحمود ؛ فهم خليقون منك بمضاعفة المكرُمة والتبجيل ، جديرون بتوفير حظّهم من الإحسان الجزيل .

فتوخَّى كلًّا منهم بما يقتضيه له حالُه ، وتستدعيه نهضته واستقلالُه ، وتعرب لهم عمّا يمتّون به عن محض طاعتهم ، وصريح مسابقتهم ، وتسرّعهم إلى مقارعة الأعـداء والمخالفين ، وتمسّكهم بحبل الولاء المتين .

فأمّا القضاة والدّعاة فأنت كافلُهم وهاديهم ، وعلمُك محيطٌ بقاصيهم ودانيهم ، وتأنّيك[2] يبعثك على استكفاء إعفائهم ودياناتهم ، ويمنعك من استعمال المفضولين فى علم وأمانة ، ويحضّك على التعويل على ذوِى النّزاهة والصيانة .

فأمّا الأموال وهى عماد الدّول وقِوامُها ، وبها يكون استثبات أمورها وانتظامها ، ويُستعان بها على الاستكثار من الرجال والأنصار ، وبوفورها تقوم المهابة فى نفوس مماليك

(١) ط : « الأجابر » .   (٢) ح : « وتأتيك » .

الأطراف والأمصار : وأمير المؤمنين يرجو أنْ تتضاعف بنظرك ، وتنمى لفاضل سياستك وحمد أثرك ، تتسع بإذن الله فى أيامك العمارة ؛ وتتوافر بما يعمّ الأعمال بحسن تأنيك من البهجة والنضارة .

والرّعايا فهم ودائع الله عند مَن استحفظ أمورَهم ، وعياله الّذين يتعينّ على ولاة الأمر أن يشرحوا بالرّعاية صدورَهم ، وتأكيد الوصايا بتخفيف الوطأة عنهم ، والأمر بالعدل والإحسان على الصغير والكبير منهم ؛ وقد خصّك الله بالكمال ، وحبّب إليك الإحسان والإجمال، بغايات تنتج لك من أبواب المصالح ما لا تحيط به الوصايا ، ويشترك فى عائدة نفعه الخواصّ والأجناد والرعايا . وقدرُك يجلّ أن نُكثِر لك بالقول ما نبتدع أضعافه بأفعالك المستحسَنة ، ومحلُّك مرتفع عن التنبيه إذ لا تلمّ بعين رعايتك إغفاءةٌ[١] ولا سِنة .

والله سبحانه يؤيّد الدولة العلوية بعزَماتك الثاقبة ، ويعيد عليها حقوقها بسيوفك القاضبة وآرائك الصائبة ، ويجعل أمَد عمرك مديداً ، وإقبالك فى كلّ وقت جديدا ، وأعمالك مُرتضاة عند الله متقبّلة، ووفود المُنا إلى جَنابك متوالية مقبلة ، فاعمل به إن شاء الله تعالى .

وكتب أمير المؤمنين الفائز على طرّة السجل بخطه ما نصه : « لوزيرنا السيّد الأجلّ الملك الصالح من جلالة القَدْر ، وعِظَم الأمر وفخامة الشأن ، وعلوّ المكان ، واستحباب[٢] الفضل واستحقاق غاية المِنَن الجزيل ، ومزية الولىّ الذى بعثه على بذل النفس فى نصرتنا ، ودعاه دون الخلائق إلى القيام بحقّ متابعتنا وطاعتنا ، ما يبعثنا على التبرّع له ببذل كلّ مصُون ، والابتداء من ذاتنا بالاقتراح له كلّ شى يسرّ النفوس ويقر العيون . والّذى

---

(١) ط : « أغواك » ، تحريف صوابه من الأصل .
(٢) ط : « واستيجاب » .

تضمنه هذا السجلّ من تقريظه وأوصافه ، فالذى تشتمل عليه ضمائرنا أضعاف أضعافه :
وكذلك شرّفناه بجميع التّدبير والإنالة ، ورفعناه إلى أعلى رتب الاصطفاء بما جعلناه له
من الكفالة ، والله تعالى يعضُد به دولتنا ، ويحوط به حوزَتنا ، ويمدّه بموادّ التوفيق
والتأييد ، ويجعل أيّامه فى وزارتنا ممنوحة بآيات الاستمرار والتأييد ، إن شاء الله تعالى .

قلت : كانت الوزارة قديمًا تعدل السلطنة الآن ، فإن الوزير كان نائب الخليفة
فى بلده ، يفوّض إليه جميع أمور المملكة ، وتولية مَنْ رآه من القضاة ونواب البلاد
وتجهيز العساكر والجيوش وتفرقة الأرزاق ، إلى غير ذلك مما هو الآن وظيفة السلطان
وكان الوزير يلقّب بألقاب السلطنة الآن كالملك الصالح ونحوه ، وقد تقهقر أمر الوزير
حتى قال بعض وزراء القرن السابع : الوزير الآن عبارة عن « حوش كاش عفش »
يشترى اللحم والحطب وحوايج الطعام . والأمر كما قال .

***

وأقام ابن رُزِّيك وزيرا إلى أن قتِل فى رمضان سنة ست وخمسين فى خلافة
العاضد ، وكان العاضد والفائز كلاهما تحت حجره، فأقيم بعده فى الوزارة ابنه رزِّيك ،
ولقِّب العادل ، فأقام فيها سنة وأيامًا ، وقتل .

ووزَر بعده شاوَر بن مجير أبو شجاع السعدىّ ، ولقّب أمير الجيوش ، وهو الوزير
المشئوم الذى يضاهيه فى الشؤم العلقمىّ وزير المستعصم ؛ فإنّ هذا قد أطمع الفرنج فى أخذ
الديار المصرية ، ومالأهم على ذلك ، كما أنّ العلقمىّ هو الذى أطمع التتار فى أخذ بغداد،
إلا أن الله لطف بمصر وأهلها ، فقيّض لهم عسكر نور الدين الشهيد ، فأزاحوا الفرنج عنها ،
وقُتِل الوزير شاوَر بيد صلاح الدين يوسف بن أيوب ؛ وقال بعض الشعراء فى ذلك :

هنيئًا لمصر حَوْزُ يوسف ملكَها ... بأمرٍ من الرّحمن قد كان موقوتا
وما كان فيها قتلُ يوسفَ شاوَراً ... يماثل إلا قتلَ داودَ جالوتا

وكان قتل شاوَر فى ربيع الآخر سنة أربع وستين .

و ولِيَ الوزارة بعده الأمير أسد الدين شيركوه ؛ ولقّب الملك المنصور ، لقّبه بذلك العاضد ، فأقام فيها شهرين وخمسة أيام ، ومات فى جمادى الآخرة .

فاستوزر العاضدُ بعده ابنَ أخيــه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولقّب الملك الناصر ، وقد تقدّم ذكر الخليعة التى لبسها يومئذ . ثم إن صلاح الدين أزال دولة بنى عُبيد ، وأعاد الخطبة لبنى العباس فى أوّل سنة سبع وستين ، فصــار لمصر أميراً بعد أن كان وزيراً .

وجعل وزيره القاضى الفاضل محيى الدين عبد الرحيم البَيْسانىّ ، فاستمرّ وزيرا له ، ولولده الملك العزيز ، ولولد العزيز الملك المنصــور ، إلى أن مات سنة ست وتسعين وخمسمائة .

فوَزَر بعده للعادل صفىّ الدين بن شكر الدّميرىّ ، إلى أن عزل سنة تسع وستمائة .

ووَزَر للكامل ابن شكر أيضا والحسن بن أحمد الديباجىّ .

ووَزَر للصالح جمالُ الدين علىّ بن جرير الرّقّى ومعين الدين الحسن بن صدر الدين شيخ الشيخ ، وأخوه فخر الدين يوسف ، والقاضى بدر الدين السِّنجارىّ والقــاضى تاج الدين بن بنت الأعزّ .

ووَزَر لشجر الدّر فى دولتها بهاء الدين علىّ بن محمد بن سليم المعروف بابن حَنّا .

ووزَر للمعزّ الأسعد – بل الأنحس الأشقىّ – هبة الله بن صاعد الفائزىّ ، وكان هذا أوّل شؤم الأتراك فى مملكتهم ، أن عدلوا عن وزارة العلماء إلى الأقباط والمَسالِمة ، وكان الأسعد هذا نصرانيًّا فأسلم ، فلمّا تولى الوزارة أحدث مكوساً ومظالم كثيرة على نَحْوِ ما كانت فى أيام العُبيديين ووزرائهم النصارى والرافضة ، وقد كان السلطان صلاح الدين رحمه الله أبطلَها فأحدثها هذا الملعون ، وقد قال فيه بعضهم :

لَعَن الله صاعدًا وأباه فصاعِدًا
وبنيه فنازِلًا واحداً ثم واحدًا

ولمّا قُتِل المعزّ ، وقبض على ولده المنصور ، أهين الأسعد هذا ، ثم قُتِل فى سنة خمس وخمسين .

ووَلِىَ الوزارة للمظفّر بعده القاضى بدر الدين السّنجارىّ مضافا لقضاء القضاة ، ثم صُرِف من عامِه عن الوزارة .

ووليها القاضى تاج الدين بن بنت الأعزّ ، ثم صُرِف فى ذى القعدة سنة سبع وخمسين .

***

ووزَر زينُ الدين يعقوب بن عبد الرفيع المعروف بابن الزّبير ، فأقام إلى أيّام الظاهر بيبرس ، فعزله عن الوزارة فى ربيع الآخر سنة تسع وخمسين ، واستوزَر بعده الصاحبَ بهاء الدين ابن حنّا ؛ فأقام وزيرا إلى أن مات الظاهر ، وتولّى ولده الملك السعيد ، فأقرّه على الوزارة ، وكتب له تقليدا من إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر . وهذه صورته :

الحمد لله الذى وهب هذه الدّولة القاهرة من لدنْه وليًا ، وجعل مكان سرّها وشدّ أزرِها عليًّا ، ورضىَ لها مَنْ لم يزل عند ربِّه مرضيًّا .

نحمَده على نعمِه التى أمسى بنابرِّه حفيًّا ، ونشكره على أن جعل دولتنا جنّة أورث تدبيرها مِنْ عباده مَنْ كان تقيًّا .

ونشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لاشريك له شهادة نسبِّح بها بكرة وعشيًّا ، ونصلّى على سيدنا محمد الذى آتاه الله الكتاب ، وجعله نبيًّا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة نتّبع بها صراطا سويًّا .

وبعد ، فإنّ أوْلى ماتنغّمَتْ به ألسنة الأقلام بتلاوة سُوَره ، وتنعمّت أفواه المحابر

بالاستمداد لتسطير سيَره، وتناجت الكرام الكاتبونَ بمجمَله ومفصَّله ، وتناشدت الرُّواة حسنَ نسيبه وترنّمت الحداة بطيب غَزَلِه ، وتهادت الأقاليمُ تحفَ معجَّلِه ومؤجَّله ، وعُنيت [١] وجوه المهارق لصعود كَلِمِه [٢] الطيب ورفْع صالح عمله ، ما كان فيه شكرٌ لنعمة تمنّها على الدولة سعادة جُدودها وحظوظها ، وإفادة مصونها ومحفوظها ، وإرادة مرقومها بحسن الاستبداع [٣] وملحوظها ، وحمدٌ لمنحةٍ وافاتها بركة أحسنت للمملكة الشريفة مآلا ، وقرّبت لها مثالا . وأصلحت لها أحوالا ، وكاثرت مدد البحر وكلّ أجرى ذلك ماءً أجرت هى مالًا ، وإنْ ضَنّت السُّحب أنشأتْ سُحُباً ، وإن قيل سحَّ سحّها ورونق الأرض ذهب، عوّضت عنه ذهبا ، كم لها فى الوجود من كرم وكرامة ، وفى الوجوه من ووُسوم وسامة ، كم أحيتْ مهجاً ، وكم جعلت للدولة من أمرها مخرجاً ، وكم وسّعت أملا وكم تركت صدر الخزائن ضيّقاً حَرجا ، وكم استخدمت جيش تهجّدٍ فى بطن الليل ، وجيش جهاد على ظهور الخيل . وكم أنفقت فى واقفٍ فى قلب بين الصفوف والحروب،وفى واقفٍفى صفوف المساجدمن أصحاب القلوب،كمسبيل يسّرتْ ، وسعود كثّرتْ . وكم مخاوفَ أدبرت حين دبّرت ، وكم آثار فى البلاد والعباد أبرتْ وأثّرت . وكم وافت ووفّت ، وكم كَفَتْ وكَفّت، وكم أعفَتْ وعَفَتْ وعفّتْ . وكم بها موازين للأولياء ثقُلت وموازين للأعداء خَفّت . وكم أجرتْ من وقوف ، وكمعرفت بمعروف . وكم بيوت عبادة صاحب هذه البركات هو محرابُها ، وسماء جودٍ هو سَيْحابها ومدينة علمٍ هو بابها . تثنى [٤] الليالى على تغليسه إلى المساجد فى الحنادس ، والأيام على تهجيره لعيادة مرضى الفقراء وحضورِ جنائز وزيارة القبور الدوارس . يكتنّ تحت جناح عدله الظاعنُ والمقيم ، ويشكر يثربَ ومكة وزمزمَ والحطيم . كمْ عمتّ سُنَن تفقّداته

---

(١) ط : « وعنت »
(٢) ط : « كلمة »
(٣) ح : « الاستيداع » .
(٤) ح : « تثنى »

ونوافله . وكم مرّت صدقاته بالوادى فسح الله فى مدته فأثنت عليه رماله وبالنادى فأثنت أراملِه [1] ، مازار الشام إلّا أغناه عن مسّه المطر ، ولا صحب سلطانه فى سفر إلاّ قال · نعمْ الصّاحب فى السّفَر والحضر .

ولمّا كان المتفرّد بهذه البركات هو واحد الوجود ، ومَنْ لايشاركه فى المزايا شريك وإنّ الليالى بإيجاد مثله غير ولُود . وهو الذى إن لم نسمّه ، قال سامع هــذه المناقب : هو الموصوف ، عند الله وعند خلقه معروف . وهذا الممدوح بأكثر من هــذه المدائح ، والحامد من ربّه ممدوح وممنوح .

والمنعوت بذلك ، قد نعتّهُ بأكثر من هــذه النّعوت الملائك ، وإنما نذكر نعوته التذاذاً ، فلا يعتقد كاتب ولا خاطب أنه وفّى جلالته بعض حقّها ؛ فإنه أشرف من هذا. وإذا كان لابدّ للمادح أنه يحول ، وللقلم أنه يقول ، فتلك بركات للمجلس العالى الوالدى الصاحبى الوزيرى السيدىّ الورعى الزاهدى العابدى الذّخرى الكفيل المهدّى المشيدى العونى القوامى النظامى الأفضلى الأشرفى العاملى العادلى البهائى ، سيّد الوزراء والأصحاب فى العالمين ، كهف العابدين ، ملجأ الصالحين ، شرف الأوليــاء المتّقين ، مدبّر الدوَل ، سِداد الثغور ، صلاح الممالك ، قدوة الملوك والسلاطين ، يمين أمير المؤمنين ، علىّ بن محمد أدام الله جلاله ، مَنْ تشرفُ الأقاليم بحياطة قلمه المبــارك ، والتقاليد بتجديد تنفيذه الذى لايساهَم فيه ولا يشارك ، فما جُدّد منها إنما هو بمثابة آيات تُزاد فتردّد ، أو بمنزلة أسجالٍ فى كلّ حين به يحكم وفيه يُشهد ؛ حتى تتناقل بثبوته الأيّام والليالى ، ولا يخلو جيــد دولةٍ أن يكون الحالى بما له من مفاخر اللآلى ، فلذلك خرج الأمر العالى لابرح بكسب بهاء الدين المحمدىّ أتمّ الأنوار ، ولا برحتْ مراسمه تزهُو من قلم منفذه بذى الفقــر وذى الفَقار ؛ أن يضمن هــذا التقليد الشريف بالوزارة التــامّة العامة الشاملة الكاملة

---

(١) ط : « أرماله » تحريف .

الشريفة الصاحبيّة البهائية أحسن التضمين ، وأن ينشر منهـا مايتلقّى روايته كلّ ربّ سيف وقلم باليمين ، وأن يعلم كافّة الناس ومَنْ يضمّه طاعة هذه الدولة وملكها من ملك وأمير ،وكلّ مدينة ذات منبرٍ وسرير ، وكلّ من جمعتْه الأقاليم من نوّاب سلطنة ،وذوى طاعة مذعِنة، وأصحاب عقد وحَلّ ،وظَعْنٍ وحِلّ، وذوى جنود وحشود ، ورافعى أعلامٍ وبنود ، وكلّ راعٍ ورعيّة ، وكلّ من ينظر فى الأمور الشرعيّـة ، وكلّ صاحب علم وتدريس ، وتهليل وتقديس ، وكلّ مَنْ يدخل فى حكم هذه الدولة العاليـة من شموسها المضيئة ، وبُدُورها المنيرة ، ونجومها المشرقة وشهبها الثاقبة فى الممالك المصرية والنوبيّة والساحليّة والـكرَكية والشّوبكية والشاميّة والحلبيّة ، وما تداخل بين ذلك من ثغور وحصون وممالك .

إن القلم المبارك الصاحبى البهائىّ فى جميع هذه الممالك مبسوط ، وأمر تدبيرها به منوط ، وعناية شفقته لها تحوط ، وله النظر فى أحوالها وأموالها ، وإليه أمر قوانينهـا ودواوينها ، وكتابها وحسابها ومراتبها ، ورواتبها وتصريفها ومصروفها ، وإليه التولية والصرف ، وإليه تقدِمة البدل والنعت والتوكيد والعطف ، وهو صاحب الرتبة التى لا يحلّهـا سواه ، وسوى مَنْ هو مرتضيه من السادة الوزرانيّة ، ومَنْ سمّينا غـيره وغيرهم بالصحوبيّة .

فليحذر مَنْ يخاطب غيرهم بها أو يسمّيه ، فـكما كان والدنا الشهيد يخاطبه بالوالد خاطبناه بذلك وخطبناه ، وماعدلنا عن ذلك بل عَدَلنا[1] ، لأنه ماظلم مَنْ أشبَهَ أباه ، فمنزلته لا تسامَى ولا تُسام ، ومكانته لا ترامَى ولا ترام ؛ فمن قدح فى سيادته من حسّاده ـ أبادهم الله ـ زِناد قدحٍ أحرق بشَرَرِ شررِه ، ومَنْ ركب إلى جلالته سيح سوء أغرق فى

---

(١) فى الأصل : « أعدلنا » ، تحريف .

بحره ، ومن فَتَل لسعادته حَبْلَ كيدٍ فإنما فَتَله مُبرمه لنحره .

فلْتلتزم [1] الألسنة والأقلام والأقدام فى خدمته أحسن الآداب ، وليقل المترددون : حِطّة إذا دخلوا الباب ، ولا يغرّنهم فرط تواضعه لدينه وتقواه ، فمن تأدّب معه تأدّب معنا ومَنْ تأدّب معنا تأدّب مع الله .

وليُتلَ هـذا التقليد على رءوس الأشهاد ، ولتُنسَخ نسخته حتى تتناقلهـا الأمصار والبلاد ؛ فهو حجّتنا على مَنْ سمّيناه خصوصاً ومَنْ يدخـل فى ذلك بطريق العموم ، فليعملوا فيه بالنصّ والقياس والاستنباط والمفهوم .

والله يزيد المجلس العالى الصاحبىّ البهائىّ من فضله ، ويبقيه لغاية هـذه الدولة ويصونه لِشِبْله كما صانه لأشدِه من قَبْله ، ويمتّع بنيّته الصالحة التى يحسن بها إن شاء الله نماء الفرع كما حَسُن نماء أصله .

***

واستمرّ الصاحب بهاء الدين فى الوزارة إلى أن مات فى ذى القعدة سـنة سبع وسبعين .

وكان الملك السعيد إذ ذاك بدمشق ، فلمـا بلغته وفاته ، أرسل إلى برهان الدين الخضر بن الحسن السنجارىّ باستقراره وزيرا بالديار المصرية ، فقال القاضى محيى الدين ابن عبد الظاهر حين سُيِّر إليه تقليـد الوزارة : بك زال الخلاف ، واصطلح الخصمان يادولة الملك السعيد ، فلما قالت الوزارة بالبرهان قال البرهان بالتقليد .

وقال السراج الوراق حين خلع عليه :

تهنّ بخلعـــةٍ لبسَتْ جمالاً بوجـهٍ منك سَمْحٍ يجتلُوهُ
وقال النّاس حين طلعت فيها : أهــذا البدر ؟ قلتُ لهم : أخوهُ

وقال فى خلعة ولده شمس الدين :

---

(١) ط : « فتلزم » تحريف .

أهنى الوزير ابنَ الوزير بخلعــــةٍ محاسِنُها فتّانة العقل والحسِّ
أضاءت بها الآفاقُ شرقاً ومغرباً ولمْ لا، ومن أطواقها مَطلَعُ الشمسِ!

ولما عُوجل خلع الملك السعيد ، قال ناصر الدين بن النقيب :

تطيّرت الوزارةُ مِن قريبٍ بصاحبهـــا الجديد ومِنْ بعيدِ
وقالتْ : كعبه كعب شؤم ولا سِيّما على الملك السعيدِ

وأقام السنجارىّ فى الوزارة إلى أن وَلِىَ قلاوون فى رجب سنة ثمان وسبعين ، فعزله . واستوزر فخر الدين بن لقمان كاتب السرّ ، فأقام إلى جمادى الآخرة سـنة تسع وسبعين .

فأعيد السنجارىّ إلى الوزارة ، ورجع ابن لقمان إلى كتابة الإنشاء ، فأقام إلى ربيع الأول سنة ثمانين ، فعزِل .

ووَزَر نجم الدين حمزة بن محمد بن هبة الله الأصفونىّ .

ووزر الأمير علم الدين سنجر الشجاعىّ ، وهو أوّل مَنْ وَلِىَ الوزارة من الأمراء ، وأوّل وزير ضربت على بابه الطبلخاناه على قاعدة وزراء الخلافة بالعراق ، ثم عُزِل .

ووزَر الأمير بدر الدين بيدار ، ثم صرف .

وأعيد الشجاعىّ ، ثم صُرِف .

ووَزَر شمس الدين محمد بن عثمان المعروف بابن السّلعوس، فأقام إلى أن قُتِل الأشرف، فأخذ وضُرِب إلى أن مات تحت الضّرب .

وكان لما تولى الوزارة ، كتب إليه بعض أصحابه يحذره من الأمير علم الدين سنجر الشجاعىّ المنصورىّ :

تنبّــهْ ياوزيرَ الأرض واعلمْ بأنّك قــد وَطِئتَ على الأفاعى

وكن بالله معتصماً فإنى أخاف عليك من نَهْشِ الشجاعى

فكان الذى تسبب فى إهلاكه الشجاعىّ .

وولىَ الشجاعىّ الوزارة مكانه ، فأقام بها أكثر من شهر ، وحدّثته نفسه بالسّلطنة ، فقُتِل .

ووَلِىَ الوزارة بعده تاج الدين بن فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين بن حنّ ، فأقام إلى أن تَوَلّى العادل كَتْبُغا، فعزِل .

ووَلِىَ مكانه فخر الدين عثمان بن مجد الدين عبد العزيز بن الخليلى ، فأقام إلى أن تولى لاجين ، فعُزِل .

ووَلِىَ مكانه الأميرُ شمس الدين سنقر الأعسر ، ثم عزِل من عامه وحُبِس ؛ فلما أعيد الملك الناصر إلى السلطنة أخرج الأعسرَ من الحبس وأعاده إلى الوزارة ، ثم عزله فى سنة إحدى وسبعمائة .

ووَلِّىَ الأمير عزّ الدين أيبك المنصورى ، ووَلّى ناصر الدين محمد السنجىّ ثم عُزِل فى شوال سنة أربع .

ووزّر سعد الدين محمد بن محمد بن عطاء الله فى المحرّم سنة ست .

ووَزّر التّاج أبو الفرج بن سعيد الدولة المسلمانىّ ، ووَزّر ضياء الدين النّشائىّ [1] ، فلمّا عاد الناصر إلى السلطنة المرة الثالثة سنة سبع استوزر فخر الدين الخليلىّ ثم عُزِل فى رمضان سنة عشر .

ووزّر الأمير سيف الدين بكتُمر الحاجب ، ثم عُزِل فى ربيع الآخر سنة إحدى عشرة .

ووَزّر أمينُ الملك أبو سعيد المستوفى .

---

(١) النشائى ، بكسر ثم معجمة ، ممدود ؛ كذا ضبطه صاحب الضوء اللامع ١١ : ٢٣٠ .

ووزَر فى سنة ثلاث وعشرين أمين الملك ثم الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى .

ثم أبطل الناصر الوزارة ، ورتّب وظيفة ناظر الخواصّ ، وولّاها كريم الدين عبد الكريم بن هبة الله بن السديد، فكان كالوزير وربّما قيل له : الصاحب، واستمرّت الوزارة شاغرة إلى سنة أربع وأربعين .

فاستوزر الكاملُ شعبان نجم الدين محمود بن شروين ، وكان أصله وزير بغداد فى المحرّم ووزر الأمير أيتمُش المحمّدىّ ، ووزَر الأمير منجك اليوسفىّ ، ثم عُزِل ثالث ربيع الأوّل سنة تسع وأربعين .

ووزر الأمير أستدمُر العُمَرىّ فى رابع عشرة ثم استعفى فى خامس عشرين ربيع الآخر ، فأعفِيَ .

وأعيد منجك ، ثم عُزِل فى محرم سنة إحدى وخمسين .

ووَزَر علمُ الدين عبد الله بن أحمد بن زنبور القبطىّ ، ثم عُزِل فى رمضان سنة ثلاث وخمسين .

ووَزَر موفّق الدين هبة الله بن سعد الدولة القِبْطىّ ، فأقام إلى أن مات فى ربيع الآخر سنة خمس وخمسين ، وشغرت الوزارة بعده إلى سنة ثمان وخمسين .

ووزر الأمير قَشْتَمُر ، ثم عُزِل سنة تسع وخمسين .

ووزَر تاج الدين بن رشية ، ثم عزل سنة إحدى وستين .

ووزَر جمال الدين يوسف بن أبى شاكر .

ثم وَزَر الأمير الأكز الكشلاوىّ .

ثم وَزَر كريم الدين بن غنّام، ثم فخر الدين بن تاج الدين موسى ، ثم صُرِف سنة أربع وسبعين .

وَوَزَر ابن الغنّام ، ثم صرِف سنة خمس وسبعين .

وأعيد مَنْجَك اليوسفىّ إلى الوزارة ، وفوّض إليه السلطان كلّ أمور المملكة ، وأنّه أقامه مقام نفسه فى كلّ شىء ، وأنّه يخرج الإقطاعات التى عبرتها سبعمائة دينار فما دونها ، وأنّه يعزل مَنْ شاء من أرباب الدولة ، ويخرج الطبلخانات والعشراوات بسائر الممالك الشامية ، ورسم للوزير أن يجلسَ قدّامه فى الدّركات ، ثم مات مَنْجك فى سنة سبعين. قال ابن الكرمانىّ فى مختصر المسالك : وهو الّذى جعل للمماليك اللحم السّميط فى وزارته ، ولم يكن يفرّق عليهم قبل ذلك إلا السليخ.

ووَزَر تاج الدين عبد الوهاب الملكىّ ، ويعرف بالنشو ، ثم صرف فى رجب سنة ست وسبعين.

وأعيد ابن الغنام ، ثم صرف من عامه .

وتعطلت الوزارة إلى ربيع الأول سنة سبع وسبعين ، فأعيد التاج الملكىّ ، ثم صرف سنة ثمان وسبعين .

وأعيد ابن الغنّام ثم صرف .

وأعيد النّشو ثم صرف .

واستقرّ كريم الدين بن الرويهب ، ثم عُزِل فى شوال سنة تسع وسبعين .

ووزر صلاح الدين خليل بن عرّام ، ثم عُزِل فى صفر سنة ثمانين .

ووزر كريم الدين بن مكانس ، ثمّ عزل فى شوال من السّنة .

وأعيد النشوّ ، ثم عزل فى ربيع سنة إحدى وثمانين .

ووَزَر شمس الدين بن أبر [1] ثم عُزِل سنة خمس وثمانين .

ووزر شمس الدين إبراهيم كاتب أرنان ، فأقام إلى أن مات سنة تسع وثمانين .

ووزر بعده علم الدين إبراهيم القِبطىّ بن كاتب سيّدى ، ثم عُزِل فى رمضان سنة تسع .

(١) ح ، ط : « أبره » .

ووزَر كريم الدين بن غنّام ، ثم وزَر موفّق الدين أبو الفرج فى صفر سنة اثنتين وتسعين .

ثم وزَر سعد الدين سعد الله بن البقرىّ فى ربيع الآخر من السّنة ، ثمّ عزِل فى رمضان سنة اثنتين وتسعين .

وأعيد أبو الفرج ، ثم عُزِل فى صفر .

ووزر ركن الدين عمر بن قَيْماز ، ثم عُزِل فى رجب .

ووزَر تاج الدين بن أبى شاكر ، ثم عُزِل فى المحرّم سنة خمس وتسعين .

وأعيد موفّق الدين ، ثم عُزِل سنة ست وتسعين .

ووزَر الأمير ناصر الدين محمد بن رجب بن كلبك بن الحسام ، ولقّب وزير الوزراء إلى أن مات سنة ثمان وتسعين .

ووزر مبارك شاه ، ثم صُرِف فى رجب .

وأعيد ابن البقرىّ ، ثمّ عزِل فى ربيع الأوّل سنة تسع وتسعين .

وَوَزَر بدر الدين محمد الطوخىّ ، ثمّ صرِف فى ربيع الآخر سنة إحدى وثمانمائة .

ووَزَر تاجُ الدّين عبد الرزاق بن أبى الفرج ، ثم صُرِف فى ذى القعدة من السنة ، ووزر الشهاب أحمد بن عمر بن قُطْنة ، ثم صُرِف فى ذى الحجة من السنة .

ووَزَر فخر الدين ماجد بن غراب ، ثم صُرِف فى ربيع الآخر سنة اثنتين .

وأعيد بدر الدين الطوخىّ ، ثم عزل .

وأعيد ابن غراب، ثمّ عُزِل فى رجب سنة ثلاث.

وَوَزَر علمُ الدين يحيى بن أسعد المعروف بأبوكمّ ، ثم صرف فى ربيع الآخر سنة أربع .

وَوَزَر الأمير مبارك شاه الحاجب ، ثم صرِف .

ووزر تاج الدين بن البقرىّ ، ثم صرف فى المحرّم .

ووزر فخر الدين بن غراب ، ثمّ عزل سنة خمس .

ووزر علاء الدين الأخمص ، ثم عُزِل فى شوال .

ووزر مبارك شاه ، ثم صُرِف .

وولِىَ تاج الدين بن البقرىّ، ثم توارَى فى المحرّم سنة ست وثمانمائة .

وأعيد علم الدين أبو كمّ ، ثم هرَب بعد ثمانية أيام .

وأعيد ابن البقرىّ ، ثم هرب فى ربيع الأول .

وأعيد تاج الدين بن عبد الرزاق ، ثم هرب أيضا بعد أيّام .

وأعيد ابن البقرىّ ، ثم صرف فى ذى الحجة سنة سبع .

وأعيد فخر الدين ماجد بن غراب ، ثم صرف سنة تسع .

ووزر جمال الدين البيرىّ الأستادار ، ثم صُرِف فى سنة اثنتى عشرة .

ووزر سعد الدين إبراهيم بن البشيرىّ ، ثم صُرِف فى ربيع الأوّل سنة ست عشرة .

ووَزَر تاج الدين بن الهيصم .

ثم وَزَر تقىّ الدين عبد الوهاب بن أبى شاكر فى المحرّم سنة تسع عشرة ، فأقام إلى ذى القعدة من السنة ، ومات .

فوَزَر فخرُ الدين الأستادار فى سنة عشرين .

وَوَزَر أرغون شاه ، ثم صرِف فى جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين .

وَوَزَر بدرُ الدين بن محبّ الدين ، ثم صرِف فى ذى القعدة من عامه .

وَوَزَر بدر الدين بن نصر الله ، ثم صُرِف فى المحرّم سنة أربع وعشرين .

ووزَر تاج الدين كاتب المناخات ، ثم صرف فى ذى الحجة سنة خمس وعشرين .

وَوَزَر أرغون شاه ، ثم صُرِف فى شوّال سنة ست وعشرين .

وَوَزَر كريم الدين بن كاتب المناخات ، ثم صُرِف فى رجب سنة سبع وثلاثين .

وَوَزَر أمين الدين بن الهيصم ، ثمّ صُرِف فى سنة ثمان وثلاثين .

ووزر سعد الدين إبراهيم بن كاتب جكم .

ثم وزَر أخوه جمال الدين يوسف فى ربيع الأوّل من السنة ، ثم صُرِف فى جمادى الآخرة من السنة .

ووَزَر تاجُ الدّين عبد الوهاب بن الخطير ، ثم صرِف فى رمضان سنة تسع وثلاثين.

ووزر الأميرخليل بن شاهين نائب الإسكندرية ،ثم صُرِف .

ووزر كريم الدين بن كاتب المناخ فى ربيع الأوّل سنة أربعين .

ثمّ فى جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وَزَر عوضاً عن أمين الدين بن الهيصم ، ثم صرِف .

ووزر سعد الدين فرج بن النجار ، ثم صُرِف فى جمادى سنةِ ثمان وخمسين .

وأعيد أمين الدين بن الهيصم ، ثم صُرِف فى ذى القعدة من السنة .

وأعيد سعد الدين.

ثم وزر علىّ بن محمد الأهناسىّ ، ثم صرِف فى صفر سنة أربع وستين .

ووزر فارس المحمدىّ يوما واحدا ، ثمّ صرِف .

ووزَر منصور الكاتب ثم صُرِف .

ووزر محمد الأهناسىّ والد علىّ المذكور عشرة أيام .

ثمّ وزر منصور الأسلمىّ ثم صرِف فى ربيع الآخر .

وأعيد سعد الدين بن النجار ، ثم صرِف فى ربيع الأوّل سنة خمس وستين .

وأعيد علىّ بن الأهناسىّ ، ثم صرِف .

ووزر شمس الدين بن صنيعة ، ثم صرِف فى صفر سنة سبع وستين .

وأعيد ابن الأهْناسىّ ، ثم صرِف فى شوال .

وَوَزَر مجد الدين بن البقرىّ ، ثم صرف فى المحرم سنة ثمان وستين .

وَوَزَر يونس بن عمر بن جربغا ، ثم صرِف عن قرب .

وأعيد المجد بن البقرىّ ثم صرِف فى ربيع الأول .

ووزر محمد البباوىّ إلى أن غرق آخر ذى الحجة سنة تسع وستين .

وأعيد الشرف يحيى بن صنيعة ، ثم صرِف فى جمادى الآخرة .

ووزر قاسم القرافىّ ، ثم صُرِف .

ووزر الأمير يشبك الدّوادار ، ثمّ صرف.

ووزر الأمير خشقدم الطواشىّ ، ثم صرِف .

ووزر ابن الزرازيرىّ كاشف الصعيد ثم صرف عن قرب .

وأعيد قاسم ، ثم صرِف .

ووزر الأمير أقبردى الدّوادار .

ثم ولىَ بعده الأمير كرتباى الأحمر يوم الخميس ، مستهلّ ذى الحجة سنة إحدى وتسعمائة .

ذكر كتاب السر

قال ابن الجوزى فى التلقيح [1] : كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلىّ وأبىّ بن كعب وزيد بن ثابت الأنصارى ومعاوية بن أبى سفيان وحنظلة بن الربيع الأسدىّ وخالد بن سعيد بن القاضى وأبان بن سعيد والعلاء بن الحضرمىّ ؛ وكان المداوم له على الكتابة زيد ومعاوية .

وكان كاتبَ أبى بكر الصدّيق عثمان بن عفان ، وكاتب عمر زيد بن ثابت وكاتب عثمان مرْوان بن الحكم ، وكاتب علىّ عبدُ الله بن رافع وسعيد بن أبى نمر ، وكاتب الحسن كاتب أبيه ، وكاتب معاوية عبيد الله بن أوْس الغسّانىّ . وكاتب يزيدَ عبيدُ الله بن أوْس ، ثم عمر العذرىّ ، وكاتب ابنه معاوية زمل بن عمر العذرىّ ، وكاتبَ مرْوان عبيدُ الله بن أوْس وشعبان الأحول، وكاتبَ عبد الملك بن مَرْوان رَوْح بن زِنْباع الجذامىّ وقَبيصة بن ذؤيب ،وكاتب ابنه الوليد قبيصة بن ذؤيب وقرّة بن شَريك والضحاك بن زِمْل ،وكاتب سليمانَ يزيد بن المهلّب وعبد العزيز بن الحارث ، وكاتب عمر بن عبد العزيز رجاء بن حيْوَة الكندىّ وليث بن أبى رُقيّة ، وكاتب يزيد بن عبد الملك سعيد بن الوليد الأبرش ومحمد ابن عبد الله بن حارثة الأنصارىّ، وكاتب هشام هذان وسالم مَوْلاه ، وكاتب الوليد العباس ابن مسلم، وكاتب يزيد بن الوليد ثابت بن سليمان ، وكاتب إبراهيم بن الوليد ثابت هذا ، وكاتب مروان الحمار عبدُ الحميد بن يحيى مولى بنى عامر .

وقال ابن فضل الله : كانت كتابة الإنشاء فى المشرق فى خلافة بنى العباس منوطة

---

(١) هو كتاب « تلقيح فهوم أهل الآثار ، فى مختصر السير والأخبار » طبعت قطعة منه فى ليدن سنة ١٨٩٢ م .

بالوزراء ، وربما انفرد بها رجل ، واستقلّ بها كتّاب لم يبلغوا مبلغ الوزارة ، فكان يسمىّ فى المشرق كاتب الإنشاء . ثم لمّا كثر عددهم سمِّىَ رئيسهم رئيس ديوان الإنشاء ، ثم بَقِىَ يطلَق عليه تارةً صاحب ديوان الإنشاء ، وتارةً كاتب السرّ . قال : وهى عندى أنبَه ، وعند النّاس أدلّ ، وكانت فى دولة السلاجقية وملوك الشرق يسمىّ ديوان الطغراوية ، والطغراء هى الطرّة بالفارسية . وأهل المغرب يسمّون صاحب ديوان الإنشاء صاحب القلم الأعلىَ . انتهى .

وقال غيره : إنما حدثت وظيفة كتابة السرّ فى أيام قلاوون ، وكانت هذه الوظيفة قديما فى ضمن الوزارة ، والوزير هو المتصرّف فى الديوان ، وتحت يده جماعة من الكتّاب ، وفيهم رجل كبير يسمى صاحب ديوان الإنشاء ، وصاحب ديوان الرسائل ، فكان الكاتب للسفّاح عبد الجبار بن عدىّ ثم كتب للمنصور ، وكتب له أيضا عبد الله بن المقفّع المشهور بالبلاغة وأبو أيوب المورياني[1] ، وكتب للمهدىّ وزيره معاوية بن عبد الله والربيع بن يونس الحاجب ، وكتب للهادى عمرو بن بزيع ، فلما استخلف الرشيد ولّى يوسفَ بن القاسم بن صُبيح كتابة الإنشاء ، فكان هو الذى قام خطيبا بين يديه ، حتى أخذت له البيعة ، وكتب للمأمون أحمد بن يوسف والقاسم بن صُبيح الكاتب وأحمد ابن الضحاك الطبرىّ ، وعمرو بن مسعدة والمعلّى بن أيوب وعمرو بن مهبول ، وكتب للمعتصم والواثق إبراهيم الموصلىّ . وكتب للمتوكل أحمد بن المدبّر وإبراهيم بن العباس الصولىّ . وكتب للطائع أبو القاسم عيسى بن الوزير علىّ بن عيسى بن الجراح . وكتب للقادر إبراهيم بن هلال الصابئ ، وكان على دين الصابئة إلى أن مات .

وكتب لجماعة من الخلفاء أبو سعيد العَلاء بن الحسن بن وهب بن الموجلايا ،

---

(١) فى الأصول : « المرزبانى » تحريف ، صوابه من الفخرى ١٥٢

قال بعضهم : كتب فى الإنشاء للخلفاء خمسا وستين سنة ، وكان نصرانيا ، فأسلم على يد المقتدى .

وكتب للمقتدى سديد الدّولة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الكريم ابن الأنبارىّ . قال ابنُ كثير : كان كاتبَ الإنشاء ببغداد للخلفاء ، وانفرد بصناعة الإنشاء .

وكتب للنّاصر قوامُ الدين يحيى بن سعيد الواسطىّ المشهور بابن زيادة صاحب ديوان الإنشاء ببغداد ، ومن انتهيت إليه رياسة الترسّل .

وكتب للمستعصم عزّ الدين عبد الحميد بن هبة الله بن أبى الحديد المدائنىّ الكاتب ومات سنة خمس وخمسين وستّمائة ، وقُتِل الخليفة عقب موته . فهو آخر كتّاب الإنشاء للخلفاء ببغداد .

قلت : ومن الاتّفاق الغريب أنّ آخر خلفاء بنى أمية كتب له عبد الحميد الكاتب وآخر خلفاء بنى العباس ببغداد كتب له من اسمه عبد الحميد .

***

وأما مصر فلم يكن بها ديوان إنشاء من حين فتحت إلى أيّام أحمد بن طولون ، فقوِىَ أمرُها ، وعظم ملكها ، فكتب عنده أبو جعفر محمد بن أحمد بن مودود .

وكتب لولده خُمارويه إسحاق بن نصر العبادىّ .

وتوالت دواوين الإنشاء بذلك إلى أن ملكها العُبيدية ، فعظم ديوان الإنشاء بها ووقع الاعتناء به واختيار بلغاء الكتاب مابين مسلم وذمّى ؛ فكتب للعزيز بن المعزّ وزيرهُ ابن كلّس ثم أبو عبد الله الموصلىّ، ثم أبو المنصور بن حورس النصرانىّ، ثم كتب للحاكم ومات فى أيامه .

وكتب للحاكم بعده القاضى أبو الطاهر الهولىّ ، ثم كتب لابن الحاكم الظاهر .

وكتب للمستنصر القاضى ولىّ الدين بن خَيْران وولىّ الدولة موسى بن الحسن بعد انتقاله إلى الوزارة وأبو سعيد العبدىّ .

وكتب للآمر والحافظ أبو الحسن علىّ بن أبى أسامة الحلبىّ ، إلى أن توفِّىَ ، فكتب ولده أبو المكارم إلى أن توفِّىَ ومعه أمين الدين تاج الرياسة أبو القاسم علىّ بن سليمان المعروف بابن الصيرفىّ والقاضى كافى الكفاة محمود بن الموفق بن قادوس وابن أبى الدم اليهودىّ . ثم كتب بعد ابن أبى المكارم القاضى موفّق الدين أبو الحجاج يوسف بن الخلّال بقية أيام الحافظ إلى آخر أيام العاضد ، وبه تخرّج القاضى الفاضل .

ثم أشرك العاضد مع ابن الخلّال فى ديوان الإنشاء القاضى جلال الدين محمود الأنصارىّ .

ثم كتب القاضى الفاضل عبد الرحيم البَيْسانىّ بين يدى ابن الخلّال فى وزارة صلاح الدين ، فلما ملك صلاح الدين كتب له القاضى الفاضل . ثم أضيفت إليه الوزارة . ثمّ كتب بعده لابنه العزيز ثم لولده المنصور ومات .

وكتب للكامل أمين الدين سليمان المعروف بكاتب الدّرج إلى أن مات ، فكتب بعده أمين الدين عبد المحسن بن حمود الحلبىّ ثم كتب للصالح أيضا .

ثم وَلِىَ ديوان الإنشاء الصاحب بهاء الدين زهير الشاعر المشهور [1] ، ثمّ صرف وولىَ بعده الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان الأسعردىّ ، فأقام إلى انقراض الدولة الأيّوبية ، وكتب بعدها للمعزّ أيبك ثم للمظفر قُطُز ، ثم للظاهر بيبرس ثم للمنصور قلاوون ، ثم نقله قلاوون من ديوان الإنشاء للوزارة .

---

(١) صاحب الديوان المعروف باسمه .

وولىَ ديوان الإنشاء مكانه فتحُ الدين بن عبد الظاهر ، وهو أوّل مَنْ سُمِّىَ كاتب السِرّ ، وسبب ذلك ماحكاه الصلاح الصَّفَدىّ أنّ الملك الظاهر رُفع إليه مرسوم أنكره، فطلب محيى الدين بن عبد الظاهر وأنكر عليه ، فقال : ياخوند[1] ، هكذا قال لى الأمير سيف الدين بَلَبان الدّوادار ، فقال السلطان : ينبغى أن يكون للملك كاتب سر يتلقّى المرسوم منه شِفاها — وكان قلاوون حاضرا من جملة الأمراء — فوقرت هذه الكلمة فى صدره، فلمّا تسلطن اتّخذ كاتب سرّ ، فكان فتح الدين هذا أول من شهر بهذا الاسم ؛ وكان هو والوزير لقمان بين يدى السلطان ، فحضر كتاب ، فأراد الوزير أن يقرأه ، فأخذ السلطان الكتاب منه، ودفعه إلى فتح الدين ، وأمره بقراءته ، فعظم ذلك على ابن لقمان ؛ وكانت العادة إذ ذاك ألّا يقرأ أحدٌ على السلطان كتابا بحضرة الوَزير . واستمرّ فتح الدين فى كتابة السرّ إلى أن توفِّىَ أيام الأشرف خليل .

فولِىَ مكانه تاجُ الدين بن الأثير إلى أن توفِّىَ .

ووَلِىَ شرف الدين عبد الوهاب العمرىّ ، ثم نقله الناصر فى سنة إحدى عشرة وسبعمائة إلى كتابة السرّ بدمشق .

ووَلِىَ مكانه علاء الدين بن تاج الدين بن الأثير إلى أن فلِج .

ووَلِىَ محيى الدين بن فضل الله ، وولده شهاب الدين معينا له لكِبَر سنه ، ثم صرِفا .

وولىَ شرف الدين بن الشهاب محمود ثم صُرِف، وأعيد ابن فضل الله وولده شهاب الدين ثم صُرِفا إلى الشام .

ووَلِىَ علاء الدين بن فضل الله أخو شهاب الدين، فاستمرّ فى الوظيفة نَيِّفاً وثلاثين سنة إلى أن مات سنة تسع وستين وسبعمائة .

(١) خوند : لفظ تركىّ أو فارسىّ ، وأصله خداوند بضم الخاء ، ومعناه السيد أو الأمير ، ويخاطب به الذكور والنساء على السواء . حواشى السلوك ١ : ٢٢٤ .

ووَلِىَ ولده بدر الدين محمد إلى أن تسلطن برقوق فصرَفه .

وولّى أوحدَ الدين عبد الواحد بن إسماعيل التركمانىّ ؛ إلى أن مات فى ذى الحجة سنة ست وثمانين .

وأعيد بدرُ الدين إلى أن تسلطن برقوق الثّانية ، فصرفه .

ووَلِىَ علاء الدين علىّ بن عيسى الكركىّ إلى أن مات سنة أربع وتسعين .

وأعيد بدر الدين إلى أن مات فى شوال سنة ست وتسعين .

ووَلِىَ بدرُ الدين محمود الكُلُسْتانىّ إلى أن مات فى جمادى الأولى سنة إحدى وثمانمائة .

ووَلِىَ فتح الدين فتح الله بن مستعصم التّبريزىّ ، ثم صَرَفه الناصر فرج بسعد الدين ابن غراب مدّة يسيرة ، ثم صُرِف ابن غراب ، وأعيد فتح الله ثم صرِف ، ووَلى فخر الدين بن المزوّق ثم صُرِف ، وأعيد فتح الله إلى أن قبض عليه المؤيد سنة ست عشرة وثمانمائة.

ووَلىَ ناصر الدين محمد بن البارزىّ إلى أن مات فى سنة ثلاث وعشرين.

ووَلِىَ ولدُه كمال الدين محمد، ثم صرِف .

ووَلِىَ علم الدين داود بن الكويز إلى أن مات سنة ست وعشرين .

ووَلِىَ جمال الدين يوسف بن الكركىّ ثم صُرِف .

ووَلِىَ قاضى القضاة شمس الدين الهروى الشافعىّ، ثم صُرِف .

ووَلِىَ نجمُ الدين عمر بن حجى ثم صرِف .

ووَلِىَ شمسُ الدين محمد بن مزهر إلى أن مات فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين.

ووَلِىَ ولده جلال الدين محمد ، ثم صرِف .

ووَلِىَ الشّريف شهاب الدين الدّمشقى إلى أن مات بالطاعون .

ووَلِىَ شهاب الدين أحمد بن السفّاح الحلبىّ إلى أن مات سنة خمس وثلاثين .

ووَلِيَ الوزير كريم الدين عبد الكريم كاتب المناخ مضافا للوزارة ثم صُرِف بعد أشهر .

وأعيد الكمال بن البارزىّ ، ثم صُرِف فى رجب سنة تسع وثلاثين .

ووَلِى محبّ الدّين بن الأشقر ، ثم صرِف .

ووَلِى صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله إلى أن مات بالطاعون سنة إحدى وأربعين .

ووَلِيَ مكانه أبوه الصاحب بدر الدين حسن ، ثم صُرِف فى ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين .

وأعيد ابنُ البارزىّ إلى أن مات فى صفر سنة ستٍّ وخمسين .

وأعيد ابنُ الأشقر ثم صُرِف فى ذى القعدة .

وَوَلِيَ محبّ الدين بن الشِّحنة ثم صُرِف بعد ستة أشهر .

وأعيد ابن الأشقر ، ثم صُرِف فى جمادى الأولى سنة ثلاث وستين .

وأعيد ابن الشِّحنة ثم صرِف فى شوال سنة ست وستين .

ووَلِيَ القاضى برهان الدين بن الديرىّ ، ثم صُرِف بعد نصف شهر .

ووَلِيَ القاضى تقىّ الدين أبو بكر بن كاتب السرّ بدر الدين بن مزهر ، فاستمرّ إلى الآن عامله الله بألطافه ، وختم لنا وله بخير . آمين!

ثم تُوفِّى فى سادس رمضان سنة ثلاث وتسعين ، ووَلِيَ ولده القاضى بدر الدين أعزّه الله تعالى !

ذكر جوامع مصر*

اعلم أنه من حين فُتحت مصر لم يكن بها مسجد تقام فيه الجمعة سوى جامع عمرو بن العاصى إلى أن قدم عبد الله بن علىّ بن عبد الله بن عباس من العراق فى طلب مَرْوان الحمار سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، فنزل عسكرُه فى شمالىّ الفُسطاط وبنوْا هنالك الأبنيَة، فسمِّىَ ذلك الموضع بالعسكر، وأقيمتْ هناك الجمعة فى مسجد فصارت الجمعة تقام بجامع عمرو وبجامع العسكر إلى أن بنى السلطانُ أحمدُ بن طولون جامعه حين بنى القطائع [(١)] ، فأبطِلت الخطبة من جامع العَسْكر ، وصارت الجمعة تقام بجامع عمرو وبجامع ابن طولون إلى أن قدِم جوهر القائد [(٢)] ، واختطّ القاهرة ، وبنى الجامع الأزهر فى سنة ستين وثلاثمائة ، فصارت الجمعة تُقام بثلاثة جوامع [(٣)] .

ثم إنّ العزيز بالله بنَى فى ظاهر القاهرة من جهة باب الفتوح الذى يعرف اليوم بجامع الحاكم سنة ثمانين وثلاثمائة ،وأكمله ابنُه الحاكم ، ثم بنى جامع المقس وجامع راشدة، فكانت الجمعة تقام فى هذه الجوامع الستة إلى أن انقضت دولة العُبيديين فى سنة سبع وستين،وخمسمائة، فبطلَت الجمعة من الجامع الأزهر،وبقِيتْ فيما عداه .

فلّما كانت الدولة التركيّة أحدثتْ عدّة جوامع ، فبُنى فى زمن الظّاهر بيبرس جامع الحسينيّة فى سنة تسع وستين ؛ ثم بَنَى النّاصر بن قلاوون الجامع الجديد بمصر فى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة ، وبنى أمراؤه وكتّابه فى أيامه نحو ثلاثين جامعا ، وكثُرت فى هذا القرن وما بعده إلى الآن ؛ فلعلّها الآن فى مصر والقاهرة أكثر من مائتى جامع .

---

* المقريزى ٤ : ٢ .

(١) المقريزى : « على جبل يشكر ، فى سنة تسع وخمسين ومائتين حين بنى القطائع » .

(٢) المقريزى : « من بلاد القيروان بالمغرب » . (٣) المقريزى : « فكانت الجمعة تقام فى جامع عمرو ، وجامع ابن طولون والجامع الأزهر وجامع القرافة الذى يعرف اليوم بجامع الأولياء » .

قال هشام بن عمّار : حدّثنا المغيرة بن المغيرة ، حدّثنا عثمان بن عطاء الخراسانىّ عن أبيه ، قال : لمّا افتتح عمر البلدان كتب إلى أبى موسى وهو على البصرة يأمره أن يتّخذ مسجدا للجماعة ، ويتّخذ للقبائل مساجد ، فإذا كان يوم الجمعة انضمّوا إلى مسجد الجماعة، وكتب إلى سعد بن أبى وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك ، وكتب إلى عمرو بن العاصى وهو على مصر بمثل ذلك ، وكتب إلى أمراء أجناد الشام ألّا ينبذوا إلى القرى وأن ينزلوا المدائن ، وأن يتّخذوا فى كلّ مدينة مسجدا واحدا ، ولا تتّخذ القبائل مساجد ؛ وكان الناس متمسّكين بأمر عمر وعهده .

وقال القُضاعىّ : لم تكن الجمعة تقام فى زمن عمرو بن العاصى بشىء من أرض مصر إلا بجامع الفسطاط .

قال ابنُ يونس : جاء نفر من غافق إلى عمرو بن العاصى ، فقالوا : إنّا نكون فى الريف ، فنجتمع فى العيدين الفطر والأضحى ، ويؤمّنا رجل منّا ،قال : نعم ، قالوا:فالجمعة؟ قال : لا ، ولا يصلّى الجمعة بالناس إلاّ من أقام الحدود ، وأخذ بالذنوب، وأعطى الحقوق.

جامع عمرو*

قال ابن المتوّج فى إيقاظ المتغفّل وإيعاظ المتؤمل : هو الجامع العتيق المشهور بتاج الجوامع ، قال اللّيث بن سعد : ليس لأهل الراية مسجد غيره : وكان الذى حاز موضعه ابنُ كلثوم التُّجِيبىّ(١) ، ويكنَى أبا عبد الرحمن ، ونزله فى حصارهم الحصن ، فلمّا رجعوا من الإسكندرية سأل عمرو قيسَبة فى منزله هذا ، تجعله مسجدا؟ فقال قيسبة: فإنى أتصدّق به على المسلمين ، فسلّمه إليهم ؛ فبُنِى فى سنة إحدى وعشرين ، وكان طوله خمسين ذراعا فى عرض ثلاثين . ويقال إنه وقف على إقامة قبلته ثمانون رجلا من الصحابة ، منهم الزبير ابن العوام والمِقداد بن الأسود وعبادة بن الصّامت و [أبو] الدرداء وأبو ذرّ وأبو بُصرة ومحمية بن جَزء الزُّبيدىّ ونبيه بن صواب وفضالة بن عبيد وعقبة بن عامر ورافع بن مالك وغيرهم(٢) .

ويقال إنها كانت مشرفة جدًّا ، وأنّ قرة بن شريك لما هَدم المسجد وبناه فى زمن الوليد تيامن قليلا .

وذُكِر أنّ الليث بن سعد وعبد الله بن لَهيعة كانا يتيامنان إذا صلّيا فيه ؛ولم يكن للمجسد الذى بناه عمرو محراب مجوّف ، وإنما قُرّة بن شَريك جعل المحراب المجوّف .

---

* المقريزى ٤ : ٥ .

(١) هو قيسبة بن كلثوم التجيبى ؛ أحد بنى سوم ؛ سار من الشام إلى مصر مع عمرو بن العاص ، فدخلها فى مائة راحلة وخمسين عبداً وثلاثين فرسا . فلما أجمع المسلمون وعمرو بن العاص على حصار الحصن ، نظر قيسبة بن كلثوم ، فرأى جنانا تقرب من الحصن ، فعرج عليها فى أهله وعبيده ، فنزل فضرب فيها فسطاطه ، وأقام فيها طول حصارهم الحصن ، حتى فتحه الله عليهم، ثم خرج قيسبة مع عمرو إلى الإسكندرية وخلف أهله فيها ، ثم فتح الله عليهم الإسكندرية ، وعاد قيسبة إلى منزله هذا فنزله » . المقريزى .

(٢) المقريزى عن داود بن عقبة : « أن عمرو بن العاص بعث ربيعة بن شرحبيل بن حسنة وعمرو ابن علقمة القرشى ثم العدوى يقيمان القبلة ؛ وقال لهما : قوما إذا زالت الشمس — أو قال : انتصفت — فاجعلاها على حاجبيكما — ففعلا » .

وأوّل مَنْ أحدث ذلك عمر بن عبد العزيز ، وهو يومئذ عاملُ الوليد على المدينــة حين هدم المسجد النبوىّ ، وزاد فيه .

وأوّل مَنْ زاد فى جامع عمرو مسلمة بن مخلّد ، وهو أمير مصر سنة ثلاث وخمسين، شــكا الناس إليه ضيق المسجد ، فـكتب إلى معاوية ، فـكتب معاوية إليه يأمره بالزيادة فيه ، فزاد فيه مِنْ بحريّه ، وجعل له رحبة من البحرىّ وبيّضه وزخرفه ، ولم يغيّر البنـاء القديم ، ولا أحدث فى قبلته ولا غربيّه شيئا .

وكان عمرو قد اتّخذ منبرا ، فـكتب إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنــه يعزم عليه فى كسره: أما بحسبك أن تقوم قائما ،والمسلمون جلوس تحت عقبيْك ! فـكسره .

وذُكر أنّه زاد من شرقيّه حتى ضاق الطريق بينه وبين دار عمرو بن العاصى وفرشَه بالحصر وكان مفروشا بالحصباء .

وقال فى كتاب الجند العربىّ : إنّ مسلَمة نقَض جميع ما كان عمرو بن العاصى بناه ، وزاد فيه من شرقيّه ، وبنَى فيه أربع صوامع ، فى أركانه الأربعة برسم الأذان، ثم هدمه عبدالعزيز بن مروان أيّام إمْرَته بمصر فى سنة تسع وسبعين ، وزاد فيه من ناحية الغرب، وأدخل فيه الرّحبة التى كانت بحريّه .

ثم فى سنة تسع وثمانين أمر الوليد نائبه بمصر برفع سَقْفه وكان مطأطئاً ، ثم هـدمه قُرّة بن شَريك بأمر الوليـد سنة اثنتين وتسعين وبناه ، فـكانوا يجمعون فى قيسارية العسل حتى فرغ من بنائه فى رمضان سنة ثلاث وتسعين، ونصِب فيه المنبر الجديد فى سنة أربع وتسعين ، وعمِل فيه المحراب المجوّف ، وعمل للجامع أربعة أبواب ، ولم يكن له قبل إلا بابان ، وبنىَ فيه بيت المـال بناه أسامة بن زيد التنُوخى متولّى الخراج بمصر سنــة تسع وتسعين ؛ فـكان مال المسلمين فيه، ثم زاد فيه صالح بن علّى بن عبد الله بن عباس ،

وهو يومئذ أمير من قِبَل السّفاح ، وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة، فأدخل فيــه دار الزبير بن العوام ، وأحدث له بابا خامسا .

ثم زاد فيه موسى بن عيسى الهاشمىّ ، وهو يومئذ أمير مصر من قِبَل الرشيد فى شعبان سنة خمس وسبعين ومائة .

ثم زاد فيه عبد الله بن طاهر بن الحسين ـ وهو أمير مصر من قِبَل المأمون ـ فى جمادى الآخرة سنة اثنتى عشرة[1] ومائتين ؛ فتكامل ذَرْع الجامع مائتين وتسمين ذراعا بذراع العمل طولاً فى مائة وخمسين عَرْضا . ويقال إن ذَرْع جامع ابن طولون مثل ذلك سوى الأزقّة المحيطة بجوانبه الثلاثة . ونصب عبد الله بن طاهر اللّوح الأخضر ، فلما احترق الجامع احترق ذلك اللوح ، فجعل أحمد بن محمد العجيفىّ هذا اللوح مكانه ، وهو الباقى إلى اليوم .

ولما تولّى الحارث بن مسكين القضاء من قِبَل المتوكل سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، أمر ببناء هذه[2] الرحبة لينتفع الناس بهــا ، وبلّط زيادة بن طاهر ، وأصلح السّقف . ثم زاد فيه أبو أيوب أحمد بن محمد بن شجاع صاحب الخراج فى أيام المستعصم فى سنة ثمان وخمسين ومائتين.

ثمّ وقع فى مؤخّر الجـامع حريق فى ليلة الجمعة لتسع خلون من صفر سنــة خمس وسبعين ومائتين ، فأمر خمارويه بن أحمد بن طولون بعمارته على يد العُجيفىّ ، فأعيــد على ما كان، وأنفق فيــه ستة آلاف وأربعمائة دينار ، وكتِبَ اسم خمـارويه فى دائرة الرّواق الذى عليه اللوح الأخضر[3] .

(١) فى المقريزى : « وصل عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب مولى خزاعة ، أميراً من قبل المأمون فى شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة ومائتين ، وتوجه إلى الإسكندرية مستهل صفر سنة اثنتى عشرة ومائتين ، ورجع إلى الفسطاط فى جمادى الآخرة من السنة المذكورة » . (٢) المقريزى : « ورحبة الحارث هى الرحبة البحرية من زيادة الخازن ، وكانت رحبة يتابع الناس فيها يوم الجمعة » .

(٣) المقريزى : « وأمر عيسى النوشرى فى ولايته الثانية على مصر فى سنة أربع وتسعين ومائتين بإغلاق الجامع فيما بين الصلوات ، فكان يفتح للصلاة فقط ، وأقام على ذلك أياما ، فضج أهل المسجد ففتح لهم » .

وزاد فيه أبو حفص العباسيّ أيام نظره فى قضاء مصر خلافةً لأخيه الغرفة التى يؤذّن فيها المؤذنون فى السطح ؛ وذلك فى سنة ست وثلاثين وثلثمائة .

ثمّ زاد فيه أبو بكر محمد بن عبد الله بن الخازن رواقا مقداره تسعة أذرع ، وذلك فى رجب سنة سبع وخمسين وثلثمائة ، ومات قبل إتمامه فأتمّهُ ابنه علّى ، وفرغ فى رمضان سنة ثمان وخمسين ، ثم بنى فيه الوزير أبو الفرج يعقوب بن كلّس بأمر العزيز بالله الفوّارة التى تحت قبة بيت المال ، وهو أوّل من عمل فيه فوّارة[1] .

وفى سنة سبع وثمانين وثلثمائة بيّض المسجد ، ونقشت ألواحُه ، وذُهّب على يد برجوان الخادم ، وعُمِل فيه تنّور يوقد كلّ ليلة جمعة .

وفى سنة ثلاث وأربعمائة أنزِل إليه من القصر بألف ومائتين وتسعين[2] مصحفاً فى ربعات ، فيها ماهو مكتوب بالذهب كلّه ، ومكّن الناس من القراءة فيها ، وأنزِل إليه تنوّر من فضّة استعمله[3] الحاكم بأمر الله برسم الجامع ، فيه مائة ألف درهم فضّة ، فاجتَمع الناس ، وعلّق بالجامع بعد أن قلِعَتْ عتبتا الجامع حتى أدخل به .

ثم فى أيّام المستنصر فى رمضان سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة زيد فى المقصورة فى شرقيّها وغربيّها ، وعمِلت منطقة فضّة فى صدر المحراب الكبير ، أثبت عليها اسم أمير المؤمنين ، وجَعل لعمودى المحراب أطواقاً من فضة ، فلم يزل[4] ذلك إلى أن استبدّ السلطان صلاح الدين بن أيوب فأزاله[5] .

وفى ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ، عمِل مقصورة خشب ومحراب ساج

---

(١) المقريزى : « وزاد فيه مساقف الخشب المحيطة بها على يد المعروف بالمقدسى الأطروش متولى مسجد بيت المقدس » . (٢) المقريزى : « وثمان وتسعين » . (٣) المقريزى : « عمله » .

(٤) المقريزى : « وجرى ذلك على يد عبدالله بن محمد بن عبدالله فى شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة » . (٥) المقريزى : « بعد موت العاضد لدين الله فى محرم سنة سبع وستين وخمسمائة ، فقلع مناطق الفضة من الجوامع بالقاهرة » .

منقوش بعموديْ صندل برسم الخليفة ، تنصب له فى زمن الصيف ، وتقلع فى زمن الشتاء إذا صلى الإمام فى المقصورة الكبيرة .

وفى سنة أربع وستين وخمسمائة تمكن الفرنج من ديار مصر ، وحكموا فى القاهرة حكما جائرا ، فتشعث الجامع ، فلما استبد السلطان صلاح الدين جدده فى سنة ثمان وستين وخمسمائة ، ورخمه ورسم عليه اسمه ، وعمر المنظرة التى تحت المئذنة الكبيرة ، وجعل لها سقاية .

ولما تولى تاج الدين بن بنت الأعز قضاء الديار المصرية أصلح ما مال منه ، وهدم مابه من الغرف المحدثة ، وجمع أرباب الخبرة ، واتفق الرأى على إبطال جواز الماء (١) إلى الفسقية ، وكان الماء يصل إليها من بحر النيل ، فأمر بإبطاله لما كان فيه من الضرر على جدار الجامع .

وجد السلطان بيبرس فى عمارة ما تهدم من الجامع ، فرسم بعمارته ، وكتب اسم الظاهر بيبرس على اللوح الأخضر ، وجليت العمد كلها ، وبيض الجامع بأسره ، وذلك فى رجب سنة ست وستين وستمائة . ثم جدد فى أيام المنصور قلاوون سنة سبع وثمانين وسبعمائة .

ولما حدثت الزلزلة فى سنة اثنتين وسبعمائة تشعث الجامع فجدده (٢) سلار نائب السلطنة .

ثم تشعث فى أيام الظاهر برقوق ، فعمره الرئيس برهان الدين إبراهيم بن عمر المحلى

---

(١) المقريزى : « جريان الماء إلى فوارة الفسقية » .

(٢) المقريزى : « فاتفق الأميران بيبرس الجاشنكير ــ وهو يومئذ أستادار الملك الناصر محمد بن قلاوون والأمير سلار وهو نائب السلطنة ، وإليهما تدبير الدولة ــ على عمارة الجامعين بمصر والقاهرة » .

رئيس التجار ، وأزال اللوح الأخضر،وجدّد لوحا آخر بدله وهو الموجود الآن ، وانتهت عمارته فى سنة أربع وثمانمائة .

* * *

وقال ابن المتوّج : ذرْع هذا الجامع اثنان وأربعون ألف ذراع بذراع البزّ المصرىّ القديم، وهوذراع الحصر المستمرّ الآن ، وذرعه بذراع العمل ثمانية وعشرون ألف ذراع ، وعدد أبوابه ثلاثة عشر بابا .

وممّن تولى إمامة هذا الجامع أبو رجب العلاء بن عاصم الخولانىّ ، وهو أوّل من سلّم فى الصلاة تسليمتين بهذا الجامع ، بكتاب ورد عليه من المأمون يأمره بذلك ؛ وصلّى خلفه الإمام الشافعىّ حين قدم مصر ، فقال : هكذا تكون الصلاة ، ماصلّيتُ خلف أحد أتمّ صلاة من أبى رجب ولا أحسن .

ولما تولّى القَصص حسن بن الربيع بن سليمان فى زمن المتوكّل سنة أربعين ومائتين ، أمر بترك قراءة « بسم الله الرحمن الرحيم » فى الصّلاة ، وأمر أن تصلّى التراويح ،وكانت تصلّى قبل ذلك ستّ تراويح .

قال القضاعىّ : ولم يكن النّاس يصلّون بالجامع صلاة العيد ، حتى كانت سنة ست وثلثمائة صلّى فيها رجل يعرف بعلىّ بن أحمد بن عبد الملك الفهمىّ (١) صلاة الفِطْر ، ويقال إنه خطب من دفتر نظرا ، وحُفِظ عنه أنه قال : « اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلّا وأنتم مشركون »، فقال بعض الشعراء :

قام فى العيــــد لنا خطيباً ... فحرّض النّاس على الكفرِ (٢)

وذكر بعضهم أنه كان يوقَد فى الجامع العتيق كلّ ليلة ثمانية عشر ألف فتيلة

---

(١) المقريزى : « يعرف بابن أبى شيخة » .

(٢) بعده فى المقريزى : « وتوفى سنة تسع وثلثمائة » .

وأنّ المطاق برسمه خاصة لوقود كل ليلة أحد عشر قنطارا زيتاً طيّبا .

وقال المقريزىّ : أخبرنى شهاب الدين أحمد بن عبد الله الأوحدىّ ، أخبرنى المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفُرات ، أخبرنا العلامة شمس الدين محمد بن عبدالرحمن ابن الصائغ الحنفىّ ، أنه أدرك بجامع عمرو قبل الوباء الكائن فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة بِضعاً وأربعين حلْقة لإقراء العلم لا تكاد تبرح منه .

جامع أحمد بن طولون *

هـذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر ، قال ابن عبد الظاهر : وهو مكان مشهور بإجابة الدعاء ، وقيل : إن موسى عليه الصلاة والسلام ناجى ربّه عليه بكلمات .

وابتدأ فى بناء هذا الجامع الأمير أبو العباس أحمد بن طولون بعد بنائه القطائع [١]، وهى مدينة بناها مابين سفح الجبل حيث القلعة الآن ، وبين الكبارة ومابين كوم الجارح وقناطر السباع ؛ فهذه كانت القطائع [٢] .

وكان ابتداء بنائه فى سنة ثلاث وستين ومائتين ، وفرغ منه سنة ست وستين ، وبلغت النفقة عليه فى بنائه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار . وقيل : إنه قال : أريد أن أبنىَ بناء إن احترقتْ مصر بقىَ ، وإن غرقت بقىَ ، فقيل : تبنى بالجير والرّماد والآجرّ الأحمر ، ولا تجعل فيه أساطين رخام ، فإنّه لا صبر له على النّار ؛ فبنى هذا البناء ، فلمّا كمل بناؤه أمر بأن يعمل دائرة منطقه عنبر معجون ليفوح ريحُها على المصلّين ، وأشعر الناس بالصلاة فيه ، فلم يجتمع فيه أحدٌ ، وظنّوا أنه بناه من مال حرام ، فخطب

---

* المقريزى ٤ : ٣٦ ـ ٤٩ .

(١) المقريزى : « فى سنة ثلاث وستين ومائتين » .

(٢) قال ابن تغرى بردى : « القطائع كانت بمعنى الأطباق التى للمماليك السلطانية الآن ، وكانت كل قطيعة لطائفة تسمى بها ؛ فكانت قطيعة تسمى قطيعة السودان ، وقطيعة الروم ، وقطيعة الفراش ؛ ونحو ذلك ، وكانت كل قطيعة لسكن جماعة ؛ وهى بمنزلة الحارات اليوم ، وسبب بناء ابن طولون القصر والقطائع ، لكثرة مماليكه وعبيده ، فضاقت دار الإمارة عليه ، فركب إلى سفح الجبل ، وأمر بحرث قبور اليهود والنصارى ، واختط موضعها ، وبنى القصر والميدان ، ثم أمر لأصحابه وغلمانه أن يختطوا لأنفسهم حول قصره وميدانه بيوتا ، واختطوا وبنوا حتى اتصل البناء بعمارة الفسطاط ـ أعنى مصر القديمة ـ ثم بنيت القطائع ، وسميت كل قطيعة باسم من سكنها » . النجوم الزاهرة ٣ : ١٥ .

فيه ، وحلف أنه مابنى هذا المسجد بشىء من ماله ، وإنما بناه بكنز ظفر به ، وإن العشار الذى نصبه على منارته وجده فى الكنز (١) .

فصلى الناس فيه ، وسألوه أن يوسع قبلته، فذكر أن المهندسين اختلفوا فى تحرير قبلته، فرأى فى المنام النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو يقول : يا أحمد ، ابن قبلة هذا الجامع على هذا الموضع ؛ وخط له فى الأرض صورة ما يعمل . فلما كان الفجر مضى مسرعا إلى ذلك الموضع ؛ فوجد صورة القبلة فى الأرض مصورة، فبنى المحراب عليها ، ولا يسعه أن يوسع فيه لأجل ذلك ، فعظم شأن الجامع ، وسألوه أن يزيد فيه زيادة ، فزاد فيه .

قال الخطيب : ركب أحمد بن طولون يوماً يتصيد بمصر ، فغاصت قوائم فرسه فى الرمل ، فأمر بكشف ذلك الموضع ، فظهر له كنز فيه ألف ألف دينار ، فأنفقها فى أبواب البر والصدقات ، وبنى منها الجامع ، وأنفق عليه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار ، وبنى المارستان ، وأنفق عليه ستين ألف دينار .

وقال صاحب مرآة الزمان (٢) : قرأت فى تاريخ مصر أن ابن طولون كان لا يعبث قط ،

---

(١) المقريزى : « كان أحمد بن طولون يصلى الجمعة فى المسجد القديم اللاصق للشرطة ، فلما ضاق عليه بنى الجامع الجديد مما أفاء الله عليه من المال الذى وجده فوق الجبل فى الوضع المعروف بتنور فرعون ، ومنه بنى العين ، فلما أراد بناء الجامع قدر له ثلاثمائة عمود ، فقيل له : ما تجدها أو تنفذ إلى الكنائس فى الأرياف والضياع والخراب ، فتحمل ذلك ؛ فأنكر ذلك ولم يختره ، وتعذب قلبه بالفكر فى أمره ، وبلغ النصرانى الذى تولى له بناء العين ، وكان قد غضب عليه وضربه ورماه فى المطبق ، فكتب إليه يقول : أنا أبنيه لك كما تحب وتختار بلا عمد إلا عمودى القبلة ، فأحضروه وقد طال شعره حتى نزل على وجهه ، فقال له : ويحك ! ما تقول فى بناء الجامع ؟ فقال : أنا أصوره للأمير حتى يراه عيانا بلا عمد إلا عمودى القبلة ، فأمر بأن تحضر له الجلود فأحضرت ، وصوره له ، فأعجبه واستحسنه وأطلقه وخلع عليه ، وأطلق له للنفقة عليه مائة ألف دينار ، فقال له : أنفق ، وما احتجت إليه بعد ذلك أطلقناه لك ، فوضع النصرانى يده فى البناء فى الموضع الذى هو فيه ، وهو جبل يشكر ، فكان ينشر منه ، ويعمل الجير ، ويبنى إلى أن فرغ من جميعه ، وبيضه وعلق فيه القناديل والسلاسل الحسان الطوال ، وفرش فيه الحصر ، وحمل إليه صناديق المصاحف ونقل إليه القراء والفقهاء » .

(٢) مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، لسبط ابن الجوزى ، فى التواريخ القديمة الإسلامية وأخبار الأمم الماضية ، رتبه على السنين إلى سنة ٦٥٤ ، وهى السنة التى مات فيها المؤلف .

وأنه أخذ يوما درجا من الـكاغَد ، وجعل يعبث به ، وبقىَ بعضه فى يده ، فعجب الحاضرون فقال : اصنعوا منارة الجامع على هذا المثال ، وهى قائمة اليوم على ذلك . قال : ولما تمّ بناء الجامع رأى ابنُ طولون فى منامه كأن الله تجلّى للقصور التى حول الجامع ، ولم يتجلّ للجامع ، فسأل المعبّرين ، فقالوا : يخرب ما حوله ، ويبقى الجامع قائما وحده . قال : ومِنْ أين لـكم هذا ؟ قالوا : من قوله تعالى : ﴿ فلمّا تجلّى ربُّه للجَبَلِ جَعله دكّاً ﴾[1] وقوله عليه الصلاة والسلام : « إذا تجلّى الله لشىء خضع له » ، فـكان كما قالوا .

وفى الخطط للمقريزىّ : بنى أحمد بن طولون جامعه على بناء جامع سامرّاء ، وكذلك المنارة ، وبيّضه وحلّقه وفرشه بالحصر العبدانيّة ، وعلّق فيه القناديل المحـكمة بالسلاسل النحاس المفرغة الحسان الطوال ، وحمل إليه صناديق المصاحف ، وكان فى وسط صحنه قبّة مشبّـكة من جميع جوانبها ، وهى مذهّبة على عشرة عُمد رخام مفروشة كلّها بالرخام ، وتحت القبة قصعة رخام سعتها أربعة أذرع ، وسطها فوّارة تفور بالمـاء ، وكانت على السطح علامات للزوال والسطح بدرابزين ساج ، فاحترق هذا كلّه فى ساعة واحدة فى ليـلة الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وثلاثمائة ، فلما كان فى محرّم سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ؛ أمر العزيز بالله بن المعزّ ببنـاء فوّارة عِوَضا عن التى احترقت .

قال المقريزىّ : ولمـا كمل بناء جامع بن طولون صلّى فيه القاضى بكّار[2] إماما ، وخطب فيـه أبو يعقوب البلخىّ ، وأملى فيه الحديث الربيع بن سليمان تلميـذ الإمام الشافعىّ ، ودفع إليه أحمد بن طولون فى ذلك اليوم كيسا فيه ألف دينار[3]. وعمل الربيع

---

(١) الأعراف ١٤٣

(٢) المقريزى : « بكار بن قتيبة القاضى » . (٣) المقريزى : « فلما فرغ المجلس خرج إليه غلام بكيس فيه ألف دينار وقال : يقول لك الأمير : نفعك الله بما علمك؛ وهذه لأبى طاهر — يعنى ابنه — وتصدق أحمد بن طولون بصدقات عظيمة فيه ، وعمل طعاما عظيما للفقراء والمساكين وكان يوماً عظيما » .

كتاباً [1] فيما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «مَن بنى لله مسجدا ولو كمفحَص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة » ، ودسّ أحمد بن طولون عيونا لسماع ما يقوله النّاس من العيوب فى الجامع ، فقال رجل : محرابه صغير ، وقال آخر : ما فيه عمود ، وقال آخر : ليس له ميضأة ، فجمع الناس وقال : أمّا المحراب فإنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خطّه لى ، وأما العُمُد فإنى بنيتُ هذا الجامع من مالٍ حلال وهو الكنز ، وما كنت لأشوبَه بغيره ، وهذه العمد إمّا أن تكون من مسجد أو كنيسة ، فنزهته عنهما ؛ وأما الميضأة ، فها أنا أبنيها خَلْفه . ثم عمل فى مؤخّره ميضأة وخزانة شراب فيها جمع الأشربة والأدوية ، وعليها خدم ، وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث من الحاضرين للصلاة ، وأوقف على الجامع أوقافاً كثيرة سِوَى الرِّباع ونحوها ، ولم يتعرّض إلى شىء من أراضى مصر البتّة .

ثم لمّا وقع الغلاء فى زمن المستنصر خربت القطائع بأسْرِها ، وعدم السكن هنالك، وصار ما حول الجامع خرابا .

وتوالتْ الأيام على ذلك ، فتشعّث الجامع ، وخرب أكثرُه ، وصارت المغاربة تنزل فيه بإبلها ومتاعها عند ما تقدُم الحج ، وتمادَى الأمر على ذلك .

ثم إنّ لاجين لما قتِل الأشرفُ خليل بن قلاوون هرب، فاختفى بمنارة هذا الجامع فنذر إن نجّاه الله من هذه الفتنة ليعمرنه ، فنجّاه الله ، وتسلْطن، فأمر بتجديده ، وفوّض أموره إلى الأمير علم الدين سنجر الزينىّ ، فعمره ووقف عليه وقفاً ، ورتّب فيه دروس التفسير والحديث والفقه على المذاهب الأربعة والقراءات والطبّ والميقات حتى جعل من جملة ذلك وقفا على الدِّيكة تكون فى سطح الجامع فى مكان مخصوص بها لأنها تعين الموقّتين وتوقظهم فى السحر . فلما قرِئ كتاب الوقف على السلطان أعجبه ،

(١) المقريزى: « بابا » .

كلّ ما فيه إلا أمرُ الدِّيكة ، فقال: أبطلوا هذا لا تُضحِكوا النّاس علينا ، فأبطل .

وأوّل من ولىَ نظرَه بعد تجديده الأميرُ علم الدين سنجر العادلىّ ، وهو إذ ذاك دوادار السلطان لاجين .

ثم ولىَ نظره قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة ، ثم وليَه أميرُ مجلس فى أيام الناصر محمد بن قلاوون ؛ فلما مات وليَه قاضى القضاة عزّ الدين بن جماعة . ثم ولّاه الناصرُ للقاضى كريم الدين ، فجدّد فيه مئذنتين ، فلمّا نـكبه السلطان عاد نظره للقاضى الشافعىّ إلى أيام السلطان حسن ، فتولّاه الأمير صرغتمش ؛ وتوفّر فى مدة نظره من مال الوقف مائة ألف درهم فضّة ، وقبض عليه وهى حاصلة ، فباشره قاضى القضاة إلى أيام الأشرف شعبان ، ففوّض نظره إلى الأمـير الجاى اليوسفىّ إلى أن غرق ، فتحدّث فيه القاضى الشافعىّ إلى أن فوض الظاهر برقوق نظره إلى الأمير قطلوبغا الصفوىّ ، ثم عاد نظره إلى القضاة بعد الصفوىّ ، وهو بأيديهم إلى اليوم .

وفى سنـة اثنتين وتسعين وسبعمائة جـدّد الرواق البحرى الملاصق للمـئذنة البازدار مقدّم الدولة عبيد بن محمد بن عبد الهادى ، وجـدّد فيه أيضا ميضأة بجانب الميضأة القديمة .

الجامع الأزهر *

هذا الجامع أول جامع أُسِّسَ بالقاهرة ، أنشأه القائد جوهر الكاتب الصِّقِلِّىّ مولى المعزّ لدين الله لما اختطّ القاهرة ، وابتدأ بناءه فى يوم السّبت لستٍّ بقين من جُمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، وكَمُل بناؤه لسبع (١) خلوْن من رمضان سنة إحدى وستين ، وكان به طِلَّسم ، لا يسكُنه عصفور ولا يمام ولا حمام ، وكذا سائر الطيور (٢) .

ثمّ جدّده الحاكم بأمر الله ، ووقف عليه أوقافًا ، وجعل فيه تنوُّرين فِضّة وسبعة وعشرين قِنديلا فِضّة ، وكان نضدّه فى محرابه منطقة فِضّة ، كما كان فى محراب جامع عمرو ، فقلعت فى زمن صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فجاء وزنها خمسة آلاف درهم نُقْرة (٣) ، وقلع أيضا المناطق من بقيّة الجوامع .

ثم إنّ المستنصر جدّد هذا الجامع أيضا وجدّده الحافظ ، وأنشأ فيه مقصورة لطيفة بجوار الباب الغربى الذى فى مقدّم الجامع (٤) .

ثم جُدِّد فى أيام الظاهر بيبرس .

ولما بُنى الجامع كانت الخطبة تقام فيه ، حتى بُنِيَ الجامع الحاكمىّ ، فانتقلت الخطبة إليه ، وكان الخليفة يخطب فى جامع عمرو جمعة ، وفى جامع ابن طولون جمعة ، وفى

(*) المقريزى ٤ : ٤٩ ـ ٥٥ .

(١) المقريزى : « لتسع » . وفيه : « وجم فيه وكتب بدائرة القبة التى فى الرواق الأول وهى على يمنة المحراب والمنبر ما نصه بعد البسملة : « مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلى وذلك فى سنة ستين وثلثمائة » . (٢) المقريزى : « وهو صورة ثلاثة طيور منقوشة ، كل صورة على رأس عمود ، فنها صورتان فى مقدم الجامع بالرواق الخامس ، منهما صورة فى الجهة الغربية فى العمود وصورة فى أحد العمودين اللذين على يسار من استقبل سدة المؤذنين ، والصورة الأخرى فى الصحن فى الأعمدة القبلية مما يلى الشرقية » . (٣) النقرة : القطعة المذابة من الذهب أو الفضة . (٤) المقريزى : « عرفت بمقصورة فاطمة ، من أجل أن فاطمة الزهراء رضى الله عنها رئيت بها فى المقام » .

الجامع الأزهر جمعة ، ويستريح جمعة . فلما بُنى الجامع الحاكمىّ صار الخليفة يخطُب فيه .

ولم تنقطع الجمعة من الجامع الأزهر بالكلية . فلمّا وَلِىَ السلطان صلاح الدين بن أيوب،قلّد وظيفةَ القضاءصدرَ الدّين بن درباس، فعمل بمقتضى مذهبه ، وهو امتناع إقامة خطبتين فى بلد واحد ، كما هو مذهب الشافعىّ رضى الله عنه ، فأبطل الخطبة من الجامع الأزهر ، وأقرّها بالجامع الحاكمىّ لكونه أوسَع ، فلم يزل الجامع الأزهر معطّلاً من إقامة الخطبة فيه إلى أيام الظاهر بيبرس ، فتحدّث فى إعادتها فيه ، فامتنع قاضى القضاة ابن بنت الأعزّ وصمّم ، فولّى السّلطان قاضيا حنفيًا ، فأذِن فى إعادتها فأعيدت .

جامع الحاكم *

أوّلُ مَنْ أسّسه العزيز بالله ابن المعزّ ، وخطب فيه ، وصلّى بالناس [١] ، ثم أكمله الحاكم بأمر الله [٢] ، وكان أوّلاً يعرف بجامع الخطبة ، ويعرف اليوم بجامع الحاكم ، ويقال له الجامع الأنور ، وكان تمام عمارته فى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وَحَبَس عليه الحاكم عِدّة قياسر وأملاك بباب الفتوح ، وقد هُدِم فى الزلزلة الكائنة فى سنة اثنتين وسبعمائة ، فجدّده بيبرس الجاشنكير ، ورتّب فيه دروساً على المذاهب الأربعة ، ودرس حديث ودرس نحو ، ودرس قراءات .

* * *

ومن بناء الحاكم أيضا جامع راشدة ، بجوار رباط الآثار ، وعرِف بجامع راشدة؛ لأنه فى خُطّة راشدة ؛ قبيلة من لَخْم . وصلّى به الحاكم الجمعة أيضا [٣] .

* * *

ومن بنائه أيضا الجامع الذى بالمَقْس على شاطئ النيل، ووقف عليه أوقافا ، ثم جدّده فى سنة سبعين وسبعمائة الوزير شمس الدين المَقْسِىّ [٤] .

* * *

(*) المقريزى ٤ : ٥٥ ـ ٦٢ .

(١) المقريزى : « هذا الجامع بنى خارج باب الفتوح أحد أبواب القاهرة » .

(٢) المقريزى: « ثم أكمله الحاكم بأمر الله ، فلما وسع أمير الجيوش بدر الجمالى القاهره ، وجعل أبوابها حيث هى اليوم صار جامع الحاكم داخل القاهرة ، وكان يعرف أولا بجامع الخطبة » .

(٣) نقل المقريزى عن المسبحى فى حوادث سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ، «ابتدئ ببناء جامع راشدة سابع عشر ربيع الآخر ، وكان مكانه كنيسة حولها مقابر لليهود والنصارى فبنى بالطوب ثم هدم وزيد فيه ، وبنى بالحجر ، وأقيمت به الجمعة » .

وانظر المقريزى ٤ : ٦٣ ـ ٦٥ .

(٤) انظر المقريزى ٤ : ٦٥ ، ٦٦ .

ومن الجوامع التى بنيت فى خلافة بنى عُبيد الجـامع الأقمر ، بناه الآمر بأحـكام الله (١) .

والجامع الأنخر ؛ وهو (٢) الذى يقال له اليوم جامع الفـكاهيّين بناه الخليفة الظافر .

وجامع الصـالح خارج (٣) باب زُويلة بنـاه الملك الصالح طَلائعَ بن رُزِّيك وزير الخليفة الفائز.

(١) المقريزى عن ابن عبد الظاهر « كان مكانه علافون والحوش مكان المنظرة ، فتحدث الخليفة الآمر مع الوزير المأمون بن البطائحى فى إنشائه جامعاً ، فلم يترك قدام القصر دكانا ، وبنى تحت الجامع المذكور فى أيامه دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح ، لامن صوب القصر ، وكمل الجامع المذكور فى أيامه ، وذلك فى سنة تسع عشرة وخمسمائة ، وذكر أن اسم الآمر والمأمون عليه » .
وانظر المقريزى ٤ : ٧٥ ، ٧٦ .

(٢) ذكره المقريزى فى ٤ : ٨٠ باسم جامع الظافر ، وقال : « هذا الجامع بالقاهرة فى وسط السوق الذى كان يعرف قديما بسوق السراجين ، ويعرف اليوم بسوق الشرابيين ... وهو من المساجد الفاطمية » .

(٣) ذكره المقريزى فى ٤ : ٨١ باسم جامع الصالح .

ذكر أمهات المدارس والخانقاه العظيمة بالديار المصرية

قال : أوّل من بَنَى المدارس فى الإسلام الوزير نظام الملك قوام الدين الحسن بن علىّ الطوسىّ ، وكان وزيرَ السلطان البارسلان السلجوقىّ عشر سنين ، ثم وزَر لولده مَلِكشاه عشرين سنة . وكان يحبّ الفقهاء والصوفيّة ويكرمهم ، ويؤثرهم ، بنى المدرسة النظاميّة ببغداد ، وشرع فيها فى سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، ونجزَت سنة تسع وخمسين، وجمع الناس على طبقاتهم فيهـا يوم السبت عاشر ذى القعدة ليدرس فيهـا الشيخ أبو إسحاق الشّيرازىّ ، فجاء الشيخ ليحضر الدرس ، فلقيَه صبىٌّ فى الطريق ، فقال : ياشيخ كيف تدرس فى مكان مغصوب ؟ فرجع الشيخ ؛ واختفى . فلمّا يئسوا من حضوره ، ذكر الدّرس بها أبو نصر بن الصّباغ عشرين يوما . ثم إنّ نظام الملك احتال على الشيخ أبى إسحاق ولم يزل يرفق به حتى درّس بهـا ، فحضر يوم السّبت مستهَلّ ذى الحجـة ، وألقى الدرس بها إلى أن تُوفِّىَ . وكان يخرج أوقات الصلاة فيصلّى بمسجد خارجها احتياطا. وبنى نظام الملك أيضا مدرسة بنيسابور تسمىّ النظاميّة ، درّس بها إمام الحرَمين ،واقتدى النّاس به فى بناء المدارس.

وقد أنـكر الحافظ الذهبىّ فى تاريخ الإسلام على مَنْ زعمَ أنّ نظام الملك أوّل مَنْ بنى المدارس وقال : قد كانت المدرسة البيهقيّة بنيسابور قبل أن يولَد نظام الملك ،والمدرسة السعيدّية بنيسابور أيضا ، بناها الأمير نصر بن سُبُكْتِكين أخو السلطان محمود لمّا كان واليا بنيسابور ، ومدرسة ثالثـة بنيسابور ، بناها أبو سعد إسماعيـل بن علىّ بن المثنّى الأستراباذى الصوفىّ الواعظ شيـخ الخطيب ، ومدرسة رابعـة بنيسابور أيضا بنيت للأستاذ أبى إسحاق .

قال الحاكم فى ترجمة الأستاذ أبى إسحاق : لم يكن بنيسابور مدرسة قبلها مثلهـا ؛

وهذا صريح فى أنه بُنِيَ قبلها غيرها. قال القاضى تاج الدين السّبكى فى طبقاته الكبرى : قد أدرت فكرى ، وغلب على ظنّى أن نظام الملك أول مَنْ رتب فيها المعاليم للطلبة ، فإنه لم يصحّ لى : هل كان للمدارس قبله معاليم أم لا ؟ والظاهر أنه لم يكن لهم معلوم . انتهى .

وأما مصر ، فقال ابن خلكان : لمّا ملك السلطان صلاح الدين بن أيوب الديار المصرية ، لم يكن بها شيء من المدارس ، فإنّ الدولة العُبيدية كان مذهبُها مذهب الرافضة والشيعة ، فلم يكونوا يقولون بهذه الأشياء ، فبنى السلطان صلاح الدين بالقَرافة الصغرى المدرسة المجاورة للإمام الشافعىّ ، وبنى مدرسة مجاورة للمشهد الحسينّى بالقاهرة ، وجعل دار سعيد السعداء خادم الخلفاء المصريين خانقاه(١) ، وجعل دار عباس الوزير العُبيدىّ مدرسة للحنفيّة ، وهى المعروفة الآن بالسيوفية ، وبنى المدرسة التى بمصر المعروفة بزين التجار للشافعى ، وتعرف الآن بالشريفيّة ، وبنى بمصر مدرسة أخرى للمالكيّة وهى المعروفة الآن بالقمحيّة .

وقد حُكى أنّ الخليفة المعتضِد بالله العباسىّ لما بنى قصره ببغداد استزاد فى الذّرع ، فسئل عن ذلك ، فذكر أنه يريده ليبنى فيها دورا ومساكن ومقاصر ، يرتّب فى كلّ موضع رؤساء ، كلّ صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعمليّة ، ويجرى عليهم الأرزاق السنيّة ، ليقصد كلّ مَن اختار علما أو صناعة رئيسا ، فيأخذ عنه .

وقد ذكر الواقدىّ أنّ عبد الله بن أمّ مكتوم قدم مهاجرا إلى المدينة ، فنزل دار القرّاء .

---

(١) الخانقاه ، وجمعها خوانق، وكذلك الرباطات والزوايا : معاهد دينية إسلامية للرجال والنساء ، أنشئت لإيواء المنقطعين للعلم والزهاد والعباد . ولفظا الرباط والزاوية عربيان، أما الخانقاه ففارسية ومعناها البيت ، وهى حديثة فى الإسلام ، فى حدود الأربعمائة ، وجعلت لتخلى الصوفية فيها للعبادة والتصوف .

ذكر المدرسة الصلاحية

بجوار الإمام الشافعىّ رضى الله عنه ، وينبغى أن يقال لها : تاج المدارس ،وهى أعظم مدارس الدنيا على الإطلاق لشرفها بجوار الإمام الشافعىّ ، ولأن بانيها أعظمُ الملوك ، ليس فى ملوك الإسلام مثله ، لا قبله ولا بعده ، بناها السّلطان صلاح الدين بن أيوب رحمه الله تعالى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، وجعل التدريس والنظر بها للشّيخ نجم الدين الخُبُوشانىّ ، وشرط له من المعلوم فى كلّ شهر أربعين دينارا معاملة ، صرف كلّ دينار ثلاثة عشر درهما وثلث درهم عن التدريس ، وجعل له عن معلوم النظر فى أوقاف المدرسة عشرة دنانير ، ورتّب له من الخبز فى كلّ يوم ستين رطلا بالمصرىّ ، وراويتين من ماء النيل .

قال المقريزىّ : ولىَ تدريسها جماعة من الأكابر الأعيان ، ثم خلت من مدرّس ثلاثين سنة ، واكتُفِى فيها بالمعيدين [1] ، وهم عشرة أنفس ، فلمّا كان سنة ثمان وسبعين وستّمائة ، ولىَ تدريسها تقىّ الدين بن رزين ، وقُرِّر له نصف المعلوم ، فلما مات وليها الشيخ تقىّ الدين بن دقيق العيد بربع المعلوم ، فلما ولىَ الصاحب برهان الدين الخضر السنجارىّ التدريس قرّر له المعلوم الشاهد به كتاب الوقف .

وقد استمرّت بيد الخبُوشانىّ إلى أن مات سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، فوليَها شيخ الشيوخ صدر الدين أبو الحسن محمد بن حَمُّويْه الجوينىّ فى حياة الواقف ،فلما مات الواقف عزل

---

(١) المعيد : ما عليه قدر زائد على سماع الدروس ، من تفهيم الطلبة ونفعهم معيد النعم ١٨٠ .
(حسن المحاضرة ٢/١٧)

عنها واستمرت عليها أيدى بنى السلطان ، واحدا بعد واحد ، ثم خلصت بعد ذلك وعاد إليها الفقهاء والمدرّسون . كذا فى تاريخ ابن كثير .

وذكر المقريزىّ فى الخطط أن صدر الدين بن حمّويه ولىَ تدريس الشافعىّ ، وأنه وليها ولده كمال الدين أحمد ، ومات سنة تسع وثلاثين وستمائة ، ثم وليها قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعزّ ، ثم وليها قاضى القضاة تقىّ الدين بن رزين ، ثم وليها قاضى القضاة تقىّ الدين بن بنت الأعزّ ، ثم وليها قاضى القضاة شيخ الإسلام تقىّ الدين بن دقيق العيد ، ثم وليها عز الدين محمد بن محمد بن الحارث بن مسكين ، ثم وليها فى سنة إحدى عشرة وسبعمائة ضياء الدين عبد الله بن أحمد بن منصور النّشائىّ[1] ، ومات سنة ست عشرة وسبعمائة ، ثم وليَها مجد الدين حرمى بن قاسم بن يوسف الفاقوسىّ إلى أن مات سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، ثم وليَها شمس الدين بن القمّاح ، ثم ضياء الدّين محمد بن إبراهيم المناوىّ ، ثم شمس الدين بن اللّبان ، ثم شمس الدين محمد بن أحمد بن خطيب بيروت الدّمشقى ، ثم بهاء الدين بن الشيخ تقىّ الدين السبكىّ ، ثم أخوه تاج الدين لما سافر بهاء الدين عِوضه قاضيا بالشام ، ثم لمّا عاد تاج الدين إلى القضاء عاد إليها إلى التدريس إلى أن مات .

ثم ابن عمه قاضى القضاة بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البرّ السبكىّ ، ثم ولده بدر الدين محمد ، ثم البرهان بن جماعة ، ثم الشيخ سراج الدين البُلقينىّ ، ثم أعيد البرهان بن جماعة ، ثم أعيد بدر الدين أبو البقاء السبكىّ ، ثم قاضى القضاة عماد الدين أحمد بن عيسى الكَرَكىّ ، ثم أعيد البدر بن أبى البقاء ، ثم وليها بعده ولده جلال الدّين محمد إلى أن مات ، فوليَها بعده شمس الدين البيرىّ أخو جمال الدين الأستادار ، ثم عزل فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة لمّا نكب أخوه . ووَليها

(١) ط : « النسائى » تحريف .

نور الدين على بن عمر التِّلوانى[1] ، فأقام بهــا مدة طويلة إلى أن مات فى ذى القعدة سنة أربع وأربعين وثمانمائة ؛ وهو أطول شيوخها مدّة ، ووليّها بعده العلاء القلقشندىّ ، ثم ابن حَجَر الونائىّ[2] ، ثم القاياتىّ ، ثم السَّفَطىّ ، ثم الشرف المناوىّ ، ثم السراج الحِمْصىّ ثم أعيد المناوىّ إلى أن مات ، ثم ولده زين العابدين ، ثم ابنه ثم إمام الكاملية ، ثم الحمصىّ ، ثم الشيخ زكريا .

---

(١) التلوانى ، بالكسر ، نسبة لتلوانة قرية بالمنوفية .
(٢) الونائىّ ، منسوب لونا من قرى الصعيد .

خانقاه سعيد السعداء*

وقفها السلطان صلاح بن أيوب ، وكانت دارًا لسعيد السعداء قنبر – ويقال عنبر – عتيق الخليفة المستنصر[1]، فلما استبدّ الناصر صلاح الدين بالأمر ، وقفها على الصوفيّة فى سنة تسع وستين وخمسمائة ، ورتّب لهم كلّ يوم طعاما ولحما وخبزا ، وهى أول خانقاه عُملت بديار مصر ، ونعت شيخُها بشيخ الشيوخ ، وما زال يُنعَت بذلك إلى أن بنى الناصر محمد بن قلاوون خانقاه سرياقوس ، فدُعى شيخها بشيخ الشيوخ ، فاستمرّ ذلك بعدهم إلى أن كانت الحوادث والمحن منذ سنة ست وثمانمائة، وضاعت الأحوال، وتلاشت الرتب ، تلقّب كل شيخ خانقاه بشيخ الشيوخ ، وكان سكانها من الصوفيّة ، يعرَفون بالعلم والصلاح ، وتُرجَى بركتُهم .

وولىَ مشيختها الأكابر ، وحيث أطلق فى كتب الطبقات فى ترجمة أحد أنه ولى «مشيخة الشيوخ » فالمراد مشيختُها ولشيخها شيخ الشيوخ ؛ هذا هو المراد عند الإطلاق .

وقد وليها عن الواقف صدر الدين محمد بن حَمّوَيْه الجوينىّ ، ثم ولده كمال الدين أحمد، ثم ولده معين الدين حسن أخو كمال الدين ، ثم وَلِيَها كريم الدين عبد الكريم بن الحسين الآمُلِىّ ، ثم وليها قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعزّ ، ثم وليها الشيخ صابر الدين حسن البخارىّ ، ثم وليها شمس الدين محمد بن أبى بكر الأيلىّ ، ثم وليها قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة ، ثم وليها الآمُلىّ ، ثم وليها العلامة علاء الدين القُونوىّ ، ثم وليها مجد الدين موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائىّ ، ثم وليها شمس الدين محمد بن إبراهيم

(*) المقريزى ٤ : ٢٧٣ – ٢٧٥ .

(١) فى المقريزى: « أحد الأستاذين المحنكين خدام القصر عتيق الخليفة المستنصر ، قتل فى سابع شعبان سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، ورمى برأسه من القصر ، ثم صلبت جثته بباب زويلة ».

النقشوانىّ ، ثم وليَها كمال الدين أبو الحسن الجوارىّ ، ثم سراج الدين عمر الصدّى إلى أن مات سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، ثمّ وَليَها الشيخ بدر الدين حسن بن العلاّمة علاء الدين القُونوىّ إلى أن مات سنة ست وسبعين وسبعمائة ، ثم جلال الدين جار الله الحنفىّ إلى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، ثم وليَها علاء الدين أحمد بن محمد السرائىّ ، ثم الشيخ برهان الدين الأبناسىّ ، ثم شمس الدين محمد بن محمود بن عبد الله ابن أخى جار الله ، ثم أعيد البرهان الأبناسىّ ، ثم شهاب الدين أحمد بن محمد الأنصارىّ ، ثم أعيد محمد بن أخى جار الله ، ثم وليَها شمس الدين محمد بن على البلالىّ مدة متطاولة إلى أن مات سنة عشرين وثمانمائة ، ثم وليَها شمس الدين البيرىّ أخو جمال الدين الأستادَار ، ثم وليَها الشيخ شهاب الدين بن المحموه ، ثم جمال الدين يوسف بن أحمد التّزمنتىّ المعروف بابن المجبّر ، ثم أعيد إبن المحموه ، ثم القاياتى ، ثم الشيخ خالد ، ثم تقىّ الدين القلقشندىّ ، ثم السراج العبادىّ ، ثم الـكورانىّ ، ثم السنتاوىّ .

المدرسة الكاملية*

وهى دار الحديث ، وليس بمصر دار حديث غيرها ، وغير دار الحديث الّتى بالشيخونيّة. قال المقريزىّ : وهى ثانى دارٍ عُملت للحديث ، فإنّ أوّل مَنْ بنى دار حديث على وجه الأرض الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بدمشق ، ثم بنى الكامل هذه الدار ، بناها الملك الكامل ، وكملت عمارتها فى سنة إحدى وعشرين وستمائة ، وجعل شيخها أبو الخطاب عمر بن دحية ، ثم وَلِيَها بعده أخوه أبو عمر وعثمان بن دِحْية ، ثم وليَها الحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرىّ ، ثم وليَها شرف الدين بن أبى الخطاب بن دحية ، ثم وليَها بعده المحدّث محيي الدين بن سراقة ، ثم وليَها تاج الدين بن القسطلانىّ المالكىّ ، ثم وليها النّجيب عبد اللطيف الحرّانىّ ، ثم وليَها القطب القسطلانىّ الشافعىّ، ثم وليها ابنُ دقيق العيد ، ثم وليها أبو عمرو بن سيّد الناس والد الحافظ فتح الدين ، فانتزعها منه البدْر بن جماعة ، ثم وليَها عماد الدين محمد بن علىّ بن حرمىّ الدمياطىّ ومات سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، ثم البدْر بن جماعة ، ثم نزل عنها للجمال ابن التّركمانى إلى أن مات سنة تسع وستين وسبعمائة ، ووليَها الحافظ زين الدين العراقىّ ، ثم لمّا أن وَلِىَ قضاء المدينة سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، استقرّ فيها الشيخ سراج الدين بن الملقّن .

(*) المقريزى ٤ : ٢١١ ـ ٢١٦ .

المدرسة الصالحية *

بين القصرين هى أربع[1] مدارس للمذاهب الأربعة، بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل، شرع فى بنائها سنة تسع وثلاثين[2]. قال المقريزىّ: وهذه المدرسة من أجلّ مدارس القاهرة إلّا أنها قد تقادم عهدها، فرثّت، ولما فتحت أنشد فيها الأديب أبو الحسين الجزّار:

ألّا هكذا يبنى المدارسَ مَنْ بَنَى ومَنْ يتغالَى فى الثّواب وفى البنَا

فى أبيات أخر.

قال السراج الورّاق:

مليك له فى العلم حبٌّ وأهله فلله حبٌّ ليس فيه ملامُ!

فشيّدها للعلم مدرسةً غدا عراق أهلها إذ ينسبون وشَامُ

ولا تذكرنْ يوما نظاميّةً لها فليس يضاهى ذا النّظام نظامُ

قال ابن السنبرة الشاعر — وقد نظر إلى قبر الملك الصالح، وقد دفن إلى مايختص بالمالكية من مدرسته:

بنيتَ لأرباب العلوم مدارساً لتنجُو بها من هَوْل يوم المهالِك

وضاقت عليك الأرضُ لم تلق منزلا تحلّ به إلا إلى جنب مالك

(*) المقريزى ٤ : ٢٠٩ — ٢١١.

(١) المقريزى: « هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة، كان موضعها من جملة القصر الكبير الشرق ». (٢) قال المقريزى: « ورتب فيها دروساً أربعة للفقهاء المنتمين إلى المذاهب الأربعة فى سنة إحدى وأربعين وستمائة، وهو أول من عمل بمصر دروسا أربعة فى مكان ».

المدرسة الظاهرية القديمة*

للملك الظاهر بيبرس البندقدارىّ شرع فى بنائها سنة إحدى وستين وستمائة، وتمّت فى أول سنة اثنتين وستين ، ورتّب لتدريس الشافعيه بها تقىّ الدين بن رزين، والحنفيّة محب الدين عبد الرحمن بن الكمال عمر بن العديم ، ولتدريس الحديث الحافظ شرف الدين الدمياطىّ ، ولإقراء القراءات بالروايات كمال الدين القرشىّ ووقف بها خزانة كتب[1] .

المدرسة المنصورية**

أنشأها هى والبيمارستان الملك المنصور قلاوون ، وكان على عمارتها الأمير علم الدين سنجر الشجاعىّ ، فلما تمّا دخل عليه الشرف البوصيرىّ ، فمدحه بقصيدة أولها :

أنشأت مدرسة ومارستانًا لتصحّح الأديان والأبدانا[2]

فأعجبه ذلك وأجزل عطاءه ، ورتب فى هذه المدرسة دروس فقه على المذاهب الأربعة، ودرس تفسير ودرس حديث ، ودرس طبّ .

(*) المقريزى ٤ : ٢١٦ ، ٢١٧ .

(١) المقريزى : « وجعل بها خزانة كتب تشتمل على أمهات الكتب فى سائر العلوم ، وبنى بجانبها مكتبا لتعليم أيتام المسلمين كتاب الله تعالى ، وأجرى لهم الجرايات والكسوة » .

(**) المقريزى ٤ : ٢١٨ .

المدرسة الناصرية*

ابتدأها العادل كتبغا ، وأتمها الناصر محمد بن قلاوون ، فرغ من بنائها سنة ثلاث وسبعمائة ، ورتّب بها درسا للمذاهب الأربعة .

قال المقريزىّ : أدركت هذه المدرسة وهى محترمة إلى الغاية ، يجلس بدهليزها عدة من الطواشيّة ، ولا يمكن غريب أن يصعد إليها[1] .

* * *

الخانقاه البيبرسية**

بناها الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكيرىّ فى سنة سبع وسبعمائة موضع دار الوزارة ، ومات بعد أن تسلطن، فأغلقها الناصر بن قلاوون فى سلطنته الثالثة مدّة ، ثم أمر بفتحها . قال المقريزىّ : وهى أجل خانقاه بالقاهرة بنيانًا ، وأوسعها مقدارا ، وأتقنها صنعة ، والشباك الكبير الذى بها هو الشباك الذى كان بدار الخلافة ببغداد . وكانت الخلفاء تجلس فيه ، حمله الأمير البساسيرى مِنْ بغداد لمّا غلب على الخليفة القائم العباسىّ وأرسل به إلى صاحب مصر .

(*) المقريزى ٤ : ٢٢١ .

(١) بعدها فى المقريزى « وكان يفرق بها على الطلبة والقراء وسائر أرباب الوظائف بها السكر فى كل شهر لكل أحد منهم نصيب » .

(**) المقريزى ٤ : ٢٧٦ ـ ٢٧٩.

خانقاه قوصون بالقرافة*

بنيت فى سنة ست وثلاثين وسبعمائة ، وأوّل مَنْ ولى مشيختها الشمسى محمود الأصفهانى الإمام المشهور صاحب التصانيف المشهورة ، وكانت من أعظم جهات البرّ ، وأعظمها خيرا ، إلى أن حصلت المِحَن سنة ست وثمانمائة ، فتلاشى أمرها كما تلاشى غيرها .

* * *

خانقاه شيخو**

بناها الأمير الكبير رأس نوبة الأمراء الجمدارية سيف الدين شيخو العمرى جالبه خواجا عمر وأستاذه الناصر محمد بن قلاوون ، ابتدأ عمارتها فى المحرّم سنة ست وخمسين وسبعمائة، وفرغ من عمارتها فى سنة سبع وخمسين وسبعمائة ورتّب فيها أربع دروس على المذاهب الأربعة ، ودرْس حديث ، ودرْس قراءات ومشيخة إسماع الصحيحين والشفاء ، وفى ذلك يقول ابن أبى حَجَلة :

ومدرسةٍ للعـــلم فيها مواطنٌ   فشيخو بها فردٌ وإيثارُه جمعُ
لئن بات منها فى القلوب مهابةٌ   فواقِفها ليثٌ وأشياخُها سبعُ

ومات شيخو بعد فراغها بسنة فى ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ، وشرط فى شيخها الأكبر وهو شيخ حضور التصوف وتدريس الحنفية بالديار المصرية ، وأن يكون عارفا بالتفسير والأصول ، وألّا يكون قاضياً ؛ وهذا الشرط عامٌّ فى جميع أرباب الوظائف بها .

(*) المقريزى ٤ : ٢٧٨ .
(**) المقريزى ٤ : ٢٨٣ .

وأول مَن تولى المشيخة بها الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود البابرتيّ .

وأوّل من تولى تدريس الشافعيّة بها الشيخ بهاء الدين بن الشيخ تقى الدين السّبكى .

وأوّل مَنْ تولّى تدريس المالكيّة بها الشيخ خليل ، صاحب المختصر .

وأوّل من تولى تدريس الحنابلة بها قاضى القضاة موفّق الدين .

وأوّل من تولى تدريس الحديث بها جمال الدين عبد الله بن الزولىّ ، وأقام الشيخ أكمل الدين فى المشيخة إلى أن مات فى رمضان سنة ست وثمانين .

ووَلِىَ بعده عزّ الدين يوسف بن محمود الرازىّ إلى أن مات فى المحرم سنة أربع وتسعين .

ووَلِىَ بعده جمال الدين محمود بن أحمد القيصرىّ المعروف بابن العجمىّ ، ثم عُزل فى سنة خمس وتسعين .

ووَلِىَ الشيخ سيف الدين السِّيرامىّ مضافا لمشيخة الظاهرية .

ثم ولىَ بدر الدين الكلسانىّ ، ثم عزل وولى الشيخ زاده .

ثم ولى بعده جمال الدين بن العديم سنة ثمان وثمانمائة ، ثم ولده ناصر الدين سنة إحدى عشرة وثمانمائة .

ثم وليَها أمين الدين بن الطرابُلُسىّ سنة اثنتى عشرة ، ثم أعيد ابن العديم ، ثم وَلِيهـا شرف الدين بن التبانىّ ، سنة خمس عشرة إلى أن مات فى صفر سنة سبع وعشرين ، وولى الشيخ سراج الدين قارئ الهداية إلى أن مات سنة تسع وعشرين ، ووليها الشيخ زين الدين التَّفَهنىّ ، ثم صُرِف فى سنة ثلاث وثلاثين بالقضاء ، ووليها صدر الدين بن العجمىّ ، فمات فى رجب من عامه ، ووليها البدر حسن بن أبى بكر القدسىّ ، ثم وليها الشيخ باكير.

***

مدرسة صرغتمش *

ابتدأ بعمارتها فى رمضان سنة ست وخمسين وسبعمائة ، وتمت فى جمادى الأولى سنة سبع وخمسين ، وهى من أبدع المبانى وأجلّها ، ورُتِّب فيها درس فقه على مذهب الحنفيّة ، قرر فيه القوام الإتقانىّ ، ودرس حديث .

وقال العلامة شمس الدين بن الصائغ :

ليهنك ياصَرْغَتْمَشُ مابنيتَــــهُ   لأخراك فى دنياك من حسنِ بنيانِ

به يزدهى الترخيم كالزهر بهجــــةً   فلله من زهر ولله من بانِ!

(*) المقريزى ٤ : ٢٥٦ .

مدرسة السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون

شرع فى بنائها فى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ، وكان فى موضعها دور وإسطبلات. قال المقريزىّ : لا يعرف ببلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يَحكِى هذه المدرسة فى كبر قالبها ، وحسن هِندامها ، وضخامة شكلها ، قامت العمارة فيها مدة ثلاث سنين ، لا تبطُل يوما واحدا ، وأرصد لمصروفها فى كلّ يوم عشرين ألف درهم ، منها نحو ألف مثقال ذهباً ، حتى قال السلطان : لولا أن يقال : ملك مصر عجز عن إتمام مابناه لتركتُ بناءها؛ من كثرة ماصرف .

وذرع إيوانها الكبير خمسة وستون ذراعا فى مثلها ، ويقال إنه أكبر من إيوان كسرى بخمسة أذرع، وبها أربع مدارس للمذاهب الأربعة .

قال الحافظ ابن حجر فى إنباء الغمر : يقال إن السلطان حسن أراد أن يُعمل فى مدرسته درس فرائض ، فقال البهاء السبكى: هو باب من أبواب الفقه ، فأعرض عن ذلك. فاتّفق وقوع قضية فى الفرائض مشكلة ، فسئل عنها السّبكىّ ، فلم يجب عنها ، فأرسلوا إلى الشيخ شمس الدين الكلائىّ [1] فقال : إذا كانت الفرائض باباً من أبواب الفقه ، فما له لايجيب ! فشقّ ذلك على بهاء الدين وندم على ماقال .

وكان السّلطان قد عزم على أن يبنَى أربع منائر ، يؤذنون عليها ، فتمت ثلاث منائر إلى أن كان يوم السبت سادس ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، سقطت المنارة التى على الباب ، فهلك تحتها نحو ثلاثمائة نفس من الأيتام الذى كانوا قد رُتّبُوا بمكتب السبيل ومن غيرهم ، فلهج الناس بأن ذلك ينذر بزوال الدولة ، فقال الشيخ بهاء الدين السبكى فى ذلك أبياتا :

أبشر فسعدك ياسلطان مصرَ أتَى ... بشيرُه بمقالٍ سار كالمثلِ

---

(١) الكلائىّ ، بالفتح ، منسوب لكفر كلا بالغربية .

إن المنـارة لم تسقط لمنقصـــةٍ ‏ ‏ لكن لسرٍّ خفى قد تبيّن لِى

من تحتها قرِئ القرآن فاستمعتْ ‏ ‏ فالوجْد فى الحال أدّاها إلى الميَل

لو أنزل الله قرآنا على جبـــلٍ ‏ ‏ تصدّعت رأسُه من شدة الوجَل

تلك الحجارة لم تنقض بل هبطت ‏ ‏ من خشية الله لا للضعف والخلَل

وغاب سلطانها فاستوحشت فرمَتْ ‏ ‏ بنفسها لجوًى فى القلب مشتعل

فالحمد لله خطّ العين زالَ بمـــا ‏ ‏ قد كان قدّره الرحمـن فى الأزل

لا يعترى البؤسُ بعد اليوم مدرسةً ‏ ‏ شيّدتَ بنيـانها لِلْعلم والعَملِ

ودمت حتى ترى الدّنيا بها امتلأت ‏ ‏ علمـاً فليس بمصرٍ غـيرُ مشتغلِ

فاتّفق قتل السلطان بعد سقوط المئذنة بثلاثة وثلاثين يوما .

المدرسة الظاهرية

كان الشروع فى عمارتها فى رجب سنة ست وثمانين ، وانتهت فى رجب سنة ثمان وثمانين ، وكان القائم على عمارتها جركس الخليلى أمير أخور ، وقال الشعراء فى ذلك وأكثروا، فمن أحسن ماقيل :

الظّاهر الملك السلطان همّتُـــهُ كادتْ لرفعته تسمو على زُحَـلِ
وبعض خـدّامه طوعاً لخدمتِه يدعو الجبالَ فتأتيه على عجــلِ

قال ابن العطار :

قد أنشأ الظّاهر السلطان مدرسةً فاقت على إرَمٍ مع سرعة العملِ
يكفى الخليلىّ أنْ جاءت لخدمتِـه شمٌّ الجبال لها تأتى على عَجَلِ

قال الحافظ ابن حجر : ومَنْ رأى الأعمدة التى بها عرف الإشارة . ونزل السلطان إليها فى الثانى عشر من رجب ، ومدّ سماطا عظيما ، وتـكلّم فيها المدرسون ، واستقرّ علاء الدين السِّيرامىّ مدرس الحنفيّة بها ، وشيخ الصوفيّة ، وبالغ السلطان فى تعظيمه حتى فرش سجّادته بيده ، واستقرأ أوحد الدين[1] الرومىّ مدرّس الشافعية وشمس الدين ابن مكين مدرّس المالـكيّة، وصلاح ابن الأعمى مدرّس الحنابلة، وأحمد زاده العجمى مدرس الحديث، وفخر الدين الضرير إمام الجامع الأزهر مدرس القراءات .

قال ابن حجر : فلم يكن منهم مَنْ هو فائق فى فنه على غيره من الموجودين غـيره ، ثم بعد مدّة قرر فيها الشيخ سراج الدين البُلقينىّ مدرس التفسير وشيخ الميعاد .

(١) ط : « وحيد الدين » .

المدرسة المؤيدية

انتهت عمارتها فى سنة تسع عشرة وثمانمائة ، وبلغت النفقة عليها أربعين ألف دينار ، واتفق بعد ذلك بسنة ميلُ المئذنة التى بنيت لها على البرج الشمالى بباب زَويلة ، وكان النّاظر على العمارة بهاء الدين بن البرجىّ ، فأنشد تقى الدين بن حجة فى ذلك أبياتا :

على البرجِ من بابَىْ زَويلة أنشئت | منارةُ بيتِ الله للعمَل المنجِى
فأخذَ بها البرجُ اللّعين أمالها | ألا صرِّحوا ياقومُ باللّعْن للبرجِ

وقال شعبان الأثارىّ :

عتبنَا على ميـــل المنار زويلةً | وقلنا تركت الناس بالميل فى هرْجِ
فقالت قرينى برج نحسٍ أمالَنى | فلاَ بارك الرّحمن فى ذلك البرْجِ

قال الحافظ ابن حجر :

لجامـــع مولانا المؤيد رونَقٌ | منارتُه بالحسنِ تزهو وبالزَّيْنِ
تقول وقد مالتْ عن القصد أمهلُوا | فليس على جسمى أضرّ من العينِ

وقال العينىّ :

منارةٌ كعروس الحسن إذ جُليتْ | وهدمها بقضـــاء الله والقَدَرِ
قالوا أصيبتْ بعين قلت ذا غلطٌ | ما أوجب الهـــدم إلا خسّة الحجرِ

وقال نجم الدين بن النبيه :

يقولون فى تلك المنـــار تواضعٌ | وعينٌ وأقوالٌ وعنـدِى جليُّهَا
فلا البرجُ أخنى والحجارة لم تَعَبْ | ولـكن عروسٌ أثقلتهـــا حُليُّهَا

وقال أيضا :

بجـامع مولانا المؤيد أنشئتْ عروس سَمَت ماخلت قطّ مثالَها
ومذ علمت أن لانظيرَ لها انثنت وأعجبها والعجبُ عنّا أمالَها

رباط الآثار*

بالقرب من بركة الحَبَش[1] عَمره الصّاحب تاج الدين بن الصـاحب فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين حنا[2]، وفيـه قطعة خشب وحـديد وأشياء أُخر من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم[3]، اشتراها الصاحب المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بنى إبراهيم أهلَ يَنْبُع ؛ ذكروا أنها لم تزل موروثة عندهم من واحد إلى واحد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحملها إلى هذا الرباط، وهى به إلى اليوم يُتبَرَّك[4] بها . ومات الصاحب تاج الدين فى جمادى الآخرة سنة سبع وسبعمائة .

وللأديب جلال الدين بن خطيب داريا فى الآثار بيتان :

ياعينُ إن بَعُد الحبيب ودارُهُ ونأتْ مرابِعُه وشَطَّ مَزَارُهُ[5]
فلقد ظفرتِ من الزمان بطائلٍ إن لم تَرَيْه فهـــذه آثارُه

(*) المقريزى ٤ : ٢٩٥-٢٩٧ .

(١) المقريزى : « مطل على النيل ومجاور للبستان المعروف بالمعشوق » .

(٢) هو تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الوزير الصاحب بهاء الدين على بن سليم بن حنا . ولد سنة ٦٤٠ ، وسمع من سبط السلفى ، وحدث ، وإليـه انتهت رياسة عصره . وكان صاحب صيانة وسؤدد ومكارم وشاكلة حسنة، وبزة فاخرة . وزر سنة ٦٩٣ . وتوفى سنة ٧٠٧ . المقريزى ٤ : ٢٩٦ .

(٣) المقريزى : « وإنما قيل له رباط الآثار ؛ لأن فيه قطعة خشب وحديد ، يقال : إن ذلك من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم » . (٤) قال المقريزى : « وأدركنا لهذا الرباط بهجة ، وللناس فيـه اجتماعات ، ولسكانه عدة منافع لمن يتردد إليه أيام كان ماء النيل تحته دائماً ، فلما انحسر الماء من تجاهه ، وحدثت المحن من سنة ست وثمانمائة قل تردد الناس إليه ، وفيه إلى اليوم بقية » .

(٥) المقريزى ٤ : ٢٧٦ ، قال : وقد سبقه لذلك الصلاح خليل بن أيبك الصفدى ؛ فقال :

أكْرِمْ بآثار النبىّ محمّدٍ مَنْ زارَهُ استوفى السرورَ مزارُهُ =

(حسن المحاضرة ٢/١٨)

ذكر الحوادث الغريبة الكائنة بمصر فى ملة الإسلام

من غلاء ووباء وزلازل وآيات وغير ذلك

فى سنة أربع وثلاثين من الهجرة. قال سيف بن عُمر: إن[١] رجلاً يقال له عبد الله بن سَبَأ كان يهوديًّا فأظهر الإسلام، وصار إلى مصر، فأوحى إلى طائفةٍ من الناس كلاماً اخترعه من عند نفسه، مضمونه أنّه كان يقول للرجل: أليس قد ثبت أنّ عيسى بن مريم سيعود إلى هذه الدنيا[٢]؟ فيقول الرّجل: بلى، فيقول له: رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منه، فما يمنع أن يعود إلى هذه الدنيا وهو أشرف من عيسى! ثم يقول: وقد كان أوصى إلى علىّ بن أبى طالب؛ فمحمد خاتم الأنبياء، وعلىّ خاتم الأوصياء. ثم يقول: فهو أحقّ بالأمر من عثمان، وعثمانُ معتدٍ فى ولايته ماليس له. فأنكروا عليه، فافتتن به بشرٌ كثير من أهل مصر وكان ذلك مبدأ تألّبهم على عثمان.

وفى سنة ست وستين وقع الطاعون بمصر[٣].

وفى سنة سبعين كان الوَباء بمصر، قاله الذهبىّ[٤].

وفى سنة أربع وثمانين قُتِل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندىّ،

= يا عينُ دونكِ فانظرى وتمتّعى ... إنْ لم تريْه فهذهِ آثارُهُ

واقتدى بهما فى ذلك أبو الحزم المدنى فقال:

يا عينُ كَمْ ذا تَسفحِينَ مدامعًا ... شوقا لقرب المصطفى ودياره

إن كان صرفُ الدهرِ عاقك عنهماَ ... فتمتّعِى يا عيْن فى آثارِه

(١) الخبر فى الطبرى ٤ : ٣٤٠ . (٢) كذا فى الأصول، وعبارة الطبرى: «العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمدا يرجع، وقد قال تعالى: ﴿إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معادٍ﴾، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى». (٣) النجوم الزاهرة ١ : ١٧٩ : «وفيها كان الطاعون بمصر، ومات فيه خلائق عظيمة، وهذا خامس طاعون مشهور فى الإسلام». (٤) فى العبر ١ : ٧٨ .

وقطِع رأسه،فأمر الحجّاج فطِيف به فى العراق ، ثم بعث به إلى عبد الملك بن مَرْوان ، فطيف به فى الشام ، ثم بعث به إلى عبد العزيز بن مروان وهو بمصر ، فطيف به فيها ، ودفن بمصر، وجثته بالرُّخَّج[1]، فقال بعض الشعراء فى ذلك :

هيهات موضع جثةٍ من رأسِها   رأسٌ بمصرَ وجُثّـةٌ بالرّخَّجِ

وفى سنة خمس وثمانين كان الطاعون بالفُسطاط ، ومات فيه عبد العزيز بن مرْوان أمير مصر .

وفى سنة خمس وأربعين ومائة ، انتثرتِ الكواكب من أوّل الليل إلى الصباح ، فخاف الناس . ذكره صاحب المرآة .

وفى سنة ثمانين ومائة كان بمصر زلزلة شديدة سقطت منها رأس منارة الإسكندرية.

وفى سنة ست عشرة ومائتين ، وثب رجلٌ يقال له عَبْدوس الفهرىّ فى شعبان ببلاد مصر ، فتغلّب على نوّاب أبى إسحاق بن الرشيد[2] ، وقويتْ شوكته ، وأتبعه خلق كثير ، فركب المأمون من دمشق فى ذى الحجة إلى الديار المصرية ، فدخلها فى المحرّم سنة سبع عشرة ،وظفِر بعبدوس ، فضرب عنقه ،ثم كرّ راجعا إلى الشام[3].

وفى سنة سبع وثلاثين ومائتين ظهر فى السماء شيء مستطيل دقيق الطّرَفين ، عريض الوسط ، من ناحية المغرب إلى عشاء الآخرة ، ثم ظهر خمس ليالٍ وليس بضوء كوكب ، ولا كوكب له ذنَب ، ثم نقص . قاله فى المرآة .

وفى سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، أقبلت الرّوم فى البحر فى ثلثمائة مركب ، وأبَّهة عظيمة ، فكبَسوا دمياط ، وسَبَوْا وأحرقوا وأسرعوا الكرّة فى البحر ، وسبوْا ستّمائة امرأة ، وأخذوا من الأمتعة والأسلحة شيئاً كثيرا ، وفرّ الناس منهم فى كل جهة ،

---

(١) الرخج : كورة أومدينة من نواحى كابل .   (٢) هو أبو إسحاق محمد المعتصم ، وكان من ولاته على مصر عيسى بن منصور بن موسى بن عيسى الرافقى ، مولى بنى نصر بن معاوية ، وليها بعد عزل عبدويه ابن جبلة عنها .النجوم الزاهره ٢ : ٢١٥ .   (٣) الحادثة مفصلة فى النجوم الزاهره ٢: ٢١٥، ٢١٦ .

فكان مَنْ غرق فى بحيرة تِنّيس أكثر ممن أسِر، ورجعوا إلى بلادهم، ولم يعرِض لهم أحد[1].

وفى سنة اثنتين وأربعين ومائتين، زُلزلت الأرض ورُجمت السويداء (قرية بناحية مصر) من السماء، ووُزِن حجر من الحجارة فكان عشرة أرطال.

وفى سنة أربع وأربعين ومائتين، اتفق عيد الأضحى وعيد الفطر لليهود وشعانين النصارى فى يوم واحد. قال ابن كثير: وهذا عجيب غريب[2]. وقال فى المرآة: لم يتفق فى الإسلام مثل ذلك.

وفى سنة خمس وأربعين ومائتين زُلزلت مصر، وسُمِع بتِنّيس ضجة دائمة طويلة، مات منها خلق كثير[3].

وفى سنة ست وستين ومائتين قتل أهلُ مصرَ عامِلَهم البكرخىّ.

وفى سنة ثمان وستين ومائتين، قال ابن جرير: اتفق أنّ رمضان كان يوم الأحد، وكان الأحد الثانى الشعانين، والأحد الثالث الفِصْح، والأحد الرابع السرور، والأحد الخامس انسلاخ الشهر.

وفى سنة تسع وستين فى المحرّم، كسفت الشمس وخسف القمر، واجتماعهما فى شهر نادر. قاله فى المرآة.

وفى سنة ثمان وسبعين ومائتين، قال ابن الجوزىّ: لليلتين بقيتا من المحرّم طلع نجم ذو جُمّة، ثم صارت الجُمّة ذؤابة. قال: وفى هذه السنة وردت الأخبار أن نيل مصر غارَ، فلم يبق منه شىء، وهذا شىء لم يُعهَد مثله، ولا بلغنا فى الأخبار السابقة، فغلت الأسعار بسبب ذلك. وفى أيام أحمد بن طولون تساقطت النجوم، فراعه ذلك فسأل

---

(١) النجوم الزاهرة ٢ : ٢٩٢.
(٢) تاريخ ابن كثير ١٠ : ٣٤٦.
(٣) ابن كثير ١٠ : ٣٤٦.

العلماء والمنجّمين عن ذلك ، فما أجابوا بشىء، فدخل عليه الجمل الشاعر وهم فى الحديث ، فأنشد فى الحال :

قالوا تساقطتِ النّجو ... مُ لحادثٍ فَظٍّ عسيرِ

فأجبتُ عنــد مقالهمْ ... بجواب محتنِكٍ خَبيرِ

هــذى النّجوم الساقطا ... تُ نجوم أعداء الأميرِ

فتفاءل ابنُ طولون بذلك، ووصله .

وفى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، زُفَّتْ قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد ابن طولون، من مصر إلى الخليفة المعتضد ، ونقل أبوها فى جهازها مالم يُر مثله ، وكان من جملته ألف تكة بجوهر وعشرة صناديق جوهر ، ومائة هون ذهب ، ثم بعد كلّ حساب معها مائة ألف دينار لتشترىَ بها من العراق ماقد تحتاج إليه مما لا يتهيأ مثله بالديار المصرية. وقال بعض الشعراء :

ياسيّد العربِ الّذى وردتْ له ... باليُمن والبركات سيدة العجمْ

فاسعدْ بها كسُعودِها بك إنّها ... ظفرت بما فوق المطالب والهِمَمْ

شمس الضُّحى زُفَّتْ إلى بدر الدّجى ... فتكشّفت بهما عن الدنيا الظُّلَمْ

وفى سنة أربع وثمانين ومائتين ظهر بمصر ظلمة شديدة وحمرة فى الأفق حتّى جعل الرجل ينظر إلى وجه صاحبه فيراه أحمر اللون جدًّا ، وكذلك الجدران ، فمكثوا كذلك من العصر إلى الليل ، فخرجوا إلى الصحراء يدعون الله ويتضرّعون إليه حتى كشف عنهم. حكاه ابن كثير [1] .

وفى سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، ظهر رجل بمصر يقال له الخلنجىّ [2] ، فخلع الطاعة واستولى على مصر ، وحارب الجيوش ، وأرسل إليه الخليفة المكتفى جيشا فهزمهم

(١) تاريخ ابن كثير ١١ : ٧٦ .

(٢) هو محمد بن علىّ الخلنجى ، قال صاحب النجوم الزاهرة : « شاب من الجند المصريين » .

ثم أرسل إليه جيشاً آخر عليهم فاتك المعتضدىّ ، فهزم الخلنجىّ ، وهرب ، ثم ظفر به وأمسك ، وسُيِّر إلى بغداد [١] .

وفى سنة تسع وتسعين ومائتين ، ظهر ثلاثة كواكب مذنّبة ، أحدها فى رمضان ، واثنان فى ذى القعدة تبقى أياما ، ثم تضمحلّ حكاه ابن الجوزىّ [٢] . وفيها استخرج من كنز بمصر خمسمائة ألف دينار من غير موانع ، ووجد فى هذا الكنز ضلع إنسان طوله أربعة عشر شبرا وعرضه شبر ، فبعث به إلى الخليفة المقتدر [٣] ، وأهدى معهُ من مصر تيساً له ضَرْع يحلب لبنا ، حكى ذلك الصولىّ وصاحب المرآة وابن كثير [٤] .

وفى سنة إحدى وثلاثمائة ، سار عبد الله المهدىّ المتغلّب على المغرب . فى أربعين ألفا ليأخذ مصر ، حتى بقى بينه وبين مصر أيام ، ففجر تكين [٥] الخاصة النيل فحال الماء بينهم وبين مصر ، ثم جرت حروب فرجع المهدىّ إلى برقة بعد أن ملك الإسكندرية والفيوم .

وفى سنة اثنتين وثلاثمائة عاد المهدىّ إلى الإسكندريّة، وتمّت وقعة كبيرة ، ثم رجع إلى القيروان [٦] .

وفى سنة ست وثلاثمائة أقبل القائم بن المهدىّ فى جيوشه ، فأخذ الإسكندرية وأكثر الصعيد ، ثم رجع.

وفى سنة سبع كانت الحروب والأراجيف الصعبة بمصر ، ثم لطف الله وأوقع المرض بالمغاربة ، ومات جماعة من أمرائهم ، واشتدّت علّة القائم .

---

(١) انظر تفصيل الخبر فى النجوم الزاهرة ٣ : ١٤٧ — ١٥٠ ، وكان ذلك الحادث فى ولاية عيسى بن محمد الأمير أبو موسى النوشرى. (٢) المنتظم ٦ : ١٠٩ (٣) ابن كثير : « وذكر أنه من قوم عاد ».
(٤) تاريخ ابن كثير ١١ : ١١٦ . (٥) تكين: والى مصر للمرة الرابعة ، من قبل المقتدر .
(٦) النجوم الزاهرة ٣ : ١٨٤ .

وفيها انقضّ كوكب عظيم ، وتقطّع ثلاث قطع ، وسُمِع بعد انقضاضه صوت رعد شديدهائل من غير غيم .

وفى سنة ثمان ملك العُبيديون جزيرة الفُسطاط ، فجزعت الخلق ، وشرعوا فى الهرب والجفل .

وفى سنة تسع استُرجعت الإسكندرية إلى نوّاب الخليفة ، ورجع العُبيدىّ إلى المغرب.

وفى سنة عشر وثلثمائة فى جمادى الأولى ظهر كوكب له ذنَب طوله ذراعان، وذلك فى برج السنبلة . وفى شعبان منها أهدى نائب[1] مصر إلى الخليفة المقتدر هدايا من جملتها بغلة معها فِلْوُها يتبعها ، ويرجع معها ، وغلام يصل لسانه إلى طرف أنفه. حكاه صاحب المرآة وابن كثير[2].

وفى سنة ثلاث عشرة وثلثمائة فى آخر المحرّم انقضّ كوكب من ناحية الجنوب إلى الشمال قبل مغيب الشمس ، فأضاءت الدنيا منه ، وسُمِع له صوت كصوت الرّعد الشديد.

وفى سنة ثلاث وثلثمائة فى المحرّم ظهر كوكب بذنَب رأسه إلى المغرب وذنَبه إلى المشرق ، وكان عظيما جدًّا وذنَبه منتشر ، وبقىَ ثلاثة عشر يوما إلى أن اضمحلّ .

وفى سنة أربع وأربعين زُلزلت مصر زلزلة صعبة هدمت البيوت ، ودامت ثلاث ساعات ، وفزع الناس إلى الله بالدعاء .

وفى سنة تسع وأربعين رجع حجيج مصر من مكّة، فنزلوا واديا، فجاءهم سيلٌ فأخذهُم كلهم ، فألقاهم فى البحر عن آخرهم .

وفى سنة خمس وخمسين قطعت بنو سُليم الطريق على الحجيج من أهل مصر ، وأخذوا منهم عشرين ألف بعير بأحمالها ، وعليها من الأموال والأمتعة مالا يُقوَّم كثرة ، وبقى الحاجّ فى البوادى ، فهلك أكثرهم . وفى أيام كافور الإخشيدى كثرت

(١) فى ابن كثير : « وهو الحسين بن الماردانى » .
(٢) تاريخ ابن كثير ١١ : ١٤٥ .

الزلازل بمصر ، فأقامت ستة أشهر ، فأنشد محمد بن القاسم بن عاصم قصيدة منها :

مازُلزلت مصر من سوء يُراد بها لكنها رقصت من عـدله فرحا[1]

كذا رأيته فى نسخة عتيقة، من كتاب مذهب الطالبيين، تاريخ كتابتها بعد الستمائة، ثم رأيت مايخالف ذلك كما سأذكر .

وفى سنة تسع وخمسين انقضّ كوكب فى ذى الحجة ، فأضاء الدنيا حتى بقىَ له شعاع كالشمس ، ثم سُمِع له صوت كالرعد .

وفى سنة ستين وثلثمائة ، سارت القرامطة فى جمع كثير إلى الديار المصرية ، فاقتتلوا هم وجنود جوهر القائد قتالًا شديدا بعين شمس ، وحاصروا مصر شهورا؛ ومن شعر أمير القرامطة الحسين بن أحمد بن بهرام :

زعمتْ رجال الغرب أنّى هبتهمْ فـدمِى إذنْ مابينهم مطلولُ

يامصرُ إن لم أسقِ أرضَكِ من دمٍ يروى ثَراكِ فلا سقانِى النّيلُ

وفى هذه السنة سار رجل من مصر إلى بغداد ، وله قرنان ، فقطعَهما وكواهما وكانا يضربان عليه . حكاه صاحب المرآة .

وفى سنة ثلاث وستين ، خرج بنو هلال وطائفة من العرَب على الحجاج ، فقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وعطّلوا على مَنْ بقىَ منهم الحجّ فى هذا العام ، ولم يحصل لأحد حجّ فى هذه السنة سوى أهل دَرْب العراق وحدهم .

وفى سنة سبع وستين كان أمير الحاجّ المصرىّ الأمير باديس بن زيرى ، فاجتمع إليه اللصوص ، وسألوا منـه أن يضمنهم الموسم هذا العام بما شاء من الأموال ، فأظهر لهم الإجابة ، وقال : اجتمعوا كلّكم حتى أضمنَكم كلّكم ، فاجتمع عنده بضع وثلاثون لصًّا،

(١) تمام المتون ٦٧ ، وقبله :

بالحاكِمِ العدْلِ أضحَى الدينُ معْتليًا نجل العلا وسليل السادة الصلحا

فقال : هل بقىَ منكم أحد ؟ فحلفوا أنّه لم يبق منهم أحد ، فعند ذلك أمر بقطع أيديهم كلّهم . ونعمّا فعل !

وفى سنة أربع وثمانين انفرد بالحجّ أهلُ مصر ، ولم يحجّ ركْب العراق ولا الشام لخوف طريقهم ، وكذا فى سنة خمس وثمانين والّتى بعدها .

وفى سنة ست وثمانين قدمتْ مصرَ أربع عشرة قطعة من الأسطول، فقتَلت ونهبت، وأحرقت أموال التجار ، وأخذت سرايا العزيز وحَظاياه ، وكان حالًا لم يُر أعظم منه . ذكره ابن المتوّج .

وفى سنة تسعين أمر الحاكم بمصر بقتل الكلاب فقتِلتْ كلُّها .

وفى سنة اثنتين وتسعين ليلة الاثنين ثالث ذى القعدة انقضّ كوكب أضاء كضوء القمر ليلة التمّام ، ومضى الضياء ، وبقى جُرْمه يتموّج[1] نحو ذراعين فى ذراع برأي العين ، وتشقّق بعد ساعة . وفى هذه السنة انفرد المصريون بالحجّ ، ولم يحجّ أحد من بغداد وبلاد المشرق لعبث الأعراب بالفساد ، وكذا فى سنة ثلاث وتسعين .

وفى سنة ثلاث وتسعين أمر الحاكم بقطع جميع الكرُوم التى بديارِ مصر والصعيد والإسكندرية ودمياط ، فلم يبق بها كرْم ، احترازاً من عصر الخمر . وفى هذه السنة أمر الحاكم الناس بالسجود إذا ذكر اسمه فى الخطبة .

وفى سنة سبع وتسعين انفرد المصريون بالحجّ ، ولم يحجّ أهل العراق لفساد الطريق بالأعراب، وكسَا الحاكم الكعبة القَباطىّ البيض .

وفى سنة ثمان وتسعين هدم الحاكم الكنائسَ التى ببلاد مصر ، ونادى : من لم يُسلِم وإلّا فليخرج من مملكتى ، أو يلتزم بما أمِر ، ثم أمر بتعليق صلبان كبار على صُدور النصارى ، وزِنْ الصّليب أربعة أرطال بالمصرىّ ، وبتعليق خشبة على تمثال رأس

(١) ط : « متموج » .

عجل وزنها ستة أرطال فى عنق اليهود . وفى هذه السنة كان سيل عظيم حتى غرق الخندق ، ذكره ابن المتوّج .

وفى سنة تسع وتسعين انفردَ المصريون بالحجّ .

وفى سنة أربعمائة بنى الحاكم دارا للعلم وفرشها ، ونقل إليها الكتب العظيمة مما يتعلّق بالسنّة ، وأجلس فيها الفقهاء والمحدّثين ، وأطلق قراءة فضائل الصحابة ، وأطلق صلاة الضّحى والتراويح ، وبطل الأذان بحىّ على خير العمل ، فكثر الدعاء له ، ثم بعد ثلاث سنين هدم الدار ، وقتل خلقا ممن كان بها من الفقهاء والمحدثين وأهل الخير والديانة ، ومنع صلاة الضّحى والتراويح .

وفى سنة إحدى وأربعمائة انفرد المصريون بالحجّ .

وفى سنة اثنتين وأربعمائة كتِب محضر ببغداد فى نسب خلفاء مصر الّذين يزعمون أنّهم فاطميّون وليسوا كذلك ، وكتب فيه جماعة من العلماء والقضاة والفقهاء والأشراف والأماثل والمعدّلين والصالحين ، شهدوا جميعا أنّ النّاجم بمصر وهو منصور بن نزار المتلقّب بالحاكم ـ حكم الله عليه بالبوار والدمار والخزى والنّكال والاستئصال ـ ابن معدّ ابن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد ـ لاأسعده الله ـ فإنه لمّا صار إلى المغرب تسمّى بعُبيد الله ، وتلقّب بالمهدىّ ، ومَنْ تقدّم من سلفه من الأرجاس الأنجاس ـ عليه وعليهم لعنةُ الله ولعنة اللاعنين ـ أدعياء خوارج ، ولانسبَ لهم فى ولد علىّ بن أبى طالب ، ولا يتعلّقون منه بسبب ، وأنّه منزّه عن باطلهم ، وأنّ الذى ادّعوه من الانتساب إليه باطل وزور ، وأنهم لايعلمون أنّ أحدا من أهل بيوت الطالبيين توقّف عن إطلاق القول فى هؤلاء الخوارج أنهم أدعياء ، وقد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعاً فى الحرَمين ، وفى أوّل أمرهم بالمغرب منتشرا انتشارا يمنع من أن يدلّس على أحد كذبُهم ، أو يذهبَ وَهْم إلى تصديقهم ، وأنّ هذا النّاجم بمصر هو وسلفه كفّار وفُسّاق فجّار وملحدون زنادقة ،

معطّلون وللإسلام جاحدون ، ولمذهب الثنويّة[1] والمجوسية معتقدون ، قد عطّلوا الحدُود وأباحوا الفرُوج ، وأحلّوا الخمر ، وسفكوا الدّماء ، وسبوا الأبناء ، ولعنوا السلف، وادّعوا الرّبوبية . وكتب فى ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة .

وقد كتب خطه فى المحضر خَلْق كثيرون ، فمن العلويّين المرتضى والرضيّ وابن الأزرق الموسوىّ وأبو طاهر بن أبى الطيب ومحمد بن محمد بن عمرو بن أبى يَعلى ، ومن القضاة أبو محمد بن الأكفانىّ وأبو القاسم الحريرىّ وأبو العباس بن السيورىّ . ومن الفقهاء أبو حامد الإسفراينىّ وأبو محمد بن الكشفلىّ وأبو الحسين القدورىّ وأبو عبد الله الصّيمرىّ وأبو عبدالله البيضاوىّ وأبو علىّ بن حمكان . ومن الشهود أبو القاسم التّنُوخىّ، فى كثير .

وفى سنة ثلاث وأربعمائة ،قال ابن المتوّج: رسم الحاكم بألّا تقبّل الأرض بين يديه، ولا يخاطَب مولانا ولا بالصلاة عليه ، وكتب بذلك سِجلّ فى رجب . قال: وفيها حبسَ النساء ومنعهنّ من الخروج فى الطُّرقات ، وأحرق الزبيب وقطع الكَرْم ، وغرّق العسل. قال ابن الجوزىّ : وفى رمضان انقضّ كوكب من المشرق إلى المغرب غلب ضوءه على ضوء القمر ، وتقطّع قِطعاً ، وبقى ساعة طويلة .

وفى سنة خمس وأربعمائة زاد الحاكم فى مَنْع النساء من الخروج من المنازل ومن دخول الحمّامات ومن التطلّع من الطاقات والأسطحة ومنع الخفّافين من عمل الخِفاف لهنّ ، وقتَل خلقا من النساء على مخالفته فى ذلك ، وهدم بعض الحمامات عليهنّ ، وغرّق خلقا .

وفى سنة سبع وأربعمائة وردَ الخبرُ بتشعيث الركن اليمانىّ من المسجد الحرام ، وبسقوط جدار بين قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، وبسقوط القبّة الكبيرة على صخرة

(١) ط : « النبوية » تحريف .

بيت المقدس . قال ابن كثير : فكان ذلك من أغرب الاتفاقات وأعجبها [1] .

وفى سنة سبع أيضا انفرد المصريون بالحجّ ، ولم يحجّ أحد من بلاد العراق لفساد الطرقات بالأعراب ؛ وكذا فى سنة ثمان .

وفى سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، قال ابن المتوّج : عزّ القوت ، ثم هان بعد أراجيف عظيمة . وفى أيام الحاكم ، قال ابن فضل الله فى المسالك : زُلزلت مصر حتى رجفت أرجاؤها ، وضجّت الأمة لا تعرف كيف جارها ، فقال محمد بن قاسم بن عاصم شاعر الحاكم :

بالحاكم العدْل أضحى الدين معتلياً نجل الهُدى وسليل السّادة الصُّلَحا
مازلزلتْ مصرُ من كيدٍ يُراد بها وإنما رقصتْ من عدلِه فرَحا

وكانت أيام الحاكم من سنة ست وثمانين وثلثمائة إلى سنة إحدى عشرة وأربعمائة .

وفى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة . قال ابن كثير : جرت كائنة غريبة ومصيبة عظيمة ؛ وهى أنّ رجلا من المصريّين من أصحاب الحاكم اتفق مع جماعة من الحجّاج المصريين على أمر سوء ، فلمّا كان يوم الجمعة ، وهو يوم النّفر الأوّل ، طاف هذا الرجل بالبيت ، فلما انتهى إلى الحجَرِ الأسود ، جاء ليقبّله فضربه بدبّوس كان معه ثلاث ضربات متوالياتٍ ، وقال : إلى متى يعبَد هذا الحجر ! ولا محمّد ولا علىّ يمنعنى عما أفعله ، فإنى أهدم اليوم هذا البيت . فاتّقاه أكثر الحاضرين ، وتأخّروا عنه ، وذلك أنه كان رجلاً طويلا جسيما ، أحمر أشقر ، وعلى باب المسجد جماعة من الفرسان وقوف ليمنعوه ممّن أراده بسوء ، فتقدّم إليه رجل من أهل اليمن ، معه خنجر ، وفاجأه بها ، وتكاثر عليه الناس فقتلوه ، وقطّعوه قطَعاً ، وتتبّعوا أصحابه ، فقتل منهم جماعة ونهب أهل مكة ركب المصريّين ، وجرت فتنة عظيمة جدًّا ، وسكن الحال ، وأما الحجر

(1) ١٢ : ٥ .

الشريف فإنه سقط منه ثلاث فِلَق مثل الأظفار ، وبدا ماتحتها أسمر يضرب إلى صفرة ، محبَّباً ، مثل الخشخاش ، فأخذ بنو شيبة تلك الفِلق ، فعجنوها بالمسْك واللكّ[1] وحشوا بها تلك الشقوق التى بدَت ، [2] وذلك ظاهر فيه إلى الآن [2] .

وفى سنة سبع عشرة منع الظاهر صاحب مصر من ذَبْح البقر السليمة من العيوب التى تصلح للحرث ، وكُتِب عن لسانه كتاب قرئ على الناس ، فيه : « إن الله بسابغ نعمته ، وبالغ حكمته ، خلَق ضروب الأنعام ، وعلم بها منافع الأنام ، فوجب أن تُحْمَى البقر المخصوصة بعمارة الأرض المذلّلة لمصالح الخلق ، فإنّ ذبحَها غاية الفساد ، وإضرار بالعباد والبلاد » .

وفيها انفرد المصريون بالحج ، ولم يحجّ أهل العراق والمشرق لفساد الأعراب ، وكذا فى سنة ثمانى عشرة وفى سنة تسع عشرة لم يحجّ أحد من أهل المشرق ولا من أهل الديار المصرية أيضاً ، إلا أنّ قوما من خُراسان ركبوا فى البحر من مدينة مُكران ، فانتهوا إلى جُدّة ، فحجّوا .

وفى سنة عشرين حجّ أهل مصر دون غيرهم .

وفيها فى رجب انقضّت كواكب كثيرة شديدة الصوت ، قويّة الضوء .

وفى سنة إحدى وعشرين تعطّل الحجّ من العراق أيضا ، وقطِع على حجاج مصر الطريق ، وأخذت الروم أكثره .

وفى سنة ثلاث وعشرين تعطّل الحجّ من العراق أيضا . وفيها قال ابن المتوّج : استحضر خليفة مصر الظاهر بن الحاكم كلّ مَنْ فى القصر من الجوارى ، وقال لهم : تجتمعون لأصْنَعَ لكم يوماً حسنا لم يُرَ مثلُه بمصر ، وأمر كلّ مَنْ كان له جارية فليحضرها ، ولا تجيء جارية إلا وهى مزيّنة بالحلْى والحُلل ، ففعلوا ذلك حتى لم تُترك جارية إلّا أُحضِرَتْ ، فجعلهنّ فى مجلس ، ودعا بالبنائين ، فبنى أبواب المجلس عليهنّ ، حتى

(١) اللك نبات يصبغ به .

(٢-٢) ابن كثير ١٢ : ١٤ « فاستمسك الحجر ، واستمر على ما هو عليه الآن ، وهو ظاهر لمن تأمله » .

ماتوا عن آخرهن ، وكان يوم جمعهن يوم الجمعة لستٍّ خلون من شوّال، وعدّتهن وستمائة وستون جارية ، فلمّا مضى لهنّ ستة أشهر أضرَم النار عليهنّ ، فأحرقهنّ وحليهنّ ، فلا رحمه الله ولا رحم الذى خلَفه !

وفى سنة خمس وعشرين كثُرت الزلازل بمصر . وفيها انقضّ كوكب وسُمِع له صوت مثل الرّعد وضوء مثل المشاعل . ويقال : إنّ السماء انفرجت انقضاضه . حكاه فى المرآة . ولم يحجّ أحدٌ سوى أهلِ مصر ، وكذا فى سنة ست و وسنة ثمان وعشرين .

وفى سنة ثمان وعشرين بعث صاحبُ مصر بمالٍ لينفَق على نهر بالكوفة ، الخليفة العباسىّ فى ذلك ، فجمع القائم بالله الفقهاء ، وسألهم عن هذا المال ، فأفتوا فىء للمسلمين يُصرَف فى مصالحهم ، فأذن فى صرفه فى مصالح المسلمين .

وفى سنة ثلاثين وأربعمائة تعطّل الحجّ من الأقاليم بأسرها ، فلم يحجّ أحد مصر ولا من الشام ولا من العراق ولا من خُراسان .

وفى سنة إحدى وثلاثين والتى تليها تفرّد بالحجّ أهلُ مصر ، وكذا فى س وثلاثين وسبع وثلاثين وتسع وثلاثين وثلاث وستين بعدها .

وفى سنة إحدى وأربعين فى ذى الحجّة ارتفعتْ سحابة سوداء ليلاً ، فزا ظلمة الليل ، وظهر فى جوانب السماء كالنّار المضيئة ، فانزعج النّاس لذلك ، وأ الدعاء والتضرّع ، فانكشفت بعد ساعة .

وفى سنة خمس وأربعين وثلاثٍ تليها انفرد أهلُ مصر بالحجّ .

وفى سنة ثمانٍ وأربعين . قال فى المرآة : عمَّ الوباء والقحط مصرَ والشام والدنيا ، وانقطع ماء النيل . واتفقت غريبة ، قال ابن الجوزىّ : ورد كتاب م أن ثلاثة من اللصوص نقَبوا بعض الدّور ، فوُجِدوا عند الصباح موتَى ؛ أحد

باب النَّقب ، والثانى على رأس الدَّرَجَة ، والثالث على الثياب المكوَّرة . وفيها ، فى العشر الثانى من جمادى الآخرة ظهر وقت السحر نجم له ذؤابة بيضاء ، طولها فى رأى العين نحو عشرة أذرع فى نحو ذراع ، ولبث على هذه الحال إلى نصف رجب ثم اضمحلّ .

وفى سنة إحدى وخمسين وسنتين بعدها ، انفرَد أهلُ مصر بالحجّ .

وفى شوال من هذه السنة لاحَ فى السماء فى الليل ضوء عظيم كالبرْق يلمع فى موضعين ؛ أحدها أبيض ، والآخر أحمر إلى ثُلث الليل ، وكبَّر الناس وهلَّلوا . حكاه فى المرآة .

وفى سنة ثلاث وخمسين فى جُمادى الآخرة لليلتين بقيتاً منه ، كَسفت الشمس كسوفا عظيما ، جميع القرص ، فمكثت أربعَ ساعات حتى بدت النجوم ، وأوت الطيور إلى أوكارها لشِدّة الظلمة .

وفى سنة خمس وخمسين وقع بمصر وباء شديدٌ ، كان يخرج منها فى كلّ يوم ألف جنازة .

وفى سنة ست وخمسين وقعتْ فتنة عظيمة بين عبيد مصر والتّرك ، واقتتلوا . وغلبَ العَبيد على الجزيرة الّتى فى وسط النيل بين مصر والجيزة ، واتصل الحرب بين الفريقين .

وفى سنة ثمان وخمسين ، فى العَشْر الأوّل من جُمادى الأولى ظهر كوكب كبير ، له ذؤابة عرضها نحو ثلاثة أذرع وطولها أذرع كثيرة ، وبقىَ إلى أواخر الشهر ، ثم ظهر كوكب آخر عند غروب الشمس ، قد استدار نورُه عليه كالقمر ، فارتاع النّاس وانزعجوا ، فلما أعْتَم الليل ، رمى ذؤابة نحو الجنوب ، وأقام إلى أيام فى رجب ، وذهب .

وفى سنة ستين وأربعمائة كان ابتداء الغلاء العظيم بمصر ، الّذى لم يُسمع بمثله فى

الدهور ؛ من عهد يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام ، واشتدّ القحط و
سنين متوالية بحيث أكلوا الجيَف والميتات ، وأفنيت الدوابّ ، وبيع الـ
دنانير والهرّ بثلاثة دنانير ، ولم يبق لخليفةِ مصر سوى ثلاثة أفراس بعد العدد
ونزل الوزير يوما عن بغلته ، فغفل الغلام عنها لضعفه من الجوع ، فأخذه
فذبحوها وأكلوها، فأخِذوا فصُلبوا وأصبحوا وقد أكلهم الناس ،ولم يبق إلا
وظُهر على رجل يقتل الصبيان والنساء ويبيع لحومهم ويدفن رءوسهم وأطراف
وبيعت البيضة بدينار ، وبلغ الأردبّ القمح مائة دينار ثم عدم أصلاً ، حتى حـ
المرآة أنّ امرأة خرجتْ من القاهرة ، ومعها مُدّ جوهر ، فقالت : من يأخذه
فلم يلتفت إليها أحد ، وقال بعضهم يهنّئ القائم ببغداد :

وقد علِم المصرىّ أنّ جنودَه سنُو يوسفٍ هَوْلًا وطاعونُ عَمْ
أقامت به حتى استرابَ بنفسه وأوجس منها خيفة أىّ إ

وفى سنة اثنتين وستين ، زُلزلت مصر حتى نفرت إحدى زوايا جامع عمرو
ضرب صاحب مصر اسمَ ابنه ولىّ العهد على الدينـار ، وسُمّىَ الآمرىّ
التعامل بغـيره .

وفى سنة خمس وستين اشتدّ الغلاء والوباء بمصر حتى إنّ أهلَ البيت كانو
فى ليلة ، وحتى إنّ امرأةً أكلت رغيفا بألف دينار ، باعت عُروضها قيمته ألف
واشترت بها جملة قمح ، وحمله الحمّال على ظهره فنهبه الناس ، فنُهبت المرأة مـ
فصحّ لها رغيف واحد ، وكانَ السّودان يقفون فى الأزقّة ، يصطادون
بالكلاليب ، فيأكلون لحومهنّ ، واجتازت امرأة بزقاق القناديل ، فعلقها ا
بالكلاليب ، وقطعوا من عَجُزها قطعة ، وقعدوا يأكلونها وغفلوا عنها ، فخر
الدار ، واستغاثت ، فجاء الوالى وكبس الدّار ، فأخرج منها ألوفا من القتلى .

وفى سنة ست وثمانين وسنتين بعدها انفردَ المصريون بالحجّ .

وفى سنة إحدى وتسعين حدثت بمصر ظُلمة عظيمة ، غَشيت أبصارَ النّاس ، حتى لم يبقَ أحدٌ يعرِف أين يتوجه !

وفى سنة سبع وتسعين عَزّ القمح بمصر ، ثم هان . وفيها تولّى الآمر بمصر فضرَب الفضة السّوداء المشهورة بالآمريّة .

وفى سنة خمس عشرة وخمسمائة هَبّتْ ريح سَوْدَاء بمصر ، فاستمرّت ثلاثة أيام ، فأهلكت خَلْقاً كثيرا من النّاس والدوابّ والأنعام . قاله ابن كثير(١) .

وفى سنة سبع عشرة بلغ النّيل ستة عشر ذراعاً سواء بعد توقّف .

وفى سنة ثمان عشرة أوْفَى النّيل بعد النّيروز بتسعة أيام ، وزاد عن الستة عشر ذراعا أحد عشر إصبعا لا غير ، وعزّ السّعر ثم هان . وفى حدود هذه السنين احترق جامع عمرو .

وفى سنة خمس وستين حاصرت الفرنج دمياطَ خمسين يوما ، بحيث ضيّقوا على أهلها ، وقتلوا منهم ، فأرسل نور الدين محمود الشهيد إليهم جيشاً عليهم صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فأجلوهم عنها ، وكان الملك نور الدين شديد الاهتمام بذلك ؛ حتى إنه قرأ عليه بعضُ طلبة الحديث جزءا فيه حديث مسلسل بالتبسّم ، فطلب منه أن يتبسّم ليتصل التسلسل، فامتنع من ذلك ، وقال: إنّى لأستحيي من الله أن يرانى متبسما، والمسلمون تحاصرهم الفرنج بثغر دمياط . وذكر أبو شامة أنّ بعضهم رأى فى تلك الليلة التى أجْلِيَ فيها الفرنج عن دمياط رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يقول له : سلّم على نور الدين ، وبشّره بأنّ الفرنج قد رحلوا عن دمياط ، فقال له الرائى : يا رسولَ الله ، بأىّ علامة ؟

(١) تاريخ ابن كثير ١٢ : ١٨٨ .

فقال : بعلامة لما سجد يوم كذا ، وقال فى سجوده : اللهمّ انصر دينك ومَنْ هو محمود الكلب ! فأصبح الرائى ، وبشرّ نور الدين بذلك ، وأعلمه بالعلامة ، ففرح ، ثم جاء الخبر بإجلائهم تلك الليلة [1] . فرحم الله هذا الملك وأمثاله !

وفى سنة ثلاث وثمانين ، قال ابن الأثير فى الكامل : كان أولّ يوم منها يوم السبت ، وكان يوم النيروز ؛ وذلك أول سنة الفُرْس ، واتفق أنّه أول سنة الروم أيضا، وفيه نزلت الشمس بُرْج الحَمَل ، وكذلك كان القمر فى بُرْج الحَمَل أيضا ، قال : وهذا شىء يبعد وقوع مثله [2] .

وفى سنة ثلاث وتسعين ورد كتاب من [القاضى] الفاضل من مصر إلى القاضى محيى الدين بن الذكىّ يخبره فيه بأنّ فى ليلة الجمعة التاسع من جمادى الآخرة أتى عارضٌ فيه ظلمات متكاثفة ، وبروق خاطفة ، ورياح عاصفة ، فقوىَ أهويتُها ، واشتدّ هبوبها ، فتدافعت لها أعنّة مطلقات ، وارتفعت لها صواعق مصعقات ، فرجفت لها الجدران واصطفقت، وتلاقت على بعدها واعتنقت،وثار بين السماء والأرض عجاج فقيل : لعل هذه على هذه أطبقت ، ولا نحسب إلّا أنّ جهنم قد سال منها وادٍ ، وعَدَا منها عادٍ ، وزاد عصف الرياح إلى أن انطفأت سُرُج النجوم ، ومزّقت أديم السماء ومحت ما فوقه من الرقوم ؛ فكنا كما قال الله : ﴿ يَجْعَلُونَ أصابعَهُم فى آذانهم من الصَّواعق ﴾ ، وكما قلنا : ويردّون أيديَهم على أعينهم من البوارق ، لا عاصم من الخطف للأبصار ، ولا ملجأ من الخطب إلا معاقل الاستغفار ، وفرّ الناس نساء ورجالا وأطفالا ، ونفروا من دورهم خِفافًا وثِقالا ، لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، فاعتصموا بالمساجد الجامعة ، وأذعنوا للنّازلة بأعناق خاضعة ، ووجوه عانية ، ونفوس عن الأهل والمال سالية ، ينظرون من طَرْف خفّى ، ويتوقّعون أى خَطْب جلىّ ، قد انقطعت من الحياة عُلَقهم ، وعمّيت عن النجاة طرُقهم ، ووقعت الفكرة فيما هم عليه قادمون ، وقاموا إلى

(١) كتاب الروضتين ١ : ١٨١ . (٢) الكامل لابن الأثير ٩ : ١٧٥ .

صلاتهم، وودّوا أنْ لو كانوا من الذينَ هم عليها دائمون ، إلى أن أذن الله فى الركود ، وأسعف الماجدين بالهجود ، وأصبح كلٌّ ليسلِّم على رفيقه ، ويهنئه بسلامة طريقه ، ويرى أنه قد بُعث بعد النفخة ، وأفاق بعد الصيحة والصرخة ، وأن الله قد ردّ له الكرّة ، وأدّبه بعد أن كان يأخذه على الغِرّة . ووردت الأخبار بأنها كسرت المراكب فى البحار والأشجار فى القفار ، وأتلفت خلقا كثيرا من السفّار ، ومنهم من فرّ فلم ينفعه الفرار . إلى أن قال : ولا يحسب المجلس أنّى أرسلت القلم محرّفًا ، والقول مجزّفا ، فالأمر أعظم ، ولكن الله سلّم ، ونرجو أن يكون الله قد أيقظنا بما وَعَظنا ، ونبّهنا بما ولّهنا ، فما من عباده من رأى القيامة عيانا ، ولم يلتمسْ عليها من بعده برهانا ، إلا أهل بلد يافا ، اقتصّ الأولون مثلها فى المُثلات ، ولا سبقت لها سابقة فى المعضلات ، والحمد لله الذى من فضله جعلنا نخبر عنها ولا تخبر عنّا ، ونسأل الله أن يصرف عنّا ، عارِضَي الحِرص والغرور إذا عنّا .

وفى سنة ست وتسعين ، قال الذهبىّ ، فى العبر : كسر النّيل من ثلاثة عشر ذراعا إلا ثلاثة أصابع ، فاشتدّ الغلاء ، وعدمت الأقوات ، ووقع البلاء وعظم الخطب ، إلى أنْ آل بهم الأمر إلى أكل الآدميين الموتى[١] . قال ابن كثير فى هذه السنة والتى بعدها : كان بديار مصر غلاء شديد ، فهلك الغنىّ والفقير ، وعمّ الجليل والحقير ، وهرب الناس منها نحو الشام ، ولم يصل منها إلا القليل من الفئام[٢] ، وتخطّفتهم الفرنج من الطرقات ، وعزّوهم فى أنفسهم ، واغتالوهم بالقليل من الأقوات . وكان الأمير لؤلؤ أحد الحجاب بالديار المصرية[٣] يتصدّق فى هذا الغلاء فى كلّ يوم باثنى عشر ألف رغيف على اثنى عشر ألف فقير[٤] .

(١) العبر ٤ : ٢٩٠ . (٢) الفئام : الجماعة من الناس .
(٣) قال ابن كثير : « كان من أكابر الأمراء فى أيام صلاح الدين ، وهو الذى كان متسلم الأسطول فى البحر» . (٤) ابن كثير ١٣ : ٢٣ ، ٢٤ .

وفى سنة سبع وتسعين ، قال الذهبىّ فى العبر : كان الجوع والموت المفرط بالديار المصرية ، وجرت أمور تتجاوز الوصف ، ودام ذلك إلى نصف العام الآتى ، فلو قال القائل : مات ثلاثة أرباع أهل الإقليم لمَا أبعد ، والذى دخل تحت قلم الحصرية [1] فى مدّة اثنين وعشرين شهرا مائة ألف وأحد وعشرون ألفا بالقاهرة ، وهذا نَزْر فى جَنْب ماهلك بمصر والحواضر ، وفى البيوت والطرُقات ولم يدفن ، وكلّه نَزْر فى جَنْب ماهلك بالأقاليم. وقيل إنّ مصر كان فيها تسعمائة منسَج للحصر ، فلم يبق إلاّ خمسة‌عشر منسَجاً ، فقس على هذا ؛ وبلغ الفرّوج مائة درهم ، ثم عدم الدّجاج بالكلّية ، لولا ماجلب من الشام ، وأما أكل لحوم الآدميّين فشاع وتواتر . هذا كلام الذهبى [2] .

وقال صاحب المرآة : فى هذه السنة كان هبوط النيل ، ولم يمهد ذلك فى الإسلام إلاّ مرة واحدة فى دولة الفاطميين ، ولم يبقَ منه إلا شىء يسير ، واشتدّ الغلاء والوباء بمصر ، فهرب النّاس إلى المغرب والحجاز واليمن والشام ، وتفرّقوا وتمزّقوا كلّ ممزّق. قال : وكان الرّجل يذبح ولَده ، وتساعده أمّه على طبخه وشيِّه؛ وأحرق السلطان جماعة فعلوا ذلك ولم ينتهوا ، وكان الرجل يدعو صديقَه وأحبَّ الناس إليه إلى منزله ليضيفَه ، فيذبحه ويأكله ، وفعلوا بالأطباء ذلك ، وفقدت الميتات والجِيَف ، وكانوا يخطَفون الصبيان من الشوارع فيأكلونهم ، وكفّن السلطان فى مدة يسيره مائتى ألف وعشرين ألفا ، وامتلأت طرقات المغرب والحجاز والشام بِرِمَم النّاس ، وصلّى إمام جامع إسكندرية فى يوم واحد على سبعمائة جنازة .

قال العماد الكاتب : فى سنة سبع وتسعين وخمسمائة اشتدّ الغلاء ، وامتدّ الوباء وحدثت المجاعة ، وتفرّقت الجماعة ، وهلك القوىّ فكيف الضعيف ! ونحف السمين فكيف العجيف ! وخرّج النّاس حذَر الموت من الديار ، وتفرّقت فِرق مِصْر فى

---

(١) كذا فى ح ، وفى ط والأصل والعبر : « الحشرية » . (٢) العبر ٤ : ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

الأمصار ، ولقد رأيتُ الأراملَ على الرّمال ، والجمال باركةً تحت الأحمال ، ومراكب الفرنج واقفة بساحل البحر على اللقم ، تسترق الجياع باللُّقَم .

قال صاحب المرآة وغيره : وكان فى هذه السنة ، فى شعبان، زلزلة هائلة من الصّعيد ، هدمت بنيان مصر ، فمات تحت الهدم خَلْق كثير .

وفى سنة تسع وتسعين فى ليلة السّبت سَلْخ المحرّم ماجت النجوم فى السماء شرقاً وغربا ، وتطايرت كالجراد المنتشر يمينا وشمالا ، ودام ذلك إلى الفَجْر ، وانزعج الخلق ، وضجوّا بالدعاء ، ولم يُعهد مثل ذلك إلاّ فى عام البعث وفى سنة إحدى وأربعين ومائتين. قاله صاحب المرآة وغيره.

وفى سنة ستمائة ، كانتْ زلزلة عظيمة بديار مصر ، قاله ابن الأثير فى الكامل . وفيها أخذت الفرنج فوّة واستباحوها ، دخلوا من فم رشيد فى النيل . ذكره الذهبىّ فى العبر [١] .

وفى سنة سبع وستمائة ، دخلت الفرنج من البحر من غربىّ دمياط ، وساروا فى البرّ فأخذوا قرية بورة ، واستباحوها قتلاً وسبيا ، ورُدّوا فى الحال ، ولم يدركهم الطلب [٢] .

وفى سنة ثمان وستمائة ، كانتْ زلزلة شديدة ، هدّمت بمصر والقاهرة دورا كثيرة ، ومات خلق تحت الهدم .

وفى سنة خمس عشرة وستمائة ، فى جمادى الأولى ، نزلت الفرنج على دمياط ، وأخذوا بُرْج السلسلة [٣] ، ثم استحوذوا على دمياط فى سنة ست عشرة ، فاستمرّت بأيديهم إلى أن استُرِدّت منهم فى سنة ثمان عشرة .

---

(١) العبر ٤ : ٣١١ . (٢) العبر ٥ : ٢١ .

(٣) فى العبر ٥ : ٥٣ : « وأخذت الفرنج برج السلسلة من دمياط ، وكان قفل ديار مصر ، وهو فى وسط النيل ، فكان يمد منه سلسلة على وجه النيل إلى دمياط وأخرى إلى برج آخر ، فلا يمكن المراكب أن تعبر من البحر فى النيل » .

قال الذهبيّ في العِبر : في سنة ست عشرة وستمائة ،حاصر الفرنج أهل دمياط، ووقعت حروب كثيرة يطول شرحها ، وجدّت الفرنج في المحاصرة ، وعملوا عليهم خندقاً كبيرا، وثبت أهل البلد ثباتا لم يُسمع بمثله ، وكثر فيهم القتل والجَرْح والموت ، وعدِمت الأقوات ، ثم سلّموها بالأمان في شعبان ، وطار عقل الفرنج ، وتسارعوا إليها من كل فجّ ، وشرعوا في تحصينها ، وأصبحت دارَ هجرتهم، ورجوْا بها أخذ ديارمصر ، وأشرف الإسلام على خطة خسف ، وأقبل التتار من المشرق والفرنج من المغرب ، وعزم المصريون على الجلاء ، فثبّتهم الكامل إلى أن سار إليه أخوه الأشرف والمعظم ، وحصل الفتح ولله الحمد[١].

وفي سنة ثمان وعشرين وستّمائة ، كان غلاء شديد بديار مصر ، قاله ابن كثير[٢] .

وبلغ النيل ستة عشر ذراعا وثلاثة أصابع فقط ، بعد توقّف عظيم ، ووصل القمح خمسة دنانير الإردبّ ، فرسم السلطان بفتح الأهراء وشُوَن الأمراء ، وأن يباعَ بثمانين درهما الإرْدبّ من غير زيادة ، فانحط السّعر إليه. ذكره ابن المتوّج .

وفي سنة تسع وعشرين ، وصل النيل ثمانيـة عشر ذراعا وستة أصابع ، وتأخّر نزوله حتى خاف الناس من عَدم نزوله ،فغلا السّعر ، ثم نزل، فانحطّ السعر .

وفي سنة إحدى وثلاثين،قدِم إلى الملك الكامل هديّةٌ من الإفرنج ، فيها دُبٌّ أبيض وشعره مثل شعر السبع ، ينزل البحر فيصعد بالسمك فيأكله .

وفي سنة اثنتين وثلاثين كان الوباء العظيم بمصر .

وفي سنة ثلاث وأربعين كان الغلاء بمصر ، وقاسَى أهلُها شدائدَ .

وفي سنـة سبع وأربعين نزلت الفرنج دمياط برًّا وبحرا ، وملكوها ، ثم استُنْقِذَتْ منهم .

---

(١) العبر ٥ : ٥٩ ، ٦٠ . (٢) البداية والنهاية ١٣ : ١٢٨ .

وفى سنة تسع وأربعين ، قال ابن كثير : صُلّيت صلاة العيد يوم الفطر بعد العصر ، قال: وهذا اتفاق غريب [١] .

وفى سنة سبع وخمسين ، حصلت بديار مصر زلزلة عظيمة جدًّا .

وفى سنة إحدى وستين ، جهّز الظاهر بيبرس رحمه الله تعالى أخشاباً وآلات كثيرة لعمارة المسجد النبوىّ بعد حريقه ، فطِيف بها بالديار المصريّة ، فرحاً بها ، وتعظيما لشأنها ثم ساروا بها إلى المدينة.

وفى سنة اثنتين وستين كان بديار مصر غلاء عظيم ، وفرّق الظاهر الفقراء على الأمراء والأغنياء ، وألزمهم بإطعامهم ، وفرّق هو قمحا كثيرا ، ورتّب كلّ يوم للفقراء مائة إردبّ تخبَز وتفرّق عليهم .

وفى هذه السنة ولد بمصر ولد ميّت ، له رأسان وأربعة أعين وأربعة أيدٍ وأربعة أرجل .

وفى سنة ثلاث وستين وقع حريقٌ عظيم ببلاد مصر ، اتّهم به النّصارى ، فعاقبهم السلطان عقوبة عظيمة . وفيها استجدّ الظاهر بمصر القضاة الثلاثة ، من كلّ مذهب قاضٍ .

وفى سنة أربع وستين ، قال ابن المتوّج : حفر الظاهر بَحْرَ مصر بنفسه ، وعسكره مابين الروضة والمنشاة .

وفى سنة خمس وستين كَبَا الفرس بالملك الظاهر ، فانكسرت فخِذه ، وحصل له عَرَج .

وفى سنة ست وستين كانت كائنة الحبيس [٢] النصرانىّ ، كان كاهنًا ثم ترهّب وأقام بمفازة بجبل حُلوان ، فقيل إنه ظفر بكنز للحاكم صاحب مصر ، فواسَى منه الفقراء

---

(١) تاريخ ابن كثير ١٣ : ١٨١ . (٢) فى ح : « الحبيش » .

والمستورين من كل ملة ، واشتهر أمرُه وشاع ذكره ، وأنفق فى ثلاث سنين أموالاً عظيمة ، فأحضره السلطان ، وتلطّف به ، فأبى عليه أن يعرّفه بجلية أمره ، وأخذ يُراوغه ويغالطه ، فلمّا أعياه حَنَق عليه ، وبسط عليه العذاب فمات . قال الذهبىّ : وقد أفتى غيرُ واحد بقتله خوفاً على ضعفاء الإيمان من المسلمين أن يضلّهم ويغويَهم [١] .

وفى سنة سبع وستين ، رسم السلطان بإراقة الخمور ، وإبطال المفسدات والخواطىء من الديار المصرية والشاميّة ، وحبست الخواطِئُ حتى يتزوجْنَ ، وكتب إلى جميع البلاد بذلك ، وأسقِطت الضرائب التى كانت مرتبةً عليها [٢].

وفى هذه السنة حجّ السلطان فأحسن إلى أهل الحرَمين ، وغسل الكعبة بماء الورد بيده . وفى أواخر ذى الحجة من هذه السنة هبّت ريح شديدة بديار مصر ، غرّقت مائتى مركب فى النيل ، وهلك فيها خلْق كثير ، ووقع مطر شديد جدًّا ، وأصابت الثمار صَعْقة أهلكتها ، حكاه ابن كثير [٣].

وفى سنة تسع وستين شدّد السلطان فى أمر الخمور ، وهدّد مَنْ يعصرها بالقتل ، وأسقط الضّمان فى ذلك ، وكان ألف دينار كلّ يوم بالقاهرة وحدها ، وكُتب بذلك توقيع قرئ على منبر مصر والقاهرة ،وسارت البُرُد بذلك إلى الآفاق.

وفى سنة سبعين ، قال قطب الدين : فى جمادى الآخرة ولِدت زَرافة بقلعة الجبل ، وأرضِعت من بقرة ، قال : وهذا شىء لم يُعْهَد مثله .

وفى سادس [٤] عشر شوّال سنة خمس وسبعين ، قال ابن كثير : طيف بالمحمل ، وبكسوة الكعبة المشرفة بالقاهرة ، وكان يوما مشهوداً [٥] .

قلت : كان هذا مبدأ ذلك ، واستمرّ ذلك كلّ عام إلى الآن.

وفى سنة تسع وسبعين ، فى يوم عَرفة وقع ببلاد مصر بَرَدٌ كبار ، أتلف كثيرا من

---

(١) العبر ٥ : ٢٨٥ . (٢) ابن كثير ١٣ : ٢٥٤ . (٣) ابن كثير ١٣ : ٢٥٥ .
(٤) ابن كثير : « فى حادى عشر » . (٥) ابن كثير ١٣ : ٢٧١ .

الغِلال ، ووقعت صاعقة بالإسكندريّة ، وأخرى تحت الجبل الأحمر على حَجَرٍ فأحرقته ، فأخذ ذلك الحجر وسُبِك ، فخرج منه من الحديد أواقٍ بالرطل المصرىّ .

وفى سنة ثمان وستمائة تربت جزيرة كبيرة ببحر النيل تُجاه قرية بولاق واللّوق ، وانقطع بسببهـا مجرى البحر ، مابين قلعة المقْس وساحل باب البحر ، واشتدّ ونشف بالـكلّية ، واتّصل مابين المقْس وجزيرة الفِيل بالمشى ، ولم يعهد فيما تقدّم ، وحصل لأهل القاهرة مشقّة من نقل الماء لبعد النيل ، فأراد السلطان حَفره ، فقالوا : إنّه لا يفيد ، ونشف إلى الأبد .

وفى سنة إحدى وثمانين فى شعبان ، طافوا بـكسوة الـكعبة ، ولعبت مماليك الملك المنصور أيام الـكسوة بالرّماح والسلاح ؛ وهو أوّل ماوقع ذلك بالديار المصرية،واستمرّ ذلك إلى الآن ، يُعمل سنين ويبطل سنين .

وفى سنة إحدى وتسعين فى الرابع والعشرين من المحرّم ، وقع حريق عظيم بقلعـة الجبل ، أتلفت شيئاً كثيرا من الذّخائر والنفائس والـكتب .

وفى سنة ثلاث وتسعين ، قال ابن المتوّج : كثرت الفلوس ، وردّها أرباب المعائش، وجعلت بالميزان بربع نُقْرة كل أوقيّة ، ثم بسدس الأوقية ، وتحرّك السعر بسبب ذلك . وكان القمح فى أوّل السنة بثلاثة عشر درهما الإردبّ ، فانتقل إلى ستين درهما الإردبّ . وفيها، قال ابن المتوج : كانت زلزلة بديار مصر .

وفى سنة أربع وتسعين ، أوْفى النيل فى السادس من أيام النَّسِئ وكسر ، وبلغ مجموع زيادته ستة عشر ذراعا وسبعة عشر أصبعا ، وحصل فى هـذه السنة بديار مصر غلاء شديد . واستهلّت سنة خمس وتسعين وأهل الديار المصرية فى قحط شديد ووباء مفرط ، حتى أكلُوا الجِيَف ، ونفدت حواصل السلطان من العَليق ، فأقامت خيول السلطان ثلاثة أيام حتى أحضرت التقاوى المخلّد فى البلاد ، وبلغ الإردبّ القمح مائة وسبعين درهما

نُقْرة ، وذلك عبارة عن ثمانية مثاقيل ذهب ونصف مثقال ، والخبز كلّ رطل وثلث بالمصرىّ بدرهم نُقْرة ، وأكلت الضعفاء الكلابَ ، وطرِحت الأموات فى الطرقات ، وكانوا يحفرون الحفائر الكبار ، فيلقون فيها الجماعة الكثيرة . وبيع الفرّوج بالإسكندرية بستة وثلاثين درهما نُقرة ، وبالقاهرة بتسعة عشر ، والبيض كل ثلاثة بدرهم ، وفنيت الحمرُ والخيل والبغال والكلاب ، ولم يبق شىء من هذه الحيوانات يلُوح . وفى جمادى الآخرة خفّ الأمر ، وأخذ فى الرخص ، وانحطّ سعر القمح إلى خمسة وثلاثين درهما الإردب .

وفى سنة ست وتسعين ، بلغتْ زيادة النيل إلى أوّل تُوت خمسة عشر ذراعا وثمانية عشر إصبعا ، ثم نقصَ ولم يوفِّ .

وفى سنة سبع وتسعين توقّف النيل ، ثم أوفَى آخر أيام النّسِىء .

وفى سنة ثمان وتسعين فى المحرّم ، ظهر كوكب له ذؤابة .

وفى سنة تسعين ، أوفَى النيل فى ثالث عشر توت .

وفى شعبان سنة سبعمائة ، أمر بمصر والشام اليهود بلبْس العمائم الصُّفْر ، والنصارى بلبْس الزّرق ، والسامرة بلبس الُحْمر ، واستمرّ ذلك إلى الآن .

وقال الشعراء فى ذلك ، فقال العلاء الوداعىّ :

لقد ألزموا الكفّار شاشاتِ ذلّةٍ تزيدهمُ من لعنة الله تشويشاَ
فقلت لهم : ما ألبسوكم عمائمًا ولكنّهم قد ألبسوكمْ بَرَاطِيشا

وقال أخر :

تعجبّوا للنصارى واليهود معاً والسامريّين لمّا عُمّموا الخِرَقاَ
كأنما بات بالأصباغ منسهلًا نَسْر السّماء فأضحى فوقهم ذَرَقاَ

وفى سنة اثنتين وسبعمائة فى ذى الحجة ، كانت الزلزلة العظمى بمصر ، وكان تأثيرها

بالإسكندرية أعظم من غيرها ، وطلع البحر إلى نصف البلد ، وأخذَ الحُمّال والرجال، وغرقت المراكب ، وسقطت بمصر دور لا تحصى ، وهلك تحت الرَّدْم خلقٌ كثير .

وفى هذه السنة ، قال البرزالىّ فى تاريخه:قرأت فى بعض الكتب الواردة من القاهرة أنّه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الآخرة ، ظهرت دابّة عجيبة الخِلْقة من بحر النيل إلى أرض المنوفيّة ، وصفتها: لونها لون الجاموس بلا شعر، وآذانها كآذان الجمل ، وعيناها وفرجها مثل الناقة ، يغطّى فرجَها ذنبُها، طوله شبر ونصف،طرفه كذنب السمك، ورقبتها مثل غِلظ المسند المحشوّ تبنا ، وفمها وشفتاها مثل الكربال ، ولها أربعة أنياب ، اثنان من فوق واثنان من أسفل ، طولها دون الشّبر ، وعرض إصبعين ، وفى فمها ثمانية وأربعون ضرساً وسنًّا ، مثل بيادق الشطرنج ، وطول يديها من باطنها إلى الأرض شبران ونصف ، ومن ركبتها إلى حافرها مثل بطن الثعبان ، أصفر مجعّد ودور حافرها مثل السّكرجة بأربعة أظافير مثل أظافير الجمل ، وعرض ظهرها مقدار ذراعين ونصف، وطولها من فمها إلى ذنبها خمسة عشر قدما ،وفى بطنها ثلاثة كروش ، ولحمها أحمر، وزَفَرته مثل السمك ، وطعمه كطَعْم الجمل ، وغِلَظ جلدها أربعة أصابع ، ماتعمل فيه السيوف ، وحُمِل جلدها على خمسة أجمال فى مقدار ساعة، من ثِقله على جمل بعد جمل ، وأحضروه إلى القلعة بين يدى السلطان ، وحشوْه تبنا ، وأقاموه بين يديه .

وفى هذه السنة أبطل الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عيدَ الشهيد بمصر ، وذلك أنّ النصارى كان عندهم تابوت فيه إصبع ، يزعمون أنه من أصابع بعض شهدائهم ، وأن النيل لا يزيد مالم يُلقَ فيه هذا التابوت ، وكان يجتمع النصارى من سائر النواحى إلى شَبْرا ، ويقع هناك أمور فظيعة ؛ من سُكر وغيره ، فأبطل ذلك إلى يومنا هذا ، ولله الحمد .

وفى سنة أربع وسبعمائة ظهر من معدن الزّمرد قطعة زنتها مائة وخمسة وسبعون

مثقالا ، فأخفاها الضامن ، ثم حملها إلى بعض الملوك ، فدفع له فيها مائة ألف وعشرين ألف درهم ، فأبَى أن يبيعها بذلك ، فأخذها الملك منه غصباً ، وبعث بها إلى السلطان ، فمات الضامن غمًّا .

وفيها أوفَى النِّيل رابع توت ، وكذا فى سنة خمس .

وفى سنة تسع وسبعمائة توقّف النيل ، واستسقى الناس فلم يُسقَوْا ، وانتهت زيادته فى سابع عشرى توت إلى خمسة عشر ذراعاً وسبعة عشر إصبعا ، ثم زاد .

وأوفى ستة عشر ذراعا فى تاسع عشر بابَه ، وتشاءم النّاس بسلطنة بيبرس ، وغنّت العامة فى ذلك :

سلطاننا رُكين ، ونائبنا دُقين ، يجيئنا الماء من أين !

يجيبوا لنا الأعرج ، يجيء الماء ويدحرج .

وفى هذه السنة لما عاد ابن قلاوون تكلم الوزير ابن الخليليّ فى إعادة أهل الذمة إلى لبس العمائم البيض بالعلائم ، وأنهم قد التزموا للديوان بسبعمائة ألف فى كلّ سنة زيادة على الجالية ، فسكت أهل المجلس ، وقام الشيخ تقىّ الدين بن تيمية رحمه الله ، وتكلّم كلاما عظيما ، وردّ على الوزير مقالته ، وقال للسلطان : حاشاك أن تكون ممّن ينصر أهل الذمة ! فأصغى إليه السلطان ، واستمرّ لبسهُم للأصفر والأزرق ، ثم عُمِل ذلك ببغداد أيضا فى سنة أربع وثلاثين اقتداء بملك مصر .

وفى سنة خمس عشرة وسبعمائة وقع الشروع فى رَوْك[1] الإقطاعات بمصر ، وأبطل السلطان مكوساً كثيرة ، وأفرِدت الجهات الّتى بقيت من المكس ، وأضيفت

(١) الروك فى كتب المؤرخين معناه مسح أرض الزراعة فى بلد من البلاد لتقدير الخراج المستحق عليه لبيت المال ، ومنه تصرف أعطية الجند ورواتب الولاة وموظفى دواوين الدولة ،وما زاد عن ذلك يودع بيت المال . حواشى السلوك ١ : ٨٤١ .

للوزير ، وأفرد لكلّ راتب من الدولة ، ولكل فريق جهة من البلاد ، ولم يكن الوزير يتعلّق به جهة مكْس قديما ، ولذا كان يتولّاه العلماء وقضاة القضاة .

وفى سنة عشرين وسبعمائة حصلَ بالدّيار المصرية مرض كثير ، قلّ أن سلمت منه دارٌ ، وغلت الأدوية والأشربة ، وبيعت الرّمّانة الحامضة بثلاثة أرباع نُقْرة ، والعنّاب الرّطل المصرىّ بستة دراهم نُقرة ، وكذلك الإجّاص والقرَاصيا والقَلْب اللوز ، وتمّتْ مدة عظيمة ؛ ولكن كان المرض سليما والموت قليلا . ذكره فى العبر .

وفى سنة إحدى وعشرين ، كان بالقاهرة حريق كبير متتابع خارج عن الوصف ، ودام أياما فى أماكن ، وأحرق جامعَ ابن طولون وما حوْله بأسره ، ثم ظفر بفاعليه ، وهم جماعة من النصارى يعملون قواريرَ النِّفط ، فقتلوا وأحرقوا ، وهدم غالب كنائس النصارى بمصر ، ونهب الباقى ، وبقيت القاهرة أياماً لم يظهر فيها أحد من النصارَى ، وبقى لا يظهر نصرانىّ إلا ضربه العوامّ ، وربما قتلوه .

وفى هذه السنة، قال الذهبىّ فى العبر : نقلت من خط بدر الدين العزّازى أنّ كلبةً ولدت بالقاهرة ثلاثين جرْواً ، وأنها أحضِرت بين يدى السلطان ، فعجب منها وسأل المنجّمين عن ذلك ، فلم يكن عندهم علم منه .

وفى سنة اثنتين وعشرين أبطلَ السلطان المكْس المتعلّق بالمأكول بمكّة ، وعوّض صاحبها ثلثى بلد دَمَامين(١) ، من صعيد مصر .

وفى سنة أربع وعشرين رسم السلطان بإبطال الملاهى بالديار المصرية ، وحبس جماعة من النساء الزوانى ، وحصل بالديار المصرية موت كثير .

وفى هذه السنة ، نُودى على الفلوس أنْ يتعامل بها بالرّطل ، كلّ رطل بدرهمين ، ورسم بضرب فلوس زنة الفَلْس منها درهم .

---

(١) تقع شرق النيل على شاطئه فوق قوص . ذكرها ياقوت .

وفى سنة خمس وعشرين ، وقع بالقاهرة مطر كثير ، قلّ أن وقع مثله ، وجاء سيل إلى النيل حتى تغيّر لونه ، وزاد نحو أربعة أصابع .

وفى هذه السنة حضر السلطان النّاصر بن قلاوون عند قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة ، فسمع عليه عشرين حديثاً من تساعيّاته ، وخلع عليه خلعة عظيمة ، وفرّق من الذهب والفضة على الفقراء نحو ثلاثين ألف درهم .

وفى سنة سبع وعشرين، رسم بقتل الكلاب بالديار المصرية .

وفى سنة تسع وعشرين، رسم بألّا يباع مملوك تركىّ لكاتب ولا لعامىّ .

وفى سنة أربعين ، نودى على الذهب كلّ دينار بخمسة وعشرين درهما ، وكان بعشرين درهما ، وأن يتعاملوا به ولا يتعاملوا بالفضة ، فشقّ ذلك على الناس ، ثم بطل ذلك .

وفى سنة أربع وأربعين ، اشتدّ آل ملك نائب السلطنة على والى القاهرة فى إراقة الخمر ، ومنع المحرّمات ، وعاقب جماعة كثيرة على ذلك ، وأخرب خزانة النُّبوذ ، وكانت دار فسق وفجور ، وبنى مكانها مسجداً ، ونادى : مَنْ أحضر سكرانا ، أو مَنْ معه جرّة خمر خُلع عليه . فقعد العامة لذلك بكلّ طريق ، وأتوه بجندىّ سكران،فضربه وقطع خبزَه ، وأخلع على الآتى به ، وصار له مهابة عظيمة ، وكفّ الناس عن أشياء كثيرة ، حتى أعيان الأمراء ، فقال بعض الشعراء فى ذلك :

آلْ ملكُ الحاجُ غدا سعدُهُ يملأُ ظهر الأرض فيما سَلَكْ
فالأمر أمْنٌ دونه سوقَةٌ والملكُ الظّاهر هو آل ملكْ

وفى سنة سبع وأربعين قلّ ماء النيل ، حتى صار مابين المقياس ومصر يُخاض ، وصار من بولاق إلى المنشيّة طريقا يُمشَى فيه ، وبلغت راوية الماء درهمين ، وكانت بنصف درهم .

وفى سنة تسع وأربعين كان الطّاعون العامّ بمصر وغيرها .

وفى سنة خمس وخمسين وسبعمائة أمر بأن يكون إزار النصرانية أزرق وإزار اليهودية أصفر ، وإزار السامريّة أحمر .

وفى سنة سبع وخمسين فى ربيع الآخر ، هبّت ريح من جهة المغرب ، وامتدت من مصر إلى الشام فى يوم وليلة ، وغرقت ببولاق نحو ثلاثمائة مركب ، واقتلعت من النّخيل والجميز ببلاد مصر وبلبيس شيئاً كثيرا .

وفى سنة إحدى وستين وقع الوباء بالديار المصرية .

وفى سنة أربع وستين كان الطاعون بديار مصر .

وفى سنة خمس وستين وقع الفَناء فى البَقر ، فهلك منها شىء كثير .

وفى سنة سبع وستين أخذت الفرنج مدينة إسكندريّة ، وقتلوا وأسروا ، فخرج السلطان والعسكر لقتالهم ، ففرّوا وتركوها .

وفى سنة تسع وستين وقع الوباء بالديار المصرية .

وفى سنة ثلاث وسبعين رسم للأشراف بالديار المصرية والشامية أن يسمُوا عمائمهم بعلامة خضراء ، تمييزا لهم عن الناس ، ففعل ذلك فى مصر والشام وغيرهما ، وفى ذلك يقول أبو عبد الله بن جابر الأندلسى الأعمى نزيل حلب :

جَعَلُوا لأبناء الرّسول علامةً ... إن العلامة شأنُ مَنْ لم يُشْهَرِ
نور النبوّة فى كريم وجوهِهِمْ ... يُغنِى الشريفَ عن الطِّراز الأخضرِ

وقال فى ذلك جماعة من الشعراء مايطول ذكره ؛ ومن أحسنها قول الأديب شمس الدين محمد بن إبراهيم الدمشقى :

أطراف تيجانٍ أتتْ من سُنْدُسٍ ... خُضْرٍ بأعلام على الأشرافِ
والأشرف السلطان خصّهمْ بها ... شرفاً ليعرفهم من الأطرافِ

وفى هـــذه السنة زاد النيـــل زيادة مفرِطة ، وثبت إلى أيّام من هاتور ، فاجتمع جماعـــة بالجـــامع الأزهر ، وجامع عمرو ، وسألوا الله فى هبوطه ، وعمل ابنُ أبى حَجَلة مقامتَه المشهورة .

وفى هذه السنة أراد السّراج الهندىّ قاضى الحنفيّة أن يساوِىَ قاضى الشافعيّة فى لُبْس الطَّرْحـــة وتولية القضاة فى البلاد ، وتقرير مودع الأيتام ، فأجيب إلى ذلك ؛ فاتفق أنّه توعّك عقب ذلك ، وطال مرضُه إلى أن مات ولم يتمّ الذى أراده .

وفى سنة أربع وسبعين وقعت صاعقة على القلعة ، فأحرقت منها شيئاً كثيرا ، واستمرّ الحريق أياما ، وفى هذه السنة عقد الجائى مجلساً بالعلماء فى إقامة خطبة بالمنصورية ، فأفتاه البُلقينى وابن الصائغ بالجواز ، وخالف الباقون ، وصنّف البُلقينىّ كتابا فى الجـــواز ، وصنّف العِراقىّ كتابا فى المنع ، وجمع أيضا القاضى برهان الدين بن جماعة جزءا فى المنع .

وفى سنة خمس وسبعين ، توقّف النيل عن الزيادة ، وأبطأ إلى أن دخل توت ، واجتمع العلماء والصلحاء بجامع عمرو ، واستسقوا ، وكسر الخليج تاسع توت عن نَقص أربعة أصابع من العادة ، ثم نودى بصيام ثلاثة أيّام ، وخرجوا إلى الصحراء مشاةً ، وحضر غالب الأعيان ومعظم العوامّ وصبيان المـــكاتب ، ونُصِب المنبر ، فخطب عليه شهاب الدين القســطلانىّ خطيب جامع عمرو ، وصلّى صلاة الاستسقاء ، ودعا وابتهل ، وكشف رأسَه واستغاث وتضرّعوا ، وكان يوما مشهودا ، وابتدأ الغلاء وزادت الأسعار .

وفى هذه السنة فى أول جُمادى الأولى حدثت زلزلة لطيفة ، فيها ابتدئت قراءة البخارىّ فى رمضان بالقلعة بحضرة السلطان ، ورُتّب الحافظ زين الدين العِراقىّ قارئاً ، ثمّ اشترك معه شهاب الدين العريانى يوما بيوم ، وأمر السلطان مشايخ العلم أن يحضروا عنده سامعين ليتباحثوا ، فحضر جماعة من الأكابر .

وفيها أبطل ضمان المغانى ومكس القراريط التى كانت فى بيع الدّور ، وقرئ بذلك

مرسوم على المنابر ، وكان ذلك بتحريك البُلقينىّ ، وأعانه أكمل الدين والبرهان ابن جماعة .

وفى سنة ست وسبعين وقع الفناء بالديار المصرية ، وبيع كلّ رمانة بستة عشر درهما وهى قريب من دينار ، وكلّ فرّوج بخمسة وأربعين ، وكلّ بطّيخة بسبعين .

وفى هذه السنة أحضر والى الأشمونين إلى الأمير مَنْجَك بنتا عمرها خمس عشرة سنة ، فذكر أنها لم تزل بنتاً إلى هذه الغاية ، فاستدّ الفرج وظهر لها ذكر وأنثيان ، واحتلمتْ ، فشاهدوها وسمَّوْها محمدا ، ولهذه القضية نظير ، ذكرها ابنُ كثير فى تاريخه .

قال الحافظ ابن حجر : ووقع فى عصرنا نظير ذلك فى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة .

وفى سنة سبع وسبعين وصلت هدايا إسطنبول من الرّوم ، وفى جملة الهدايا صندوق فيه شخوص له حَرَكات ، كلّما مضى ساعة من الليل ضربت تلك الشخوص بأنواع الملاهى ، وكلما مضت درجة سقطت بندقة .

وفى سنة ثمان وسبعين، فى شعبان ، خسَف الشمس والقمر جميعا ، فطلع القمر خاسفاً ليلة السبت رابع عشرة ، وكسفت الشمس بين الظهر والعصر يوم السبت ثامن عشرينه.

وفى سنة ثمانين كان بمصر حريقٌ عظيم ودام أياما . وفى هذه السنة، فى ذِي القعدة عَقَد برقوق أتابك العساكر مجلساً بالقضاة والعلماء . وذكر أنّ أراضى بيت المال أخِذت منه بالحيلة ، وجُعلت أوقافا من بعد الناصر بن قلاوون ، وضاق بيت المال بسبب ذلك ، فقال الشيخ سراج الدين البُلقينى : أمّا ما وُقف على خديجة وعويشة وفطيمة فنعم ، وأمّا ما وُقف على المدارس والعلماء والطلبة فلا سبيل إلى نقضه ، لأن لهم فى الخمس أكثر من ذلك . فانفصل الأمر على مقالة البُلقينى .

(حسن المحاضرة ٢/٢٠)

وفى هـذه السنة ظهر كوكب له ذؤابة ، وبقىَ مدة يُرى فى أوّل النهـار من ناحية الشمال .

وفى هذه السنة أمر بتبطيل الوُكلاء من دور القضاة .

وفى سنة إحدى وثمانين رسم الأمير بركة بنفى الـكلاب من مصر ، ورسم بأن يعمل على قنطرة فم الخور سلسلة تمنع المراكب من الدخول وإلى بركة الرطلىّ ، فقـال بعض الشعراء فى ذلك :

أطلقتُ دمعى على خليجٍ مُذْ سلسلوه فراح مُقْفَلْ
مَنْ رام مِنْ دهرنا عجيباً فلينظر المطلَق المُسَلْسَلْ

وفى ربيع الآخر من هذه السنة أحدث السّلام على النبىّ صلى الله عليـه وسلم عقب أذان العشاء ليـلة الاثنين مضافا إلى ليلة الجمعة ، ثم أحـدث بعد عشر سنين عقب كلّ أذان إلّا المغرب .

وفى سنة ثلاث وثمانين ابتدأ الطاعون بالقاهرة . وفيها أمطرت السماء مطراً عظيماً ، حتى صار باب زَويلة خوضاً إلى بطون الخيل ، وخرج سيل عظيم إلى جهة طُرى ، فغرق زرعها ، وأقام الماء أياما ، ولم يَعْهد الناس ذلك بالقاهرة . وفيها ظهر نَجْم له ذؤابة قدْ رمحين من جهة القِبْلة .

وفى سنة أربع وثمانين وقع الغلاء بمصر . وفيها شرع جركس الخليلى فى عمل جسْر بين الروضة ومصر ، وطوله مائتا قصبة فى عَرْض عشرة عند موردة الحبش ، وعمـل على النّيل طاحونا تدور بالماء .

وفى هذه السنة قال الحافظ ابن حجر : توجّه الظاهر برقوق إلى بولاقِ التـكرور ، فاجتاز من الصّليبة وقناطر السباع وفم الخور . قال : وكانت عادة السلاطين قبـله من زمن الناصر لايظهرون إلاّ فى الأحيان ، ولا يركبون إلاّ من طريق الجزيرة الوسطى .

قال : ثم تكرّر ذلك منه ، وشقّ القاهرة مرارا ، وجرى على ماألف فى زمن الإمـرة ، وأبطل كثيرا من رُسوم السلطنة ، وأخذ من بعده بطريقته فى ذلك إلى أن لم يبق من رسمها فى زماننا إلا اليسير جدا .

وفى هذه السنة بَنَى السلطان قناطر بنى مَنْجة ، فأحكم عمارتها .

وفى سنة خمس وثمانين نزَل السّلطان إلى النّيــل ، فخلّق المقياس ، وكسر الخليج بحضرته . قال ابن حجر : ولم يباشر ذلك السلطان قبله فى زمن الظاهر بيبرس .

وفى سنة سبع وثمانين زُلزلت مصر والقاهرة زلزلة لطيفة ، فى ليلة الثالث عشر من شعبان. وفيها أحضرت صغيرة ميتة لها رأسان وصدر واحد ويدان فقط، ومن تحت السّرّة[1] صورة شخصين كاملين ، كلّ شخص بفرْج أنثى ، فشاهدها الناس ، ودفنت . وفيهـا وقع الغلاء بمصر .

وفى سنة ثمان وثمانين فى جمادى الآخرة زُلزلت الأرض زلزلة لطيفة ، وفى هــذه السنة عزّ الفستق عِزّةً شديدة إلى أن بيع الرطل منه بمثقال ذهب ونصف .

وفى سنة تسع وثمانين ضربت الدراهم الظاهرية ، وجعل اسم السلطان فى دائرة ، فتفاءلوا له من ذلك بالحبس ، فوقع عن قريب ، ووقع نظيره لولده النّاصر فَرَج فى الدنانير الناصرية .

وفى سنة تسعين أصاب الحاجّ فى رجوعهم عند ثغرة حامد سَيْلٌ عظيم ، أهلك خلقا كثيرا . وفى هذه السنة وقع الطاعون بالقاهرة .

وفى سنة إحدى وتسعين فى شعبان أمر نجم الدين الطنبدىّ المحتسب أن يزاد بعد كلّ أذان الصلاة على النبىّ صلى الله عليه وسلم كما يصنع ذلك ليلة الجمعة بعد العشاء ، فصنعوا ذلك إلّا فى المغرب لضيق وقتها .

وفى سنة اثنتين وتسعين عطش الحــاجّ بعجرود ؛ حتى بلغت القربة مائة درهم فضــة .

---

(١) ساقط من ط .

وفى سنة ثلاث وتسعين أمر كُتبغا نائب الغيبة ألّا تخرج النساء إلى الترب بالقرافة وغيرها ، ومنع النساء من لبس القمصان الواسعة الأكمام وشُدّد فى ذلك .

وفى هذه السنة فى جمادى الآخرة ظهر كوكب كبير بذؤابة طول رمحين .

وفى سنة أربع وتسعين وقع الوباء فى البقر، حتى كاد إقليم مصر أن يفنى منها . وفى هذه السنة أمر أصحاب العاهات والقطعات أن يخرجوا من القاهرة . وفيها ضربت بالإسكندرية فلوس ناقصة الوزن عن العادة طمعا فى الربح ، فآل الأمر إلى أن كانت أعظم الأسرار فى فساد الأسرار ونقص الأموال .

وفى سنة تسع وتسعين استأذن كاتب السرّ بدر الدين الكلستانىّ السلطان له ولجميع المتعممين أن يلبسوا الصوف الملوّن فى المواكب ، فأذن لهم ، وكانوا لا يلبسون إلا الأبيض خاصة . وفيها ولدت امرأة بظاهر القاهرة أربعة ذكور أحياء .

وفى سنة ثمانمائة هبّت ريح شديدة بالقاهرة، حتى اتفق الشيوخ العتق على أنهم لم يسمعوا بمثلها .

وفى سنة إحدى وثمانمائة ، ذكر أهل الهيئة أنّه يقع فى أول يوم منها زلزلة ، وشاع ذلك فى الناس فلم يقع شىء من ذلك . وفى رجب سنة أربع ظهر كوكب قدْر الثريّا ، له ذُؤابة ظاهرة النور جدّا ، فاستمر يطلع ويغيب ، ونوره قوىّ يُرى مع ضوء القمر ، حتى رُئِىَ بالنّهار فى أوائل شعبان ، فأوّله بعضُهم بظهور ملك الشيخ المحمودىّ .

وفى سنة ست وثمانمائة ، نُودى على الفلوس بأن يتعامل بها بالميزان ، وسُعّرت كل رطل بستة دراهم ، وكانت فسدت إلى الغاية بحيث صار وزن الفلوس ربع درهم بعد أن كان مثقالا .

وفى سنة عشر، وقع الطاعون بالديار المصرية .

وفى سنة خمس عشرة ضُربت الدراهم الخالصة ، زنة الواحد نصف درهم والدينار ثلاثين منه ، وفرح الناس بها ، وبطلت الدراهم النقْرة ، وكان ضربها قديما فى كلّ درهم عشرُه فضة ، وتسعة أعشاره نحاس .

وفى سنة ست عشرة فشا الطاعون بمصر .

وفى سنة سبع عشرة أمر المؤيد بضرب الدراهم المديدية .

وفى سنة ثمان عشرة كان الطاعون بالقاهرة .

وفى سنة تسع عشرة كان الطاعون بالقاهرة ، وكثُر الوباء بالصعيد والوجه البحرى . وفى هذه السنة أمر الملك المؤيد الخطباء إذا وصلوا إلى الدعاء إليه فى الخطبة أنْ يهبطوا من المنبر درجة ، ليكون اسم الله ورسوله في مكانٍ أعلَى من المكان الذى يذكر فيه السلطان ، فصنع ذلك الحافظ ابن حجر بالجامع الأزهر ، وابن النقاش بجامع ابن طولون · قال ابن حجر · وكان مقصد السلطان فى ذلك جميلاً .

وفى سنة عشرين ولدت جاموسة ببلبيس مولودا برأسين وعنقين وأربعة أيدٍ وسلسلتى ظهر واحد ورِجْلين اثنتين لا غير ، وفَرْج واحد أُنثى ، والذنَب مفروق باثنتين ، فكانت من بديع صنع الله .

وفى هذه السنة أمسك نصرانىّ زَنا بامرأة مسلمة ، فاعترفا ، فحكم برجمهما ، فرُجما خارج باب الشّعرية وأحرِق النصرانىّ ، ودفنت المرأة .

وفى سنة اثنتين وعشرين فشا الطاعون بالديار المصرية .

وفى سنة خمس وعشرين زلزلت القاهرة زلزلة لطيفة .

وفى سنة سبع وعشرين جدّد للمشايخ الذين يحضرون سماع الحديث بالقلعة فراجى سنجاب ، وهو أوّل ما فعل بهم ذلك .

وفى سنة ثمان وعشرين وقع بدمياط حريق عظيم حتى احترق قدر ثلثها ، وهلك من الدّوابّ والناس شىء كثير .

وفى سنة ثلاث وثلاثين كان الطاعون العظيم بالديار المصرية .

وفى سنة إحدى وأربعين كان الطاعون بالديار المصرية .

ذكر الطريق المسلوك من مصر إلى مكة شرفها الله تعالى

قال ابن فضل الله : المحامل السلطانيّة وجماهير الركبان لاتخرج إلا من أربع جهات : مصر ، ودمشق ، وبغداد ، وتَعِزّ[١] .

قال : فيخرج الركْب من مصر بالمحمل السلطانيّ والسبيل المسبَّل[٢] للفقراء والضعفاء والمنقطعين بالماء والزاد والأشربة والأدوية والعقاقير والأطباء والكحالين والمجبّرين والأدلّاء والأئمة والمؤذّنين والأمراء والجند والقاضى والشهود والدواوين والأمناء ومغسّل الموتى ؛ فى أكمل زىّ ، وأتمّ أبّهة ، وإذا نزلوا منزلا أو رحلوا مرحلاً تدقّ الكوسات[٣] ، وينفِر النّفير[٤] ليؤذِنَ الناس بالرحيل والنزول ، فإذا خرج الركب من القاهرة نزل البركة[٥] على مرحلة واحدة، فيقيم بها ثلاثة أيام أو أربعة ، ثم يرحل إلى السويس فى خمس مراحل ، ثم إلى نخل فى خمس مراحل . وقد عمِل فيها الأمير آل ملك الجوكندار المنصوريّ أحد أمراء المشورة فى الدولة الناصرية بن قلاوون بركا ، واتّخذ لها مصانع ، ثم يرحل إلى أيْلة فى خمس مَرَاحل وبها العَقَبة العظمى ، فينزل منها إلى حُجْز[٦] بحر القُلْزُم ، ويمشى على حُجزه حتى يقطعَه من الجانب الشماليّ إلى الجانب الجنوبيّ ، ويقيم به أربعة أيام أو خمسة ، وبه سوق عظيم فيه أنواع المتاجر ، ثم يرحل إلى حقل مرحلة واحدة ،ثم إلى برّمدين فى أربع مراحل وبه مغارة شعيب عليه الصلاة والسلام ،

---

(١) تعزّ ، بالفتح ثم الكسر والزاى مشددة : قال ياقوت : «قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات» .
(٢) أسبلت الطريق : كثرت سابلتها . (٣) الكوسات : صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير ، يدق أحدها على الآخر بإيقاعٍ مخصوص ؛ ويتولى إيقاع ذلك الكوسى . صبح الأعشى ٤ : ١٣٢٩ ، وانظر حواشى السلوك ١ : ١٢٦ . (٤) النفير : الناس الذين يحجون .
(٥) هى بركة الحبش ؛ كانت مشرفة على نيل مصر خلف القرافة ؛ وكانت من أجلّ متنزهات مصر ؛ قال ياقوت : «رأيتها ، وليست ببركة ماء ؛ وإنما شبهت بها» . (٦) الحجز ، بالضم أو الكسر : الناحية .

ويقال إن ماءها هو الذى سقى عليه موسى عليه الصلاة والسلام غنم بنات شعيب ، ثم يرحل إلى عيون القصب فى مرحلتين ، ثم إلى المويلحة فى ثلاث مراحل ، ثم إلى الأزلم فى أربع مراحل . وماؤه من أقبح المياه ، وهناك خانٌ بناه الأمير آل ملك الجوكندار ، وعمل هناك بئرا أيضا ، ثم إلى الوجْه فى خمس مراحل ، وماؤه من أعذب المياه ، ثم إلى أكرى فى مرحلتين وماؤه أصعب ماء فى هذه الطريق، ثم إلى الحوراء، وهى على ساحل بحر القُلزم فى أربع مراحل ، وماؤها شبيه بماء البحر لايكاد يشرب ، ثم إلى نَبَط فى مرحلتين وماؤه عذب ، ثم إلى ينبُع فى خمس مراحل ويقيم عليه ثلاثة أيام، ثم إلى الدهناء فى مرحلة ، ثم إلى بدر فى ثلاث مراحل، وهى مدينة حجازيّة وبها عيون وجداول وحدائق، وبها الجار فرضة المدينة الشريفة، ثم يرحل إلى رابغ فى خمس مراحل، وهى بإزاء الجُحْفة التى هى الميقات ، ثم يرحل إلى خُليص فى ثلاث مراحل ، وبها بركة عملها الأمير أرغون الناصرىّ ، ثم إلى بطن مرّ فى ثلاث مراحل ، وفى طريقه بئر عُسْفان ، ثم يرحل من بطن مُرّ إلى مكة المشرّفة مرحلة واحدة.

ثم يرجع فى منازله إلى بدر ، فيمطف إلى المدينة الشريفة ، فيرحل إلى الصّفراء فى مرحلة ، ثم إلى ذى الُحليفة فى ثلاث مراحل ، ثم إلى المدينة الشريفة فى مرحلة ، ثم يرجع إلى الصفراء ويأخذ بين جبلين فى فجْوة تُعرف بنقب علىّ ، حتى يأتى اليَنْبُع فى ثلاث مراحل ، ثم يستقيم على طريقه إلى مصر.

ذكر قدوم المبشّر سابقا يخبر بسلامة الحاج

كان ذلك فى عهد الخلفاء الراشدين: عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان فَمَنْ
حكمة لطيفة قلّ مَنْ يعرفها ، قال الحافظ عماد الدين بن كثير فى تاريخه فى قصة
رضى الله عنه : واستمرّ الحصار بالديار المصرية حتى مضت أيام التّشريق ، و
من الحجّ ، فأخبر بسلامة الناس ، وأخبر أولئك بأن أهل الموسم عازمون
إلى المدينة ليكفّوهم عن أمير المؤمنين.

وأخرج مالك فى الموطأ عن ابن دلان عن أبيه أن رجلا من جُهينة
الرّواحل فيتغالَى بها ، ثم يسرع السّفر فيسبق الحاجّ ، فأفلس ، فرُفع أمره
فقال : أمّا بعد أيها الناس ، إنّ الأسيقع أسيقع جهينة رضى من دينه وأمانته
سَبَق الحاجّ ، ألا وإنّه أدان معرضا ، فأصبح وقد دين به فهمد ، فمن كان له
فليأته بالغداة . فقسم ماله بين غرمائه ، ثم كمل الدّيْن .

وأخرج الخطيب البغدادىّ فى تالى التلخيص من طريق عبد الملك بن عمير
الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، قال : تخرج الدابّة من جبل أ
التشريق والنّاس بمنًى ، قال : فلذلك جاء سابق الحاجّ يخبر بسلامة الناس .

ذكر حمائم الرسائل

قال ابن كثير فى تاريخه: فى سنة سبع وستين وخمسمائة اتّخذ السلطان نور الدين الشهيد الحمام الهوادِى، وذلك لامتداد مملكته، واتساعها، فإنها من حدّ النُّوبة إلى هَمَذَان[1]، فلذلك اتخذ قلعة، وحبس الحمام التى تسرى الآفاق فى أسرع مدّة، وأيسر عدّة، وما أحسن ماقال فيهنّ القاضى الفاضل: الحمام ملائكة الملوك. وقد أطنب فى ذلك العماد الكاتب وأظرف وأطرب، وأعجب وأغرب[2].

وفى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، اعتنى الخليفة الناصر لدين الله بحَمَام البطاقة اعتناء زائدا، حتى صار يكتب بأنساب الطير الحاضر إنه من ولد الطير الفلانىّ. وقيل إنه بيع بألف دينار.

وقد ألف القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى أمور هذه الحمام كتابا سماه «تمائم الحمائم[3]»، وذكر فيه فصلا فيما ينبغى أن يفعله المنطق وما جرت العادة به فى ذلك فقال:

كان الجارى به العادة أنّها لاتحمل البطاقة إلا فى جناحها، لأمور منها، حفظها من المَطر ولقوّة الجناح؛ والواجب أنه إذا انطلق من معصر لايُطلق إلا من أماكنة معلومة، فإذا سُرِّحت إلى الإسكندريّة، فلا تسرّح إلا من مُنية عُقْبة بالجيزة، وإلى الشرقية، فمن مسجد التبن ظاهر القاهرة، وإلى دمياط فمن بيسوس بشطّ بحر منجى. والذى استقرّت قواعد الملك عليه، أن طائر البطاقة لايلهو الملك عنه ولا يغفل، ولا يمهل لحظة واحدة، فتفوت مهمات لاتستدرَك، إمّا من واصلٍ وإمّا من هارب، وإمّا من متجدد فى الثغور.

---

(١) بعدها فى ابن كثير: «لا يتخللها إلا بلاد الإفرنج، وكلهم تحت قهره وهدنته».

(٢) تاريخ ابن كثير ١٢: ٢٦٩.

(٣) قال فى كشف الظنون: «صنفه حين حافظ عليها الفاطميون بمصر، وبالغوا فيها حتى أفردوا لها ديوانا وجرائد بأنساب الحمائم».

ولا يضع[1] البطاقة من الحمام إلا السلطان بيده من غير واسطة أحد ؛ فإن كان يأكل لايمهل حتى يفرغ ، وإن كان نائما لايمهل حتى يستيقظ بل ينبّه . وينبغى أن تُكتَب البطائق فى ورق الطير المعروف بذلك .

قال : ورأيت الأوائل لايكتبون فى أوائلها بسملة .

قال : وأنا ما كتبتُها قطّ إلا ببسملة للبَرَكة ، وتؤرّخ بالساعة واليوم ، لابالسنين ؛ وينبغى ألّا يكثَر فى نعوت المخاطب فيها ، ولا يذكر فى البطائق حشو الألفاظ ، ولا يكتبَ إلا لبّ الكلام وزبدته . ولابد أن يكتبَ شرح الطائر ورفيقه إن كانا طائرين قد سُرِّحا حتى إن تأخّر الطائر الواحد رقب حضوره ، أو يطلق لئلا يكون قد وقع فى بُرْج من أبراج المدينة ولا يعمل للبطائق هامش ولا يحمدىّ ، وجرت العادة بأن يكتب فى آخرها : « وحسبنا الله ونعم الوكيل » ، وذلك حفظٌ لها .

ومن فصل فى وصفها لتاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير كاتب الإنشاء : طالما جادت بها فأضحت مخلفة وراءها تبكى عليها السحب ، وصدق من سماها أنبياء للطير لأنها مرسلة بالكتب .

وفيها يقول أبو محمد أحمد بن علوى بن أبى عقبال القيروانىّ :

خُضْرٌ تفوتُ الريحَ فى طَيَرانِها ... يابُعْدَ بين غدوِّها ورواحِها

تأتى بأخبار الغُدُوّ عشيّةً ... لمسيرِ شهرٍ تحت ريش جناحِها

وكأنّما الروح الأمين بوحْيِه ... نفثَ الهداية منه فى أرْواحِها

وقال غيره :

ياحبّذا الطائر الميمون يطرُقُنا ... فى الأمر بالطائر الميمون تنبيَها

فاقت على الهُدهد المذكور إذ حملت ... كتب الملوك وصاَنتْها أعاليها

---

(١) ط : « يقع » .

تلقى بكلّ كتاب نحو صاحبه　　تصون نظرته ضَوْنًا وتخفيها
فما تمكّن عين الشمس تنظره　　ولا تجوز أن تلقيه مِنْ فِيهَا
منسوبة لرسالاتِ الملوك فبالمنسوب تسمو ويدعوها تسمّيها
أكرم بجيشٍ سعيد ماسعادته　　مّمايشكّيك فيها فكرحا كيها[1]
حَمَا حِمَى الغَارِ يوم الغار حرمته[1]　　فيالها وقعةً عزّتْ مساعيها !
وقوفه عند ذاك الباب شرّفه　　وللسعادة أوقاتٌ تُوَاتِيهَا
ويوم فتح رسول الله مكّتهُ　　عند الدّخول إليها من بَواديها
صفّت تظلّلُ من شمسٍ كتيبتَهُ الْ　　خُضْر أمطره فيها تواليها
فظلّته بما كانت تود هوًى　　لو قابلتْها بأشواق فتنهيها
فعندما حظيتْ بالقرْب أمّنها　　فشُرِّفَتْ بعطايا جَلَّ مهديها
فما يحلّ لدى صيد تناولها　　ولا ينال المنَى بالنار مصليها
ولا تطير بأوْراق الفرنج ولا　　يسير عنها بما فيه أمانيها
سمتْ بملك المعانى غير ذى دنسٍ　　لا ترتضيهم ، ولو جُزّت نواصيها
وانظر لها كيف تأتى للخلائق من　　آلِ الرّسول بحبٍّ كامنٍ فيها
مِنَ المقام إلى دار السّلام فلمْ　　يمضِ النّهار بعزمٍ فى دَواعِيهَا
وربّما ضل عنه الهند ملتقطاً　　حبّاتِ فُلْفُلِه وارتدّ مُحْبِطِيها
فجاء فى يومه فى إثر سابقه　　حفظاً لحقِّ يدٍ طابَتْ أيادِيها
مناقبٌ لرسول الله أيسرها　　لدى نبوّته الغرّاء تكفيها

ومن إنشاء القاضى الفاضل فى وصف حمائم الرسائل :

سرحت لا تزال أجنحتها محمّلة من البطائق أجنحة ، وتجهّزُ جيوش المقاصد والأقلام أسلحة ، وتحمل من الأخبار ماتحمله الضمائر، وتطوى الأرض إذا نشرت الجناح الطائر،

(١) ط : « جاليها » .　　(٢) : « حرمته » .

وتزوَى لها الأرض حتى ترى مُلْك هذه الأمّة ، وتقرب من السماء حتى ترى مالا يبلغه وهمٌ ولا هِمّة ، وتكون مراكب للأغراضِ وكانت والأجنحة قلوعاً ، وتركب الجوّ بحرا تصفق فيه هبوب الرياح موجاً مرفوعا ، وتعلّق الحاجات على أعجازها ، ولا تفوق الإراداتُ عن إنجازها ، ومن بلاغات البطائق استفادت ماهى مشهورة به من السجع ، ومن رياض كتبها ألفت الرياض فهى إليها دائمة الرَّجْع . وقد سكنتْ البروج فهى أنجُم ، وأعِدّت فى كنائنها فهى للحاجات أسهُم ، وكادتْ تكون ملائكة لأنها رسُل فإذا نيطت بالرّقاع ، صارت أولِى أجنحةٍ مثنى وثلاث ورباع . وقد باعد الله بين أسفارِها وقرّبَها ، وجعلها طيفَ خيالِ اليقظة الّذى صدّق العين وما كذّبها ، وقد أخذت عهود الأمانة فى رقابها أطواقا ، فأدّتها من أذنابها أوراقا ، وصارت خوافِىَ من وراء الخوافى ، وغطّت سرّها المودع بكتمان سحبت عليه ذيول ريشها الضّوافى ، ترغم أنف النّوى بتقريب العهود ، وتكاد العيون تُلاحظها تلاحُظ أنجمَ السعود ؛ وهى أنبياء الطير لكثرة ماتأتى به من الأنباء ، وخُطَباؤها لأنّها تقوم على الأغصان مقام الخطباء [1] .

وقال فى وصفها شيخ الكتّاب ذو البلاغتين السديد أبو القاسم شيخ القاضى الفاضل :

وأمّا حمام الرسائل ؛ فهى من آيات الله المستنطقة الألسن بالتسبيح ، العاجز عن وصفها إعجاز البليغ الفصيح ، فيما تحمِله من البطائق ، وتردُ به مسرعة من الأخبار الواضحة الحقائق ، وتَعاليه فى الجوّ محلّقا عند مطاره ، وتهدّيه على الطريق التى عليها ليأمن من فوت الإدراك وأخطاره ، ونظره إلى المقصد الذى يسرح إليه من على ، ووصوله إلى أقرب الساعات بما يصل به البريد فى أبعد الأيام من الخبر الجلى ، ومجيئه معادلاً لرءوس السفّار مسامتا ، وإيثاره بالمتجدّدات فكأنه ناطق وإن كان صامتا ، وكونه يمضى محمولا على ظهر المركوب ، ويرجع عاملا على ظهرِه للمكتوب ، ولا يعرّج على تذكار الهدير ، ولا يسأمَ من الدأب فى الخدمة زائدا على التقدير ، وفى تقدّمه البشائر ، يكون

(١) نهاية الأرب ١٠ : ٢٨٠ .

المنىّ بقولهم : أيمنْ طائر ؛ ولا غَرْوَ أن فارق رسل أهل الأرض وفاتهم وهو مرسل والعِنان عنانه ، والجوّ ميدانه ، والجناح مركبه ، والرياح موكبه، وابتداء الغاية شوطه ، والشَّوْق إلى أهله سوطه ؛ مع أمنه مايحدث لمنتاب السَّفار ، ومخبّآت القفار ، من مخاوف الطوارق وطوارق المخاوف ، ومتلف الغوائل وغوائل المتالف ، إلا مايشدّ من اعتراض خارج [(١)] جارح ، وانقضاض كاسب كاسر ، فتكفّ سعادة الدوله تأميمَه ، وتصدّ عنه تصميمَه ، لأنه أخذ جيشها من الطّيرين اللذين يحدثان فى أعدائها ؛ هــذا بالإنذار الجاعل كيدهم فى تضليل ، وذلك بما ترى رايتها المنصورة عليهم من تضليل .

وقال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى :

ولما وقفت على ما أنشأه القاضى الفاضل ، وعلى ما أنشأه الشيخ السديد أردت أنّ أجرّب الخاطر ، فأنشأت وأنا غير مخاطب أحـداً بل مخاطر ، وأين الثرى من الثريّا ، وما الحسن لـكلّ أحدٍ يتهيّا ، وعلىّ أن أجيب وما علىّ أن أجيد ، وما كلّ والدٍ يدرك شأوَ الوليد ، ولا كلّ كاتب عبد الرحيم ولا عبد الحميد ، فقلت :

وأمّا حمائم الرسائل فـكم أغنت البُرُد عن جَوْب القفار ، وكم قدّتْ جيوبَها على أسرَى أسرار ؛ وكم أعارت السهام أجنحة فأحسنت بتلك العاريّة المطار ، وكمْ قال جناحها لطالب النجاح : لا جناح ، وكم سرتْ فحمدت المساء إذا حَمِد غيرُها من السارين الصباح ؛ وكم ساوقتْ الصَّبا والجنائب ففاقتهما ولم تحوج سلام المشتاقين إلى امتطاء كاهل الرّياح .

كم حسّن ملكَ كلّ منهما ملَك ، وكم قال مسرّحها لمجيئه بها : قرّة عين لى ولك ، كم أجملت فى الهوى تقلّبا ، وإذا غنت الحمائم على الغصون صمتت عن الهديل والهدير تأدبا ، كم دفعتْ شكًّا بيقينها ، ورفعت شـكْوَى بتبيينها ، وكم أدّتْ أمانةولم تعلم أجنحتها

---

(١) ح ، ط : « جارح » ، وما أثبته من الأصل .

بما فى شمالها ولا شمالها بما فى يمينها . كم التفّت منها السّاقُ بالساقِ، فأحسنت لربّها المساق، وكم أخذت عهود الأمانة فبدت أطواقا فى الأعناق ، ويقال ماتضمنته من البطائق بعض ماتعلّق منها فى الرياض من الأوراق ، تسبق اللّمح ، وكم استفتح بها بشيرٌ إذا جاء بالفتح، تفوت [1] الطَّرْفَ السابق،والطَّرف الرامى الرّامِق ، وما تلت سورة البروج إلا وتلتْ سورة الطارق. كم أنسى مطارها عَدْوَ السُّلَكَةِ والسُّلَيك ، وكم غنيتْ فى خدمة سلطانها عن الغناء وقال كل منهما لرفيقه: إليك عن الأيك .

ما أحوج تصديقهما فى رسالتهما إلى الإعزاز بثالث ، وكم قيل فى كل منهما لمن سام هذا حام فى خدمةِأبناء يافث ، كم سُرِّحا بإحسان، وكم طارا بأفق فاستحقّ أن يُقال لهما: فرساَ سحاب إذا قيل لأحدهما فرسا رِهان ، حاملةُ عِلْمٍ لمن هو أعلم به منها ، يُغنى السّفّار والسّفارة فلا تحوِجهم إلى الاستغناء عنها .

تغدو وتروح ، وبالسر لا تبوح ، فكم غنيت باجتماعها بإلفها عن أنها تنوح . كم سارت تحت أمر سلطانها أحسن السير ، وكم أفهمت أنّ ملك سليمان إذ سخر له منها فى مهمّاته الطير ، أسرع من السهام المفوّقة ، وكم من البطائق مخلقة وغير مخلّقة ، كم ضلات من كيد ، وكم بدت فى مقصورة دونها مقصورة ابن دريد .

ومن إنشاء الأديب تقىّ الدين أبو بكر بن حجة فى ذلك :

سرح فما سَرْح العيون إلا دونَ رسالتهالمقبولة ، وطلب السبق فلم يرض بعرف البرق سرحاولااستظلّ صفحتهالمصقولة ؛وكم جرى دونهالنّسيمفقصّروأمستأذياله بعَرْف السحب مبلولة . وأرسِل فأقرّ الناس برسالته وكتابه المصدّق ، وانقطع كوكب الصبح خلفه فقال عند التقصير : كتب يُجاب وعلى يدىّ يُخلق ، يؤدِّى ماجاء على يده من الترسّل فيهيج الأشواق،ومابرحت الحمام تحسّن الأداءفى الأوراق،وصحبناه على الهدى فقال:﴿مَا ضَلَّ صاحِبُكُم وَما غَوَى﴾ ، ومن روى عنه الحديث المسند فمن عِكرمة قد روى ، يطير مع

---

(١) ح ، ط : « تسبق » .

الهوى لفرط صلاحه ، ولم يبق على السرّ المصون جناح إذا دخل تحت جناحه ؛ إن برز من مقفصه لم يبق للصّرح الممرّد قيمة ، بل ينعزل بتدبيج أطواقه ويعلّق عليه من العين تلك التّميمة ، ماسُجن إلا صبر على السجن وضيقة الأطواق ، ولهذا تُحمد عاقبته على الإطلاق ، ولا غنّى على عود إلا أسال دموع الندى من حدائق الرياض ، ولا أطلق من كبد الجوّ إلا كان سهما مريشا تبلّغ به الأغراض . كم علا فصاد بريش القوادم كالأهداب لعين الشمس ، وأمسى عند الهبوط لعيون الهلال كالطّمْس ؛ فهو الطائر الميمون والغاية السبّاقة ، والأمين الذى إذا أودع أسرارَ الملوك حملها بطاقة ؛ فهو من الطيور التّى خلا لها الجوّ فنقّرت ماشاءت من حبّات النجوم ، والعجماء التى مَنْ أخذ عنها شرح المعلّقات فقد أعرب عن دقائق المفهوم ، والمقدّمة والنتيجة للكتاب الحجلىّ فى منطق الطير ، وهى من حَملة الكتاب الّذى إذا وصل القارئ منه إلى الفتح يتهلّل لحبّه الخير ؛ إن يصدر البازى بغير علم فكم جمعت بين طرفَىْ كتاب ، وإن سألت العقبان على بديع السّجْع أحجمت عن ردّ الجواب .

زعتِ النسور بقوة جيف الفلا ورعى الذّباب الشهد وهو ضعيفُ .

ما قدمت إلا وأرتْنا من شمائلها اللطيفة نعم القادمة ، وأظهرت لنا من خوافيها ما كانت له خير كاتمة . كم أهدت من مخابها وهى غادية رائحة ، وكم حنت إليها الجوارح وهى أدام الله إطلاقها عزّ جارحة ، وكم أدارت من كؤوس السجع ماهو أرقّ من قهوة الإنشا ، وأبهج على زهر المنثُور من صبح الأعشى . وكم عامت بحور الفضاء ولم تحفل بموج الجبال ، وكم جاءت ببشارة وخضبت الكف من تلك الأنملة قلامة الهلال ، وكم زاحمت النجوم بالمناكب حتى ظفرت بكلّ كفّ خضيب ، وانحدرت كأنها دمعة سقطت على خدّ الشقيق لأمرٍ مريب ، وكم لمع فى أصيل الشمس خضاب كفها الوضّاح ، فصارت بسموّها وفرط البهجة كمشكاة فيها مصباح . والله تعالى يديم بأفنان أبوابه العالية ألحانَ السواجع ، ولا برح تغريدها مطربا بين البادئ والراجع .

ذكر عادة المملكة فى الخلع والزىّ

قال ابن فضل الله : وأمّا القضاة والعلماء فخِلَعُهم من الصوف بغير طراز ، فلهم الطَّرحة ، وأصل الصوف أن يكون أبيضَ وتحته أخضر .

وأما زِىّ القضاة والعلماء فدِلْق [1] متّسع بغير تفريق ، فتحته على كتفه ، وشاش كبير منه ذؤابة بين الكتفين، ويميلها إلى الكتف الأيسر .

وأمامن دون هؤلاء فالفرجيّة الطويلة الكمّ بغير تفريج، [2]وأمازاهدهم فيقصر الذؤابة[2] ويميلها إلى الكتف الأيسر . ومنهم من يلبس الطَّيْلسان .

وأما قاضى القضاة الشافعىّ رضى الله تعالى عنه ، فرسمه الطَّرْحة،وبها يمتاز ومراكبهم البغال ، ويعمل بدلا من الكَنْبُوش [3] الزنارىّ ، وهو من الجوخ بالعباء المجوّفة الصدر مستدير من وراء الكَفَل .

وألبسة الخطباء دِلْق مدوّر أسود للشّعار العباسىّ ، وشاش أسود وطرْحة سوداء .

وأما زِىّ الأمراء والجند ، فتقدم عند ذكر السّلطان .

وأما خِلَعُهم وخلع الوزراء ونحوهم فأسقطتُها من كلام ابن فضل الله لأنّهـا ما بين حرير وذهب ؛ وذلك محرّم شرعا ، وقد التزمت ألّا أذكر فى هذا الكتاب شيئاً أسأل عنه فى الآخرة ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) الداق : نوع من الملابس الصوفية . (٢–٢) كذا فى الأصل وفى ح ، ط : « والذؤابة أيضا ويميلها » ، وكلاهما غير واضح (٣) الكنبوش : من معانيه اللثام الذى يستعمله أهل المغرب لتغطية الوجه من الدقن إلى الخيشوم اتقاء لبرودة الصباح . وانظر حواشى السلوك ١ : ٤٥٢ .

ذكر عادة السلطان فى الكتابة على التقاليد

قال ابن فضل الله : عادته إذا كتب لأحدٍ من النوّاب يكتب اسمه فقط ، فإن كان من كبارهم ، وهو من ذوى السيوف ، كتب « والده فلان » ، وإن كان من القضاة والعلماء كتب : « أخوه فلان » .

ذكر معاملة مصر

قال ابن فضل الله فى المسالك : معاملة مصر الدّراهم ، ثلثاها فضّة وثلثها نحاس ، والدرهم ثمانى عشرة حبة[1] خرنوبة ، والخرنوبة ثلاث قمحات ، والمثقال أربعة وعشرون خرنوبة ، والدّرهم منها قيمته ثمانية وأربعون فَلْسا ، والدينار الحبشى ثلاثة عشر درهما وثلث درهم . وأما الكَيْل فيختلف[2] بمصر : الإردبّ ، وهو ستّ وَيْبات ، الوَيْبة أربعة أرباع ، الربع أربعة أقداح ، القدح مائتان واثنان وثلاثون درهما ؛ هذا إردبّ مصر ، وفى أريافها يختلف الإردبّ من هذا المقدار إلى أنهى ما ينتهى ثلاث ويبات . والرطل اثنا عشر أوقيّة ، الأوقية اثنا عشر درهما .

قال صاحب المرآة : فى سنة خمس وسبعين من الهجْرة ضرب عبد الملك بن مروان على الدنانير والدراهم اسم الله تعالى ، قال الهيثم : وسببه أنّه وجد دراهم ودنانير تاريخها قبل الإسلام بأربعمائة سنة ، عليها مكتوب « باسم الأب والابن وروح القدس » ، فسبَكها ونقش عليها اسم الله تعالى وآيات من القرآن واسم الرّسول صلى الله عليه وسلم . واختُلف فى صورة ما كتب ، فقيل جعل فى وجه : « لا إله إلا الله » وفى الآخر « محمد رسول الله »

---

(١) ساقطة من ح ، ط .
(٢) ح ، ط : « فيختلف فى مصر » .
(حسن المحاضرة ٢/٢١)

وأرّخ وقت ضربهـا . وقيل جعـل فى وجه « قل هو الله أحد » وفى الآخر « محمد رسول الله » .

وقال القضاعىّ : كتب على أحدِ الوجهين « الله أحد من غير قل » ، ولما وصلت إلى العراق أمر الحجاج فزيد فيها فى الجانب الذى فيه محمد رسول الله فى جوانب الدرهم مستديرا : « أرسله بالهدى ودين الحق ... » الآية . واستمرّ نقشها كذلك إلى زمن الرشيد ، فأراد تغييرها فقيل له : هـذا أمرٌ قد استقرّ وألفه الناس ، فأبقاها على ماهى عليـه اليوم ، ونقش عليها اسمه .

وقيل : أوّل من غيّر نقشها المنصور ، وكتب عليها اسمه .

وأما الوزن فما تعرّض أحد لتغييره . انتهى كلام صاحب المرآة .

ذكر كوكب الذنب

قال صاحب المرآة : إن أهل النجوم يذكرون أن كوكب الذَّنَب طلع فى وقت قَتْل قابيل هابيلَ ، وفى وقت الطوفان ، وفى وقت نار إبراهيم الخليل ، وعند هلاك قوم عاد وثمود وقوم صالح ، وعند ظهور موسى وهلاك فرعون ، وفى غزوة بَدْر ، وعند قتل عثمان وعلىّ ، وعند قَتْل جماعة من الخلفاء ، منهم الرضىّ والمعتز والمهتدى والمقتدر .

قال : وأدنى الأحداث عند ظهور هذا الكوكب الزلازل والأهوال .

قلت : يدلّ لذلك ما أخرجه الحاكم فى المستدرك ، وصحّحه من طريق ابن أبى مليكة ، قال : غدوتُ على ابن عباس ، فقال : ما نمتُ البارحة ! قلت : لم ؟ قال : قالوا : طلع الكوكب ذو الذَّنَب ، فخشيت أن يكون الدجّال قد طَرَق .

ذكر بقية لطائف مصر

قال الكندىّ : ذكر يحيى بن عثمان ، عن أحمد بن الكريم ، قال : جلت للدنيا ، ورأيت آثار الأنبياء والملوك والحكماء ، ورأيت آثار سليمان بن داود عليهما السلام ببيت المقدس ، وتدمُر والأردنّ ، وما بنته الشياطين ، فلم أر مثل برابى مصر ولا مثل حكمتها ، ولا مثل الآثار التى بها ، والأبنية التى لملوكها وحكمائها . ومصر ثمانون كورة ، ليس منها كورة إلّا وفيها طرائف وعجائب من أصناف الأبنية والطعام والشراب والفاكهة والنبات وجميع ما ينتفع به الناس ، ويدخره الملوك ،وصعيدها أرض حجازيّة ، حرّها كحرّ الحجاز ، تنبت النخل والأراك والقرَظَ والدَّوْم والعُشَر ، وأسفل أراضى مصر شامية تمطر مطر الشام ، وتنبت نبات الشام من الكرْمْ والتِّين والمَوْز وسائر الفاكهة ، والبقول والرّياحين . ويقع به الثلج ، ومنها لوبية ومراقية[1] برابى وجبال وغياض،وزيتون وكرُوم برية بحرية جبلية ،بلاد إبلٍ وماشية ، ونتاج وعسل ولبن.وكلّ كورة[2] من مصر مدينة ، قال تعالى : ﴿ وابْعَثْ فى المدائن حاشِرِين ﴾، وفى كل مدينة منها آثار عجيبة من الأبنية والصخور والرخام والبرابى، وتلك المدن كلها تأتى منها السفن ، تحمل المتاع والآلة إلى الفسطاط ، تحمل السفية الواحدة ما يحمله خمسمائة بعير .

قال الكندىّ : وليس فى الدنيا بلد يأكل أهله صيد البحر طريًّا غير أهل مصر .

قال : وذكر بعض أهل العلم أنه ليس فى الدنيا شجرة إلا وهى بمصر ، عرفها من عرفها ، وجهلها مَنْ جهلها .

---

(١) قال ياقوت : « مراقية بالفتح والقاف والياء مخففة ؛ إذا قصد القاصد من الإسكندرية إلى إفريقية فأول بلد يلقاه مراقية ، ثم لوبية » . (٢) الكورة فى اصطلاح القدماء : كل صقع يشتمل على عدّة قرى ، ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها ، وانظر معجم البلدان ١ : ٣٦ .

ويوجد بمصر فى كلّ وقت من الزمان من المأكول والمأدوم والمشموم وسائر البقول والخضر؛ جميع ذلك فى الصيف والشتاء، لا ينقطع منها شىء لبرد ولا حرّ[1].

وذكر أنّ بُخت نَصّر قال لابنه بلسطان : ما أسكنتُك مصر إلا لهذه الخصال . وبلسطان هوالذى بنى قصر الشمع .

وقال بعضُ مَنْ سكن مصر : لولا ماء طوبة ، وخروف أمشير ، ولبن بَرَمْهات ، وورد برمودة ، ونَبِق بشَنْس ، وتين بؤونة، وعسل أبيب ، وعنب مِسْرى ، ورُطب توت ، ورمّان بابة ، وموز هاتور ، وسمك كيهك ، ماأقمتُ بمصر .

وأخرج ابن عساكر من طريق الربيع بن سليمان ، قال : سمعتُ الشافعىّ رضى الله تعالى عنه ، يقول : ثلاثة أشياء ، دواء للداء الذى لا دواء له ، الذى أعيا الأطباء أن يداووه : العنب ، ولبن اللّقاح ، وقصب السكر ، ولولا قصب السكر ما أقمت بمصر .

وقال بعضهم : يجتمع بمصر فى وقت واحد ما لا يجتمع بمدينة ؛ وذلك البنفسج والورْد والسَّوْسن والمنثور والنرجس وشقائق النعمان والبَهار والياسمين والنّسرين واللّينوفر والنمام والمرزَنجُوش والريحان والنارَنج والليمون والتفاح الشامىّ والأترجّ والباقِلّى الأخضر والعنب والتين والموز واللوز الأخضر والسفرجل والكمّثرى والرمان والنَّبِق والقثّاء والخِيار والطَّلْع والبَلَح والبُسْر الرطب واللِّفت والقُنّبيط والأسفاناخ والقَرْع والجزر والباذِنجان ؛ كل ذلك يجتمع فى وقت واحد من السنة .

وقال بعض من صنّف فى فضائل مصر : بمصر الحمير المِرّيسيّة ، والبقر الحسينيّة ، والنّجُب النجارية ، والأغنام النّوبية ، والدجاج الحبشيّة ، والمراكب الحربية ، والسفن الزيبقية ، والمناسف الحلية ، والسّتُور البَهْنَساويّة ، والغلائل القصبيّة ، والحرم

(١) ح : « لحرّ » .

السمطاوية ، والنّعال السِّنْدية ، والسّلال الوهبانيّة ، والمضارب السلطانية . ويُحمَل إلى العراق وغيرها من مصر زيت الفُجْل والعسل النّحل ، ويُفخر به على أعسال الدنيا .

ويروى أن النبىّ صلى الله عليه وسلم بارك فيه لمّا أهداه إليه المقوقس .

وبمصر يزرع البَلَسان ، ودهنُه يستعمل فى أكثر العلاج ، والنِّفْط وهو من آلة الحرب التى بها قهر الأعداء ، ودهن الخِروع وزيت البزْرِ والدهن الصينى ، وزيت الخردل وزيت الخسّ ، ودهن القرطم ، وزيت السّلجَم ، وخشب اللّبخ ، وهو أصلح من الأبنوس اليونانىّ .

وفى صعيد مصر خشب الأبنوس الأبلق وسائر العقاقير التى تدخل فى الطبّ والعلاج . وكلّ ما زرع فى أرض مصر ينبت .

وفيها من نبات الهند والسّند مثل الأهليلج والخيار شنبر والتمر هندى وغيره مما لا يوجد فى بلد من البلاد الإسلامية .

وبها الشبّ الواحى ؛ وهو أبلغ من اليمانى ، والأفيون والشّاهترج والضُّفْر والزجاج والجَزَع الملوّن والصّوّان ؛ وهو حجر لا يعمل فيه الحديد ؛ وكانت الأوائل تعمده وتقطّعه بأسوان ؛ ومنه العمد الجافية ، التى لا تكون بسائر الدنيا ، وكل حمامات مصر بالرخام لكثرته عندهم ، وكذلك صحون دورهم .

وبها الحجارة المسماة بالكَذّان ؛ يبلّط بها الدّور ويعقد بها الدّرَج .

وبها من الحصر العَبَدانىّ ، ومن سائر أصناف الحصر ما لا يوجد فى غيرها ، ويجلب من مصر البزّ الأبيض من الدّبيقىّ وغيره الذى يعمل بدمياط وتِنّيس . وبالإسكندرية يعمل الوشى الّذى يقوم مقام وشى الكوفة .

وبالصعيد يعمل من الجلود الأنطاع ، وبالبهنسا السّتُور التى هى أحسن ستور الأرض

والبُسط وأجِـلّة الدوابّ والبراقع وسُتور النِّسوان فى المضارب والأكسية والطيالسة .

وكان يعمل بإخميم الفرش التى تسمّى نُطُوع الخزّ .

وبمصر من أصناف الرّقيق ماليس ببلد من البلدان،وأصناف الطير الحسن الصوت[1] فى صعيدها مثل القِمرىّ والنّوبِىّ والنوّاح والدُّبسىّ الأحمر والأبلق، والكَرَوان الذّى ليس مثله فى بلد .

ومنهـا يُحمل الطير إلى البـلدان فى الشرق والغرب ، والأشماع المتخّذة من الشهد وعسل الأسطروس والنّبيذة المعمولة من القمح والقند والأباليج والطّبَرْزَد ، وماء طـوبة الذّى لايعدِله شىء ، ولا يتغيّر على ممـرّ الأيام ، والسَّمك الذى هو مَلك الأسمـاك ، والبورى الطـرىّ والمملوح،والبلاطىّ الذى كأنه دُروع من الفِضّة ، وطير المـاء ، وطير الحوصل يعمل من جلده الخفاف النّاعمة والفراء الأبيض الذى يقوم مقام الفَنَك فى لِينه ورقته . وبها الـكَتّان ، ومنها يحمل إلى سائر الأرض ، والقراطيس ، وبها من العِلْم القديم ماليس ببلد ، كعلم الطبّ اليونانىّ والمساحة ، والنجوم والحساب القِبطىّ واللُّحون والشّعر الرومىّ .

وفيها من سائر الثّمار والأشجار والمشمومات والعقاقير والنبّات والحشائش مالا يحصى. والعُصفور يفرخ بمصر فى كانون، وليس ذلك فى بلد إلّا بها .

***

وقال الكندىّ : بمصر معدن الزمرّد ،وليس فى الدنيا زمرد إلا معدن بمصر ، ومنها يحمَل إلى سائر الدنيا .

قال : وبها معدن الذهب ، يفوقُ علَى كلّ معدِن .

قال : وفيها القراطيس ، وليس هى فى الدنيا إلا بمصر .

وقال غيره : من خصائص مصر القراطيس ، وهى الطوامير ، وهى أحسن ما كتِب

(١) ح : « الصورة » .

فيه ، وهو من حشيش أرض مصر ، ويعمل طوله ثلاثون ذراعا وأكثر فى عرض شبر . وقيل إنّ يوسف عليه السلام أوّل من اتخذ القراطيس ، وكتب فيها .

قال الكندىّ ، وبها من الطُّرز والقصب التِّنّيسىّ والشرب والدّبيقىّ ما ليس بغيرها ، وبها الثياب الصوف والأكسية المِرْعَزّ [1] ، وليس هى فى الدنيا إلا بمصر . ويحكى أنّ معاوية لمّا كبر كان لايَدْفأ ، فاتفقوا أنه لايُدفئه إلا أكسية تعمل فى مصر ، من صوفها المِرْعِزّ العسلىّ غير مصبوغ ، فعمِل له منها عدد ، فما احتاج منها إلا إلى واحد . وبها طراز البهنسا من السّتور والمضارب مايفوق ستور الأرض .

وبها من النّتاج العجيب من الخيل والبغال والحمير مايفوق نتاج أهل الدنيا ، وليس فى الدنيا فَرَس فى نهاية الصّورة فى العنق غير الفرس المصرىّ ، وليس فى الدنيا فرس لايردف غير المصرىّ ، وسبب ذلك قِصَر ساقيه وبلاغة صدره وقِصَر ظهره . ويحكى أن الوليد عزم على إجراء الحَلْبة ، فكتب إلى الأمصار أن يوجَّه إليه بخيار خيل كلّ بلد ، فلمّا اجتمعت عرضت عليه ، فمرّت عليه المصريّة ، فلما رآها دقيقة العَصَب ، ليّنة المفاصل والأعطاف ، قال : هذه خيل ماعندها طائل ، فقال له عمر بن عبد العزيز : وأين الخير كله إلا لهذه ! فقال له : ماتترك تعصُّبك لمصر ياأبا حفص ! فلما أجريت الخيل جاءت المصرية كلُّها سابقةً ماخالطها غيرها .

قال : وبها زَيْت الفُجل ودهن البَلَسان والأفيون والأبرميس وشراب العسل والبُسْر البرنىّ الأحمر واللَّبَخ والخسّ والكبريت والشمع والعسل وخلّ الخمْر والترمس والجلبان والذرة والنّيدة والأترجّ الأبلق والفرازيج الزبليّة . وذُكِر أن مريم عليها السلام شكتْ إلى ربّها قلة لبن عيسى ، فألهمها أن غَلَتِ النيدة فأطعمته إياها .

وذكر بعضُهم أنّ رهبان الشام لايكادون يُرَوْن إلا عُمْشا من أكل العدس، ورهبان مصر سالمون من ذلك لأكلهم الجُلبّان .

(١) فى اللسان : « المرعز كالصوف ، يخلص من بين شعر العنز » .

والبقر الذى بمصر أحسنُ البقر صورةً ، وليس فى الدنيا بقر أعظم خلقا منها ، حتى أن العضو منها يساوى أكبر ثور من غيرها .

وبها الحطب الصّنط والأبنوس الأبلق والقرْط الذى تُعلَفُه الدواب .

وذُكِر أنه يوقد بالحطب الصنط عشرين سنة فى الكانون أو التّنّور ، فلا يوجد له رماد طول هذه المدة .

وجيزتها فى وقت الربيع من أحسن مناظر الدنيا .

وقال صاحب مباهج الفكر : يقال إنّ بمصر سبعمائة وخمسين معدِناً ، توجد بجبل المقطّم : الذهب والفضة والخارصين والياقوت ؛ إلا أنّه لطيف جدًّا ، يستعمل فى الأكحال والأدوية ، وفى أسوان يغاص على السنفاوح ومعدن الزّمرد ؛ وليس فى الدنيا غيره ، وبجبال القلْزم المتصلة بجبل المقطم حجر المغناطيس .

ومن خصائص مصر بركة النّطرون . وينبت فى أرض مصر سائر ماينبت فى الأرض . انتهى .

وقال صاحب غرائب العجائب : بمصر بئر البلسم بالمطريّة ، يسقى بها شجر البَلَسان ، ودُهنه عزيز والخاصيّة فى البئر ؛ فإن المسيح عليه السلام اغتسَل فيها ، وليس فى الدنيا موضع ينبت فيه البَلَسان إلا هذا الموضع ، وقد استأذن الملك الكامل أباه العادل أن يزرعه فأذِن له ، ففعل ولم ينجح ، ولم يخاض منه دُهْن ، فسأل أباه أن يُجرىَ له ساقية من المطريّة إليه ، ففعل فلم ينجحْ .

قال : بأرض مصر حجر القىء ، إذا أخذه الإنسان بيده غلب عليه الغَثيان ، حتى يتقيّأ جميع مافى بطنه ، فإن لم يلقه من يده خِيف عليه التلف .

وقال الكندىّ : جعلَ الله مصرَ متوسطة الدنيا ، وهى فى الإقليم الثالث والرابع ، فسلِمتْ من حرّ الإقليم الأول والثانى ، ومن بَرْد الإقليم الخامس والسادس ، فطاب

هواؤها وبقى حرّها. وضعف حرها ، وخفّ بردها، فسلم أهلهامن مشاتى الجبال ومصائف عُمان وصواعق تهامة ودماميل الجزيرة وجرب اليمن ، وطواعين الشام وغيلان العراق ، وعقارب عسكر مكرم ، وطلب البحرين وحمّى خيبر ، وأمنوا من غارات الترك ، وجيوش الروم وطوائف العرب ، ومكايدة الدّيلم ، وسرايا القرامطة ، وبثوق الأنهار ، وقحْط الأمطار ، وقد اكتنفها معادن رزقِها ؛ وقرب تصرّفها ، فكثر خِصْبها ، ورَغِد عيشُها، ورخص سعرها.

وقال الجاحظ فى مصر : إن أهلها يستغنون عن كلّ بلد، حتى لو ضُرب بينها وبين بلاد الدنيا سورٌ لغنىَ أهلها بما فيها عن سائر بلاد الدنيا ، وفيها ماليس بغيرها ، وهو حيوان السَّقَنقُور والنّمس ، ولولاه لأكلت الثعابين أهلها ، وهُو لها كقنافذ سِجِسْتان لأفاعيها ، والسمك الرّعاد والحطب الصنط الذّى أوقِد منه يوما أجمع ماوجد من رماده ملء كفّ ، صلب العود ، سريع الوقود، بطىء الخمود . ويقال إنه الأبنوس ؛ لكن البقعة قصرت عن الكتّان ، فجاء أحمر شديد الحمرة ، ودهن البلَسان ، والأفيون وهو عصارة الخشخاش واللّبخ ، وهو ثمر فى قدر اللوز الأخضر ؛ إلا أنّ المأكول منه الظاهر ، والأترجّ الأبلق والزّمرد . وأهلها يأكلون صيد بحر الروم وبحر فارس طريًّا ، وفى كلّ شهر من شهورها القبطية صنف من المأكول والمشروب والمشموم ، يوجد فيه دون غيره، فيقال رُطَب توت، ورمّان بابة ، وموز هتور ، وسمك كيهك، وماء طوبة ، وخروف أمشير ، ولبن برمهات ، وورد برمودة، ونبِق بَشَنْس، وتين بئونة ، وعسل أبيب ، وعنب مسرى . وإن صيفها خريف ، وشتاءها ربيع ، وما يقطعه الحرّ فى سائر البلاد من الفواكه يوجد فيها فى الحر والبر ؛ إذ هى فى الإقليم الثالث والإقليم الرابع ، فسلمت من حرّ الأول والثانى وبَرْد الخامس والسادس . ويقال : لو لم يكن من فضل

مصر إلا أنهـا تغنى فى الصيف عن الخيش والثّلج وبطون الأرض ، وفى الشتاء عن الوقود والفِراء لكفاها .

ومما وُصفت به أنّ صعيدها حجازىّ كحرّ الحجاز ، يُنبت النخل والدَّوْم وهو شجر المقل ، والعُشَرَ ، والقَرَظ والإهليلج والفُلفل والخيار شنبر ، وأسفل أرضها شامىّ يمطر مطر الشام ،ويقع فيه الثلوج،وينبت التين والزيتون والعنب والجوز واللوز والفستق وسائر الفواكه ، والبقول الرياحين وهى مابين أربع صفات ، فضة بيْضاء أو مِسْكة (١) سوداء ، أو زبرجدة خضراء أو ذهبة (٢) صفراء ، وذلك أن نيلها يطبّقها فتصير كأنها فضة بيضاء ، ثم ينضُب عنها فتصير مِسْكةً سوداء ، ثم تزرع فتصير زبرجَدَةً خضراء ، ثم تستحصِد فتصير ذهبةً صفراء .

وحكى ابن زولاق فى كتابه ، أن أمير مصر موسى بن عيسى كان واقفاً بالميدان عند بِرْكة الحَبش ، فالتفت يمينـا وشمالا ، وقال لمن معه من جنـده : أترون ماأرى ؟ قالوا : وما يرى الأمـير ؟ قال : أرى عجبـا ، مافى شىء من الدنيا مثله ، فقالوا : يقول الأمير ، فقال : أرى ميدان أزهار ، وحيطان نخل وبستان شجر ، ومنازل سكنى ، وجبّانة أموات ، ونهراً عجّاجاً وأرض زرع ومراعىَ ماشية ، ومرابط خيـل ، وساحل بحر ، وقانص وحش ، وصائد سمك ، وملاّح سفينة ، وحادىَ إبل ، ومقابر (٣) ورملاً وسهلا وجبلا ، فهذه سبعة عشر؛ مسيرها فى أقلّ من ميل فى ميل ، ولهذا قال أبو الصّلت أمية بن عبد العزيز الأندلسىّ يصف الرّصد الذى بظاهر مصر :

يانزهة الرّصـــد التى قد نَزهَتْ عن كلّ شىء خلا (٤) فى جانب الوادِى
فذا غديرٌ وذا روضٌ وذا جبلٌ فالضبُّ والنّون والملاّح والحـادِى

(١) المسكة : نوع من الطيب . (٢) كذا فى ح ، ط ، وفى الأصل : « ذهبية » .
(٣) ط : « معابر » ، وصوابه ما فى الأصل .
(٤) كذا فى الأصل ، وفى ط ، ح : « حلا » .

قال ابن فضل الله فى المسالك : مملكة مصر من أجلّ ممالك الأرض لِمَا حوتْ من الجهات المعظمة والأرض المقدّسة والمساجد الثلاثة التى تُشدّ إليها الرّحال ، وقبور الأنبياء والطّور والنّيل والفرات ؛ وهما من الجنّة ، وبها معدن الزمرّد ، ولا نظيرَ له فى أقطار الأرض . وحسب مصر فخرا ما تفرّدَت به من هذا المعدن واستمداد ملوك الآفاق له منها ، وبينه وبين قوص ثمانية أيام بالسّيْر المعتدل ، والبجاة [1] تنزل حولَه لأجل القيام بحفْرِه ، وهو فى الجبل الآخذ على شرقىّ النيل فى منقطَعٍ من البرّ لاعمارة عنده ، ولا قريبا منه ، والماء عنه مسيرةُ نصف يوم ؛ وهذا المعدِن فى صدر مغارةٍ طويلة فى حجر أبيضَ منه ، يُضرب فيُستخرج منه الزمرّد ؛ وهو كالعروق فيه .

قال : وأكثر محاسن مصر مجلوبةٌ إليها ؛ حتى بالغ بعضهم فقال : إنّ العناصر الأربعة مجلوبة إليها : الماء وهو النيل مجلوبٌ من الجنوب ، والتّراب مجلوب من حَمْل الماء ؛ وإلا فهى رمْل محض لا ينبت ، والنّار لا توجد بها شجرتها وهو الصوّان إلا إذا جُلب إليها ، والهواء لايهبّ إليها إلا من أحد البحرين ، إمّا الرومىّ وإمّا الخارج من القلزم إليها .

وهى كثيرة الحبوب من القمح والشعير والفول والحمّص والعدس والبسلّة واللّوبيا والدّخْن والأرز ، وبها الرّياحين الكثيرة كالحبَق [2] والآس والوَرْد وغيرها ، وبها الأترجّ والنّارنج والليمون والحماض والكباد والموْز الكثير وقصب السكّر الكثير والرُّطب والعنب والتّين والرّمان والتّوت والفرْصاد والخوخ واللّوز والجُمّيز والنّبق والبرقوق والقرَاصيا والتّفاح . وأما السّفَرْجل والكُمّثرى فقليل ؛ وكذلك الزّيتون مجلوب إلاقليلا فى الفيّوم ، وبها البِطّيخ الأصفر أنواع والأخضر والخيار والقِثّاء على أنواع ، والقلقاس واللّفت والجزَر والقُنّبيط والفُجْل والبقول المنوّعة .

---

(١) البجاة : من القبائل التى كانت تسكن صعيد مصر .

(٢) فى القاموس : « الحبق ، محركة : نبات طيب الرائحة ، فارسيته : الفوتنج ، يشبه الثمام » .

وبها أنواع الدوابّ من الخيل والبغال والحمير والبقر والجواميس والغنم والمعز . ومما يوصف من دوابها بالجودة الحُمر لفَراهتها ، والبقر والغنم لعظمها ، وبها الأوزّ والدّجاج والحمام ، ومن الوحش الغِزلان والنّعام والأرنب ؛ وأما من أنواع الطير فكثير كالكركيّ وغيره .

وأوسط الأسعار فى غالب أوقاتها الإردبّ القمح بخمسة عشر درهما ، والشعير بعشرة ، وبقية الحبوب على هذا الأنموذج ؛ وأما الأرز فيبلغ أكثر من ذلك ، وأما اللحم فقلّ سعره الرطل بنصف درهم .

ويعمل بمصر معامل كالتنانير ، ويعمل بها البيض بصنعة ؛ ويوقد بنار يحاكى بها نار الطبيعة فى حضانة الدجاجة البيض ، ويخرج فى تلك المعامل الفَراريج ، وهى معظم دجاجهم . وبها ما يُستطاب من الألبان والأجبان ، وبها العسل بمقدار متوسط بين الكثرة والقلّة ، وأما السّكر فكثير جدًّا ، وقيمته المعهودة على الغالب من السِّعر الرطل بدرهم ونصف ، ومنها يُجلب السكر إلى كثير من البلاد ، وقد نُسِيَ بها ما كان يذكر من سُكّر الأهواز .

وبها الكتّان المعدوم المثل المنقول منه ، ومما يعمل من قماشه إلى أقطار الأرض .

ومبانيها بالحجر ، وأكثرها بالطّوب وأفلاق النخل والجريد . وخشب الصَّنوْبر مجلوب إليهم من بلاد الروم فى البحر ، ويسمّى عندهم النّقّى .

وبها المدارس والخوانق والرُّبُط والزوايا والعمائر الجليلة الفائقة المعدومة المثل المفروشة بالرخام ، المسقوفة بالأخشاب ، المدهونة الملمّعة بالذّهب واللّازورْد .

قال : وحاضرة مصر تشتمل على ثلاث مدن عظام : الفُسطاط ، وهو بناء عمرو بن العاص ؛ وهى المسماة عند العامة بمصر العتيقة ، والقاهرة بناها جوهر القائد لمولاه الخليفة المعزّ ، وقلعة الجبل بناها قراقوش للملك الناصر صلاح الدين أبى المظفّر يوسف بن أيوب ، وأول من سكنها أخوه العادل . وقد اتصل بعضُ هذه الثلاثة ببعضٍ بسور بناه قراقوش بها

إلّا أنه قد تقطّع الآن فى بعض الأماكن ، وهذا السُّور ، هو الّذى ذكره القاضى الفاضل فى كتاب كتبه إلى السلطان صلاح الدين ، فقال : والله يحيى الموتى حتى يستدير بالبلدين نطاقه ، ويمتد عليهما رواقه ، فهما عقيلة ما كان معصمهما بغير سوار ، ولا حضرهما ليجلى بلا منطقة نضار[1] .

قال : وبها المارستان المنصورىّ المعدوم النّظير ، لعظم بنائه وكثرة أوقافه . وبها البساتين الحسان والمناظر النّزهة والآدار المطلّة على البحر ، وعلى الخلجانات الممتدّة فيه أوقات مدّها .

وبها القرافة تربة عظمى لمدفن أهلها ، وبها العمائر الضخمة ، وهى من أحسن البلاد إبّان ربيعها للغُدُر الممتدّة من مقطعات النيل بها ، وما يحفّها من زرع أخرجت شطأها وفتّقت أزهارها ، وبها من محاسن الأشياء ولطائف الصنائع ماتكفى شهرته ومن الأسلحة والقماش والزّركش والمصوغ والكفت[2] وغير ذلك مالا يكاد يعدّ تفرّدها به ، والرماح التى لا يُعمل فى الدنيا أحسن منها . انتهى كلام ابن فضل الله .

وقال الكندىّ فى فضل مصر : بمصر العجائب والبركات ، فجبلها المقدّس ، ونيلها المبارك ، وبها الطُّور الّذى كلّم الله عليه موسى ؛ فإنّ أهل العلم ذكروا أنّ الطُّور من المقطم ، وأنّه داخل فيما وقع عليه القدس ؛ قال كعب : كلّم الله موسى عليه السلام من الطّور إلى أطراف المقطّم من القدس . وبها الوادى المقدّس ، وبها ألقى موسى عصاه ، وبها فلق البحر لموسى ، وبها ولد موسى وهرون ، وبها ولد عيسى ، وبها كان ملك يوسف ، وبها النّخلة التى ولدت مريم عيسى تحتها بريف من كورة أهناس ، وبها اللّبخة التى أرضعت عندها مريم عيسى بأشمون ، نخرج من هذه اللّبخة الزيت ، وبها مسجد

---

(١) ح ، ط : « نصار » تحريف .

(٢) الكفت : ما تطعم به أوانى النحاس من الذهب والفضة .

إبراهيم ، ومسجد يعقوب ، ومسجد موسى ، ومسجد يوسف ، ومسجد مارية سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم حَفْن[١] ، أوصت أن يبنى بها مسجد فبنى ، وبها مجمع البحرين وهو البرزخ الذى قال الله: ﴿ مَرَجَ البحْرين يلتقيان* بينهما برزخٌ لا يبغيان ﴾[٢] وقال : ﴿ وهو الذى مَرَجَ البحرين هـذا عذب فُرات وهَـذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وجعل بينَهما برزخا ﴾[٣] .

وقال غيره : لأهل مصر القلم المعروف بقلم الطير ، وهو قلم البرابى ، وهو قلم عجيب الحرف

قال : ومصر عند الحكماء العالم الصغير ، سليل العالم الكبير ؛ لأنه ليس فى بلد غنىّ غريب إلا وفيها مثله وأغرب منه ، وتفضُل على البلدان بكثرة عجائبها ومن عجائبها النِّمس ؛ وهو أقتل للثعابين بمصر من القنافد للأفاعى بسجستان .

وبمصر جبلٌ يكتب بحجارَتِه كما يكتب بالمداد ، وجبل يؤخذ منه الحجر ، فيترك فى الزّيت فيتقِد كما يقِد السراج .

ويقال : إنه ليس على وجه الأرض نبت ولا حجر إلا وفى مصر مثله ، وليس تُطلب فى سائر الدنيا الأموال المدفونة إلا بمصر .

ويقال : إن بمصر بقْلة؛مَنْ مسّها بيده ثم مسّ السمك الرّعاد لم تُرعَدْ يده ، وبها حجر الخلّ يُطْفَأُ على الخلّ . وبها حجر القىء إذا أمسكه الإنسان بيديه تقيّأ كلّ ما فى بطنه ، وبها خرَزة تجعلها المرأة على حَقْوِها فلا تحبل . وبها حجر يوضع على حرف التّنّور فيتساقط خبزه ، وكان يوجد بصعيدها حجارة رِخْوة تكسر فتقِد كالمصابيح .

ومن عجائبها حوض كان بدلالات مدوّن من حجارة .

---

(١) انظر فتوح مصر .

(٢) الرحمن ٢٠ .

(٣) الفرقان ٥٣ .

السبب فى كون أهل مصر أذلاء يحملون الضيم

قال محمد بن الربيع الجيزىّ : سمعت يحيى بن عثمان بن صالح ، يقول : قدِم سعد بن أبى وقّاص فى خلافة عثمان رسولاً من قِبَل عثمان إلى أهل مصر أيّام ابن أبى حُذَيفة ، فلقوْه خارجا من الفُسطاط ، ومنعوه من دخولها ، فقال لهم : فاتسمعوا ما أقول لكم ؛ فامتنعوا عليه ، فدعا عليهم أن يضربهم الله بالذّل . هذا معناه .

قلت : وسعد ممّن عرف بإجابة الدّعوة ؛ لأن النبىّ صلى الله عليه وسلم دعا له : « اللهمّ استجِبْ له إذا دعاك » .

فى تذكرة الصلاح الصفدىّ : كان الشيخ تاج الدين الفزارىّ يقول : إنّ الحكماء وأهل التجارب ذكروا أنّ مَنْ أقام ببغداد سنة وجد فى علمه زيادة ، ومن أقام بالموصل سنة وجد فى عقله زيادة ، ومن أقام بحلَب سنة وجَد فى نفسه شحًّا ، ومن أقام بدمشق سنة وجَد فى طباعهِ غِلْظةً وفظاظة ، ومن أقام بمصر سنة وجد فى أخلاقهِ رِقّةً وحُسناً .

فى مباهج الفكر : يروَى عن كعب ، قال : لمّا خَلَق الله الأشياء ، قال القتل : أنا لاحق بالشام ، فقالت الفتنة : وأنا معك ، وقال الخِصْب أنا لاحقٌ بمصر ، فقال الذّل : وأنا معك ، وقال الشّقاء : أنا لاحقٌ بالبادية ، فقالت الصّحّة : وأنا معك .

وقال محمد بن حبيب : لّما خلق الله الخَلْق خلَق معهم عشرة أخلاق : الإيمان والحياء والنّجدة والفِتنة والكِبْر والنّفاق والغنى[1] والفقر والذلّ والشّقاء ، فقال الإيمان : أنا لاحق باليمن ، فقال الحياء : وأنا معك ، وقالت النجدة : أنا لاحقة بالشّام ، فقالت الفتنة: وأنا معك ، وقال الكِبْر : أنا لاحقٌ بالعراق ، فقال النفاق : وأنا معك ، وقال الغنى : أنا لاحق بمصر ، فقال الذلّ : وأنا معك ، وقال الفقر : أنا لاحق بالبادية ، فقال الشقاء: وأنا معك.

---

(١) ط ، ح : « الفناء » تحريف .

وقال غيره : إنّ الله جعل البرَكة عشرة أجزاء ، فتسعة منها فى قريش وواحد فى سائر النّاس ، وجعل الكَرَم عشرة أجزاء فتسعة منها فى العرب وواحد فى سائر الناس، وجعل الغيرة عشرة أجزاء فتسعة منها فى الأكراد وواحد فى سائر الناس ، وجعل المكر عشرة أجزاء ، فتسعة منها فى القِبْط وواحد فى سائر الناس ، وجعل الجفَاء عشرة أجزاء، فتسعة منها فى البَرْبر وواحد فى سائر الناس ، وجعل النّجابة عشرة أجزاء ، فتسعة منها فى الرّوم وواحد فى سائر الناس ، وجعل الصناعة عشرة أجزاء؛ فتسعة منها فى الصِّين وواحد فى سائر النـاس ، وجعل الشّهْوة عشرة أجزاء ، فتسعة منها فى النّساء وواحد فى سائر الناس ، وجعل العمَل عشرة أجزاء فتسعة منها فى الأنبياء وواحد فى سائر الناس ، وجعل الحسَد عشرة أجزاء ، فتسعة منها فى اليَهود وواحد فى سائر النّاس .

ويحكى أن الحجّاج سأل ابنَ القِرِّية عن طبائع أهل الأرض ، فقال : أهلُ الحجاز أسرعُ الناس إلى الفتنة وأعجزهم عنها ؛ رجالها حُفاة، ونساؤها عُراة ، وأهل اليمن أهل سَمْع وطاعة ، ولزوم الجماعة ، وأهل عُمان عرب استَنْبَطوا ، وأهل البحرين قِبْط استعرَبُوا ، وأهل اليمامة أهل جَفاء ، واختلاف آراء . وأهل فارس أهل بأس شديد ، وعزّ عتيد ، وأهل العراق أبحث النـاس عن صغيرة ، وأضيعهم لكبيرة . وأهل الجزيرة أشجعُ فرسان ، وأقتل للأقران . وأهل الشام أطوعُهم لمخلوق وأعصاهم لخالق . وأهل مصر عَبيدٌ لمنْ غلب ، أكيس الناس صغاراً ، وأجهلهم كبارا .

وعن ابنِ القِرّية قال : الهند بحر هادِرٌ ، وجَبَلها ياقوت ، وشجرها عود ، وورقها عِطْر . وكِرْمان ماؤها وَشَل[1] ، وثمرها دَقَل[2] ، ولصُّها بطل . وخراسان ماؤها جامد ، وعدوّها جاهد . وعُمان حرّها شديد ، وصيدها عتيد . والبحرين كناسة بين المِصْرين . والبصرة ماؤها مِلْح ، وحربُها صُلح ، مأوى كلّ تاجر ، وطريق كل عابر . والكوفة ارتفعت عن

(١) الوشل : الماء القليل .
(٢) الدقل : أردأ التمر .

(حسن المحاضرة ٢٢ / ٢)

حَرّ البحرين ، وسَفَلت عن بَرْد الشام . وواسط جَنّة ، بين كَمَاة وكَنّة ، والشّام عروس، بين نساء جلوس،ومصر هواؤها راكد،وحرّها متزائد ،تطوّل الأعمار، وتسوّد الأبشار .

وقال بعضهم : يقال فى خصائص البلاد فى الجواهر : فيروزج نيسابور ، وياقوت سرَنديب ، ولؤلؤ عُمَان ، وزَبَرْجَد مِصْر ، وعقيق اليمن ، وجَزْع[1] ظفار ، وكارِى بَلْخ، ومَرْجان إفريقية .

وفى ذوات السّموم : أفاعى سِجِسْتان ، وحيّات أصبهان ، وثعابين مصر ، وعقارب شَهْر زُور ، وجرّارات[2] ، الأهواز ، وبراغيث أرمينيَة ، وفار أردنّ ، ونمل ميّافارقين ، وذباب تلّ بابان[3] ، وأوزاغ بَلَد[4] .

وفى الملابس بُرود اليَمَن ، ووشْى صنعاء ، ورَيْط[5] الشام وقصب مصر ، وديباج الروم ، وقزّ السّوس ، وحرير الصين ، وأكسية فارس ، وحُلَل البَحرين وسَقلاطون بغداد ، وعمائم الأُبُلّة والرىّ ، وملحم[6] مَرْو ، وتكك أرمينية ، ومناديل الدّامغان ، وجوارب قزوين .

وفى المراكيب عتاق البادية، ونجائب الحجاز ، وبراذين طُخارستان ، وحَمير مصر، وبغال بَرْزعة .

وفى الأمراض طَواعين الشام ، وطُحال البحرين ، ودماميل الجزيرة ، وحمّى خَيْبر، وجنون حِمْص ، وعرق اليمن ، ووباء مصر ، وبرْسام العراق ، والنار الفارسيّة ، وقروح بَلْخ .

وقال الجاحظ فى كتاب الأمصار : الصناعة بالبصرة، والفصاحة بالكوفة ،والتخنيث

---

(١) الجزع : الخرز اليمانى .
(٢) الجرارة : ضرب من العقارب الصغار ؛ تجرر أذيالها .
(٣) بابان : بلد بالبحرين .
(٤) بلد ، هى مرو الروذ ، وانظر ياقوت .
(٥) ريط : جمع ريطة ، وهى الملاءة .
(٦) الملحم : ضرب من الأكسية .

ببغداد ، والطَّرْمذة[1] بسَمَرْقَنْد والعِيّ بالرّى ، والجفاء بنيسابور، والحسْن بهراة ، والمروءة ببلخ ، والبلح بمَرْو ، والعجائب بمصر .

وقال غيره : قراطيس سَمَرْقند لأهل المشرق كقراطيس مصر لأهل المغرب .

وقال القاضى الفاضل: أهل مصر على كثرة عددِهم وماينسب من وفور المال إلى بلدهم ، مساكين يعملون فى البحر ، ومجاهيد يدأبون فى البرّ ، ومن العجائب شجرة العباس فى دَنْدَار من صعيد مصر ، وهى شجرة متوسّطة ، وأوراقها قصيرة منبسطة ، فإذا قال الإنسان : ياشجرة العبّاس ، جال الناس ، تجتمع أوراقها ، وتحترق لوقتها .

---

(١) المطرمذ : الذى يقول مالا يفعل .

ذكر النيل

قال التيفاشيّ فى كتاب سجع الهديل : لم يسمّ نهر من الأنهار فى القرآن سوى النيل فى قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إلى أمّ مُوسى أن أرضِعيه فإذا خفتِ عليه فألقيه فى اليمّ ﴾ [١] قال : أجمع المفسرون على أنّ المراد باليمّ هنا نيلُ مصر .

أخرج أحمد ومُسلم عن أبى هُريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « النيل وسِيحان وجِيحان والفُرات من أنهار الجنة » .

قال ابنُ عبد الحكم :[٢] حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى الخير ، عن كعب الأحبار ، أنه كان يقول : أربعة أنهار من الجنّة وضعها الله فى الدنيا ؛ فالنّيل نهر العسل فى الجنّة والفُرات نهر الخمْر فى الجنّة ، وسِيحان نهر الماء فى الجنّة ، وجيحان نهر اللّبن فى الجنّة . أخرجه الحارث فى مسنده والخطيب فى تاريخه .

وقال : حدّثنا عثمان بن صالح ، حدّثنا ابن لَهيعة ، عن وهب بن عبد الله المَعافرىّ ، عن عبد الله بن عمرو بن العاصى ، أنه قال : نيل مصر سيدّ الأنهار ، سخّر الله له كلّ نهر بالمشرق والمغرب ، فإذا أراد الله أن يُجرِىَ نيلَ مصر أمر كلّ نهر أن يُمِدّه ، فأمدّته الأنهار بمائها ، وفجّر الله له الأرض عيونا ، فإذا انتهتْ جِرْيته إلى ما أراد الله ، أوحَى الله إلى كلّ ماء أن يرجع إلى عنصره [٣] . أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره .

وقال : حدّثنا عثمان بن صالح ، حدّثنا ابنُ لَهيعة ، عن يزيد بن أبى حُبيب أن معاوية بن أبى سفيان سأل كعب الأحبار ، هل تجد لهذا النيل فى كتاب الله خبرا ؟ قال:

---

(١) القصص ٧ . (٢) فتوح مصر ١٤٩ ، ١٥٠ .
(٣) فتوح مصر ١٤٩ .

أى والذى فلَق البحر لموسى ، إنى لأجده فى كتاب الله يوحىَ إليه فى كلّ عام مرّتين ، يوحَى إليه عند جَرْيه : إن الله يأمُرك أن تَجرِىَ فيجرى ما كتب الله ، ثم يوحَى إليه بعد ذلك : يانيل عُدْ [١] حميدًا [٢] .

وأخرج الخطيب فى تاريخه وابن مَرْدويه فى تفسيره والضياء المقدسىّ فى صفة الجنة عن ابن عباس مرفوعا : أنزل الله تعالى من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار : سيحون ، وجَيحون ، ودِجلة ، والفرات والنيل ؛ أنزلها الله من عين واحدةٍ من عيون الجنة ، من أسفل درجة من درجاتها، على جناحَىْ جبريل، واستودعها الجبال ، وأجراها فى الأرض ، وجعل فيها منافع للناس ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وأنزلنـا من السماء ماءً بقَدَرٍ فأسكنّاه فى الأرض ﴾[٣] ، فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج ، أرسل الله جبريل ، فرفع من الأرض القرآن والعلْم والحِجْر من البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بمـا فيه ؛ وهـذه الأنهـار الخمسة ، فيرفع كلّ ذلك إلى السماء ؛ فذلك قوله : ﴿ وإنّا عَلَى ذَهابٍ به لَقَادِرُونَ ﴾[٣] ، فإذا رفعت هـذه الأشياء من الأرض عدِم أهلها خيرها .

وأخرج الحـارث بن أبى أسامة فى مسنده وابنُ عبد الحـكم فى تاريخ مصر ، والخطيب فى تاريخ بغداد ، والبيهقىّ فى البعث عن كعب الأحبار ، قال : «نهر النيل نهرُ العسل فى الجنة ، ونهر دجْلة نهر اللبن فى الجنة ، ونهر الفرات نهر الخمر فى الجنة ، ونهر سيحان نهر الماء فى الجنة»[٤] .

وأخرج البيهقىّ فى شُعب الإيمان ، عن عبد الله بن عمرو بن العاصى ، قال : غار النيل على عهد فرعون ، فأتاه أهلُ مملـكته ، فقالوا : أيّها الملك أجرِ لنـا النّيل ، قال : إنى لم أرضَ عنـكم ، فذهبوا ثم أتوْه ، فقالوا : أيّها الملك ، أجْرِ لنا النيل ، قال : إنى لم أرضَ عنـكم ؛ فذهبوا ثم أتوْه ، فقالوا : أيّها الملك ماتت البهائم ، وهلـكت الأبكار ، لئن لم

(١) فتوح مصر : « غر » .
(٢) فتوح مصر ٢٣٩ .
(٣) المؤمنون ١٨ .
(٤) فتوح مصر ١٥٠ .

تجرِ لنا النيل لنتخذنّ إلهًا غيرك ، قال اخرجُوا إلى الصعيد ، فخرجوا فتنحّى عنهم حيث لا يرونه ، ولا يسمعون كلامه ، فألصق خدَّه بالأرض ، وأشار بالسبابة لله ، ثم قال : اللهمّ إنى خرجت إليك مخرَج العبد الذليل إلى سيّده ، وإنى أعلم أنّه لا يقدر على إجرائه أحدٌ غيرك فأجْرِه . قال : فجرى النيل جريًا لم يجرِ قبله مثله ، فأتاهم فقال: إنّى قد أجريْتُ لكم النيل ، فخرّوا له سجدا ، وعرض له جبريل ، فقال : أيّها الملك أعْدِنى على عبدى ، قال : وما قصّتُه ؟ قال: عبد لى ملّكته على عبيدى ، وخوّلته مفاتيحى ، فعادانى ، فأحبّ مَنْ عاديت ، وعادَى من أحببت ، قال : بئس العبد عبدك ! لو كان لى عليه سبيل لغرّقته فى بحر القُلْزم ! فقال : يأيّها الملك ، اكتب لى كتابًا ، فدعا بكتاب ودواة : ما جزاء العبد الذى خالف سيّده فأحبّ مَنْ عادى وعادى من أحبّ إلا أن يُغرَق فى بحر القلزم . قال : يأيّها الملك اختمه لى ، فختمه ثم دفعه إليه ، فلمّا كان يوم البحر ، أتاه جبريل بالكتاب ، فقال : خذ هذا ما حكمت به على نفسك .

أثر متصل الإسناد فى أمر النيل

أخبرنى أبو الطيّب الأنصاريّ إجازةً، عن الحافظ أبى الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقىّ ، عن أبى الفتح محمد بن محمد الميدومىّ ، أخبرتْنا أَمَةُ الحقّ شامية بنت الحافظ صدر الدين الحسن بن محمد بن محمد سماعا ، أخبرنا أبو حفص عمر بن طبرزد سماعاً ، أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد السّمرقندىّ وغيره سماعا ، قالوا : أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن النّقور سماعا ، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحيم المخلص سماعا ، أخبرنا عبيدالله ابن عبد الرحمن بن عيسى السكرىّ ، حدثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذىّ وأبو بكر محمد بن صالح بن عبد الرحمن الحافظ الأنماطىّ ، قالا : حدثنا أبو صالح عبد الله ابن صالح بن محمد ، كاتب الليث ، قال : حدّثنى الليث بن سعد ، قال : بلغنى أنّه كان رجل من بنى العِيص يقال له حائد بن أبى شالوم بن العِيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ، خرج هارباً من ملكٍ من ملوكهم ؛ حتى دخل أرضَ مصر ، فأقام بها سِنين ؛ فلمّا رأى أعاجيبَ نيلها ومايأتى به ، جعل لله تعالى عليه ألّا يفارق ساحلَها حتى يبلغ مُنتهاه ؛ من حيث يخرج أو يموت قبل ذلك ، فسارَ عليه ــ قال بعضهم : سار[1] ثلاثين سنة فى النّاس وثلاثين فى غير الناس . وقال بعضهم : خمسة عشر كذا ، وخمسة عشر كذا ــ حتى انتهى إلى بحرٍ أخضر ، فنظَر إلى النيل ينشقّ مقبِلاً ، فصعد على البحر ، فإذا رجل قائم يصلّى تحت شجرة من تفّاح ، فلما رآه استأنس به ، وسلّم عليه ، فسأله الرجل صاحب الشجرة ، فقال له : مَنْ أنت ؟ قال : أنا حامد[2] بن أبى شالوم بن العِيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ، فمن أنت ؟ قال : أنا عمران بن فلان بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم ، قال : فما الذى جاء بك إلى هنا ياعمران ؟ قال : جاء بى الّذى جاء بك ، حتى انتهيت إلى هذا الموضع ؛ فأوْحَى الله إلىّ أن أقفَ فى هذا الموضع ، حتى يأتيَنى أمرُه ،

(١) ساقط من ط

(٢) ط ، ح : « حائد » .

قال له حامد : أخبرْنى ياعمران ، ما انتهى إليك من أمر هـذا النيل ؟ وهل بلغَك فى الـكُتُب أنّ أحداً من بنى آدم يبلُغه ؟ قال له عمران : نعم،بلَغنى أنّ رجلا من بنى العِيص يبلغه ، ولا أظنّه غـيرُك ياحامد ، قال له حائد : ياعمران ، أخبرْنى كيف الطريقُ إليه ؟ قال له عمران : لستُ أخبرُك بشىء إلّا أن تجعلَ لى ما أسألك ! قال : وماذاك ياعمران ؟ قال : إذَا رجعت إلىّ وأنا حىّ أقمتَ عندى حتى يوحِى اللهُ تعالى إلىّ بأمره ، أو يتوفّانى فتدفِنَنى ؛ فإن وجدتَنى ميّتاً دَفَنْتَنى وذهبتَ ، قال : ذلك لك علىّ ، قال له : سرْ كما أنت على هذا البحر ؛ فإنّك تأتى دابّة ترى آخرها ولا ترى أوّلها ، فلا يهولنّك أمرُها ، اركبْها ؛ فإنها دابّةٌ معادية للشمس ، إذا طلعت أهوتْ إليها لتلتقِمها حتى يحول بينها وبينها حجَبتها ، وإذا غربت أهوتْ إليها لتلتقمَها ؛ فتذهب بك إلى جانب البحر ، فسرْ عليها راجعاً حتى تنتهىَ إلى النيل ، فسرْ عليه ، فإنّك ستبلغ أرضاً من حديدٍ ، جبالها وأشجارها وسهولها من حَديد ؛ فإن أنت جُزتَها وقعتَ فى أرض من نحاس، جبالها وأشجارها وسهولها من نُحاس ، فإن أنتَ جزتَهـا وقعتَ فى أرض من فضّة ؛ جبالها وأشجارها وسهولها من فضّة ، فإن أنتَ جزتَها وقعتَ فى أرضٍ من ذهب جبالها وأشجارها وسهولها من ذهب ، فيها ينتهى إليك علم النِّيل .

فسار حتى انتهى إلى أرض الذّهب ، فسار فيها حتى انتهَى إلى سور من ذهب وشُرفة من ذهب ، وقبّة من ذهب ، لها أربعة أبواب ؛ فنظر إلى ماينحدر من فوق ذلك السّور حتى يستقرّ فى القبّة ثم ينصرف فى الأبواب الأربعة ؛ فأمّا ثلاثة فتغيض فى الأرض ، وأمّا واحـد فيسير على وجه الأرض ؛ وهو النيل . فشرب منه واستراح ، وأهوى إلى السّور ليصعد ، فأتاه ملَك فقال له : ياحامد قِفْ مكانك ، فقد انتهى إليك علمُ هذا النيل ؛ وهذه الجنّة ؛ وإنما ينزل من الجنة ، فقال : أريد أن أنظر إلى الجنّة ، فقال : إنك لن تستطيع دخولَها اليوم ياحامد ، قال : فأىّ شىء هذا الذى أرى ؟ قال :

هذا الفَلَكَ الذى تدُور فيه الشمس والقمر ، وهو شبه الرّحا ، قال: إنى أريد أن أركبه فأدور فيه ـ فقال بعض العلماء : إنه قد ركبَه ؛ حتى دار الدنيا وقال بعضهم : لم يركبه ـ فقال له ياحامد : إنه سيأتيك من الجنّة رزق ، فلا تؤثرْ عليــه شيئاً من الدّنيا ، فإنه لا ينبغى لشىء من الجنّة أن يُؤثَر عليه شىء من الدنيا إن لم تُؤثِرْ عليه شيئاً من الدنيا بقى مابقيتَ .

قال : فبينا هو كذلك واقف ،إذ نزل عليه عنقود من عِنب فيه ثلاثة ؛أصناف لون كالزبرجد الأخضر ، ولون كالياقوت الأحمر ، ولون كاللؤلؤ الأبيض ، ثم قال له : ياحامد، أما إن هذا من حِصْرِم الجنّة ، وليس من طيب عِنَبها ، فارجع ياحامد ، فقد انتهى إليك علم النيل ، فقال : هذه الثلاثة الّتى تغيض فى الأرض ، ماهى ؟ قال : أحدُها الفرات ، والآخر دِجْلة ، والآخر جيحان ، فارجع .

فرجَع حتى انتهى إلى الدابّة الّتى ركبها ، فركِبها ، فلمّا أهوتْ الشمس لتَغْرُب قذفت به من جانب البحر ، فأقبل حتى انتهَى إلى عمران ، فوجده ميّتاً فدفنه ، وأقام على قبره ثلاثاً ، فأقبل شيخ متشبِّه بالناس أغرّ من السجود ، ثم أقبل إلى حامد ، فسلّم عليه ، ثم قال له : ياحامد ، ما انتهى إليك من علم هــذا النيل ؟ فأخبره ، فلمّا أخبره ، قال له : هكذا نجده فى الكتب ، ثم أطْرى[1] ذلك التفّاح فى عينيه ، وقال : ألا تأكل منه ؟ قال : معى رزقى ، قد أعطِيتُه من الجنّة ونُهيت أن أوثر عليه شيئاً من الدنيا ، قال: صدقت ياحامد ، هل ينبغى لشىء من الجنة أن يؤثَر بشىء من الدنيا ، وهل رأيتَ فى الدنيا مثل هذا التفاح ؟ إنما أنبتت له فى الأرض ليس من الدنيا ، وإنما هــذه الشجرة من الجنّة ، أخرجها الله لعمران يأكل منهـا ، وما تركها إلا لك ، ولو قد وليتَ عنهـا رفعت ، فلم يزل يُطريها فى عينيه ، حتى أخــذ منها تفاحة ، فعضّها ، فلمـا عضّها عضّ

(١) ح ، ط : « طرى » ، وما أثبته من الأصل .

يده ، ثم قال : أتعرفه ؟ هو الذى أخرج أباك من الجنّة ؛ أما إنّك لو سلّمت بهـذا الذى كان معك لأكل منه أهلُ الدنيا قبل أن ينفدَ ، وهو مجهودك إن تبلغه فـكان مجهوده أن بلغه .

وأقبل حامد حتى دخل أرض مصر ، فأخبرهم بهذا ؛ فمات حامد بأرض مصر .

وبهذا الإسناد إلى عبد الله بن صالح ، حدثنى ابنُ لَهيعة عن وهب بن عبد الله المَعافرىّ ، عن عبد الله بن عمرو فى قوله تعـالى : ﴿ فأخرَجْناهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وعيون * وكنوزٍ ومَقامٍ كريم ﴾[1] قال : كانت الجنان بحافّتى هذا النيل ، من أوله إلى آخره فى الشّقّين جميعا من أسوان إلى رشيد ، وكان له سبعة خُلُج : خليج الإسكندرية ، وخليج دمياط ، وخليج سرْدوس ، وخليج مَنْف ، وخليج الفيوّم ، وخليج المنهى وخليج سخا ، متّصلة لا ينقطع منها شىء عن شىء ، ويزرع ما بين الجبلين كلّه من أوّل مصر إلى آخر ما يبلغه المـاء ، وكانت جميع مصر كلّها يومئذ تروى من ستة عشر ذراعا .

وبهذا الإسناد إلى ابن لَهيعة ، وعن يزيد بن أبى حبيب ؛ أنّه كان على نيل مصر فُرْضة لحفر خليجها ، وإقامة جسورها وبناء قناطرهـا ، وقطع جزائرها مائة ألف وعشرون ألف فاعل ، معهم الطُّور والمساحِى والأداة ، يعتقبون ذلك ، لايدَعون ذلك شتاء ولا صيفا .

وذكر بعضُ الأخباريّين أنّ حامدا هذا لم يتنبّأ ، وأنه أوتِىَ الحـكمة ، وأنه سأل الله أن يُريه منتهى النيل ، فأعطِىَ قوّةً على ذلك ، فوصل إلى جبل القمر ، وقصد أن يطّلع إلى أعلاه ، فلم يقدر ؛ فسأل الله فيسّره عليه ، فصعد فرأى خلفه البحر الزفتىّ ، وهو بحر أسود منتِن الريح مظلم ، فرأى النيل يجرى فى وسَطه ؛ كأنه السّبيكة الفضة .

وقال صاحب مباهج الفِكر : ذكر أبو الفرج قدامة أن مجموع ما فى المعمور من

(١) الشعراء ٥٧ ، ٥٨

الأنهار مائتان وثمانية وعشرون نهرا ؛ منها ما يجرى من المشرق إلى المغرب . ومنها ما يجرى من الشمال إلى الجنوب ، ومنها ماجريانه كنهر النيل من الجنوب إلى الشمال ، ومنها هو مركّب من هذه الجهات كالفرات وجيحون ؛ فأما النّيل فذكر قدامة أنّ انبعاثه من جبل القمر وراء خط الاستواء من عين تجرى منها عشرة أنهار؛ كل خمسة منها يصب إلى بطيحة[1] كبيرة فى الإقليم الأول ، ومن هذه البطيحة يخرج نهر النيل[2].

وذكر صاحب كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق أن هـذه البحيرة تسمى بحيرة كُورَى منسوبة لطائفـة من السودان ، يسكنون حولها متوحّشين يأكلون مَنْ وقع إليهم من الناس[3] ، فإذا خرج النيل منها يشق بلاد كُورَى ثم بلاد ننه (طائفة من السودان) ، بين كانم[4] والنوبة ، فإذا بلغ دنقلة مدينة النوبة عطف من غربيّها إلى المغرب ، وانحدر إلى الإقليم الثانى ، فيكون على شطئه[5] عمارة النّوبة ، وفيه هناك جزائر متّسعة عامرة بالمدن والقرى ، ثم يشرّق[6] إلى الجنادل ، وإليها تنتهى مراكب النوبة انحداراً ، ومراكب الصعيد الأعلى صعودا[7] وهناك أحجار مضرّسة لا مرور للمراكب عليها إلا فى أيام[8] زيادة النيل ، ثم يأخذ إلى الشمال ، فيكون على شرقيّه مدينة أسوان من الصعيد الأعلى ، ثم يمرّ بين جبلين مكتنفين[9] لأعمال مصر شرقىّ وغربىّ إلى الفسْطاط[10] ، فإذا تجاوزها مسافة يوم انقسم إلى قسمين أحدهما يمرّ حتى يصبّ فى بحر الروم [عند دمياط ، ويسمىّ بحر الشرق والآخر وهو عمود النيل ومعظمه يمرّ إلى أن يصب][11] عند رشيد ، ويسمى بحرْ الغرْب ، ومسافة النيل من منبعه إلى

(١) البطيحة: مسيل الماء ، وفى ط : «البطيخة» ، تحريف . (٢) نقله فى نهاية الأرب ١ : ٢٦٢ .
(٣) بعدها فى نهاية الأرب : « ومن هذه البحيرة يخرج نهر غانة ونهر الحبشة » .
(٤) ط : « كانم » . (٥) نهاية الأرب : « شطه » . (٦) ح ، ط : « يشرف » .
(٧) نهاية الأرب : « انحدارا » . (٨) نهاية الأرب : « إبان » . (٩) ح : « يكتنفان» .
(١٠) بعدها فى نهاية الأرب: «حتى يأتى مدينة مصر فتكون فى شرقيه» . (١١) من نهاية الأرب .

أن يصبّ فى رشيد سبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا .

وقيل إنه يجرى فى الخراب أربعة أشهر ، وفى بلاد السودان شهرين ، وفى بلاد الإسلام شهرا ، وليس فى الأرض نهر يزيد حين تنقص الأنهار غيره ؛ وذلك أنّ زيادته تكون فى القيظ الشديد فى شمس السرطان والأسد والسنبلة . ورُوى أنّ الأنهار تمدّه بمائها .

وقال قوم : إن زيادته من ثلوج يذيبها الصّيف وعلى حسب مدّها تكون كثرته وقلّته (١) .

وذهب آخرون إلى أن زيادته بسبب أمطار كثيرة تكون ببلاد الحبشة .

وذهب آخرون إلى أنّ زيادته عن اختلاف الريح ، وذلك أن الشمال إذا هبّت عاصفة يهيج البحر الرومىّ ، فيدفع إليه مافيه منه ، فيفيض على وجه الأرض ، فإذا هبّت الجنوب سكن هَيَجانُ البحر ، فيسترجع منه ما دبّ إليه ، فينقص .

وزعم آخرون أن زيادته من عيون على شاطئه ، يراها مَنْ سافر ولحق بأعاليه .

وقال آخرون : إن مجراه من جبال الثلج ، وهى بجبل قاف ، وأنه يخرق البحر الأخضر ، ويمرّ على معادن الذهب والياقوت والزمرد والمرجان ، فيسير ما شاء الله إلى أن يأتىَ إلى بحيرة الزنج . قالوا : ولولا دخوله فى البحر المِلْح ، ومايختلط به منه لم يستطع شربه لشدة حلاوته وزيادته بتدريج وترتيب فى زمان مخصوص مدّة معلومة ، وكذا نقصه ومنتهى زيادته التى يحصل بها الرىّ لأرض مصر ستة عشر ذراعا ، والذراع أربعة وعشرون إصبعا ، فإن زُاد على الستة عشر ذراعا إصبعا واحداً ازداد فى الخراج مائة ألف دينار لما يروى من الأراضى العالية .

والغاية القصوى فى الزيادة ثمانية عشر ذراعا ؛ هذا فى مقياس مصر ، فإذا انتهى فيه

---

(١) نقله فى نهاية الأرب ١ : ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

إلى ذلك كان فى الصعيد الأعلى اثنين وعشرين ذراعا ، لارتفاع البقاع التى يمرّ عليها ، ويسوق الرّى إليها ، فإذا انتهت زيادته فتحت خلجانات وترع ، فيخرج الماء يميناً وشمالا إلى الأرض البعيدة عن مجرى النيل ؛ حكمة دُبِّرت بالعقول السليمة وقدِّرت ، ومنافع مُهِّدت فى الزمن القديم وقُرِّرت .

وللنيل ثمانى خلجانات : خليج الاسكندرية ، وخليج دمياط ، وخليج منف ، وخليج المنهى — حفره يوسف عليه السلام — وخليج أشْمُوم طَنَاح ، وخليج سَرْدُوس — حفره هامان لفرعون — وخليج سَخَا ، وخليج حفره عمرو بن العاصى زمن عمر بن الخطاب . ويحصل لأهل مصر يوم وفائه الستة عشر ذراعا الّتى هى قانون الرّى سرور شديد بحيث يركب الملك فى خواصّ دولته الحراريق المزيّنة إلى المقياس ، ويمدّ فيه سِماطا ويخلّق العمود الّذى يقاس فيه ويخلَع على القيّاس ، ويعطيه صلةً مقررة له .

وقد ذكر بعض المفسرين أنه يوم الزينة ، الّذى وعد فرعون موسى بالاجتماع فيه .

هذا كله كلام مباهج الفكر[1] .

وقد اختلف فى ضبط جبل القَمَر ، فقيل : إنه بفتح القاف والميم بلفظ أحد النيّرين .

قال التِّيفاشىّ : وإنما سُمِّى بذلك لأنّ العين تقمر منه ، إذا نظرت إليه لشدة بياضه . قال : ولذلك أيضا سُمّى القمر قمرا . قال : وهذا الجبَل مستطيل من المشرق إلى المغرب ، نهايته فى ناحية المغرب إلى حدّ الخراب ، ونهايته فى المشرق إلى مثل ذلك ، وهو نفسه بجملته فى الخراب من ناحية الجنوب ، وله أعراق فى الهواء ، منها طوال ومنها دونها .

قال فى مختصر المسالك : وذكر بعضهم أنّ أناسا انتهوا إلى هذا الجبل وصعدوه ،

(١) نقله صاحب نهاية الأرب فى ١ : ٢٦٤ .

فرأوا وراءه بحرا عجّاجا ماؤهأسود كاللّيـل ، يشقّه نهر أبيض كالنهار ،يدخل الجبل من جنوبه ، ويخرج من شماله ، ويتشعّب على قبّة هُرْمس المبنية هناك .

وزعموا أن هرمس الهرامسة ـ وهو إدريس عليه السلام فيما يقال ـ بلغ ذلك الموضع ، وبنى فيه قبّة .

وذكر بعضهم أنّ أناسا صعدوا الجبل ، فصار الواحد منهم يضحك ويصفّق بيديه ، وألقى نفسه إلى ماوراء الجبل ، فخاف البقيّة أن يصيبهم مثل ذلك ، فرجعوا .

وقيل : إن أولئك إنّما رأوا حجر الباهت ، وهى أحجار برّاقة كالفضّة البيضاء تتلألأ ، كلّ من نظرها ضحك والتصق بها حتى يموت ، ويُسمى مغناطيس الناس .

وذكر بعضُهم أن ملـكا من ملوك مصر الأول ، جهّز أناسا للوقوف على أوّل النيل ، فانتهوْا إلى جبال من نحـاس ، فلما طلعت عليها الشمس انعـكستْ عليها ، فأحرقتهم .

وقيل إنهم انتهوْا إلى جبال برّاقة لمّاعة كالبلّور ، فلما انعـكست عليهم أشعة الشمس الواقعة عليهم أحرقتهم .

وقال صاحب مرآة الزمان : ذكر أحمد بن بختيار أنّ العين التى هى أصل النيل ، هى أوّل العيون من جبل القمَر ، ثم نبعت منها عشرة أنهار ، نيل مصر أحدها. قال : والنّيل يقطع الإقليم الأوّل ، ثم يجاوزه إلى الثانى ، ومن ابتدائه ، من جبل القمر إلى انتهـائه إلى البحر الرومىّ ، ثلاثة آلاف فرسخ ، ويبتدى بالزيادة فى نصف حَزيران ، وينتهى إلى أيلول .

قال : واختلفوا فى سبب زيادته ، فقال قوم : لايعلم ذلك إلا الله .

وقال آخرون : سببه زيادة عيونه .

وقال آخرون ، وهو الظاهر : سببه كثرة المطر والسيول ببلاد الحبش والنوبة ،

وإنما يتأخر وصوله إلى الصيف لبعد المسافة . وردّ ذلك قوم بأن عيونه التى تحت جبال القمر تتكدّر فى أيام زيادته ، فدلّ على أنه فعل الله من غير زيادة بالمطر . قال : وجميع الأنهار تجرى إلى القبلة سواه ، فإنه يجرى إلى ناحية الشمال . وكان القاضى بحماه قال : ومتى بلغ ستة عشر ذراعا استحقّ السلطان الخراج ، وإذا بلغ ثمانية عشر ذراعا قالوا : يحدث بمصر وباء عظيم ، وإذا بلغ عشرين ذراعا مات ملك مصر .

وقال ابن المتوّج : من عجائب مصر النّيل الذى يأتى من غامض علم الله فى زمن القَيْظ فيعمّ البلاد سهلا ووعراً ، يبعث الله فى أيام مدَدِه الريح الشمال فيصدّ له البحر المالح ، ويصير له كالجسر ، ويزيد . وإذا بلغ الحدّ الذى هو تمام الرّىّ وأوان الزراعة ، بعث الله بالريح الجنوب فكنسته ، وأخرجته إلى البحر الملح ، وانتفع الناس بالزراعة .

ومن عجائب هذا النيل سمكة تسمى الرّعاد[1] مَنْ مسّها بيده أو بعود متّصل بيده أو جذب شبكة هى فيها ، أو قصبة أوْ سنّارة وقعت فيها رعدت يده مادامت فيها ، وبمصر بَقْلة مَنْ مسّها بيده ، ثم مسّ الرّعاد لم ترعد .

وفى النيل خيل تظهر فى بلد النوبة ، ويصيدونها ، وفى سنٍّ من أسنانها شفاء من وجع المعدة .

وقال التِّيفاشىّ : سبب زيادة النيل هبوب ريح يسمى الملثِن ، وذلك لسببين أحدهما أنها تحمل السحاب الماطر خلف خط الاستواء فتمطر ببلاد السودان والحبشة والنوبة ، والآخر أنها تأتى فى وجه البحر المِلْح ، فيقف ماؤه فى وجه النيل ، فيتراجع حتى يروى البلاد .وفى ذلك يقول الشاعر :

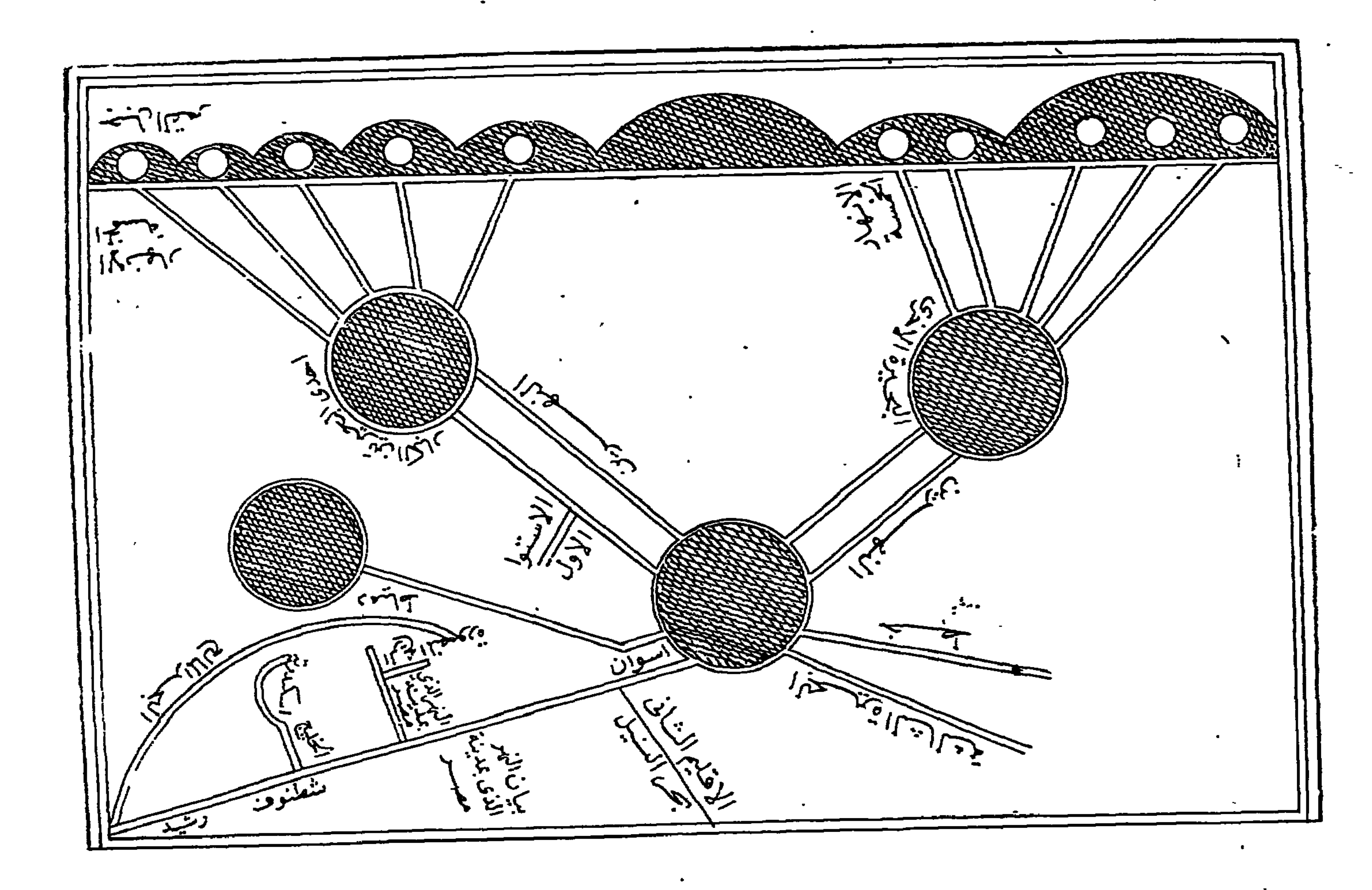
اشفع فللشافع أعلى يدٍ عندى وأسْنَى من يدالمحسنِ
والنّيل ذو فضلٍ ولكنّه الشّكر فى ذلك للملثِن

وقال صاحب سجع الهديل : ذكر جماعة من المنجمين وأرباب الهيئة أن النيل يجىء

(١) معجم البلدان ٨ : ٣٦٥

من خَلْف خط الاستواء بإحدى عشرة درجة ونصف ، ويأخذ نحو الجنوب إلى أن ينتهى إلى دمياط والاسكندرية وغيرهما عند عرض ثلاثين فى الشمال ، قالوا : فمن بدايته إلى نهايته اثنتان وأربعون ومائة درجة ؛ كلّ درجة ستون ميلا وثلث بالتقريب ، فيكون طوله من الموضع الذى يبتدئ منه إلى الموضع الذى منه إلى البحر الملح ثمانية ألف ميل وستمائة وأربعة عشر ميلا وثلثا ميل على القَصْد والاستواء ، وله تعريجات شرقا وغربا ، يطول بها ويزيد على ماذكرناه .

ونقلت من خط الشّيخ عز الدين بن جماعة من كتاب له فى الطبّ ،قال : منبعُ النيل من جبل القمر وراء خط الاستواء بإحدى عشرة درجة ونصف ، وامتداد هذا الجبل خمس عشرة درجة وعشرون دقيقة ، يخرج منه عشرة أنهار من أعين فيه ترمى كلّ خمسة إلى بحيرة عظيمة مدوّرة بعد مركزها عن أول العمارة بالمغرب سبع وخمسون درجة ، والبعد عن خط الاستواء فى الجنوب سبع دَرَج وإحدى وثلاثون دقيقة ، وهاتان البحيْرتان متساويتان ، وقُطْر كلّ واحدة خمس درَج ، ويخرج من كلّ واحدة أربعة أنهار ترمى إلى بحيرة صغيرةمدوّرة فى الإقليم الأوّل بعد مركزها عن أول العمارة بالمغرب ثلاث وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعن خط الاستواء من الشمال درجتان من الإقليم الأوّل وقطرها درجتان ،ومصبّ كل واحدٍ من الأنهار الثمانية فىهذه البحيرة غير مصب الآخر ، ثم يخرج من البحيرة نهرٌ واحد ؛ وهو نيل مصر ، ويمرّ ببلاد النوبة ، ويصبّ إليه نهر آخر ابتداؤه من غير مركزها على خط الاستواء ، فى بحيرة كبيرة مستديرة قطرها ثلاثة درَج ، وبعد مركزها عن أول العمارة بالمغرب إحدى وسبعون درجة ، فإذا تعدى النّيل مدينة مصر إلى مدينة يقال لها شطّنوف ،تفرّق هناك إلى نهرين يرميان إلى البحر المالح أحدهما يعرف ببحر رشيد ، والآخر بحر دمياط وهذا البحر إذا وصل إلى المنصورة تفرّع منه نهر يعرف ببحر أشمون ، يرمى إلى بحيرة هناك وباقيه يرمى إلى البحر المالح عند دمياط ، وهذه صورة ذلك :



جبال القمر
الأنهار الخمسة
الأنهار الخمسة
احدى البحيرتين الكبار
الاستوا
الاول
النهرين
البحيرة الثالثة
دمياط
اسوان
الإقليم الثاني
شطنوف
رشيد



وذكر الجاحظ فى كتاب الأمصار ، أن مخرج نهر السند والنيل من موضع واحد ، واستدلّ على ذلك اتفاق زيادتهما ، وكون التمساح فيهما ، وأن سبيل زراعتهم فى البلدين واحد .

وقال المسبّحىّ فى تاريخ مصر : فى بلاد تكنة أمّة من السودان أرضهم تُنبت الذهب ، يفترق النيل فيصير نهرين أحدهما أبيض وهو نيل مصر ، والآخر أخضر يأخذ إلى المشرق فيقطع البحر المِلْح إلى بلاد السِّند ، وهو نهر ميران .

قال ابن عبد الحكم : حدّثنا عثمان بن صالح ، عن ابن لَهيعة ، عن قيس بن الحجاج ، عمّن حدثه ، قال : لما فتح عمرو بن العاص مصر ، أتى أهلها إليه حين دخل بؤونة من أشهر العجم ، فقالوا له : أيّها الأمير ، إن لنيلنا هذا سنّة لا يجرى إلّا بها ، فقال لهم : وما ذاك؟ قالوا : إذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر ، عَمَدنا إلى جارية بِكْرٍ بين أبويْها ، فأرضيْنا أبويها ، وجعلنا عليها من الحلىّ والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها فى هذا النيل . فقال لهم عمرو : إن هذا لا يكون فى الإسلام ، وإن الإسلام يهدِم ماقبله ، فأقاموا بؤونةَ وأبيبَ ومسرى لا يجرى قليلا ولا كثيرا ، حتى همّوا بالجلاء ، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب إليه عمر : قد أصبتَ ، إن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وقد بعثت إليك بطاقة[1] فألقِها فى داخل النيل إذا أتاك كتابى . فلما قدم الكتاب على عَمْرو ، فتح البِطاقة فإذا فيها :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر ، أما بعد فإن كنت تجرى من قِبَلِك ، فلا تجْرِ ، وإن كان الواحد القهار يُجريك ، فنسأل الله الواحد القهار أن يُجريَك .

فألقى عمرو البِطاقةَ فى النيل قبل يوم الصّليب بيوم ، وقد تهيّأ أهل مصر للجلاء

(١) فتوح مصر : « ببطاقة » .

والخروج منها لأنه لا يقوم بمصلَحتهم فيها إلا النيل ، فأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا ، وقد زالت تلك السّنة السوء عن أهل مصر [١] .

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن موسى عليه السلام دَعاَ على آل فرعون ، فحبس الله عنهم النّيل حتى أرادوا الجلاء حتّى طلبوا إلى موسى أن يدعوَ الله رجاء أن يؤمنوا ، فدعا الله ، فأصبحوا وقد أجراه الله فى تلك الليلة ستة عشر ذراعا . فاستجاب الله بتطوّله لعمر بن الخطاب كما استجاب لنبيه موسى عليه السلام [٢] .

ذكر مزايا النيل

قال التّيفاشىّ : اتّفق العلماء على أنّ النّيل أشرفُ الأنهار فى الأرض لأسباب :

منها عموم نفعه ، فإنه لا يُعلم نهرٌ من الأنهار فى جميع الأرض المعمورة يَسقى مايسقيه النيل .

ومنها الاكتفاء بسقيه ، فإنه يُزرع عليه بعد نضوبه ، ثم لا يُسْقَى الزرع حتى يبلغ منتهاه ؛ ولا يُعلم ذلك فى نهر سواه .

ومنها أن ماءه أصحُّ المياه وأعدلُها وأعذبُها وأفضلُها .

ومنها مخالفتُه لجميع أنهار الأرض فى خصال هى منافع فيه ، ومضارّ فى غيره .

ومنها أنّه يزيد عند نقص سائر المياه ، وينقُص عند زيادتها ؛ وذلك أوانُ الحاجة إليه .

ومنها أنه يأتى أرضَ مصر فى أوانِ اشتداد القيْظ والحرّ ويُبس الهواء وجفاف

---

(١) فتوح مصر ١٥٠ .
(٢) فتوح مصر ١٥١ .

الأرض ، فيبلّ الأرض ، ويُرطِب الهواء ، ويعدّل الفصلَ تعديلا زائدا .

ومنها أنّ كل نهر من الأنهار العظام ، وإن كان فيه منافع ، فلابدّ أن يتبعها مضارّ فى أوان طغيانه بإفساد مايليه ونقص مايجاوره ، والنيل موزون على ديار مصر بوزن معلوم ، وتقدير مرسوم لا يَزيد عليه ، ولا يخرج عن حدّه ﴿ ذلكَ تقديرُ العزيزِ العليم ﴾[1] .

ومنها أن المعهود فى سائر الأنهار أن يأتىَ من جهة المشرق إلى المغرب ، وهو يأتى من جهة المغرب إلى الشمال ، فيكون فعلُ الشمسِ فيه دائمًا ، وأثرها فى إصلاحه متّصلا ملازما ؛ وفى ذلك يقول الشاعر :

مصر ومصرٌ ماؤها عجيبُ ونهرها يجرى به الجَنُوبُ

ومنها أنّ كلّ الأنهار يُوقف على منبعه وأصله ، والنّيل لا يوقف له على أصل منبع . وليس فى الدّنيا نهر يصبّ فى بحر الصين والروم غيره ؛ وليس فى الدّنيا نهر يزيد ثم يقف ، ثم ينقص ثم ينضِب على الترتيب والتدريج غيره ؛ وليس فى الدّنيا نهرٌ يُزرَع عليه مايُزرَع على النيل ، ولا يجىء من خراج غلّة زرعه مايجىء من خراج غلّة زرع النيل .

***

وقال صاحب مباهج الفكر : النّيل أخفّ المياه وأحلاها ، وأرواها وأمراها ، وأعمّها نفعا ، وأكثرها خراجا ؛ ويحكى أنه جُبِىَ فى أيّام كنعاوس ؛ أحد ملوك القِبْط الأوّل مائة ألف ألف وثلاثون وثلاثون ألف دينار وجَباهُ عزيز مصر مائة ألف ألف دينار ، وجَباهُ عمرو بن العاص اثنىْ عشر ألف ألف دينار ، وجباه عبد الله بن أبى سَرْح أربعة عشر ألف ألف دينار ، ثم رذل إلى أن جُبِىَ أيام جوهر القائد ثلاثة آلاف ألف ومائتى ألف دينار ؛ وسبب تقهقره أنّ الملوك لم تسمح نفوسهم بما كان يُنفق فى الرجال الموكّلين

(١) الأنعام ٩٦ .

لحفر خلجه وإصلاح جسوره ، ورمّ قناطره ، وسدّ ترعه ، وقطع القضب وإزالة الحلفاء ؛ وكانوا مائة ألف وعشرين ألف رجل مرتّبين على كُور مصر سبعين ألفاً للصعيد ، و خمسين ألفاً لأسفل الأرض .

ويحكى أنها مُسِحَتْ أيّام هشام بن عبد الملك ، فكان مايركبه الماء مائة ألف ألف فدان ، والفدان أربعمائة قصَبة والقصبة عشرة أذرع .

وأمّا أحمد بن المدبّر ، فإنه اعتبر مايصلح للزرع بمصر فى وقت ولايته ، فوجده أربعة وعشرين ألف ألف فدان ، والباقى قد استبحر وتلف ، واعتبر مدة الحرْث فوجدها ستين يوما ، والحرّاث الواحد يحرُث خمسين فدانا ، فكانت محتاجةً إلى أربعمائة ألف وأربعين ألف حراث .

***

وقال صاحب مرآة الزمان : ذكر أحمد بن بختيار أنّ فى النيل عجائب منها التمساح ، ولا يوجد إلا فيه ، ويسمّى فى مصر التمساح ، وفى بلاد النوبة الورَل ، ووراء النوبة الشّوشار .

قال : والتمساح لا دُبُرَ له ، وما يأكله يتكوّن فى بطنه دودا ، فإذا آذاه خرج إلى البرّيّة فينقضّ عليه طائر فيأكل مابين أسنانه ، وما يظهر من الدود ، وربما يطبق عليه التمساح ، فيبلعه .

***

وذكر ابن حَوْقل أن بنيل مصر أماكنَ لا يضرّ التمساح فيها ، كعدوة بوصير والفسطاط .

قال : وفى النّيل السَّقَنْقُور ، ويكون عند أسوان ، وفى حدودها . وقيل إنه من نسل التمساح إذا وضعه خارج الماء ، فما قصد الماء صار تمساحا ، وما قصد البرّ صار سقنقورا . وله قضيبان كالضبّ .

وفيه السمك الرعّاد إذا وقع فى شبــكة الصياد ، لا يزال ترتعد يداه ورجلاه حتى يلقيها أو يموت ، وهى نحو الذراع .

وفيه سمكة على صورة الفرس . والمــكان الذى يكون فيه لا يقربه التمساح .

وفيه شيخ البحر سمكة على صورة آدمىّ ، وله لحية طويلة ، ويكون بناحية دمياط وهو مشؤوم ، فإذا رُئِىَ فى مكان دلّ على القحط والموت والفِتَن .

ويقال : إن دمياط ماتنــكب حتى يظهر عندها .

ذكر ما قيل فى النيل من الأشعار

قال التِّيفاشىّ : قد ذكرت العرب النِّيل فى أشعارها ، وضربت به الأمثال ، قال قيس ابن معدى كرب ، فيما أورده الجاحظ فى كتاب الأمصار :

ما النّيل أصبح زاخرًا بمدوده وجرتْ له ريح الصَّبا فجرَى بها

قال بعضهم :

واهًا لهـــذا النّيل أىّ عجيبةٍ بكر بمثل حديثها لا يسمعُ[1]
يلقى الثرى فى العـام وهو مسلِّمٌ حتى إذا ما ملّ عاد يودّع
متنقّل[3] مثل الهلال فدهرُه أبدًا يزيد كما يريد ويرجعُ

ظافر الحداد :

والنّيل مثل عمامةٍ[2] شرب محشّاةٍ بأخضرْ
والجسرُ فيها كالطرا زِ وموجُه رقمٌ مصوّرْ
تفريكه ما درّجتْـــه له الرياحُ من التّكسُّرْ

وقال يصف افتراقه عند رأس الروضة :

لِلّهِ يومٌ أناله النيلُ لُحسْنه جمـلةٌ وتفصيـلُ .
فى منظرٍ مشرفٍ على خضرٍ كأنّه فى الظلام قِنْديلُ
تُبدى لنا جانبا جزيرتهٌ أشيًا بها للعينِ تأميلُ
ورقه جسره وتفريكه المو ج وفى نَـكْتِه للخليج تجميلُ

---

(١) خطط المقريزى ١ : ١٠١ .
(٢) ط ، ح : « غمامة » .
(٣) المقريزى : « مستقبل » .

ابن الساعاتى :

ولمّا توسطْنَا على النيل غُدوةً ظننت وقلتُ اليومَ باللّهو ملآنُ

عشاريّةٌ أنشا لهـا الماء مقلةً وليس لها إلا المجاذِيف أجْفَانُ

محيي الدين بن عبد الظاهر :

نيل مصرٍ لمن تأمل مرأى حسنه معجزٌ وبالحسن معجبُ

كَمْ به شاب فوْدُها وعجيبٌ كيف شابت بالنيل والنيل يخضب!

وقال :

كم قطّع الطُّرقَ نيلُ مصرٍ حتى لقـد خافَهُ السَّبيلُ

بالسيف والرمح من غديرٍ ومن قناةٍ لهـا نصولُ

ابن نباته :

زادتْ أصابعُ نيلِنـا وطَغَتْ وطافت فى البلاد

وأتتْ بـكلّ مسرّةٍ ماذِى أصابعُ ذى أيادِى

النصير الحمامىّ :

إن عَجّـل النَّيروز قبل الوفَا عجّل للعالَم صفع القَفـا

فقـد كفَى من دمعهم ما جَرَى وما جرى من نيلِهم ما كَفى

ناصر الدين حسن بن النقيت :

كأنّ النيل ذُو فَهْمٍ ولُبّ لما يبدو لعينِ النّاسِ مِنْهُ(١)

فيأتِي عند حاجتهم إليـه ويمضِى حين يستغنون عنهُ

آخر :

النِّيل قالَ وقولُه إذْ قال ملءِ مسامعِى

(٢) القريزى ١ : ١٠١ ، نهاية الأرب ١ : ٢٨١ .

في غيظ مَنْ طلب العلا عمّ البــــلادَ
وعيونهمْ بعـــد الوَفَا قلّعتهُـــا بأه

شمس الدين بن دانيال الحكيم :

كأنّما النيلُ الخِضَمُّ إذ بدا يروى حديثا وهو ذو
لمّا رأى الأرض بها شقيقه ضمّخهـــا بمائه الـ

آخر :

يانيل إجْرِ على حسن العوائدِ فى أرجاء مصركَ واجْبُرْ كلّ
واعلم بأنك مصرىٌّ فلستَ ترى حلو الفكاهة مالم تأتِ

خليل بن الكفتى :

مولاىَ إن البَحر لمّـا زرتَه حيّاك وهو أخو الوفا با
فانظر لبسطتِه فرؤيتك الّتى هى مشتهاهُ وروضة
أرخى عليه السّتر لما جئتَه خجَلاً ومدّ تضرعا با

آخر :

سَدُّ الخليجِ بكَسْره جُبِرَ الورى طُرًّا فكلٌّ قد غدا مَسْ
الماء سلطانٌ فكيف تواترتْ عنه البشائر إذ غدا مـ

شمس الدين سبط الملك الحافظ :

لله دَرّ الخليج إنّ له تفضُّـــلاً لانزال نـ
حسبُك منـــه بأنّ عادته يجبر مَنْ لا يزال يـ

الصلاح الصفدىّ :

رأيتُ فى أرض مصرَ مذْ حللتُ بها عجـائباً ما رآها النّاس فى
تسودّ فى عينِيَ الدّنيا فلم أرَهَا تبيضّ إلا إذا ما كنتُ فـ

وقال :

رَكبتُ فى النيل يوماً معْ أخى أدبٍ ... فقال : دعْنِيَ مِن قَال ومِنْ قِيلِ
شرحتَ يابحر صدرى اليوم قلتُ له: ... لا تنكر الشَّرْحَ يانحوىّ للنيلِ

وقال :

قالوا علاَ نيلُ مصرٍ فى زيادتِهِ ... حتى لقد بلَغ الأهرامَ حين طَمَا
فقلت : هــذا عجيبٌ فى بلادكمُ ... أنَّ ابنَ ستةَ عشرٍ يبلغ الهرَمَا

وقال :

قد زادَ هــذا النِّيلُ فى عامِنا ... فأغرق الأرض بإنعامِــــهِ
وكاد أن يعطفَ من مائِه ... عُرًى على أزرارِ أهرامِهِ

تميم بن المعز العُبيدىّ :

يومٌ لنــــا بالنيل مختصَرُ ... ولكل يوم لذاذةٍ قِصَرُ(١)
والسُّفْن تجرى كالخيول بنَا ... صُعُداً وجيش الماء منحدرُ(٢)
فكأنمــــا أمواجُه عُكَنٌ ... وكأنمــــا داراتُه سُرَرُ

آخر :

مدَّ نيلُ الفسطاط فالبرّ بحرٌ ... زاخرٌ فيه كلُّ سفنٍ تعومُ
فكأنّ الأرضين منــــه سَماء ... وكأنّ الضِّياع فيهــــا نجومُ

ظافر :

ولله مجرى النيل فيها إذَا الصبا ... أرتْنَا به فى سيرها عسكرا مُجْرَى
فشطٌّ يهزّ السَّمهريّةَ ذُبَّلا ... ونهرٌ يهزّ البِيض هِنْدِيَّةً بُتْرا

---

(١) ديوانه ٢٤١ ، وفيه : « يوم مسرة » .

(٢) الديوان : « السفن تصعد » . . . « فى موجه والماء ينحدر » .

إذا مَدَّ حاكى الورد غضًّا وإن صَفَا   حكى ماؤه لونا ولم يَعْدُه بسرا

أيدمر التركى :

كِيمِياءُ النيـــل خالصةٌ   قد أتَتْنَا منــــه بالعَجَبِ
كان من ذوْبِ اللُّجينِ فقدْ   عاد بالتّدبير من ذهبِ
راقصٌ بالحسْنِ مبتهِـجٌ   فهو فى عُجْب وفى طربِ
ومغانى مصر تسمَعُــــهُ   نغمة الشادى بلا صَخَبِ
ونسيمُ الريح لاعبـــةٌ   فى خلال الرّوْض بالقُضُبِ

إبراهيم بن عبدون الـكاتب :

والنّيل بين الجانبين كأنمـــا   صُبَّتْ بصفحتِهِ صَفيحةُ صيْقلِ
يأتيك من كدر الزّواخر مدُّه   بممسَّكٍ من مائِهِ ومُصَنْدَلِ
فـكأنّ ضوء البـدر فى تمويجِهِ   برق يموّج فى سحاب مسبل
وكأنّ نور السّرج من جَنَباته   زهرُ الـكواكب تحت ليلٍ أليَلِ
مثل الرياض مصنّفا أنوارها   يبـــدو لعـين مشبّه وممثّل

آخر :

أرى أبداً كثيرا من قليـــلٍ   وبدراً فى الحقيقة من هلالِ [1]
فلا تعجبْ فـكلّ خليــج ماءٍ   بمصر مشبَّهٌ بخليــج مالِ
زيادة إصبـعٍ فى كلّ مـــدٍّ   زيادة أذرُعٍ فى كلّ حالِ

الأمير تميم بن المعز :

نظرْتُ إلى النيل فى مَـــدِّهِ   بمـــوجٍ يزيد ولا ينقصُ [2]
كأن معـاطفَ أمواجِـــــه   معـــاطفُ جاريةٍ ترْقصُ

---

(١) المقريزى ١ : ١٠٢ .

(٢) ديوانه ٢٥٥

أيدمر التركيّ :

انظُرْ إلى النِّيـل السعيد المقبـلِ | والمـاء فى أنهـاره كالسلسِل
أضحى يريك الحسنَ بين مُورَّدٍ | من لونه حيناً وبين مُصَنْدَلِ
ويمرّ فى قيـــدِ الرياح مسلسلاً | بأحسنه من مطلـــقٍ ومُسَلْسَلِ
وترى زوارقَهُ على أمواجِـــهِ | منسوبةً للنَّـــاظر المتأمِّلِ
مثلُ العقارب فوق حيّاتٍ غدتْ | يسعَى بهـــا فى عَدْوِها ما يأتلى
وكأنّما أسماكهُ من فِضَّـــةٍ | مِنْ جُمْـدِ ذائبِ مائه من أوّل

بعضهم :

أتطالبُ من زمانك ذا وفاءً | وتأمُل ذاك جَهْـلاً من بنيـــهِ
لقـــد عـدم الوفاء به وإنّى | لأعجبُ من وفاء النّيل فيـــه

***

ومن كلام القاضى الفاضل فى وصف النّيل المصرىّ الّذى يكسو الفضاء ثوبا فضِّيّاً ، ويدلِى من الأرض ماءه سراجا من النوّر مضيّـاً ، ويتدافع تيّاره واقفاً فى صدر الجدْب بيد الخصْب ، ويرضع أمهات خاجه المزارعَ فيأبَى أبناؤها بالعصْفِ والأبّ [١] .

وقال فيه أيضا :

وأما النّيل فقد امتدّتْ أصابعه ، وتـكسرت بالموج أضالعه ، ولا يُعرف الآن قاطع طريق سواه ، ولا مَنْ يرجى ويُخاف إلا إيّاه [٢].

وقال أيضا :

وأمّا النِّيل المبارك فقد ملأ البقاع ، وانتقل من الإصبع إلى الذراع ، فـكأنّما غارَ على الأرضِ فغطّاها ، وأغار عليها فاستقعد وماتخطّاها [٣] .

(١) مسالك الأبصار ٢ : ٦٧ . (٢) مسالك الإبصار ١ : ٦٧ .
(٣) المقريزى ١ : ١٠٢ ، نهاية الأرب ١ : ٢٨١ .

ومن كتاب السجع الجليل فيما جرى من النيل :

وأما البحرُ الّذى بنى عليه عنوان هذه العبوديّة ، فلا تسأل عمّا جرى منـــه ، وما نقلت الرّواة من العجائب عنه ؛ وذلك أنّه عمّ فى أوّل قدومه بالنفع البـلاد ، وساوى بين بطون الأودية وظهورها الوهاد . وقـدِم المفرد مبشّراً بوفائه فى جمـعٍ لانظير له فى الآحاد ، واحمرّت على مَنْ طلب الغلاءَ عيونه ، وتـكفّل للمعسر بأن يوفِى بعـــد وفائه ديونه ، ونزل السّعر حين أخذ منه طالع الارتفاع ، وأحدق بالقرى فأصبح كأنه سماوات كوا كبها الضِّياع ؛ فلم يكن بعد ذلك إلا كلمح البصر أو هو أقرب ، حتى عَسَل[1] فى شوارع مصر كما عسل الطريق الثعاب ، وجاس خلال ديارها فأصبح على زرائبها المبثوثة بسطة، وأحاط بالمقياس إحاطة الدائرة بالنقطة. ثم علتْ أمواجُه ، واشتدّ اضطرابه، وكاد يمتزج بنهر المجرّة الذى الغمام زبده والنجوم حَبابه .

وشرّقَ حتى ليس للشّرقِ مشرقٌ   وغرّب حتى ليس للغرب مغربُ

إلى أن قال : أما دير الطِّين فقد لبَّس سقوفَ حيطانِهِ ، واقتلع أشجار غيطانه ، وأتى على مافيه من حاصلٍ وغلّة ، وتركه ملقة فـكان كما قيل : زاد الطّين بِلّة.

وأما الجيزة فقد طغَى الماء على قناطرها وتجسّر ، ووقع بها القصب من قامتِه حين علا عليه الماء وتـكسّر ، فأصبح بعد اخضرار بزّته شاحب الإهاب ، ناصل الخضاب ، غارقاً فى قعر﴿ بحر لجيٍّ يغشاه موج من فوقه موجٌ من فوقه سحاب﴾ ، وقطع طريق زاويتها على مَنْ بها من المنقطعين والفقراء ، وترك الطالح كالصالح يمشى على الماء ﴿ فتنادَوْا مصبحين . ألاّ يدخلنّها اليوم عليـكم مسكين﴾ ، وأدركهم الغرق فأيسوا من الخلاص ﴿وغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ فنادوا ﴿ ولات حين مناص ﴾ ، ﴿وخرّ عليهم السقف من فوقهم﴾ فانهدّت قواهم ، واستغاثوا من كثرة الماء بالذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم .

وأما الروضة فقد أحاط بها إحاطة الـكمام بزهرِه ، والـكأس بحباب خمره :

فـكأنها فيـــه بساط أخضرٌ   وكأنّه فيهـــا طرازٌ مذهبُ

---

(١) عسل ، أى سار مسرعا .

فكم بها من مُتْهِم ومنْجِد ، ومسافر مما حصل له من المقيم المقعد . وحائك أصبح حول نَوْله ينير ، وجعل من غَزْله بل من غيظه على أجيره يحمل ويسير . ومنجّم وصل الماء من منزله إلى العتبة الخارجة فأصبح فى أنحس تقويم ، ودخل إلى بيت أمراضه ﴿ فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم ﴾ ، فأصبح فى الطريق وعليه كآبة وصُفرة ، ودموعه فى المحاجر كالحَصَى لها اجتماع وحمرة . وشاعر أوقعه فى الضرورة بحْره المديد ، واشتغل بهدم داره عن بيت القصيد ، وعروضىّ ضاقت عليه الدائرة فقال : هذه الفاصِلة ، وقلع من عروض بيته وتِدًا أزعج بقلعه مفاصلَه . ونحوىّ اشتغل عن زيد وعمرو يبلّ كتبه ، وذَهَل حين استوى الماء والخشبة ، عن المفعول معه والمفعول به ، وطار عقله لا سيّما عن تصانيف ابن عصفور ، وأخبر أنّ البحر وأثاث بيته جارٌّ ومجرور .

وأما الجزيرة الوسطى فقد أفسد جلّ ثمارها ، وأتى على مقاتيها فلم يدع شيئاً من رديّها وخيارها ، وألحق موجودها بالمعدوم ، وتلا على التكرورى ﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ ، وأخاق ديباج روضها الأنُف ، وترك قُلْقاسها بمدّه وجزره على شفا جرُف .

وأما المنشاة فقد أصبحتْ للهجر مقرّة ، بعد أن كانت للعيون قُرّة ، وقيل لمنشيها : ﴿ أنَّى يُحيي هذه الله بعد موتها ﴾ ، فقال : ﴿ يُحْيِيها الذى أنشأها أول مرّة ﴾ . ومال على ما فيها من شوَن الغلات كلّ الميل ، وتركها تتلو بفمها الذى شقتاه مصراعا الباب : ﴿ ياأبانا مُنِعَ منا الكيل ﴾ .

وأما بولاق فقد أصبحت صعيدًا زلَقًا من الملق ، وقامت قيامة المارّ بها حين التفّت الساق بالساق من الزّلَق ، فكم اقتلع بها شجرة لبتّ رءوسها ، وترك ساقية تنوح على أختها التى أصبحت خاوية على عروشها .

وأما الخليج الحاكى فقد خرج عسكر موجه بعد الكسر على حميّة ، ومرق من قسِىّ قناطره كالسهم من الرميّة ، وتواضَع حين قَبّل بحارةُ زُويلة عِتاب غرفها العالية ، وترك السقايين فى حالة العجز عن وصفها صريع الدلاء وحمّاد الراوية . فأصبحوا من الكساد وقد سئموا الإقامة ، قائلين فى شوارع مصر : يا الله السلامة .

ذكر البشارة بوفاء النيل

جرت العادة كلّ سنة إذا وفّى النيل أن يرسل السلطان بشيراً بذلك إلى البلاد لتطمئنّ قلوب العباد ، وهـذه عادة قديمة ، ولم يزل كتّاب الإنشاء ينشئون فى ذلك الرسائل البليغة ؛ فمن إنشاء القاضى الفاضل فى وفاء النيـل عن السلطان صلاح الدين بن أيوب :

نِعمِ الله سبحانه وتعالى من أضوئها بزوغا ، وأخفاها سبوغاً ، وأصفاها ينبوعا ، وأسناها منفوعا ، وأمدّها بحر مواهب ، وأختمها حسن عواقب . النّعمة بالنيل المصرىّ الذى يبسط الآمال ويقبضها مدّه وجزْرُه ، ويرى النبات حجرُه ، ويحيى مطلعه الحيوان ، ويجنى ثمرات الأرض صنوانا وغير صنوان ، وينشر مطوىّ حريرها وينشر مواتها ، ويوضح معنى قوله تعالى :﴿ وَ بَارَكَ فِيهاَ وَقدَّرَ فيها أقواتها ﴾[1] .

وكان وفاء النيل المبارك تاريخ كذا ، فأسفر وجه الأرض وإن كان تنقّب ، وأمِن يوم بشراه مَنْ كان خائفا يترقّب ، ورأينا الإبانة عن لطائف الله التى خفقَت الظنون ، ووفَتْ بالرزق المضمون ، ﴿ إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾[2] . وقد أعلمناك لتستوفىَ حقّه من الإذاعة ، وتبعده من الإضاعة ، وتتصرّف على مانصرّفك من الطاعة ، وتشهر ما أورده البشير من البُشرى بإبانته ، وتمدّه بإيصال رسمه مُهنّى على عادته[3] .

***

وكتب القاضى محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر عن السلطان إلى نائب السلطنة بحلب بشارة بوفاء النيل :

---

(١) سورة فصلت ١٠ . (٢) الأنعام ٩٩

(٣) ثمرات الأوراق (على هامش المستطرف) ٢ : ٦٠ ، ٦١ .

أعز الله أنصار المُقِرّ وسرّه بكلّ مَبْهَجة ، وهنّأه بكل مَقْدَمةٍ سرور . تفدُ والخصب والبركة منتجة ، وبكلّ نعمى لا تصبح لِمنّة السحاب مُحْوَجة ، وبكلّ رُحمى لا يستمدّ لأيّامها الباردة ولا لياليها الثلجة . هـذه المكاتبة تفهمه أنّ نعم الله وإن كانت متعدّدة ، ومِنَحَه وإن غدت بالبركات متردّدة ، ومنّته وإن أصبحت إلى القلوب متودّدة ، فإنّ أشملها وأكملها ، وأجملَها وأفضلها ، وأجزلها وأنهلَها ، وأتمّها وأعمّها ، وأضمّها وألمّها ، نعمة أجزأت المنّ والمِنْح ، وأنزلت فى برك سفح المقطم أغزَر سفْح . وأتَتْ بما يُعجب الزّراع ، ويعجّل الهرّاع ، ويعجز البرق اللمّاع ، ويعلّ القطاع ، ويغلّ الأقطاع ، وتنبعث أفواهه وأفواجُه ، ويمدّ خطاها أمواهه وأمواجُه ، ويسبق وفدَ الريح من حيث ينبرِى ، ويغبط مريخُه الأحمر القمرَ لأنّ بيته السّرطان كما يغبط الحوتَ لأنه بيت المشترِى ، ويأتى عجبه فى الغدِ بأكثر من اليوم وفى اليوم بأكثر من الأمس ، ويركب الطريق مجداً فإن ظهر بوجهه حمرة فهى مايعرض للمسافر من حرّ الشمس . ولو لم تكن شقّته طويلةً لما قيست بالذِّراع ، ولولا أنّ مقياسه أشرف البقاع لما اعتبر ماتأخّر من ماء حوله الماضى بقاع ، بينما يكون فى الباب إذا هو فى الطّاق ، وبينما يكون فى الاحتراق إذا هو فى الاختراق للإغراق ، وبينما يكون فى المجارِى ، إذا هو فى السوارى ، وبينما يكون فى الجباب إذا هو فى الجبال ، وبينما يقالُ لزيادته : هذه الأمواه إذ يقال لغلاّته : هذه الأموال . وبينما يكون ماء إذ أصبح حِبْرا ، وبينما هو يكسب تجارة قد أكسب بحراً ، وبينما يفسد عراه قد أتى بعرار جسور على الجسور جيشه الكرّار ، وكم أمست التِّراع منه ترُاعُ والبحار منه تحار . كم حسنت مقطّعاته على مرّ الجديدين ، وكم أعانت مرارة مقياسه على الغرو من بلاد سيس على العمودين[1] . أتمّ الله لطفه فى الإتيان به على التّدريج ، وأجراه بالرّحمة إلى نقص العيون بالتفرج والقلب بالتفريج ، فأقبل جيشه بمواكبه ، وجاء يطاعن الجذب بالصوارى من مراكبه ، ويصافف

(١) كذا فى الأصول .

لجاجةَ الجسور فى بيداء لججه ، ويثاقِف القحط بالتراس من بركه والسّيوف من خُلُجه .

ولمّا تـكامل إيابه ، وصح فى ديوان الفلاح والفلاحة حسابُه ، وأظهر ماعنده من ذخائر التيسير وودائعه ، ولفظ [1] عموده حمل ذلك على أصـابعه . وكانت السّتة عشر ذراعا تسمّى ماء السلطان ، نزلنا وحضرنا مجلس الوفاء المعقود ، واستوفينا شكر الله تعالى بفيض ماهو من زيادته محسوب ومن صدقاتنا مخرج ومن القحط مردود ، ووقع تيّاره بين أيدينـا سطوراً تفوق ، وعلت يدنا الشريفة بالَخلُوق ، وحمدنا السير كما حمـد لنا السرى ، وصرفناه فى القُرى للقِرى ، ولم نحضره فى العـام الماضى فعملنا له من الشـكر شكرانا وعمل هو ماجـرى .

وحضرنا إلى الخليج وإذا به أمم قدتلقّونا بالدعاء المجاب ، وقرظونا فأمرنا ماءه أن يحثوَ من سدّه فى وجوه المداحين التراب ، ومرّ يبدى السادّ ويعيدها ، ويزور منازل القاهرة ويعودها ، وإذا سئل عن أرض الطبالة ، قال : جُنِنّا بليلى ، وعن خلجها ، وهى جُنّت بغيرنا . وعن بركة الفيـل قال : وأخرى بنا مجنونة لا نريدها . ومابرح حتى تعوّض عن القيعان البقيعة ، من المراكب بالسرر المرفوعة ، ومن الأراضى المحروثه ، من جوانب الأدرب بالزرابىّ المبثوثه .

وانقضى هذا اليوم عن سرور لمثله فليحمد الحامدون ، وأصبحت مصر جنة فيهـا ماتشتهى الأنفس وتلذ الأعين وأهلها فى ظلّ الأمن خالدون . فليأخذْ حظّه من هذه البشرى التى ماكتبنا بها حتى كتبت بها الرياح إلى نهر المجرّة إلى البحر المحيط ، ونطقت بها رحمة الله تعالى إلى مجاورى بيته من لابسى التقوى ونازعى المخيط ، وبُشّرَت بها مطايا المسير الذى يسير من قوص غير منقوص ، ويتشارك بها الابتهاج فى العالم فلا مصر دون مصر بها مخصوص .

---

(١) كذا فى الأصول .

والله تعالى يجعل الأولياء فى دولتنا يبتهجون بكلّ أمر جليل ، وجيران الفرات يفرحون بجريان النيل .

وكتب الصلاح الصفدىّ بشارة إلى بعض النوّاب فى بعض الأعوام :

ضاعف الله نعمة الجناب وسرّ نفسه بأنفس بُشرَى ، وأسمعه من الهناء كلّ آيةٍ أكبر من الأخرى ، وأقدم عليه من المسارّ ما يتحرّز نَاقِلُه ويتحرّى، وساق إليـه كل طليعة إذا تنفس صبحها تفرّق الليل وتفرّى ، وأورد لديه من أنباء الخِصْب مايتبرّم به محلّ المَحْل ويتبرّى .

هذه المكاتبة إلى الجناب العالى نخصّه بسلام يُرى كالماء انسجاما ، ويروق كالزهر ابتساما، ونتحفه بثناء جعل المسك له ختاما ، وضرب له على الرياض النافحة خياما ،ونقصّ عليه من أنباء النيل الذى خصّ الله البلاد المصرية بوفادة وفائه ، وأغنى به قطرَها عن القَطْر فلم تحتج إلى مدّ كافه وفائه ، ونزّهه عن مِنّة الغمام الذى إن جاد فلا بدّ من شهقة رعدِه ودمعة بكائه ، فهى الأرض التى لا يُذمّ للأمطار فى جوّها مطار ، ولا يُزمّ للقطّار فى نفعها قطار ، ولا تُرْمِد الأنواء فيها عيونَ النّوّار ، ولا تشيب بالثلوج مفارق الطرق ورءوس الجبال ، ولا تفقـد فيها حُلى النجوم لاندراج الليـلة تحت السحب بين اليوم وأمس ، ولا يتمسّك فى سنائها المساكين كما قيل بحبال الشمس ،فتأين أرضٌ يَخُدّ عجاجها بالبحر العجّاج ، وتزدحم فى ساحاتها أفواجُ الأمواج ، من أرضٍ لاتنالُ السُّقيا إلابحرب لأنّ القَطر سهام والضباب عجاج قد انعقد ، ولا يعُمُّ الغيث بقاعها لأنّ السحبلاتراهاإلا بسراج البرق إذا اتّقد . فلو خاصم النيلُ مياه الأرض لقال: عندى قبالة كلّ عين إصبَع ، ولو فاخرها لقال : أنت بالجبال أثقل وأنا بالملق أطبع . والنيل له الآيات الكُبَر ، وفيـه العجائب والعِبَر ، منها وجود الوفاء عند عدم الصفا ، وبلوغ الهرم ، إذا احتد واضطرم ، وأمن كل فريق، إذا قُطع الطريق ، وفرح قطان الأوْطان إذا كسر وهو كمايقال سُلطان.

(حسن المحاضرة ٢/٢٤)

وهو أكرم منتدى ، وأعزب محتبَى ، وأعظم مجتدَى ، إلى غير ذلك من خصائصه ، وبراءته مع الزيادة من نقائصه .

وهو أنه فى هذا العام المبارك جذب البلاد من الجدْب وخلّصها بذراعه ، وعصمها بخنادقه التى لا تُراع من تِراعه ، وحصّنها بسوارى الصوارى تحت قلوعه وما هى إلا عمُـد قلاعه ، وراعى الأدب بين أيدينا الشريفة بمطالعتنا فى كلّ يوم بحر قاعه فى رقاعه ، حتى إذا أكمل الستة عشر ذراعا وأقبلت سوابق الخيل سراعا ، وفتح أبواب الرحمة بتغليقـه ، وجد فى طلب تخليقه ، تضرّع بمدّ ذراعه إلينا ، وسلم عند الوفاء بأصابعه علينا . ونشر عَلَم ستره ، وطلب لـكرم طباعه جَبْرَ العالم بكسره ، فرسمنا بأن يخلّق ، ويعلّم تاريخ هنائه ويعلّق ، فـكسر الخليج وقد كاد يعلوه فوق موجه ، ويُهيل كثيب سدّه هول هيجه ، ودخل يدوس زرابىّ الدور المبثوثة ، ويجوس خلال الحنايا كأن له فيها خَبايا موروثة . ومرّ كالسهم من قسىّ قناطره المنكوسة ، وعلاه زَبَد حركته ولولاه ظهرت فى باطنه من بدور إنائه أشعتُها المعـكوسة . وبشر بركة الفيل ببركة الفال ، وجعل المجنونة من تياره المنحدر فى السلاسل والأغلال ، وملأ أكفّ الرجا بأموال الأمواه ، وازدحمت فى عبارة شكره أفواج الأفواه . وأعلَمَ الأقلام بعجزها عما يدخل من خراج البلاد ، وهنأت طلائعُه بالطوالع التى نزلت بركاتها من الله على العباد .

وهذه عوائد الألطاف الإلهيّة بنا لم نزلْ نجْلس على موائدها ؛ ونأخذ منها ما نَهبُه لرعايانا من فوائدِها . ونخصّ بالشكر قوادمَها فهى تدبّ حولنا وتدرج ، وتخصّ قوادمها بالثناء والمدح والحمد فهى تدخل إلينا وتخرج .

فليأخذ الجنابُ العـالى حظّـه من هذه البشرى التى جاءت بالمنّ والمَنْح ، وانهلّت أياديها المغدقة بالسّح والسفح ، وليتلقّاها بشكرٍ يضىء به فى الدجى أديم الأفُق ، ويتخذها عِقْدًا تحيط منه بالعنق إلى النطُق ، وليتقدم الجناب العالى بألّا يحرّك الميزان فى هذه البشرى بالجباية لسـانه ، وليعط كلّ عامل فى بلادنا بذلك أمانه ، وليعمل بمقتضى هذا المرسوم

حتى لا يرى فى أسقاط الجباية خيانة ، والله يديم الجناب العالى لقصّ الأنباء الحسنة عليه، ويمتّعه بجلاء عرائس التهانى والأفراح لديه .

***

وكتب الأديب تقىّ الدين أبو بكر بن حجة بشارة عن الملك المؤيد شيخ ، سنة تسع عشرة وثمانمائة :

ونبدِى لعلمه الكريم ظهور آية النيل الّذى عاملنا الله فيه بالحسنى وزيادة ، وأجراه لنا فى طرُق الوفاء على أجمل عادة ، وخلق أصابعه ليزول الإبهام فأعلِن المسلمون بالشهادة ، كسر بمسرى[1] فأمسى كلّ قلب بهذا الكسر مجبورا ، وأتبعناه بنوروز[2] وما برح هذا الاسم بالسعد المؤيدىّ مكسورا ، دقّ قفا السودان فالراية البيضاء من كلّ قلع عليه ، وقبّل ثغور الإسلام فأرشفها ريقه الحلو فمالت أعطاف غصونها إليه ، وشبّب خريرُه فى الصعيد بالقصب ، ومدّ سبائكه الذهبية إلى جزيرة الذهب ، فضرب الناصرية واتّصل بأم دينار ، وقلنا : لولا أنه صُبِغ بقوّة[3] لما جاء وعليه ذلك الاحمرار .

وأطال الله عمر زيادته فتردّد إلى الآثار ، وعمّته البركة فأجرى سواقى ملكه إلى أن غدتْ جنّةً تجرى من تحتها الأنهار ، وحضن[4] مشتهى الرّوضة فى صدره ، وحنا عليها حنوّ المرضعات على الفطيم .

وأرشفنا على ظمأ زلالًا   ألذّ من المُدامة للنديم

وراق مديد بحره لما انتظمت عليه تلك الأبيات ، وسقى الأرض سُلافته الحرية لخدمته بحلوِ النبات ، وأدخله إلى جنّات النخيل والأعناب فالق النوى والحبّ ، فأرضع [فى أحشاء الأرض[5]] جنين النّبْت ، وأحيا له أمهات العصف والأبّ . وصالحته كفوف الموز لختمها

(١) ط : « جسره » .
(٢) ط : « بنوروزه » .
(٣) حلية الكميت : « ملئه » .
(٤) ط : « وحصن » .
(٥) من حلية الكميت .

بخواتمه العقيقيّة ولبس الورد تشريفه ، وقال : أرجو أن تـكون شوكتى فى أيامه قويّة ، ونسى الزهر بحلاوة لقائه مرارة النّوى ، وهامت به مخدّرات الأشجار فأرخت ضفائر فروعها عليه من شدّة الهوَى ، واستوفى النبات ما كان له فى ذمة الرىّ من الديون ، ومازج الحوامض بحلاوته فهامَ النّاس بالسّكّر والليمون ، وانجذب إليه الـكباد وامتدّ، ولـكن قوى قوسه لمّا حظِىَ منه بسهم لا يردّ ، ولبس شَربوش الأترجّ وترفع إلى أن ابس بعده التاج ، وفتح منثور [1] الأرض لعلامته بسمَة الرزق وقد نفذ أمره وراج ، فتناول مقالم الشنبر وعلّم بأقلامها ، ورسم [2] لمحبوس كلّ سدّ بالإفراج ، وسرّح بطائق السفن نخفقت أجنحتها بمخلّق بشائره ، وأشار بأصابعه إلى قتل المحْل فبادر الخصب إلى امتثال أوامره ، وحظى بالمشوق وبلغ من كلّ منْية مناه ، فلا سكن على البحر إلا تحرك ساكنه بعد ماتفقّه وأتقن باب المياه ، ومدّ شفاه أمواجه إلى تقبيل فم الخوْر [3] ، وزاد مترعه [4] فاستحلَى المصريون زائدَه على الفوْر ، ونزل فى بركة الحبش فدخل التّـكرور فى طاعته ، وحمل على الجهات البحرية فـكسر المنصورة وعلا على الطويلة بشهامته ، وأظهر فى مسجد الخضر عين الحياة فأقر الله عينه ، وصار أهل دمياط فى برزخ بين المالح وبينه ، وطلب المالح ردّه بالصدر وطعن فى حلاوة شمائله ، فما شعر إلا وقد ركب عليه ونزل فى ساحله .

وأما المحاسن فدارت دوائره على وَجَنات الدهر عاطفة ، وثقلت أردافُ أمواجه على خصُور [5] الجوارى واضطربت كالخائفة ، ومال شيّق النخيل إليه فلثم ثغر طلعِه وقبّل سالفه ، وأمست سود الجوارى كالحسنات على حمرة وجناته ، وكلما زاد زاد الله فى حسناته ؛ فلا فقير سدّ إلا حصل له من فيض نعماه فتُوح ، ولا ميّت خليج إلا عاش به

---

(١) الثمرات : « منشور » .

(٢) ح : « لـكل سد » .

(٣) الثمرات : « الجسر » .

(٤) ح : « زاد بسرعة » .

(٥) فى الأصول : « حضور » ، وصوابه من الثمرات .

ودبّت فيه الروح ، ولكنه احمرّت عينه على الناس بزيادة وترفّع ، فقال له المقياس : عندى قبالة كلّ عين أصبع . ونشر أعلام قلوعِهِ وحمل وله على ذى الجزيرة زجَرة ، ورام أن يهجم على غير بلاده فبادر إليه عزم [١] المؤيدىّ وكسرَه .

وقد آثرنا الجناب بهذه البشرى الّتِى سرى فضلُها برًّا وبحرا ، وحدّثناه عن البحر ولا حرج وشرحنا له حالًا وصدراً ، ليأخذ حظَّه من هذه البشارة البحريّة بالزيادة الوافرة ، وينشق من طيبها[٢] نشرا فقد حملت له من طيبات ذلك النسيم أنفاساً عاطرة . والله تعالى يُوصل بشائرنا الشريفة لسمعه الكريم ليصير بها فى كلّ وقت مشنفا ، ولا برح من نيلها المبارك وإنعامنا الشريف على كلا الحالين فى وفا[٣] .

---

(١) فى الأصول : « عزمنا » ، وما أثبته من الثمرات. (٢) الثمرات : « طيبات » .
(٣) ثمرات الأوراق ٢ : ٦٣ ، و ٦٤ ، حلية الكميت ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

ذكر المقياس

قال ابن عبد الحكم : كان أوّل مَنْ قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام ، ووضع مقياسا بمَنْف ، ثم وضعت العجوز دَلُوكة ابنة زَبّاء مقياساً بأنِصْنَا ؛ وهو صغير الذرع ومقياسا بأخميم . ووضع عبد العزيز بن مروان مقياساً بحُلوان وهو صغير ، ووضع أسامة ابن زيد التنوخيّ فى خلافة الوليد مقياسا بالجزيرة ؛ وهى المسمّاة الآن بالرَّوْضة ، وهو أكبرها ؛ حدّثنا يحيى بن بكير ، قال : أدركت القيّاس يقيس فى مقياس مَنْف ويدخل بزيادته إلى الفسطاط .

هذا ماذكره ابن عبد الحكم [١] .

قال التِّيفاشىّ : ثم هدم المأمون مقياس الجزيرة ، وأسسه ولم يتمّه ، فأتمّ المتوكل بناءه وهو الموجود الآن .

وقال صاحب مباهج الفكر : المقياس الذى بأنِصْنَا ينسب لأشمون بن قُفطيم بن مصر ويقال إنه من بناء دَلُوكة ، وبناؤه كالطيلسان ، وعليه أعمدة بعدد أيام السنة من الصوّان الأحمر .

ورأيت [٢] فى بعض المجاميع مانصّه : قال ابن حبيب [٣] : وجدتُ فى رسالةٍ منسوبة إلى الحسن بن محمد بن عبد المنعم ، قال : لمّا فتحت مصر عرف عمر بن الخطاب مايلقَى أهلها من الغلاء عن وقوف النّيل عن مدّه [٤] فى مقياس لهم فضلا عن تقاصره ، وإن فَرْط الاستشعار يدعوهم إلى الاحتكار ، ويدعو الاحتكار إلى تَصَاعُد الأسعار بغير

---

(١) فتوح مصر ١٦ .

(٢) نقله المقريزى ٤ : ٩٣ عن القضاعى .

(٣) فى المقريزى : « يزيد بن حبيب » .

(٤) المقريزى : « حده » .

قحط ، فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ، يسأله عن شرح الحال ، فأجابه فقال عمرو [١] : إنى وجدت ماتروَى به مصر حتى لا يقحط أهلُها أربعة عشر ذراعا ، والحدّ الذى يروى منه سائرها حتى يفضل عن حاجتهم ويبقَى عندهم قوت سنة أخرى ستة عشر ذراعا ، والنهايتين [٢] المخوفتين فى الزيادة والنقصان — وهو الظمأ والاستبحار — اثنتا عشرة ذراعا فى النقصان وثمانى عشرة ذراعا فى الزيادة ؛ هذا والبلد فى ذلك محفور الأنهار ، معقود الجسور ، عندما تسلموه من القِبْط وخمير العمارة فيه .

فاستشار عمر بن الخطاب علىّ بن أبى طالب فى ذلك ، فأمره أن يكتب إليه بأن يبنى مقياسا ، وأن ينقص [٣] ذراعين على اثنتى عشرة ذراعا ، وأن يقرّ مابعدها على الأصل ، وأن ينقص من ذراع بعد الستة عشر ذراعا إصبعين .

ففعل ذلك وبناه بحلوان ، فاجتمع له ما أراد من حال الأرجاف ، وزال ما منه كان يخاف ، بأن يجعل الاثنتى عشرة ذراعا أربع عشرة ذراعا ؛ لأنّ كل ذراع أربعة وعشرون إصبعا ، فجعلها ثمانية وعشرين من أوّلها إلى الاثنتى عشرة ذراعا ، تكون مبلغ الزيادة على الاثنتى عشرة ثمانية وأربعين إصبعا ؛ وهى الذراعان ، وجعل الأربع عشرة ستّ عشرة والسّتة عشرة ثمانى عشرة ، والثمانى عشرة عشرين ذراعا ، وهى المستقرّة الآن [٤] .

وقال بعضهم : كتب الخليفة جعفر المتوكلّ إلى مصر يأمر ببناء المقياس الجديد الهاشمىّ فى الجزيرة سنة سبع وأربعين ومائتين ؛ وكان الذى يتولّى أمرَ المقياس النصارىّ ، فورد كتاب أمير المؤمنين المتوكل فى هذه السنة على بكّار بن قتيبة قاضى مصر ، بألّا يتولّى ذلك إلا مسلم يختاره ؛ فاختار القاضى بكّار لذلك الردّاد عبد الله بن

---

(١) فى الأصول : « عمر » وهو خطأ . (٢) المقريزى : « والنهايتان » .
(٣) فى ط : « يغض » ، وما أثبته من المقريزى والأصل .
(٤) المقريزى ١ : ٥٤

عبد السلام المؤدّب،وكان محدثا فأقامهالقاضى بكار لمراعاة المقياس ، وأجرىعليه الرزق ، وبقى ذلك فى ولده إلى اليوم .

وقال صاحب المرآة : المقياس الظاهر الآن بناه المأمون ، وقيل إنما بناه أسامة بن زيد التنوخىّ فى خلافة سليمان بن عبد الملك ، ودَثَر فجدّده المأمون . وبنى أحمد بن طولون مقياسين ؛ أحدهما بقوص وهو قائم اليوم ، والآخر بالجزيرة وقد انهدم .

قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر فى العود الذى يطلع به المقسى قيــاس النيل فى كل يوم بزيادة النيل :

قد قلت لمّــا أتى المقسى وفى يدِهِ　　عودٌ بهالنيلقد عُودىوقدنودِى
أيّام سلطاننا سعد السعود وقد　　صحّ القياس بجرْى الماء فى العود

ذكر جزيرة مصر وهى المسماة الآن بالروضة

قال المقريزىّ : اعلم أنّ الرّوضة تطلق فى زماننا على الجزيرة التى بين مدينة مصر وبين مدينة الجيزة ، وعرفت فى أول الإسلام بالجزيرة وجزيرة مصر ، ثم قيل لها جزيرة الحصن ، وعرفت الروضة من زمن الأفضل بن أمير الجيوش إلى اليوم . انتهى .

والجزيرة كلّ بقعة فى وسط البحر لا يعلوها البحر، سميت بذلك لأنها جُزِرت، أى قطِعت وفُصِلت من تخوم الأرض ، فصارت منقطعة .

وفى الصِّحاح : الجزيرة : واحدة جزائر البحر ؛ سمّيت بذلك لانقطاعها عن معظم الأرض .

وقال ابن المتوّج فى كتابه إيقاظ المتغفّل واتعاظ المتأمل : إنّما سميت جزيرة مصر بالرّوْضة ، لأنه لم يكن بالديار المصرية مثلها وبحر النيل حائز لها ودائر عليها ، وكانت حصينة، وفيها من البساتين والثمار مالم يكن فى غيرها .

ولما فتح عمرو بن العاصى مصر تحصّن الرّوم بها مدة ، فلما طال حصارها وهرب الروم منها خرّب عمرو بن العاصى بعضَ أبراجها وأسوارها ، وكانت مستديرة عليها ، واستمرّت إلى أن عمّر حصنَها أحمد بن طولون فى سنة ثلاث وستين ، ولم يزل هذا الحصن حتى خربه النيل .

***

وقال المقريزى : اعلم أن الجزائر التى هى الآن فى بحر النيل كلّها حادثة فى الإسلام ما عدا الجزيرة التى تُعرَف اليومَ بالروضة تُجاه مدينة مصر؛ فإن العرب لمّا دخلوا مع عمرو ابن العاصى إلى أرض مصر وحاصروا الحِصْن الذى يعرف اليوم بقصر الشمع فى مصر ؛ حتى فتحه الله عنوةً على المسلمين ، كانت هذه الجزيرة حينئذ تجاه القصر ، لم يبلغنى إلى

الآن مَتَى حدثت ، وأما غيرها من الجزائر كلها فقد تجدّدَتْ بعد فتح مصر ، وإلى هذه الجزيرة التجأ المقوقس لمّا فتح الله على المسلمين القصر ، وصار بها هو ومن معه من جموع الروم والقبط .

وقال ابن عبد الحكم : كان بالجزيرة فى أيام عبد الملك بن مروان أمير مصر خمسمائة فاعل عدة لحريق إن كان فى البلاد أو هدم .

وقال الكندىّ : بنيت بالجزيرة الصّناعة فى سنة أربع وخمسين — والصّناعة اسم لمكان قد أعدّ لإنشاء المراكب البحرية — وأول صناعة عملت بأرض مصر التى بُنيت بالروضة فى سنة أربع وخمسين من الهجرة ، فاستمرّت إلى أيام الإخشيد ، فأنشأ صناعة بساحل فُسطاط مصر ، وجعل موضع الصناعة التى بالروضة بستانا سمّاه المختار .

وقال القضاعىّ : حصن الجزيرة بناه أحمد بن طولون فى سنة ثلاث وستين ومائتين ، ليحرز فيه حرَمه وماله ، وكان سبب ذلك مسير موسى بن بُغَا من العراق واليًا على مصر ، وجميع أعمال ابن طولون ، وذلك فى خلافة المعتمد على الله ، فلمّا بلغ أحمد بن طولون مسيرُه تأمّل مدينة فسطاط مصر ، فوجدها لا تأخذ إلا من جهة النيل ، فبنى الحصن بالجزيرة التى بين الفسطاط والجيزة ليكون معقِلاً لحرمه وذخائره ، واتخذ مائة مركب حربية سوى ما يُضاف إليها من العشاريّات وغيرها ؛ فلما بلغ موسى بن بُغَا بالرّقة تثاقل عن المسير لعظم شأن ابن طولون وقوته ، ثم لم يلبث موسى أن مات ، وكُفى ابن طولون أمره .

وقال محمد بن داود لأحمد بن طولون :

لما قَضَى ابن بُغَا بالرّقتيْن ملا ساقيْه درقًا إلى الكعبين والعقبِ
بنى الجزيرة حِصْناً يَستجِنّ به بالعسْف والضرْب ، والصنّاعُ فى تعبِ
وواثب الجيزة القصوَى نخندَقَها وكاد يُصعق من خوفٍ ومن رُعبِ

له مراكبُ فوق النيل راكدة　　لما سوى القار للنّظار والخشب
ترى عليها لباس الذّل مذ بُنيتْ　　بالشط ممنوعة من عِزّة الطَّلبِ
فما بناها لغزو الروم محتسبٌ　　لكن بناها غداة الرَّوْع للهربِ

وقال سعيد القاص من أبياتٍ :

وإنْ جئتَ رأس الجسر فانظر تأمُّلاً　　إلى الحصن أوْ فاعْبُر إليه على الجسْرِ
ترى أثراً لم يَبْقَ مَنْ يستطيعه　　من النّاس فى بَدْوِ البلاد ولا حَضْرِ

وما زال حصن الجزيرة هذا عامراً أيّام بنى طولون ؛ حتى أخذه النيل شيئًا فشيئًا ، وقد بقيتْ منه بقايا متقطّعة إلى الآن .

وكان نقل الصّناعة من الجزيرة إلى ساحل مصر فى شعبان سنة خمس وعشرين وثلثمائة ، وبنَى مكانَها البستان المختار ، وصُرف على بنائه خمسة آلاف دينار ؛ فاتّخذه الإخشيد متنزَّهًا به ، وصار يفاخر به أهلَ العراق ، ولم يزل متنزَّهًا إلى أنْ زالت الدّولة الإخشيّدية والكافوريّة ، وقدمت الدولة العُبيدية ؛ فكان يتنزّه فيه المعزّ والعزيز ، وصارت الجزيرة مدينةً عامرة بالناس ، بها والٍ وقاض . وكان يقال : القاهرة ومصر والجزيرة ؛ فلمّا استولَى الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الدين ، أنشأ فى بحرىّ الجزيرة بستاناً نَزهاً سمّاه الروضة ، وتردّد إليه تردّداتٍ كثيرةً ؛ ومن حينئذ صارت الجزيرةُ كلها تعرف بالروضة .

قال ابن ميسر فى تاريخ مصر : أنشأ الأفضل الرّوضة بحرىّ الجزيرة ، وكان يمضى كلّ يوم إليها فى العشاريّات الموكبيّة، وكان قتل الأفضل فى سنة خمس عشرة وخمسمائة.

قال : وفى سنة ست عشرة وخمسمائة ، نقل المأمونُ البطائحىّ الوزير عمارةَ المراكب الحربيّة من الصناعة التى بجزيرة مصر إلى الصناعة القديمة بساحل مصر، وبنى عليها منظرةً كانت باقيةً إلى آخر أيام الدولة العلوية، فلما استبدّ الخليفةالآمر بالأمر، أنشأ بجوار البستان

المختار من جزيرة الرَّوْضة مكاناً لمحبوبته البدويّة عُرِف بالهودج ، وذلك لمّا صعب عليها السكنى فى القصور ، ومفارقة ما اعتادته من الفضاء . وكان الهودجُ على شاطئ النيل فى شكل غريب ، ولم يزل الآمر يتردّد إليه للنُّزْهة فيه ، إلى أن ركب إليه يوما ، فلمّا كان برأس الجسر ، وثب عليه قوم كانوا كمنوا له بالروضة ، فضربوه بالسكاكين حتى أثخنوه ، وذلك يوم الأربعاء رابع ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، ونُهب سوق الجزيرة ذلك اليوم .

قال ابن المتوّج : اشترى الملك المظفّر تقىّ الدين عمر بن شاهنْشاه بن أيّوب جزيرة مصر المشهورة بالرَّوْضة من بيت المال المعمور فى شعبان سنة ست وعشرين وخمسمائة ، وبقيت على ملكه إلى أنْ سيّر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولدَه الملك العزيز عثمان إلى مصر ، ومعه عمّه الملك العادل ، وكتب إلى الملك المظفّر أن يسلِّم لهما البلاد ، ويقدم عليه إلى الشام ، فلمّا ورد عليه الكتاب ، ووصل ابن عمه الملك العزيز وعمه الملك العادل ، شقّ عليه خروجه من الديار المصرية ، وتحقّق أنه لا عَوْد له إليها أبدا ، فوقف مدرسته التى تعرف فى مصر بالمدرسة التقوية ؛ وكانت قديماً تعرف بمنازل العزّ على الفقهاء الشافعية ، ووقف عليها جزيرة الروضة بكمالها ، ووقف أيضا مدرسة بالفيّوم ، وسافر إلى عمه صلاح الدين إلى دمشق ، فملّكه حماة ، ولم يزل الحال كذلك إلى أنْ ولىَ الملك الصالح نجم الدين أيوب ، فاستأجر الجزيرة من القاضى فخر الدين أبى محمد عبد العزيز بن قاضى القضاة عماد الدين أبى القاسم عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن السكرىّ مدرس المدرسة المذكورة لمدّة ستين سنة فى دفعتين : كلّ دفعة قطعة ، فالقطعة الأولى من جامع عين إلى المنظر طولًا وعرضا من البحر إلى البحر ، واستأجر القطعة الثانية ، وهى باقى أرض الجزيرة الدائر عليها بحر النيل حين ذاك ، واستولى على ما كان بالجزيرة من النخل

والجمّيز والغروس فكأنه لما عمر الملك الصالح مناظر قلعة الجزيرة قطعت النخل ، ودخلت فى العمائر .

وأما الجميز فإنّه كان بشاطئ بحر النيل صفّ جمّيز يزيد على أربعين شجرة ، وكان أهلُ مصر فرجهم تحتها فى زمن النيل والربيع ، قطعت جميعها فى الدولة الظاهريّة ، وعمرّ بها شوانى عوض الشوانى التى كان سيرّها إلى جزائر قبرص، وتكسّرت هناك ، واستمرّ تدريس المدرسة التقوية بيد القاضى فخر الدين إلى حين وفاته ، ثم وليها بعده ولده القاضى عماد الدين أبو الحسن علىّ ، وفى أيامه تسلم له القطعة المستأجرة من الجزيرة أولا ، وبقىَ بيد السلطنة القطعة الثانية إلى الآن ، وكان الإفراج عنهما فى شهور سنة ثمان وتسعين وستمائة فى الدولة الناصرية ، ولم يزل القاضى عماد الدين مدرّسها إلى حين وفاته، فوليها ولده وهو مدرّسها الآن فى شعبان سنةِ أربع عشرة وسبعمائة . هذا كله كلام ابن المتوج .

ولم تزل الرّوْضة متنزّها ملوكيًا ، ومسكنا للناس إلى أن تسلطَن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد ، فأنشأ بالرّوضة قلعة ، واتّخذها سرير ملك ، فعرفت بقلعة المقياس ، وبقلعة الروضة ، وبقلعة الجزيرة وبالقلعة الصالحيّة . وكان الشُّروع فى حفر أساسها يوم الأربعاء خامس شعبان سنة ثمان وثلاثين وستمائة، ووقع الهدْم فى الدّور والقصور والمساجد التى كانت بجزيرة الروضة ، وتحوّل الناس من مساكنهم التى كانت بها ، وهدم كنيسة كانت لليعاقبة بجانب المقياس ، وأدخلها فى القلعة ، وأنفق فى عمارتها أموالًا جمة ، وبنى فيها الدور والقصور ، وعمل لها ستين برجاً ، وبنى بها جامعا ، وغرس بها جميع الأشجار ، ونقل إليها من البرابى العمد الصوّان والعمد الرخام ، وشحنها بالأسلحة وآلات الحرب وما يحتاج إليها من الغلال والأقوات خشية من محاصرة الفرنج فإنهم كانوا حينئذ على عزم قصد بلاد مصر .

وبالغ فى إتقانها مبالغة عظيمة ؛ حتى قيل إنه استقام كلّ حجر فيها بدينار ، وكلّ طوبة بدرهم ، وكان الملك الصالح يقف بنفسه ، ويرتّب مايعمل ، فصارت تدهش من كثرة زخرفها ، ويحيّر الناظر إليها حسن سقوفها المقرنصة ، وبديع رخامها . ويقال إنه قطع من الموضع الذى أنشأ فيه هذه القلعة ألف نخلة مثمرة ، كان رُطَبُها يهدَى إلى ملوك مصر لحسن منظره ، وطيب طعمه . وخرب البستان المختار والهودج ، وهدم ثلاثة وثلاثين مسجداً كانت بالروضة ، وأدخلت فى القلعة .

واتفق له فى بعض هذه المساجد خبر عجيب : قال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد اليغمورى : سمعت الأمير جمال الدين موسى بن يغمور بن جلدك ، يقول : من عجيب ما شاهدته من الملك الصالح ، أنه أمرنى أن أهدم مسجداً بجزيرة مصر ، فأخرت ذلك ، وكرهت أن يكون هدمُه على يدى ، فأعاد الأمر ، وأنا كاسر عنه ؛ فكأنّه فهم عنى ذلك ، فاستدعى بعضَ خَدَمه وأنا غائب ، وأمره أن يهدم ذلك المسجد ، وأن يبنىَ فى مكانه قاعة ، وقدّر له صفتها ، فهدم ذلك المسجد ، وعمّر تلك القاعة مكانه وكملت . وقدم الفرنج على الديار المصرية ، وخرج الملك الصالح مع عساكره إليهم ، ولم يدخل تلك القاعة التى بُنيت فى مكان المسجد ، فتوفّىَ السلطان بالمنصورة ، وجُعل فى مركب ، وأُتِىَ به إلى الروضة فجعل فى تلك القاعة التى بُنيت مكان المسجد مدّة إلى أن بُنيت له التربة التى فى جنب مدرسته بالقاهرة . وكان النيل فى القديم محيطا بالرّوضة طول السنة ، وكان فيما بين ساحل مصر والروضة جسر من خشب ، وكذلك فيما بين الروضة والجيزة جسر من خشب يمرّ عليهما الناس والدوابّ من مصر إلى الروضة ، ومن الروضة إلى الجيزة ؛ وكان هذان الجسران من مراكب مصطفة بعضها بحذاء بعض ، وهى موثقة ، ومن فوق المراكب أخشاب ممتدّة فوقها تراب .

وكان عرض الجسر ثلاث قصَبات ، ولم يزل هذا الجسر قائماً إلى أنْ قدم المأمون

مصر . فأحدث حسرا جديداً ، فاستمرّ الناس يمرّون عليه ، وكان عبور العساكر التى قدمت من المعزّ مع جوهر القائد على هذين الجسرين ، وكان الجسر المتصل بالروضة كرسيه حيث المدرسة الخروبية قبلى دار النحاس ، وكان النّيل عندما عزم الملك الصالح على عمارة قلعة الروضة قد انطرد عن برّ مصر ، ولا يحيط بالرّوضة إلّا فى أيام الزيادة ، فلم يزل يغرق السفن فى ناحية الجيزة ، ويحفر فيما بين الروضة ومصر ما كان هناك من الرّمال ، حتى عاد ماء النيل إلى برّ مصر ، واستمرّ هناك ، فأنشأ جسرا عظيما ممتدًّا من برّ مصر إلى الروضة ، وجعل عرضه ثلاث قصبات . وكان كرسيّه حيث المدرسة الخروبيّة قبليّ دار النحاس ، وصار أكثر مرور الناس بأنفسهم ودوابّهم فى المراكب : لأنّ الجسرين قد احتُرِما بحصولهما فى حيّز قلعة السلطان ، وكان الأمراء إذا ركبوا من منازلهم يريدون الخدمة إلى السلطان بقلعة الروضة يترجّلون عن خيولهم عند البرّ ، ويمشون فى طول الجسر إلى القلعة ولا يمكن أحدٌ من العبور عليه راكباً ، سوى السلطان فقط .

ولما كملت تحوّل إليها بأهله وحريمه ، واتّخذها دار ملك ، وأسكن معه فيها مماليكه البحرية ؛ وكانت عدتهم نحو الألف . وما برح الجسر قائما إلى أن خرّب المعز أيبك قلعة الروضة بعد سنة ثمان وأربعين وستمائة ، فأهمل ، ثم عمّره الظاهر بيبرس على المراكب ، وعمله من ساحل مصر إلى الروضة ، ومن الروضة إلى الجيزة ، لأجل عبور العسكر عليه لمّا بلغه حركة الفرنج .

* * *

وقال علىّ بن سعيد فى كتاب المغرب ـ وقد ذكر الروضة : هى أمام الفسطاط فيما بينها وبين مناظر الجيزة ، وبها مقياس النيل ، وكانت متنزّهاً لأهل مصر ، فاختارها الصالح بن الكامل سرير السلطنة ، وبنى فيها قلعة مسوّرة بسور ساطع اللّون ، محكم

البناء ، عالىَ السُّمْك ، لم ترَ عينى أحسن منه ، وفى هذه الجزيرة كان الهودج الّذى بناه الآمر الخليفة لزوجته البدويّة التى هام فى حبّها ، والمختار بستان الإخشيد وقصره ، وله ذكر فى شعر تميم بن المعزّ وغيره . ولشعراء مصر فى هذه الجزيرة أشعار منها قول أبى الفتح ابن قادوس الدمياطى :

أرَى سرَح الجزيرة من بعيدٍ كأحداقٍ تُغازل فى المغازلْ (١)
كأنّ مجرّة الجوزاء خطّتْ وأثبتت المنازل فى المنازلْ

وكنتُ أبيت بعض الليالى فى الفسطاط على ساحلها ، فيزدهينى ضحِكُ البدر فى وجه النيل . أمّا سُور هذه الجزيرة الدرّىّ اللون ، فلم ينفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة ، وفى داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت إليه همّة بانيها ، هو من أعظم السلاطين همّةً فى البناء ، وأبصرت فى هذه الجزيرة إيوانًا لجلوسه لم تر عينى مثاله ، ولا يقدَّر ما أنفق عليه ، وفيه من الكتابة بصفائح الذهب والرّخام الأبنوسىّ والكافورىّ والجزّع مايذهِل الأفكار ، ويستوقف الأبصار ، ويفصِل عمّا أحاط به السور أرض طويلة فى بعضها حاظِرٌ حظر على أصناف الوحوش التى يتفرج فيها السلطان ، وبعدها بروج يتقطع فيها مياه النيل ، فينظر فيها أحسن منظر ، وقد تفرجت كثيرا فى طرق هذه الجزيرة ممّا يلى برّ القاهرة ، فقطعتُ بها عشيّاتٍ مذهبات ، لا تزال لأحزان الغرْبة مذهِبات ، وإذا زاد النيل فصل مابينها وبين الفسطاط بالكلّيّة . وفى أيّام احتراقِ النيل يتّصل برّها ببرّ السلطان من جهة خليج القاهرة ، ويبقى موضع الجسر يكون فيه المراكب .

وركبت مرّةً فى هذا النيل أيام الزيادة مع الصاحب المحسن محيى الدين بن بندار وزير الجزيرة ، وصعدنا إلى جهة الصعيد ثم انحدرنا ، واستقبلنا هذه الجزيرة وأبراجها تتلألأ ، والنيل قد انقسم عنها ، فقلت:

تأمّلْ لحسن الصالحيّة إذ بدتْ ... مناظرُها مثلَ النجـــومِ تلالا
وللقلعة الغرّاء كالبـــدر طالعا ... يفرِّج صدر الماء عنه هلالا
ووافى إليها المـاء من بعد غيبةٍ ... كما زار مشغوفا يروم وِصالا
وعانقهامن فرطشوقٍ لِحُسْنِها[1] ... فمدّ يمينـــا نحوها وشمالا

ولم تزل هذه القلعة عامرةً ، حتى زالت دولة بنى أيّوب ، فلما ملك السلطان الملك المعزّ عز الدين أيبك التركمانىّ أول ملوك الترك بمصر ، أمر بهدمها ، وعمّر منها مدرسته المعروفة بالمعزّية فى رحبة الحنّاء بمدينة مصر ، وطمع فى القلعة مَنْ له جاه ، وأخذ جماعة منها عدّة سقوف وشبابيك وغير ذلك ، وبيع من أخشابها ورخامها أشياء جليلة ، فلمّا صارت مملكة مصر إلى السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارىّ اهتم بعمارة قلعة الروضة ، ورسم للأمير جمال الدين موسى بن يغمور أن يتولّى عمارتها كما كانت . فأصلح بعض ماتهدّم منها ، ورتب بها الجانداريه وأعادها إلى ما كانت عليه من الحُرْمة، وأمر بأبراجها ففرِّقت على الأمراء ، وأعطى برج الزاوية للأمير سيف الدين قلاوون الألفىّ ، والبرج الذى يليــه للأمير عز الدين الحلّى ، والبرج الثالث من برج الزاوية للأمير عز الدين أدغان ، وأعطى برج الزاوية الغربى للأمير بدر الدين الشمسىّ، وفرقت بقية الأبراج على سائر الأمراء . ورسم أن يكون بيوت جميع الأمراء وإصطبلاتهم فيها، وسلّم المفاتيح لهم . فلمّا تسلطن الملك المنصور قلاوون ، وشرع فى بناء المارستان والقبّة والمدرسة المنصوريّة نقل من قلعة الروضة هـذه مايحتاج إليه من العمد الصّوّان والعمد الرّخام التى كانت قبل عمارة القلعة بالبرابى ، وأخذ منها رخاما كثيرا ، وأعتابا جليلة مما كان بالبرابى وغير ذلك . ثم أخذ منها السلطان الناصر محمد بن قلاوون ما احتاج إليه

(١) ط : « وحسنها » .

من العمد الصوّان فى بناء الإيوان المعروف بدار العدل من قلعة الجبل وبالجامع الجديد الناصرىّ ظاهر مدينة مصر ، وأخذ غير ذلك حتى ذهبتْ كأنْ لم تكن .

قال المقريزىّ : وتأخر منها عقد جليل تسمّيه العامة القوس ، كان مما يلى جانبها الغربىّ أدركناه باقياً إلى نحو سنة عشرين وثمانمائة ، وبقىَ من أبراجها عدّة قد انقلب كثير منها ، وبنى الناس فوقها دورَهم المطِلّة على النيل ، وعادت الروضة بعد هدم القلعة منها متنزّهاً ، تشتمل على دور كثيرة ، وبساتين عدّة ، وجوامع تقام بها الجمعات والأعياد ، ومساجد .

وفى الروضة يقول الأسعد بن مماتى :

جزيرةَ مصرٍ لا عدتْكِ مسرّةٌ ... ولا زالت اللّذات فيكِ اتّصالُها[1]

فكم فيكِ من شمسٍ على غصن بانةٍ ... يميت ويُحيى هجرُها ووصالُها

مغانيك فوق النيل أضحتْ هوادجاً ... ومختلفات الموْج فيها جمالُها

ومن أعجب الأشياء أنكِ جنّة ... ترِفّ على أهل الضلال ظلالُها

وقال ظافر الحداد :

انظر إلى الروضة الغرّاء والنيلِ ... واسمع بدائع تشبيهى وتمثيلِى[2]

وانظر إلى البحر مجموعا ومفترقاً ... هناك أشبه شىء بالسراويل

والريح تطويه أحيانا وتنشرهُ ... نسيمها بين تفريكٍ وتعديل

الأسعد بن مماتى فى الروضة ، وقد حلّها السلطان الملك الكامل :

جزيرة مصرٍ ، أنتِ أشرف موضعٍ ... على الأرض لمّا حلّ فيك محمدُ

وفيك علا البُحران لكنّ كفّ ذا ... على الناس أندى بالعطاء وأجودُ

وأصبحت الأغصان من فرح به ... تمايَلُ ، والأطيار فيكِ تغرِّدُ

يَرِقّ نسيمٌ حين سار وجدولٌ[3] ... ويشدو هَزَارٌ حين يرقص أملدُ

(١) ح : « فما زالت » .

(٢) حلبة الكميت ٢٦٥ .

(٣) ح : « فرق نسيم » .

ذكر خليج مصر

قال المقريزىّ : هذا الخليج بظاهر فُسطاط مصر ، ويمرّ من غربىّ القاهرة ، وهو خليج قديم احتفره بعضُ قدماء ملوك مصر ، بسبب هاجر أمّ إسمعيل حين أسكنها إبراهيم عليه السلام بمكّة ، ثم تمادَته الدهور والأعوام ، فجدّد حفرَه ثانيا بعضُ مَنْ ملك مصر من ملوك الرّوم بعد الإسكندر ، فلمّا فتحت مصر على يد عمرو بن العاص ، جدّد حفرَه بإشارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فحُفِر عام الرّمادة ، وكان يصبّ فى بحر القُلْزم كما تقدّم فى أول الكتاب ، ولم يزل على ذلك إلى أن قام محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب بالمدينة ، فكتب الخليفة المنصور إلى عامله بمصر أنْ يُطمّ هذا الخليج حتى لا تحمل الميرة من مصر إلى المدينة ، فَطُمّ وانقطع من حينئذ اتصاله ببحر القلزم ، وصار على ماهو عليه الآن .

وكان هذا الخليج يقال له أولا خليج أمير المؤمنين ـ يعنى عمر بن الخطاب ـ لأنه الذى أشار بتحديد حفره ، ثم صار يقال له خليج مصر ؛ فلما بنيت القاهرة بجانبه من شرقيّه صار يعرف بخليج القاهرة ، والآن تسمّيه العامة بالخليج الحاكمىّ . وتزعم أنّ الحاكم احتفره ، وليس بصحيح . وكان اسم الذى حفره فى زمن إبراهيم عليه السلام طوطيس[1] ، وهو الجبّار الذى أراد أخذ سارة ، وجرى له معها ماجرى ، ووهب لها هاجر . فلمّا سكنت هاجر مكة وجّهت إليه تعرّفه أنها بمكان جدب ، فأمر بحفر نهر فى شرقىّ مصر بسفْح الجبل حتى ينتهىَ إلى مرفأ السفن فى البحر الملح ؛ فكان يُحمَل إليها الحنطة ، وأصناف الغلات ، فتُنقل إلى جُدّة ، ويُحمل من هناك على المطايا ، فأحيا بلد الحجاز مدة . وكان اسم الذى حفره ثانيا أرديان[2] قيصر ، وكان عبد العزيز بن مروان بنى عليه قنطرتين فى سنة تسع وستين ، وكتب اسمه عليها ، ثم جدّدهما تكين أمير مصر

(١) فى المقريزى : « طوطيس بن ماليا » (٢) فى المقريزى : « أندرومانوس » .

فى سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة ، ثم جدّدها الإخشيد فى سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ثم عَمِرتا فى أيام العزيز ، وكان موضع هاتين القنطرتين خلف خط السبع سقايات ، وهى التى كانت تفتح عند وفاء النيل فى زمن الخلفاء ، وكان الخليفة يركب لفتح الخليج . فلما انحسر النيل عن ساحل مصر ، وربّا الجرف أهملت هذه القنطرة فدثرت ، وعملت قنطرة السدّ عند فم بحر النيل ، وكان الذى أنشأها الملك الصالح أيوب فى سنة بضع وأربعين وستمائة [١] .

قال ابن عبد الظاهر : وأوّل مَنْ رتب حفر خليج القاهرة على الناس المأمون بن البطائحىّ ، وجعل عليه والياً بمفرده .

ولأبى الحسن بن الساعاتى فى كسر يوم الخليج :

إنّ يوم الخليج يومٌ من الحسـ ... ـنِ بديع المرئىّ والمسموعِ
كم لديه من ليث غابٍ صَئولٍ ... ومَهاة مثـــل الغزال المَرُوعِ
وعلى السّدّ عزّة قبـــل أن تملكه ذلّة المحبّ الخضُوعِ
كسروا جسرَه هناك فحاكى ... كَسْر قلبٍ يتلوه فيضُ دموعِ

---

(١) المقريزى ١ : ١١٤ مع تصرف .

ذكر الخليج الناصرىّ

حفره الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، لما بنى الخانقاه بسرياقوس ، فأراد إجراء الماء من النيل إليها ليرتب عليه السواقى والزراعات ، وفوّض أمره إلى أرغون النائب ، فحفر فى مدة شهرين من أول جمادى الأولى إلى سلخ جمادى الآخرة ، وبنى فخر الدين ناظر الجيش عليه قنطرة ، وبنى قديدار والى القاهرة قنطرة قديدار وقناطر الأرز وقناطر الأميريّة[1] .

(١) انظر المقريزى ١ : ١١٥ .

ذكر بركة الحبش

قال ابن المتوّج : هـذه البركة مشهورة فى مكانها ، وقد اتصل وقفها على قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة على أنّها وقف على الأشراف الأقارب والطالبيّين نصفين بينهما بالسويّة ، النّصف على الأقارب والنصف على الطالبيّين ، وثبت قبله عند قاضى القضاة بدر الدين يوسف السنجارىّ أن النصف منها وقْفٌ على الأشراف الأقارب بالاستفاضة بتاريخ ثانى عشر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة ، وثبت قبله عند قاضى القضاة عزّ الدّين عبد العزيز بن عبد السلام بالاستفاضة أيضا أنها وقف على الأشراف والطالبيّين بتاريخ التاسع والعشرين من ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة .

وفى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة أمر الناصر بن قلاوون بحفر خليج من النيل إلى حائط الرّصد ببركة الحبَش ، وحفر عشر آبار كل بئر أربعون ذراعا ، يركب عليها السواقى ليجرى الماء منها إلى القناطر التى تحمل الماء إلى القلعة ، فشقّ الخليج من مجرى رباط الآثار ، وكان مهمًّا عظيما ، وأمر الناصر فى هـذه السنة بتجديد جامع راشدة ، وكان قد تهدّم غالبه .

ظافر الحداد فى بركة الحبش :

تأمّلتُ نهر النيل طولا وخلفه … من البركة الغنّاء شكلٌ مقدَّرُ
فكان وقد لاحت بشَطَّيْهِ خضرةٌ … وكانت وفيها الماء باقٍ موفَّرُ
غمامة شرب فى جواشنِ خُضْرَةٍ … أضيف إليها طيلسانٌ مقوّرُ

أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسىّ :

لله يومٌ ببركة الحبشِ … والأفق بين الضياء والغبَش[1]
والنّيل بين الرياح مضطرب … كصارم فى يمين مرتعش
ونحن فى روضةٍ منوّقةٍ … دُبِّج بالنَّوْر عِطفها ووُشى
قد نسجتها يدُ الغمام لنا … فنحن من نسجها على فُرُشِ

(١) حلبة الكميت ٢٦٩ .

ذكر ما قيل فى الأنهار والأشجار زمَن الشتاء والربيع من الأشعار

شمس الدين بن التِّلمسانىّ :

ولمّا جلا فصل الربيع محاسنًا ... وصفّق ماء النهر إذ غرّد القِمْرى
أتاه النسيم الرطب رقّصَ دوحَه ... فنقّط وجه الماء بالذهب المِصْرى

وقال :

تغَنَّتْ فى ذرا الأوراقُ وُرْقٌ ... ففى الأفنان من طربٍ فنونُ
وكم بسمت ثغور الزّهرِ عُجبا ... وبالأكمام قد رقصت غصونُ

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن فتحون المخزومىّ يصف نارنجة فى نهر :

ولقد رميت مع العشىّ بنظرة ... فى منظر غَضّ البشاشة يُبْهِجُ
نهر صقيل كالحسام بشطِّهِ ... روض لنـا تفاحُه يتأرّج
تَثْنِى معاطفه الصَّبا فى بردة ... موشيَّة بيد الغمامة تنسَج
والماء فوق صَفاتهِ نارنجة ... تطفُو به وعُبابُه يتموّج
حمراء قانية الأديم كأنهـا ... وسط المجرّة كوكب يتأجج

القاضى عياض :

كأنما الزرع وخاماته[1] ... وقد تبدّت فيه أيدى الرياحْ
كتائبٌ تُجفِل مهزومةً ... شقائقُ النعمان فيها جراحْ

كتب القاضى شهاب الدين بن فضل الله إلى الأمير الجائى الدوادار :

بلدٌ أنت ساكنٌ فى رُباها ... بلدٌ تحسد الثُّريا ثراها

---

(١) الخامة : الرطبة الغضة .

قد تعالت إلى السماء بسكنا كَ ، فألقت على البِطاح رِداها
جمد الطَّلُّ فى الزهور نخِلنا أنه عِقدُ جوهرٍ لرباها
وجرى الماء فى الرياض فقلنا : كسرت فوقه الغوانى(١) حُلاها
مِثلَما أنت فى معانيك فردٌ هى فردُ البلاد فى معناها

يقبّل الأرض ، ويُنهى أنه لمّا عبر على هذه الرُّبا المعشِبة ، والغُدران التى كأنها صفائح فضة مذهبة ، ثم مرّ على قرية تعرف بوسيم ، تفترّ من شَنَب زهرها عن ثغر بَسيم ، استحسن مرآها ، ونظم فى معناها ، ما يعرضه على الخاطر الكريم ، ليوقف المملوك توقيف عليم ، أو يتجاوز عن تقصيره تجاوز حليم :

لمصر فضلٌ باهرٌ لعيشها الرغد النّضِرْ(٢)
فى كلّ سفح يلتقِى ماء الحياة والخضِرْ

وكذلك :

ما مثل مصر فى زمانِ ربيعها لصفاء ماء واعْتِلال نسيم
أقسمتُ ما تحوى البلاد نظيرَها لمّا نظرتُ إلى جمال وَسيم

وقال :

ما بين أكناف البطاحِ مسك يُذرّ على الرّياحِ
من حيث يُلْفَى الرّوضُ فى أزهارها رَيّانَ ضاحى
والريح فى السّحَر البهيـ ـم يطير مسكىّ الجناح
تسرى فتَغْتَبِقُ الغصو ن بها على عين الصّباح
والنّيلُ فى تيّاره الـ منصبّ مهتزّ الصِّفَاحِ
وبه السّفائن كالجبا ل تجُول أمثالَ القِداحِ

---

(١) ط : « المغانى » . (٢) القريزى ٢ : ١٩٤

فركبتُ من صَهَواتِها دهماء ساكِنةَ الجماح [1]
حرّاقةً تجرى على اسم الله فى الماء القَراح
والأفق مثلُ حَديقةٍ خضراء مُزهرة النواحى
تحكى المجرّة بينها نهرٌ تدفّق فى أقاحِ
واقتادت الجوزاء لليل البهيم إلى الرواحِ
فكأنه زنجيّةٌ جُذِبت بأطرافِ الوِشاحِ
وبدا الصباح كوجه أ جأى المهلّل لامتداحى

وقال :

وحديقة غنّى الربا ب لها بتوقيع السَّحابِ
فتمايلتْ حتى لقد رقصتْ على صوت الرّبابِ

وقال :

فى نيل مصرَ مراكبْ تحوى بدورَ المواكبْ
فكم بها الفُلْكُ فى مجـ راه تسرِى الكواكبْ

ابن عبد الظاهر :

روض به أشياء ليستْ فى سِواه تؤلّفُ
فمن الهَزار تهازُرٌ ومن القضيب تقصُّفُ
ومن النّسيم تلطُّفٌ ومن الغَدير تعطُّفُ

نور الدين علىّ بن سعد الغمارىّ الأندلسىّ :

كأنّما النهر صفحة كُتِبَتْ أسطرُها والنَّسيمُ منْشِئُها
لمّا أبانت عن حُسْنِ منظرها مالتْ عليه الغصون تقرؤها

(١) ح : « الجناح » .

الصّلاح الصفدىّ :

قال خِلّى : باللهِ صِفْ أرض مصرٍ وقت كَتّانها بوصف محقَّقْ
قلت : أرض بالنيل يُرْوَى ثَراها فلهذا الكَتّان نَوْرٌ أزْرَقْ

وقال :

لِمْ لا أهيمُ بمصرٍ وأرتضيها وأعشَقْ[1]
ولَمْ تر العين أحلَى من مائها إن تملّقْ

ابن الواسطىّ :

كأنما السُّفْن بأرجائها وهى على الماء جَرِيّاتِ
عقاربٌ فى رفع أذنابها تسرى على أبطُنِ حَيّاتِ

ابن الساعاتى :

ولقد ركبتُ البحر وهو كحِلْيَةٍ والموجُ تحسبه جيادا تركضُ
وكأنما سُلّت به أمواجُه بيضاء تُذْهَب تارة وتُفَضَّضُ
كلٌّ يصحّ إذا تصحّ حياتُهُ إلاّ النسيم يصحُّ ساعة يَمْرَضُ

مجير الدين بن تميم :

ياحُسْنَه من جدولٍ متدفّقٍ يُلهِى برونق حسنه مَن أبصرا
مازلتُ أنذِرُه عيوناً حَوْله خوفا عليه أن يصابَ فيعثرا
فأَبَى وزاد تمادِياً فى جَرْيِه حتى هَوَى من شاهقٍ فتكسّرا

وقال :

وحديقة مالتْ بما طف دَوْحها من غير سُكْرِ
والنهر ساجٍ قد غدا بسعادة الأغصانِ يجرى

---

(١) حلبة الكميت ٢٦٢

وقال :

لِمْ لا أهيمُ إلى الرياض وحسنها وأظلُّ منها تحت ظلٍّ وافِ
والرّوض حيّانى بثغرٍ باسمٍ والماء يلقانى بقلبٍ صافِ

وقال :

ونهرٍ خالف الأهواء حتى غدت طوعاً له فى كلّ أمرِ
إذا سرقت حُلَى الأغصان ألقت إليه بها فيأخذُها ويجرى

وقال :

تأمّلْ إلى الدُّولاب والنّهر إذْ جرى ودمعُهما بين الرّياض غديرُ
كأنّ نسيم الرّوْض قد ضاع منْهما فأصبَحَ ذا يجرى وذاكَ يَدورُ

ناصر الدين بن النقيب :

وروضةٍ توَسْوَسَ الغصنُ بها لمّا هدى فيها النسيم الشّمالُ
قد جُنَّ فى أرجائها جَدْولهاَ فهو على وجه الثّرَى سلسال

آخر :

وحديقةٍ باكرتُها مطلولةً والشمسُ ترشُفُ ريقَ أزهار الرُّبَا
يتكسّر الماء الزُّلالُ على الحصاَ فإذا أتى نحوَ الرياض تشعّبا

آخر :

مياهٌ بوجهِ الأرض تجرى كأنها صفائح تبر قد سُبِكْنَ جداولاَ
كأنّ بها من شدّة الجرى جِنَّـةً وقد ألبستْهنّ الرياح سلاسِلا

ابن قزل :

كأنما النّهر إذْ مرّ النّسيمُ به والغيم يهمِى وضوء البرق حينَ بَدا
رشْقُ السهام ولَمْعُ البيض يوم وغًى خاف الغدير سطاها فاكتَسَى زَرَدَا

آخر :

ياحُسْن وجهِ النّهر حين بَدَا . والسُّحْب تهطِل فَوْقه هَطْلا
فكأنّه دِرْعٌ وقد ملأتْ أيدِى الكماة عيونَه نَبْلاَ

الغَزِىّ :

فى روضةٍ قَرَن النّهار نجومَها بسنا ذُكاء فزَادهُنّ توقّدا
والنجرّ فوق غديرها ذيل الصّبا سَحَراً فأصبحت الصفيحة مِبْرَدا

تاج الدين مظفر الذهبىّ :

وجدول خُطّ فيه سطر بكفّ القبول
بدا عليه ارتعاشٌ كذاك خطّ القليل[1]

الشهاب محمود :

والسَّرْو مثلُ عرائسٍ لُفّت عليهن المُلاء
شمّرن فضل الأُزْر عن سُوقٍ خلاخلهنّ ماء
والنّهر كالمرآة تبصر وجهَها فيه السّماء

قاضى القضاة مجير الدين بن العديم :

كأنّما[2] النّهر وقد حُفّتْ به أشجارُه فصافحتْه الأغصُنُ
مرآة غيد قد وقفْنَ حَوْلَها ينظرن فيها : أيّهنّ أحسَنُ !

آخر :

شجرات الخريف تكثر من غير سؤالٍ إلى الرياح نشاطا
تتعرّى مِن لُبسها وهو تِبْرٌ ثم تلقيه للنديم بساطا

آخر :

انظر إلى الرّوض النضير لحسنه للعين قرّة

---

(١) ح : « حظ » . (٢) ح ، ط : « كأنها » تحريف .

فكأن خضرته السَّمآ ء ونهرُه فيه المجرّة

ابنَ وكيع :

غدير يُجعّد أمواهَه هبوبُ الرياحِ وَمرّ الصَّبا
إذا الشمس من فوقه أشرقت توهمتَه جوْشناً مذهبا

سيف الدين علىّ بن قزل :

فى يوم غيم من لذاذة جَوِّهِ غنّى الحمام وطابت الأنداء
والرّوضُ بين تكبُّرٍ وتواضعٍ شمخ القَضيبُ به وَخرّ الماء

آخر :

أيا حُسنَها من روضةٍ ضاع نَشْرُها فنادتْ عليه فى الرّياض طيورُ
ودُولابها أضحى تُعَدُّ ضلوعُه لكثرة ما يبكى بها ويدورُ

سعد الدين بن شيخ الصوفيّة محي الدين بن عربىّ :

شاهدت دُولاباً له أدمعٌ تكلّفت الروّض بالرّىّ
فاعجبْ له من فلكٍ دائرٍ ما فيه برج غير مائىّ

آخر :

وناعورة فارقتْ بواكِىَ من جِنسِها
تدورُ على قلبها وتبكِى على نفسِها

وجيه الدين المناوىّ :

فوّارة تُحسَب مِن حسنِها سبيكة من فضة خالِصَهْ
تُلهيك بالحسن فقد أصبحتْ جاريةً مُلهيةً راقصَهْ

الصلاح الصفدىّ :

النّهر مولًى والنسيم خَديمُه هذا كلام لست فيه أشكُّكُ

لو لم يكنْ فى خدمَةِ النهر انبرَى ما كان يصقل ثوبه ويفركُ

وقال :

لمّا زها زهر الربيع بروضةٍ وغَدَا له الفضلُ المبين عَلَيْهِ
قام الحمَام له خطيبا بالثنا وجَرَى الغدير نخرّ بين يديه

مجير الدين بن تميم :

تكسّر الماء لمّا أن جرى فغدا الدُّولاب يندُبه شجواً ويَبْكِيهِ
وأصبح الغصن بالأوراق ملتطماً والوُرْق فوق كراسِى الدَّوْح ترثيه

وقال :

والنهرُ مُذْعلِقَ الغصونَ محبَّةً أضحت تُطيل صدودَه وجفاه
فتراه يجرى لاثماً أقدامَها وخريرُه شكوَى الذى يلقاهُ

وقال :

بعث الربيع رسالةً بقدومِه للرّوض ، فهو بقُرْبه فرحانُ
ولطيب ما قرأ الهَزار بشدوه مضمونَها مالت له الأغصانُ

شمس الدين بن التِّلمسانىّ :

كأنما البرق خلال السّما من فوق غَيْمٍ ليس بالكابى
طِرَازُ تِبْرٍ فى قَبًا أزرقٍ من تحته فَرْوَةُ سِنْجاب .

وقال :

فَصْل الشتا مَنَح النَّواظر نضرةً لمّا كسا الألوانَ وهْى عَوارِ
لم يُلبِسِ الغبراء لِين مطارفٍ حتى كَسا الزرقاءَ بيضَ إزارِ

مجير الدين بن تميم :

ودولاب روضٍ كان من قبلُ أغصنا تميس فلمّا فرقتْها يد الدهرِ

تذكَّر عهداً بالرياض فكلُّه عيونٌ على أيامِ عصرِ الصِّبا تجرِى

آخر :

وناعورةٍ قد ضاعفت بنُواحِها نُواحى وأجرتْ[1] مقلتىَّ دموعُها

وقد ضعفت مما تئنّ وقد غدَتْ من الضعف والشكوى تُعَدّ ضلوعُها

نور الدين علىّ بن سعد الأندلسىّ :

للّه دُولابٌ يفيض بسلسلٍ فى روضةٍ قد أينعت أفْنَانَا

قد طارحتْ فيه الحمام بشجوِها ونحيبها فتَرَجّع الألحانَا

فكأنه دَنِفٌ يطوفُ بمعهدٍ يبكى ويسأل فيه عمَّنْ بَانَا

ضاقت مجارِى طَرفِه عن دَمْعِه فتفتّحتْ أضلاعُه أجفانَا

ابن منير الطرابلسىّ فى ناعورة :

هى مثل الأفلاك شكلاً وفعلا قسمت قسم جاهل بالحقوقِ

بين عالٍ سامٍ ينَكّسه الحظّ ويعلو بساحل مرزوقِ

آخر :

النّهر مكسوٌّ غُلالةَ فِضّـةٍ فإذا جرى سيل فثوبُ نُضارِ

وإذا استقام رأيت صَفْحة مُنصلٍ وإذا استدار رأيتَ عِطْف سِوارِ

إبراهيم بن خفاجة الأندلسىّ :

النّهْر قد رقّتْ غُلالة خَصْرِه وعليه من صِبْغ الأصيل طرازُ[2]

تترقرق الأمواج فيـه كأنّها عُكَنُ الخصُور تهزُّها الأعجازُ

بعضهم :

إنّ هـذا الربيـع شىء عجيبٌ تضحك الأرض من بكاء السماء

(١) ط : « وأحرق » . (٢) نهاية الأرب ١ : ٢٨٣ ، ونسبه إلى أبى مروان بن أبى الخصال

ذهبٌ حيثما ذهبنـــا ودرٌّ حيثُ درْنا وفضّة في الفضاء

ابن قَلاقس :

كأنمـــا الرّعد والسَّحاب وقَدْ حَلاّ سويًّا والبرق قد لاحَا

ثلاثة من عدوِّهِمْ نفروا وقد غدا نحوَهم وقد رَاحَا

فسلَّ ذا سيفَــه ، وبكَى هـ ـذا ، وهـذا من خِيفةٍ صاحَا

ذكر الرياحين والأزهار الموجودة فى البلاد المصرية
وما ورد فيها من الآثار النبوية والأشعار
الأدبية والإشارات الصوفية

ماورد فى الفاغية

وهى نَوْر الحِنّاء .

أخرج البيهقىّ فى شعب الإيمان عن بريدة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سيّد الرياحين فى الدنيا والآخرة الفاغِية » .

وأخرج البيهقىّ عن أنس ، قال : كان أحبَّ الرياحين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاغية .

***

ماورد فى الورد

رويت فيه أحاديث كلها موضوعة ، منها حديث علىّ مرفوعا : « لمّا أسرِىَ بى إلى السماء ، سقط إلى الأرض من عرَقى ، فنبت منه الورد ، فمن أحبّ أن يَشَمّ رائحتى فليشَمّ الورد » . أخرجه ابن عدىّ فى كامله .

وحديث أنس مرفوعا : «الورد الأبيض خُلِق من عرَقى ليلة المعراج ، وخلق الورد الأحمر من عرق جبريل ، وخلق الورد الأصفر من عرق البراق » ، أخرجه ابن فارس فى كتاب الريحان .

والحديثان أوردهما ابن الجوزىّ فى الموضوعات ، ونص على وضع الثانى أيضا الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر .

(حسن المحاضرة ٢/٢٦)

قال صاحب مباهج الفكر : كان الخليفة المتوكّل قد حمَى الوردَ ، ومنعه من الناس كما حمى النعمان بن المنذر الشَّقِيق واستبدّ به ، وقال : لا يصلح للعامّة ، فكان لا يُرى إلا فى مجلسه . وكان يقول : أنا ملك السلاطين ، والورد ملك الرياحين ، وكلٌّ منّا أوْلَى بصاحبه . وإلى هذا أشار ابن سُكّرة بقوله :

للورد عندى مَحَلٌّ ... لأنّهُ لا يُمَلُّ
كلُّ الرياحين جُنْدٌ ... وهْو الأمير الأجلُّ
إن جاء عَزُّوا وتاهوا ... حتى إذا غاب ذَلُّوا

قال ابن البيطار فى مفرداته : الورد أصناف : أحمر ، وأبيض ، وأصفر ، وأسود . زاد غيره : وأزرق .

وحكى صاحب كتاب نشوار المحاضرة ، أنه رأى وردا أسودَ حالك السواد ، له رائحة ذكية ، وأنه رأى بالبَصْرة وردة نصفها أحمر قانئ الحمرة ، ونصفها الآخر أبيض ناصع البياض ، والورقة التى وقع الخطّ فيها كأنها مقسومة بقلَمٍ (١) .

قال صاحب مباهج الفكر : رأينا بثغر الإسكندرية الورد الأصفر كثيرا، وعَدَدْت ورق وردة ، فكانت ألف ورقة .

قال : وحكى لى بعضُ الأصحاب أنه رأى بحلَب ورقة لها وجهان : أحدهما أحمر والآخر أصفر .

قال : وحكى بعض الأصحاب أنّه رأى آبارا تجرى إلى شجر الورد ماء مخلوطا بالنيل ، فسأله فقال : إن الورد يكون أزرق بهذا العمل .

قال صاحب المباهج : والظاهر من الورد الأسود ، أنه احتِيل عليه كذلك . وقال

---

(١) نقله صاحب نهاية الأرب ١١ : ١٨٥ ، وبعده : « وفيه ماله وجهان : أحمر وأبيض ، ويقال إنه ربما وجد ورد أحد وجهى الورقة منه أحمر قانئ ، والآخر أصفر » .

الحافظ الذهبيّ فى الميزان : روى قريش عن أنس عن كليب بن وائل ـ وكليب نكرة لا يعرف ـ أنه رأى بالهند ورقا فى الوردة مكتوب فيه « محمد رسول الله » .

وروى ابن العديم فى تاريخه بسنده إلى علىّ بن عبد الله الهاشمى الرّقىّ ، قال : دخلت الهند ، فرأيت فى بعض قراها وردةً كبيرة طيّبة الرائحة ، سوداء، عليها مكتوب بخط أبيض« لا إله إلا الله محمد رسول الله، أبو بكر الصديق ، عمر الفاروق» . فشككت فى ذلك ، وقُلت : إنه معمول ، فعمدت إلى وردة لم تفتح ، ففتحتُها ، فكان فيها مثل ذلك ، وفى البلد منه شىء كثير ، وأهل تلك القرية يعبدون الحجارة ، لا يعرفون الله عز وجل .

ويقال : ورد جُور ، ونرْجس جرجان ، ونَيلوفَر شَرْوان ، ومنثور بغداد ، وزعفران قُمّ ، وشاهِسْبَرم سمرقند[1] .

قال أبو العلاء صاعد الأندلسىّ فى باكورة وَرْد :

ودونك ياسيّدى وردةً يذكّرك المسكُ أنفاسَها
كعذراء أبصرها مبصرٌ فغطّت بأكمامها راسَها

آخر :

وردةٌ تحكى أمام الوردِ طليعة سابقة للجندِ
قد ضمها فى الغصن قُرُّ البرد ضَمَّ فَمٍ لقبلةٍ مِنْ بُعْدِ

أبو عبادة البحترىّ :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا من الحسن حتى كاد أن يتكلّما[2]
وقد نبّه النّوْروزُ فى غَسَق الدُّجى أوائل وَرْدٍ كنّ بالأمس نوّما[3]

---

(١) الشاهسبرم : الريحان . (٢) ديوانه ٢ : ٢٣٤ ؛ نهاية الأرب ١١ : ١٨٩ .

(٣) النوروز والنيروز ـ والثانى أشهر ـ أول يوم من السنة الشمسية ، وعند الفرس يوم نزول الشمس أول الحمل .

يُفَتِّحه بَرْدُ النَّـــدى فـكأنَّما ... يبثُّ حديثا بينهنّ مكتّما

محمد بن عبد الله بن طاهر :

أما ترى شجرات الورد مظهرةً ... لنا بدائعَ قد رُكِّبْنَ فى قَضَبِ (١)

كأنهنّ يواقيتٌ يُطِيفُ بهـــا ... زَبَرْجَدٌ وسْطه شَذْرٌ من الذهبِ

يقال إنه نظم هـذين البيتين من قول أزدشير بن بابك ، وقد وصف الورد : هو دُرٌّ أبيض ، وياقوت أحمر ، على كراسىّ زَبَرْجد أخضر ، بوسطه شَذْرٌ من ذهب أصفر .

الناشى :

قُضُب الزبرجَدِ قد حملن عقائقا ... أثمارهنّ قراضة العِقْيانِ (٢)

وكأنّ دَمْع القَطْر فى أهدابه (٣) ... دمع مَرَتْه (٤) فواترُ الأجفانِ

محمد بن عبد الله بن طاهر :

مَداهِنٌ من يواقيتٍ مركبةٌ ... على الزَّبرجَد فى أجوافها ذهبُ (٥)

كأنه حين يبدو من مطالِعه ... صَبٌّ يُقبِّل حِبًّا وهْو يرتقبُ

خاف الملال إذا طالت إقامته ... فظلّ يَظهر أحيانا ويحتجِبُ

أبو طالب الرَّقّى :

ووردةٍ من نبات مِعْطارِ ... حَيّتْ بها فى لطيف أسرارِ (٦)

كأنهـــا وجنة الحبيب وقد ... نقّطهـــا عاشقٌ بدينارِ

---

(١) نهاية الأرب ١١ : ١٨٩ .

(٢) نهاية الأرب ١١ : ١٨٩ ، وفيه : « حملن شقاشقا » . (٣) نهاية الأرب: « وكأن قطر الطل » .

(٤) ط ، ح : « فرته » ، والصواب ما أثبته من نهاية الأرب والأصل .

(٥) نهاية الأرب ١١ : ١٨٩ ، وقبل هذا البيت :

أما ترى الورد يدعو للورود إلى ... خمرٍ معتّقةٍ فى لونهـــا صَهَب

(٦) ط : « حب بها » ؟

العماد الأصبهانى :

قلت للوردِ ما لشوكك يُدمِى كلّ ماقد سَعَرْتَ منه جِراحى [١]

قال لى : هـــذه الرّياحين جندى أنا سلطانها وشوكى سلاحى

فى الورد الأصفر لبعضهم :

رَعَى الله وردا غــدا أصفرا بهيا نضيرا يحاكى النُّضَارَا [٢]

وأسقى غصونا به أثمرتْ وحمّلنَ منــه شموساً صِغَارا

المؤيد الطغرائى :

شجرات ورد أصفر تخذتْ فى قلب كلِّ متيَّم طربا [٣]

سَبَكتْ يدُ الغيم اللُّجينَ لهـا فـكسته صِبْغا مونِقاً عَجَبا

مَنْ ذا رأى من قبلِه شجراً سُقِىَ اللّجينَ فأثمر الذهباً [٤]

وقال :

ألم ترَ أنّ جند الورد وافَى بصُفْرٍ من مطارده وخُضْرِ

أتَى مستلئمًا بالشّوك فيــه نصالَ زمرّد وتراسَ تِبْرِ

فى الورد الأزرق من وصفِ بستان لبعضهم :

وبه وارد من الورد قد أيْـــنَع فى رِقّةِ الهواءِ اللطيفِ [٥]

---

(١) نهاية الأرب ١١ : ١٩٠ . (٢) نهاية الأرب ١١ : ١٩٤ .

(٣) نهاية الأرب ١١ : ١٩٤ ، وفيه: « بعثت » .

(٤) بعده فى نهاية الأرب :

خَرطَتْ نهودَ زبرجدٍ حملتْ أجوافُهَا من عسجدٍ لُعَبا

فإذا الصَّبا فتقتْ كمائمهـا سَحَراً ، ومادَ الغصنُ وانتصَبا

شبَّهتُهَا بخريدةٍ طرحَتْ فى الخضرِ من أثوابِهاَ لَهَبَا

(٥) نهاية الأرب ١١ : ١٩٥ .

شبهوه بدمعة العاشق الآ ... لِف نالته جفوة من أليفِ
فهو يحكيه زرقة ومثالُ الـ ... ـقُرْصِ لونًا فى خدّ ظبيٍ تَرِيفِ[1]
وَرَقٌ أزرقٌ كزُرْقِ يواقيـ ... ـتٍ تطلّعن من لُجَيْنٍ مَشُوفِ[2]

فى الورد الأبيض للسرىّ الرّفاء :

وروضٍ كساه الغيث إذْ جاد دمعه ... مجاسد وشى من بهارٍ ومنثورِ[3]
بدا أبيض الورد الجنىّ كأنما ... تنسّم للناشى بمسك وكافورِ[4]
كأنّ اصفرارًا منه تحت ابيضاضِه ... بُرادة تِبْر فى مَدَاهِنِ بَلُّورِ

فى الورد الأسود لأبى أحمد الطرارىّ :

لله أسود وردٍ ظلّ يلحظُنَا ... من الرّياض بأحداقِ اليعافيرِ[5]
كأنها وجنات الزنج نقّطها ... كفّ الإمام بأنصاف الدنانيرِ

آخر :

وورد أسودٍ خلناه لمّا ... تنشق نَشْرُه ملك الزمانِ[6]
مَدَاهنُ عنبرٍ غضٍّ وفيها ... بقايا من سَحِيق الزعفرانِ

علىّ بن الرومىّ يهجو الورد :

يا مادح الورد لا ينفكُّ من غَلَطِهْ ... ألستَ تنظره فى كفِّ مُلْتَقِطه[7] ؟
كأنه سُرْمُ بغل حين يبرزه ... عِنْدَ البِرازِ ، وباقى الرّوث فى وَسَطِهْ

قال ابن المعتزّ يردّ عليه :

---

(١) فى الأصول : « ينزلف » ، وما أثبته من نهاية الأرب . والتريف : المترف المتنعم .
(٢) المشوف : المجلو .
(٣) نهاية الأرب ١١ : ١٩٣ .
(٤) فى الأصول : « تبسم » وما أثبته من نهاية الأرب والناشى: اسم فاعل من قولهم : « نشيت منه ريحا طيبة »
(٥) نهاية الأرب ١١ : ١٩٥ ، ونسبها إلى مؤيد الدين الطغرائى، واليعافير : الظباء التى بلون العفر وهو التراب.
(٦) نهاية الأرب ١١ : ١٩٦ . (٧) نهايه الأرب ١١ : ١٩٢ .

يا هاجيَ الورد لاحُيِّيتَ من رجلٍ غلطت، والمرء قد يؤتَى على غَلَطِهْ
هل تنبت الأرض شيئا من أزاهرها إذا تحلّت يحاكى الوشى مِنْ نمطِهْ
أحلى وأشهر من وردٍ له أرجٌ كأنما المسك مذرورٌ على وَسَطِهْ :

علىّ بن الرومىّ يفضل النرجس على الورد :

أيّها المحتجّ للور د بزورٍ ومُحـــالِ
ذهب النّرجس بالفضل فأنصفْ فى المَقَال
لا تقاس الأعينُ النُّجْـــلُ بأسْرَامِ البغالِ

أبو هلال العسكرىّ يردّ عليه :

أفضّل الوردَ على النّرْجِسِ لا أجعل الأنجم كالأشْمُسِ[١]
ليس الذى يقعد فى مجلسٍ مثلَ الذّى يَمْثُل فى مجلسِ

علىّ بن سعيد المؤرخ :

مَن فضّل النرجس فهو الذى يرضَى بحكم الورد إذ يرأسُ
أما ترى الورد غدَا قاعدًا وقام فى خدمتِه النّرجس

والناس يشبّهون عدم دوام الورد بقلة بقاء الودّ، ولهذا كتب أبو دلف إلى عبد الله ابن طاهر يعاتبه :

أرى حُبَّــكُمْ كالورد ليس بدائمٍ ولا خير فِيمَنْ لا يدوم له عهدُ[٢]
ووُدّى لــكم كالآس حسنًا ونُضْرة له زهرة تبقى إذا فنىَ الوردُ

فأجابه عبد الله بن طاهر :

وشبهّت ودِّى الورد وهو شبيهُهُ وهل زهرة إلاّ وسيّدُها الورد
ووُدُّكَ كالآسِ المرير مذاقه وليس له فى القلب قبْلٌ ولا بعدُ

---

(١) نهاية الأرب ١١ : ١٩٢ . (٢) نهاية الأرب ١١ : ١٩٢ ، ١٩٣ .

واعتذر ديك الجن عن قلة لبث الورد فقال :

للورد حسن وإشراق إذا نظرت ... إليه عين محبٍّ هاجه الطَّربُ

خاف المَلاَلَ إذا دامت إقامتُه ... فصار يَظْهر حينًا ثم يحتجِبُ

ما ورد فى النرجس

روى فيه حديث موضوع ، أخرجه الديلمىّ فى مسند الفردوس ، وابن الجوزىّ فى الموضوعات بسند مسلسل بالقضاة عن علىّ مرفوعا : «شمّوا النرّجس ولو فى اليوم مرة ، ولو فى الشهر مرة ، ولو السنة مرة ، ولو فى الدهر مرة ، فإنّ فى القلب حبّة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها إلّا شم النرجس » .

قال بُقراط : كلّ شىء يغذو الجسم والنّرجس يغذو العقل .

وقال جالينوس : مَنْ كان له رغيف فليجعل نصفَه فى النرجس ، فإنه راعى الدماغ ، والدماغ راعى العقل .

وقال الحسن بن سهل : من أدْمَن شمّ النّرجس فى الشتاء أمِن البِرسام فى الصيف .

وقال بعض الأدباء : النرجس نزهة الطَّرْف ، وطرف الظرف ، وغذاء الروح ، ومادة الروح. وكان كسرى أنو شروان مغرَمًا بالنَّرجس ، ويقول : هو ياقوت أصفر بين درّ أبيض على زمرّد أخضر .

وقال: إنى لأستحِى أن أباضِع فى مجلسٍ فيه النّرجس لأنه أشبه شىء بالعيون الناظرة .

وقال الشاعر :

فإذا قضيت لنا بعين مراقبٍ ... فى الحبّ فَلْيَكُ مِن عُيون النَّرْجِسِ

أبو نواس :

لدى نرجس غضِّ القطاف كأنّهُ ... إذا مَا منحناه العيونَ عيونُ[1]

(١) نهاية الأرب ١١ : ٢٣٠ .

مخالفةٌ في شكلهنَّ فصفرة[1] ... مكان سوادٍ والبياضُ جفون

ابن المعتز :

كأن عيونَ النرجس الغَضّ بيننا ... مَداهنُ تِبْرٍ حَشْوهنّ عَقيقُ

إذا بلّهنّ القَطْرُ خِلْتَ دموعَها ... بكاء جفونٍ كُحْلُهنّ خَلوقُ

كُشاجم :

كأنما نرجسنا ... وقَدْ تبدّى من كُثُبٍ[2]

أناملٌ من فضّةٍ ... يحمِلْن كأساً من ذهب

الصّنوبرىّ :

أضعفَ قلبي النرجسُ المضعف ... ولا عجيبٌ إن صَبَا مُدْنَفُ

كأنه بين رياحيننا ... أعشار آيٍ خَمّها مُصْحَفُ

ابن مكنسة :

ونرجسٍ إلى حدا ... ئق الرّبا مُحْدِّقِ[3]

كأنما صُفْرتُه ... على بياضٍ يقَقِ

أعشار جزء أُذْهِبت ... في ورَق من ورِق

أبو بكر بن حازم :

ونرجسٍ ككُئوسِ التّبْرِ لائحةٍ ... من الزَّبَرْجد قد قامت بها ساقُ[4]

كأنها من عيونٍ هدبُها وَرِقٌ ... لهنّ من خالص العِقْيان أحداقُ

آخر :

وأحسن ما في الوجوه العيو ... ن وأشبَه شيء بها النَّرجِسُ[5]

---

(١) نهاية الأرب : « بصفرة » . (٢) نهاية الأرب ١١ : ٢٣٠ .

(٣) نهاية الأرب ١١ : ٢٣١ . (٤) نهاية الأرب ١١ : ٢٣١ .

(٥) نهاية الأرب ١١ : ٢٣٥ ، ونسبه إلى ابن الرومى .

يظلّ يلاحظ وَجْه النّدِ يم فرداً وحيداً فيستأنسُ

الصّنَوبرىّ :

وعندنا نرجس أنيق تحْيَا بأنفاسه النفوسُ
كأنّ أجفانه بدورٌ كأنّ أحداقه شُموسُ

وقال :

أرأيت أحسن من عُيون النرجس أو مِنْ تلاحُظهنَّ وسْط المجلسِ[1]
دُرّ تشقّق عن يواقيتٍ عَلَى قُضُب الزبرجدفوق بُسْطِ السندسِ

ابن الرومىّ :

ونرجسٍ كالثغور مبتسمٍ له دموعُ الحدقِ الشاكِى[2]
أبكاه قَطْرُ الندى وأضحكه فهو مع القَطْر ضاحكٌ باكِى

وقال :

انظر إلى نرجس فى روضة أُنُفٍ غنّاء قد جمعت شتَّى من الزّهَرِ[3]
كأنّ ياقوتةً صفراء قد طُبِعَتْ فى غُصْنِها حولها ستٌّ من الدرر

آخر :

أبصرت باقة نرجس فى كف من أهواه غضّه[4]
فكأنّها قضب الزَّبَرْ جَدِ قُمّعت ذهباً وفضه

ومن رسالة لضياء الدين الأثير يصف متنزها : جاء فيها فى وصف النرجس :

---

(١) نهاية الأرب ١١ : ٢٣١ (٢) نهاية الأرب ١١ : ٢٣٢ ، ونسبه إلى ابن الرومى .
(٣) نهاية الأرب ١١ : ٢٣٢ ، ونسبه إلى شاعر أندلسى .
(٤) نهاية الأرب ١١ : ٢٣٢ ، وفى الحاشية : « فى مباهج الفكر : طاقة » وهو الصواب ، فإن الباقة الحزمة من البقل . أما الطاقة فهى من الريحان .

فمن جانِبي نرجسٍ يقول : هــذا صاحب القدّ المائس ، والذى عينه عين متيقظ وجيده جِيد ناعس ،وهو بِكْر الربيع والبِكْر أكرم الأولاد على الوالد ، وقد جُعل ذا لونين اثنين ؛ إذ لم يحظَ غيره إلا بلون واحد .

ماورد فى البنفسج

فيه أحاديث ذكرها ابن الجوزىّ فى الموضوعات ، منها حديث أبى سعيد مرفوعا : « فضْل دهْن البنفسج على سائر الأدهان ، كفضلى على سائر الخلق ، بارد فى الصيف حارٌّ فى الشتاء» . أخرجه ابن حبّان فى تاريخ الضعفاء والحاكم فى تاريخ نيسابور والديلمىّ فى مسند الفردوس . وورد أيضا بهــذا اللفظ من حديث أبى هريرة وأنس أخرجهما الخطيب البغـدادىّ ، ومن حديث علىّ أخرجــه ابن الجوزىّ وقال فى الأربعــة : إنها موضوعة .

وأخرج أبو نعيم فى الحلية من حديث الحسين بن علىٍّ مرفوعا :« فضل دُهْن البنفسج على سائر الأدهان ، كفضل ولد عبد المطلب على سائر قريش ، وفضل البنفسج كفضل الإسلام على سائر الأديان» . قال أبو نعيم : هذا حديث غريب من حديث جعفر بن محمد ، لم نكتبه إلا بهذا الإسناد عن هذا الشيخ، أفادنا إياه الدارقطنى؛ وأخرجه ابن الجوزىّ فى فى الموضوعات أيضا .

قال ابن وحشيّة : البنفسج نوعان : جبلىّ وبستانىّ ، والجبلىّ دقيق الورق ، أزرق اللون ، والبستانىّ عريض الورق حائك اللون ، ويوجد فيه الأبيض على لون الشمع ، ولا يوجد إلّا بمصر ، ويسمّى الكوفىّ . ومن عجيب أمره أنّ الإنسان إذا تغوّط فى مجارى الماء إليه مات وذبل ، وكذا إن خرج منه ريح فى مزرعته ، وأنه إذا دام عليه الضباب يوما أو نحوه ضعُف ، ومتى توالى نقصت زهرتُه ، وصفر ورقه ، وتغيّرت

رائحته ؛ ومن الأشياء المضادّة له القصب ، فإنه لا يكاد يفلح بقربه ولا ينمى ، وإن وقعت صاعقة على أربعمائة ذراع منه فأقل هلك سريعا . ويفسده أيضا البرْد والرّعد الشديد المتتابع والسموم وريح الشمال الباردة والمطر الكثير وماء الآبار والدخان وتراب المقبرة .

ومن رسالة لأبى العلاء عطارد بن يعقوب[١] الخوارزمىّ يصف بنفسجة : سماويّة اللباس ، مسكيّة الأنفاس ، واضعةٌ رأسها على ركبتها كعاشق مهجور ، تنطوى على قلب مسجور ، كبقايا النقش[٢] فى بنان الكاعب ، أو النِّقس فى أصابع الكاتب ، أو الكحل فى الألحاظ الملاح ، المراض الصحاح ، الفاتراب الفاتنات ، المحْييات القاتلات ، لا زوردية أربت بزرقتها على زرق اليواقيت ، كأوائل النار فى أطراف كبريت ، أو أثر القرص فى خدود العذارى .

* أو عذار خلعت فيه العذارا *

أبو القاسم بن هُذيل الأندلسىّ :

بنفسج جمعت أوراقُه فحكتْ ... كحلا تشرّب دمعا يوم تشتيتِ[٣]

أو لازورديّة أوفَتْ بزرْقتها ... وَسْط الرياض على زرق اليواقيت

كأنه وضعاف القُضْبِ تحمله ... أوائل النار فى أطراف كبريت

آخر :

بنفسج بذكىّ الريح مخصوصُ ... مافى زمانك إذْ وافاك تنغيصُ[٤]

كأنما شُعَل الكبريت منظرُه ... أوخدّ أغيدَ بالتخميش مقروص[٥]

---

(١) نهاية الأرب ١١ : ٢٢٩ ، وفيه : « عطاء بن يوسف السندى » .
(٢) فى الأصول : « النفس » ، وصوابه من نهاية الأرب
(٣) نهاية الأب ١١ : ٢٢٦ ، قال : « ويروى لابن المعتز » . (٤) نهاية الأرب ١١ : ٢٢٧ .
(٥) فى الأصول : « التحميش » ، وصوابه من نهاية الأرب .

آخر :

ماس البنفسجُ فى أغصانه فحكى زُرْق الفُصوص على بيض القراطيس[1]
كأنه وهبوبُ الريح تعطِفُه بين الحدائق أعرافَ الطواويس

آخر فى البنفسج الأبيض :

كأنّ البنفسج فيما حكى لطائف أخلاقك المُونِقَهْ[2]
يلوح ومن تحت طاقاته فصوصٌ من الفضة المُخْرَقه

الأمير عبد الله الميكالىّ :

يا مهديًا لى بنفسجاً أرجاً يرتاحُ صدرى له وينشرحُ[3]
بشرنى عاجلا مصحَّفُه بأن ضيق الأمور ينفسح

مجير الدين بن تميم الحموىّ :

عاينتُ وَرْد الرّوض يلطم خدَّه ويقول وهو على البنفسج محنَقُ
لا تقربوه وإن تضوّع نَشْرُه ما بينكم فهو العدوّ الأزرقُ

آخر :

بنفسج الرّوض تاه عجباً وقال طيبى للّجوّ ضمّخْ
فأقبل الزهر فى احتفال والبانُ من غيظه تنفّخْ

ما قيل فى النّيلوفر

قال ابن التلميذ : النيلوفر اسم فارسىّ معناه النيلىّ الأجنحة والنيلىّ الأرياش[4] .

---

(١) نهاية الأرب ١١ : ٢٢٧ .

(٢) نهاية الأرب ١١ : ٢٢٨ .

(٣) نهاية الأرب ١١ : ٢٢٨ .

(٤) نهاية الأرب ١١ : ٢١٩ . وقال : وربما سمى بالفارسية اسما معناه كرنب الماء .

وقال ابن وحشية : الفرْس تسمّيه نينوفر والعرب نيلوفر والهند نيلوفك والنّبط نيلوفريا .

قال ابن التلميذ : ومن عاداته أن يحوّل وجهه إلى الشمس إذا طلعت ، فيزيد انفتاحُه بزيادة علوّ الشمس ، فإذا أخذت فى الهبوط ابتدأ ينضمّ على ذلك الترتيب ، حتى ينضمّ انضماما كاملا عند الغروب ، ويبقى مضموما الليل كله ، فإذا طلعت أخذ فى انفتاح ، وهذا دأبه أبدا . قال : وهو نبات قَمَرِىّ يزيد بزيادة القمر ، وينقص بنقصانه .

أبو بكر الزبيدى الأندلسىّ :

وبركةٍ تزهو بنَيْلُوفَرٍ نسيمُها يشبه رِيح الحبيبْ (١)
حتى إذا الليلُ دنا وقته ومالت الشمس لوقت المغيبْ (٢)
أطبق جفنيه على حِبّه (٣) وغاص فى البركة خوف الرقيبْ

آخر :

وبركة أحيا بها ماؤها من زهرها كلَّ نبات عجيبْ (٤)
كأن نَيْلُوفَرَها عاشقٌ نهارَه يرقب وجه الحبيبْ
حتى إذا اللّيلُ بَدَا نجمُه وانصرف المحبوب خوف الرقيبْ
أطبق جفنيه عسى فى الكرى يُبصر مَنْ فارقه عن قريبْ

آخر :

يا حبذا بركة نَيْلُوفَرٍ قد جمعتْ من كلِّ فنٍّ عجيبْ (٥)

---

(١) نهاية الأرب ١١ : ٢٢٤ . (٢) نهاية الأرب :

مُفَتّح الأجفانِ فى يومِهِ حَتّى إذا الشمس دنت للمغيبْ

(٣) نهاية الأرب : « حبه » . (٤) نهاية الأرب ١١ : ٢٢١ ، ونسبها إلى أبى بكر الزبيدى .

(٥) نهاية الأرب ١١ : ٢٢٢ ، ومطالع البدور ، ونسبه إلى ابن صابر .

أزرقُ فى أحمرَ فى أبيضٍ كقَرْصَةٍ فى صَحْن خدّ الحبيبْ
كأنه يعشق شمس الضحى فانظره فى الصبح وعند المغيبْ
إذا تجلّت يتجلّى لهـا حتى إذا غاب سناها يغيبْ[(١)]

آخر :

كلّنا باسط اليـدِ نحو نيلوفرٍ ندِى[(٢)]
كدبابيسِ عسجدٍ قُضْبُها من زبرجدِ

آخر :

انظر إلى بركة نيلوفرٍ محمّرةِ الأوراق خضراءِ[(٣)]
كأنما أزهارها أخرجتْ ألسِنَة النّار من الماءِ

آخر :

ونيلوفرٍ صافحتْه الريا حِ وعانقها الماءُ صفواً ورَنْقَا[(٤)]
وتحملُ أوراقُه فى الغدي رِ ألسنةَ النّار حُمْراً وزرْقَا

آخر :

صفر المدارى تضمّها شُرَفٌ مُفْتَضِحٌ عند نشرها العطْرُ[(٥)]
تحملها خَيْزُرانة ذبلت ذبول صبٍّ أذابَه الهَجْرُ

---

(١) بعده فى نهاية الأرب :

يرنو إليها مبصرًا يومَهُ ولا يحاشى نظراتِ الرقيبْ
لا يبتغى وجهًا سوى وَجهِهَا فِعْلَ محبٍّ مخلصٍ فى حبيبْ

(٢) نهاية الأرب ١١ : ٢٢٢ ، ومن غاب عنه المطرب للثعالبى ٣٧ ، ونسبه إلى أبى بكر الصنوبرى .
(٣) نهاية الأرب ١١ : ٢٢٢ ، ومطالع البدور ١ : ١١٢ ، ونسبه إلى ابن حديس .
(٤) نهاية الأرب ١١ : ٢٢٣ ، وفى الأصول : « وريقا » ، وصوابه من نهاية الأرب .
(٥) نهاية الأرب ١١ : ٢٢٣ ، وفيها : « صفر الدرارى » .

كأنها إذ رأيت ألسنةً ... أنطقها للمهيمن الشكرْ
خناجرٌ من حناجر نُزِعَتْ ... فهى على الماء من دم حمر

الطغرائى :

ونيلوفرٍ أعناقُه أبدا صُفْرُ ... كأنّ به سُكْراً وليس به سُكْرُ[1]
إذا انفتحت أوراقُه فكأنّها ... وقد ظهرت ألوانها البيض والصفرُ
أنامل صبّاغٍ صُبغنَ بنيلةٍ ... وراحتها بيضاء فى وسطها تبرُ

ابن الرومىّ :

يرتاح للنَّيلوفر القلب الّذى ... لا يستفيق من الغرام وجَهْدِهِ
والورد أصبح فى الروايح عبدَهُ ... والنّرجس المسكىّ خادم عبدِهِ
ياحسنَه فى بركة قد أصبحتْ ... محشوّة مسكاً يشاب بندِّه
مهجورِ حبٍّ ظلّ يرفعُ رأسَه ... كالمستجير بربِّه من صدِّهِ[2]
وكأنه إذ غاب عند مسائِه ... فى الماء فانحجبت نضارة قدِّهِ
صبّ تَهدَّده الحبيبُ بهجره ... ظلما فغرّق نفسه من وَجْدِهِ

الوجيه بن الذروىّ يهجو النيلوفر :

ونيلوفر أبدى لنا باطنا له ... مع الظاهر المخضرّ حمرة عَنْدَمِ
فشبّهته لمّـا قصدت هجاءه ... بكاسات حَجّام بها لُوثة الدم

البشنين

قال فى مباهج العبر : وإذا مرّ النيل بمصر ينبت فى أماكن منخفضة ، قد وقف فيها الماء نباتاً يشبه النّيلوفر، ليست له رائحة ذكية ، يسمّى البَشْنين ، يتّخذ منه دهن وهو

---

(١) نهاية الأرب ١١ : ٢٢٤ .   (٢) نهاية الأرب : « ضده » .

نوعان نوع يسمى الحريرىّ ، يشبه الرّمان ، وتسميه أهل مصر الجُلجلان، والآخر يسمّونه الغزىّ ، وله أصل يسمى البيارون .

ما ورد فى الآس

أخرج ابن السنّىّ وأبو نُعيم ، كلاهما فى الطبّ النبوىّ عن ابن عباس ، قال : أهبِط آدم من الجنة بثلاثة أشياء : بالآسة ، وهى سيدة ريحان الدنيا ، وبالسّنبلة وهى سيدة طعام الدنيا ، وبالعَجْوة وهى سيدة ثمار الدنيا .

وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره وابن السُّنىّ عن ابن عباس قال : أول شىء غرَس نوح حين خرج من السفينة الآس .

وأخرج ابن السكن عن عائشة ، قالت : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُستاك بعود الآس وعود الرّمان ، فإنهما يحركان عِرْق الُجذام .

وأخرج ابن السّنىّ عن الأوزاعىّ، يرفع الحديث إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم أنّه نهى عن التخلّل بالآس ، وقال : إنه يسقى عرْق الجذام .

قال فى مباهج العبر : اليونان تسمّى الآس مرسينا ، وتسميه العامة المرسين .

وقال ابن وحشيّة : الآس سيّد الرياحين، ويعظم حتى إنه يشجر ويثمر ثمراً قَدْر الحمّص ، وهو ثلاثة أنواع : أخضر وهو المشهور ، وأصفر وهو مافسد من ورق الأول ، وأزرق ويسمى الُخسرُوانىّ ، وهو أن يخلط فى أصوله عند الزرْع ورق النيل، قال الأخيطل الأهوازىّ:

للآس فضلُ بقائه ووفائه ودوامُ منظره على الأوقاتِ (١)

---

(١) نهاية الأرب ١١ : ٢٤١ ، وفيه : «دوام نضرته » ، وبعده هناك :

الجوّ أغبَرُ وهو أخْضَرُ والثرى يَبْسٌ ويبدُو ناضر الورقاتِ

(حسن المحاضرة ٢٧ / ٢)

قامت على أغصانه [1] ورَقاتُه كنصول نَبْل جئن مؤتلفاتِ [2]

آخر :

ومشمومةٍ مخضرّة اللون غَضّةٍ حَوَتْ منظرا للناظرين أنيقا [3]

إذا شمّها المعشوق خِلْتَ اخضرارَها ووجنتَــه فيروزجاً وعقيقا

ابن وكيع :

خليليّ ما للآس يعبَق نشرُه إذا هبّ أنفاس الرياح العواطرِ [4]

حكى لونه أصداغَ رِيمٍ معذّرٍ وصورته آذان خيلٍ نوافرِ

ماورد فى الريحان ، وهو الحبق

روى فيه أحاديث موضوعة ، منهـا حديث ابن عباس مرفوعا : « نعم الريحان ينبت تحت العرش ، وماؤه شفاء للعين » أخرجه العُقيليّ ، وقال : باطل لا أصل له ، وابن الجوزىّ فى الموضوعات . وورد نحوه من حديث أنس أخرجه الخطيب البغدادىّ ، وقال : موضوع، وابن الجوزىّ أيضا .

وأخرج الخطيبُ فى تالى التّلخيص من حديث جابر بن عبـد الله مرفوعا « المَرْزَنْجُوش مزروع حول العرش ، فإذا كان فى دارٍ لم يدخلها الشيطان » ، قال الخطيب : باطل .

قال ابن الجوزىّ : وروى بسند مجهول من حديث أنس مرفوعا : «إنّ فى الجنة بيتا سقفه من مَرْزَنْجُوش ».

قال فى مباهج العبر : العرب تطلق اسمَ الريحان على كلّ نبت له ريح طيبة .

---

(١) نهاية الأرب : « قضبانه » . (٢) نهاية الأرب : « جسدّ مؤتلفات .

(٣) نهاية الأرب ١١ : ٢٤٢ ، ونسبهما إلى أبى سعيد الأصفهانى .

(٤) نهاية الأرب ١١ : ٢٤٢ .

والحَبَق أنواع: منه الريحان النّبَطِىّ ، وهو عريض الورق ، ويسمى الباذَرُوج، وهو المعروف عند الناس المتخذ فى البساتين .

وحبَق ترجانىّ ، وله رائحة كرائحة الأترجّ ، ويسمّى الباذرنجبويه والباذَرَنْبُويه ، واسمه بالفارسية مَرْماخُوز ، بالزاى المعجمة ، وهو دقيق الورق .

وحبق قَرَنفُلىّ ، وله رائحة كرائحة القَرَنْفُل ، ويسمى القَرَنْجَمَشْك بالفارسية .

وحبَق صعترىّ، له رائحة كرائحة الصَّعْتر .

وحبَق كرمانىّ ، ويسمى بالفارسية الشّاهِسْفَرَم ومعناه ملِك الرياحين ، والعرب تسميه الضَّيْمَران والضَّوْمَرَان ، وهو دقيق الورق جدا ، يكاد أن يكون دون السداب .

وحبق الفَتى وهو المَرْزَنجوش ، والعرب تسميه العَبْقر ، ويقال إنه الشّمام .

وريحان الكافور ، ويسمى بالفارسية سَوْسن ، وشكله شكل المنثور وزهره وورقه يؤديان رائحة الكافور [1] .

قال السرى الرّفاء يصف حوض ريحان :

وبساط ريحانٍ كماء زبرجَدٍ   عبِثَتْ به أيدِى النّسيم فأرعِدَا [2]

يشتاقه القوم [3] الكرام فكلّما   مَرِض النسيم سعوا إليه عوّدا [4]

أبو الفضل الميكالىّ:

أعددتُ محتفلا ليوم فراغى   روضا غدا إنسان عين الباغ [5]

روضٌ يروضُ همومَ قلبى حسنُهُ   فيــه ليوم اللهو أىّ مساغ [6]

---

(١) انظر نهاية الأرب ١١ : ٢٤٧ — ٢٥٠ وحواشيه .

(٢) نهاية الأرب ١١ : ٢٥٢ .   (٣) نهاية الأرب : « الشرب » .

(٤) نهاية الأرب : «سروا إليه» .   (٥) نهاية الأرب ٢٥٢:١١ . والباغ: البستان فارسى معرب.

(٦) نهاية الأرب : « لكأس اللهو » .

وإذا انثنتْ قضبان ريحانٍ به حيّتْ بمثل سلاسل الأصداغ

أبو القاسم الصّقلىّ :

أنا بالريحان مفتو ن، ولامثل الجماجمْ
فتأمله تجد عـذ رأ لصبّ القلْب هائمْ
غالمة الجند بخضر الـ قمص فى حُمْر العمائم

الطغرائىّ :

مراضيعٌ من الريحان تُسْقَى سقيطَ الطلِّ أو دَرّ العِهاد[1]
ملابسهنّ خضر مُشْبَعَاتٌ[2] بأشكالٍ تميل إلى السواد
إذا ذَرّت عليهـا المسكَ ريحٌ وجاد بفيضهنّ يدُ الغوادى
تخلّلهـا الرياح فسرّحتْها صنيعَ المشط فى اللّمَمِ الجِعاد[3]

ابن أفلح :

وجماجمٍ كأسنّـة فى كلّ معترك قديمْ[4]
أو أنجم بزغت[5] لتُحْـرق كلّ شيطان رجيمْ
أو مثل أعراف الديو ك لدى مبارزة الخصومْ
أو كالشقيق تحرّشتْ بفروعه أيدِى النّسيمْ
أو ثاكل صَبَغت ثيابا[6] من دم الخـدّ اللطيمْ

---

(١) نهاية الأرب ١١ : ٢٥٣ . (٢) نهاية الأرب : « مشبعات » .
(٣) بعده فى نهاية الأرب :

جَرَتْ دَهْنًا بِهَا وسَرَت عَلَيها فطاب نسيمُها فى كلّ وادِ

(٤) نهاية الأرب ١١ : ٢٥٣ ، وفيه كل معترك قويم » .
(٥) نهاية الأرب : « نزعت » . (٦) نهاية الأرب : « بناتا » .

ابن وكيع:

هـــذا الحماحِم زَهْرٌ فيــه حياة النفوسِ
كأنه حين يبـــدُو بُرادة الآبنـــوسِ

آخر:

أما ترى الريحانَ أهدى لنا حماحماً منـــه فأحيانا
تحسبه فى طلّه والنـــدى زمرّدا يحمل مَرْجانا

ابن وكيع فى الصعترىّ:

صعترىٌّ أرقُّ من أرجل النمـ ـل، وأذكى من نفحة الزعفرانِ[1]
كسطور كُسِينَ نَقْطاً وشكلاً من يدَىْ كاتب ظريف البنانِ

صاعد الأندلسىّ فى الريحان الترنجىّ:

لم أدرِ قبل تُرُنجانٍ مررتُ به أن الزمرّد أغصانٌ وأوراقُ[2]
من طيبه سرق الأُترجّ نكهتَه ياقومُ حتى من الأشجار سُرّاق!

آخر:

ذَكىّ العَرْف مشكور الأيادى كريمٌ عَرْفه يُسْلِى الحزينا[3]
أغار على التُّرنج وقد حكاهُ وزادَ على اسمه ألفاً ونونا

ما قيل فى المنثور، وهو الخيرىّ

ابن وكيع:

انظر إلى المنثورِ فى مَيْدَانِهِ يدنو الى النّاظر من حيثُ نظَرْ[4]

(١) نهاية الأرب ١١ : ٢٥٥ .
(٢) نهاية الأرب ١١ : ٢٥٥ .
(٣) نهاية الأرب ١١ : ٢٥٥ ، وفيه : «كريم عرقه» بالقاف .
(٤) نهاية الأرب ١١ : ٢٧٢ .

كجوهرٍ مختلف لونُه أسلَمه[1] سلك نظام فانتثرْ

آخر :

انظُرْ إلى المنثور ما بينَنا وقد كساه الطَّلُّ قمصانَا

كأنما صاغتْه أيدِى الحيا من أحمرِ الياقوت مَرْجانا[2]

ومن خواصّه أنه لا تعبق له رائحة إلا ليلًا ، وفيه يقول الشاعر :

ينمّ مع الإظلامِ طيبُ نسيمِهِ ويخفى مع الإصباح كالمتَستِّرِ

كعاطرة ليلا لوعْدِ محبِّها وكاتمة صبحًا نسيم التعطر

ما قيل فى الياسمين

كتبَ ناصر الدين التّنيسىّ إلى النصير الحمامىّ ملغزا فيه :

يا مَنْ يحلّ اللغز فى ساعة كلمحةٍ من طرفة العينِ

ما اسمٌ إذا أنقصتَ مِنْ عَدِّه فى الخطّ حرفًا صار اسمَيْن

فأجابه نصير :

لعرض مولانا وأنفاسِه ألغزتَ لى حقًّا بلامينِ

اسم سداسىٌّ لطيفٌ به نحافة تَظْهَرُ للعينِ

لكنّه يغدو سمينا إذا أسْقطْتَ من أولاه حَرْفَيْنِ

أبو إسحاق الحصرىّ يصف الياسمين قبل انفتاحه :

خليلىّ هُبّا وانفُضَا عنكما الكرَى وقوما إلى روضٍ ونشر عبيقِ[3]

فقد راح رأسُ الياسمينِ مُنوِّرًا كأقراط دُرٍّ قُمِّعَتْ بعقيقِ

---

(١) ح ، ط : « أسله » . (٢) نهاية الأرب ١١ : ٢٧٢ .

(٣) نهاية الأرب ١١ : ٢٣٧ ، وفيه : « وكأس رحيق » .

يميلُ على ضَعْفِ الغصون كأنّما . له حالتا ذى غَشْيَة ومفيق[1]
إذا الرّيح أدنته إلى الأرض خِلْته نسيمَ جَنوبٍ ضُمِّخت بخَلوقِ

آخر :

وروضةٍ نَوْرها يرفُّ مثل عروسٍ إذا تزَفُّ[2]
كأنّما اليـاسمينُ فيهـا أناملٌ مالهـا أكفُّ

أبو بكر بن القوطية :

وأبيضَ ناصعٍ صافى الأديمِ يُطّلع فوق مخضرٍّ بهيمِ
كأنّ نوّارَه المجنىَّ منه سماءٌ قد تحلّتْ بالنجوم

آخر :

كأنّ الياسمينَ الغضَّ لمّا أدرْتُ عليه وَسْطَ الرّوضِ عَيْنِى[3]
سماءٌ للزبرجد قد تبدّتْ لنا فيها نجومٌ من لُجينِ

المعتمد بن عبـاد :

كأنمـا ياسميننا الغضُّ كواكبٌ فى السماء تبيَضُّ[4]
والطُّرق الحمرُ فى بواطنِه كخدِّ عذراءَ مسَّه عَضُّ

ابن عبد الظاهر :

ويا سمين قد بدت أزهاره لمن يَصِفْ
كمثل ثوبٍ أخضرٍ عليه قطن قد نُدِفْ

آخر :

ويا سمينٍ عبق النشرِ يُزرى بريح العنبر الشّحْرِى[5]

---

(١) فى الأصول : « ونفيق » تحريف .
(٢) نهاية الأرب ١١ : ٢٣٧ .
(٣) نهاية الأرب ١١ : ٢٣٧ .
(٤) نهاية الأرب ١١ : ٢٣٧ .
(٥) نهاية الأرب ١١ : ٢٣٧ . والشحرىّ : نسبة إلى الشحر ، وهو صقع على ساحل الهند من ناحية اليمن .

يَلوح من فوق غصونٍ له كمثل أقراط من الدرِّ

ابن الحداد الأندلسيّ :

بعثتُ بالياسمين الغضِّ مبتسماً وحسنه فاتنٌ للنفس والعينِ[1]
بعثته منبئاً عن صدق معتَقدى فانظر تجد لفظه يأسا من المينِ

وقال آخر .

لا مرحبًا بالياسمين وإن غدا فى الرَّوْض زَيْنَا[2]
صحّفْتُه فوجدتُه متقابلاً يأسا ومَيْنا

آخر :

وياسمينٍ إن تأمّلتَه حقيقةً أبصرتَه شَيْنًا[3]
لأنه يأسٌ ومَيْنٌ ومن أحبّ قطّ اليأسَ والمينًا !

ما قيل فى النّسرين

قال ابن وحشية: الياسمين والنّسرين متقاربان حتى كأنّهما أخوَان ، وكلّ واحد منهما نوعان : أبيض وأصفر ، ولها شقيق آخر ورده أكبر من وردها ، يسمى جلّنسرين .

قال عبد الرزاق بن عليّ النحويّ :

زان حُسْنَ الحدائق النَّسْرِينُ فالحِجَا فى رياضه مفتون[4]
قد جرىٰ فوقه اللّجَين وإلا فهْو من ماء فضةٍ مدهونُ
أشبهتْه طُلَى الحسان بياضاً وحوتْه شبه القدود غصونُ

آخر :

أكْرِمْ بنَسْرينٍ تُذيع الصَّبَا من نشره مسكا وكافورا[5]

---

(١) نهاية الأرب ١١ : ٢٣٩ .
(٢) نهاية الأرب ١١ : ٢٣٨ .
(٣) نهاية الأرب ١١ : ٢٣٨ .
(٤) نهاية الأب ١١ : ٢١٤ .
(٥) نهاية الأرب ١١ : ٢١٤ ، وفيه « يذيع الصبا » .

ما إن رأينا قطّ من قبله   زَبَرْجَداً يُثمر بلّورا

آخر :

انظرْ لنَسرينٍ يلو   ح على قَضيب أملدِ[1]

كمَداهنٍ من فضةٍ   فيها بُرادةُ عسجدِ

حَيَّتك من أيدى الغصو   ن بها أكفُّ زبرجدِ

ما قيل فى الأقحوان

مجير الدين محمد بن تميم :

لا تمش فى روضٍ وفيه شقائقٌ   أو أقحوانٌ غِبَّ كل غمامِ

إن اللّواحظ والخدود أُجِلُّها   عن وطئها فى الرّوض بالأقدامِ

آخر :

كأن نَوْر الأقَاحِى   إذ لاح غِبَّ القطرِ

أناملٌ من لجين   أكفُّها من تِبْرِ

علىّ بن عباد الإسكندرانىّ :

والأقحوانة تحكى وهى ضاحكةٌ   عن واضحٍ غيرِ ذى ظَلْمٍ ولاشَنَبِ[2]

كأنّها شمْسة من فِضّة حُرِسَتْ   خَوْف الوقوع بمسمار من الذهبِ

ظافر الحداد :

والأقحوانة تحكى ثغر غانيةٍ   تبسّمت فيه من عُجْب ومن عَجَبِ[3]

فى القدّ والبَرْد والرّيق الشهىّ وطيـ   ـب الرّيح واللّون والتّفليج والشّنَبِ

كشمسةٍ[4] من لجينٍ فى زبرجدةٍ   قد شُرِّفت حول مسمارٍ من الذهب

(١) نهاية الأرب ١١ : ٢١٤ .   (٢) نهاية الأرب ١١ : ٢٨٨ ، وفيه : « تجلى وهى ضاحكة » .

(٣) نهاية الأرب ١١ : ٢٨٩ .   (٤) الشمسة : القطعة المدورة على هيئة الشمس .

الجمال علىّ بن ظافر المصرىّ :

انظر فقد أبدى الأقاح مباسماً ضحكتْ تهلّلُ فى قُدُودِ زبرجدِ(١)
كفصوص درٍّ لُطِّفَتْ أجرامُها قد نُظِّمَتْ من حَوْلِ شمسةِ عسجد

آخر :

ظفرتْ يدى للأقحوان بزهرةٍ تاهت بها فى الروضة الأزهارُ(٢)
أبدتْ ذراع زبرجدٍ وأناملاً من فضة فى كفها دينارُ

ما قيل فى البان

شمس الدين بن محمد التلمسانىّ :

تبسّمَ زهرُ البانِ عن طيبِ نشرِهِ وأقبلَ فى حسنٍ يجلّ عن الوصفِ
هلمّوا إليـه بين قصفٍ ولذّةٍ فإنّ غصونَ البـانِ تصلحُ للقَصْفِ

الشهاب محمود على لسان البان :

إذا دغْدَغَتْنِيَ أيدى النّسيم فَمِلْتُ وعندىَ بعضُ الكَسَلْ
فسَلْ كيف حال قُدودِ المِلاح وعن حال سُمْر القنَا لا تَسَلْ

أبو جَلْنك الشاعر يهجو القاضى شمس الدين بن خلّكان :

لله بستانٌ حَللنا دَوْحَـهُ فى جَنّةٍ قد فُتِّحتْ أبوابَها(٣)
والبانُ تحسبه سنانيراً رأتْ قاضى القضاة فنفّشت أذنابَها

تاج الدين بن شقير :

قد أقبل الصّيفُ وولّى الشّتا وعن قريب نَشْتكى الحرّا
أما تَرَى البـانَ بأغصانِهِ قد أقلب الفَرْوَ إلى برّا

---

(١) . . .
(٢) نهاية الأرب ١١ : ٢٩٠ . (٣) نهاية الأرب ١١ : ٢١٨ ، وفيه : « فى لذة » .

ما قيل فى الشقيق

ابن الرومىّ :

يصوغ لنا كفّ الربيع حدائقاً كعِقْدِ عقيقٍ بين سمطِ لآلِ[1]
وفيهنّ نوّار الشقائق قد حكى خُدود غوانٍ نقّطت بغَوالِ

كشاجم :

فرّجَ القلبَ غاية التفريج ابتهاجى ما بين روض بهيجِ[2]
فكأنّ الشقيق فيه أكاليـلُ عقيقٍ على رءوس زنوجِ

أبو العلاء السّروىّ :

جامٌ تكوّن من عقيقٍ أحمرٍ مُلئت قرارتُه بمسكٍ أذْفَرِ
خرط الربيع مثالَه فأقامه بين الرياضِ على قضيبٍ أخضرِ

أبو بكر الصنوبرىّ :

وكأنّ محمرّ الشقيـق إذا تصوّب أو تَصَعّدْ
أعلامُ ياقوت نُشِر ن على رماحٍ من زبرجدٍ[3]

الخيار البلدىّ :

انظُرْ إلى مقل الشقيـ ق تضمّنت حذق السبجِ
من فوق أغصان حَسُنّ وما سَمُجْنَ من العوَجِ

آخر :

شَقيقةٌ شَقّ على الورد مَا قد لبِسَتْ من كَثْرة الصِّبغ[4]
كأنّها فى حسنها وجنةٌ يلوحُ فيها طَرَفُ الصُّدغ

---

(١) نهاية الأرب ١١ : ٢٨٢ .
(٢) نهاية الأرب ١١ : ٢٨٢ .
(٣) نهاية الأرب ١١ : ٢٨٤ .
(٤) نهاية الأرب ١١ : ٢٨٤ .

فى زهر النارنج

للقاضى الفاضل :

نديمىّ هيّا قد قضى النجم نحبَهُ ... وهبَّ نسيمٌ ناعمٌ يوقظ الفجرا
وقد أزهر النارنج أزرار فضة ... تَزُرّ على الأشجار أوراقها الخضرا

فى الخشخاش

ابن وكيع :

وخشخاشٍ كأنا منه نَفْرِى ... قميص زَبَرْجَدٍ عن جسم درٍّ(١)
كأقداح من البلّور صِينتْ ... بأغشية من الديباج خُضْرِ

فى نوْر الكتان

ابن وكيع :

ذوائب كَتّان تمايل فى الضّحى ... على خضر أغصان من الرّىّ مُيّدِ(٢)
كأنّ اصفرَار الزّهر فوق اخضرارِها ... مَداهن تبرٍ رُكّبَتْ فى زَبَرْجَدِ

آخر :

كأنه حين يبدُو ... مداهن اللّازَوَرْدِ(٣)
إذا السماء رأتْه ... تقول : هذا فِرِندى

ابن الرومىّ :

وحِلْسٍ من الكَتّان أخضَرَ ناعم ... سقى نبتَه دَانِى الرَّباب مطيرُ(٤)
إذا درجتْ فيه الشمال(٥) تتابعت ... ذوائبــه حتى يقــال غديرُ

(١) نهاية الأرب ١١ : ٢٦ .
(٢) نهاية الأرب ١١ : ٢٧ .
(٣) نهاية الأرب ١١ : ٢٧ .
(٤) نهاية الأرب ١١ : ٢٧ ، ويريد بالحلس النبات الذى يغطى الأرض كثرة ، تشبيها له بالحلس .
(٥) نهاية الأرب « الرياح » . والرباب : السحاب المعلق الذى تراه كأنه دونَ السحاب .

ذكر الفواكه

ماورد فى البِطّيخ

أخرج ابن عدىّ فى الكامل عن عائشة ، قالت : كان أحبَّ الفاكهة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرُّطَب والبِطّيخ .

وأخرج الطبرانىّ والحاكم فى المستدرك ، عن أنس ، أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم كان يأخذ الرُّطَب بيمينه ، والبِطِّيخ بيساره ، فيأكل الرُّطَب بالبِطّيخ ، وكان أحبَّ الفاكهة إليه .

قال فى مباهج الفكر : البِطّيخ ثلاثة أصناف : هندىّ ويسمّى بمصر البطِّيخ الأخضر وبالحجاز الحَبْحَب ، وصِّينى ويسمّى بمصر الأصفر ، وفيه يقول الشاعر :

ثلاثٌ هنّ فى البطِّيخ زَيْنٌ ... وفى الإنسان منقصةٌ وذِلّهْ [(١)]

خُشونة لمسِه والثِّقل فيــه ... وصفرة لونِه من غـير عِـلّهْ [(٢)]

وخُراسانىّ ، ويسمّى بمصر العبدلىّ منسوب لعبد الله بن طاهر ، فإنه الذى دخل به مصر ، قال أبو طالب المأمونىّ فى البِطّيخ الهندىّ :

ومبيَضّةٍ فيهـا طرائق خضرةٍ ... كما اخضرّ مَجْرى النَّسيل من صَيِّب المزن [(٣)]

كحُقّـةِ عاجٍ ضُبِّبَتْ بزبرجـدٍ ... حوتْ قِطَع الياقوتِ فى عُصَب القطن [(٤)]

آخر :

أخٌ لىَ صادقٌ أهـدَى إلينا ... كما يُهدى الصّديق إلى الصديق

---

(١) نهاية الأرب ١١ : ٣١ (٢) بعده فى نهاية الأرب :

إذَا شقّقتَــهُ يوماً تراه ... بدوراً أشرقَتْ منهـا أهِلَّهْ

(٣) نهاية الأرب ١١ : ٣٢ .

(٤) نهاية الأرب : « عطب القطن » . والعطبة : القطعة من القطن وجمعها عطب .

قلال زَبَرْجدٍ فيهنّ شَهْدٌ وحشو الشّهد شىء كالعقيق

آخر :

رأيتُهـا فى كف جَلاَّبِهـا وقد بدتْ فى غاية الُحسْنِ [١]
كسلّةٍ خضراء مختومـةٍ عَلَى الفصُوصِ الحمر فى القُطْنِ

أبو طالب المأمونى فى البِطّيخ الأصفر :

وبِطّيخـةٍ مسكيّـة عسليّـةٍ لهـا ثوبُ ديباج وعَرْفُ مُـدام [٢]
محقّقـة ملء الأكفّ كأنهـا من الجَزْع كِسْرى لم تُرَضْ بنظام [٣]
لهـا حُلّةٌ من جُلّنار وسَوْسَنٍ مُعَمّدةٌ بالآس غِبَّ غمـام
تمازجَ فيهـا لونُ حِبٍّ وعاشق كساه الهوى والبينُ ثوبَ سَقَام
إذا فُصِّلَتْ للأكل كانتْ أهِـلّةً وإن لم تفصَّـلْ فهى بَدْرُ تمـام

وقال :

يُقطّع بالسكين بِطّيخةً ضُحًى على طبقٍ فى مجلس لَانَ صاحبه [٤]
كبدرٍ ببرق فى سماء أهلةٍ على هالةٍ فى الأفق شتّى كواكبه [٥]

آخر :

أتانا الغلامُ ببِطّيخةٍ وسكّينة أشبعوها صِقالا [٦]
فقطّع بالبرق شمس الضّحى وناول كلٌّ هلالٍ هلالا

---

(١) نهاية الأرب ١١ : ٣٣ (٢) نهاية الأرب ١١ : ٣٣ ، ٣٤ .
(٣) الجزع : نوع من الخرز اليمانى .
(٤) نهاية الأرب ١١ : ٣٥ ، ونسبه إلى نجم الدين بن البارزى .
(٥) رواية البيت فى نهاية الأرب :
كشمسٍ ببرقٍ قدّ بدراً أهِلّةً لدى هالةٍ فى الأفق شتّى كواكِبُهْ
(٦) نهاية الأرب ١١ : ٣٥ .

آخر :

ألا فانظُروا البِطِّيخ وهو مشقّقٌ　　وقد جاز فى التّشقيق كُلَّ أنيقِ
صفاها كبلّور بدت فى زُمُرّدٍ　　مركّبة فيها فُصُوص عقيق[1]

ماورد فى الرمان

أخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند وابن السّنى بسندٍ رجاله ثقات ، عن علىّ ابن أبى طالب ، قال : كلوا الرّمان بشحمه ، فإنه دِبَاغٌ للمعدة .

وأخرج الطّبرانىّ بسند صحيح ، عن ابن عباس ، أنه كان يأخذ الحبّة من الرمان فيأكلها ، فقيل له : لم تفعل هذا ؟ قال : بلغنى أنه ليس فى الأرض رمانة إلا تلقح بحبّةٍ من حبّ الجنة ، فلعلها هذه .

قال بعضهم :

رمّانةٌ صبَغ الزّمانُ أديمَها　　فتبسّمت فى ناضر الأغصان[2]
فكأنها فى حُقّةٍ من عسجدٍ　　قد أودِعَتْ خَرَزًا من المَرْجانِ

آخر :

رُمّانةٍ مثلُ نهدِ الكاعب الرّيمِ　　تَزْهَى بشكلٍ ولونٍ غيرِ مذمومِ[3]
كأنّها حُقّةٌ من عسجدٍ مُلِئتْ　　من اليواقيت نثراً غير منظومِ

آخر :

ولاح رُمّانُنَا فأبهجنا　　بين صحيحٍ وبَيْن مفتوتِ[4]
من كلّ مصفرّةٍ مُزَعْفَرَةٍ　　تفوق فى الحسنِ كلّ منعوتِ
كأنهــا حُقّــةٌ فإن فُتِحت　　فصُرّةٌ من فُصوص ياقوتِ

---

(١) . . .
(٢) نهاية الأرب ١١ : ١٠٢ .
(٣) نهاية الأرب ١١ : ١٠٣
(٤) نهاية الأرب ١١ : ١٠٣ .

آخر :

طَعْم الوِصال يصونُه طعم النّوى　　سبحان خالقِ ذا وذا من عودِ[1]

فكأنها والخضْر من أوراقِها　　خضر الثياب على نهود الغِيدِ

آخر :

خُذوا صِفة الرّمّانِ عنّى فإنّ لى　　لسانًا عن الأوصاف غيرَ قصيرِ[2]

حِقَاقٌ كأمثال العقيق تضمّنتْ　　فصوص بَلَخْشٍ فى غشاء حريرِ[3]

فى جلّنارة

أبو فِراس الحمدانىّ :

وجلّنارٍ مشرفٍ　　على أعالى شجرهْ[4]

كأنه فى أغصانِه　　أحمره وأصفره[5]

قُراضةٌ من ذهب　　فى خِرَقٍ مُعَصْفَرَه

عبد الله بن المعتزّ :

وجُلّنارٍ كاحمرار الخدّ　　أو مثل أعراف ديوكِ الهندِ[6]

ابن وكيع :

وجلّنار بهىّ　　ضِرامُه يتوقّدْ[7]

بدا لنا فى غصون　　خُضْرٍ من الرمْيِ مُيّدْ[8]

---

(١) نهاية الأرب ١١ : ١٠٤　　(٢) نهاية الأرب ١١ : ١٠٢

(٣) البلخش : نوع من الجواهر ؛ وانظر حواشى نهاية الأرب .

(٤) نهاية الأرب ١١ : ١٠٤ .

(٥) سقط هذا البيت من ح ، ط ، وأثبته من الأصل ونهاية الأرب .

(٦) . . .

(٧) نهاية الأرب ١١ : ١٠٥　　(٨) نهاية الأرب ١١ : ١٠٥

يحكي فصوص عقيقٍ في قبّة من زَبَرْجَدْ

آخر :

كأنّما الجلّنار لمّا أظهره العَرْضُ للعيونِ

أناملٌ كلّها خَضيبٌ تزهى احمراراً على الغصونِ

ما ورد في الموز

أخرج الخطيب فيما رواه مالك عن مالك بن أنس ، قال : ليس في الدّنيا شيء يشبه ما في الجنة إلا الموز ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ ﴾[1] ، وأنت ترى الموز في الشتاء والصيف .

دخل القاضي أبو بكر بن فريقة على عزّ الدولة بن بُويه ، وبين يديه طبق فيه موز ، فلم يدْعُه إليه ، فقال : مابالُ الأمير لايدعوني إلى الفوز بأكل الموز ! فقال له : صفه حتى أطعِمَك منه ، فقال : ما أصفُ من جرُب ديباجيّة ، فيها سبائك ذهبيّة ، كأنما حُشيت زبداً وعسلا ، أو خبيصاً مرملا ، أطيب الثمر كأنه مُخّ الشجر ، سهل المقشر ، ليّن المكسر ، عذب المطعم بين الطعوم ، سَايِسٌ في الحلقوم .

وقال النجم بن إسرائيل :

أنعتُه موزاً شهيّ المنظرِ مستحكم النضج لذيذ المخبرِ[2]

كأنّ تحت جلده المزعفرِ لفّات زُبْدٍ عُجِنَتْ بسُكّرِ

ابن الرومي :

للموز إحسانٌ بلا ذُنوبِ ليس بمعدودٍ ولا محسوبِ[3]

---

(١) سورة الرعد ٣٥ .

(٢) نهاية الأرب ١١ : ١٠٨

(٣) نهاية الأرب ١١ : ١٠٧

(حسن المحاضرة ٢/٢٨)

يكادُ من موقعه المحبوبِ يُسْلِمُه البَلْعُ إلى القلوبِ

البهاء زهير :

ياحَبّذا الموزُ الذى أرسلتَه لقد أتانا طَيّبٌ من طيب [1]

فى لونهِ وطعمه وريحـــه كالمسك أو كالتبر أو كالضرَبِ

وافتْ به أطباقُه مُنَضَّـــداً كأنه مَـكاحلٌ من ذهبِ

آخر :

يحـكى إذا قشرْتَه أنيابَ أفيالٍ صغارِ [2]

ذُو باطنٍ مثـل الأقا حِ ، وظاهرٌ مثل البَهارِ

ماورد فى النخل

أخرج الشيخان عن ابن عمر ؛ أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلم، قال: « إنّ فى الشّجر شجرةً، مثلُها مثلُ المسلم ، أخبرونى ماهى ؟ » فوقع الناس فى شجر البوادى ، ووقع فى قلبى أنها النخلة ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « هى النخلة » .

وأخرج أبو يعلَى فى مسنده وابن السّنّى عن علىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكرِموا عمّتـكم النخلة ، فإنها خُلِقت من الطين الذى خلق منه آدم ، وليس من الشجر شىء يلقح غيرها » .

قال فى مباهج الفـكر : ويقال إنّ ممّا أكرم الله به الإسلام النخل ، وأنه قُدِّر جميع نخل الدنيا لأهل الإسلام فغلبوا على كلّ موضع هو فيه .

وقال الدينورىّ فى المجالسة : حـدّثنا محمد بن عبد العزيز ، حدثنا أبى ، عن محمد بن



---

(١) ديوانه ٧

(٢) نهاية الأرب ١١ : ١٠٧ ، وقبله :

موزٌ حـــلا فـكأنهُ عَسَلٌ ولـكن غـير جار

يزيد بن مطير ، قال : قال محمد بن إسحاق : كلّ نخلة على وجه الأرض فمنقولة من الحجاز ، نقلها التّماردة إلى المشرق ، ونقلها الكنعانيون إلى الشام ، ونقلها الفراعنة إلى باب أليون وأعمالها ، وحملها التّبابعة فى مسيرهم إلى اليمن وعمان والشّحْر وغيرها .

الحداد :

رَوْضٌ كمخضرّ العِذارِ وجدولٍ نقشت عليه يدُ النسيمِ مَواردًا[1]
والنّخل كالهيفِ الحسان تزيّنت فلبسْنَ من أثمارهنّ قلائدا

فى الطَّلْع

كأنّما الطَّلْع يحْكى لناظرى حين أقْبلْ
سلاسلا من لجينٍ يضمها حُقّ صندل

فى الجمّار

أهْدى لنا جمّارةً مَن لَسْتُ أخشى من عذابهِ
فكأنّما هى جسمُه لمّا تجرّد من ثيابهِ

فى البلح الأخضر

أما ترى النخل نثّرت بلحاً جاء بشيرا بدْولة الرُّطَبِ[2]
كأنه والعيونَ تنظرُه مقمّعاتُ الرءوسِ بالذهب[3]
مكاحلٌ من زبرجدٍ خَرَطت مقمّعات الرءوس بالذهب

فى الأصفر

أمَا ترى البُسر الّذِى قد جاءنا بالعجبْ[4]

---

(١) نهاية الأرب ١١ : ١٧٤ . (٢) نهاية الأرب ١١ : ١٢٧ .
(٣) سقط هذا البيت من الأصول وأثبته من نهاية الأرب . (٤) نهاية الأرب ١١ : ١٢٧ .

كَيْفَ غَدَا فى لونِهِ كعاشقٍ مكتئبٍ[١]
مكاحلاً من فضّةٍ قد طُليت بالذهب

فى الأحمر :

انظر إلى البُسْر إذْ تبدَّى ولونُه قد حكَى الشقيقَا[٢]
كأنّمَا خُوصُه عَلَيْهِ زَبَرْجَدٌ مثْمرٌ عَقيقَا

ما ورد فى الأترج

أخرج الشيخان عن أبى موسى الأشعرى ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجّة طعمُها طيّب وريحها طيّب » .

وأخرج ابن السنّى عن أبى كبشة ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه النّظر إلى الأترّج والحمَام الأحمر ..

بعضهم :

كأن أترجّنا النّضير وقد زان تحيـــاتنا مُصْبَعَهُ
أيدٍ من التبر أبصرت بدَرا من جوهر فانثنت تجمعه

آخر :

يا حبذا أترجّةٌ تحدث للنفس الطّرَبْ[٣]
كأنها كافورةٌ لهـا غشاء منْ ذهبْ

الأسعد بن مماتى :

لله بل للحُسْن أترجّةٌ تذكّر النّاس بأمر النّعيمِ
كأنهـا قد جمعّت نفسها من هيبة الفاضل عبد الرحيم

(١) ساقط هذا البيت من ح ، ط . وأثبته من الأصل ونهاية الأرب .
(٢) نهاية الأرب ١١ : ١٢٧ . (٣) نهاية الأرب ١١ : ١٨١ .

ابن المعتزّ :

أترجّـــة قد أتتك لَطَفاً　　لا تقبلنْها وإن سُرِرْتَ [١]

لا تهـد [٢] أترجّـة فإنى　　رأيت مقلوبها « هُجِرْتَ »

ماورد فى القصب

أخرج ابن عساكر فى تاريخ دمشق من طريق الربيع بن سليمان ، قال : سمعت الشافعىّ يقول : ثلاثة أشياء دواء للداء الذى لا دواء له ، الذى أعيا الأطباء أن يداووه : العنب ولبن اللقاح ، وقصب السكر ؛ ولولا قصب السكر ما أقمت بمصر .

بعضهم :

تحـكيه سُمْر القنَا ولـكنْ　　تراه فى جسمه طَلاوَهْ

وكلّـــا زدتَه عـــذاباً　　زادك من ريقه حَـلاَوه

فى الـكمّثرى

بعضهم :

حَيّا بـكمثرايةٍ لونهـــا　　لون محبٍّ زائد الصُّفْرَهْ

تشبه نَهْد البِنْت إن قعـدتْ　　وهى لهـا إن قلبت سُرَّهْ

فى الخوخ

بعضهم :

كأنّمـا الخوْخ فى دوحِنــهِ　　وقد بدا أحمره العَنْـدَمِى

(١) نهاية الأرب ١١ : ١٨٣ .

(٢) نهاية الأرب : « لا تهد » .

بنادقٌ من ذهبٍ أصفرٍ قــد خُضِّبت أنصافها بالدم

ما ورد فى التين

أخرج ابن السنّى والديلمىّ فى مسند الفردوس ، عن أبى ذرّ ، قال : أُهْدِىَ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم طبق من تين ، فقال لأصحابه : «كلوا ، فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة بلا عجم لقلت هى التين ، وإنه يذهب بالبواسير ، وينفع من النِّقرِس » .

كشاجم :

أهــلاً بتينٍ جاءنا منضَّــداً على طَبَقْ[1]
يَحْـكِى الصَّبَاحَ بعضُه وبعضه يحـكِى الغَسَقْ[2]
كسفرةٍ مضمومــة قــد جمعت بلا حلق

ابن المعتزّ :

أَنْعِمْ بتينٍ طاب طعماً واكتسى حسنا، وقارب منظرا من مخبرِ[3]
فى برد ثلجٍ ، فى قفَا تبر ، وفى ريح العبير وطيب طعم السكَّرِ
يحكى إذا ما صُبَّ فى أطباقه خِيَماً ضُرِبن من الحرير الأخضر

فى اللوز الأخضر

ابن المعتزّ :

ثلاثة أثواب على جسدٍ رَطْبٍ مخالفةُ الأشكال من صَنْعة الربِّ[4]
تَقِيـهِ الرّدَى فى ليـــله ونهـارِه وإن كان كالمسجُون فيها بلا ذنبِ

---

(١) نهاية الأرب ١١ : ١٥٩ .
(٢) ساقط من ط ، ح .
(٣) نهاية الأرب ١١ : ١٥٩ ، ١٦٠ .
(٤) نهاية الأرب ١١ : ٨٨ .

آخر :

أما ترى اللوز حين ترحله (١) من الأفانين كف مقتطفِ
وقشره قد جلا القلوب لنا كأنه الدر داخل الصدفِ

ظافر الحداد :

جاء بلوزٍ أخضرٍ أصفره ملء اليدِ (٢)
كأنما زئبره نبتُ عذارِ الأمرد
كأنما قلوبه من توأمٍ ومفردِ
جواهر لكنما الأصداف من زبرجدِ

البدر الذهبي :

مانظرتْ مقلتي عجيباً كاللوز لما بدا نوّارُه
اشتعلَ الرأس منه شيباً واخضرّ من بعد ذا عِذارُه

ماقيل فى المشمش

محيي الدين بن عبد الظاهر :

حبّذا مشمشٌ على الدوح أضحى ذا شعاع يستوقف الأبصارا
شجر أخضر لنا جعل اللـه تعالى منه كما قال نارا

وقال :

وكأنّ ضوء الشّمس من أوراقها فى نقش أسوقة الغصون خلاخلُ
وكأنّ مشمشها بصوت هَزارها إذْ حركته به النّسيم جلاجلُ

---

(١) نهاية الأرب ١١ : ٨٨ ، وترجاله ، أى تنزله .
(٢) نهاية الأرب ١١ : ٨٨ .

آخر :

ومشمشٍ جاءنا من أعجب العجبِ   أشهى إلىّ من اللّذات والطربِ [1]
كأنه وهُبــــوب الريح تنثُره   بنادق خُرِطت من خالص الذهب

ماقيل فى النبق

ابن الجيلىّ :

انظُرْ إلى النبْق فى الأغصان مُنْتَظِماً   والشّمس قد أخذت تجلُوه فى القُضُبِ
كأنّ صفرته للناظرين غــــدتْ   تحكِى جلاجلَ قدصِيغت من الذهبِ

آخر :

وسِــــدْرَةٍ كلّ يوم   من حسنها فى فنونِ [2]
كأنّمـــا النبق فيها   وقد بدَا للعيونِ
جلاجلٌ من نُضـــارٍ   قد عُلِّقت فى الغصونِ

---

(١) نهاية الأرب ١١ : ١٤١ .
(٢) نهاية الأرب ١١ : ١٤٤ .

ذكر الحبوب والخضراوات والبقول

فى سنابل البر والشعير

القاضى عياض :

انظر إلى الزّرْع وخاماتِهِ تحكِي وقد ماست أمام الرّياح[1]
كتيبـــةً تَجْفِلُ مهزومَةً شقائقُ النعمان فيها جِراحْ

آخر :

ياحبّـــذا سنبلةٌ تبدُو لعينِ المبصرِ[2]
كأنهـــا سلسلةٌ مَضْفورَةٌ من عنبرِ

ظافر الحداد :

كأنّ سنابل حَبّ الحصيدِ وقد شارفتْ وقت إبّانها[3]
كنائسُ مضفورة ربِّعت وأُرْخِىَ فاضـــلُ خيطانها

ابن رافع القيروانىّ :

انظر إلى سنبل الزّروع وقَدْ مرّت عليه الجنوبُ والشّمَلُ[4]
كأنه البحر فى تموّجه يعلُو مرارا ، ومرة يسفُلُ[5]
والمـاء للسقى فى جوانبِهِ المِسْكُ للناظرين أو صندلُ

فى الباقلا

قال بعض الشعراء وهو ابن لنــكك[6] البصرىّ :

فصوص زبرجد فى غلف دُرٍّ بأقماع حَــكَتْ تقليم ظُفْرْ[7]

(١) نهاية الأرب ١١ : ١٦ . (٢) نهاية الأرب ١١ : ١٧ .
(٣) نهاية الأرب ١١ : ١٦ . (٤) نهاية الأرب ١١ : ١٦ ، والشمل : ريح الشمال
(٥) نهاية الأرب : « مرارا به ويستفل » . (٦) فى الأصول : « نيــكل » تحريف .
(٧) نهاية الأرب ١١ : ٢٠ ، ونسبه إلى الصنوبرى .

وقد حاكَ الربيعُ لها ثياباً ... لها لونان من بيض وخضرِ

آخر :

لِى نحوَ ورد الباقلاَ ... إدمانُ لهو ولهجْ[1]

كأنما مبيضه ... يلوح فى ذاك الدَّعَجْ

خواتمٌ من فِضةٍ ... فيهافصوص من سَبَجْ[2]

ابن وكيع :

ولاح ورد الباقلاء ناظرا ... عن مقلة تفتح جفناً عن حَوَرْ

كمثل ألحاظِ اليعافير إذا ... روّعها من قانصٍ فرط الحذَرْ

كأنها مداهنٌ من فضة ... مجلوّة فيها من المسك أثر

كأنها سوالف من خُرَّدٍ ... قد زيّنت سوادها سود الطّرر

في القثاء

عبد الرحيم بن رافع القيروانىّ :

أحبب بقثّاء أتا ... نا من فوق أطباق منضَّدْ[3]

كمضاربٍ قد حدِّرت ... أجرامهنَّ من الزّبرجد

نعم الدواء إذا الهوا ... ء من الهواجِرِ قد توقّدْ .

ابن المعتزّ :

انظر إليه أنابيباً منضّدةً ... من الزَّبَرْجد خضرا مالها ورقُ

إذا قلبْت اسمه بانَتْ حلاوتُه ... وكان معكوسه إنّى بكم أثق

(١) نهاية الأرب ١١ : ٢٢ .

(٢) السبج : خرز أسود .

(٣) نهاية الأرب ١١ : ٣٨ .

فى الخيار

لبعضهم :

خيـــار حينَ تنسبه لبيتٍ كريحانِ السّرور به اخضرارُ[1]
كأنّ نسيمه أنفاس حِبٍّ فليس لمغرم عنــه اصطبارُ

فى الفقوس

بعضهم :

شبّهت حين بدا الفقّوس مبتهجاً على الرّياض بحبٍّ فيـه مأسورِ
مخازن من لُجينٍ لفّ ظاهرها بسندسٍ حشوُه حبّات كافورِ

فى القرع

لعبد الرحيم بن نافع :

وقرع تبدّى للعيون كأنّه خراطيم أفيـال لطخن بزنجارِ
مررنا فعاينّـــاه بين مزارعٍ فأعجب منها حسنه كلّ نظّارِ

فى الباذنجان

لبعضهم :

أهدتْ لنا الأرضُ من عجائبها ما سوف يَزْهو بمثله وقتى[2]
إذا أجـــاد الّذى يشبّهه وأحكم الوصفَ منه فى النّعتِ
قال كراتُ الأديم قد حُشيَتْ بسمسم قُمِّعَتْ بكيْمختِ[3]

---

(١) نهاية الأرب ١١ : ٤١ . (٢) نهاية الأرب ١١ : ٤٤

(٣) الكيمخت : ضرب من الجلود المدبوغة يتخذ من ظهور الخيل والحمير .

آخر :

ومستحسن عند الطعام مدحرجٍ　　غذاه نميرُ المـاء فى كلّ بستانِ
تطلع من أكمامه فكأنه　　قلوبُ نعاج فى مخاليبِ عِقْبان

آخر :

وكأنمـا الأبذنج سُودُ حمائمٍ　　أوْ كارُهاروضُ الرّبيعِ المسْكِرِ[1]
لقطت مناقِرُها الزبرجد سمسماً　　فاستودعتْه حواصلاً من عنبرِ

آخر :

وباذنجـــانة حُشيت حَشاَها　　صغار الدرّ باللّبَنِ الحليبِ
وغشّيت البنفسج واستقلّت　　من الآس الرطيب على قضيبِ

فى السلجم

لابن رافع القيروانىّ :

كأنمــــا السّلْجَمُ لمّا بَدَا　　فى حُسنه الرائق من غيرمَيْنِ[2]
قطائعُ الكافور ملمومــــةً　　لمبصرِيها أو كراتُ اللّجَين

فى الفجل

لبعضهم :

لله فُجــــلٌ قد أتتنابه　　جارية تُخجِل شمسَ النهـارِ
كأنّه فى يدهـــا إذْ أتت　　به لنا غصنا بصوْب العطار
سبائكُ من فضّة قد صفّتْ　　أومثل أنيابِ الفيول الصّغار

---

(١) نهاية الأرب ١١ : ٤٥
(٢) نهاية الأرب ١١ : ٥١

آخر :

أحبب بفُجـــل قد أتانا به طَبّاخنا من بعد تقشيرِ[1]
منضّـــدا فى طبق خلته من حُسنه قضبـــان بلّورِ

آخر :

وبيضاء من حُور الجِنان ملكتُها ولُمْتُ عليهـا صاحبى وَلِىَ العذْرُ
وما كسيت من سندس الخلد حُلّةً ولا مَمْجرَّالكِنْ ذوائبها خُضْرُ

فى الجزر

لابن رافع القيروانىّ :

انظر إلى الجزَر البديع كأنه فى حسنه قُضُبٌ من المَرْجان[2]
أوراقُه كزبرجدٍ فى لَوْنهــــا وقلوبُه صِيغَتْ من العِقيان

آخر :

انظر إلى الجزَر الذى يحكى لنـــا لَهَب الحريقِ[3]
كمُدِيَّةٍ من سندسٍ فيهـــا نصاب من عقيقِ

فى الثوم

لابن رافع القيروانىّ :

يا حبّذا ثومةٌ فى كفّ جاريةٍ بديعة الحسن تُسْبى كلَّ مَنْ نَظَرا[4]
أبصرتُهـــا ، وهى من عُجْب تقلّبها كصُرّة من ديبقىٍّ حوت دررا

آخر :

الثّوم مثلُ اللّوز إنْ قشّرْتَهُ لولا روائحه وطعم مذاقِهِ[5]

(١) نهاية الأرب ١١ : ٥٥ .
(٢) نهاية الأرب ١١ : ٥٧
(٣) نهاية الأرب ١١ : ٥٧
(٤) نهاية الأرب ١١ : ٦١
(٥) نهاية الأرب ١١ : ٦١

كالنَّدْل غَرّكَ منظرا فإذا دُعِى لفضيلةٍ يُنْمَى إلى أعراقِهِ

فى النمام

ابن رشيق :

لمْ كَرِه النمَّامَ أهلُ الهوى. أساء إخوانى وما أحسنوا[1]
إن كان نمّاما فتنكيسُه من غير تكذيب لهم مأمَنُ

آخر :

لا بارَكَ اللهُ فى النمّام إنّ له إسما قبيحًا من الأسماء مهجورًا[2]
لو لم ينمْ على العُشّاق سِرّهُمُ ما كان فيهم بهذا الاسم مشهورا

فى النعناع

[بعضهم] :

وجاءت بنعناعٍ كأن غصونه وأوراقه مخلوقة من زبرجدِ
إذا مسّه نفح الحرور رأيتَه كأصداغ زنج فلفلت من تجعُّد

فى النارنج

لبعضهم :

تأمّلها كُرَاتٍ من عقيقٍ يروقك فى ذُرَا دوحٍ وريقِ[3]
صوالجُ من غصونٍ ناعماتٍ غذتْها دُرّة العيس الأنيقِ

آخر :

أنظر إلى منظر يلهيكَ مَنْظَرُه بمثله فى البرايا يُضرَب المَثَلُ[4]

---

(١) نهاية الأرب ١١ : ٧٢
(٢) نهاية الأرب ١١ : ٧٢
(٣) نهاية الأرب ١١ : ١١١
(٤) نهاية الأرب ١١ : ١١٢ .

نارٌ تَلُوح على الأغصان فى شجرٍ لا النار تطفِى ، ولا الأغصان تشتعل

أبو الحسن الصّقلىّ :

ونارنجة بين الرّياض نظرتهـــا على غُصُنٍ رطب كقامة أغيدِ[(١)]

إذا مَيَّلَتْها الريحُ مالت كأكرةٍ بَدَت ذهباً فى صولجان زَبَرْجَدِ

وقال :

تنعّمْ بنارنجك المجتنَى فقد حضر السعدُ لمـا حضرْ[(٢)]

فيا مرحباً بِقـــدود الغُصو ن ، ويا مرحبًا بخدود الشَّجَرْ

كأنّ السماء همّت بالنّضا رِ، فصاغت لنا الأرض منها أُكَرْ

ابن المعتز :

كأنّمـــا النّارنج لمّا بَدَتْ صفرتُه فى حُمْرَةٍ كاللّهبْ[(٣)]

وَجْنة معشوق رأى عاشقًا فاصفرّ ثم احمرّ خوف الرّهَبْ

آخر :

وشادنٍ قلت له صِفْ لنـــا بستانَنَا هذا ونارنجَنـــا

فقال لى : بستانكم جَنّـــةٌ ومَنْ جَنَى النَّارنج نارًا جَنَى

فى الليمون

قال ابن وحشية : الليمون والنارنج فى الأصل شجر هندىّ .

السرىّ الرفاء :

ظلّلتْـــــه شجراتٌ عَطّرهـــا أطيبُ عطرِ

فلك أنجمــــه اللّيـــمون من بيض وصفر

---

(١) نهاية الأرب ١١ : ١١٦ ، (٢) نهاية الأرب ١١ : ١١٢ .

(٣) نهاية الأرب ١١ : ١١٣ ، مع اختلاف فى القافية .

أُكَرٌ مِن فضّـــةٍ قد شابهـا تلويح تبْرِ

آخر :

يا ربّ ليمونةٍ حَيَّابهـا قمـرٌ حُلْوُ المقبَّل ألْمَى باردُ الشَّنَبِ[1]
كأنها أُكرةٌ من فضة خرطت فاستودعوها غِلافًا صِيغَ من ذهبِ

آخر :

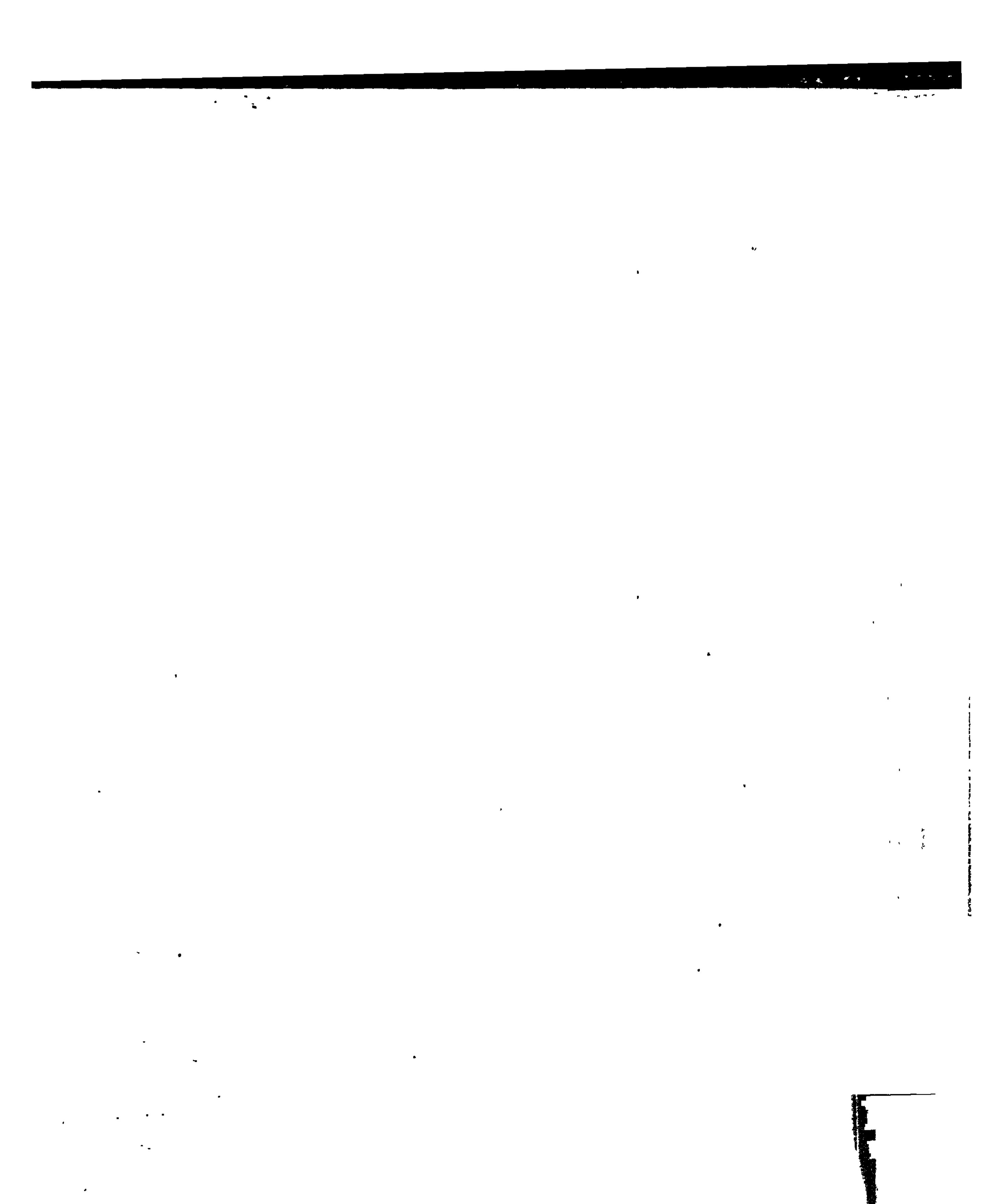
أمَا ترَى الليمونَ لمّا بدا يأخـذ فى إشراقِه بالعيـانِ[2]
كأنّه بَيْض دَجاجٍ وقـد لطّخهـا العـابث بالزعفَرانِ

تم كتاب حُسن المحـاضرة
ولله الحمـد

---

(١) نهاية الأرب ١١ : ١١٦ . والشنب : الرقة والعذوبة فى الأسنان .
(٢) نهاية الأرب ١١ : ١١٦ مع اختلاف فى القافية .

الفهارس



فهرس الأعلام المترجمين(*)

حرف الهمزة

(*) هو فهرس الرجال الذين عاشوا فى مصر أو وفدوا إليها ؛ ممن ذكرهم المؤلف أو ترجم لهم ، من الملوك والخلفاء والسلاطين والولاة والأمراء والوزراء والصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والحفاظ ورواة الحديث والفقهاء على اختلاف مذاهبهم والقضاة وأئمة القراءات والنحاة والمؤرخين والحكماء والأطباء والفلاسفة والأدباء والشعراء والكتاب والمؤرخين والقصاص وغيرهم ؛ على نحو ما أورده الخطيب فى تاريخ بغداد وابن عساكر فى تاريخ دمشق وغيرهما من مؤرخى البلاد والأقاليم .

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

(١) طبع خطأ « أغانيمون » .

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

حرف التـــــاء

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

(حرف الدال)

(*) ولى القضاء بمصر ولكنه مات قبل أن يصل إليها .

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

حرف الزاى

* ذكر المؤلف فى ص ٢٠٠ أنه من الصحابة وفى ص ٢٥٨ أنه من التابعين .

* وذكر فى ص ٢٦٧ فى التابعين .

* طبع خطأ « جبر »

الجزء والصفحة

* واسمه أيضاً « سعد بن سنان ».

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

جزء و صفحة

الجزء والصفحة

حرف الظاء

حرف العين

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

---

(١) طبع خطأ « بن الحكم » .   (٢) طبع خطأ « العلائى » .

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

---

(١) هذا هو الصواب وقد طبع خطأ : « عبد الرحمن بن داود » .

الجزء والصفحة

(١) طبع خطأ : « بن العزيز » .
(٢) سقطت كلمة « عبد العزيز » من ترجمته ١ : ٣٥٩ .

* مر فى الفهرس باسم «بهاء الدين» ، والصواب أن موضعه هنا .

(حسن المحاضرة ٣٤/٢)

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

(*) طبعت خطأ (الفقيم) .

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

* طبع خطأ : «جويرية».

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

حرف القاف

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

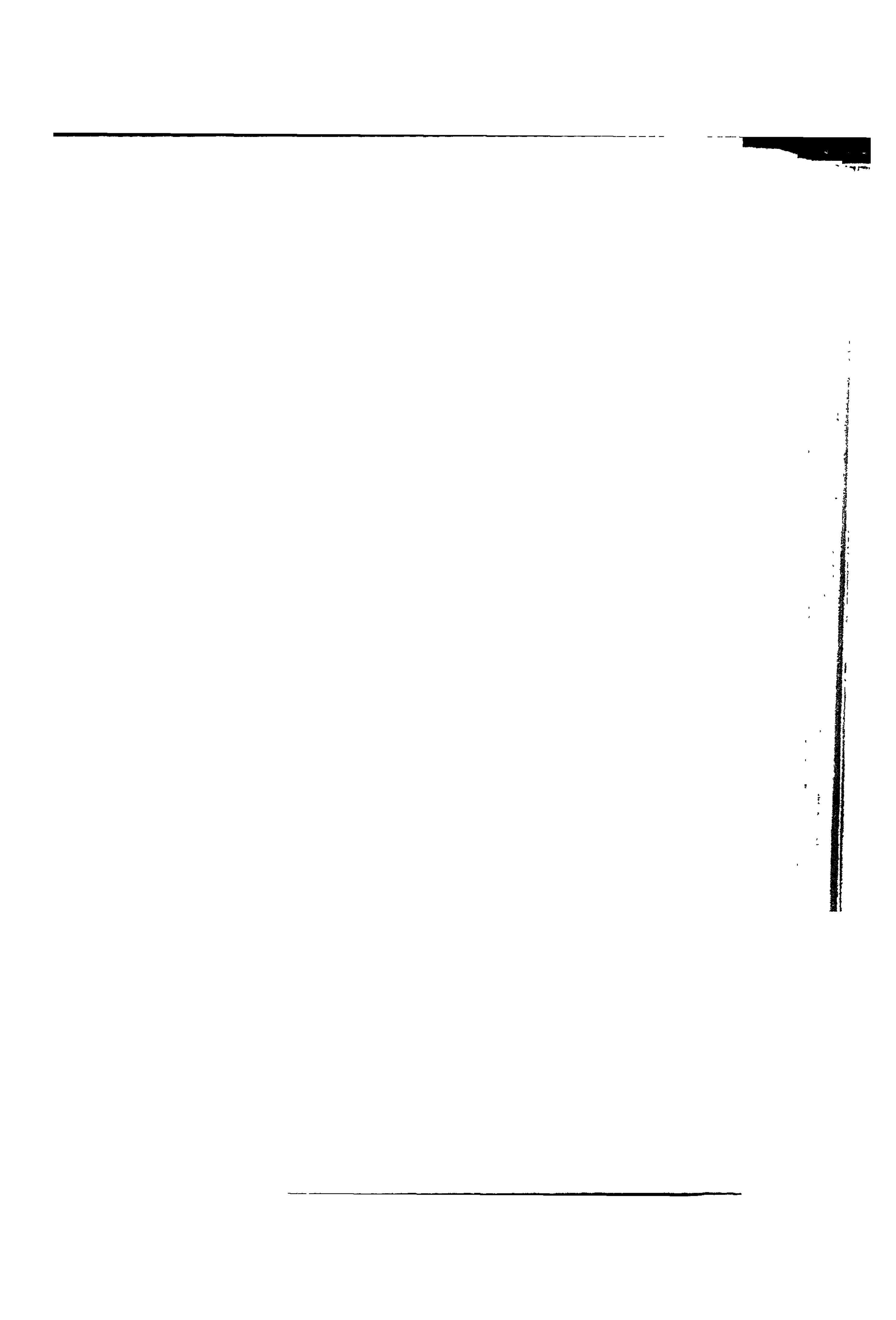
الجزء والصفحة

(١) طبع خطأ « الحاكم » .

الجزء والصفحة

(١) طبع خطأ فى هذه الصفحة « الحكم » .

الجزء والصفحة



الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

(١) طبع خطأ « بيان ».

الجزء والصفحة

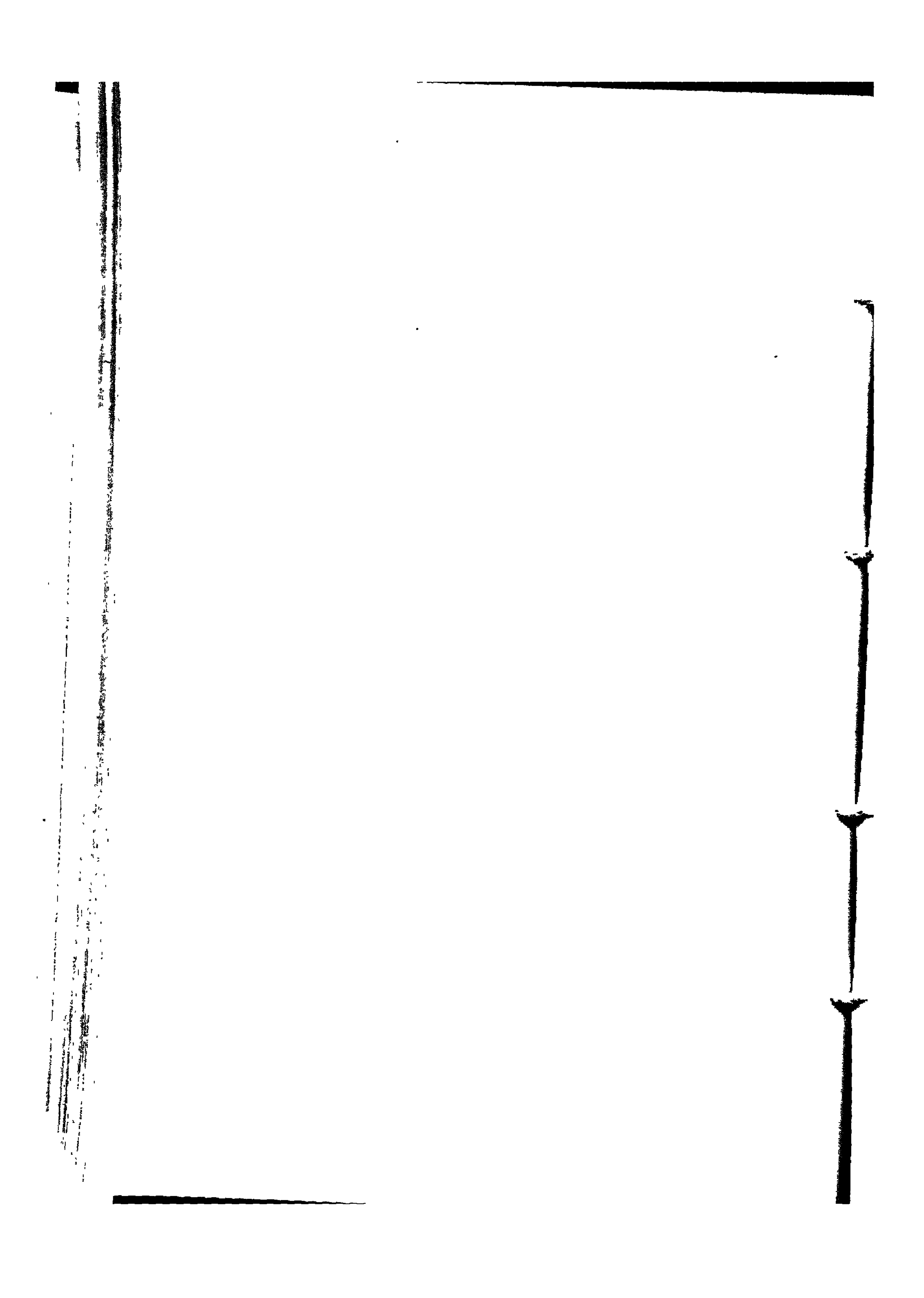
الجزء والصفحة

ا

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة



الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

حرف الواو

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

(١) به خطأ فى هذه الصفحة : « أبو الفضائل »

فهرس الشعر

حرف الهمزة

حرف الباء

* مطلع أرجوزة مختلفة القوافى .

(١) مطلع أرجوزة مختلفة القوافى

حرف الكاف

(١) مطلع أرجوزة مختلفة القوافى .   (٢) مطلع أرجوزة مختلفة القوافى .

(حسن المحاضرة ٤٠/٢)

فهرس الأماكن

(ب)

(ت)

(ش)

فهرس الأمم والقبائل

مراجع التحقيق

الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر . مطبعة نهضة مصر
الإصابة فى أسماء الصحابة لابن حجر . مطبعة السعادة سنة ١٣٢٣ هـ
ابن أصيبعة = طبقات الأطباء
الأعلام لخير الدين الزركلى (الطبعة الثانية) . مطبعة كوستا (١٩٥٤ ـ ١٩٥٩ م)
الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار للدكتور حسن الباشا . نشرة مكتبة الأنجلو سنة ١٩٥٧ م
إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى . طبع دار الكتب
البداية والنهاية لابن كثير . مطبعة السعادة سنة ١٣٥١ هـ
بدائع البدائه لابن ظافر الأزدى . طبع بولاق ١٣٧٨ هـ
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكانى . طبع مصر سنة ١٣٤٨ هـ
بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطى . مطبعة عيسى الحلبى سنة ١٩٦٥ م
تاريخ ابن الأثير . إدارة الطباعة المنيرية بمصر سنة ١٣٤٨ هـ
تاريخ بغداد للخطيب البغدادى . طبع القاهرة (نشرة الخانكى ١٣٤٩ هـ)
تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطى . مطبعة السعادة سنة ١٩٥٧
تاريخ الطبرى : طبع دار المعارف بمصر
تاريخ ابن كثير = البداية والنهاية
تقريب التهذيب لابن حجر . نشرة مكتبة القاهرة سنة ١٣٨٠ هـ
تمام المتون فى شرح رسالة ابن زيدون لصلاح الدين الصفدى . نشرة دار الفكر العربى سنة ١٩٦٩ م
تهذيب التهذيب لابن حجر . مطبعة دار المعارف بحيدر آباد سنة ١٣٢٥ هـ

ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب للثعالبى : نشرة مطبعة نهضة مصر ١٩٦٥ م

ثمرات الأوراق لابن حجة ، على هامش المستطرف مطبعة المعاهد ١٣٥٤ هـ

الجامع الصغير لجلال الدين السيوطى . مطبعة عيسى الحلبى ١٩٥٤م

الجواهر المضية فى طبقات الحنفية . دائرة المعارف بحيدر آباد سنة ١٣٣٢ هـ

حلبة الكميت للنواجى . المطبعة الأميرية ١٢٧٦ هـ

خريدة القصر فى شعراء العصر (قسم مصر) . لجنة التأليف والترجمة بمصر سنة ١٣٥١ هـ

خطط المقريزى . مطبعة النيل ١٣٢٤ هـ .

ابن خلكان . المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٠هـ

الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة . مطبعة حيدر آباد (١٩٤٥ ـ ١٩٥٠ م)

الديباج المذهب فى أعيان المذهب ، لابن فرحون . مطبعة المعاهد بمصر سنة ١٣٥١ هـ

ديوان جميل . (دار مصر للطباعة)

ديوان حسان بن ثابت . المطبعة الرحمانية ١٩٢٩ م

ديوان المتنبى . مطبعة مصطفى الحلبى سنة ١٩٣٦ م

ديوان ابن نباته المصرى . مطبعة التمدن بمصر ١٩٠٨ م

الذيل على الروضين لأبى شامة . طبع بالقاهرة سنة ١٣٦٦ هـ

رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر . المطبعة الأميرية ١٩٥٧ م

سكردان السلطان لابن حجلة ـ على هامش المستطرف . مطبعة مصطفى الحلبى سنة ١٣١٧ هـ

السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى . طبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر (١٩٣٩ ـ ١٩٤٣ م) .

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى . نشرة القدس سنة ١٣٥٠ هـ

الشعر والشعراء لابن قتيبة . مطبعة عيسى الحلبى ١٣٦٤ هـ

صبح الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندى . طبع دار الكتب المصرية

صحيح مسلم . طبع عيسى الحلبى ١٩٥٥ م

الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع للسخاوى . طبع فى مصر (١٣٥٣ – ١٣٥٥ ﻫ)

الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد . طبع فى مصر سنة ١٩١٤ م

طبقات الأطباء المسمى بعيون الأنباء لابن أصيبعة . طبع بمصر سنة (١٢٩٩ – ١٣٠٠ ﻫ)

طبقات ابن سعد . بيروت ١٩٥٧م

طبقات الشافعية . طبع فى القاهرة سنة ١٣٢٤ ﻫ

طبقات الشعرانى . نشرة مكتبة صبيح

طبقات القراء لابن الجزرى . طبع بمصر سنة ١٣٥١ ﻫ

العبر فى خبر من غبر للذهبى . طبع الكويت ١٩٦٠ م

غاية النهاية = طبقات القراء

فتوح مصر لابن عبد الحكم . لندن ١٨٥٨ م

الفخرى فى الآداب السلطانية لابن طباطبا الطقطقى . مطبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٣٨ م

الفهرست لابن النديم . ليبسك سنة ١٨٧١ م

فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى . مطبعة السعادة بمصر

الفوائد البهية فى تراجم الحنفية ، لمحمد عبد الحى الكلنوى . طبع بمصر سنة ١٣٢٤ ﻫ

القاموس المحيط للفيروزابادى . طبع بمصر سنة ١٣٣٠ ﻫ

الكامل لابن الأثير = تاريخ ابن الأثير

الكامل للمبرد . مطبعة نهضة مصر ١٩٦٦ م

كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون . إستانبول سنة ١٣٦٠ ﻫ
لسان العرب لابن منظور . طبعة بولاق (١٣٠٠–١٣٠٨ ﻫ)
مجمع الزوائد للحافظ نور الدين على ابن أبى بكر الهيثمى . نشرة القدسى سنة ١٣٥٢ ﻫ
مروج الذهب للمسعودى . نشرة المكتبة التجارية سنة ١٩٥٤ م
مسالك الأبصار فى عجائب الأمصار ، لابن فضل الله العمرى . طبع دار الكتب
المضاف والمنسوب = ثمار القلوب
مطالع البدور فى منازل السرور للغرولى . مطبعة الوطن ١٢٩٩ ﻫ
معجم البلدان لياقوت . طبع فى مصر (١٣٢٣–١٣٢٥ ﻫ)
معجم الشعراء للرزبانى – مطبعة عيسى الحلبى ١٩٦٠ م
الملل والنحل لعشهرستانى . مكتبة الأنجلو ١٩٥٦ م
المنتظم لابن الجوزى . طبع حيدر آباد بالهند ١٣٥٧ ﻫ
النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة ، لابن تغرى بردى
نكت الهميان فى نكت العميان لصلاح الدين الصفدى . نشرة أحمد زكى باشا
سنة ١٩١٠ م
نهاية الأرب فى فنون الأدب للنورى مطبعة دار الكتب بمصر
نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار للشبلنجى . المطبعة الجمودية بمصر سنة ١٣١٣ﻫ
وفيات الأعيان = ابن خلكان
الولاة والقضاة للكندى . طبع بيروت ١٩٠٨ م

تعليقات على الجزء الأول

صفحة	سطر	
٢٠٠	٦	زهير بن قيس البلوى ، ذكره المؤلف أيضا فى صفحة ٢٥٨ ضمن التابعين
٢٥٢	٢	صواب العبارة : « بعد ما ذكر زياد »
٢٥٣	٨	الصواب : « أم عبد الله بنت نبيه بن الحجاج »
٢٥٥	٠	وقع فى رموز المترجم لهم من التابعين ورواة الحديث بعض الخلاف ، نتيجة لاختلاف المراجع
٢٨٥	٦	سعيد بن زكريا الادم المصرى ، قال فى التقريب : « الادم ، بهمزة مقصورة ومهملة مفتوحتين »
٢٩٦	٢	فى الأصول: «أبو عبد الرحمن»،والصواب أنه« عبدالله بن عبدالرحمن ابن حجيرة » ، وانظر الجزء الثانى ٢ : ١٣٨
٣٦٨	١٦	هو أبو محمد عبد الله بن أحمد ، وانظر العبر ٢ : ٢١٧
٣٧٤	١٤	الخِلعى ، بكسر الخاء ؛ هو علىّ بن الحسين الموصلى الفقيه الشافعىّ . وانظر ص ٤٠٤ من هذا الجزء
٣٧٤	١٥	ابن رفاعة ، هو أبو محمد بن عبد الله بن رفاعة بن غدير السعدى ، قاضى الجيزة ، ذكره المؤلف فى فقهاء الشافعية ص ٤٠٦
٣٧٨	٦	ابن الحباب، كذا فى الأصول والنجوم الزاهرة ، وفى العبر: «الجَبّاب»
٣٧٨	٩	ابن رواج ، كذا ضبطه فى العبر
٣٨٠	٤	ابن بنين ، بفتح الباء ، وانظر المشتبه ١ : ٩٤
٤١٥	٦	ابن بدر العلامى،بالتخفيف منسوب إلى علامة،قبيلة،وكذا حيث يرد
٤١٥	٢٠	موسى بن حماد

صفحة	سطر	
٤٥٩	٥	ابن الحاج ، هو أبو عبد الله محمد بن محمد العبدرى
٥٦٩	٦	تكتب العبارة هكذا : « قال ابن فضل الله : من شعراء مصر الذين جاءوا بباقى السحر »
٥٧١	٦	هو شهاب الدين أحمد بن محيي الدين يحيي،صاحب المسالك والأبصار
٥٧٢	٥	« إبراهيم بن شرف الدين بن عبد الله »

* * *

تعليقات الجزء الثانى

٨٥	٣	اسمه العباس
١٦٧	١٤	تحذف الحاشية رقم ١
٤٦٣	١	يضاف رقم ٢ : ١٧٤ فى القضاة
٤٦٦	٩	يضاف رقم ١ : ٤٦٣
٤٧٩	٠	يوضع بعد السطر الأول : « إسماعيل بن الأنماطى رقم ١ : ٣٨٣
٥٠٨	٢	الصواب : « سلامش بن الظاهر بيبرس »

تصويبات الجزء الأول

صفحة	سطر	الصواب
٢٨	٤	الطندتاوية
٣٦	٩	خِرْبتا بن مالِيق
٣٩	١٨	الرّيان ، ومثله فى الصفحة التالية
٦٠	٤	أغاثوذيمون
٦٠	٦	إسلاوس
١٦٩	١٠	الأرقم بن حُفينة
١٧٠	٦	أيمن بن خُزيم
٢٠١	٥	زياد بن فائد
٢١٠	١٤	ثعلبة بن وبرة
٢١٨	١٣	قيس بن أبى العاص
٢١٩	٧	عروة الفُقَيْمِىّ
٢٥٦	١٠	قيس بن سُمَىّ
٢٥٧	٣	التُّجيبى
٢٧١	٣	وهب بن عبد الله
٢٧١	١٤	أبو أحمد والحاكم
٢٨٨	١٤	عمرو بن سواد
٢٩٠	١٠	وهب بن بيان
٢٩٢	١٤	أحمد بن يحيى بن الوزير
٢٩٧	١٤	تَوْبة بن نمر
٣١٢	٥	حَزْبوية، وكذلك حيث ورد
٣٤٥	٥	عبد الرحمن بن هرم أبو داود
٣٤٦	٤	الليث بن سعد، ابن لهيعة
٣٤٨	٦	عبد الحكم وكذلك حيث
٣٤٩	٤	الفهمى المصرى
٣٥٢	١١	عبد الواحد بن محمد
٣٥٩	١١	عز الدين بن عبد العز[illegible] أبو عمر بن قاضى القضا[illegible]
٣٦٣	٤	أحمد بن الحافظ عبد الرح[illegible] أبى الفضل
٣٦٨	١٣	عبد الرحمن بن أحمد [illegible] الحجاج أبو محمد الرشيد[illegible]
٣٧٥	١٠	محمد بن بنان
٣٧٦	٥	هبة الله بن يحيى
٣٨٠	٦	أبو بكر محمد بن فتوح
٣٨٢	٧	مكين الدين
٣٨٥	١٢	ابن الأغلاقى وكذا حيث[illegible]
٣٨٦	٦	ابن رواج ، وكذلك حيث ورد
٣٨٩	٤	المقدسى
٣٨٩	٤	الحسن بن عبد الكريم

صفحة	سطر	الصواب	صفحة	سطر	الصواب
٣٩٨	٢	ابن ابن عم الشافعىّ	٥١٢	١٩	أبو الحسن بُنان
٤٠٤	٧	أحمد المعروف بالمصيص	٥٢٣	١٦	عبد الظاهر بن علىّ
٤٠٦	١٥	الخبوشانى	٥٢٦	١٤	أبو المحاسن بن عبد الله
٤٢٦	١١	أحمد بن إبراهيم بن حيدرة	٥٢٧	٣	حسن بن عبد الله ابن الفرات
٤٢٧	٧	أخو شرف الدين	٥٢٨	١٧	ابن رفاعة
٤٢٩	٥	النفيسىّ	٥٤٥	١٠	بتبريز
٤٦١	٣	القَفْصِىّ بالفتح	٥٥٨	٨	كثير
٤٨٦	١٧	الرّشيد بني			

تصويبات الجزء الثانى

صفحة	سطر	الصواب	صفحة	سطر	الصواب
٦	٤	بجامع ابن طولون	١٤٣	١١،٤،٣	وولّى
١٨	٤	أريحاء	١٤٧	١١	الحسن بن عبد العزيز
٢١	١٩	ابن عُنين وكذلك صفحة ٢٢	١٤٧	١١	استعفَى
٦٣	٣	المستكفِى	١٤٩	١٨	عبد الحاكم وكذلك ص ١٥١
٨٣	٢	المستعصِم	١٥٢	٨	الحطيئة
٩٠	١	سُيِّر	١٦٧	٨	الحسن بن رزين
٩٣	٧	هَمَذان	١٦٧	١٤	عبد الوهاب بن الحسين
١١٢	٦	الوداعى	١٧٥	١٠	زكريا بن محمد الأنصارى
١١٣	٢١	أُسوان	٢٠٣	١٤	الأشرف أبى غالب
١٣٧	١٤	فولّى عبدُ العزيز	٢١٦	١٤	شيخ الشيوخ
١٤١	٣	ثمّ ولّى مكانه	٤٢٤	٩	شينا